

رَحْلَةً أَبْرَشِيكَ السَّبِيحِ

أبي عبد الله محمد بن عمر

دراسة وتحليل
الدكتور أحمد حدادي

الجزء الأول

1424 هـ / 2003 م

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن موضوع هذا الكتاب هو البحث في الرحلة الموسومة بملء العيبة بما جمع بطول العيبة في الوجهة الوجيعة إلى الحرمين مكة وطيبة، وهي لصاحبها محب الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد السبتي القهري.

وهذا البحث يتناول بالدراسة والتحليل ما جمعه المؤلف من القضايا والمسائل والروايات والسير وغير ذلك مما تيسر له اختياره وترتيبه من فنون العلم والمعرفة، وإثبات ذلك في رحلته، ويقصد هذا البحث أيضا إلى ترتيب تلك الفنون على شاكلة مخصوصة للتنبيه على أهم ما يوجد منها في الرحلة، وربط ذلك بالألوان المختلفة للثقافة والحضارة في العالم الإسلامي.

وإن هناك دوافع كثيرة حملتني على اختيار هذا الموضوع ومن ذلك:

1- إحياء التراث الإسلامي بعامة وبعث جانب من جوانب الثقافة المغربية والأندلسية بخاصة.

2- وبما أن هناك صلة وطيدة بين النتاج الفكري في المشرق وبين ما يؤلفه المغاربة ويبدعون فيه، فانه كانت تحصل بذلك عملية مهمة من التأثير والتأثير، وقد أعطتنا رحلة ابن رشيد صورا كثيرة من هذا الجانب، ولهذا أردت أيضا إظهار بعض وجوه تلك المسألة في هذه الدراسة لتأكيد إبراز شخصية المغاربة والأندلسيين وعملهم في الثقافة الإنسانية بصفة عامة وفي فن الرحلة وكتابتها عندهم بصفة خاصة.

3- أن عصر ابن رشيد قدم لنا أشهر الرحلات وأخلدها وأوسعها انتشارا وذكرنا كرحلة العبدري وأبي القاسم التجيبي وخالد البلوي وأبي عبد الله الوادي آشي وغيرهم، وقد طبعت كل هذه الرحلات إلا رحلة ابن رشيد التي لا تزال في حاجة إلى الدراسة والتحقيق العلميين للكشف عن أسرارها وتبيان فوائدها، مع العلم أن المؤلفين قد نوهوا بها قديما وحديثا، ولكن ذلك التنويه لا يجدي إلا إذا وضع النص بين أيدي الناس ليمحصوه بالدراسة والتحليل والمقارنة والنقد والتقويم.

4- ثم إن هناك دافعا قويا آخر وهو الرغبة في الاطلاع على كتاب موسوعي يشبع نهم طالب العلم في مختلف العلوم، فإذا كان هذا يشعرا بان العلوم على اختلافها متواصلة، ويعين بعضها بعضا، ويكمل بعضها الآخر، فلا ريب في أن رحلة ابن رشيد تستجيب لرغبة مختلف الدارسين ومطالبهم في هذا المجال.

لقد كانت تلك الأمور كلها دافعا لي على اختيار هذا الموضوع، وعاملا يحثني على الاستعداد لمجابهته والخوض فيه.

بعد اختيار هذا البحث موضوعا للدراسة أخذت أجمع كل ما يتصل بابن رشيد وأخباره وما يتعلق برحلته، ولهذا جمعت تراجم مختلفة عنه، ونقلت أجزاء الرحلة الخمسة الموجودة أولا بخط يدي ثم صورتها بعد ذلك من أصلها بمكتبة الاسكوريال بمدريد ولما تبين لي انه فقد منها جزآن، وان في الأجزاء الموجودة ما هو مبتور، أخذت أبحث في أمهات الكتب وأتقّب في المصادر والمراجع للعثور على المفقود واستكمال المنقوص، ولهذا كنت أجد مرة ترجمة ضائعة وأعثر مرة أخرى على نص شعري أو مسألة حديثية أو فقهية أو غير ذلك، وهكذا حتى اكتملت لدي الصورة عن الأجزاء الكاملة للرحلة، وتعرفت أشياء كثيرة ومهمة عن تلك الأجزاء المفقودة ولهذا وصلت المفقود بالموجود، وبعد ذلك انهمكت في قراءة الرحلة مرات عديدة بعد جمع المادة التي تتعلق بالنص الذي ينبغي دراسته، ثم أخذت أرتب المعارف الواردة في الرحلة، وكنت أرجع في ذلك إلى بعض الأصول القديمة التي كانت توضح لي كثيرا من المسائل، فمنها ما كان يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن الكريم، ومنها ما هو في الحديث النبوي الشريف ومنها ما هو في الفقه والأصول والتصوف والأدب شعره ونثره ونقده وبلاغته ومنها ما هو في النحو والعروض والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ثم إنني كنت أستعين بكتب المتأخرين الذين تناولوا بعض هذا الموضوع بالدراسة والتحليل.

وبعد أن توافرت لدي شروط صياغة الموضوع وتحريره اقترحت أن يكون دائرا على ستة محاور كبرى وهي:

1- الأحوال الفكرية في عصر ابن رشيد

2- التعريف بشخصية ابن رشيد

3- فهرست الشيوخ والأصحاب الذين لقيهم في الغرب الإسلامي والمشرق

4- الجوانب الأدبية و البلاغية والنقدية واللغوية في الرحلة

5- العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والأصول والزهد والتصوف وما

يتصل بذلك.

6- معارف أخرى مختلفة كالفلسفة والمنطق والجغرافيا والتاريخ والمكتبات وما

إلى ذلك.

وسنقتصر في الطبع على بعض هذه المحاور، وإنني أتوجه إلى أستاذي الفاضل المشرف الدكتور عبد السلام الهراس الذي له الفضل وكل الفضل، في تزويدي بنصائحه وإرشاداته ومعارفه وتقويمه ما سند من فهمي ورأيي، وهو الذي عرف لي هذه الرحلة ودلني على لزوم الاستعداد لمجابهة كثير من صور التحدي فيها، ثم عزمت وتوكلت على الله. وبعد ذلك أخذ يضيء طريقي بمصباحه المنير ليبدد ظلمات الأنفاق التي كانت تعترضني كلما شددت الرحال إليه لأملأ عيبتني بما أنعم الله عليه من سديد الرأي ومحض النصح وخالص الإرشاد وهو الذي لين لي عريكة الرحلة بعد ان كان طبعها شموسا، بل ان شخصيته قد اقترنت في ذهني بشخصية أولئك العلماء الأجلة الذين لقيهم ابن رشيد، فَمَنْزَلُهُ كمنزلهم ومكتبته كمكتبتهم وترحيبه بالطلبة الوافدين من شتى الآفاق كترحيبهم، أبقاه الله لنا ذخرا للعلم والعرفان ومثالا للخلق القويم.

كما أنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الجليلين الدكتور محمد بنشريعة والدكتور عباس الجراري الذين قبلا مناقشة هذه الرسالة، فهما اللذان نهلت من حياضهما، وجلست إلى حلقاتهما العلمية واستفدت من منهجهما في دروس السلك الثالث، وعلى يديهما تعلمت طرق البحث والمباحثة ومسائل التنقيب والتنقيب والتدقيق والترقيق والتدقيق، وهما اللذان صوبا لي ما وجد في هذا الرسالة من الهنات والاغاليط، وإنني أحمد الله حمدا كثيرا على تتلمذي على هذه الجماعة الحيرة من العلماء الذين وضع الله مقاليد الدراسات الأندلسية والمغربية أمانة في يدهم: الدكتور عبد السلام الهراس والدكتور محمد بنشريعة والدكتور عباس الجراري، حفظهم الله ورعاهم وأسبغ عليهم نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة. آمين

كما أتقدم بالشكر إلى كل من أمدني بيد المساعدة من الخلان الأوفياء
والجهات المتعددة التي لا يتسع المجال لذكر ذلك كله.

تنبيه: وأنبه في الأخير إلى أن هذه الرسالة كنت قد هياؤها لأنال بها شهادة
دبلوم الدراسات العليا سنة 1983، والحمد لله الذي لا تحصى نعمة.

تمهيد

البيئة العامة للعالم العربي
من النصف الثاني للقرن السابع الهجري
إلى أوائل القرن الثامن

الفصل الأول
الأحوال السياسية والاجتماعية
والعقدية والثقافية في عصر
ابن رشيد

المجتمع الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري

إن طبيعة مضمون رحلة ابن رشيد تفرض علينا إلقاء نظرة موجزة عن الحالة العامة للعالم الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري، وليس هذا بغرض التأريخ لتلك الحقبة أو استقصاء أحوالها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ولكن لمعرفة الحالة العامة لها فحسب. إذ يكفي أن تكون الرحلة بمعارفها والأفكار التي تحتويها واتجاه العلماء والمفكرين الذين ترجم لهم فيها تعريفا بهذا المجتمع الذي اتسعت أطرافه وامتدت أرضه لتشمل ما بين المحيطين الأطلسي والهندي.

وبما أن الرحلة قام بها صاحبها ما بين سنتي 683 هـ و686 هـ فإن الأحداث الهامة آنئذ كان لها أسباب مهدت لها ونتائج تلتها وتمخضت عنها، مما يجعل تاريخها وضبطه وربطه بفترة معينة- أمرا غير ذي أهمية كبرى في هذه العجالة.

1- الأحوال السياسية:

كانت الأندلس تحتاز مراحل صعبة من حياتها السياسية وتعيش أزمات متوالية لأن القواعد الرئيسة والمدن المهمة كانت تسقط تباعا في يد النصارى، إذ لا نكاد نصل إلى أواسط القرن السابع الهجري حتى وجدنا أن قرطبة وبلنسية ومرسية وشاطبة واشبيلبة وغيرها من المراكز الكبرى قد أفل نجمها، ولم يبق منها إلا مملكة غرناطة التي ظلت قلعة تحمي ذمار العروبة والإسلام في بلاد الغرب.

وبعد المعركة الحاسمة بين الموحيدين وبنو مرين في أواخر 667 هـ، وانتصار المرينيين فيها، أصبح عملهم في حوادث الأندلس الداخلية والخارجية ظاهرا، فقد تحالفت مملكة غرناطة مع بني مرين وأخذت تستنصر بهم في كل مرة يداهمها العدو.¹

ولما أخذ الطاغية الإسباني يهدد أمن المسلمين في الأندلس، هب يعقوب يحاربه بنفسه، وذلك بعد أن عقد السلم مع يغمراسن لدفع عاديته²، وقد تم له النصر سنة 674 هـ بعد أن اكتسح جل المدن الأندلسية، فاستولى على مالقة من يد اشقيلولة. وعندما

¹: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية- لعلبي بن أبي زرع، دار المنصور 1972 ص: 159.

²: الاستقصا لأبي العباس بن خالد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء 1954. ج: 3 ص: 39.

اضطربت نار الفتنة بين السلطان يوسف وبين ابن الأحمر ويغمراسن بين زيان احتل أسطول النصارى الزقاق وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وذلك سنة 677 هـ.

وفي سنة 678 هـ كانت حملات يعقوب تنصّر إلى السوس، وفي نفس الوقت أخذ يعدّ العدة لمواجهة ابن الأحمر الذي اعتز بطاغية النصارى.¹

وفي سنة 680 هـ غزا يعقوب أرض يغمراسن، فامتلت أيدي بني مرين من نعم قومه. وفي هذه الأثناء أخذت كلمة النصرانية تتفرق بجروح شاحجة على أبيه، ولهذا أخذ يضيق الحناق على ابن الأحمر، فاشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 682 هـ، وبعد هذه السنة شمر يعقوب عن ساعد الجد فغزا مراكش والسوس وذلك سنة 683 هـ.² ثم توجه شطر الأندلس سنة 684 هـ لتخريب أرض النصارى، فاقترحم مدينة شريش واشبيلية وجزيرة كيتور، واحتل الجزيرة الخضراء سنة 684 هـ بعد أن عزم العدو على احتلال الزقاق. ولما خرب معاقلهم طلبوا منه السلم والمهادنة.

ولما توفي المنصور سنة 684 هـ تولى بعده ابنه الناصر الذي تنازل عن جميع الثغور الأندلسية لابن الأحمر ما عدا الجزيرة ورندة وطريقا ووادي آش، وبهذا استمكن ابن الأحمر من وادي آش وحصونها ولم يبق له بالأندلس منازع. وبعد أن حدثت الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر استولى الطاغية على طريق بمعاونة ابن الأحمر الذي التزم له بالمدد والميرة حتى أصاب أهل طريق الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح فصالحهم وذلك سنة 691 هـ.³

وأما في شمال المغرب الأقصى فكان هناك مدينتان حصينتان مهمتان وهما طنجة وسبتة فأما طنجة فقد عرفت منازل يعقوب المريني لها سنة 672 هـ، ولكن أهلها رفعوا اللواء الأبيض بعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر، ولما فرغ يعقوب منها بعث ولده الأمير يوسف إلى سبتة فحاصر بها بني العزفي إلى أن أعلنوا طاعتهم كذلك.⁴ وقد عرف العزفيون بضبط أمور سياستهم وحماية شواطئ البلاد في وقت عصيب جدا وهو فترة

¹: تاريخ بن خلدون ط: بولاق 1391-1971 ج: 3 ص: 204.

²: نظم السلوك في الإنبياء والخلفاء والملوك- لعبد العزيز الملوحي. المطبعة الملكية 1382-1963.

³: الاستقصا ج: 3 ص: 71.

⁴: نفسه ج: 3 ص: 35.

انتقال الملك من الموحدين إلى بني مرين الذين دخلوا في طاعتهم أيام يعقوب ولكن عندما غدر ابن الأحمر بهم نقلهم إلى حضرة غرناطة، ثم ما لبثوا أن استقروا بفاس في عهد أبي الربيع سليمان ثم ردهم أبو سعيد إلى سبتة بعد ذلك¹.

أما في المغرب الأوسط فنجد اختلاف عمال الولايات الجزائرية على الحكومة المركزية وتعاقبهم عليها، وقد قاموا بوقائع عدة لأخذ البيعة لأنفسهم والاستبداد بالملك، ومن أجل ذلك اختلطت الخطوط والتخوم المرسومة لمملكة الجزائر الحفصية².

وكان عمر بن منديل قد تمكن من مليانة من سنة 668 هـ إلى 676 هـ، واستقل ثابت ابنه برئاسة مغراوة واسترجع بلاد تونس ومليانة من يد يغمراسن سنة 681 هـ ثم قام بعده، ابنه عثمان فانتفضت عليه تونس ثم توجه بالغزو إلى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم، وغلب ثابت على مازونة واستولى عليها إلى أن زحف عليها عثمان سنة 693 هـ³.

وفي الوقت الذي كان يزور ابن رشيد هذه المنطقة كان يجري انفصال الجزائر عن الحكومة المركزية، فقد هناك تنافس بين الحاجب أبي الحسن بن سيد الناس وأبي عبد الله الفازازي لنيل الخطوة عند السلطان، وكان أهل بجاية في اضطراب ونزاع، ولهذا لما علموا بنية أبي زكرياء بادروا إلى تقديم بيعتهم إليه، فاحتل بجاية سنة 684 هـ. وبإيعه أهل مدينة الجزائر ثم أصبحت المملكة الحفصية مجزأة إلى الغرب الذي يتمثل في قسنطينة وبجاية وإلى الشرق الذي هو تونس، وقد استمر هذا إلى حين 694 هـ⁴.

وأما في إفريقية فكان النزاع قائما بين أبي اسحاق الحفصي وابنه أبي فارس الذي خذله أنصاره ثم انهزم، ولما بلغ أمره إلى بجاية اضطرب أهلها وقدموا عليهم محمد بن السيد قائما فيهم بطاعة ابن أبي عمارة الذي ادعى لنفسه الملك، ولما دخل أبو حفص تونس قبض على ابن أبي عمارة فقتله. ولما دخل أبو زكرياء الحفصي قسنطينة وبجاية سنة

¹: نفسه ج: 3 ص: 113.

²: تاريخ الجزائر العام- لعبد الرحمان بن محمد الجيلالي- الجزائر 1955.

³: ابن خلدون ج: 7 ص: 211.

⁴: تاريخ الجزائر ج: 2 ص: 19- وابن خلدون ج: 7 ص: 310.

684 هـ ضاق أهل الحضرة التونسية ذرعا بمكان الأمير أبي زكرياء وامروا يغمراسن بالزحف على بجاية سنة 685 هـ ولكنه وجدها أطلالا¹.

وقد كان شمال افريقية في هذه الآونة يعيش أحداثا متشابهة ويتخبط في مشاكل متشابكة ومعقدة، يفتقر فيها الناس إلى سلطة مركزية قوية تستطيع ان تفرض سلطانها على كل من تسول له نفسه أن يشق وحدة الدولة الإسلامية، ولهذا لما دخل صاحب طنجة أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني في طاعة أبي القاسم العزفي مدة انتقض عليه بعد مضي سنة من طاعته، فاستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه بعد ذلك وسلك في طنجة مسلك العزفي بسبته².

ولم تكن طرابلس في هذه الأثناء بمنأى عن هذه الأحداث الجسام، فمنذ أن نازل الفرنسيون مدينة تونس سنة 668 هـ وهذه المنطقة تعيش جو الرهبة والخوف بسبب القراصنة المبتوثين في وسط البحر وفي الثغور، وقد أشار ابن رشيد في رحلته إلى أنه لما أزمع على الرحيل من طرابلس هو وصحبه أشار عليهم أبو محمد عبد الوهاب بن أبي الحسين بن عبد السيد الطرابلسي بعدم السفر في الجفن الصغير إلى أن يأتي مركب كبير من الإسكندرية لانه بلغهم ان العدو (قصمه الله) ظهر في البحر³.

وأما في الشرق العربي فإننا نصادف في هذه الحقبة محاولات القضاء على الخلافة العباسية، وذلك بعد اجتياح التتار والمغول مدينة بغداد. فقد كان المماليك يقيمون دولتهم في مصر ويبسطون سيطرتهم على الشام والحجاز، وكانوا في أثناء النصف الثاني من القرن السابع الهجري يتوالون في حكمهم على عهد السلطان الناصر محمد: ومن هؤلاء المماليك (إيبك 648 هـ) و(ابنه علي 655 هـ) و (قطز 657 هـ) و(بيبرس 658 هـ) و(بركة خان بيبرس 676 هـ) و(سلامش بن بيبرس 678 هـ) و(قلاوون 679 هـ) و(خليل بن قلاوون 689 هـ) و(الناصر محمد بن قلاوون 693 هـ).

¹: ابن خلدون ج: 6 ص: 303.. والمؤنس في أخبار افريقيا وتونس لابن أبي دينار تونس 1387 ص: 138-140.

²: الاستقصا ج: 3 ص: 34.

³: رحلة ابن رشيد ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطيبة: الرحلة 3/6 وكتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس 136-137.

و(كتبغا 694 هـ) و(لاجين 696 هـ) و(محمد بن قلاوون للمرة الثانية 698 هـ) و(بييرس الجاشنكير 708 هـ) و(محمد بن قلاوون للمرة الثالثة 909 هـ-741 هـ).

وبالرغم من جو القلق وعدم الاستقرار الذي كان يسود عهد المماليك أن لهم الفضل الكبير في وضع الحد للحملات الصليبية وإيقاف خطرهما. ويعتبر عصر محمد بن قلاوون الذي امتد فترة طويلة من أزهى عصور دولة المماليك البحرية إذ استقرت الأمور السياسية في عهده استقرارا ساعده على تنفيذ كثير من المشاريع ولكن ما أن جاء بعده أولاده حتى أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة المملوكية لينخر عظمها.¹

ومن خصائص سياسة دولة المماليك أيضا أنهم كانوا يتناسون أحقادهم والخصومات بينهم ليوجهوا كل طاقاتهم الدفاعية إلى عدوهم، وذلك خلافا لما كان عليه الحال في عهد الايوبيين الذين كانوا ينشغلون كثيرا بحروبهم الداخلية.²

ولا ينبغي أن ننسى كذلك حدثا هاما في سياسة الشرق، وهو وصول رسل أحمد بن هولاكو، بانه استقر في المملكة، إلى بغداد والشام ومصر، وكان أول ما فعله بناء المساجد والجوامع وإقامة الشرع الشريف على ما كان في زمن الخلفاء.³ في حين كان أبناء هولاكو الآخرون تنتشر جنودهم في الأرض لغزو الارمن والروم والشام وخراسان ومصر، وكانت لهم وقائع مشهورة مثلما حدث لهم مع الظاهر صاحب مصر الذي هزمهم شر هزيمة وذلك سنة 681. ثم أنه نشبت حروب كثيرة بين المغول أنفسهم كما حدث بين تكدار بن هولاكو وبين ارغو بن ابغا بن هولاكو مما يدل على اضطراب سياسة هذه الدولة.⁴

ويظهر من خلال هذه النبذة المختصرة أن العالم العربي الإسلامي كان يعيش مرحلة انتقالية مهمة وخطيرة، وهي مرحلة يقظة العدو في أوروبا وطرد المسلمين من أراضيهم وإخماد جذوة الدين والعلم والثقافة هناك، ثم انها كانت مرحلة عدم استقرار في الغرب الإسلامي ومشرقه، وذلك ما كان يعانيه من الحروب الدامية والفتن بين المسلمين وانتقال

¹: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني - لعللي إبراهيم حسن ص: 168.

²: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لثقي الدين المقرئ - القاهرة 1934 ج: 1 ص: 884.

³: شذرات الذهب فيه أخبار من ذهب لأبي الفلاح ابن العماد الحنبلي بيروت ج: 5 ص: 370.

⁴: ابن خلدون 546/5-548.

الحكم من شخص إلى آخر، ولهذا لا بد من أن يكون لذلك كله انعكاسات ملحوظة على الميادين الأخرى من الناحية الاجتماعية والفكرية بصفة عامة.

2- الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

بعدما سقطت جل المدن الأندلسية في يد النصارى أصبح شمل المجتمع الإسلامي ممزقا شر تمزيق، وذلك بالرغم مما أبداه من المقاومة الباسلة للعدو. وكانت الأسر المسلمة الكريمة تؤثر الهجرة إلى أرض الإسلام على التدجن والبقاء تحت سلطان النصارى. ومع أن المدجنين كانوا يتمتعون بنوع من الرخاء والأمن في أول الأمر فإن الكنيسة أبغضتهم في الأخير وأصدرت قرارا ضدهم لاسترقاقهم وتنصيرهم. وفي أواسط القرن السابع الهجري صارت غرناطة تعج بالوافدين عليها من شتى أنحاء مدن الأندلس¹.

وأما من الناحية الاقتصادية في الأندلس فإن العنصر العربي فيها كان نشيطا لأنه كان قائما بشؤون العلم والفن والمهن، والعرب هم الذين وضعوا أسس الصناعة الإسبانية حتى اشتهرت كل مدينة بالأندلس بصناعتها الخاصة².

أما في المغرب فكانت الحالة الاقتصادية متدهورة وذلك بسبب انتشار الجراد والقحط الشديد والريح الشرقية المتوالية الهبوب والمجاعة الشديدة والوباء العظيم، وقد عم ذلك بلاد المغرب وأفريقية ومصر³، حتى صار العالم الإسلامي يعاني من هذه الأزمة التي تضافت فيه الأحوال السياسية الرديئة والأحوال الاجتماعية والاقتصادية القلقة حتى كانت وسائل الحياة في المشرق عسيرة جدا وذلك بسبب كثرة الحروب بين المسلمين والصليبيين والتتار من جهة وبين المسلمين بعضهم بعضا من جهة أخرى، وكذلك ما كان يصدر من الحكام من الظلم ونهب أرزاق الناس وارتفاع الأسعار وكثرة الضرائب⁴.

¹: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - لمحمد عبد الله عنان ط: 3 - 1386، 1966 ص: 49، 56.

²: نهاية الأندلس ص: 63.

³: الانيس المطرب بروض القرطاس - لأحمد بن عمر بن أبي زرع - دار المنصور 1972. الحوادث ما بين

677- 693 هـ ثم الاستقصا ج: 3 ص: 88- 90 وشذرات الذهب ج: 5 ص: 428.

⁴: السلوك ج: 1، 437.

وفي الوقت الذي كان فيه ابن رشيد في مصر والشام كانت الحروب شديدة بين المسلمين وأعدائهم، ففي سنة 684 هـ كان فتح المرقب وغيره من القلاع بالساحل¹. وفي سنة 685 هـ استولى المنصور قلاوون على الكرك وانتزعها من الملك المسعود² وحين كان يأخذ فيه السلطان الكرك من الملك ابن الظاهر كان الفرنج يحتلون مدينة ميورقة ويأسرون أهلها إلا من وزن عن نفسه سبعة دنانير³ وهكذا كانت الحروب شاملة العالم الإسلامي شرقيه وغربيه.

3- الأحوال الدينية والعقدية .

بعد أن خرج المذهب المالكي من محنته في عهد الموحدين وجد نفسه قويا في عهد المرينيين، فقد كان الأندلسيون والمغاربة يقومون بأكثر رحلاتهم إلى الحجاز الذي كان دار علم وثقافة آنئذ، ولهذا كانوا يتأثرون في الغالب الأغلب بمذهب أهل المدينة، وينهلون من فقه مالك الذي كان له الفضل الكبير على أهل المغرب والأندلس، فقلدوه دون غيره، ثم أخذ يتجدد فيهم باستمرار⁴.

ونجد في رحلة ابن رشيد إشارات متفرقة إلى بعض المذاهب الشائعة الأخرى في هذا العهد كمذهب الشافعي والمذهب الحنفي ومذهب داوود الظاهري وابن حنبل ومحمد بن الحسن⁵.

ويتجلى لنا الصراع بين تلك المذاهب من خلال ما كتبه ابن رشيد في حائط قبر الإمام الشافعي من شعر أبي الحكم ابن المرحل. (الرمل)

لا تحالف مالكا في رأيه * * * فيه يأخذ أهل المغرب

¹: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن ابن تغري بردي ط: القاهرة 1348- 1929 ج: 1 حوادث 684.

²: النجوم الزاهرة ج: 1 حوادث 685.

³: دول الإسلام للحافظ شمس الدين أبي عبد الله ج: 1 ص: 144 حوادث 685 وابن أبي زرع حوادث 685.

⁴: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري ط: 1 الدار البيضاء 1396- 1976 ص: 24.

⁵: انظر دراسة الرحلة.

إذ في ذلك إشارة إلى عدم مخالفة مالك في رأيه¹ لأنه كان لا يعتمد على الرأي والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل². أما علاقة المسلمين بغيرهم من الناحية العقدية فإننا نعرف أن المستنصر كان قد عقد معاهدة مع النصارى لممارسة الرهبان والقساوسة المسيحيين شعائرهم الدينية في الكنائس والأديرة³.

وأما الحياة الدينية في المشرق فكانت أكثر تعقدا وتشابكا، فقد كانت تتصارع فيه الطوائف والفرق المتعددة والأهواء المتضاربة، فزيادة على أن أكثرهم مسلمون فإن فيهم من كان يعتنق اليهودية والمسيحية، ثم إن المسيحيين كان فيهم اليعاقبة والملكانية، وأما اليهود فكانوا قرائن وربانيين، وأما المسلمون فكان فيهم السنيون والشيعة وفرقها المتعددة والشافعيون والمالكيون والحنابلة والحنفيون⁴.

وفي الرحلة أيضا تصوير لبعض تنازع تلك التيارات⁵.

وينبغي أن نعرف أن تلك المذاهب كان يطبع أهلها النقاش والجدل في كثير من المسائل الفقهية والفكرية وذلك بحكم تعقد المجتمع وتنوع طبقاته واختلاف نزعاته ومشاربه ولهذا كثرت المناظرات والمعارك العقدية والفكرية كمناظرات ابن تيمية⁶، ثم إن هذا المجتمع المعقد كانت تختلط فيه الأجناس المتعددة بحكم اتساع رقعته التي كانت تضم مصر والشام والعراق والحجاز، وكان العلماء ينتقلون فيه بحرية، فمنهم من كان يتبع طريقا صوفية ومنهم من كان يتوق إلى الإصلاح والتجديد، ومنهم من كان يميل إلى التقليد ويتشدد فيه.

4- الأحوال الفكرية في بعض المراكز الثقافية:

لو القينا نظرة على المراكز الثقافية التي زارها ابن رشيد لرأينا أنها كثيرة ومتنوعة وموزعة على جميع أقطار العالم الإسلامي، ومن أهمها:

1: الرحلة ج: 5 ص: 77.

2: وحدة المغرب المذهبية ص: 24.

3: تاريخ الجزائر العام ج: 2 ص: 33.

4: المقرئ ج: 440/1.

5: الرحلة ج: 58/3 ترجمة ابن دقيق العيد، نلاحظ الصراع بين مذهب المالكية والشافعية وكيف أن ابن دقيق العيد يلزم نفسه بالاحتجاج لكل صاحب مذهب بما يراه لأجل الخروج من الخلاف.

6: مصر والشام في الغابر والحاضر - دكتور اسعد طيلس، دائرة المعارف مصر 1945 ص: 70.

1- في الأندلس: غرناطة، المرية، رندة، اشبيلية، الجزيرة الخضراء.

2- وفي المغرب: سبتة، فاس، مراكش

3- وفي الجزائر: تلمسان، بجاية، عنابة (بونة).

4- وفي تونس: مدينة تونس، المهدية، سوسة.

5- وفي ليبيا: طرابلس.

6- وفي مصر: مدينة(مصر- القاهرة)، الاسكندرية، وحمامة، وبلبيس.

7- وفي الشام: دمشق، حرم الخليل، بيت المقدس، نابلس.

8- وفي الحجاز: مكة المكرمة، المدينة المنورة.

وإذا كانت هذه المدن كلها رافعة لواء الثقافة في العالم الإسلامي، فانه لا يمكن ان نغفل عن المراكز الأخرى في تلك البلاد، فقد كان يزورها رحالون كثير للقاء العلماء والشيوخ بها¹، ولا ننسى كذلك مقام بغداد وغيرها من مدن العراق²، وكذا مراكز فارس التي لم يزرها هذا الرحالة مع ان النشاط العلمي والثقافي فيها كان مزدهرا جدا، وسوق الأدب والعلم فيها نافقة، والتفاعل الفكري بينها وبين المراكز الأخرى ملحوظا، وذلك في المذهب والتصوف والعقيدة خاصة، ثم ان علماء بغداد كانت لهم صلة وثيقة بالتيارات الفكرية لفارس وما جاورها في ميادين متنوعة من الثقافة، ولهذا نجد بعض شيوخ ابن رشيد مثل بهاء الدين بن النحاس وعز الدين الحاراني وتاج الدين الغرافي وغيرهم، وكلهم كانوا قد انتقلوا من بغداد والشام إلى مصر وكانوا ذوي اتجاه معين: فابن النحاس في أدبه ولغته ونحوه والحاراني في حديثه وعقيدته وتصوفه والغرافي في حديثه وعوالي إسناده. وغيرهم ممن كان ميرزا في الأدب والفقه والتصوف.

¹: انظر رحلة العبدري ورحلة البلوي مثلا ولاحظ اختلاف خط السير فيهما عن رحلة ابن رشيد في بعض الأقطار وذلك في تونس خاصة، لان العبدري زار القيروان ولم يزرها ابن رشيد مع أنها كانت مركزا علميا مهما.

²: لم يزر ابن رشيد العراق كذلك، مع أنها كانت تحفل في هذا العهد بشيوخ مشهورين لهم أسانيد عالية في الحديث خاصة، وقد زارها ابن سعيد. انظر كتاب: ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي- محسن حامد العيادي القاهرة 1972 ص: 112-1115- وانظر الغصون البانعة لابن سعيد خاصة.

وينبغي أن نعلم كذلك ان تلك المراكز السابقة أسهمت إسهاما فعالا في نقل التراث وإشاعته والمحافظة عليه، وساعدت على تماسك المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ويتجلى ذلك في المناظرات العلمية المعقودة والحلقات الأدبية المشهورة والمجالس التي كانت تتناول صنوفا شتى من المعارف والعلوم: من تفسير وحديث وفقه وأدب ولغة ونحو وتاريخ ورياضة وطب وغيرها من الاتجاهات المختلفة.

ولا ينبغي ان نغفل عن عمل الأندلسيين والمغاربة وإسهاماتهم الكبرى في إغناء المكتبة العربية بشتى ألوان المعرفة وذلك بفضل المراكز الثقافية المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد وذلك بالرغم من تناقص بعض المراكز بالأندلس في هذا العهد¹.

وان أحسن دليل على ان الغرب الإسلامي كان مقصد العلماء والمفكرين من المشرق ان سارة الحلبية وهي ابنة أبي عمرو بن الصلاح المشهور قد زارت المغرب ولقيت بعض شيوخه وعلمائه، وهذا دليل على ان الغرب الإسلامي كان قبلة للعلماء للنهل من علوم الفقه واللغة والنحو خاصة وذلك لتبريزهم وعلو كعبهم فيها². ثم ان كثيرا من الشيوخ المغاربة والأندلسيين كانوا يرحلون إلى المشرق للتدريس والإقراء في المدارس والجامع المشهورة³.

¹: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي - لألدومبيلي ط 1381.1 - 1962 دار القلم القاهرة ص:

²: انظر ترجمة من لقيهم ابن رشيد بفاس.

³: انظر حركة الرحلة بين المشرق والمغرب في هذا البحث.

الفصل الثاني
أهم المراكز الثقافية
في عصر
ابن رشيد

ولكي نكون صورة عامة وواضحة عن الحالة الفكرية والثقافية لهذا العصر، لابد من التعريف بوظيفة أهم المراكز التي كانت تحتضن المساجد والجامع والمدارس والخوانق والربط ومنازل العلماء، ولنبدأ بأولها وهي مدينة سبتة التي نشأ فيها ابن رشيد.

سبتة

فمدينة سبتة التي أخرجت لنا ابن رشيد وعلماء كثيرين في مختلف الطبقات هي عروس المجلى¹ وثنية الصباح الأجل، ولم تزل دار علم وثقافة² إلى عهد متأخر. وإذا كانت فاس هي مدينة العلم وميزان الدين ومقياس الشعور والحضارة في المغرب فإن سبتة كانت تضاهيها في هذه المهمة بل تفوقها أحيانا³. فهي قاعدة بحرية عسكرية مهمة، ومركز للقوافل التي تصل المدن من فاس وسجلماسة والصحراء والسودان، ثم أنها تصل أوروبا بأعماق القارة الإفريقية⁴ أما وضعها الجغرافي فيجعل اتجاهها واتصالها بالأندلس أقوى بكثير من اتصالها بالمغرب الموجودة فيه ولهذا نجدها تمتاز في العصور الإسلامية بطابعها الأندلسي: في مظهرها وثقافتها بل في وضعها السياسي أيضا فالأمويون بالأندلس اتخذوها قاعدة استراتيجية لهم لمقاومة الخطر الفاطمي في القرن العاشر، كذلك استولى عليها الحموديون حكام مالقة أيام ملوك الطوائف في القرن الحادي عشر ثم استقلت بها أسرة من أهل الأندلس تعرف ببني العزفي في القرن الثالث عشر وحكموها ما يقرب من قرن من الزمان (646 هـ - 728 هـ)⁵.

ان الأحداث الأليمة التي عاشتها الأندلس بسبب الفتن الأهلية والحروب التي كان يشنها المرينيون برسم الجهاد لم تكن لتشغل الأندلس عن شؤون الفكر والثقافة، فقد كانت غرناطة والمرية ورندة ومالقة تعج بالعلماء والأدباء، وكانت سبتة، والحالة هذه، همزة الوصل بين المغرب والأندلس، تحافظ على ما فقدته المسلمون من عزهم وسؤددهم في

¹: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص: 101- الاسكندرية 1958. معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار لابن الخطيب نشر المعهد الجامعي 1397 - 1977 ص: 71 وانظر أيضا الروض المعطار للحميري ص: 303- 304.

²: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ص: 103.

³: سوس العالية لمحمد المختار السوسي ص: 13 وانظر أيضا وصف إفريقية للحسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي (سبتة مدينة كبيرة) ص: 317.

⁴: البحث العلمي عدد 20- 21 ص: 98 وانظر أيضا معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت ج: 3 ص: 182.

⁵: الاستقصا ج: 3 ص: 113. - ومشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص: 101.

تلك المراكز التي سقطت في يد النصارى، ولهذا كانت تحتضن كل من فر من الذل والهوان لتفتح له مجالات واسعة ليحتفظ بدينه، ولغته ومهنته فيها.

وقد أسهمت من قبل في الجهاد إسهاما كبيرا، إذ إن أساطيل يعقوب وابنه يوسف كانت تجتمع لديه من باديس وسلا وآنفا وغيرها ثم تنهض كلها من ثغر سبتة.

أما عن معالمها العمرانية فنجد في ذلك كتابا لمؤلفه محمد بن القاسم الانصاري السبتي¹ سماه: اختصار الأخبار عما كان بشعر سبتة من سني الآثار، وكان هذا المؤلف معاصرا لابن الخطيب، وقد أورد في كتابه أخبارا حسانا عن مدافن أوليائها وصلاتها وعلمائها ومساجدها وخزائنها العلمية والربط والزوايا والمحارس والأزقة والحمامات والأسواق والحوانيت والتربيعات والمنجزات والفنادق والأفران والسقايات والميضئات وديار الأشراف والمطامير والطواحين والأرباض والأبواب والحظائر والمراسي والمقاصير والمقبرات والمضارب والمسايد، وفي الكتب حديث عن قرية بليونش وموقعها والمرافق الموجودة فيها وما كان فيها من النشاط الزراعي وحالتها الطبيعية، وفي الكتاب أيضا ملاحق من نقول مفيدة لمحققه² وهناك كتاب آخر هو بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب³ وكتاب خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور وما جاورها حتى كدية الطيفور⁴. وكتاب رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي انشاء خلف الغافقي القبوري⁵.

ولو وصل إلينا كتاب عياض الذي ألفه في أخبار سبتة لأفادنا كثيرا بما غفل عنه الرحالون والمؤرخون. وكل هذه الكتب تعطينا صورة واضحة عن أهمية سبتة عبر التاريخ.

وإذا ألقينا نظرة هامة على من نبغ فيها من القرن الرابع الهجري إلى القرن السابع فحسب لألقينا منهم جمعا غفيرا ونخص بالذكر منهم:

¹: السبتي بكسر السين هكذا ضبها عبد المنعم الحميري السبتي في ترجمته لسبتة، وكذا الأمر في البصري والنفري انظر "الروض المعطار" (سبتة).

²: الكتاب بتحقيق ذ. عبد الوهاب بن منصور - المطبعة الملكية

³: حققه ذ. محمد بن تاويت التطواني

⁴: لمؤلفه الحاج محمد السراج تطوان 1976.

⁵: الكتاب من تقديم وتحقيق ذ. محمد الحبيب الهيلة المطبعة الملكية. الرباط 1399/ 1979.

في القرن الرابع:

ابن العجوز وأولاده

وفي العصر المرابطي:

أبا عبد الله الأموي القاضي، والقاضي عياضا، وإبراهيم البصري وأبا القاسم المعافري الفقيه الأصولي المتكلم الرحالة، والمتكلم على مذهب الأشعرية يوسف الكلبي، وابن مرانة السبتي العددي، وابن القابلة الأديب اللغوي وابن القاسي اللواتي، وأبا بكر الحوزي (بالحاء المهملة) السبتي المحدث.

وفي عهد الموحدين:

أبني دحية، والمتصوف أبا العباس السبتي وأبا الحسن الشاذلي المحدث وأمة العزيز أخت ابن دحية والشريف الإدريسي وأبا الحسن المسفر.

وأما في العصر المريني:

فقد عرفت حركة علمية منقطعة النظير لأنها كانت تحتضن من العلماء الكبار مالك بن المرحل وابن الشاط وأبن أبي الربيع وابن هانيء اللخمي والحضرمي وابن هارون الأموي وابن بيبش العبدري وابن رشيق الثغليي وابن خميس الشاعر، ولكل هؤلاء صلة بأبن رشيد، ومنهم ابن عبد المنعم الصنهاجي، اللغوي وأبو عبد الله الجذميوي التاريخي وأبو القاسم بن عمران المحدث المفسر وأبو عبد الله الطرطوشي وابن أبي حجة وأبو القاسم الأنجري وغيرهم ممن سذكهم في ترجمة شيوخ ابن رشيد.

وفي كتابي اختصار الأخبار وبلغه الأمانة ذكر لجم غفير ممن عرفتهم في العصر

المريني.

وقد اكتسبت سبته أهميتها الاجتماعية والثقافية لما أخذ العدو يغير على المدن الأندلسية، ولهذا كان كثير من النازحين يتوجهون إليها ويستقرون بها، وكان في هؤلاء أهل المعرفة من المثقفين وذوي الخبرة في المهن والتجارة والصناعات المختلفة مما جعل من سبته أهم مركز يأوي النخبة من الطبقات الاجتماعية، ولهذا استفادت منها أيما استفادة، ونجد في أولئك أيضا من كان يتوجه إلى مراكز أخرى في شمال إفريقيا أو المشرق، ولكن أكثرهم كانوا يجدون في هذه المدينة المركز الذي يشبع طموحهم العلمي والثقافي والحضاري أيام عزها وسؤده في ظل بني العزفي خاصة، وذلك سواء في أيام استقلالهم أم في عهد ولائهم للمرينيين أو بني الأحمر¹.

ولقد كانت المصائب والفتن والحروب محكها الحقيقي الذي أكسبها العظمة والشهرة، ففي أيام الحرب كانت معبرا مهما للغزو، ولهذا عاشت جميع انتصارات العرب على أعدائهم، وذات مرارة انتكاساتهم آخر الأمر، وأما في أيام السلم فكان عمرانها ينمو وتجارها تتسع ومؤسساتها العلمية تنشط وطبيعتها الخلابة تجذب الشعراء والكتاب. ومعنى هذا أنها كانت تستفيد من كلتا الحالتين، فهي، والحالة هذه، مأوى وملجأ لجميع الطبقات الاجتماعية المختلفة وما تحويه من خصائص ومميزات المجتمع ذي الخبرات المتنوعة والطبائع المختلفة.

ويتحصل لنا مما سبق أن تلك المدينة التي كانت تمتاز بهذا الصيت وتتمتع بتلك الأهمية وبذلك التاريخ المملوء بالمفاخر والأجناد، لابد أن تعطينا رجالا عظاما لهم ذكر وتنويه محمود كابن رشيد السبتي الفهري الذي نجد فيه مثالا رائدا لثقافة سبته ومركزها الاجتماعي.

ولا نترك هذه المدينة إلا بعد الإمام ببعض ما ورد من ذكره إخبارها في الرحلة وذلك لمعرفة قدرها ومنزلتها والإمام بما كان يجري فيها والاهتمام إلى معرفة المناهج الدراسية والعلمية فيها ثم الاطلاع بعد ذلك على ما حباها الله من الفضل أهلها وأرضها.

¹: نهاية الأندلس 113. وانظر مجلة المناهل ع: 3 ص: 205 (المغرب في كتب الجغرافيين القدماء) للأستاذ عبد القادر زمامة ومجلة المناهل ع 8 ص: 275 المغرب والأندلس في كتاب صبح الأعشى للأستاذ محمد بن تاويت.

فمن الأخبار الواردة عنها في الرحلة ما أنشده أبو عبد الله بن المبارك على لسان أبي بكر بن حبيش في مدح ابن رشيد (الطويل)

أتيت لنا عن معرب عاد مشرقا * بما عاد من شمس اعتلائك مشمسا
حوت سبتة في الفضل سبطا بأن رمت * بسهمك أغراض الكمال مقرطسا¹

ومن ذلك خبر انتقال أبي إسحاق الغافقي من سبتة إلى شريش ثم إلى تونس²، وخبر صيرورة المدينة إلى الأندلس عام 706 هـ³. وكذا خبر أخذ أبي جعفر اللبلي بها عن أبي القاسم عبد الرحمان المصمودي المعروف بابن رحمون⁴. وقراءته بعض مختصر الإرشاد لأبي يعلى عنه فيها⁵. وسماع إحياء علوم الدين للغزالي عنه عن أبي ذر الحُشَينِي⁶، وقراءة كتاب سيبويه عنه كذلك فيها⁷. وسماع أبي جعفر اللبلي الأحكام الصغرى لأبن عبد الحق على أبي عبد الله العبسي فيها⁸ والعقيدة النظامية على أبي عبد الله الأزدي⁹.

ومن ذلك ما أخبر به أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد أن أبا الحسن الحرَّالِي الصالح الزاهد الصوفي لقي بسبتة أبا الصبر الفهري¹⁰. وأن أبا يعقوب الجدامي المقرئ الصالح لقي بها كذلك أبا صالح محمد بن محمد بن محمد وصحبه إلى سبتة ولازمه وقرأ عليه ولقي فيها كذلك أبا الحسن الحضار التلمساني وكذلك الشيخ الحافظ المحقق أبا محمد بن سبعين المجاور بمكة الذي صحبه بسبتة وبجاية كذلك¹¹.

¹: 5/2 الرحلة .

²: الرحلة 17/2.

³: الرحلة 2 ص: 26.

⁴: الرحلة 2 ص: 27.

⁵: الرحلة 2 ص: 3.

⁶: الرحلة 30/2.

⁷: الرحلة 30/2.

⁸: الرحلة 28/2.

⁹: الرحلة 30/2.

¹⁰: الرحلة 44/2.

¹¹: الرحلة 45/2.

ومن ذلك خبر انتقال أبي الحسن بن رزين المرسى إلى سبتة والبقاء فيها مدة¹
وكذا خبر وصف القاضي عياض إياها بقوله: (الكامل)

لولاه ما فاحت أباطح سبتة * * * والروض حول فنائها معدوم²

وكذا خبر الشيوخ الذين أجابوا عن استدعاء أبي الفضل التجاني³، وكذا خبر موافاة كتاب اولاد ابن رشيد إليه من سبتة⁴ وخبر تذكير ابن الحكيم صاحبه ابن رشيد بان لا يتوجه إلى سبتة إلا بعد رؤيته⁵ وكذا خبر مولد ضياء الدين السبتي مستوطن القاهرة، بسبتة⁶.

ومن الفوائد التي نستفيدها من الرحلة أيضا في معرفة طبيعة سبتة الساحرة وجوها الجميل، تلك القصة التي حكاها ابن رزين عن أبي الحجاج بين قشارش البلنسي وصحبه أنهم خرجوا مع الوزير ابن خلاص خارج سبتة فاثالت عليهم الأرانب من كل جهة فصادوها دون كلفة، وكان معهم أبو اسحق ابن سهل الاسرائيلي فقالوا في ذلك شعرا حسنا ظريفا⁷.

ومن هنا نستخلص أن سبتة لم تترك ناحية من النواحي الإنسانية أو الطبيعية الا بزت فيها قريبتها من المدن المشهورة، وحق لها بذلك ان تكون واسطة العقد من الامصار لانها محرزة الفوز والانتصار.

وبعد ذكر مدينة سبتة نلم ببعض ما اشتهرت به المدن الثقافية والحضارية في العالم الإسلامي، تلك المدن التي كان لها اتصال برحلة ابن رشيد وذكر فيها، ومن هذه المدن مدينة غرناطة.

1: الرحلة 64/6.

2: الرحلة 50/3-51. وانظر المديح في دراسة الرحلة.

3: الرحلة 46/7 وما بعدها وانظر أيضا دراسة الشعر في هذا البحث.

4: الرحلة 50/7.

5: الرحلة 53/7.

6: الرحلة 95/3 وانظر أيضا من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة ترجمة 164.

7: الرحلة ج: 83/6.

غرناطة:

فقد كانت هذه المدينة مدة العرب غاية في الجمال والجلال والضحامة وكان العرب يسمونها دمشق لكثرة مائها ومزارعها¹، وفيها من الآثار العربية مالا يأتي عليه الحصر.

وهي حضرة سنية لو خيرت في حسن الوضع لما زادت وصفا ولا أحكمت رصفاً ولا أخرجت أرضها ريجانا ولا عصفا².

وإذا أردت أن تأخذ فكرة عن الحصوية الفكرية والأدبية للأرض التي ترم بها في الطريق من إشبيلية إلى غرناطة فما عليك إلا أن تجري بصرك في بضع صفحات من كتاب الإحاطة لابن الخطيب³ أو كتاب المغرب في حلى المغرب أو الذيل والتكملة أو نثر الجمان أو نثر فرائد الجمان أو كتاب نفح الطيب. ويكفي مملكتها فخرا أنها ضمت من فحول الشعراء والكتاب مالا بعده الحصر⁴. وقد عاش في ربوعها مئات من رجال الشريعة والفقهاء والشرائح والمفسرين والمصنفين عاشوا جميعا على ثمرات العصر الذهبي⁵.

ومن تلك المدن أيضا مدينة:

المريّة

التي لها على غيرها من نظرائها أظهر مزية بنهرها الزبرجدي وساحلها التبري وحصاها المجزع ومنظرها المرصع وأسوارها الراسخة وقلعتها المنيعة الرفيعة⁶.

وهي مدينة مرية بحرية برية أصلية سرية، معقل الشموخ والإبابة ومعدن المال وعنصر الجباية⁷، فمن هذه المدينة أخذ ابن رشيد أهبته للرحلة لأنها كانت هي ومدينة بجانة بابين مفتوحين على الشمال الأفريقي والشرق لركوب التجار وحلول مراكبهم، وقد

¹: رحلة الأندلس، محمد ليبب البتوني ط: 1 مطبعة الكشكول 1927 ص: 75 وما بعدها،

²: معيار الاختيار ص: 62 ثم الروض المعطار ص: 45 - 46.

³: رحلة الأندلس حسين مؤنس ص: 157 - والأكسير في فكاك الأسير لمؤلف محمد العثمان المكناسي. منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. الرباط 1965. انظر ص: 171.

⁴: نهاية الأندلس ص: 94.

⁵: الشعر الأندلسي غارسيا غوميس ط: 2 القاهرة 1956 ص: 71.

⁶: المغرب في حلى المغرب لابن سعيد بدار المعارف 1964 ط: 2 ج: 193/2 والروض المعطار ص: 537 هـ 538.

⁷: معيار الاختيار ص: 56.

اشتهرت كذلك بوشيهها وديباحها، ولم يسبق في الأندلس من يجيد عمل الديباح إجادة أهل المرية¹.

ومنها مدينة

مالقة

وهي الدرة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة²، المدينة المغنية التي كان الممتلك من بني اشقيلولة³، وقد كانت مركزا ثقافيا مهما مشتهرا بكثرة الشيوخ والعلماء ومنهم: أبو اسحق ابراهيم بن حبيّ القرموني المالقي نزيل تونس، وهو شيخ ابن رشيد الذي كان له فيها من شيوخها أبو بكر حميد القرطبي وأبوبكر بن العاصي الإشبيلي وأبو عبد الله الاستجعي وأبو محمد الباهلي وأبو محمد بن طلحة الاموي وأبو الحسن علي بن جابر اللخمي الدباح، وأبو علي الشلوبين وأبو محمد بن عطية القيسي وغيرهم ممن أجاز للقرموني وممن ورد ذكرهم من شيوخ كبار في الرحلة: أبو يعقوب الجذامي وابن هارون القرطبي⁴ وأبو عبد الله ابن عسكر المالقي⁵ وكانت مملكة مالقة مشهورة بطبيعتها وقراها الجميلة وحركتها الأدبية النشيطة⁶.

ومنها مدينة:

رُنْدَة

وأما هذه المدينة فكانت من تلك المدن التي تحس فيها إلى اليوم نبض الأندلس العربي الذاهب⁷، ومعقلها متعمم بالسحاب ومتوشح بالأنهار العذاب⁸، وهي بلد أعيان وصدور وشموس وبدور، وفي أهلها فضاضة وغضاضة ما في الكلف بها غضاضة، إلا ان

¹: معجم البلدان لياقوت الحموي ج: 119/5، وتاج المغري في تحلية علماء المشرق لخالد بن عيسى البلوي فضالة المغرب ج: 146/1.

²: معيار الاختيار 52.

³: ابن خلدون 197/7.

⁴: الرحلة ج: 104/6، والروض المعطار ص: 269.

⁵: الرحلة: 2/2.

⁶: المغرب في حلي المغرب ج: 422/1.

⁷: رحلة الأندلس حسين مؤنس ص: 252.

⁸: المغرب في حلي المغرب ج: 334/1.

العدو غصب بنيانها، وكانت عيونه لثغرها الشنيب دائما مغازلا¹. وكان بها زرع واسع وضرع سابغ²، ويكفي أن نذكر من مفاخرها إيواءها لأبي عبد الله ابن الحكيم الرندي الرئيس الأديب والكاتب الشاعر صاحب ابن رشيد ورفيقه في الرحلة.

ومن المدن المغربية غير سبتة، التي زارها ابن رشيد وكان لها أثر في الحركة الثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية مدينة فاس ومدينة مراكش وكانت كل منهما تنازع الأخرى في مقامها الرفيع.

فاس:

فقد عرفت هذه المدينة في عهد بني مرين ازدهارا عظيما بسبب اتخاذهم إياها عاصمة بعد استقرار أمرهم، ولهذا زيد في كثير من مرافقها الحيوية كالخزائن والمدارس والزوايا والقناطر.

ولم تكن فاس عاصمة مملكة المرينيين المستقرة فحسب بل كانت مركزا مهما للتجارة تربطها المصالح التجارية بالأقطار الأوربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وبلاد المشرق العربي وبلاد السودان فيما وراء الصحراء الكبرى، وكانت بالإضافة إلى ذلك مدينة علم ودين وكان بها عدد كبير من الطلاب يدرسون اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكان الكتاب بها يبرزون في نظم الشعر وتدوين التاريخ والتأليف في الدين والشريعة، ويقوم المتصوفة فيها إلى جانب علماء السنة بالحفاظ على شعلة قوية للحياة الروحية³.

وقد اختط أبو يوسف مدينة فاس الجديدة وبنائها وشيدها وبنى أسوارها وجامعها وأسواقها واتخذها دار ملكه وقرار سلطانه⁴.

ولم تزل فاس من حيث أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب ومركزها وقطبها¹. وفيها يجتمع علم القيروان وعلم قرطبة².

¹: معيار الاختيار 67.

²: معجم ياقوت ج: 73/3.

³: فاس في عصر بني مرين، روجيه لوتورنو، بيروت 1967 ص: 10.

⁴: نخب تاريخية، ليفي بروفنسال باريز 1342 - 1923 ص: 49.

ورعى الله قطرا ينبت الغنى وهو ظل على الدين ممدود وآفاقه نعم العرين
لأسود بني مرين³.

وإذا شئنا معرفة الحركة العلمية بها لابد من قراءة فصول طوال من كتاب جامع
القرويين حتى ندرك القيمة الفكرية والروحية لهذه المدينة الجليلة في عصر ابن رشيد
خاصة⁴.

مراكش:

وهي ذات المقاصير والقصور، وغابة الأسد الهصور وسدة الناصر والمنصور⁵.
وقد عرفت مراكش نهضة ثقافية منذ عصر المرابطين، وذلك بإنشاء الجامعة
اليوسفية التي كانت تنافس مركزي القرويين والأندلس⁶.
أما في عصر الموحدين، وهو العصر الذهبي، فقد احتضنت صنوفا من العلماء
والأدباء والفلاسفة والأطباء.
وأما في عصر بني مرين فكانت تعيش مرحلة مضطربة في أول الأمر وذلك نتيجة
الحروب بين الموحدين وبني مرين ثم لانتقال العاصمة منها إلى فاس.
ويكفي ان نتصفح كتاب الإعلام للمراكشي لنرى ما كانت تتمتع به هذه المدينة
من النشاط في شتى الفنون.

وقد قال فيها الكاتب ابن ادريس (الوافر)

فان تفخر بفاس فان فخري * * * بمراكش على الدنيا كفاني

بلاد أسست للملك قد ما * * * وفاقت في الجوار وفي المكان

بها ما شئت من دين ودنيا * * * وإخوان الخلاعة والقيان¹

¹: نخب تاريخية ص: 21.

²: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي دار الكتاب ط: 7، 1978 ص: 504.

³: معاهد الاختيار 78، والروض المعطار 434-435.

⁴: جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي بيروت 1972.

⁵: معيار الاختيار ص: 77، والروض المعطار 540-541.

⁶: مدن عربية، نيقولا زيادة بيروت ط: 1، 1965 ص: 9.

تلمسان

وهي مدينة قل مثلها وجل عرارها وبانها وأثلها، فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء ممتدة الغاية في الحسن والثناء²، وكان يغمراسن قد أقام فيها حصونا منيعة في هذا العهد، واشتهرت بعلمائها وفقهائها الذين رحلوا إليها من الأندلس والمغرب³. وأما عن نشاطها الفكري فإن بعض الرحلات الشرقية قد زودتنا بكثير من أخبارها الحسان⁴.

بجاية

وقد عرفت هذه المدينة⁵، في القرن السابع، ازدهارا عظيماً في ظل الحفصيين الذين تحرروا من سلطان تونس، ويشتهر أهل بجاية بالنشاط البحري والغزو والقرصنة، وأما عن الحركة الثقافية فيها فكانت قليلة النظر. وفي كتب الرحلات مثل رحلة العبدري⁶ ورحلة البلوي⁷ وانس الفقير⁸ خير دليل على ذلك النشاط الفكري.

وفي رحلة ابن رشيد إفادات حسنة عن بجاية وعلمائها ومنها:

رواية أبي جعفر اللبلي كتاب الروض الأنف على أبي الحسن بن سراج فيها، ومنها انتقال أبي الحسن بن رزين إليها وروايته فيها عنه كذلك. ولقاؤه ابن بقي القرطبي وسماعه عليه فهرست جده أبي القاسم وذلك بقراءة أبي عبد الله ابن البار القضاعي. ومنها لقاء ابن رزين فيها أبا محمد بن برطلة. ورواية ابن البار القضاعي معجم الصدي. وقصيدة مدرك الشيباني فيها. ومن الأخبار أيضاً قصة اجتماع أبي زكرياء ابن الغليظ مع الأستاذ أبي ذر الحشني فيها: وقد قال مداعبا إياه لما أراد القراءة عليه: يا سيدي

¹: السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لمحمد بن محمد بن المبارك الفتحي ط: 2 البيضاء، 1342 هـ ص: 6.

²: رحلة البلوي: تاج المفرق ج: 148/1-149، والروض المعطار 135-136.

³: في كتاب البستان لابن مريم ما يغني عن الإطالة في ذكر محاسنها.

⁴: رحلة العبدري ص: 10 ورحلة البلوي ج: 148/1.

⁵: الروض المعطار 80-82.

⁶: رحلة العبدري 26.

⁷: رحلة البلوي ج: 138/2.

⁸: وانس الفقير وعز الحقيير لابن قنفذ القسنطيني منشورات المركز الجامعي الرباط 1965 ص: 27 ومواضع أخرى.

بينني وبينك نسبة مرعية، فقال له أبو ذر وما هي؟ فقال له أبو زكريا أنا ابن الغليظ وانت خشن، فقال له أبو ذر الزم هذه الطريقة تدركها يعني طريقة الأدب¹.

ومنها ما كتبه شيخ ابن رشيد الأديب أبو إسحاق القرموني نزيل تونس إلى أهل مالقة: (البسيط)

ذكرت مالقة ذكرى أخ شغف * * * فكدت أذهب بين الوجد والكلف
وكيف لا وهي أرض قد نشأت بها * * * وأرضعتني ثدي البر واللفف
ومن ذلك لقاء أبي يعقوب الجذامي لأبي الحسن بن أبي نصر وقراءته عليه فيها².
وفي كتابي عنوان الدراية للغبريني³ وتاريخ ابن خلدون⁴ صورة واضحة عن
النشاط الثقافي والعلمي والسياسي لهذه المدينة المشهورة.

بونة (عنابة)

وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين⁵ ولكنها كانت
تعاني في هذا العصر من غارات الأعداء وكيد القراصنة⁶ ولهذا قل فيها رجال واندرست
بها أصول الرواية إلا في القليل النادر⁷.

تونس:

ومدينة تونس هي مدينة عجيبة المتاجر، كثيرة الأسواق والحمامات والفنادق،
طيبة الثمار والفواكه⁸، وقد وصفها العبدري وأشاد بذكرها لما استأنس بأهلها وعبّ من
معارف شيوخها⁹ وكذلك فعل خالد البلوي¹⁰.

¹: الرحلة ج: 82/6. وانظر بعض أخبارها أيضا في كتاب صبح الأعشى 109/5.

²: الرحلة 45/2.

³: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني الجزائر 1389-1970.

⁴: تاريخ ابن خلدون 306-303/6-327-331-332-336-373-378-396.

⁵: معجم ياقوت 512/1. وتاج المفرق 163/1.

⁶: رحلة العبدري 37.

⁷: وانظر بعض أخبارها السياسية في تاريخ بن خلدون ج: 339/6-358.

⁸: معجم ما استعجم للبكري (تونس) والروض المعطار 143-144.

⁹: رحلة العبدري 39.

¹⁰: تاج المفرق 166/1.

وقد عرفت تونس في العهد الحفصي ازدهارا منقطع النظير، إذ بنيت في عهدهم بها مدارس ودور للعلم، وكانت منازل العلماء فيها صورة رائعة للنهضة الثقافية والفكرية. ومن أشهر مدارسها مدرّس الشماعية والتوفيقية، واشتهرت أيضا بجامع الزيتونة الذي وصفه العبدري بالإتقان والإشراق. وكان لهجرة الأندلسيين إليها أثر كبير في رقيها العلمي والفني.

ولما زارها ابن رشيد قال عنها إنها تُؤنّسُ بذكرها¹، ولهذا بقي فيها مدة طويلة في ذهابه إلى الحج وعند رجوعه منه.

وبكفي تونس فخرا انها كانت تؤوي ابن زيتون وابن حبيش وحازما القرطاجني وابن الغماز وأبا الفضل التجاني وابن رزين وابن هارون القرطبي وابن القويّ في زمن واحد. وكان كل هؤلاء شيوخ ابن رشيد المبرزين في النقد والأدب والفقه والحديث والطب والرياضة. وبكفي أيضا أن نذكر أن ثلاثة أجزاء من الرحلة قد خصها ابن رشيد بتونس وأخبارها وشيوخها.

وبهذا تكون تلك المدينة من أشرف بلاد افريقيا وأطيبها ثمة وانفسها فاكهة² وأجلها علما وثقافة في هذا العصر³.

طرابلس:

وقد كانت من القواعد المهمة في شاطئ البحر، وذكرها البكري في كتابه المغرب، ووصف أهلها بانهم أحسن خلق الله وأجودهم معاملة⁴.

وكانت كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليّة، ولكنها لم تعرف في القرن السابع إلا القليل من النشاط العلمي، ولم ينبغ فيها إلا ابن أبي الدنيا وابن عبد السيد وقد زارها في مطلع القرن الثاني أبو محمد التجاني فوصفها وصفا بديعا وقد اتفق ابن

¹: الرحلة 9/6، معجم ياقوت 61/2.

²: وانظر بعض أخبارها في كتاب الحلل السندسية للوزير السراج، الدار التونسية 1970، وكتاب المؤنس في أخبار افريقيا وتونس لابن أبي دينار وتاريخ الدولتين للزركشي تونس 1966، وكتاب عنوان الاريب للشيخ النيفرط: 1 تونس، وكتاب تونس العربية تأليف إحسان حقي الثقافة بيروت وكتاب مدن عربية ص: 72.

³: المغرب ص: 6.

⁴: رحلة التجاني تونس 1378-1958 ص: 237.

رشيد والعبدري¹ في قلة العلم بها، ولكن كان بها مدرسة حسنة الوضع رائقة الصنع، والمدينة بجملةتها حسنة البناء متسعة الشوارع حتى لكأنها تحاكي شيئا ما وضع الإسكندرية².

وأما مدن مصر مثل القاهرة ومدينة مصر والإسكندرية فكانت سوق العلم فيها نافقة، ولهذا وجد فيها الرحالة المغاربة منتجعهم فبقوا فيها طويلا يلتقون بشيوخها وعلمائها ويحضرون مجالسهم ويلزمون مدارسها وجوامعها وغيرها من منازل الشيوخ ورباطاتهم. وفي رحلة ابن رشيد والعبدري وأبي القاسم التجيبي والوادي آشي وغيرهم ما يفيد أن مصر كانت عالية الكعب في هذا الميدان.

مدينة مصر القاهرة

قال أحمد بن إبراهيم بن ايدمر العلائي في حديثه عن مصر الفسطاط:

قال قائل لم سميت الفسطاط؟ ف قيل له أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أراد المسير إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين وقيل في جمادى الأخيرة من هذه السنة أمر بفسطاطه أن يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال لقد تحرمت بجوارنا، أقروا الفسطاط حتى يطير فراخها فأقر الفسطاط في موضعه وبذلك سميت الفسطاط³.

وقال شحاتة عيسى إبراهيم في كتابه عن القاهرة: من هنا يظهر أن المنطقة ما بين جامع عمرو وسيلته الروضة قد استحدثت منذ الفتح العربي لمصر. وأن الفسطاط الأصلية تقع شرقي خط يمتد من جامع عمرو إلى قصر الشمع الذي تعرف بقاياها اليوم في الكنيسة المعلقة. وقد شمل هذا الاسم أيضا المنطقة المستجدة الواقعة غربي هذا الخط حتى سيالة الروضة، وقد ظلت هذه التسمية حتى أواخر القرن السابع الهجري. فلما

¹: الرحلة 3/6، رحلة العبدري 76 الروض المعطار 389-390.

²: الرحلة 3/6، وانظر بعض أخبارها في كتاب تاريخ اطرالس الغرب المسمى بالتذكار لابن غلبون الطرابلسي، القاهرة 1349.

³: الانتصار لواسطة عقد الامصار ص: 2، ابن دماق طبعة بولاق 1310-1893. الخطط للمقريزي مطبعة النيل 1324 ج: 285/1-296-304.

استولى الخراب على القسم الشرقي اختفى اسم القسطاط وحل محله اسم مدينة مصر التي تعرف اليوم باسم مصر القديمة¹.

وفي الرحلة ما يفيد ان مدينة مصر كانت بجوار القاهرة، وكان بعض الشيوخ يلقي الدروس فيهما، كهاء الدين ابن النحاس الذي كانت دروسه مرة في المسجد الجامع بالقاهرة وأخرى بمسجد الأقمر بمصر مرتين في كل أسبوع، وذلك يومي الجمعة والاثنين².

القاهرة:

وكانت القاهرة في القرن السابع الهجري مدينة كبيرة ذات عمران وتجارة وعلم وأدب، وقد وصفها كثير من الرحالة الذين كانوا يأتونها من الشرق والغرب كناصر خسرو وابن جبير والعبدري والبلوي وابن سعيد وغيرهم كثير، وليس فيهم إلا من أشاد بضخامتها وكثرة أهلها واتساع علمها، وكان فيها مدارس كثيرة وخوانق لإقامة رسوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفية السنية في مطارحه الأذكار ونوافل الصلوات.

وقد عرفت هذه المدينة المدارس منذ الدولة الفاطمية.

ومن تلك المدارس التي كانت توجد في مصر القاهرة:

المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية والمدرسة السوقية

والمدرسة الصلاحية ودار العلم والمدرسة الفاضلية والمدرسة القطبية ودار الحديث الكاملية والمدرسة الصالحية والمدرسة الظاهرية، والمنصورية والطيريسية والناصرية ومدرسة السلطان حسن وغيرها³.

والقاهرة مدينة كبيرة كما يقول العبدري، وكان سكانها يحاكون عديد الرمل والقطر، ولكنها تغير وتنفي بأذاها وقذاها كل فاضل خير⁴.

¹: كتاب القاهرة، سلسلة الالف كتاب رقم 184 شحاتة عيسى إبراهيم دار الهلال ص: 21، النجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تغري بردي.

²: الرحلة 23/3 وانظر أيضا حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي.

³: تاريخ الجامعات الإسلامية، 82-98، والانتصار لابن دقماق 92 وحسن المحاضرة للسيوطي والروض المعطار 450 والخطط للمقريزي 360/1.

⁴: رحلة العبدري ص: 125.

وظلت منذ عهد الفاطميين عاصمة البلاد ومركز السيادة، ثم لبست أبهج حللها في عهد المماليك الذي يعتبر العصر الذهبي في تاريخ العمارة بمصر¹.

الاسكندرية:

والإسكندرية من أعظم الحواضر الإسلامية وأعرقها، بل هي من أعظم مدائن الدنيا²، فقد كان بينها وبين المغاربة صلات وطيدة على مر التاريخ، إذ كثيرا ما كان الرحالون يؤمونها³. فيصفونها ويستأنسون بأحوالها وطبيعة أهلها الذين كانت لهم بعض التقاليد والعادات المعروفة عند المغاربة⁴. وكان هؤلاء الراحلة يقصدون الإسكندرية لأنها كانت حافلة بالألوان المختلفة من الدين والأدب والعلم وصنوف المعرفة وفنون السمر، ولهذا تعلموا فيها وعرفوا ما لم يكونوا يعرفون من قبل من العلوم والفنون⁵ وبما ان رحلة ابن رشيد إلى الإسكندرية كانت في عز عظمتها من حيث عمارتها وإنشاء أدوارها وتمكين ثغرها الرئيس والمهم، فان هذه الحقبة تعرف ملوكا أجلاء كالظاهر بيبرس وأبناء قلاوون الذين جعلوا من هذه المدينة أعظم شأنا وأوفر حظا من غيرها من المدن المصرية⁶.

الشام:

وأما إذا انتقلنا إلى الشام فاننا نلقي فيها ما يبهر العيون ويسحر اللب بما اشتملت عليه جل مدنه من الآثار الباقية والعلوم المنتشرة في دمشق وبيت المقدس وحرم الخليل وغيرها.

ولو كان الجزء الرابع من الرحلة موجودا بين أيدينا لوجدنا فيه، دون شك، صورة كاملة للنشاط العقلي والفكري في أواخر القرن السابع الهجري. ويكفي ان نذكر أهم تلك المراكز التي زارها ابن رشيد هناك.

¹: القاهرة لشحاتة عيسى 129.

²: الخطط 144/1.

³: ابن جبير 99 العبدري 90. البلوي 32 الروض المعطار 54-56.

⁴: المجلة عدد 87 ص: 5 د. طه الحاجري: الصلات الأدبية بين مصر وشمال أفريقيا (المجلة المصرية).

⁵: البلوي : 36/2.

⁶: تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ط: 2، 1969 القاهرة ص: 273.

دمشق:

وتعد دمشق من أعظم المراكز الثقافية في الشام، وهي تزدهي بمدرستها المشهورة دار الحديث الأشرفية الجوانية التي زارها ابن رشيد ورأى فيها مثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم¹، وكان يدرس فيها أبو عمرو ابن الصلاح الذي يعد مصدرا مهما لمعارفه في رحلته. وتمتاز هذه المدرسة بالتفرغ للدراسات الحديثية، بينما يغلب الاتجاه الفقهي على مدارس مصر والعراق، وكان قد تولى مشيختها من قبل الحافظ ابن عساكر (ت 571) وكان إمام أهل الحديث في زمانه وصاحب تاريخ دمشق² وكان بها أيضا المدرسة الشامية الجوانية بداخلها قبلي البيمارستان النوري، والمدرسة الشامية البرانية التي درس فيها ابن الصلاح أيضا وفيها كذلك المدرسة الرواحية بجوار الجامع الأموي وهي للشافعية. والمدرسة الطالوية الجوانية التي كان يدرس فيها أبو إسحاق اللوري (بالراء المهملة) الرعيني الأندلسي المالكي المحدث نزيل دمشق والمتولي مشيخة دار الحديث الظاهرية وقد توفي سنة 687 هـ³. وكان شيخا لابن رشيد في دمشق، وفيها المدرسة المنجكية الحنفية التي كان يدرس فيها شرف الدين الانطاكي. وفيها دار القرآن والحديث التنكيرية، وكان يدرس فيها الحافظ الذهبي. وقد أنشئت هذه المدرسة أخيرا.

وقد وصف ابن بطوطة هذه المدينة وتحدث عن جامعها وبعض معالمها وعلمائها⁴ ويكفي دمشق فخرا انها تضم الجامع الأموي المشهور الذي هو جامع المحاسن الكامل الغرائب المعدد في العجائب⁵.

¹: أزهار الرياض 266/3.

²: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى 101، لمحمد عبد الرحيم غنيمه، معهد مولاي الحسن 99-106.

³: الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي دمشق 1367-1948 ج: 349/1 وانظر أيضا تاريخ الجامعات الإسلامية ص: 104.

⁴: رحلة ابن بطوطة بيروت 1388-1968. ص: 83.

⁵: معجم البلدان الياقوت 465/2، والروض المعطار 237-243.

بيت المقدس:

وهو أحد المساجد التي إليها تعمل المطي وتضاعف الحسنات بكل بر تقى، والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة كلها من صخر منحوت على نشر غليظ مقطوع بجهات الأودية، وسورها مهديم، هدمه الملك الظاهر خوفا من استيلاء الروم. وأما المسجد المقدس فهو من المساجد الرائقة العجيبة المنشرفة الفسيحة وهو متسع جدا. وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها¹.

وقد وصف ابن بطوطة مسجد القدس² وبعض مشاهدها³ وفضلائها⁴.

وهي التي أخذت من كل المحاسن نصيبا⁵.

وهذه المدينة مشهور فضلها مشهود خيرها لأننا نجد أكثر الشيوخ الذين كانوا يدرسون في دمشق وغيرها من مدن الشام من هذا البيت المقدس، وما أكثر المقدسين الذين ضمتهم كتب الفهارس والمعاجم والمشيخات إذ يكفي أن نفتح كتاب الدارس في تاريخ المدارس، وكتب طبقات الحنفية مثلا ليطالعنا أسماء الجم الغفير منهم، وبالرغم من أن العبدري لم ير في هذا البلد، مع شرفه واشتهاره، من هو أهل لأخذ العلم عنه⁶، فإننا لا يمكن أن نغفل عن بعض من اشتهر فيها في هذا العهد كمالك الأوحى وعز الدين أبي الفرج المقدسي وأبي الحسن الغرافي وغيرهم ممن سذكهم في ترجمة من لقيم ابن رشيد فيها وفي دمشق وحرم الخليل والاسكندرية.

مكة المكرمة والمدينة المنورة:

بما أن مكة والمدينة كانتا منتهى آمال القاصدين من المغرب والأندلس وأقاصي الشرق فانهما كانتا تحويان من أصناف العلماء والفقهاء ما لا يحصيه العد. وكان هؤلاء

¹: رحلة العبدري 228، الروض المعطار 344.

²: رحلة ابن بطوطة 53.

³: رحلة ابن بطوطة 55.

⁴: رحلة ابن بطوطة 55.

⁵: رحلة البلوي 245/1. وانظر أيضا عن القدس: كتاب فضائل القدس لأبي الفرج بن الجوزي تحقيق وتقديم جبرائيل

جبر ط : 1، 1979 بيروت.

⁶: رحلة العبدري ص: 230.

يعقدون مجالس للخاص والعام، ونجد من بينهم نساء عالمات يجلس إليهن هؤلاء الآتون من كل فج عميق.

وقد وصفهما العبدري¹ وابن بطوطة² والقاسم التنجيني³ والبلوي⁴ وغيرهم ممن قاموا بالرحلات الحجازية، فأجادوا في وصف عمرانها ونشاطهما الثقافي والعلمي.

وكان من أهم مدارس مكة آئذ مدرسة ابن الأرسوفي ومدرسة ابن أبي زكرياء والمدرسة المظفرية ومدرسة الزنجبيلي وغيرها⁵.

وينبغي أن نذكر أنه كان في تلك المدن وغيرها جوامع ومساجد وربط ومكتبات وزوايا ومنازل للعلماء ومكتباتهم. وكانت كلها تضطلع بالنشاط الثقافي والحضاري فيها وقتئذ ولهذا كان لها فضل الوظيفة التربوية والتعليمية.

¹: رحلة العبدري 169، 173، 201.

²: رحلة ابن بطوطة 108 و125.

³: مستفاد الرحلة والاعترا ب للقاسم بن يوسف التنجيني، تونس 1395-1975. ص: 230.

⁴: تاج المفرق ج: 280/2-297.

⁵: معاهد التعليم الإسلامي، للدكتور سعيد اسماعيل علي القاهرة 1978 ص: 175، 177 والروض المعطار: مكة: 93-94، والمدينة: 401-402. وانظر عن مكة كتاب أخبار مكة بذي الوليد محمد الأزرق. بيروت ط: 3، 1399. وكتاب تاريخ الكعبة للدكتور علي حسني الخربوطي بيروت 1396.

ذِكْر

- الجوامع والمساجد
- المدارس
- المكتبات
- الرباطات
- منازل العلماء

في تلك المراكز الثقافية

المساجد:

فمن المساجد والجوامع التي ورد ذكرها في الرحلة: المسجد الجامع أو جامع علي ابن يوسف بمراكش الذي بني سنة 1525¹.

ومن جوامع الأندلس ومساجدها: جامع بلنسية² وجامع العديس باشييلية³ وجامع غرناطة⁴ وجامع قرطبة ومسجد بدر بها⁵ ومسجد الجامع برنطة⁶.

ومن مساجد الجزائر المسجد الجامع ببجاية⁷.

ومن مساجد تونس مسجد أبي بكر بن حبيش⁸ وجامع الزيتونة⁹.

ان المسجد في الأندلس والمغرب كان يضطلع بمهام المدرسة في تعليم القرآن الكريم والحديث والفقه وأصوله، ويقوم بتدريس العلوم اللسانية واللغوية¹⁰. وكان الغالب على الدراسات المغربية الرواية والنقل والحفظ، ولهذا حافظ المغرب على التراث محافظة لا مثيل لها في الوقت الذي كان المشرق تتقطعه الأحقاد والحروب وتتعاقب عليه الحكومات الضعيفة ويتكالب عليه العدو ليفقده شخصيته.

¹: الرحلة 45/2، والسعادة الابدية ص: 7، والاعلام للمراكشي 94/1.

²: الرحلة 95/6، ورحلة الأندلس حسين مؤنس 274.

³: الرحلة 34/7، ورحلة البتوني ص: 60 والآثار الأندلسية الباقية في اسبانية والبرتغال القاهرة 1381-1961 ص: 51-46.

⁴: الرحلة 66/2 ورحلة الأندلس للبتوني 77.

⁵: الرحلة 54/7، ورحلة الأندلس 53 والآثار الأندلسية الباقية ص: 20-34.

⁶: الرحلة 60/7 والحلل السندسية في الأخبار التونسية ج: 567/1 و573 و626 ورحلة العبدري 40.

⁷: الرحلة 30/6، عنوان الدراية 68 حاشية.

⁸: الرحلة 85/6.

⁹: الرحلة 66-46/2 و63/6 العبدري 40 وتونس العربية 202 والحلل السندسية ج: 574/1.

¹⁰: ابن سعيد الأندلس ص: 24-25.

ومن مساجد القاهرة وجوامعها:

جامع الأندلس¹ بالقرافة، والجامع الحاكمي² وجامع الأسوار³ وجامع ابن طولون⁴ ما بين القاهرة ومصر المدينة. وجامع السراجين⁵ والجامع العتيق⁶ والجامع الأزهر⁷ ومسجد الأقمر⁸.

ومن مساجد مدينة مصر:

الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع⁹ ومسجد البوشي¹⁰ ومسجد النخلة بالفسطاط¹¹ والمسجد الجامع لعمر بن العاص¹² ومسجد ابن فحل بالفيوم¹³ ومسجد الطحان¹⁴.

ومن مساجد سوريا وجوامعها:

جامع حلب¹⁵ والجامع المظفري بجبل قاسيون¹⁶ والمسجد الجامع بدمشق¹⁷.

ومن مساجد مكة المكرمة:

-
- ¹: الرحلة 64/5 والخط 322/4.
²: الرحلة 100/3 والقاهرة 254/61 وكتاب مساجد مصر وأوليائها الصالحون د. سعاد ماهر محمد 1391- 1971 مصر. ص: 228، والخط 277/1.
³: الرحلة 7/6.
⁴: الرحلة 64/3، والخط 36/4 والقاهرة ص: 38، ومساجد مصر وأوليائها الصالحون 135.
⁵: الرحلة 104/3.
⁶: الرحلة 106/3 ومساجد مصر وأوليائها محافظة سوهاج ص: "253 والخط 246/2.
⁷: الرحلة 73/3، والقاهرة ص: 61 والخط 49/4 ومساجد مصر وأوليائها 165- 255 وكتاب الأزهر وما حوله من الآثار، د. عبد الرحمن زكي، مصر 1970 ص: 89- 97.
⁸: الرحلة 23/3 والقاهرة 68 والخط 75/4.
⁹: الرحلة 106/3 والانتصار 59، وانظر الزوايا ص: 100 والخط 246/2.
¹⁰: الرحلة 56/6 والانتصار 88.
¹¹: الرحلة 115/3 والانتصار 59، 80، 87.
¹²: الرحلة 3 في مواضع كثيرة والقاهرة 22 ومساجد مصر وأوليائها 55..
¹³: الرحلة 42/2 و87/6.
¹⁴: الرحلة 15/3 والانتصار 79- 82- 90.
¹⁵: الرحلة 102/6.
¹⁶: الرحلة 43/3.
¹⁷: الرحلة 33/2.

مسجد إبراهيم عليه السلام¹ ومسجد عُرَّة² ومسجد أعلى جبل عرفات الذي تنصب فيه رايات أمراء الركب³ ومسجد العقبة⁴ ومسجد الحيف بمنى⁵.

ومن مساجد المدينة المنورة:

جامع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد المصطفى أو المسجد المحمدي أو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم⁶.

ومن بين المساجد التي ورد ذكرها أيضا في الرحلة:

مساجد العراق كمسجد جبل وصيف⁷، وجامع القصر ببغداد وهو مسجد الخليفة⁸، وهذان المسجدان بسر من رأى. (سامراء) ومسجد بورنداز بالمأمونية شرقي بغداد⁹.

ومن مساجد أصفهان جامع ولدان بأصفهان¹⁰.

ومن مساجد الهند مسجد كولم¹¹.

المدارس

ومن المدارس التي ورد ذكرها في الرحلة، وكان لها وظيفة مهمة في نشر الثقافة والعلم أيضا:

مدرسة خارج باب تونس التي كان يدرس بها أبو الشمل الحلبي نزيل تونس¹.

¹: الرحلة 18/5.

²: الرحلة 18/5.

³: الرحلة 16/5.

⁴: الرحلة 16/5.

⁵: الرحلة 25/6.

⁶: الرحلة 5/5 وانظر تاريخ مكة للآزرقى وانظر عن المدينة المنورة كتاب: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد السهمودي وكتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين تأليف السيد جعفر بن السيد اسماعيل المدني البرزنجي: طبع دار صعب بيروت.

⁷: الرحلة 32/3.

⁸: الرحلة 18/3.

⁹: الرحلة 7/5.

¹⁰: الرحلة 62/5.

¹¹: الرحلة 76/5.

ومدرسة الشماعين التي كان يُدرّسُ بها أبو القاسم بن زيتون المعروف باليمني وهي أول مدرسة بنيت بتونس².

أما في ليبيا فكان باطرابلس مدرسة حسنة الوضع³.

ومن مدارس القاهرة:

المدرسة الظاهرية التي كان يدرس بها الضياء السبتي⁴.

والمدرسة الكاملية والمدرسة الكرملية⁵ اللتان كان يدرس بهما القطب محمد بن احمد بن علي الميموني القسطلاني⁶.

والمدرسة الصالحية النجمية في ابوان الخنابلة، وكان يدرس بها محمد بن وهب القشيري المشهور بابن دقيق العيد⁷.

ومدرسة الحنفية وقد قرأ بها أبو عبد الله السلاوي شيخ ابن رشيد في تونس⁸.

ومن مدارس مدينة مصر:

مدرسة ابن مرزوق التي كان يدرس بها أبو الحسن بن شجاع بن سالم القرشي⁹.

والمدرسة الفاضلية التي كان يدرس بها محمد بن يحيى بن عبد الله وهو أبو صادق القرشي المعروف أبوه برشيد الدين العطار¹⁰.

ومدرسة صفى الدين بن شكر التي قرأ بها أبو القاسم اليمني المعروف بابن زيتون وذلك عندما رحل إلى المشرق¹.

¹: الرحلة 101/6.

²: الرحلة 10/6 - 11. وتاريخ الجامعات الإسلامية 108. والحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج تونس 1970 ج: 821/1.

³: الرحلة 3/6 والعبدري: ص: 77: ما رأيت في الغرب مثل مدرستها لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة.

⁴: الرحلة 96/3 والخطط 216/4 وتاريخ الجامعات ص: 16.

⁵: الرحلة 109/3 و 61/3 والخطط 211/4 وتاريخ الجامعات ص: 89.

⁶: الرحلة 60/5.

⁷: الرحلة 58/3 مكرر و 82/3 و 48/3، والخطط 209/4، وتاريخ الجامعات 91.

⁸: الرحلة 42/3.

⁹: الرحلة 106/3.

¹⁰: الرحلة 63/5 والخطط 197/4. وتاريخ الجامعات 87.

والمدرسة الطبريسية الملحقة بالجامع الأزهر، وقد درس بها أبو عبد الله بن عمر ابن موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي رضي الله عنه ويشهر بالشريف الكركي وقد لقيه ابن رشيد بتونس².

ومن مدارس الاسكندرية:

مدرسة ابن الإزاري التي كان يدرس بها علي بن أحمد بن عبد المحسن المعروف بتاج الدين الغرافي³.

والمدرسة الزكوية التي قرأ بها جمال الدين أبو عبد الله محمد بن حسن المعروف بابن التونسي وذلك على أبي زيد عبد الرحمان المقرئ⁴ والمدرسة النبيهية وهي دار للحديث وكان يدرس بها تاج الدين الغرافي⁵.

ومن مدارس دمشق:

دار الحديث الاشرفية التي رأى فيها ابن رشيد مثال النعل الكريمة وقد قرأ بها أيضا ابن أبي الزين علي ابن اللتي وهو ابن المنجي عبد الله بن عمر بن علي⁶.

ومن مدارس العراق:

المدرسة الشريفة المستنصرية التي قرأ بها شرف الدين الجزائري وهو شيخ ابن رشيد⁷.

والمدرسة النظامية⁸.

¹: الرحلة 9/6.

²: الرحلة 68/5، والخطط 223/4، والانتصار 96.

³: الرحلة 20/3.

⁴: الرحلة 3/3.

⁵: الرحلة 16/3-17. وانظر من ترجم لهم فيمن لقيهم ابن رشيد بالإسكندرية.

⁶: الرحلة 53/3 و 101/3. والدارس في تاريخ المدارس 19/1 وتاريخ الجامعات 101، ويشغل دارها الآن المجمع العربي وانظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.

⁷: الرحلة 61/6 وكتاب البغداديون لإبراهيم الدوري بغداد 1377-1958 ص: 310 وتاريخ الجامعات 80 ومعاهد التعليم الإسلامي د. سعيد اسماعيل علي القاهرة 1978 ص: 169، وانظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

⁸: الرحلة 54/3 و 26/5 وكتاب البغداديون ص: 309 وتاريخ الجامعات 79 ومعاهد التعليم الإسلامي 156.

ولقد كان هذا البلد يعرف نهضة ثقافية معروفة وذلك في عهد المستنصر الذي ترك أثره الواضح في اتجاه العراق الفكري.

ومن مدراس مكة:

مدرسة ابن الارسوفي¹

الرباطات:

وبما ان الرباطات والخواتق كانت تضم كثيرا من طلاب العلم وتحتضنهم فان في الرحلة ذكرا لما وقع في إحدى الخانات المشهورة التي جرت فيها مناظرة عجيبة بين شهاب الدين محمد بن عبد المنعم اليماني المعروف بابن الخيمي ومحمد بن سوار المعروف بنجم الدين ابن اسرائيل، وتحاكمهما إلى الشاعر ابن الفارض وذلك بعد ان ادعى انشاء القصيدة التي مطلعها: (البيسط)

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب

إليك آل التقصي وانتهى الطلب²

والقصّة مشهورة.

ثم ان أبي العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابن الزاهري كان له مكتبة مشهورة بخانقاه وقد زارها ابن رشيد³.

وكانت للخواتق في مصر أهمية ملحوظة، ولهذا كان يشبه بعضها مكاتب خاصة كما كان عليه الحال في رباط ابن الظاهري السابق الذكر، وأما بعضها فجاء عاما يخضع لنظام معين⁴.

¹: معاهد التعليم الإسلامي 175.

²: الرحلة 48/3. وذرة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي. تونس طبعة 1- 1390.

1970. ج: 6/2 ترجمة 450. وانظر أيضا فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبی بیروت 1973 ج: 413/3.

³: الرحلة 97/2.

⁴: الخطط 431/2.

منازل العلماء:

وأما منازل العلماء فكانت تؤدي وظيفة المدرسة كذلك. فقد كانت منازل الشيوخ كمنازل أبي بكر محمد بن حسن بن حبيش، وأبي الحسن علي بن محمد بن رزين التجيبي، وأبي القاسم بن زيتون وجمال الدين ابن الظاهري، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم، وأبي الفضل محمد بن علي التجاني، وأبي عبد الله أحمد بن محمد بن الغماز، وأبي محمد عبد الله بن محمد الطبري- مثالا رائعا لتلك الوظيفة. واننا لا نبالغ إذا قلنا ان جل بيوت العلماء والشيوخ الذين التقى بهم ابن رشيد كانت صالونات يلتقي فيها الطلبة وتحتد فيها المعارك الأدبية واللغوية والمناظرات العلمية والمناقشات في مسائل التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأدب شعره ونثره، ولهذا كان الشيوخ والطلبة يلتقون في منازلهم، فتارة عند هذا وأخرى عند ذاك، بل ان التواضع العلمي كان يدفع الشيخ إلى زيارة منزل تلميذه، كما كان يفعل ابن حبيش في زيارة منزل ابن رشيد مرارا لما كان مقيما بتونس¹.

الكتاب والمكتبة

ان سلامة السريرة لرجل العلم في العالم الإسلامي تظهر في أنه لم يألُ أيَّ جهد في اقتناء الكتاب والاحتفاظ به واعتباره أحسن ذخيرته، ولهذا كان الطلبة والعلماء يكتسبون لانفسهم كتباً نادرة ويفتخرون بذلك، ويجمعون في منازلهم وجوامعهم ومساجدهم ومدارسهم وربطهم مكتبات تعد بحق فخرا للتراث في كل زمان ومكان. وهنا يتجلى مظهر الرقي ومقياس الحضارة في هذه الحقبة التي ندرسها وسنعرض في دراسة الرحلة لبعض الصور التي يظهر فيها تقدير طالبي العلم للكتاب والمكتبة وكيف أبرز ذلك ابن رشيد في رحلته وأعطاه أهمية عظيمة².

¹: انظر تراجم هؤلاء كلهم وأخبارهم فيمن لقيهم ابن رشيد من الشيوخ والأصحاب.

²: انظر ما يتصل بذلك في ذكر الكتب والقصص عنها والمكتبات. ونلاحظ أهمية الكتاب أيضا فيما نجده في رحلات أبي القاسم التجيبي والعدري والبلوي. وكذلك فهرست التجيبي خاصة وعنوان الدراية للغبريني. ولكن ما ذكره ابن رشيد والتجيبي أوفر من غيرهما.

الفصل الثالث: التعريف بابن رشيد

- المبحث الأول : مصادر ترجمته
المبحث الثاني : حياته وأسرته
المبحث الثالث : خلقه ومزاجه
المبحث الرابع : ملامح عن مذهبه
المبحث الخامس : ثقافته
أ - في العلوم الشرعية
ب - في العلوم الأدبية
المبحث السادس : أثر شيوخه في تكوين شخصيته
المبحث السابع : فهرست لبعض تلامذته
المبحث الثامن : مؤلفاته
المبحث التاسع : مكتبته.

المبحث الأول: مصادر ترجمة ابن رشيد

نجد لابن رشيد تراجم كثيرة وأخبارا وإشارات ماثورة ضمن فهارس ومعاجم وكتب تاريخية وغيرها، ولكن أصول هذه التراجم لا توجد إلا في قليل منها ككتاب سبك المقال لابن الطواح¹ والإحاطة لابن الخطيب² والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي³ والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني⁴ وأزهار الرياض⁵ ونفع الطيب⁶ لابن أبي العباس المقرئ والإعلام للعباس بن إبراهيم المراكشي⁷. وذيل تاريخ الإسلام لابي عبد الله الذهبي⁸.

وأما ملخص ترجمته في هذه الكتب فَمَا يلي:

هو مُحبّ الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن⁹ بن محمد بن عمر بن رشيد، كأنه تصغير رشد¹⁰، الأندلسي السبتي الفهري¹¹ الفقيه الخطيب الحاج الرجال المحدث الحافظ نزيل فاس¹². وكبير مشيخة المغرب وشيخ المحدثين¹³، وجر معارف لا يسبر غوره، وروّض فنون تضوّع مسراه وأينع نوره، وفريد زمانه الذي لا يأتي بمثله دوره¹⁴. والفقيه الأجل العابد المتبحر في علوم الرواية والإسناد وفريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وأدبا وهمة وهديا، وكان صاحب السماع والأسمعة على الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية

¹: سبك المقال لفك العقال مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط رقم 105 ص: 90.

²: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ج: 3 ص: 135.

³: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، دمشق 1959 ج: 284/4. ترجمة 1805.

⁴: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج: 229/4.

⁵: أزهار الرياض ج: 384/2.

⁶: نفع الطيب تحقيق محيي الدين عبد الحميد بيروت: فيه نقول كثيرة عن الرحلة.

⁷: الإعلام للمراكشي 250/3.

⁸: وفيه ترجمة واسعة 210-216.

⁹: الإعلام للمراكشي 250/3 ودره الحجال ج: 96/2 وترجمة 532 فيهما (حسين)

¹⁰: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني ج: 191/2، ودره

الحجال ج: 201/4

¹¹: الدرر الكامنة 229/4.

¹²: نثير الجمان في شعر نظماني وياه والزمان لأبي الوليد ابن الأحمر ط: دمشق 1396-1976 ص: 23.

¹³: تاريخ ابن خلدون ج: 400/7، والإعلام للمراكشي ج: 410/4 ترجمة 609.

¹⁴: أوصاف الناس في التواريخ والصلوات لابن الخطيب تحقيق د. محمد كمال شبانة 1397-1977 ص: 100 ترجمة

بصناعة الحديث، قائما عليها بصيرا بها ذاكرا للرجال جماعا للكتب محافظا على الطريق، مطالعا باللغة وبغريبها محافظا على العربية والأدب والعروض، وذاكرا للتفسير ربانا من الأدب حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصول عارفا بالقراءات عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متحملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة¹. ولكن أعظم غايته علم الحديث منته وسنده ومعرفة رجاله، وبذلك كان جل اشتغاله². وكان على مذهب أهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول، ويسكت لدعاء الاستفتاح، ويسر البسمة³.

وكان ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف ويجود النثر ويبصر مواقع حسنه⁴. وذكر بعضهم انه كان ظاهري المذهب، والمعروف أنه كان مالكيًا⁵. وكان يعتمد في شرح البخاري على المحبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح لأبي عمرو الصفاقسي المعروف بان التين الذي ينقل المدونة وكلام شراحها عليها⁶.

وقال ابن الطواح انني جالسته زمان الصبا وذاكرته في العربية ولكنه لم يكن هناك، وقال بأن نحوه يميل لنحو شيخه أبي الحسين ابن أبي الربيع، وهو بعيد عن فك معنى كلام الإمامين ابن هشام⁷، وابن عصفور⁸. وحديثه على طريقة أهل الجرح والتعديل⁹.

وكان قد تولى الإمامة والخطابة بغرناطة بعناية صاحبه الوزير أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمان بن الحكيم الذي رافقه في رحلته إلى الحرمين، وكان إذا فرغ من الخدمة

¹: الإحاطة 135/3، والاعلام للمراكشي ج: 250/3 وسلوة الانفاس ج: 191/2 ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التتبيكتي ص: 283 وبغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة للسيوطي ط: 1، 1326 القاهرة ص: 85.

²: الاعلام 251/3.

³: الإعلام للمراكشي 254/3، وفهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني ج: 332/1.

⁴: ازهار الرياض ج: 348/2.

⁵: ازهار الرياض ج: 350/2.

⁶: ازهار الرياض ج: 350/2 وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ط: بيروت ص: 217.

⁷: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي الأندلسي (ت 570 هـ) انظر هدية العارفين ج: 97/2.

⁸: هو أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت 669 هـ) وقد ترجم له ابن رشيد في الرحلة ترجمة مفيدة: 91/6.

⁹: سبك المقال 90 وجه.

يجيء إلى ابن رشيد فيباشر خدمته بنفسه ويبالغ في إكرامه، واستمر ابن رشيد في الجامع يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما وممتنهما أتنقن كلام ويدرس دروسا مبينا للرواية، فلما قتل ابن الحكيم في سنة 708 هـ خرج منها إلى العدو وبقي في إيالة صاحبها عثمان بن أبي يوسف المريني إلى ان مات مكرما. وذكر الذهبي في سير النبلاء انه لما رجع من رحلته سكن سبتة ملحوظا عند الخاصة والعامة، ثم ارتحل في سنة 691 هـ. وكان ورعا منقبضا عن الناس ذا هَيَبَةٍ ووقار يسارع في حوائج الناس ويَجَلِّب المصالح ورد المفسد، يوتر الفقهاء والغرباء والطلبة لا تأخذه في الله لومة لائم¹.

ويخبرنا ابن الخطيب² رواية عن شيخه أبي بكر بن شبرين³ ان ابن رشيد دخل غرناطة ثانية عام 692 هـ فعقد مجلسا للخاص والعام يقرئ فيها فنونا كثيرة من العلم، وتقدم خطيبا فإماما بمسجده الأعظم. وحدث أنه قعد ذات يوم على المنبر وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين وهم أحد بأشعاره وتنبيهه، وكلمه آخر فلم ينتبه لذلك عما شرع فيه وقال بديهة.

"أيها الناس حكم الله ان الواجب لا يبطله المندوب، فان الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب فتأهبوا لطلب العلم وانتبهوا وتذكروا قوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فقد رويانا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له⁴ جعلنا الله وإياكم ممن عمل بما علم، وأخلص فتحخلص: وكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه واتقياد لسانه⁵.

أما شعره فكان يتكلفه، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض⁶. وله كتب وخطب وقصائد⁷ ومؤلفات كثيرة في الحديث⁸. وأما رحلته ففيها فنون وضروب من

¹: الدرر الكامنة: 299/4.

²: الإحاطة 135/3.

³: هو تلميذ ابن رشيد، انظر ترجمته في تلاميذه ترجمة 35 ص: 174 من هذا البحث.

⁴: الرحلة 1/6 والاعلام للمرآشي 251/3 ونوازل الونشريسي مخطوط، (نوازل الصلاة). انظر كتاب المعيار.

⁵: الإحاطة 135/3.

⁶: نفسه.

⁷: الاعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي ج: 7. ودائرة المعارف الإسلامية ص: 933.

⁸: شجرة النور ص: 216 والأدب الجغرافي العربي لاغناطيوس كراتشكوفسكي مسكو 1957 ج: 377/1.

الفوائد العلمية والتاريخية وطرف من الأخبار الحسان والمسندات العوالي والأناشيد، وهي ديوان لم يسبق إلى مثله¹. وقد درس ابن رشيد بالظاهرية القحفازي بعد موت أبي العز الحنفي². وكانت له مجالس علمية مشهورة منها مجلس شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر في الموطأ وصحيح الإمام البخاري³. وقد احتفل في صباه بالأدبيات حتى برع في ذلك. ثم رحل إلى فاس فأقام بها وطلب الحديث فمهر فيه⁴. وقد تعرض للمحنة يوم قتل صديقه أبو عبد الله ابن الحكيم، ثم رحل إلى المغرب ومات بفاس ودفن بجبانة باب الفتوح بروضة مطرح الجلة⁵.

وسواء كانت هذه التراجم قديمة أم حديثة، فإنها لم تعطنا معلومات كافية عن حياته وشخصيته، ولم تقدم لنا تفصيلاً عن تنقلاته وأعماله في الأندلس والمغرب والمشرق. ولم تشف غليلنا بالتعريف بمؤلفاته وانتاجه الفكري ومشاركته في العلوم والفنون. ويبدو كل ذلك غير واضح من خلال تلك المصادر، لأن تعابير التقريظ والتنبؤ به فيها لا يمكن أن يفيدنا في الدراسة العلمية الصحيحة. ولكن لا نلمس ذلك كله إلا من خلال دراستنا المنهجية لبعض كتبه التي بين أيدينا وهي: إفادة النصيح، والسنن الأبين، والرحلة التي تعد بحق صورة كاملة وحقيقية لعقله وفكره وشخصيته، وتعد في نفس الوقت أهم مصدر عنه وعن عصره، والبلاد التي زارها ومن ترجم لهم من شيوخها وأرخه عن حركة الفكر فيها.

وإذا كان بعض مصادر هذه الترجمة أساسياً، كما قدمناه، فإنه يمكن أن نستفيد من غيرها من الكتب كبغية الوعاة وطبقات الحفاظ ونيل الابتهاج ودرة الحجال وفهرس الفهارس ورحلة العياشي، إذ يوجد في هذه الكتب جملة من شيوخه وتلامذته وبعض النصوص المنقولة عن رحلته، بعضها موجود في الأجزاء المعروفة وبعضها يعد وثائق مهمة

¹: الإحاطة 135/3 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة ط: 1، 1369-1950. تطوان ج: 381/2. والدرر الكامنة 229/2. وتذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ص: 355. والبير الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ط: 1، 1348 بيروت ج: 234/2 والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني ص: 178.

²: ذيل العبر للذهبي ج: 121/17.

³: جامع القرويين د. عبد الهادي التازي ج: 484/2.

⁴: الدرر الكامنة 229/4.

⁵: الإحاطة 135/3. وانظر كتاب التبصرة أو التذكرة، شرح الفية الحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفي سنة 806. صفحة 96: ان ابن رشيد دفن بالقباب بفاس.

عن الأجزاء المفقودة أو الأقسام المبتورة أو التي نقلت عن الرحلة نقلا لا تتوافر فيه الأمانة العلمية.

وإذا أردنا تصنيف مصادر ترجمة ابن رشيد ومراجعتها، والاهتداء إلى المؤلفات والفهارس التي كانت تنقل من كتبه أو تترجم له أو تذكره أو تشير إلى بعض الإفادات عنه أو تترجم لشيوخته وتلامذته، ألفينا كل ذلك في أربعة أنواع نرتبها حسب أهميتها:

أ- مصادر الترجمة: ونذكر فيها الكتب التاريخية والفهارس القديمة وبعض الحديثة المهمة.

ب- المؤلفات التي كانت تنقل من كتبه أو تورد نصوصا أو إشارات أو أخبارا عنه.

وتعد تلك المصادر والمؤلفات أساسية عنه وعن رحلته.

ج- الفهارس والمعاجم وبعض الكتب المتأخرة.

د- بعض المجلات والجرائد التي أوردت تراجم أو أخبارا عن ابن رشيد أو ذكرا لشيوخته وتلامذته.

وهذه قائمة بأسماء تلك الكتب والمؤلفات مرتبة على حروف المعجم:

1- المصادر:

الكتاب	المؤلف	جزء / صفحة
الاحاطة	ابن الخطيب (ت 776هـ)	135/2
أزهار الرياض	المقري (ت 1041هـ)	1348/2 ¹
الاعلام	المراكشي (ت 1378هـ)	1251/3 ¹
أوصاف الناس	ابن الخطيب (ت 776هـ)	89
البدر الطالع	الشوكاني (ت 1250هـ)	34/2 ترجمة 491.
بغية الوعاة	السيوطي (ت 910هـ)	85 خاصة و 15 و 16 و 162 و 177 و 348 و 421.
تاج المفرق	أبو البقاء البلوي	60/1 - 72.
تاريخ	ابن خلدون (ت 808هـ)	400/7.
جدوة الاقتباس	ابن القاضي (ت 1025هـ)	289/1 خاصة ومواقع أخرى فيها ذكر لتلامذته ومن لقبه.
درة الحجال	ابن القاضي (ت 1025هـ)	201/4 خاصة ومواقع أخرى كثيرة ذكر فيها شيوخه الذين نقلهم من الجزء المفقود وفيه أيضا نصوص تصلح للمقارنة.
الدرر الكامنة	ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	229/4.
دول الإسلام	السخاوي (ت 901هـ)	177 وفيات 721.
ذيل تذكرة الحفاظ	السيوطي (ت 910هـ)	355.
ذيل العبر للذهبي	الحسيني (ت 765هـ)	708/17.
سبك المقال	ابن الطواح	90 وجه
سلوة الأنفاس	محمد بن جعفر الكتاني	191/2.
شذرات الذهب	ابن العماد (ت 1089هـ)	56/6 وفيات 721.
طبقات الحفاظ	السيوطي	524.

¹: تعد ترجمة المقري لابن رشيد حافلة لأنها تحتوي على نصوص من الجزء المفقود.

طبقات المالكية ²	لمجهول	524 ¹
طبقات المفسرين	السداودي	552
غاية النهاية	لابن الجزري (ت 833 هـ)	22/2
فهرست السراج	لأبي زكرياء السراج ³	
لقط القرائد	ابن القاضي	وفيات 721
(الف سنة من الوفيات)		
المعيار: نوازل	الونشريسي (ت 914 هـ)	
نثير الجمان	ابن الأحمر (ت 807 هـ)	190
نوازل المعيار	الونشريسي (ت 914 هـ)	نوازل الصلاة
مرآة الجنان	اليافعي (ت 768 هـ)	266/4
نيل الابتهاج	التنبكتي (ت 1002 هـ)	283 خاصة و236 و255 و256 و278.
الوافي بالوفيات	الصفدي (764 هـ)	284/4 ترجمة 1805

¹: وتعد أيضا ترجمة الاعلام للمراكشي مهمة كذلك مع أنه متأخر، ولهذا أدرجت ترجمته هنا لاشتمالها على معلومات مستفيضة ومهمة.

²: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 3928.

³: انظر إفادات مهمة عنها للأستاذ عبد القادر زمامة وذلك في توضيح أمر مهم في ذكر خط سير ابن رشيد في رحلته مجلة المناهل عدد 22 ص: 551.

2- الكتب التي كانت تنقل من الرحلة أو تورد نصوصا وإشارات مهمة عنها:

أنس الساري والسارب	السراج القيسي (ت 1042هـ).	84
انس الفقير وعز الحقيير	ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ)	101
البستان	ابن مريم	159
الذيل والتكملة	ابن عبد الملك المراكشي	سفر 1 قسم 2: 44، 331، 333، 334، 336، 337، 338، 370، 412، 521
توضيح الأفكار لمحمد بن	ص: 200	
اسماعيل اليماني	محمد بن جعفر الكتاني	
الرسالة المستطرفة	عبد الرحيم العراقي	178
شرح القية العراقي	المقري	ص: 6، 96.
فتح المتعال	المنتوري	فيه نقول كثيرة ومفيدة.
فهرست	العباشي (ت 1090هـ)	62- 64- 68- 101.
ماء الموائد (رحلة العباشي)		من صفحة 238 إلى 253 خاصة.
مختصر فتح المتعال		
نشر المشاني	محمد بن الطيب القادري	90، 119.
نفاضة الجراب	ابن الخطيب	120/1.
نفح الطيب	المقري	ص: 143
		فيه نقول كثيرة ومهمة منها في
		606/1- 615 و 195/2،
		582- 583 و 121/4، 311،
		496 و 225/5، 481.
هدى الساري مقدمة فتح		
الباري لابن حجر العسقلاني		14/1.

ولا يمكن أن نُغفلَ كذلك نقول المتأخرين وكتاباتهم لأهميتها واشتمالها على كثير من الفوائد، وإبرازها لشخصية ابن رشيد، فمن الكتب التي عرضت له أو أخذت عن رحلته أو نهت على أشياء تمت بصلة إليه:

ابن سعيد الاندلسي أبو حيان النحوي أبو المطرف احمد بن عميرة	محسن العيادي د. خديجة الحديثي د. محمد بن شريفة	262-258 43-44-77-567 9-78-119-157-172-173-241
اختصار القدح المعلى	ابن سعيد / اختصره ابن خليل	وقد تعرض محقق الكتاب في مقدمته إلى بعض التنبيهات المفيدة في أماكن كثيرة وفي 230 و 231 خاصة.
البيئات العلمية والفكرية بالبلاد العربية من رحلة ابن رشيد.	د. الحبيب بلخوجة	وفيه تعريف بابن رشيد ورحلته
جامع القرويين دليل مؤرخ المغرب الأقصى ذكريات مشاهير... قصائد ومقطعات لحازم القرطاجني	د. عبد الهادي التازي ذ. بنسودة د. عبد الله كنون جمع د. بلخوجة	485-484 363-341-308/2 وفيه تعريف بابن رشيد ونقول من رحلته. وفيه إشارات وتنبيهات ونقول من رحلة ابن رشيد
المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى	صلاح الدين المنجد	ص: 43
المنتخب النفيس من شعر ابن خميس متهاج البلغاء النبوغ المغربي ورقات	ذ. عبد الوهاب بن منصور حازم القرطاجني ذ. عبد الله كنون ذ. محمد المنوني	95-89 في مقدمته إشارات مفيدة 193/1، 206، 219، 220 نقول كثيرة

3- بعض التراجم والإفادات الواردة ضمن كتب الآخرين.

الاعلام	الزركلي	ج: 7
افريقيا في العصور الوسطى	برانشفيق	ج: 3/1
إيضاح المكنون	اسماعيل باشا البغدادي	553-550/1
تاريخ الأدب	بروكلمان	317/2 و 367/5
تاريخ الأدب الجغرافي	كراتشكوفسكي	1382/1
تاريخ الفكر الأندلسي	آغل بالنشيا	318
تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون	محمد الهادي العامري	69
دائرة المعارف الإسلامية هـ، ارام		ص: 913
دائرة المعارف الإسلامية فؤاد		108/3
البستاني		
شجرة النور الزكية	ابن مخلوف	217/1
العلم عند العرب	الدوميلي	2411
فهرس مخطوطات خزانة القرويين	د. محمد العابد الفاسي	272
كشف الظنون	حاجي خليفة	836/1-1297-1813
مكتبة الاسكوريال	انطونا	م 145 دجنبر 1925 ع 643/11 و 644
معجم المحدثين والمفسرين والقراء	ذ. عبد العزيز بن عبد الله	ص: 11
بالمغرب الأقصى		
معجم المؤلفين	رضا كحالة	93/11
المؤرخون والجغرافيون	جليان ريبيرا، وطاراكو	بند 270 ص: 317، 318
العرب والأندلسيون		
الموسوعة المغربية	ذ. عبد العزيز بن عبد الله	106/1
هدية العارفين	اسماعيل باشا البغدادي	144/2

¹: وينبغي التنبيه على أن كراتشكوفسكي سمي رحلة بن رشيد المتعددة الأجزاء رحلتين وهو يرى أنهما تحملان اسما جامعا هو الرحلتان، الأولى منهما يصف فيها طريقة في إفريقيا والثانية تتناول الكلام على أهل الحديث والفقهاء الأندلسيين. ومن خلال هذا الرأي يترجح لنا أنه ليست لديه فكرة واضحة عن الرحلة.

²: وقد وقع الدوميلي في الخطأ الذي وقع فيه كراتشكوفسكي أيضا لأنه اعتقد أن الرحلة رحلتان أخذتهما تتعلق بالأندلس والأخرى بإفريقية.

4- بعض المجلات والجرائد التي فيها إفادات عن ابن رشيد ورحلته.

الموضوع	المؤلف	المرجع
ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق	ذ. محمد الفاسي	دعوة الحق عدد 2 سنة 3 (1379- 1960) ص: 33- 38 مجلة معهد المخطوطات العربية مايو 1959 مجلد 5 ج: 31/1، 42. دعوة الحق ع: 2 ص: 2(1378)، (1958) ص: 11. المناهل ع: 22 ص: 544. العرب(السعودية) ج: 5م3 وج: 2م4 مجلة المناهل ع: 17 ص: 47 و 99. جريدة العلم الثقافي ص: 8 ع: 468 الجمعة 13 جمادى الثانية 1399، 11 ماي 79. جريدة العلم الثقافي ص: 11 ع: 547 الجمعة 16 ربيع الأول 1401. 23 يناير 81. جريدة النور ع: 14 س: 2 جمادى الثانية 1395 يونيو 1975.
الرحالة المغاربة وآثارهم الرحالتان السبتيان(ابن رشيد والتجيبى رحلة ابن رشيد الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية رحلة ابن رشيد تم نقلها إلى الاسكريال عن طريق الحياة مع ابن رشيد في رحلته	ذ. عبد القادر زمامة ذ. حمد الجاسر ذ. محمد المتوني ذ. عبد الله كنون ذ. احمد فطري ذ. محمد بوخيزة	
ملاحظات حول إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح؛		

وبعد ذكر هذه المصادر والمراجع الكثيرة والمتنوعة نستخلص أن ابن رشيد ورحلته كانا معتمدين لدى أهل العلم في مختلف الأمصار والأقطار ولولا ذلك ما كان المحدثون والفقهاء والمؤرخون والأدباء ينوهون بها وينبهون على بعض ما فيها من الفوائد للاستشهاد بها في القضايا المهمة كبعض المسائل الحديشية خاصة، ثم إنهم كانوا ينقلون

منها شيئاً من النصوص التي تظهر فيها آراء ابن رشيد التي تقوم شيئاً مما اختلف فيه أهل الحديث كابن الصلاح وابن المنير وغيرهما كما سيتضح بعد من خلال دراستها وتصنيف معارفها.

ونلاحظ على هذه الكتب أيضاً أنها تشمل معظم الميادين الثقافية الإسلامية والأدبية، إذ إن فيها كتباً حديثة وفقهية وأدبية وتاريخية وجغرافيا وفيها أيضاً كتب عن التصوف وغير ذلك، وهذا كله يدفعنا إلى القول إن الرحلة يمكن أن تكون عيبة ملأها ابن رشيد بكل طارف وتليد.

المبحث الثاني: حياة ابن رشيد وأسرته وكرسيه العلمي

حياته:

أصله ونسبه: يتصل نسب ابن رشيد بالفهريين، وهم بطن من كنانة التي يرفع نسبها إلى مضر القحطانية¹. وكان هؤلاء الفهريون يكونون في الأندلس جماعة كبيرة مشهورة، إذ نجد لها عبر التاريخ ذكرا متصلا وصيتا متواترا، وكانت بيوتاتهم فيها تعرف بالعلم والمروءة والوجاهة والتؤدة والنباهة والعدد والثروة². فمن بني الحارث ابن الفهر: يوسف بن عبد الرحمان سلطان الأندلس الذي عمله فيها عبد الرحمان الداخل، وجد يوسف: عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بأفريقية³.

والفهريون بالأندلس جماعة منهم محمد بن رشيد خطيب غرناطة أبو عبد الله هذا، وهو صاحب الرحلة التي نحن بصدد دراستها. أما أصله في الأندلس فيرجع إلى شلب أو إحدى جهاتها، وقد أفادنا بذلك ابن رشيد نفسه عندما التقى بشيخه أبي العباس أحمد بن يوسف الفهري اللبلي الذي كان يغشى مجلس أبي العباس أحمد بن الغماز أيام الجمع بجامع الزيتونة بتونس، وقد كان أبو العباس الفهري شديد الير به كثير التخفي متى لقيه، ويقول له: "أنت من بلادي"، وهو يشير بذلك إلى كون أصل والد ابن رشيد من شلب أو جهاتها. وأبو جعفر اللبلي كذلك من تلك الجهات⁴. ونستخلص من ذلك أن ابن رشيد لم يكن متبينا من تحديد مكان أصله الذي هو شلب أو إحدى جهاتها الكثيرة التي منها شنبوش ورمادة وشنتمرية وقسطلة⁵. ونذكر كذلك أن الفهري لم يكن متأكدا أيضا من مكان أصله، ومهما يكن من أمر حقيقة نسبهما إلى تلك البلاد أو نواحيها فإن شلبا قاعدة ولاية أشكونية التي ليس بعد اشبيلية مثلها: إذ قل أن ترى من

¹: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب لأبي العباس القلقشندي ط: 1 القاهرة 1959 ص: 394، 408، 409.

²: نشر المثاني لأهل القرن حادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري الرباط 1397- 1977 ج: 120/1، وانظر ما علقه صاحب التاريخ المفترى عليه في المغرب. عبد الكريم الفدلي، الرباط 1969- على النسب الفهري ص: 44.

³: جمرة انساب العرب لأبي محمد علي ابن حزم الأندلسي ط: 3 القاهرة 1971 ص: 12- 176- 177- 178.

⁴: الرحلة: 63/6.

⁵: المغرب في حل المغرب: 380/1.

أهلها من لا يقول الشعر ولا يعاني الأدب¹. ولهذا ليس غريبا أن نجد ابن رشيد ينتسب إلى أولئك القوم، فيكتسب طبعهم وأخلاقهم، ويكون مثلهم في رواية العلم والأدب، وينجب بين أقرانه في نعومة أظفاره.

مولده ونشأته ودراسته: إن أهم مصدر لنا عن تحديد مولده هو ما صرح به نفسه في الرحلة فيقول: "ومولدي في عام سبعة وخمسين وستمائة"². وقد ورد ذلك عرضا بمناسبة كلامه على علو التنزيل، ووقوع حديث النهي عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير- له مساواة للنسائي الذي كان مولده رحمه الله، فيما حكاه حمزة بمحمد الكِنَانِي الحافظ، سنة 214، وبهذا يكون بين مولدهما 443 سنة. ولكنه لم يحدد المكان واليوم والشهر، ولا نجد ضبط ذلك إلا في بعض المصادر كالدرر الكامنة ودرة الحجال، أما ابن حجر فيذكر في ترجمته له أنه ولد في جمادى الأولى سنة 657 هـ³. وأما ابن القاضي فيجعل مولده، في شهر رمضان من نفس السنة⁴. ومهما يكن أمر هذا الخلاف فإن جميع مصادر ترجمته قد اتفقت على أن ولادته سنة 657 هـ.

أما مكان مولده فهو سبته، وفيها بدأت نشأته العلمية، إذ درس فيها على أبي الحسين بن أبي الربيع النحو والعربية والقراءة، وأخذ عنه ما يأخذه طلاب العلم في هذه السن كالجمل والإيضاح والكتاب⁵. وقد درس كذلك على أبي الحسن الخضار الكتامي كتاب الروض الأنف للسهيلي حتى إنه كان يعرضه من حفظه على تلامذته في مجالس أقرانه⁶ ودرس عليه كذلك العروض والآداب وغير ذلك. وسمع البخاري من محدث سبته الشيخ عبد العزيز الغافقي⁷. ثم أخذ من نظراء هؤلاء الشيوخ فتضلع من العربية واللغة والعروض والآداب والأخبار والتواريخ والقراءة، وشارك في الاصلين وبرع في الخط وذكر الرجال وجمع الكتب حتى صارت له صحة النقل والأصالة في الضبط⁸.

¹: معجم البلدان لياقوت: 357/3.

²: الرحلة: 118/3 - 119.

³: الدرر الكامنة: 229/4 ترجمة 4127.

⁴: درة الحجال: 96/2 ترجمة 532.

⁵: الرحلة: 23/3.

⁶: فهرس المنتوري مخطوط خزانة الملكية رقم 1578 ص: 68.

⁷: الوافي بالوفيات للصدقي ج: 285/4.

⁸: الإحاطة: 135/3.

ويظهر أن نبوغه وحذقه في العلوم كانا منذ نعومة أظفاره ثم إن تلك المعارف الكثيرة التي رسخت في ذهنه منذ الصغر قد طبع بها رحلته التي كانت في الواقع دائرة معارف للعلوم¹.

ومن الصعب أن نتتبع تفاصيل أخرى من حياته في هذه الرحلة أو غيرها لأن المصادر لم تسعفنا بشيء من ذلك صراحة أو إيماءً، لذلك نجد أنفسنا أمامه وقد اكتملت سنه، وفي هذه السن تتوق نفسه إلى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق ليكمل عليهم اختصاصه في علم الحديث وليحصل على أعالي الأسانيد.

وكان في هذه الرحلة من العمر راسخ لقدم في تلك العلوم السابق ذكرها، حافظا لكثير من المتون والأشعار والأحاديث وغير ذلك، وكان أيضا ذا تمييز للمذاهب والتيارات الفكرية والعقدية في المغرب والمشرق، ويظهر ذلك من خلال مناقشاته لشيوخه في مصر والقاهرة. ثم إنه إذا حضر مجلسا من مجالس شيوخه فإنه يكون عارفا من قبل أشياء عن صاحبه وذلك من حيث مركزه العلمي وشخصه وطبعه ونفسه كما نستنتج ذلك من خلال إلمامه بحلقة بهاء الدين ابن النحاس². ويتجلى لنا ذلك أيضا من خلال مناقشاته لشيوخه أنه كان يبدي آراءه عن حسن إدراك وعمق في الفهم لما يعرض له من المسائل الفقهية والأدبية واللغوية وذلك مثلما جرى بينه وبين ابن دقيق العيد في مسألة البسملة في المذهبين الشافعي والمالكي³، أو بينه وبين أبي المعالي الاصبهاني الشافعي إمام النظريات والعلم بالخلافات في عهده وذلك في مسألة (الحرف ما دل على معنى...) ⁴، أو بينه وبين ابن زيتون في مسائل البلاغة والأدب والعقيدة⁵. أو بينه وبين أبي الحسن ابن رزين⁶، أو أبي بكر بن حبيش⁷ في مسائل الأدب شعرا ونثرا أو غير هؤلاء مما سيبين في ترجمة شيوخه في المغرب والمشرق أو في مكان دراسة علوم الرحلة وفنونها.

¹: انظر أساتذته فيمن ترجم لهم في سبته.

²: الرحلة 23/3، وانظر من ترجم لهم في مصر والقاهرة ترجمة 185.

³: الرحلة 58/3.

⁴: الرحلة 89/3.

⁵: الرحلة 13/6.

⁶: الرحلة 80/6.

⁷: الرحلة 1/2.

وعندما غادر ابن رشيد وطنه كانت عَيْبَتُهُ حافلة بشتى العلوم والفنون، ولو لم يكن كذلك ما تسنى له مناقشة شيوخ علماء طار صيتهم في الآفاق كابن دقيق العيد، ولما استطاع أن يخطئ ويوهم، في كثير من المسائل، ناصر الدين بن المنير المشهور في مسائل من تراجم البخاري¹ ولما نذب للإقراء في إحدى مدارس الشام، ولما اقتحم باب أبي المعالي الاصبهاني في الخلافات².

ولما كانت لابن رشيد معرفة بذى الوزارتين الكاتب أبي عبد الله ابن الحكيم الرندي، فقد اتفقا على السفر معا إلى المشرق، فغادر كل منهما بلده فالتقيا بمَرْسَى المربة في أوائل سنة 683 هـ. وكانت هذه القاعدة باب المشرق تبجر منها المواكب الكبيرة قاصدة مراسي افريقيا الشمالية ومصر والشام³.

وأنا لا نعلم شيئا كثيرا من تفاصيل رحلته ما بين المربة وتونس، أكان ذلك طريق البر أم عن طريق البحر. وكل ما بين أيدينا أنه زار على الأقل تلمسان وبجاية وبونة (عنابة). ونحن نعرف أن أهم المدن والمرافئ التي كانت تستقبل الرحالة في هذه الآونة تلك المدن السابقة الذكر، ومرسى هنين والجزائر وقسنطينة⁴. ولو توافر لدينا الجزء الأول المفقود لكان الأمر واضحا أكثر، ولزادنا معرفة عن خط سيره هناك.

وقد بقي في تونس يتردد على مشايخها ويفيد عنهم الفوائد. وتعد أيامه بها من أكثر الأيام جنى للفوائد العلمية من حيث الأخبار الأدبية والتاريخية. وقد خص هذه المدينة بثلاثة أجزاء تقريبا من رحلته.

ومن تونس سافر إلى الإسكندرية، ولا ندري كذلك أكان ذلك عن طريق البر أم البحر لأن الجزء الذي يعرض لذلك مبتور من أوله أيضا. ولا نعلم كذلك كم بقي فيها بالتحديد. ولكننا إذا عرفنا أنه لقي مكيين الدين ابن الأسمر يوم 21 جمادى الآخرة 684 هـ بالإسكندرية⁵، وهو من التراجم الأولى المهمة في الجزء الثالث، ويسبقها بعض

¹: الرحلة 95/3، وانظر ترجمة ناصر الدين ابن المنير في فوات الوفيات 149/1.

²: الرحلة 88/3.

³: درة الحجال 96/2 ودعوة الحق: 2 س: 3، 1960 (ذ. محمد الفاسي).

⁴: تاج المفرق 163-146/1 ودعوة الحق: عدد 2 س: 3 (ذ. محمد الفاسي).

⁵: الرحلة 5/3.

التراجم القصيرة، ثم أنه رحل من الإسكندرية يوم السبت 28 جمادى الثانية¹، فإنه يتحصل لنا أنه بقي في الإسكندرية ما يقرب من نصف شهر فحسب. وبالرغم من قصر تلك المدة فإنه زار فيها شيوخا مشهورين واستفاد كثيرا من معظمهم.

ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة ونزل بها يوم 7 رجب 684 هـ وأخذ يتردد على علمائها تارة وأخرى يذهب إلى مصر المدينة، وكانتا في ذلك الوقت زاخرتين بالعلماء والمحدثين والأدباء.

وقد بقي في مصر الفاهر ما بين 7 رجب وآخر شعبان 684 هـ² وكانت تلك الأيام حافلة أيضا بلقاء الشيوخ الأجلة.

ثم غادر مصر إلى دمشق خاصة والشام عامة وذلك في أواخر شعبان 684 هـ وبسبب فقدان الجزء الرابع فإن تفاصيل رحلته في ذلك غير متوافرة، إلا أن أهم ما اجتمع لدينا من ذلك أنه زار دمشق وحرم الخليل وبيت المقدس ونابلس وبلبك. وكانت هذه المدن أيضا زاخرة بأقطاب الفكر والعلم في كل الفنون، ويتجلى ذلك من خلال كتب طبقات الحنفية والمعاجم وفهارس الوفيات والكتاب التي درست تاريخ المدارس والجامعات والمكتبات والمساجد والخوانق والربط. وأما الطريق التي سلكها فهي غامضة، فإذا كان قد سلك طريق البر فإن الطريق معروفة وهي ما يقرب من 320 ميلا³، وأما إذا سلك طريق البحر فلا نعلم شيئا عن الثغور التي قصدتها.

ولما وصل إلى الحرمين الشريفين حج في موسم 684 هـ واتصل كذلك بشيوخ مكة والمدينة المنورة.

وفي يوم الأحد 15 ذي الحجة 684 هـ ودع ابن رشيد مكة المكرمة قاصدا طيبة⁴، المدينة المنورة، فوصل إليها يوم الخميس 25 ذي الحجة ومنها إلى القباب فالبوب وربع الكارمي وذلك ما بين 25 محرم وشهر صفر 685 هـ إلى أن وصل إلى

¹: الرحلة 21/3.

²: الرحلة 120/3.

³: انظر الخطط للمقريزي 226/1.

⁴: الرحلة 18/5.

القاهرة، ثم توجه إلى الإسكندرية، ولم يكن توجهه إليها للمرة الثانية إلا لأخذ كتب كان قد أودعها هناك¹، ثم توجه بعدها إلى طبرق ثم إلى مرسى هواره من صحراء برقة إلى أن وافى مدينة طرابلس وفيها التقى بأحد وجهائها وأهل العلم فيها: ابن عبد السيد. وكان في هذه المرحلة من رحلته برفقة صديقه ابن الحكيم وأبي عثمان سعيد بن جون المراكشي² الذي التقى به في بحر الإسكندرية. ثم سافر من طرابلس إلى المهديّة بعد أن أقام فيها إلى يوم الثلاثاء 16 ربيع الآخر 685 هـ ثم غادرها إلى سوسة مروراً على الحمامات وعلى مياه ومنازل أخرى لم يذكرها، ومنها إلى تونس التي لقي بها مشايخ مجدداً اللقاء ببعضهم.

وهكذا بقي في تونس إلى أن خرج منها يوم الخميس 14 ربيع الثاني 686 هـ ومنها إلى عنابة ثم إلى مرسى برشك ومنها إلى المرية التي وافاها يوم الثلاثاء فاتح جمادى الثانية 686 هـ. ثم توجه إلى مالقة بعد يوم 6 جمادى الثانية 686 هـ حيث بقي فيها أياماً زار خلالها مدينة رندة. وقبل أن يصل إلى بلده سبتة يوم 22 جمادى الثانية 686 هـ وانتهاء سفره، بقي بعض الأيام يتردد بين مالقة ورندة وذلك في عهد عز صديقه ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم.

وقد سكن ابن رشيد سبتة ملحوظاً عند الخاصة والعامة، ثم ارتحل عنها سنة 691 هـ³ مقتصدًا منقبضاً عن الناس، وأخذ يتردد بين المغرب والأندلس. ثم قدم غرناطة زائراً سنة 692 هـ وعين فيها للخطاب وذلك بعد قضاء خمس سنوات مقيماً في سبتة. وكان صديقه ابن الحكيم الرندي إذا فرغ من الخدمة يجيء إليه فيباشر خدمته بنفسه أحياناً ويبالغ في إكرامه⁴، وبعد نكبة ابن الحكيم والتنكيل به عاد ابن رشيد إلى مسقط رأسه ثم أخذ يدرس غير مشارك لأشياخه في تعليم ما تخصصوا فيه واشتهروا به، وذلك تأدباً منه وإكراماً لهم⁵ وعرفانا بفضلهم.

¹: الرحلة 1/6.

²: الرحلة 2/6.

³: الدرر الكامنة 229/4.

⁴: نفسه.

⁵: الوافي بالوفيات 285/4.

وفي هذه الأثناء انكب ابن رشيد على التأليف والكتابة، إذ ألف كتابه المورد الامعن في المحاكمة بين الامامين، وفي سنة 706 هـ ألف كتابه إفادة النصيح. وفي هذه السنة أيضا قدم من الأندلس زائرا، ولكنه لم يذكر ما قام به في هذه الزيارة، ومعنى هذا أنه كان يتردد بين المغرب والأندلس لأسباب علمية صرف.

وكان بين ابن رشيد وبين تلامذته وأصحابه مكاتبات واتصالات ونسنتج ذلك من خلال وصول كتاب أبي القاسم الانصاري يذكر فيه أبياتا تصلح جوابا لأبيات أبي المطرف بن عميرة التي أنشأها في الغزل ومنها: (الكامل)

فضل الكمال على الجمال بوجهه

والحق لا يخفى على من وسطه (الأبيات)¹

ولا شك في أن تلك الاتصالات والمكاتبات كان مدارها حول المسائل الأدبية والفقهية. وقد عاد بالكتابة اليه سنة 718 هـ. وهكذا كان دائما على ارتباط وثيق بأصدقائه في الأندلس والمغرب.

وبالرغم من حسن خلق الرجل وكرمه كان له بعض المناوئين الذين أخذوا يلتمسون الأسباب للإيقاع به، فقد دبرت له في غرناطة مكيدة، إذا اتهم أنه كان يسر البسملة، وأنه على مذهب أهل الحديث يمرها ولا يتأول، ويسكت لدعاء الاستفتاح، فكتب عليه محضر بأنه ليس مالكيًا فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة فبطل المحضر، وانتهت القضية دون أن يمس بسوء.

ولما اغتيل الوزير ابن الحكيم الذي كان قد استبد بالأمر دون رئيسه أبي عبد الله محمد الملقب بالمخلوع، اضطربت العلاقة بين مملكة غرناطة وبنو مرين، فتوالت الأحداث الجسام والانتفاضات في ظل أبي عبد الله المخلوع. وكان من أكبر مدبريها أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه وجماعة من أكابر الدولة الذين سئموا من نظام الطغيان الذي فرضه محمد المخلوع ووزيره ابن الحكيم. ففي يوم عيد الفطر من سنة 708 هـ وثب الخوارج على ابن الحكيم فقتلوه. ولما وقف سلطان المغرب على حوادث

¹: الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف أحمد بن عميرة ص: 241، وانظر دراسة الرحلة.

الأندلس، وبلغه أن أهل سبنة قد سُموا نير الأندلسيين بعث إليها حملة بقيادة تاشفين ابن يعقوب ولما وصلوا إليها ثار أهل البلد وطردها منها جند ابن الأحمر وعماله ودخلتها في الحال جند المغرب¹.

وهكذا امتدت المحنة إلى من لهم صلة بالقتيل، فكان ابن رشيد من أهداف بعض الزعائن ممن وترهم. فتعرضوا له بإذايات قبيحة وشتائم نابية ترفعت الأفلام عن تسجيلها في ترجمته، فاضطر لذلك إلى أن ينتقل من الأندلس إلى المغرب في ظروف صعبة ودقيقة ولهذا اقتصر، في تناول هذه الحادثة، على القول (فتخلص ولا تسأل كيف)².

ولم يسع ابن رشيد، والحالة هذه، إلا أن انتقل إلى المغرب وقضى أيامه فيه عزيز الجانب موفور الكرامة، وأخذ يعقد مجلسا لصحيح البخاري بين الظهر والعصر شرقي صحن القرويين.

ثم لقي عناية ضد السلطان الذي جعل له أمر الاختيار أين يحب الاستقرار فاختار التحول إلى مراكش إذ كان قد سكنها قبل واستحسنها فورد عليها. وعقد للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ثم استدعاه المقام السلطاني إلى حضرة فاس فورها وصار من خواصه السلطان بها، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس في 23 محرم 721 هـ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجلة³.

¹: نهاية الأندلس القسم الرابع 112-116.

²: الإحاطة 142/3.

³: درة الحجال: 524/4 ترجمة 201، أما المقرئ فيرى أنه توفي يوم 23 أو يوم الاثنين 24 محرم 721 هـ. وقال بأن جعل وفاته 8 محرم قد غلط وأن من قال ذلك هو ابن الخطيب في الإحاطة. وأما صاحب البغية فرأى أن وفاته كانت يوم 18 محرم 721 هـ.

أسرته

يتبين لنا من خلال معرفتنا لبعض أفراد أسرة ابن رشيد أنهم كانوا ذوي وجهة ونسب وحسب، وأن فيهم الكتّاب والرؤساء والعلماء فمن بين الذين تحصل لدينا تعرفهم.

عمه: وهو الكاتب الفاضل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن رشيد فقد قال في الرحلة:

"ومما جره الحديث لما أخذنا بأطرافه وأبدينا نبذا من أطرافه ذكر الجليل الخطيب البليغ العالم المتقن أبي الحسن سهل ابن مالك الأزدي الغرناطي نادرة مصره بل بادرة عصره، حكيت عنه حكاية حكاهما لي عمي الكاتب الفاضل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن رشيد قال: قال لي أبو جعفر الطوسي أنه دخل يوما مع جماعة من أصحابه بمرسية على الوزير الأجل أبي الحسن سهل بن مالك وذلك لما غربه ابن هود عن وطنه فقدم إليهم حوتا، وسمعوا عجوزا من أهل بيته تقول: هلا قدم إليهم من عديل التين الطيب الذي سيق إليك، وكان الوزير في سماعه ثقل فقالوا له يا أبا الحسن هلا أطعمتنا من عديل التين الذي أهدي إليك؟

فقال ومن أعلمكم به؟ ثم أنشدهم لنفسه (السريع)

لو جاء إبليس إلى منزلي * * سرا عن الناس بإحدى الطرف

أخبرتني أنت بمن ساقها * * يا عالم الغيب بما في الغرف¹

وبرغم كون هذا النص مقتضيا فيه ما يكمل ترجمة سهل بن مالك الضافية في الذيل والتكملة وغيرها.

أخواته: أما أخواته فهن عائشة وفاطمة ورحمة²، وكان كثيرا ما يستجيز لهن شيوخه، وذلك إما لإحداهن وإما لاثنتين منهن وإما لهن جميعا³. وغالب الظن أن تلك

¹: الرحلة 68/5 وذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 18 (ابن رشيد ص: 37).

²: الرحلة: ج 44/3 - 84 - 90 - 101 - 102 - 104 ومواضع أخرى كثيرة.

³: الرحلة: 48/3 مكرر - 62 - 69 - 77 - 83 - 84 - 86 - 89 - 90 وغيرها.

الاستحجازة لم تكن لأجل التشريف أو التبرك، وإنما لكونهن ذوات قدر معين من العلم والثقافة التي عرفت به أسرة ابن رشيد. ويمكن تفسير هذه الاستحجازات التي كان يلجأ فيها إلى التخصيص تارة والتعميم تارة أخرى، أن أخواته كن ذوات مشارب مختلفة وميول متباينة، ولهذا كان يستجيز لهن مع أولاده أو يستجيز لهن وحدهن¹.

أولاده: وأما أولاده فهم: أبو القاسم ومحمد وأبو زكرياء يحيى وعائشة وأمة الله. فأما أبو القاسم فقد اختطفته يد المنون قبل أن يطر شاربه ولهذا رثاه أبوه بالقصيدة القافية المشهورة التي تذكرنا برثاء ابن الرومي لولده الأوسط². وأما محمد فكان فقيها كاتباً في حضرة أبي عنان المريني وكتب بعده لجملة من بني مرين وقد رآه ابن الأحمر في فاس وقال أنه كان حسن الحظ بارعه وهو ابن مقلّة زمانه إلا أنه لم يكن عنده عربية³. وأما أبو زكريا فكان فقيها خطيباً، وهو والد صاحب القلم الأعلى أبي سعيد رشيد بن يحيى بن محمد بن عمر وقد عرض أبو زكرياء هذا كتاب الروض الانف للسهيلى على أبيه حفظاً بعد قراءته عليه⁴.

ومن استقراء أغلب الاستحجازات الواردة في الرحلة يتبين لنا أن هناك استحجازات لأخواته وأولاده عامة مثل قوله:

وأجاز لي ثابت أبو بكر بن ثابت بن علي بن عبد القوي بن قاسم العسقلاني الرزاز ولبني أبي القاسم وعائشة وأمة الله وفاطمة ولأخواتي عائشة وفاطمة ورحمة وكتب عنه صاحبنا أبو عبد الله بن عاصم الرندي بإذنه في ذلك⁵.

ونجده تارة أخرى يستجيز فيها لأولاده فقط كقوله:

"وممن لقيناه بالقاهرة الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر بن عمر الحلاطي الصوفي، سمعت عليه وأجاز لي ولبني محمد وعائشة وأمة الله⁶.

¹: الرحلة 7/3 - 31 - 44.

²: الإحاطة 141/3.

³: جذوة الاقتباس لابن القاضي 231/1.

⁴: فهرست المتنوي 68 ومستودع العلامة لأبي الوليد بن الأحمر منشورات كلية الآداب ص: 71.

⁵: الرحلة: 84/3.

⁶: الرحلة: 69/3.

وأخرى يجيز فيها إجازة لواحد فقط من أبنائه كقوله:

"وممن لقيته أيضا بثر الإسكندرية ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن مكين الدين عطاء الله بن مظفر بن عبد الكريم بن الخطيب وأجاز لي ولابني وأبي القاسم وكتب الإجازة بخطه ولم تقع إلي الآن¹.

وقد كان ابن رشيد شديد الاعتناء بأولاده، كثير الاهتمام بهم، وبدلنا على ذلك أنه كان يقوم بتعليمهم بنفسه ويشحذ ذهنهم بمختلف الوسائل. فابنه أبو القاسم، رحمه الله ونفع به²، كان ينام بمقربة منه ليختبر ذهنه وفكره بإلقاء بعض الأحاجي والألغاز عليه لفك معمياتها³، وهو في سن الثانية عشرة أو دونها، وهذا ما يؤكد أن عائلة ابن رشيد كانت متواصلة متماسكة في أواصرها يجمعها أب رحيم حنون.

أحفاده: ومن أحفاد ابن رشيد الفقيه أبو العلاء ادريس يحيى بن محمد، وقد لقيه أبو الوليد ابن الأحمر وأنشده من شعره الذي أعجب به فنقده وإبان عن محاسنه وبراعته فيه⁴.

ومنهم أيضا رشيد بن يحيى بن رشيد، وهو صاحب القلم الأعلى، أبو سعيد، كاتب علامة السلطان عبد الحليم المريني بفاس القديمة، ورب الصبابة الراققة بين أعلامها القائم بين سرادقها وأعلامها⁵. وقد ذكره صاحب درة الحجال وقال أن ابن الأحمر ذكره في حديقة النسر⁶.

صهره: ومما يعطينا أيضا صورة واضحة عن الجانب العقلي والفكري لأسرة ابن رشيد، وتؤيد القول بأنها أسرة العلم والمعرفة: ما ورد في الرحلة عن شخصية صهره القاضي الكاتب أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزي الذي يقول عنه: "أنشدني صهري أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزي قديما قال:

¹: الرحلة: 7/3.

²: الرحلة: 34/7-35.

³: انظر الفرق بين الألغاز والأحادي والمعميات والمعياة كتاب: إتحاف أعلام الناس لابن زيدان 330/5.

⁴: نثر الجمان: 460 ودرة الحجال 214/1.

⁵: مستودع العلامة 71 وجذوة الاقتباس 197/1.

⁶: ورد تعليق في حاشية كتاب جذوة الاقتباس يفيد أن رشيدا هذا ذكر في المستودع وليس في روضة النسر 197/1.

أنشدني أخي أبو الحسين عبيد الله بن أحمد قال أنشدني القاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد ابن بقي لنفسه: (السريع).

ما ميثق العالم إلا الذي * * يخبره العالم في الميثق
ذاك الذي يفضح أسرارهم * * ويظهر الفاجر والمتقي¹

كرسيه العلمي:

لما عزم ابن رشيد على التغريب والذهاب إلى المشرق كان وطابه حافلا بالمعارف، وعييته زاخرة بما تلقى من شيوخه في سبته وقرطبة والمرية والجزيرة الخضراء. ولما جاء إلى بجاية وتلمسان وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة واتصل بشيوخها صارت قدمه في العلم أكثر رسوخا. ولا شك في أن السنوات الثلاث التي قضاها في التنقل والاستزادة من العلم كانت كافية لتأهيله لبعض الكراسي العلمية في دمشق والمغرب والأندلس وذلك للإفادة بعد أن كان مستفيدا والعطاء بعد أن كان آخذا. فمن كراسيه العلمية المشهورة:

أ- كرسيه العلمي بالمدرسة الظاهرية الجوانية بدمشق:

بعد موت أبي العز الحنفي بدمشق أصبح كرسيه شاغرا، وأغلب الظن أنه كان كرسيًا للحديث في المدرسة الظاهرية القحفازي، وهي من المدارس الحنفية المشهورة بداخل دمشق قبلي المارستان النوري². وليس غريبا أن يدرس مغربي في إحدى المدارس الكبرى بالشام، فقد كان يدرس قبله، بدمشق نفسها، شيخه أبو إسحاق اللوري (614 - 687) وذلك بهذه المدرسة التي تعد من المدارس الشافعية³. وكان محمد بن إبراهيم بن يوسف

¹: الرحلة : 16/2 وانظر هذه الأبيات أيضا في رحلة العبدري برواية مختلفة:

ما ميثق العالم إلا الذي * * يخبره العالم في الميثق

ذاك الذي يكشف أسرارهم * * فيفضح الفاجر والمتقي (انظر ص: 272).

²: الدارس في تاريخ المدارس 548/1 للمدرسة 114 والبداية والنهاية 14-102، وذيّل العبر 17-121.

³: الدارس في تاريخ المدارس 1/المدرسة 62.

ابن حامد المراكشي (701- 752 هـ) يدرس بالمدرسة المسروية كذلك¹. ومحمد بن مالك الطائي بالمدرسة العادلةية².

ومن الشيوخ المشهورين بالقاهرة أبو حيان النحوي، الذي أخذ عنه الجمع الغفير من التلاميذ من مشرق الأرض ومغربها، والذي ألحق الأحفاد بالأجداد، وهو صاحب ابن رشيد كذلك.

وإن إسناد مثل هذا الكرسي لابن رشيد في تلك المدرسة ليدلنا على أنه كان ذا صيت وتمكن من مادته، وذا ثقة بنفسه وذلك بعد أن غادر مدارس مصر والقاهرة والإسكندرية وهو ريان من الحديث والأدب.

ب- كرسيه بسبنة:

بقي ابن رشيد في سبنة بعد أن رجع من المشرق خمس سنوات كاملة كانت كثيرة الحصب، لأنه كان يدرس ويؤلف ويحرر ويفتي ويجيب، ولهذا أخذ صيته ينتشر وشهرته تتسع، وكنا قد أشرنا قبل الى أنه بالرغم من كونه من الأساتذة الملحوظين لم يكن يزاحم أساتذته في العلوم التي يدرسونها احتراماً لهم وعرفانا بجميلهم. وقد كانت سبنة وقتئذ تعج بكثير من الشيوخ المشهورين في علمي الأدب واللغة والحديث خاصة ومن هؤلاء أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي وأبو إسحاق الغافقي وأبو الحسن الكتامي الحضار وغيرهم ممن تتلمذ عليهم.

ج- كرسيه بغرناطة:

كان ابن الحكيم قد حصل على حظوة كبيرة عند ملك غرناطة محمد الثاني بن محمد بن الأحمر، ولهذا كان يستدعي صاحبه ابن رشيد الى رندة فيلبي دعوته وفي سنة 692 هـ قصد غرناطة فكان يعقد بها مجالس للخاص والعام، ولما توفي صاحبه الشيخ المحدث التاريخي أبو جعفر بن الزبير المشهور وهو قاضي المناكح بغرناطة، أضيف هذا

¹: الدارس 1/ المدرسة 83.

²: فوات الوفيات 407/3.

المنصب لابن رشيد وإن لم يدم فيها طويلا، فكان كما يقول ابن حجر بشرح من البخاري حديثين يتكلم عن سندهما ومتنهما أتقن كلام¹.

د- كرسية بمراكش:

بعد مقتل ابن الحكيم وخروج ابن رشيد من غرناطة، احتفى به أبو الربيع سليمان المريني، وخيره في المقام أين يشاء، فاختر مراكش وصار خطيبا وإماما بجامعها العتيق ثم أقبل على تدريس العلم بها²، وكان كرسية لتدريس الحديث وحرز الاماني للشاطبي، وممن قرأها عليه أحمد بن محمد بن الشماع الأوسي المراكشي³.

هـ- كرسية بالقرويين:

وكان له بفاس مجالس علمية مشهورة منها مجلسه شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر في الموطن وصحيح الإمام البخاري⁴. فقد كانت هناك ظاهرة في جامعة القرويين تتمثل في وفرة الكراسي المخصصة بها لكبار الأساتذة والموقوفة لتدريس أمهات المصنفات في مختلف العلوم، وهو تقليد علمي وجد في الشرق أيضا، ثم إن ولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصبا ساميا، ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده⁵. وكان من أشهر الكراسي المعروفة في عصر بني مرين كرسي الونشريسي الفاسي، وكرسي أبي الحسن الصغير الزرولبي وكرسي أبي الحسن علي الصرصري وكرسي ابن رشيد⁶.

وإننا نرجح أن يكون كرسي ابن رشيد في هذه الجامعات الكبرى في الأدب والقراءة وعلم الحديث والفقه، لأننا لو تتبعنا سيرة تلاميذه في الإحاطة وبغية الوعاة ونيل الابتهاج ودره الحجال وجذوة الاقتباس والدرر الكامنة وفهرست المنشوري، لألقينا مصداق ذلك، إذ نجد مثلا أن أبا علي عمر القرشي العبدري يدرس عليه كتاب الأربعين حديثا في سند مرفوع إلى أبي عبد الله ابن الأبار القضاعي، وقد قرأ بعضه وناول جميعه⁷.

¹: الدرر الكامنة 111/4.

²: أزهار الرياض 355/2-356.

³: الاعلام للمراكشي 218/1 ترجمة 293.

⁴: أزهار الرياض: 355/2.

⁵: دعوة الحق ع: 4 ص: 9 ص: 91 ذ. محمد المنوني.

⁶: نفسه ص: 93.

⁷: فهرست المنتوري. ص: 62.

وأما أبو زكرياء السراج فقد قرأ عليه كتاب الأربعين من تأليفه (أي ابن رشيد)¹. وكان له كتاب المغني عن الحفظ لضياء الدين الحنفي الموصللي، وقد ناوله لابن السراج كذلك في الأصل الذي بخط يده². وكذلك رواه عنه القاضي ابن جزي³. كما أن أبا زكرياء ابن رشيد سمع على أبيه كتاب الروض الأنف في شرح السيرة للسهيلي سماعا عن أبيه وعرضا من حفظه عن ابن الحضارم الضير الكتامي⁴، وكذلك حدثه به عنه أبو بكر بن جزي⁵.

وكان تلامذة ابن رشيد يروون عنه أيضا أشعاره وأدبياته، ومن ذلك مثلا مقصورة حازم القرطاجني، فقد رواها عنه ابن عبد الرزاق وابن جزي⁶، وروى عنه منظوماته وتأليفه تلميذه أبو بكر بن جزي⁷. وهناك من أخذ عنه القراءة كأبي عبد الله ابن الصفار المراكشي⁸ وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرج الطرسوني الغرناطي⁹.

وهكذا لو تتبعنا سيرة جميع تلاميذه لرأينا فيهم الأديب والمحدث والعروضي والفقيه والمقريء واللغوي والنحوي ويحتمل أن يكونوا تأثروا بمذهب أستاذهم وعلمه في قليل أو كثير¹⁰.

¹: نفسه ص: 63.

²: فهرست المنتوري ص: 64.

³: نفسه.

⁴: نفسه ص: 68.

⁵: نفسه ص: 68.

⁶: نفسه ص: 101.

⁷: نفسه ص: 220.

⁸: نيل الابتهاج ص: 254.

⁹: نيل الابتهاج ص: 233.

¹⁰: انظر تلاميذ ابن رشيد وترجمتهم في دراسة الرحلة.

المبحث الثالث: خلق ابن رشيد ومزاجه

كان ابن رشيد حسن الخلق كثير التواضع رقيق الوجه، متحملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة¹.

وكان ورعا مقتصدا منقبضا عن الناس ذا هيبة ووقار، يسارع في حوائج الناس يجلب المصالح ورد المفساد، يوتر على الفقراء والغرباء والطلبة، لا تأخذه في الله لومة لائم².

وقال عنه تلميذه أبو البركات بن الحاج البليقي: "وكان حسن العهد كريم العشرة برا بأصدقائه فاضلا في جميع أحواله"³.

ويتجلى لنا طبع ابن رشيد ومزاجه وخلقه من خلال كثير من النصوص الواردة في الرحلة ومن خلال اتصاله بشيوخه وعلاقته بهم، فقد كان يطري من رأى فيه السمو في النفس والتواضع والخلق الكريم، ولكنه كان يحكم حكما قاسيا على كل من يصدر منه فعل لا ترتاح إليه نفسه، ولا يطمئن إليه قلبه، وينفر ممن في طبعهم كبر أو شراسة وهو في كل ذلك يربط بين العلم والخلق.

فهو لم يقرأ مثلا على الشرايبي المتطرب غير حديث واحد زاهدا فيه لأنه شيخ في أخلاقه شكاسة وكبر وعدم فهم⁴.

ولم يرد أيضا أن يخرج الحديث عن شيخه بالاسكندرية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن حسين بن علي المعروف بابن التونسي، من أجل شهادته في المكوس وقد قال عنه: "هذا الرجل أبو عبد الله ابن التونسي، أصلحه الله ووفقه، يشهد في المكوس، فلم نر

¹: الإحاطة 125/3 وسلوة الانفاس 191/2.

²: الدرر الكامنة 229/4 ترجمة 4127.

³: ازهار الرياض 347/2.

⁴: الرحلة 2/3.

أن نخرج عنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم¹. "وقد قال عليه الصلاة والسلام: لا يدخل صاحب مكس الجنة. وذلك لما فيه من النقص والظلم².

وكان يتحامى حضور مجلس أبي العباس أحمد بن يوسف الفهري لضجر في خلقه وكان الفهري أحد الأعلام المشهورين بتونس، ولكن لحفته وصعوبة خلقه ربما تحاماه الأصحاب من أجل ذلك³. ولم يرو عنه ابن رشيد عندما لقيه بتونس للمرة الثانية إلا القليل مع أن الفهري هذا كان شديد البر به كثير التحفي متى لقيه وهو يقول له أنت من بلادي⁴.

أما أولئك الشيوخ الذين كانوا ذوي مروءة وتواضع فكان يعجب بهم ويستأنس بلقائهم ويطمئن للأخذ عنهم والاستفادة منهم ويظهر ذلك من خلال قوله:

"وممن لقيته بتونس الفقيه الفاضل أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد التجيبي شهر بابن الحاج، لقيته بالممر الكبير بالعطارين، فما شعرت إلا وقد ارتجل عن دابته وأبدى من البر والتحفي ما ناسب كماله وفضله وذاته الشريفة وأخلاقه الكريمة ثم بعد ذلك تكرر لقائي به وكان لي سرياً حقيقياً رضي الله عنه⁵. "فلو لم يلمس فيه ابن رشيد ذلك التواضع الذي يختص به العلماء لما أعجب به.

ويتجلى خلقه أيضاً في لقائه بابن النحاس الحلبي بمصر القاهرة، إذ لما حضر مجلسه⁶ واستفسره عما قرأه في المغرب على أبي الحسين بن أبي الربيع قال له: "اعبر إلى جانبي" فامتنع ابن رشيد حياء من شيخه الذي كان له في ذلك الوقت هيبة وسمت. ولما عزم عليه في ذلك أقعده إلى جانبه. ولكن ابن رشيد قعد منقبضاً منضماً حياء منه وإغضاء من مهابته. فقال له الشيخ: اجلس متسعاً... ولما تمادى ابن النحاس الحلبي على الاقراء أثناء اقباله على من بين يديه من التلاميذ، اغتنمها ابن رشيد فرصة

1: الرحلة 3/3.

2: جلاء العينين للأوسى البغدادي ص: 237؛ وأصل المكس الخيانة، المراد هنا العشار، والبخس والنقص، والمماكسة في البيوع إعطاء النقص في الثمن. انظر مشارق الأنوار للقاضي عياض ص: 379 ط: بيروت.

3: الرحلة 63/6.

4: انظر نسب ابن رشيد وأصله.

5: الرحلة 10/2.

6: الرحلة 23/3.

فاختلس الكلام مع الذي كان عن يمينه اختلاسا وقال: من الشيخ؟ فقال له: بهاء الدين ابن النحاس. فالتفت الشيخ وقد وثب ابن رشيد بين يديه فقال له لم؟ ارجع إلى موضعك، فقال: يا مولانا لم يعرف المملوك بين يدي من هو، ولو علم ما جلس هذا المجلس ولا تكلم، فعزم عليه في العود إلى مجلسه فعاد وأشار له بالاطمئنان فاطمأن.

فهذا نوع نادر من إجلال الأساتذة واعظامهم، ثم إن هذا يذكرنا بآداب أهل الاملاء والاستملاء عند المحدثين وطلبة العلم المتخلفين بالخلق العظيم والمتحليين بحلى المريدین وحللهم¹.

وان ما يعطينا الدليل الواضح على سمو خلق ابن رشيد وإجلاله للأستاذ الشيخ ما نقده على طلبة مصر آنئذ: إذ بينما هو كذلك في المجلس السابق قدم شاب ليقرا دولته على الشيخ ابن النحاس فقال له الشيخ: "دع دولتك اليوم فإنني لم انظر فيها". فقال له الشاب: "ومثلك يا مولانا يحتاج الى نظر في مثل دولتي". أو نحو هذا من الكلام. فرد عليه الشيخ: هب أن الأمر كذلك فدولة منظورة خير من دولة غير منظورة.

فقضى ابن رشيد العجب من هذه الحادثة التي آلمته لأنه سمع من ذلك الطالب ما يشبه الوقاحة والصفاقة في رده النابي على شيخه الموقر المحترم الذي كانت تعنو له الجباه في الشرق والغرب. وبهذا أعطانا دليلا على أن مثل هذا الخلق لم يكن عند طلبة المغرب، لأن ذلك كان يعد من النقص الكبير والجهل الكثير الذي جبل عليه طلبة القاهرة وقتئذ.

وهذه أيضا صورة واضحة عن طرق التعليم والتربية في المشرق في القرن السابع الهجري بين لنا ابن رشيد حقيقتها ووجوه ملاساتها.

ويتجلى لنا خلقه أيضا من خلال ما قام به بعد أن انفصل المجلس بعد هذه الحادثة: إذ لما دنت الشمس للغروب قام الشيخ فشيعة ابن رشيد إلى باب المسجد، ووقف ليستوي شيخه على مركوبه، وبعد ذلك ضرب معه موعدا في الغد ليتقيا بالقاهرة في

¹: انظر في هذا الشأن كتاب ادب الاملاء والاستملاء للإمام السمعاني ص: 49. وجامع بيان العلم وفضله للنمري ص: 151 والخلاصة في أصول الحديث للطبري ص: 143.

مسجد الأقمر. وهذا دليل آخر على ذلك الاتصال الوثيق بين الأستاذ والطالب، وتلك الصلة الروحية الحميمة بين رجال العلم خاصة.

وينتجلى أيضا خلقه المذهبي ورفضه للتعصب الأعمى والعمل على الخروج من الخلاف الذي كان في عهده أساسا لكثير من الخصومات والفتن العقدية في ما وقع بينه وبين شيخه ابن دقيق العيد¹ الذي حف به جمع الطلاب، وقد عرضت عليه ورقة سئل فيها عن البسمة في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وكان السائل فيما ظنه ابن رشيد مالكيا، فمال شيخه في جوابه مع قراءتها للمالكي خروجا من الخلاف في إبطال الصلاة بتركها وصحتها مع قراءتها، فأيده ابن رشيد فيما مال إليه الشيخ وهو عارف أن ابن دقيق العيد أستاذ للمذهبين بالمدرسة الصالحية، ثم إنه كان يعلم أنه لو سأله شافعي لخرج من الخلاف بالميل إلى جانبه كذلك².

ولا شك في أن هذا الخلق الكريم هو الذي دفع الملوك والخاصة والعامة إلى العرفان بقدره وتعظيمهم إياه ولقائه البر منهم³.

¹: الرحلة 58/3.

²: انظر مذهب ابن رشيد وعقيدته من هذا البحث.

³: الإحاطة 135/3.

المبحث الرابع : ملامح عن مذهب ابن رشيد في الفقه والزهد والتصوف

أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن ابن رشيد كان على مذهب أهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول¹، والسبب في ذلك راجع إلى أن جماعة السلف² كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه صفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية³. ثم أن ابن رشيد كان يرى ما يراه مالك بن أنس الذي يقول: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة⁴. وعلى هذا الرأي كان ابن حنبل وسفيان الثوري وداود الاصفهاني ومن تابعهم، بل أن هناك من كان يرى أن التأويل عدو كل الأديان⁵، وقد قال الغزالي عنه: "وإن كان التأويل محتমা فقد تجتمع قرائن تدل على فسادة"⁶. ويروي ابن قَيِّم الجوزية عن أبي المعالي الجويني في الرسالة النظامية أن السلف ذهبوا إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتقويض معانيها إلى الرب تعالى، لأن ما كان يرتضيه رأيا ويدين به عقد اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع⁷. وقال أبو عمرو يوسف النمري: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة"⁸. وابن رشيد متمسك بالسنة عدو للبدع محافظ على الطريق فقد انتقد بشدة ومراة ما رآه بعرفات في المبيت ليلة التاسع من ذي الحجة، وتعجب مما ابتدعته العامة من الاستعداد والاحتفال بوقد الشمع بطول تلك الليلة بالجبل القائم في وسط عرفات واختلاط النساء بالرجال. وقد نبه على ذلك الإمام

¹: الدرر الكامنة 229/4 ترجمة 4172 وفهرس الفهارس 332/1.
²: المال والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ط: 2 بيروت 1395- 1975 ج: 42/1، 92.
³: أصول الدين للإمام أبي عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ط: 1400 هـ ص: 109- 111.
⁴: المال والنحل للشهرستاني 93/1 وأصول الدين للتميمي ص: 112.
⁵: اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية 316/4- 319 وشرح حديث النزول لابن تيمية ط: 5، 1397 ص: 80، ورفع الملام عن الأئمة الاعلام لابن تيمية ط: 4، 1392 بيروت. ص: 61. وجلاء العينين ص: 104.
⁶: المستصفي من علم الأصول للغزالي ط: 1، 1356 ج: 158/1.
⁷: اعلام الموقعين 311/4. وانظر تعريف أصحاب أهل الحديث في اضعاف المجتهدين: المال والنحل للشهرستاني: 206/1 وتنوير الحوالث للسيوطي ص: 3 والاعتصام لأبي اسحق بن محمد الشاطبي ج: 46/1.
⁸: جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر بن عبد البر النمري 118/2 والاعتصام 355/2 وتلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي باب: 2 ص: 11- 18.

أبو عمرو بن الحاجب الفقيه المالكي وبين قبح هذه الحالة التي استحسنتها العامة وبين ما أخطأ فيه الناس من الأمور التي يقومون بها في هذا الجبل¹.

ويقول مستنكرا ما تبندعه العامة في موقف النبي(ص):

"وأما الآن فتصبح تلك العرصات المشرفات وقد ملئت فضلات آدميات وبهيميات وإن شئت قل في الجميع بهيميات، وقد جهدنا أن نجد موطنا للصلاة طاهرا فما وجدناه إلا أن يصلي على حائل يوضع على الأرض حتى على الصخرات المباركات ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومما تطوفنا عليه أيضا مسجد إبراهيم الذي كانت الصلاة تجمع فيه قبل أن تغير الأمور ويضعف الأمر بالمعروف ويخاف الناهي عن المنكر، وحائطه القبلي على بطن عُرنة، وضبطه بضم العين وفتح الراء والنون، ويقال له أيضا مسجد عرنة، ولم يتمكن لي النزول في المسجد وإنما صعدت على حائطه الموالي لعرقة إذ هو الآن دون ثقيف خيفة من سلب ثوابي أو أشد من ذلك².

وإن هذا النص ليدلنا أيضا على ما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية في عصر ابن رشيد من تغير الأمور وفساد الأوضاع وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما معتمد ابن رشيد في شرح البخاري فكان أبا عمرو الصفاقسي المعروف بابن التين الممزوج بكلام المدونة وشرحها³.

أما مذهبه في الفقه فكان يفضل رواية ابن القاسم عن مالك على غيرها⁴، لأن ابن القاسم ليس عنده من غير مالك إلا القليل فأمن الاختلاط في حديثه بحديث غيره أو قارب فكان أقرب إلى السلامة مع شدة اختصاصه بمالك رحمه الله، وقد بين ذلك أبو الحسن القابسي في صدر كتابه بيانا شافيا وقال في جملة كلامه:

¹: الرحلة 17/5.

²: الرحلة 18/5.

³: شجرة النور الزكية 168/1 (ترجمة الصفاقسي ع: 528) وهدية العارفين 635/1 وانظر أيضا دعوة الحق ع: 1 س: 17 ص: 62 (صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواية الأولين ورواياته وأصوله للأستاذ محمد المنوني، وانظر أيضا نفس العدد ص: 84 (صحيح البخاري بالغرب الإسلامي للأستاذ سعيد اعراب. وانظر أيضا دعوة الحق ع: 7 س: 17 ص: 19 (مصادر مغربية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني للأستاذ سعيد اعراب.

⁴: الرحلة 27/6.

"وقد سمعت أبا القاسم حمزة بن محمد الكتاني يقول إذا اختلف الناس عن مالك فالقول ما قال به ابن القاسم"¹.

وإذا عرض لابن رشيد مسألة فقهية فإنه يسأل شيوخه فيها ليأخذ برأيهم، وهذا ما فعله عندما شارف مزدلفة: فقد قال لشيخه أبي علي بن عمر بن الصواف: أنه ليس على وضوء وليس له ماء، فأشار عليه الصواف باتباع الحكم الشرعي إن وجد الماء وإلا فالصعيد الطاهر، ولا شك في أن الصواف يقتدي بهذا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه كان يتييم بالصعيد ثم يصلي². فقد ذكر ابن حنبل في مسنده، أن الصعيد الطيب طهور³. ونلاحظ أن ابن رشيد وشيوخه لا يخرجون عن السنة النبوية السمحة، فهم بنورها مهتدون وبهديها مقتدون.

وقد أشار بعض من ترجم لابن رشيد إلى أنه كان ظاهري المذهب⁴، ولكن المعروف أنه كان مالكيًا، وإذا عرفنا أن المذهب المالكي تعرض لامتحان شديد في عهد الموحدين حين ظهر المهدي بمذهب جديد هو مزيج من الأشعرية والإمامية والظاهرية ومن آراء الإمام الغزالي، وحتى من الاعتزال، ثم إن الموحدين كانوا يضطهدون الفقهاء المالكيين⁵، فإن الفقهاء المالكيين لم يفتؤوا يقومون بنشاطهم ويمارسونه بعد أن أخذ الانهيار يدب في جسم الموحدين في آخر عهدهم. أما في العهد المريني فإن هذا المذهب عاد إلى قوته ونشاطه.

وإذا عرفنا أن المذهب الظاهري يبطل القياس في الدين جملة ولا يجوز الحكم عندهم في شيء من الأشياء إلا بنص من كلام الله أو نص للنبي (ص)، أو ما صح منه من فعل أو إقرار أو إجماع، فإن مالكا كان يأخذ في اعتباره مصادر كثيرة لفقهه، ومن

¹: ترتيب المدارك 244/3 ووفيات الأعيان لابن خلكان 29/3.

²: الرحلة 19/5.

³: صحيح مسلم بشرح النووي 61/4.

⁴: أزهار الرياض 350/2 وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني 332/1 ت: 3018.

⁵: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري ص: 15 و21 والشهرستاني هامش كتاب الفضل لابن حزم 57/1.

ذلك القرآن والسنة النبوية ويأخذ بفتوى الصحابة وبالإجماع ويعمل أهل المدينة، وإذا لم يجد مالك نصاً أخذ بالقياس والاستحسان والعرف وسد الذرائع والمصالح المرسلة¹.

وباستقراء كتب ابن رشيد المشهورة وهي الرحلة وإفادة النصيح والسنن الأبين يتحصل لنا أنه كان لا يرجع في آرائه إلى داود الظاهري أو ابن حزم بقدر ما نجد ذكر مالك بن أنس هو أكثر تواتراً في أسانيد رواياته، ولا نجد ذكراً للظاهري أو الظاهرية إلا في معرض ذكر جمال الدين بن الظاهري ونفي اللبس عنه في تحقيق اسمه².

وأما اسم مالك بن أنس وموطئه فقد وردا كثيراً في الرحلة وذلك في أزيد من عشرين موضعاً، وذلك مثلاً ما جاء في مسلسل أطعمني وسقاني³، وفي حديث أنا محمد وأنا أحمد⁴ وفي مسألة عدم شهادة مالك الجمعة والعذر في ذلك⁵، وفي شعر أبي العباس الكناني الذي مدح به ابن رشيد⁶، وفي أن زكاة الفطر واجبة وانفرد مالك بكلمة (على المسلمين) في ذلك الحديث⁷، وفي سلسلة حديث النهي عن النجس⁸، وفي حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له... الحديث⁹، وفي أن الأحاديث الأصول تدور على ستة نفر من الأئمة المشهورين¹⁰. وأما موطؤه فقد ورد في مواضع كثيرة منها ما في مرويات أبي بكر بن حبيش وسنده¹¹، ومرويات أبي محمد الخلاسي¹²، وحديث المضمضة والاستنشاق وخروج الخطايا من الأنف¹³، ومرويات الشريف الكركي¹⁴، ومرويات أبي

¹: مقدمة تنوير الحوالك ج: 2/1-3.

²: الرحلة 97/3.

³: الرحلة 49/2 مكرر.

⁴: الرحلة 40/2.

⁵: الرحلة 53/6.

⁶: الرحلة 94/6.

⁷: الرحلة 11/6.

⁸: الرحلة 49/3.

⁹: الرحلة 45/3.

¹⁰: الرحلة 57/7.

¹¹: الرحلة 4/6 و 53/2.

¹²: الرحلة 53/2.

¹³: الرحلة 10/5.

¹⁴: الرحلة 69/5.

فارس التميمي¹ وابن الغماز²، وابن عبد القادر البجائي³، وأبي الحسن بن رزين⁴، وأبي القاسم الفحصلي⁵ وأبي الحسن الساعدي الحزرجي⁶.

وإذا تركنا الرحلة وذهبنا إلى تصفح كتابيه المطبوعين: إفادة النصيح والسنن الأبين فإننا لا نجد للظاهرية ولا لداود ذكرا فيها.

ويظهر من خلال النصوص الواردة في الرحلة أيضا أن ابن رشيد كان فقيها أصيل النظر⁷ ميالا إليه، ولكنه مع ذلك لا يتعصب لرأيه، ويتجلى ذلك في بعض مناقشاته لمسائل الفقه والخلاف، وقد جرى كلام بينه وبين شيخه أبي محمد بن عبد القادر البجائي التونسي في مسألة النضح في الطهارة، واستفتى ابن رشيد أبا محمد في تلك المسألة فأجابه⁸ بما يفيد أن هذا الشيخ كان يماشي تلميذه على طريقة النظر ويسامحه في الاحتجاج للمنصور، وإن كان ليس بالمشهور⁹. أما ابن رشيد فيرى أنه "لا يخلو أن تتحقق النجاسة، ويشك في الحصول أو يشك في النجاسة، أو يتحقق الحصول أو يشك فيهما، فإن شكَّ فيهما فلا نضح، وإن شك في الحصول لم يلزم النضح، وإن شك في النجاسة وتحقق الحصول وجب النضح"¹⁰. ثم ظل ابن رشيد يفكر في تلك المسائل التي تعرض له ولا يقنع بأجوبة المجيبين ولا يطمئن إليها ويظهر ذلك في قوله:

"ولي في النية العامة سؤال شديد قد عرضته على غير واحد من نبلاء الأصحاب، فاستصعب السؤال عنه وأجاب بعضهم بما هو ضعيف، ولم يتفق لي عرض هذا السؤال على الشيخ (البجائي) لأنه لم يخطر ببالي إلا بعد مفارقتة، ولكن سؤالي عن

¹: الرحلة 7/6.

²: الرحلة 10/6 و 11/6.

³: الرحلة 29/6.

⁴: الرحلة 64/6.

⁵: الرحلة 52/7.

⁶: الرحلة 8/3.

⁷: نيل الابتهاج 283 وانظر أيضا ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 18 ص: 17.

⁸: الرحلة 33/6.

⁹: انظر المعجب للمراكشي 417 وكتاب عصر المنصور الموحدي لمحمد الرشيد ملين مطبعة الشمال الافريقي ص:

242.

¹⁰: تنوير الحوالك 63/1.

المسألة له هو الذي حرك عندي ذلك. وقد جمع فضلاء أصحابنا ونبلأؤهم سؤالي وجوابه وجواب الأصحاب، فمن تشوف إليه ليقف عليه فليطلبه".

وليتنا حصلنا على تلك الأسئلة والأجوبة لمعرفة رأيه الصريح فيها واستنتاج عناصر مذهبه من خلالها.

ومن عمله بالنظر والتوفيق بينه وبين الظاهر ما ورد له في هذه المسألة الفقهية التي نوردها بنصها لدلالاتها القيمة في هذا الموضوع.

"بالإسناد إلى البخاري في الثلاثيات"

انا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها.

قلت (ابن رشيد) يعني الجدار القبلي وكذلك كان أيضا مقدار قوله من الجدار الغربي، وأما الآن فليس كذلك لكون الزيادة حصلت من جهاته الأربع.

وتعرض هنا مسألة فقهية وهي:

هل ينسحب الثواب المحدود في قوله (ص): صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام - على الزيادة أو يختصر ذلك بساحة المسجد الأصلي؟. ثم زاد موضحا: ظاهر الإشارة يقتضي أن ذلك للمشار إليه في ذلك الوقت وواسع الفضل ومقتضى الانسحاب على جميع المسجد والله أعلم¹

ومما يدل أيضا على ابن رشيد كان لا يتعصب لاعتقاده ولا ينتطرف فيه ما حدث له في مقربة من عين تبوك: فقد اتفق له هناك أن أخذ يسيرا من لواء اصل شجرة كان يزعم الناس أنه صلى الله عليه وسلم قعد هناك فاخضرت الشجرة، ولما رأى ابن رشيد بعض من حضر هناك أخذ شيئا منها متبركا، فعل مثله، وحينئذ أقبل إليه رجل لم يعرفه قبل ولا بعد فقال له: حتى أنت تفعل ذلك؟! فقال له ابن رشيد ولم؟ وما تنكر من ذلك؟ فقال ذلك الرجل: إن كَانَ حقا ما ذكر فيقتفي الناس بك في الأخذ منها فيفنيها

¹: الرحلة 8/5 وصحيح البخاري 76/2.

الناس فيذهب هذا الأثر المبارك فتكون سبب إذهابه والا يكن فيقتفي الناس بك في باطل أو معنى هذا الكلام. وبعد ذلك لم يناقشه ابن رشيد في هذه المسألة بل شكره وانصرف ذلك الرجل¹.

وفي هذه القصة لا نجد في ابن رشيد ذلك المصلح الذي يحارب البدعة بكل ما أوتي من قوة مثلما وجدناه في استنكار فعل الحجاج من إيقاد النار في عرفة ونشر العذرة في العرصات الشريفة وغير ذلك من اختلاط النساء بالرجال وتزاحمهم وكشفهن عن وجوههن².

ومما يذكر عنه أيضا أنه كان يسر البسملة³ في الصلاة، ولهذا أنكروا عليه ذلك. وقد ورد في الرحلة مناقشة مهمة في هذه المسألة مع شيخه ابن دقيق العيد، وذلك على مذهبي الإمامين مالك والشافعي⁴، فحسب مذهب مالك يكره الإتيان بالتسمية في الصلاة المفروضة سواء كانت سرية أم جهرية إلا إذا نوى المصلي الخروج من الخلاف⁵. وقد نبه الإمام أبو عبد الله القرطبي على أن مذهب مالك يترجح بوجه عظيم، لأن مسجد النبي صلى الله وسلم بالمدينة انقضت عليه العصور ومرت عليه الأزمنة والدهور من لدن رسول الله صلى الله وسلم إلى زمان مالك ولم يقرأ فيه قط "بسم الله الرحمن الرحيم" اتباعا للسنة⁶ وذكر القرطبي أيضا أنه قد ذهب جمع من العلماء إلى الإصرار بها في الفاتحة، منهم أبو حنيفة والثوري، وروي ذلك عمر وعلي وابن مسعود وعمار وابن الزبير، وعلق على ذلك بقوله: "وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد ويخرج به من

¹: الرحلة 3/5.

²: الرحلة 17/5.

³: الدرر الكامنة 229/4.

⁴: الرحلة 58/3، بداية المجتهد 89/1 لابن رشيد دار الفكر بيروت والبحر الزخار 60/1.

⁵: الرحلة 58/3-59-60، والفقهاء على المذاهب الأربعة لعبد الرحمان الجزيري ط: 2 بيروت 257/1، والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع ص: 5-26.

⁶: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ط: 2/ 1952 ج: 1 95/1، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ط: 2، 1387 ج: 2/1.

الخلاف في قراءة البسملة¹. "وفي كتاب المستدرك للإمام النيسابوري أحاديث تفيد الجهر بالبسملة².

وذكر الحازمي في كتابه أن من ذهب إلى الإسرار اختلفوا من جهة الدلالة بدليل أنه صلى الله وسلم لم يزل يخفت منذ أمره بالصلاة إلى أن قبض³.

وبهذا يرجح أن ابن رشيد أراد بإسرار البسملة الخروج من الخلاف الذي كان دائرا حولها واعتبارها آية أولا⁴.

وذكر أيضا أن ابن رشيد يسكت لدعاء الاستفتاح والأرجح في ذلك أنه عند المالكية مكروه، وذلك لعمل الصحابة على تركه على المشهور⁵ وذلك خلافا للشافعية⁶.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أنه رغم مالكيته كان يخرج على المذهب اعتمادا على بعض الأحاديث واقتناعا بذلك.

موقف ابن رشيد من التصوف:

كان الصراع شديدا بين أهل السنة والصوفية في القرنين السادس والسابع الهجريين ويتجلى ذلك في ما قدم به أبو الفرح عبد الرحمان بن الجوزي (توفي 597 هـ) في كتاب (تلبيس إبليس)⁷ في أخذ أهل السنة على الصوفية والتصوف مسائل كثيرة⁸.

وجاء ابن تيمية (ت 728 هـ)، وكان معاصرا لابن رشيد فعرض للتصوف والصوفية وأنكر ما أنكره ابن الجوزي ولكنه أقر بكرامات الأولياء مستندا في هذا إلى

¹: الجامع لأحكام القرآن 96/1-97.
²: المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ط: بيروت ج: 233/1 والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج: 25/1.
³: الاعتبار في النسخ والمنسوخ لأبي بكر الحازمي ص: 81.
⁴: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية 52/1 والفقه على المذاهب 255/1.
⁵: كتاب الأم للإمام الشافعي (كتاب الشعب) 91/1-92.
⁶: ابن الجوزي وكتابه تلبيس إبليس مصدران من مصادر ابن رشيد في رحلته.
⁷: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن 2 د. عبد الرحمان بدوي الكويت 1974 ص: 72 وترتيب المدارك ج: 1 المقدمة ص:
⁸: العفيف التلمساني من شيوخ ابن رشيد في دمشق ولكن لا نعرف رأي ابن رشيد فيه لفقدان الجزء الخامس من الرحلة، وكان ذا طريقة خاصة في التصوف، انظر ترجمته ص: 366. فيمن لقيهم بدمشق. وانظر أيضا مقدمة ابن خلدون طبع بيروت ص: 473.

القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، ولكن ابن تيمية هاجم بعنف ذلك التصوف الذي يرى وحدة الوجود والحلول كما عند الحلاج وابن عربي (ت 638 هـ) والعفيف التلمساني (توفي 690 هـ) وصدر الدين القونوي (ت 729 هـ).⁴

ولا يمكن أن يكون ابن رشيد غافلاً عن هذا الصراع العقدي، فلقد اتصل هو نفسه بكثير من المتصوفين وذكر أخبارهم وما رواه عنهم، ونذكر من شيوخه المتصوفين مثلاً أبا جعفر اللبلي وابن زيتون وابن حبيش وأبا محمد المرجاني وأبا عبد الله السلاوي وأبا بكر القسطلاني وأبا الصفاء خليلاً المراغي وشهاب الدين ابن الخيمي وأبا عبيد الله الخراساني التلمساني وعفيف الدين التلمساني وأبا العباس بن سرور المقدسي. وعرفنا أنه لبس خرقة التصرف من بعض هؤلاء كأبي بكر القسطلاني الذي لبس منه أيضاً طاقية على رأسه في العشر الأول من شعبان عام 684 هـ بعد أن لبسها القسطلاني من الإمام العارف الزاهد أبي طالب عبد المحسن بن فرامرز عبد الغفار الحنفي الأبهري المشهور.¹

ولبس الخرقة كذلك من أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالخراساني التلمساني الدار وهو شيخه بالقاهرة المعزية وذلك يوم الجمعة 4 شعبان 684 هـ.²

ولكن يظهر من خلال ترجمة ابن رشيد لشيوخه الصلاح والزهاد والمتحلين بجلى الصوفية أن اتصاله بهم كان في الأغلب لأخذ الحديث أو الاستفادة منهم في مسائل أدبية أو أصولية، إذ لا نجد في الرحلة ما يشير إلى مسائل اعتقادية صريحة أو مجوثة في قضايا فلسفية أو تصوفية إلا النزر اليسير، وذلك مثل مناقشة مسألة الدروزة³ مع شيخه أبي بكر

¹: الرحلة 110/3، ولكن لا ندري لبس منه خرقة الإراة أم خرقة التبرك، وانظر شيوخه أيضاً في القاهرة المعزية.
²: الرحلة 95/3.

³: انظر عن الدروزة كتاب: الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ للدكتورة طيبة صالح الشيدز ص: 15. نشر دار قباء 1998، وكتاب: العقيدة والشريعة لكوند تسيهر (الفهرس) ص: 216-218، 365 وصفحة 58 خاصة.

القسطلاني الذي حرر له في تعريفها تحريراً مطولاً كتبه له بخطه وذلك بالقاهرة في 16 من شهر رجب من سنة 684 هـ¹.

ولدينا نص واضح نفهم منه كثيراً من التيارات التي كانت تتفاعل في عصر ابن رشيد ولا بد من أن يكون متأثراً بها قليلاً أو كثيراً.

فقد ورد في الرحلة ذكر لمذهب محمد بن الحسن، ومذهب أهل الرأي²، وذكر لأمرأ الطوائف³، وأصحاب ابن طبرزد⁴ في الشام ونستفيد من ذلك النص أن ابن رشيد التقى بالشيخ المحدث جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري ويعرف بابن الظاهري نسبة إلى الملك الظاهر ملك حلب لا إلى المذهب، وكان له رباط وخزانة كتب كبيرة ومعرفة بالتفسير وفقه على مذهب أهل الرأي وظن ابن رشيد أنه كان على مذهب محمد بن الحسن. ولما أراد ابن رشيد السفر إلى الشام كتب له. ابن الظاهري هذا كتباً إلى أمرأ الطرائق وإلى بعض أهل دمشق فانتفع بكتبه شكره الله وجزاه خيراً ودفع له جزءاً كبيراً انتقاء من الأجزاء المعروفة بالغيلانيات⁵ ليسمعه على أصحاب ابن طبرزد وقال ابن رشيد: "فبلغت الغرض من ذلك والحمد لله"⁶.

ومن المسائل المذهبية أيضاً ما جرى بين ابن رشيد وبين شيخه الشريف الكركي من المباحثة في مسألة تحقيق الكسب⁷: إذ إن الشريف يرى "أنها إطلاق لغوي من حيث

¹: الرحلة 112/3، ونص السؤال: "ما يقول السادة الفقهاء وفقهم الله بطاعته وأعانهم على مرضاته في الدروزة هل هي مباحة مطلقاً أو لا تباح إلا مع استغراق الزمان والعبادة مع القدرة على الكسب أم لا؟". والسؤال طويل. ونظر من هذا البحث بعد.

²: إن تدوين المذهب الحنفي كان الفضل فيه للإمام محمد بن الحسن الشيباني (132-189 هـ)، وقد أخذ العلم من مدرسة العراق ولكنه رحل إلى المدينة واتصل بأهل الحديث وأخذ عن الإمام مالك وهكذا تطعم ببعض أقوال مدرسته، وطعم هو أيضاً من جاء بعده من التلامذة أمثال الشافعي وأسد بن الفرات المالكي وغيرهما، انظر ترتيب المدارك 34/2 وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابن نعيم الإصفهاني ط: 1387 بيروت ج: 85/9، والمغني في الضعفاء للحافظ الذهبي ط: 1 بيروت 71 و1 ج: 567/2 ترجمة 5403 (ضعفه النسائي من قبل حفظه)، الفتح المبين في طبقات الاصوليين لعبد الله مصطفى المراغي ط: 2- 1394 بيروت 110/1.

³: الرحلة 97/3.

⁴: هو موفق الدين أبو حفص عمر بن طبرزد الدارقزي 516 - 607 هـ كان عالي الإسناد في سماع الحديث انظر ابن خلكان 452/3 ترجمة 499 وشذرات الذهب ج: 26/5.

⁵: الغيلانيات: هي فوائد حديثية من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي رواية أبي طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز (ت 354 هـ) وهي من موالي البغداديين، كشف الظنون ج: 1214/2.

⁶: الرحلة 97/3.

⁷: الرحلة 68/5.

إن العبد صدر منه ذلك الفعل على وجه الاختيار في الظاهر فنسب إليه وأنه في الحقيقة مجبر". وقد عقب ابن رشيد على هذا... بقوله: "هذا الذي قاله الشريف ليس بحث الأشعرين عليه". ويظهر من ذلك أن ابن رشيد يعتقد أن الإنسان لا يكون خالقا لكسبه، وهذا مذهب الأشعرين¹، لأن الكسب هو صفة العبد الذي لا يعلم تفاصيل فعله من كل وجه ولا يحيط إلا ببعض وجوه الفعل، أما الخلق فهو صفة الرب لكونه تعالى عالما بفعله، وعلمه محيط به من كل وجه². وقد قال الأشعرية أن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدث فيكون كسبا لمن وقع بقدرته³. وأما المعتزلة فقالت إن العبد قادر على الإحداث والكسب معا بينما قال جهم بن صفوان إن العبد لا يقدر على إحداث ولا على كسب شيء⁴ بينما سلك الأشعريون طريقا بينهما فقالوا: إن العبد لا يقدر على الإحداث ويقدر على الكسب⁵.

أما مذهبه في الإجازة والتحمل، فإنه لا يريد أن يشوبها الالتباس أو أن تختلط بها الكلمات المهمة الغامضة أو الجمل والعبارات التي فيها إجمال أو اشتراك. ويظهر من ذلك في ما أخذه على شيخه تقي الدين ابن دقيق العيد في نص إجازته له فيقول⁶:

"أجاز لي غير مرة ولأولادي محمد وعائشة وأمة الله، ونص ما كتب جريا على عادته من التقيد: (أجزت لمن سمي في هذا الاستدعاء أن يروي كل منهم عني ما حدثت به من مسموعات وما أجز لي وما قلته وصنفته نظما ونثرا وكتب محمد بن علي بن وهب القشيري) وجرت عادته أن يضبط ما حدث بفتحة مقصودة وإن كان أهملها فيما كتب لي في بعض مكتوباته، فقد ضبطه في بعضها، ومقصوده بذلك أن لا يروي عنه في

¹: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ط: 2 القاهرة 1389 ج: 219/2-221.

²: مقالات الإسلاميين 340/1، وأصول الدين للتميمي البغدادي ص: 133-137، ونشأة الأشعرية وتطورها لجلال محمد بن عبد الحميد موسى بيروت 1975 ص: 235، 237.

³: مقالات الإسلاميين 221/2.

⁴: أصول الدين 333 والشهرستاني 87/1.

⁵: مقالات الإسلاميين 221/2 وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلابادي بيروت 1400 ص: 46-48، والعقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ط: 4 1398 ص: 493 وكتاب الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني بيروت 1399 ج: 21/2، وكتاب فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. لويس غاردييه وج. قنواطي ط: 1 بيروت: 1967 ج: 149/1.

⁶: الرحلة 62/3 وفي المزهر علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي 144/1 معرفة طرق الأخذ والتحمل وأمثلة ذلك.

المسموعات إلا ما حدث به إذ يكون في بعض مسموعاته ما لا يرى التحديث به لكثرة الخلل الواقع في كيفية السماع عندهم ولعدم الضبط ولحن القارئ واعتراء النوم من السامع والمسموع عليه وأكثر ذلك ضررا وخللا بسرعة القارئ فلذلك كله احتسب في الشرط.

ثم بعد ذلك سأل ابن رشيد ذلك السؤال المستوضح: وما أدري ما أراد بقوله "وما أجز لي" وما بعده العطف على ما، فلا يشترط "أو على مسموعاتي" فيشترط فيها ما اشترط في المسموع من أنه لا يروي عنه من ذلك كله إلا ما حدث به، وقد يظهر هذا من حيث العطف على أقرب مذكور، ولم استفسره عن هذا، وإدخال الشرط في المجاز والمقول ممكن إذ قد يكون من ذلك ما لا يريد لترويته.

وبعد أن فصل ابن رشيد في كيفية التحمل ومناقشة نص إجازة شيخه وتوضيح ما فيه من الملابس والإبهام اتبع ذلك بقوله¹:

والفيصل عندي في ذلك أن يأتي بعبارة صادقة على الواقع من حيث المعنى في الجملة، هذا إذن الواجب في ذلك إلا أنه قد يقع في بعض العبارات إجمال واشتراك فالأولى، بمختار التحري، أن يحرر عبارة تنبئ عن الواقع في الوجود على حكم التفصيل لا على حكم الإجمال. ولترسم في ذلك أمثلة يحتذى على مثالها وينسخ على منوالها:

"كتب لنا فلان محاضرة في الجملة دون التفصيل قال كتب إلينا فلان مغاية في الجملة من مدينة كذا وإن كانت الإجازة مشافهة بالنطق دون الخط قل مشافهة، وإن كان يدفع الكتاب قلت مناولة ومبادأة في الجملة، إن شئت أذن لنا فلان في الجملة بكتبه عن فلان بجملة ما عنه.. الخ".

ولما لاحظ ابن رشيد في هذه التدقيقات والأمثلة نوعا من التداخل والتكرار بين ذلك قال: "فاجهد في اختصار العبارة مع الإتيان بها على وجه مطابق للواقع على التفصيل لا على الإجمال، وضع بعض هذه العبارات على الصفة الموافقة لها. وذلك أقصى الممكن، وإن أتيت بها جملة موافقة من حيث المضمن فذلك سائغ وهو أدنى

¹: الرحلة 63/3 والالماع للقاضي عياض ص: 68، تحقيق السيد أحمد مقرط ط: 1 1970: الناشر دار التراث القاهرة والمكتبة العتيقة بتونس.

الواجب، والأول أجرى على الطريق اللاحب، وقد اعتمد جمهور الرواة على التقويل عنه إرادة التحمل والتحميل، فبعضهم هربا من التطويل وبعضهم قصد التدليس¹ لا سيما إن كان على وجه التحمل، والفتنة من خير ما أوتي المرء والله المرشد².

أما رأيه في العلماء وما ينبغي لهم فإنه يشترط فيهم أن يكون فعلهم حجة لقولهم وبيان ذلك واضح في قوله لما جاء سائل الى أبي القاسم بن زيتون فسأله عن إمساك الطيور المغردة في الأقفاص، فصادف حالة السؤال إن سمعوا صوت يمامة أو حمامة في منزل الشيخ تغرد فلم يزهده الشيخ في الجواب على أن قال: أما سمعته يغرد؟ وكأنه يقول للسائل: لو كان هذا ممنوعا ما أمسكناه في دورنا ولا استحسانه³.

وهذا يذكرنا بحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمازح فيقول: أن يا أبا عمير ما فعل النغير: أي أن أبا عمير يلعب بذلك النغير⁴.

كما أن ابن رشيد كان يشترط في العالم أن يكون متشبها متمكنا من علمه، وإذا سأله سائل فينبغي أن يتربص عليه ولا يتعجل الجواب، وقد ضرب لذلك مثلا بابن زيتون وأبي محمد الزواوي، فقد كان الزواوي المفتي حسب رأيه من الذين ينقلون فروع المذاهب بينما كان ابن زيتون محتلفا عنه لأنه كانت ترد عليه أسئلة من أقطار البلاد فيقع الكلام فيها مجلسه على الطلبة ويتكلمون فيها حتى يتخلص له مراده⁵.

ثم إن ابن رشيد كان يؤمن بالبركة والكرامة لأنه عاين شيئا منها بنفسه، وذلك بأنه لما وافى المزدلفة كان شديد الظلما، فأخرج من عند رفيقه ابن الحكيم زمزية صغيرة جدا تخفى ابط الحامل بحيث يواربها إبطه، فأفرغ له منها ثم أثر بها صحبه فلم يَسْتَنْطِفْ ما في الإناء وترك لصاحبه الوزير ما قدر أنه لا يرويه فشرب ثم ناول أصحابه فشربوا بجملتهم وليس منهم من ترك الإناء إلا وهو يرى أن ما أفضل لا يروي صاحبه ثم افرغ

¹: انظر تعريف التدليس في دراسة الحديث ص: 808.

²: الرحلة 64/3.

³: الرحلة 14/6.

⁴: صحيح مسلم بشرح النووي 128/14 - 129، وانظر ما استدل به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدين ورد النووي على ذلك، وانظر الشمانل المحمدية للترمذي ط: 2 - 1396 بيروت ص: 118 مزاحه (ص).

⁵: الرحلة 14/6. انظر في ذلك أيضا كتاب الفقيه والمتفقه لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي 165/2 ط: 2 1980 بيروت (باب الزجر عن التسرع في الفتوى).

الماء وتوضؤوا وكثر الله ذلك القليل فكفاهم وصلوا صلاة الجماعة. وما عاين ابن رشيد بركة ظاهرة لأحد من شيوخه في سره إلا تلك التي عاينها مع أبي علي عمر بن الصواف. وفي الصبح أيضا رأى مثل ذلك، فلم يحتاجوا إلى تيمم ثم باتوا خير مبيت في أنعم بال وأفضل حال إذ كان لهم يسير كَسِرٍ فحصل لهم كذلك المرى والشبع، والصلاة بطهارة الماء فحمدا لله¹.

وقد أجمعوا على إثبات كرمات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات، وجاءت الأخبار وصحة الروايات ونطق بها التنزيل².

وكان لابن رشيد أيضا حفظ من تأويل الرؤيا وتعبير المنامات ويظهر ذلك من خلال النصوص الواردة في الرحلة، فبعضها يتعلق بأحداث وقعت له وبعضها الآخر يتعلق بأصحابه وشيوخه، فقد ورد له في ذلك حكايات في ترجمة أبي محمد الطبري الشريشي وما وقع له مع أبي محمد البسكري³، وفي ترجمة أبي بكر بن حبيش⁴. وفي صدد ذكر الشيخ الجليل شهاب الدين أبي العباس بن سرور المقدسي⁵، وكذا ما رآه لما مرض صاحبه أبو الفضل التجاني⁶.

فمِمَّا ذكره أنه رأى كأنه يمشي مع حائط طويل مديد، وفي ذلك الحائط عيون ماء مرتفعة في جوانبه بطوله، بعضها قريب من بعض، فكان يتناول من بعضها بيسر ومن بعضها بعسر، وفي ذلك الحائط درج يرتقى به إليه، وفيها ما هو دون درج. فعرض ذلك على شيخه أبي بكر بن حبيش فأول له ذلك أنه سيلقى في رحلته العيون من أهل العلم، فكانت هذه الرؤيا صادقة. ولهذا لما فارقه ابن رشيد كتب إليه وهو بالمركب حديثا نقله عن صحيح البخاري من كتاب التعبير: "باب العين الجارية في المنام" ليكون ذلك عنوانا على حسن الدلالة وبديع الموافقة، لأن الرؤيا الصالحة من المؤمن الصالح⁷.

1: الرحلة 19/5، وانظر الكرامات في كتاب اللمع في التصوف لأبي نصر السراج 315.

2: التعرف لمذهب أهل التصوف ص: 71، وأصول الدين ص: 184، العقيدة الطحاوية 558.

3: الرحلة 20/2.

4: الرحلة 5/2.

5: الرحلة 36/7.

6: الرحلة 24/7.

7: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني 126/24 و155.

ثم أن ابن رشيد لما اتصل بالمقدسي سلم له بالإسكندرية كتابه المشهور المسمى "البدر المنير في علم التعبير" وقد جلبه معه إلى تونس لما عاد من مصر¹. ولا شك في أن لهذا الكتاب أثرا في علم التعبير عنده، ولولا ذلك لما اقتناه وجعله من ذخائر مكتبته ووقع عليه بشيء من شعره².

ومما يدل على أن ابن رشيد كان يحدق هذا الفن ما حدث له مع صاحبه أبي الفضل التجاني الذي كان مريضا، فرأى وكأن المريض يخرج من الحمام، وذلك تعبير عن إبلاؤه من مرضه، فسر بذلك أبو الفضل وشكر له ما بشره به³.

¹: الرحلة 36/7.

²: الرحلة 36/7 وانظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

³: الرحلة 24/7.

المبحث الخامس : ثقافة ابن رشيد

1- في العلوم الشرعية

التفسير- البيان- القراءة- الحديث- الجرح والتعديل- الفقه- التصوف.

2- في الأدب والعلوم اللسانية وغيرها.

الأدب- النحو- العروض- التاريخ- الجغرافيا- الخط.

1- ثقافة ابن رشيد في العلوم الشرعية

كان ابن رشيد خطيبا ومحدثا ومتبحرا في علوم الرواية والإسناد محافظا على الطريقة ذاكرة للتفسير¹، مشاركا في الأصلين وعارفا بالقراءات²، وقد شهد له بذلك بعض شيوخه وأصحابه وتلاميذه، وكذا مؤلفاته التي هي دالة على عقله وترجمان لنفسه، ولهذا، عندما نتحدث عن ابن رشيد المتبحر في العلوم الشرعية فإننا نشير بذلك إلى أنه كان مالكا زمامها وبالغا فيها القدر الذي يؤهله من الإفادة والإدلاء برأيه فيها.

أ- ثقافة في القراءة والتفسير والبيان:

ولما كان ابن رشيد ذا بصر بالعلوم الشرعية فإنه يتقن أيضا تلك الأصناف التي تتقدمها من علوم اللغة والنحو والصرف والبيان والآداب³، والبلاغة والقراءات وأصول الفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم زيادة على الموهبة الموروثة⁴. وليس لدينا في الرحلة شيء كثير يدلنا على ذلك، بالقياس إلى الأدب والحديث، غير أننا نلمس هذا من خلال إirاده لبعض الآيات الكريمة ومناقشته لها مع شيوخه، فنجد تارة يروي ما قاله الأولون دون تعليق أو استدراك عليهم، وتارة أخرى يقدح زناد فكره لاستنباط الحقائق البلاغية والبيانية واستجلاء بعض الدقائق التي لا ينتبه لها إلا الراسخون في العلم. ثم إن ابن رشيد كان معتنيا بعلوم القرآن التي لا تنحصر معانيها ولا تستقصى، ذا قدرة على الاهتمام إلى نكته وعيونه، ويظهر لنا ذلك من خلال هذا النص⁵.

قال ابن رشيد: "أجرى أبو القاسم بن زيتون الكلام يوما معي في قوله تعالى: (وما ربك بظلام للعبيد)⁶. فقال: كيف جاء الظلام ولم يقل بظالم، ولا يلزم من نفي الكثير نفي القليل بخلاف العكس، ثم أجاب الشيخ رضي الله عنه بأن قال أن الله

¹: مقدمة ابن خلدون 436.

²: نيل الابتهاج 283.

³: الإحاطة 135/3.

⁴: البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن عبد الله الزركشي ط: 2- 1391 ج: 13/1. وكتاب التفسير والمفسرون لمحمد

حسين الذهبي ط: 2- 1396 ج: 268/1.

⁵: الرحلة 13/6.

⁶: فصلت 46.

تعالى لا ينسب إليه من الظلم لا قليل ولا كثير، ولكن جرت عادة العرب أن لا يُنفَى عن عظمائها إلا ما يصح نسبته إليها، فلا تقول مثلاً الملك لا يظلم في تمرة ولا يحيف في كِسْرَةٍ، وإنما تقول: الملك لا يظلم بقتل النفوس وسلب الأموال، فيقولون على هذا الأسلوب: الملك ليس بظلام، ولا يقولون ليس بظالم لأنه لو جاز أن ينسب إليه ظلم لم ينسب إليه إلا ما يليق بالملوك الاعاظم، فجرى ذلك على جميع كلام العرب¹ فقلت له: يشهد بصحة ما قلتم ما وقع في كتاب السيرة النبوية.

لعامر الخصفي خصفة بن قيس بن غيلان يمدح هاشم بن حرملة الملك² (مشطور الرجز)

أحيا أباه هاشم بن حرملة
تـرى المـلوك عنده مغرلة
(وغـرله بمعـنى ذبـحه)

فلم يعجبه فقال:

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

فقال له الملك: الآن. وأعجبه لما سمع البيت الأخير.

فانظر كيف لم يرضه من المدح إلا كونه بالغا في الغدر والظلم إلى أقصى نهاياته فقتل من لا ذنب له. وقد أعجب هاشما هذا البيت³.

فاستحسن ذلك الشيخ رضي الله عنه.

ثم أردف ابن رشيد قائلا:

قلت: ومما يشهد لهذا المعنى قول الوزير الكاتب بقية مشايخ الكتاب الأدباء العلماء وأحد الأمراء من فحول الشعراء أبي محمد عبد المجيد بن عبدون العمري رحمه

¹: نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليلة وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، ودليله قوله الحق: أن الله لا يظلم الناس شيئا: الجامع للقرطبي 370/15.

ومن المشكل قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد، وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم والواقع نفيه قال تعالى أن الله لا يظلم الناس شيئا، أن الله لا يظلم متقال ذرة: البرهان 511/2-512.

²: سيرة ابن هشام بيروت 1975 ج: 1/93-94.

³: الذخيرة لابن بسام قسم 2 مجلد 2 ص: 720 (القصيدة الفريدة) والمعجب ص: 113.

الله في قصيدته الحافلة الرائية المشهورة المتضمنة من علم الحدثان ما يعجز عن وصفه
اللسان ويقصر عن رصفه البيان، وهي التي أولها:

(البيسط)

الدهر يفجع بعد العين بالآثر * * فما البكاء على الأشباح والصور¹

وهو من الفريد في أبيات هذا القصيد

ومزقت جعفرًا بالبيض واختلست * * من غيلِهِ حمزة الظلام للجزر

فانظر إلى قوله: الظلام فلم يكتف بظالم حتى جعله ظلاماً².

ويظهر لنا من خلال تعليق ابن رشيد واستدراكه الذي أراد به تفسيراً لقول
شيخه أنه كان حافظاً للأشعار ملماً بالأخبار إماماً جيداً، ثم إن هذه الطريقة التي أتى
فيها بكثير من الآراء والأقوال والقرائن والاستدلالات تذكرنا بألمعية كبار العلماء ممن
يجمعون معلومات كثيرة في موضع واحد واستظهار ذلك دون الرجوع إلى مصدر معين.

فقد عرض لتلك المسألة التي ناقشها ابن رشيد: الإمام بدر الدين الزكرشي
وأدرجها فيما جاء على "فعال"، وصرح أنه من المشكل، ولكنه قرر أنه لا يلزم من نفي
الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم والواقع نفيه وفصل ذلك في اثني عشر جواباً³. ومن
المسائل التي بحثت⁴ في مجلس ابن زيتون أيضاً مسألة القراءة الشاذة في الآية الكريمة: "إنما
يخشى الله من عباده العلماء"⁵. وذلك برفع الكلمة الشريفة ونصب العلماء، وقد أجاب
فيها ابن زيتون بما معناه إن الخاشي يحاسن من يخشاه ويحامله ويرضيه فالله تعالى ينعم

¹: الذخيرة لابن بسام قسم 2 مجلد 2 ص: 720 (القصيدة الفريدة) والمعجب ص: 113.

²: انظر هذه الأبيات أيضاً في فوات الوفيات 389/2.

³: البرهان في علوم القرآن 511/2.

⁴: الرحلة 14/6.

⁵: فاطر 28 وتفسير البحر المحيط لابن حيان ط: 2، 1978. دار الفكر. 302/7.

على العلماء بالإحسان إليهم والانععام عليهم، فشبه ذلك بمعاملة الخاشي من يخشاه ثم بكى الشيخ رضي الله عنه لأنه كان يخشى الله خشية العلماء¹.

وسنأتي بجوانب أخرى من هذا في دراسة الرحلة.

ومن خلال هذه المناقشة يظهر أن ابن رشيد كان متضلعا من التفسير، وبما أننا لم نعر له على كتاب خاص في ذلك، فإن بعض من ترجم له يذكرون ذلك، لأنه كان قائما على دراسة الأصولين وتدريسهما.

وبين يدينا مؤلفان مشهوران هما البحر المحيط لابن حيان، وكتاب التسهيل لابن جزي فالأول صاحبه والثاني تلميذه. ومن خلال هذين التفسيرين يظهر لنا بعض ملامح تلك المدرسة التي ينتسب إليها ابن رشيد.

فقد كان ابن حيان ملما بالقراءات صحيحها وشاذها² كابن رشيد، وكذلك كان ابن جزي الذي روى عن أستاذه ابن رشيد³، وبما أن ابن حيان كان يغلب على تفسيره الصناعة النحوية، وابن جزي يغلب عليه الناحية البيانية والبلاغية فإن ابن رشيد، كما يتجلى من فهمه لبعض الآيات، يجمع بينهما، فهو تارة يهتم بالجانب النحوي وتارة أخرى بجانب البلاغة والبيان ولا يغفل في ما يأتي من ذلك، عن التنبيه على ما في الآيات من القراءة الشاذة⁴ والاستطراد إلى النواحي الأدبية الأخرى.

ب - ثقافته في الحديث:

مقام ابن رشيد بين المحدثين:

إن أبرز ما كان يضاف إلى ابن رشيد من أوصاف المحدثين واصطلاحاتهم: لقب المسند والمحدث والحافظ. فالمسند هو من يروي الحديث بأسناده سواء كان عنده

¹: انظر ما ورد عن هذه القراءة الشاذة للكشاف للزمخشري 308/3، والجامع للقرطبي 344/14، والبرهان 341/1، وجاء في تفسير البحر: روي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكس ذلك، وتوالت هذه القراءة على أن الخشية استعارة للتعظيم.

²: التفسير والمفسرون 319/1.

³: انظر فهرست المنتوري وما رواه عن ابن رشيد ص: 62-63 وغير ذلك.

⁴: انظر التفسير في دراسة الرحلة.

علم به أم لم يكن¹، ولكن ابن رشيد كان مسندا من أهل العلم بذلك والمحدث من مهر في الحديث رواية ودراية² وميز سقيمه من صحيحه وعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواياته، وعرف غريب ألفاظ الحديث وغير ذلك بحيث يصلح لتدريسه وإفادته³. ولقب كذلك بالحافظ لأنه اجتمعت فيه صفات المحدث وضم إليها كثرة الحفظ وجمع الطرق والإتقان⁴.

وبما أنه كان عدلا ضابطا متقنا عارفا بالمسند من الأحاديث متكلفا عناء الرحلة من أجل الثبوت من ذلك⁵ فإنه يمكن أن يؤخذ بروايته ويحتج بها⁶ لأنه كان ذا تحقيق بعلم الحديث من أهل هذا الشأن⁷ وقد أشار في رحلته إلى أن فيها أسانيد ومتونا، فما علم وجه الصواب فيه أوضحه وأقام صوابه ونبه على أنه أصلحه ولكن بعضه بقي على حاله مغفلا وضرب عليه⁸.

ثم أنه لقي في رحلته كثيرا من الشيوخ الذين كان يسمع منهم الحديث ولكنه لم يخص منهم بصفة "المحدث" إلا ما يقرب من خمسين شيخا، ولكن يبدو أن عدد من يغلب عليهم هذا اللقب يقرب من الثمانين، وهم يقدرون بثلاث شيوخه تقريبا، وكان هؤلاء في الحقيقة مشاركين ملمين من كل فن بطرف، فمنهم من كان يجمع إلى صفته محدثا: الفقه أو النحو أو الأدب أو الطب أو يجمع أكثر من صفتين، وقد يجمع جل تلك الصفات.

وأما الأحاديث الواردة في أجزاء الرحلة الموجودة فتقدر بأكثر من 320 (عشرين وثلاثمائة حديث) رواها ابن رشيد من شيوخه أو نقلها من الكتب المعتمدة، وهو في كل

¹: تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي ج: 43/1.

²: الخلاصة في أصول الحديث للحسين بن عبد الله الطيبي بغداد 1391 ص: 9.

³: تدريب الراوي ج: 48/11. (انظر معنى الحافظ).

⁴: تدريب الراوي ج: 49/1.

⁵: جامع بيان العلم وفضله ج: 111/1، والتمهيد لابن عبد البر ج: 45/1 والرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ط: 1.

- 1975 ص: 20/16.

⁶: مقدمة ابن الصلاح: معرفة من تقبل روايته ص: 49 ومعرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم ص: 14.

⁷: درة الحجال 96/2.

⁸: الرحلة 64/7. وينظر في ذلك أيضا ما قاله الطيبي في كتابه الخلاصة: عن كيفية رواية الحديث ومسألة التضييب

وبيان الصواب في الحاشية ص: 120.

ذلك يتحرى التدقيق والضبط ولا يتساهل في الأخذ والتحمل، وذلك كله من شروط الرواية الصحيحة¹ مثل قوله:

"وقد قيدت أحاديث من الجزء الثاني والثالث والرابع الذي اشتمل عليها الجزء الأول عند تاج الدين الغرّافي من أصل سماعه وقابلتها به، وبالإسناد من المجاز لي من المسموع"².

أو قوله بعد أن أورد حديث "أقيموا صفوفكم":

"هذا الحديث آخر الجزء الأول، ولنا منه نسخة عارضتها بأصل الشيخ تاج الدين الغرّافي، وكان جزء الشيخ مشتملا على أربعة أجزاء كان هذا الأول عندي هو الأول منها والأربعة مسموعة للغرّافي على الإمام الحافظ أبي الحسن محمد بن أحمد القطيعي³ رحمه الله"⁴.

منهج ابن رشيد في الحديث:

إن أول ما يبدأ به ابن رشيد، عند ذكر الحديث، قوله تعالى قرأت على الشيخ... ثم يذكر السند المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة أخبرنا أو حدثنا أو غيرهما ذلك، ثم يبين طرق التحمل ونوعها بالقراءة أو السماع أو الإجازة، ثم يصف مصدر هذا الحديث وأصوله عند المحدثين وفي كتب الحديث، ثم يورده، وبعد ذلك يعقب عليه بتقويم السند وبيان قيمته في ميزان الجرح والتعديل، ثم يعتمد إلى التوضيح أو التعريف أو الإضافة أو الإفادة، وقد يورد تنبيهها أو تنبيهها على تنبيه، ومثال ذلك ما أتى به بعد حديث: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم

¹: الكفاية في علم الرواية ص: 151 وتدريب الراوي 339/2-340 وكتاب الاعتبار في النسخ والمنسوخ: الوجه 24 من الترجيحات ص: 17.

²: الرحلة 19/3.

³: هو محمد بن أحمد بن عمر بن حسين بن خلف البغدادي (246-630 هـ) مؤرخ ومحدث معجم المؤلفين لرضا كحالة 303/8.

⁴: الرحلة 19/3.

الحر الأهلوية زمن خير¹، فقد علق عليه بذكر صحته واتفاق الأئمة على ذلك من عدة طرق ذكرها مفصلة مبينة ويقول في ذلك:

"أما حديث سفيان فأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي... فكأنني لقيت أبا عبد الرحمان النسائي وصافحته من هذا الطريق ووقع عاليا، وعاليا من حيث العدد إلى النبي صلى الله وسلم من الرواية الأولى، وساويت زكرياء بن يحيى شيخ النسائي² في روايته ومن سمعه مني يكون مساويا لأبي عبد الرحمان النسائي ولله الحمد والمنة.

وبعد مناقشة طويلة أورد تنبيهها يقول فيه بأن هذا يسمونه علو التنزيل³ ثم أردف بعد ذلك ببيان مولده ومولد النسائي وأن من سمع منه ذلك الحديث كأنا سمعه من النسائي. ثم ذكر بعد ذلك التنبيه تنبيهها آخر يذكر فيه تعقب بعض أصحاب القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله هذا النوع من التنزيل في كتابه السباعيات، وبين في ذلك مسائل دقيقة تتعلق بالصحابي والتابعي⁴ من حيث الاعتبار، وقصد أهل الحديث من تكثير الأحاديث المنزلة في هذا الغرض.

وتمتاز تعليقات ابن رشيد وتنبيهاته بالإيجاز وكثرة الإحالات على كتب أصول الحديث من كتب السنة والمسانيد، ويظهر ذلك فيما عقب به على حديث: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عز وجل. كَلَّ لِسَانُهُ ولم يشف غيظه"، فقد روى هذا الحديث عن شيخه صفى الدين المراغي، وبعد أن أوردته بطرق إسناده أتى بتعليق عليه يقول فيه⁵.

¹: الرحلة 119/3، وانظر ما فيه من الناسخ والمنسوخ في كتاب الاعتبار للحازمي ص: 161.
²: هو زكرياء بن يحيى بن صالح بن يعقوب الحرسي بفتح المهملتين المصري. ثقة توفي سنة 242 هـ انظر خالصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبد الله الخزرجي ط: 2-1391 بيروت ص: 122.
³: كتاب معرفة علوم الحديث ص: 5 ومقدمة ابن الصلاح 130 وانظر ما نقده على الحاكم النيسابوري في تعريفه لعلو التنزيل، الخلاصة للطبري 53 وتدريب الراوي 159/2. وانظر توضيح الأفكار للوزير اليماني 200/1.
⁴: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الفكر بيروت 1398 ج: 3/1 وجامع بيان العلم وفضله ج: 29/2 وكتاب الروض الباسم ج: 57/1.
⁵: الرحلة 56/3.

"من هذا الحديث والله أعلم انتزع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما روى سفيان عن رجل قال: نال رجل من عمر بن عبد العزيز ف قيل له: ما يمنعك منه فقال: إن التقى مُلجَمٌ". وله نظائر كثيرة في الشريعة¹.

قول ابن رشيد بضعف صناعة الحديث في عصره:

لاحظ ابن رشيد ضعف صناعة الحديث وتلف بضاعته في عهده²، ورأى أن القدامى بخلاف معاصريه، لأنهم كانوا يقطعون الشقة الكبيرة ويلاقون المشقة الكثيرة في طلب الواحد من الحديث³.

ويشير إلى أن ذلك العلم صعب⁴، يحبه الذكور ويكرهه الإناث، لهذا أحب الذكورة وكره الإناثة⁵.

عنايته بصحيح البخاري:

أما عنايته فكانت بصحيح البخاري، وهو يفخر أن يكون لديه أصل من أصول هذا المصدر الحديثي، فقد قال لما التقى بشيخه أبي العباس من الغماز.

"وكان الشيخ أبو العباس في أصل عتيق من رواية أبي ذو الهروي بخط أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي الذي كتبه بمكة شرفها الله وسمع فيه على أبي ذر رحمه الله وقد كان هذا الأصل صار للإمام المقرئ العالم أبي الحسن على بن عبد الله بن النعمة رحمه الله واعتنى به عناية جيدة، وقد صار هذا الأصل إلَيَّ والحمد لله"⁶.

¹: وانظر مثل ذلك قضية عمر بن عبد العزيز مع ذلك الرجل الذي عرض له بالطومار (الصحيفة) فأصابه في وجهه وشجه، وخلى سبيله رغم ذلك. خلية الأولياء 311/5.

²: إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح لابن رشيد ص: 3.

³: نفسه، وكتاب معرفة علوم الحديث ص: 1 ومقدمة ابن الصلاح ص: 3 و تدريب الراوي ج: 159/2، وكتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص: 58 و 59 و 104.

⁴: الروض الباسم ج: 1/39-41.

⁵: إفادة النصيح ص: 4، شرف أصحاب الحديث ص: 70-71.

⁶: الرحلة 21/6، وانظر دعوة الحق عدد 1 سنة 17 وعدد 2-3 سنة 7 للأستاذ محمد المنوني بعنوان صحيح البخاري في الدراسات المغربية. وانظر أيضا دعوة الحق عدد 9 سنة 16 للأستاذ سعيد اعراب بعنوان: الإمام البخاري دعامة الفكر الإسلامي السني.

وليته أخيراً عن الطريق الذي استطاع أن يصل إليه هذا الأصل النادر. ثم أن حرصه الشديد وحمده الله على امتلاكه هذا الأصل لدليلان واضحيان على اهتمامه بهذا الكتاب وعظم قدره لصاحبه لثقتة وضبطه وعلو شأنه في علم الحديث.

وكان ابن رشيد أيضاً حريصاً على كل ما يمت بصلة إلى صحيح البخاري من فوائده وغوامضه وسنده. ويتجلى ذلك في أنه لما قرأ على شيخه عز الدين أبي العز الحارثي صدرا من كتاب البخاري ومعه أجزاء تضمنتها الفوائد التي أخرجت له والتي أخرجها له شيخه جمال الدين أحمد بن الظاهري، سأله عن سنده فيه فأخرج له مكتوباً من طي عمامته بسنده في البخاري، فحضرت الدواة ولم يحضر القلم فكتب بعضه بأطراف مقط كان له حرصاً على تحصيله، ثم تداركها بعد ذلك بقلم أمها به ثم أجاز له فيه إجازة معينة له خصوصاً¹.

وبالرغم من "إلغاز البخاري رحمه الله، جرياً على عادته في الإغماض في تراجم كتابه الذي أتى فيها بكل عجيبة لم يسبق إليها وغريبة لم يرحم عليها"²، فإن ابن رشيد كان لديه قدرة ملحوظة على فهم تلك الألغاز والغوامض³.

ويتجلى ذلك في قول البخاري رضي الله عنه: "باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة"، فقد أدخل فيه حديث سهل قال: "كان بين مصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة"، ثم اتبعه بحديث سلمة بن الأكوع قال: "كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها"⁴. فالحديث الأول مطابق لما ترجم له، والحديث الثاني ليس بمطابق في الظاهر فيما يبدو للناظر، فاستشكل إدخاله تحت الترجمة.

وقد لاحظ ابن رشيد أن أبا العباس بن المنير لم يعرض لذلك في كتابه الذي أفاد به في تفسير ما أشكل من تراجم البخاري، ولما سأله بعض الأصحاب أجابهم، ولكن لم ينصف⁵. ولما عرضه على من أنصف ووفاه حقه بلغ ذلك بعض الطلبة فرغب إليه أن يقيد

¹: الرحلة 123/3 - 124.

²: الرحلة 94/3.

³: الرحلة 93/6.

⁴: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 279/4.

⁵: الرحلة 95/3 - 96.

له كلامه عليه فأجابه بما يتبين منه أن ابن رشيد كان محيطا بمسائل الحديث وغوامضه ومشكله¹. فقد ذكر أن ابن رشيد مر به في مطالعته ما قدر من صحيح البخاري الإمام الناصح رضي الله عنه واطلاعه على غوامض ما أخذه مثل قوله: "باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي وسترته". وقد أورد البخاري حديث سهل رضي الله عنه قال: "كان بين مصلي رسول الله (صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة) ثم اتبع حديث سلمة قال: "كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها".

فنظر ابن رشيد في سبب إدخال هذا الحديث في هذا الباب. وسرعان ما عقب على ذلك بثاقب ذهنه فوضح ذلك قائلا:

"فظهر لي والحمد لله ما أضمره فيه: ذلك أنه قد قدم أن النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعاده أيضا بعد. فلما قدم هذا فاحتاج هنا أن يبين مقدار ما يكون بين المصلي وسترته أتى بالحديث الأول نصا في مقصده، ثم اتبعه هذا الثاني مستنبطا من معينه ذلك المعنى وشاهدا عليه. لأنه لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم على المنبر كما تقدم وثبت هنا أن المنبر بينه وبين الجدار، يعني القبلي، مالا تكاد الشاة تجوزه انتج أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين الجدار قدر ممر الشاة بهذا الحديث أيضا كما ثبت بالأول الذي هو نص في معنى الترجمة فانتظم الدليل التام بين الترجمة والحديث ما ظاهره الانصداع". وبهذا فند ابن رشيد قول من لا علم عنده بالمعاني أنه متنافر.

ثم زاد ابن رشيد شارحا وموضحا فقال: "ان قيل أنه صلى الله عليه وسلم نزل على المنبر فسجد على الأرض في أصل المنبر وذلك أكثر من قدر ممر الشاة، قلنا قد حصل أكثر أجزاء الصلاة على المنبر وبينه وبين الجدار ذلك المقدار الذي تضمنته الترجمة المسوق لها الحديث الأول المسوق عليه الحديث الثاني أو قريبا منه. وإنما نزل (...) لأن درجة المنبر ضاقت على السجود والله الموفق".

"فلما تحققت أنها الدرة التي غاص عليها الإمام أبو عبد الله رحمه الله في بحر علمه ثم قذف بها في بحر كتابه إلى أن يظهر بها من ذكر كماله استخرجتها وجلوتها على من أثق بصحة تمييزه وسلامة نظره، فأجلها وأجلها منزلتها من الاستحسان، وعدّها

¹: الرحلة 95/3.

من فرائد الفوائد لما جبل عليه من الاتصاف بالانصاف، فسألني بعض الأصحاب المجتهدين زاده الله حرصا على طلب العلم النافع أن أقيد له ذلك الذي ظهر لي فيها فأجبت سؤاله والله المرشد. قال ابن رشيد أرشده الله: انتهى الجواب "

ثم قال بعد ذلك:

"وإنما سردنا أطناب الكلام في العبارة عنه لأجل من تقدمت له الإشارة ممن لم ينصف مع ظهور المراد بحيث يقطع المطلع على هذا المعنى بأن ذلك هو قصد الإمام البخاري رحمه الله. وقد استدركت على الإمام ناصر الدين تراجم عديدة أغفلها أو استشكلها فتركها ونازعناه في بعض مطابقاته التي أبدى وأبدينا ما يسلمه المنصف ولا ينكره إلا المتعسف والحمد لله على نعمته"¹.

ومن هذا النص يتبين لنا أن ابن رشيد كان يعمل عقله لاستخراج العلاقة الرابطة بين الترجمة أو العنوان وبين موضوع الحديث وهي مكانة في الحديث لا يؤتاها إلا من كان متمكنا متضلعا من الحديث والسنة وفهمها. وقد استدرك بهذا على الإمام ناصر الدين بن المنير، ويبدو أن الرجل كان يناقش ويرد كما يفهم من عباراته.

أمانة ابن رشيد في النقل وحرصه على الضبط والإتقان في الرواية

كان ابن رشيد أميناً في النقل حريصاً على الضبط والإتقان، ومما يدل على ذلك أنه لما قرأ على شيخه أبي صادق القرشي جزءاً فيه أحاديث عوال مخرجة من مسند الشافعي وضاق الوقت عن نسخ الجزء بكماله ما يلي:

".. وبه إلى الشافعي قال: أنا ابن عيينة عن يحيى أبي سعيد قال:

سمعت أنس بن مالك يقول: بال اعرابي في المسجد فعجل الناس إليه فنهاهم عنه وقال صبوا عليه دلوا من ماء". "فقال منها: كذا وجدته بخطي لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلا أدري اسقط علي أم كذلك وقع عند الشيخ"².

¹: الرحلة 95/3.

²: الرحلة 72/3.

ويمكن أن ندرج هذا في مسألة جواز استثبات الحافظ ما شك فيه من كتاب غيره أو حفظه¹. وما أن أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم، لدوام صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم، فإن ابن رشيد يؤكد ذلك ويعتبر نفسه مقصرا ان لم يصل عليه ولهذا أتى بالتعقيب الذي يبين فيه ذلك، ولقد قال سفيان الثوري: "لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يصل على ما دام في الكتاب"².

ومما أخذه أيضا على بعض شيوخه قلة الضبط والوقوع في الخطأ أو إيراد الغلط لأنه كان يدقق في السند، ومما جاء له في ذلك أنه لما اتصل بشيخه أبي صادق محمد ابن يحيى القرشي المعروف أبوه برشيد الدين العطار صبيحة يوم الجمعة 19 رجب 684، وروى عنه حديث "الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"³. قال القرشي: انا أبو محمد عبد الصمد بن داود الغضائري، انا الحافظ السلفي انا أبو الحسن طريف بن محمد بن عبد العزيز النيسابوري ببغداد وأبو الوفاء علي بن زيد بن شهريار الزعفراني باصبهان قالوا انا أبو صالح احمد ابن عبد الملك المؤذن بنيسابور انا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي انا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز العبدي انا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولا عبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الراحمون يرحمهم الرحمان... الحديث.

ولما أورد سند هذا الحديث مرة أخرى بزيادة كلمة "وهذا أول حديث سمعته من...: جاء فيه ما يلي قال أبو طاهر هذا أول حديث سمعته من أبي حامد قال ابو صالح هذا أول حديث سمعته من ابي طاهر قال طريف هذا أول حديث سمعته من أبي صالح. قال السلفي هذا أول حديث سمعته من طريف الغضائري وهو أول حديث سمعته من أبي طاهر قال أبو صادق وهو أول حديث سمعته من الغضائري قال محمد ابن رشيد وهو أول حديث سمعته من أبي صادق.

¹: الكفاية في علوم الرواية ص: 216 و251.

²: شرف أصحاب الحديث ص: 34-35-36 خاصة و37-110-111 و... الخلاصة في أصول الحديث ص: 148.

³: الرحلة 71/3.

ثم عقب على ذلك ابن رشيد بقوله:

"كان عند شيخنا في الإسناد إسقاط وصوابه أن يقال: قال طريف وأبو الوفاء هذا أول حديث سمعناه من أبي صالح وقال السلفي هذا أول حديث سمعناه من أبي الحسن طريف وأبي الوفاء علي، وقد حددت به السلفي عن أبي الوفاء على ابن زيد بن شهریار الزعفراني المذكور عن أبي صالح مسلسلًا فاعلم ذلك والله الموفق".

وكان ابن رشيد أيضا لا يكتب الحديث وسنده إلا إذا تيقن من صحة ذلك، ولهذا كان يدقق في البحث ويعتني بالضبط ويحرص عليه ويظهر ذلك في أنه لما التقى بشيخه أبي أحمد بن بختر بن حماد البعلبكي¹ وقرأ عليه شيئا من حديث أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم، ورد في سند الحديث ان أسماء جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت عنه حديث: "لعن الله الواصلة والمستوصلة. فعلق عليه ابن رشيد بقوله: "قلت هكذا وقع عنده هذا الحديث في الأصل مختصرا وقوله فيه أن أسماء جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعروف فيه أن امرأة جاءت، وإنما أسماء راوية القصة لا صاحبة السؤال والله أعلم".

ثم زاد موضحا فقال: "لم يتفق لي استيفاء تعليق الجزء لعارض السفر، وقد علقت منه أحاديث غير هذين وقع لي شك في بعض أسانيدهما فتركت كتبها هنا حتى اكشف عن أمرها بحول الله تعالى:

ثم إنه كان يدقق في تاريخ الرواية الإسناد، ومن ذلك ما ورد له في سند شيخه تاج الدين أبي الحسن الغرافي فيما اخبر به أبو عبد الله بن أحمد بن حموية الحموي السرخسي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة انا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفريري الخ وذلك في سماع ثلاثيات البخاري.

فرد عليه ابن رشيد بقوله:

"قلت: قوله سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة غلط وإنما هو سنة إحدى وثمانين دل عليه غير واحد ومنهم الحافظ أبو بكر بن نقطة البغدادي، وبهذا الإسناد إلى البخاري

¹: الرحلة 103/3.

انا مكى بن ابراهيم انا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"¹.

ومن ذلك ما أخذه على شيخه الغرافي من عدم التنبيه وإغفال الإشارة إلى السند فيقول: "قلت وقد حدث شيخنا الغرافي بالثلاثيات بحق إجازته من الشريف أبى الكرم محمد بن عبد الواحد بن المتوكل عن أبى الوقت السجزي، ولم يحدثنا بهذا الإسناد، وأبو الكرم لم يسمع من أبى الوقت ولكنه أجاز له ولم ينبه شيخنا الغرافي على ذلك"².

وإذ عرفنا أن تاج الدين الغرافي كان من المحدثين الكبار والمسندين المشهورين الذين أجاز لهم ابن دحية وغيرهم من العلماء، أدركنا مقام ابن رشيد في الحديث عندما يتعقب مثل هؤلاء ويتسقط هفواتهم.

ومما صححه من اغاليط شيوخه أيضا ونبه على ذلك، ما وقع فيه أبو صادق القرشي من الوهم فقال: "وقرأت على شيخنا أبى صادق في يوم الجمعة 26 رجب عام 684 هـ جزءا من تخرجه اشتمل على أحاديث مصافحات للائمة ومساواة، وجملتها سبعة أحاديث، وختم الجزء بحكاية وإشارة على العادة، كتبت عنه الجزء بكماله، ووقع له فيه وهم في حديثين منها وأنا أوردهما هنا وانبه على ما فيهما من الوهم بحول الله وتوفيقه، قال شيخنا أبو صادق فيما قرأت عليه حديث سادس ساويت فيه، مسلم بن الحجاج وإبا عبد الرحمان النسائي"³.

"أقول والله المرشد هذا الحديث وهم فيه شيخنا أبو صادق في قوله أنه وقع له مساواة للإمامين مسلم وأبى عبد الرحمان، وإنما وقع له مصافحة لهما، فإن قوله عن محمد بن علي عن قتادة ليس بصحيح وإنما عند مسلم والنسائي عن محمد بن علي سعيد بن المسيب. فإدخال قتادة بينهما وهم وبه تم له التنزل منزلة الإمامين، وسبب غلطه أنه وقع عند مسلم أيضا عن سعيد هو ابن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى. فخلط الشيخ أبو صادق الاسنادين. وإنما الذي يصحح له في هذا الحديث كأنه

¹: الرحلة 18/3.

²: الرحلة 18/3.

³: الرحلة 75/3.

سمعه من مسلم مع إبراهيم بن سفيان. وكان سماع الشيخ إبراهيم عن مسلم سنة 257 هـ قبل وفاة مسلم بأربع سنين. وكأنه أيضا سمعه على النسائي مع أصحابه رحم الله الجميع¹.

ومن حرص ابن رشيد على الأمانة العلمية معارضة نسخ كتبه ومقابلتها بأصول شيوخه وذلك تأسيسا بالأئمة الأولين، وقد روي عن الشافعي وعن يحيى بن أبي كثير قالاً: "من كتب ولم يعارض كمن دخل الماء ولم يستنّج وقال الاخفش: "إذا نسخ الكتاب ولم يعارض ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجمياً"².

ومن أمثلة قوله: "هذا الحديث (أقيموا صفوفكم... الحديث) آخر الجزء الأول³ ولنا منه نسخة عارضتها بأصل الشيخ تاج الدين الغرافي، وكان جزء الشيخ مشتملاً على أربعة أجزاء كان هذا الأول عندي هو الأول منها، والأربعة مسموعة للغرافي علق الإمام الحافظ أبي الحسن القطيبي رحمه الله، وقد قيدت أحاديث من الجزء الثاني والثالث والرابع الذي اشتمل عليها الجزء الأول عنده من أصل سماعه وقابلتها به وبالإسناد من المجاز، لا من المسموع⁴.

وكان ابن رشيد أيضاً حريصاً على تصويب أوهام الرواة عامداً إلى تصحيح ما قد يقع لهم من الظن الخاطيء: ولقد ورد في سند قراءته على تاج الدين أبي الحسن الغرافي غلط تنبه له وعلق عليه⁵.

ففي ذلك السند قراءة ابن رشيد على الغرافي سنة 684 هـ والغرافي على ابن الحسن القطيبي سماعاً عليه في رمضان سنة 632 هـ، والقطيبي على أبي بكر الزاغوني في جمادى الآخرة سنة 551 هـ سماعاً عليه.

وقد رد على هذه الرواية بقوله:

¹: الرحلة 74/3.

²: انظر في هذا الشأن أيضاً مقدمة ابن الصلاح 92 وجامع بيان العلم وفضله 93/1.

³: الرحلة 19/3، ويقصد الجزء الأول من فوائد أبي طاهر المخلص.

⁴: نفسه.

⁵: نفسه.

"وما أظن أبا الحسن القطيعي كان في هذا التاريخ ممن يقرأ لنفسه مع أنه تفسر في طبقات السماع ان ذلك السماع في هذا التاريخ كان بقراءة ولده أحمد فاعلم ذلك والله الموفق".

ويظهر أن تعليق ابن رشيد مقبول: لأن ابن القطيعي (546- 634 هـ) كان في هذا التاريخ قد بلغ من العمر عتياً¹.

ومما أخذه على بعض شيوخه استعمال التدليس في الحديث² وهو أن يروي عن شيخ تتأخر وفاته أو يتركه فيذكر غيره أو يكثر عنه فيزيد أن يوهم أنه غيره، وهذا وإن كان صدقاً في نفس الأمر ففيه توعير المعرفة ، فإن فعل ذلك لكونه غير ثقة فهذا قبيح مذموم لما فيه من عدم النصح وإظهار الباطل في صورة الحق³.

وكان شيخه أبو صادق القرشي يستعمل في أحاديث رواياته هذا النوع المسمى بتدليس التحميل⁴ الذي أكثر منه المتأخرون كالخطيب الإمام أبي بكر البغدادي في تصانيفه⁵.

وأما أبو الفتح ابن دقيق العيد فيرى أن التدليس مفسدة، وفيه مصلحة أما مفسدته فإنه قد يخفي، ويصير الراوي مجهولاً فيسقط العمل لكون الراوي مجهولاً عند السامع مع كونه عدلاً معروفاً في نفس الأمر وهذه جناية عظيمة ومفسدة كبرى، وأما مصلحته فامتحان الأذهان استخراج التدليسات وإلقاء ذلك على من يراد اختبار حفظه ومعرفته بالرجال وتلك مفسدة أخرى يراعيها أرباب الصلاح والقلوب وهو ما في التدليس من التزني⁶.

ومن خلال هذه المجموعة من آرائه يتبين لنا أن ابن رشيد كان من المعدودين في مقدمة المحدثين الذين لهم إلمام واسع بمسائل الحديث، وعلم غزير بالرواية والإسناد

¹: تنكرة الحفاظ 1419/4.

²: معرفة علوم الحديث 109. ومقدمة ابن الصلاح 34 الاعتبار للحازمي 15 والخلاصة للطبري 74 والكفاية 355 وتدريب الراوي 223/1 والتصديق لابن عبد البر 28/1-33.

³: الرحلة 64/5. وشرف أصحاب الحديث 119.

⁴: معرفة علوم الحديث 109.

⁵: الكفاية 355.

⁶: الرحلة 64/5.

وبصر حديد بصحيح الآراء وسقيمها. ثم إن تلك الذخيرة التي جمعها من الأحاديث من مختلف الكتب المشهورة والنادرة والعوالي ليدلنا على أنه كان حقا من أهل هذا الشأن.

بعض أسانيد ابن رشيد في الحديث

ولإبراز ناحية هامة من نواحي ثقافة ابن رشيد في علم الحديث نذكر له ما ورد في الرحلة من الأسانيد المرفوعة الواقعة له في بعض رواياته ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1- حديث "إذا قلت لصاحبك انصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت"¹

وهذا الحديث منتخب من جزء فيه أحاديث منتقاة من مسند الشافعي رواية أبي العباس الاصم عن الحرشي الحيري وهو أبو بكر بن الحسن. وقد نقله ابن رشيد من خط منتقيه صاحبه سعد الدين مسعود الحارثي:

رسول الله صلى الله عليه وسلم

12- أبو هريرة (عبد الرحمان بن صخر الدوسي اليماني)

11- الاعرج (عبد الرحمان بن هرمز، أبو داوود المدني)

10- أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان القرشي المدني)

9- مالك بن انس

8- الشافعي (محمد بن ادريس بن عثمان)

7- الربيع بن سليمان المرادي المصري المؤذن

6- أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم

5- أبوبكر احمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن احمد الحرشي الحيري

4- السلار (أبو الحسين مكّي بن منصور بن محمد بن علان الكرجي)

¹: الرحلة 82/3. وانظر تفصيل ذلك في الاعلام للمراكشي 256/3.

3- أبو زرعة (طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي)

2- أبوبكر بن عبد العزيز بن احمد بن عمر بن سعيد بن باقي
البغدادي العدل سنة 621 هـ قراءة عليه.

1- أبو عبد الله الدلاصي (بالمدرسة الصالحية يوم السبت 27 رجب
684 هـ)

قراءة عليه

ابن رشيد:

قال ابن رشيد: "قلت: قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح¹ رحمه الله وقد تكلم في
أي الأسانيد أصح؟ رويناه عن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه قال: أصح
الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر. قال وبنى الإمام أبو منصور عبد القاهر بن
طاهر التميمي على ذلك: أن أجل الأسانيد: الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر
واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي
رضي الله عنهم أجمعين"²

2- حديث "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه ويساره حتى
يرى بياض خديه، وكان يقول السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه ثم يعيد عن يساره"³.

هذا الحديث من الجزء الثاني من فوائد أبي الحسين بن بشران.

رسول الله صلى الله عليه وسلم

12- عبد الله بن مسعود

11- أبو وائل (شقيق بن سلمة الاسدي)

10- مسلم (بياع السابري)

¹: مقدمة ابن الصلاح 9.

²: شجرة النور الزكية 48/1 - 52.

³: الرحلة 83/3.

- 9- محمد بن عمارة
 - 8- عمران القطان (أبو العوام)
 - 7- عمرو بن عاصم
 - 6- محمد بن عبد الملك بن مروان
 - 5- اسماعيل بن محمد الصفار
 - 4- أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران الرئيس
 - 3- أبو طاهر السلفي (الجد) في محرم 576 هـ
 - 2- أبو القاسم عبد الرحمان بن أبي الحزم مكي بن الحاسب سبط السلفي في شعبان 651 هـ (سماعا عليه)
 - 1- أبو عبد الله القسطلاني (بعد صلاة العصر يوم الجمعة 12 رجب 684 هـ بفسطاط مصر سماعا عليه وقراءة)
- ابن رشيد (وهو يسمع)

3- حديث " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أذن الله بشيء كإذنه
لنبي يتغنّى بالقرآن يجهر به¹.

وهو جزء من أمالي ابن ميلة.

الرسول صلى الله عليه وسلم

11- ابو هريرة

10- ابو سلمة (ابن عبد الرحمان بن عوف الزهري المدني)

9 - محمد بن عمرو

8- محمد بن عبد الله الأنصاري

7- أبو حاتم محمد بن إدريس المنذر بن حبان البُسْتِي

6- أبو عمر احمد بن محمد بن إبراهيم

5- أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن ميلة الفقيه املاء في ذي الحجة
410 هـ

4- أبو مسعود محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي السودرجاني في
ربيع الأول 493 هـ

3- ابو طاهر السلفي في شعبان 574 هـ

2- ابن رواج في 25 محرم 647 هـ بالقاهرة.

1- ابن درادة وهو جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن
علي بن جعفر بقراءة صاحب ابن رشيد أبي عبد الله ابن سامة الدمشقي
في 23 رجب 684 هـ

ابن رشيد (وهو يسمع)

¹: الرحلة 100/3. وانظر أيضا كتاب فضائل القرآن للإمام أحمد بن شعيب النسائي ص: 94 وفهرست الأحاديث بعد.

4- مسلسل أطعمنا وسقانا

حديث "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية يوم
خير. قال وأمر بالقدر فاكثت وهي تغلي باللحم"¹.

حديث أخرجه مسلم في الذبائح من صحيحه

رسول الله صلى الله عليه وسلم

10- البراء بن عازب

9- ابو اسحاق الهمداني

8- عبد العزيز بن مسلم القسمللي الخراساني

7- ابو محمد شيبان بن فروخ الايلي

6- ابوبكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي الواسطي.

5- ابو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى الحافظ.

4- ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري

3- ابو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري قراءة عليه.

2- ابو محمد عبد الله بن المبارك بن ابي القاسم بن الطويلة (اجازة)

- ابو علي ضياء بن احمد بن الحسن بن الحريف قراءة في جمادى

الأولى 599 هـ ببغداد (وهما يسمعان)

1- عز الدين عبد العزيز الحراني

ابن رشيد

¹: الرحلة 118/3.

5- عن عبد الله بن عمر قال: كنت في دار عائشة وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا فيها، فأكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم تمرات آتى بها رجل من الانصار. إذ أقبل بوجهه وقال: يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى الله. واترك الكذب أولا، تقل الكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور. وعليك بحسن الخلق فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار¹.

رسول الله صلى الله عليه وسلم

18- عبد الله بن عمر في دار عائشة رضي الله عنها

17- نافع

16- مالك بن أنس

15- سفيان الثوري

14- زاذان النحوي

13- عمه وكان في داره

12- أحمد بن يونس بمصر

11- أبو الحسن محمد بن علي بن النعمان البزار باطرابلس

10- أبو الحسن محمد بن المحسن الداني

9- محمد بن الحسين المؤدب

8- أبو القاسم بن بندار

7- أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي

6- أبو القاسم بن صواب المقرئ

5- أبو مروان بن مسرة القاضي

¹: الرحلة 49 مكرر.

4- ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب المقرئ

3- ابو عمرو عثمان بن الحسن الكلبي

- داوود بن سليمان الجوطي

2- جمال الدين بن مسدي بمكة

1- ابو محمد الخلاسي الزاهد بتونس

ابن رشيد

6- المشابكة (شبكت أصابعي بأصابع..)

قال أبو الحسن الباغوزان: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة. ومن شابك من شابكني دخل الجنة. وما زال يَعدُّ حتى انتهى الى سبعة. قال الراوي فشبت أصابعي بأصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا واستيقظت والحمد لله على هذه النعمة¹.

وقد وقعت سلسلة رجال هذه المشابكة كما يلي:

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

5- ابو الحسن الباغوزان (خطيب باجبار)

4- علي بن محمد الباجباري

3- احمد بن سعود بن شداد المقرئ الموصلي.

2- ابو عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي

1- محمد بن ابراهيم القيسي السلاوي (بتونس)

ابن رشيد

¹: الرحلة 42/2.

7- عن أنس¹ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش يسمع الخلائق كلهم: يا أهل التوحيد أن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض.

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13- أنس بن مالك

12- ابان هو ابو يزيد البصري

11- حفص بن عمر

10- يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي

9- عبد الرحمان بن القاسم الدمشقي.

8- محمد بن اسماعيل الديلمي (بمدينة بيروت)

7- ابو حفص عمر بن علي العتكي

6- ابو بكر محمد بن جميل

5- ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن الخطاب الراوي الهمداني.

4- ابو الطاهر احمد بن محمد السلفي الاصبهاني الحافظ

3- ابو الحسن علي بن الفضل المقدسي الحافظ حجة الشريعة.

2- ابو عمرو عثمان بن سفيان بن يحيى التميمي التونسي العدل الثقة بقراءة ابي عبد الله بن حبان الشاطبي

1- ابو محمد الخلاسي في ربيع الأخير 684 بمنزلة مدينة تونس

ابن رشيد

¹: الرحلة ج: 48/2-49.

ويظهر من خلال تلك الاسانيد، ان هناك تقاربا كبيرا في عدد رواة سلسلة الاسناد فيها، إذ يتراوح عددهم ما بين احد عشر راويا وثلاثة عشر، ولكن عدد الرواة في المسلسلات كمسلسل أطعمنا وسقانا، أو احاديث المصافحة يختلف عن ذلك اختلافا كبيرا، إذ يتراوح عددهم ما بين خمسة رواة وتسعة عشر راويا. وذلك بالرغم من أن المسلسلات تشتمل على مزيد من الضبط ولا تسلم من الخلل في التسلسل¹.

وتمتاز هذه الاسانيد بتعيين كيفية التحمل في بعضها وذلك بالقراءة أو السماع أو المناولة أو الإملاء أو الإجازة، وفي بعضها أيضا تحديد المكان والزمان الذي تلقي فيه ذلك الحديث. وإن هذا ليدل على ضبط ابن رشيد وعلى كونه محدثا حافظا حريصا على سلامة الاسناد وصحته.

وفي دراسة الرحلة أنواع أخرى من الاسانيد بعضها مشهور وبعضها الآخر نادر مثل ذكر سلسلة الرواة من الأدباء النحويين² التي نبه عليها بعض من اطلع على الرحلة وأشار إلى ذلك دلالة على تفردا ببعض ذلك وسبقها إلى كثير من الفوائد التي يقل نظيرها³.

¹: تدريب الراوي ج: 189/2. والخلاصة في أصول الحديث للطبري ص: 56.
²: انظر حديث خير آدم الدنيا اللحم (انظر فهرست الحديث) بعد الحديث عدد 164 من هذا البحث.
³: طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 525 ترجمة 1154.

ابن رشيد وعلم الجرح والتعديل

لما كان علم الجرح والتعديل هو ثمرة علم الحديث والمرقاة الكبيرة منه¹ فإنه قد أجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء على أنه يشترط في من يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظا غير مغفل².

ولما كان ابن رشيد تتوافر لديه هذه الشروط والخصائص في عقله وفكره وسلوكه ومقومات شخصيته، فإن مناقشاته في الجرح والتعديل الواردة في الرحلة قد صححت بعض النصوص، واستندركت على الرواة بعض ما وقعوا فيه من الاغلاط أو السهو. ومن شدة حرصه على تحري الحقيقة أنه يرد بعنف وصلابة على ما يرى فيه شيئا من الخلل أو الوضع أو الكذب أو الخطأ، ومن ذلك ما وقع له في الحديث المسلسل "أطعمنا وسقانا" الذي أخبره به شيخه بتونس أبو محمد الخلاسي المتصوف: قال: انا الحافظ ابو المكارم جمال الدين محمد بن مسدي بمكة وأطعمنا وسقانا... والحديث مسلسل الي علي بن ابي طالب رضي الله عنه: أضافني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسودين التمر والماء فقد أورد ابن رشيد ما قاله ابن مسدي عن هذا الحديث أنه حديث غريب من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده تفرد به عبد الله بن ميمون القداح وكان متهما³، ويقال أنه كان يضع الحديث عليه ولا يعلم إلا من هذا الوجه وقال ابن مسدي ايضا: ان سنة تقديمه صلى الله عليه وسلم التمر والماء اذا لما يحضر غيرهما صحيح المعنى بشهادة الآثار الواردة عن مصادره الطاهرة، لأنهما كانا غالب قوته بل رفاهية حال أهل بيته صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا عقب ابن رشيد بقوله: "قال ابن رشيد وفقه الله كتبت هذا الحديث ونحن براء من عهده وآثار الوضع تلوح على صفحته ونعوذ بالله من التقول عليه صلى الله عليه وسلم⁴."

¹: معرفة علوم الحديث ص: 52. وتدريب الراوي ج: 368/2.

²: مقدمة ابن الصلاح 49.

³: المغني في الضعفاء للحافظ الذهبي 359/1 ترجمة 3392: وهو مكي، قال ابو حاتم متروك والبخاري ذاهب الحديث وآخر ليس بحجة. ميزان الاعتدال ج: 1 ترجمة 595 قال ابن حبان لا يجوز أن يحتج بما انفرد به.

⁴: الرحلة 49/2 مكرر.

وتتجلى ايضا أمانته في الجرح والتعديل، في أنه كلما ضبط الوهم على صاحبه تتبع إثارة وتواتر وروده في مواضعه، وإذا جمع الحجج الكافية واكتملت لديه عناصر الاتهام أورد رأيه وأتى بالحكم الذي يصعب رده. ومثل ذلك ما وقع له مع شيخه تاج الدين ابي الحسن الغرافي السني في تحقيق اسم ابي بكر الحرشي الحيري¹، وبما أن الغرافي اورده باسم محمد فان ابن رشيد تعقبه بقوله:

"وقد تكرر هذا الوهم من شيختنا في هذا الاسم في موضع آخر حسبما وجدته مقيدا بخطي عنه وكذلك وقعت عليه بخطه على الوهم².

وكان هم ابن رشيد كذلك هو تخريج عوالي الاسناد في الحديث³، لأن في طلب الاسناد العالي سنة صحيحة، وكان يشترط مع العلو نطقة الاسناد، ومن ذلك ما قاله لما التقى بشيخه الشريف ابي الحسن الغرافي وروى عنه حديث "اول الآيات طلوع الشمس من مغربها"⁴، فقد ورد ذلك الحديث بهذا السند: ابن رشيد عن الغرافي عن ابن دحية عن ابن بشكوال عن ابن عتاب عن ابي عبد الله بن عائذ عن ابي بكر بن اسماعيل عن البغوي عن طالوت عن فضال بن جبير عن أبي امامة الباهلي يقول: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول الآيات ... الحديث".

ومن أسماء الرواة الواردة في هذا السند: فضال بن جبير بن جابر ابو مهند الغداني⁵، وهو يروي عن عبد الواحد بن غياث⁶ وطالوت بن عباد⁷ كما ورد عند ابي علي الغساني⁸.

ومما علق به ابن رشيد على هذا الحديث وغيره قوله:

¹: هو ابو بكر بن الحسين بن احمد بن محمد بن احمد بن حفص بن مسلم الحيري الحرشي (325- 421) طبقات الشافعية الكبرى ج: 4 ص: 6 وشذرات الذهب ج: 217/3.

²: الرحلة 11/3.

³: انظر تعريف العالي والنازل في كتاب معرفة علوم الحديث 5 والكفاية: 53.

⁴: الرحلة 13/3.

⁵: المغني في الضعفاء 510/2 ت: 4904، قال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة وقيل ضعيف الحديث.

⁶: خلاصة التهذيب 247: عنه ابو زرعة قال صدوق.

⁷: طالوت بن عباد الصيرفي: المغني 314/1 ت: 2932 مشهورا ما علمت احدا ضعفه.

⁸: تقييد المهمل مادة (ف.ض.ل).

"أكثر هذه الأحاديث التي أوردها ابن بشكوان والمخرجة لأبي محمد بن عتاب ضعيفة وبعضها بحيث لا يعرج عليه، وإن صح بعضها فمن طرق أخرى غير هذه، وكثيرا ما لهج الناس بهذه العوالي وهي في الحقيقة نوازل، وإنما يحمد العلو مع نظافة الاسناد وإلا فالنزول هو المحمود¹.

وبهذا يتحصل لنا أن لابن رشيد مشاركة في الحديث على طريقة أهل الجرح والتعديل²، لأنه كان يبين أحوال الرواة ويعرف الأخبار الصحيحة من زائفها ويميز المقبول من المردود دون أن يخشى أحدا أو تتملكه عاطفة، أو يحابي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا، وذلك خدمة منه للشرعية وحفظا لمصدرها النقي الطاهر.

ومن مناقشاته في الجرح والتعديل ما ورد له في الرحلة عند ذكر حديث "احب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وهو بالاسناد إلى ابن بشكوال عن ابن عتاب عن أبي عمرو عثمان بن أبي بكر الصوفي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر المفيد سمع أبا الدنيا عثمان بن عبد الله بن عوام سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "احب حبيبك هونا ما ... الحديث"³.

ولما جاء في سلسلة هؤلاء الرواة اسم أبي الدنيا الذي اختلف فيه أهل الجرح والتعديل أراد ابن رشيد أن يكشف عن حالة ويحقق أمره ويبين مكانته بين رجال الحديث فقال:

"قلت والله المرشد: أبو الدنيا هذا الرواة عنه ثقات، والاسانيد إليه صحيحة لا غبار عليها وإنما النظر في أمره، وهو ممن اختلف في اسمه وكنيته".

وبعد أن حقق اسمه في المصادر المعتمدة ككتاب الضعفاء لأبي الفرج ابن الجوزي والعوالي العتابية وفي ما اثبتته أبو بكر بن الخطيب البغدادي وأبو جعفر تميم ابن محمد التميمي وغيرهم في مصنفاتهم اردف مفصلا وموضحا.

¹: الرحلة 13/3 - 14 وانظر ما نقده ابن الصلاح على العاكم النيسابوري في مسألة النزول والعلو المقدمة ص: 130.

²: سبك المقال 90 شجرة النور الزكية 216 ترجمة 760.

³: الرحلة 14/3.

"قلت: وسبب تسميته بالاشج ما وجدته للقاضي الإمام أبي القاسم الهجيمي بن محمد بن طاهر الهجيمي الروباني الطبري أنه قال : أخبرني الشيخ المعمر الأشج حامل لواء أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه سنة تسع وأربعين وأربعمائة (449 هـ) قال : ولدت في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه باليمن وتحولنا إلى المغرب إلى طنجة، فلما كان في خلافة علي رضي الله عنه خرجنا مع أبي فقدمنا إلى أمير المؤمنين وهو خارج إلى صفين فشهدت معه مشاهد وسمعت منه أحاديث، وهذه الشجة التي في رأسي كنت آخذ بركاب أمير المؤمنين يوما ليركب فضرب رأسي بركابه فشجني فقلت قتلتنني يا أمير المؤمنين، فاغتم لذلك فقال لا تحف عمرك الله ثلاثا وأمر من يداويني حتى برئت..."

ولم يكتف ابن رشيد بإيراد هذه الروايات التاريخية، بل أخذ يتعقب أمر هذا الرجل في مصادر أخرى بعضها قديم وبعضها متصل بشيوخه، ولهذا أتى بما قاله شيخه الصالح أبو علي بن أبي صالح¹ وغيره من فقهاء الأندلس كابن عتاب وابن خزرج وغيرهم وفقهاء القيروان كأبي عمرو الصفاقسي عن بعض شيوخه من أهل المشرق. ومن كثرة تحريره وتدقيقه أنه أورد نصا مهما مما حرره له أبو علي السابق ذكره في دفتر وقرأه عليه وصححه بقراءته ليكون ذلك النص فريدا دالا على حسن الاستقصاء والتحقيق الذي لا مزيد عليهما.

وبعد ان اورد كثيرا من الروايات والطرق والنقول من مصادره وآراء أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل عقب على ذلك بقوله:

"فهذا الاختلاف فيه كما نراه في مولده ووفاته وما حكاه عنه أبو جعفر تميم بن محمد التميمي من أنه كان في سنة 311 هـ ابن ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة يقتضي أنه أدرك جملة عمر النبي صلى الله عليه وسلم، بل يقتضي أنه ولد قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذكر الهجيمي نص على أنه ولد في خلافة أبي بكر وانه عاش إلى سنة ست وسبعين وأربعمائة، وما ذكره شيخنا الصالح أبو علي بن أبي صالح من وفاته مخالف ذلك بمدة لا يمكن الغلط فيها إلا لمن يخبر عن تخمين وذلك كله ما ينافي الثقة

¹: ورد اسمه في الرحلة: أبو علي بن أبي صالح التللياني.

بأمر هذا الرجل المعمر، ولولا أن بعض الأحاديث التي أوردها الصفاقسي، وإن كانت التي أوردها الهجيمي أكثر، لقلت هما رجلا ن وبالجمللة إن صح شيء من أمر هذا الرجل فالاعتماد على ما قاله أبو جعفر التميمي، فإنه جليل معروف، ولست اعرف الهجيمي، وقد رمي أبو طاهر السلفي بهذه الأحاديث وشبهها من الأحاديث التي يرويها المسمون بطيور أنس¹، ونعلم في ذلك بيتين له فأجاد وهما²:

(الطويل)

أحاديث ابن نسطور³ وقيس⁴ ويغنم⁵ * * * وبعد اشج الغرب⁶ ثم خراش⁷
ونسخة دينار⁸ ونسخة تبره * * * أبي هدية القيسي⁹ سبه قرأش
ثم ختم تلك المناقشة بقوله:

"وقد أشبعنا القول هنا في أمر هذا المعمر طلبا للكشف عن أمره بما لعلك لا تجده مجموعا في غير هذا الموقع، والله ينفع بالنية في ذلك ويسلك بنا اوضح المسالك وانفعها للسالك.

وزيادة على ما في هذا النص من الفوائد الحديثة فإن فيه دلالات تاريخية وعقدية لمن يهتم بذلك وهي أمر مشاركة أبي الدنيا في وقعة صفين والهجرة من المشرق إلى طنجة بالمغرب في زمن علي رضي الله عنه إثر تلك الواقعة المشهورة، ولكن مهما كانت النتائج التي لا يمكن استخلاصها من ذلك فإن ابن رشيد لا يترك الأمر يمر دون تمحيص أو

¹: وهي إشارة إلى المواضيع في الحديث، والذين لا يعرف عليهم ولا يفرح بعلمهم وروايتهم شبه الريح، وإنما يكتب حديثهم للتعريف به. انظر أزهار الرياض 345/2.

²: نفسه

³: نسطور وابن نسطور هو نسطور الرومي وقيل جعفر ابن نسطور هالك أولا وجود له أبدا، ميزان الاعتدال ج: 4
ترجمة 2002.

⁴: لم يبين ابن رشيد اسمه كاملا، انظر المغني في الضعفاء ص: 527 خاصة ترجمة: 5065: قيس ابن تميم الكلابي المعروف بأشج ركباني أمير المؤمنين علي، دجال.

⁵: يغنم بن سالم بن قنبر يضع الحديث على أنس. المغني 760/2 ترجمة 7216.

⁶: الأشج المغربي كذاب طريقي المغني ترجمة 751 وترجمة 7451 كذاب دجال- أبو الدنيا الأشج المغربي طريقي وبعضهم سماه أبا الحسن علي بن عثمان البلوي ويكل حال فالأشج المعمر كذاب. ميزان الاعتدال ج: 522/4.

⁷: خراش بن عبد الله يروي عن أنس وحفيده خراش كذاب الميزان 2445/4.

⁸: متهم الميزان 2246/4.

⁹: أبو هذبة القيسي ساقط متهم المغني 29/1 ترجمة 199 ثقة صالح حديث الميزان 2188/4.

تدقيق، ولهذا كفانا، بتعليقه السابق، مؤونة الرد على ما قد يزيد في مثل هذه الأمور من الأوهام.

ومن خلال بعض هذه المناقشات الواردة في الرحلة نستنتج أنها تتميز بالإحاطة والتدقيق والاستفادة من كتب الجرح والتعديل والعلم بالرجال وتقديمهم، ثم إننا نلاحظ فيها كثيرا من الآراء المختلفة للعلماء والمقارنات المفيدة والترجيح بين أوجه النظر والاستعانة بالتاريخ وعلم المؤلف والمختلف في الحديث، ونجد فيها بعض الاستنتاجات الحسنة التي ينفرد بها ابن رشيد، وذلك إما لحصوله على تلك النوادر لنفسه وإما لاتصاله الشخصي بالشيوخ الذين لديهم تلك المصادر والمؤلفات التي يعز وجودها عند غيرهم، وأما الخاصية الأخرى فهي أنه كان يروي عن شيوخه الأجلاء فيمحص رواياتهم ولا يقبلها على علاقتها، ومن هنا نستخلص أيضا أن المغرب كان في هذه الفترة يحتوي على محدثين مشهورين مطلعين على التراث الإسلامي أحسن اطلاع وهذا ما ندركه مثلا عند قراءة رحلات العبدري والتجيبى والبلوي وما أوردوه من مناقشات لبعض المسائل الحديثية وغيرها وتدقيقهم فيها. وبالرغم من أنه ليس في أجزاء الرحلة الموجودة كثير من مسائل الجرح والتعديل، إذ لم يرد فيها سوى 35 مسألة تقريبا تعطينا مع ذلك صورة واضحة عن منهجه ومستواه في ذلك العلم، إلا أن ما في الرحلة من تقويم شيوخه بالتعديل والجرح وما توافر لدينا من كتبه مثل كتاب إفادة النصيح وما اشتمل عليه من التراجم وكتاب السنن الأبين وما فيه من الاسانيد والمقارنات والمفاوضات¹ كل ذلك يبرز لنا القيمة الحقيقية لما أنتجه ابن رشيد في هذا الفن.

¹: السنن الابين ص: 2.

كان من أكبر الفقهاء الذين اتصل بهم ابن رشيد: ابوبكر بن حبيش وأبو العباس ابن الغماز وأبو القاسم بن زيتون وأبو العباس الكتاني وابن دقيق العيد وأبو المعالي الاصبهاني، ولهذا أورد لهم في تراجمهم بعض المناقشات الفقهية والأصولية المفيدة. ويظهر من خلال تلك المناقشات ان ابن رشيد لم يكن يكتفي بإيرادها فحسب وإنما كان يعقب على أغلبها بالشرح والإيضاح والمقارنة بين بعض المذاهب، وذلك على طريقة ابن رُشد في كتابه بداية المجتهد. وما أن ابن رشيد كان يلتقي بالعلماء والفقهاء من المالكية في المغرب والشافعية بمدينة مصر والقاهرة والإسكندرية ومن الحنفية بالشام (من دمشقيين وبعثانيين) ومن الحنبلية بالحرمين الشريفين، فلا شك في أنه كان لهذه المذاهب كلها أثر في شخصه وتكوينه العقلي وفي أحكامه كما نجد ذلك عند صاحبه أبي حيان النحوي الغرناطي نزيل القاهرة، فقد كان يرى رأي الظاهرية أولاً ثم تذهب للشافعي بعد ذلك¹ بل إن هذا هو الذي دفع بعض من ترجم لابن رشيد إلى القول بأنه كان على مذهب أهل الظاهر بينما كان في الحقيقة مالكي المذهب. ولكنه من ذلك لم يكن يتعصب لأي مذهب التعصب الأعمى، ويتجلى ذلك في بعض المناقشات الفقهية مثل تفصيل قوله في الطواف وذكر الشاذوران²، فقد أشار إلى انه لا توجد هذه التسمية ولا ذكر مسماها في حديث ولا عن صحابي ولا عن أحد من السلف المتقدمين أو المتأخرين فيما علم، وما ذكر منه عند الفقهاء المالكيين كأبي محمد بن شأس في جواهره وما تبعه فيه أبو عمرو بن الحاجب إنما نقل ذلك من كتب الشافعية إذ لا تعرفه المالكية ولا يعرفه أهل النقل والأثر إلا ما وقع في كتب الشافعية، ولو لم يكن لابن رشيد إلمام واسع بالمذاهب وقرس بدقائقها لما أدلى لنا بهذا الرأي.

¹: نفح الطيب: 296/3.

²: الشاذوران هو القدر الذي ترك في عرض الأساس خارجاً عن عرض الجدار خالياً من البناء، وإن قرشنا لما رفعوا الأساس بمقدار ثلاثة أصابع من وجه الأرض نقصوا عرض الجدار عن عرض الأساس الأول فبقي ذلك القدر من عرض أصل الجدار جزءاً من البيت العتيق المأمور بطوافه خارجاً عن الجدار المرتفع وهو طالع لكي لا يظهر عند الحجر الأسود، وقد أحدث عنده في زمان ابن رشيد شاذوران وأن يصعده الجاهل فيمشي بطوافه عليه فيبطل طوافه. الرحلة 21/5. وأخبار مكة 309/1.

ولما كان الأندلسيون والمغاربة على مذهب مالك فإننا نجد أن العلماء في هذه الفترة كانوا يحاولون تحديد المذهب والرجوع إلى كتب الغزالي التي كانت تعد ثورة انقلابية على كثير من المفاهيم والآراء¹. فابن رشيد كان قد اتصل ببعض الشيوخ الذين كانوا يحملون في وطابهم كل مؤلفات أبي حامد الغزالي كأبي جعفر اللبلي الذي كان من مروياته: كتاب إحياء علوم الدين، وقد سمع كثيرا منه على ابن أبي عبد الله الأزدي وحدثه بجميعه عن أبي محمد الحجري² عن أبي بكر بن العربي³ عن مؤلفه. ثم إن أبا جعفر هذا كان قد حمل جميع كتب الإمام الغزالي بهذا الطريق⁴، وتفهم من ذلك أن الغزالي وكتبه كان محط آمال الرواة والمفكرين والفقهاء بالرغم من إحراق بعض مؤلفاته ومحاربتها في فترة معينة. ونجد في الرحلة إشارات كثيرة إلى الغزالي منها خبر قراءة أبي جعفر اللبلي العقيدة النظامية⁵، وهي في أصول الدين⁶، على أبي عبد الله الأزدي على أبي محمد الحجري على ابن العربي على الغزالي مؤلفها⁷. وابن رشيد كان يجلُّ الغزالي ويقدره ويحفظ له من شعره أيضا فقد أنشده بعض أصحابه شعرا للنجم الاسرائيلي يصف كحالا يكحل أرمدا وسيما ومنه: (الكامل)

أو كلما كلت سيوف جفون من * * سفكت لواظحه الدماء سننتها

فعقب عليه ابن رشيد بقوله: وقد سبق إلى هذا المعنى الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله وكان كثيرا ما ينشده في مجالس وعظه: (الطويل)

وها تـفـه في البان تـمـلي شجونها ... الايات⁸

وقوله: (الكامل) دبت عقارب صدغه في خده⁹

¹: انظر كتاب عصر المنصور الموحي لمحمد الرشيد ملين ص: 258.

²: ترجم له ابن رشيد في كتابه إفادة النصيح 78-95.

³: أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي (تقديم ص: 5).

⁴: الرحلة 30/2.

⁵: العقيدة النظامية لأبي المعالي أمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويي (ت 478)، كشف الظنون 1159/2.

⁶: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة للجويني ط: 1385/1 ص: 46.

⁷: الرحلة 30/2.

⁸: الرحلة 48/3.

⁹: الرحلة 116/6.

ويظهر ذلك أيضا في قوله برؤية مقدمة في الترجيحات لأبي بكر الخطيب تأسيسا بالإمام حجة الإسلام وعلم الإعلام أبي حامد الغزالي في تصديره للمستصفي¹.

ثم إن الاتجاه العام في الرحلة أسوة بما تقدم، هو الاهتمام بالأصليين: الكتاب والسنة القاضية على الكتاب.

ولنا في دراسة الرحلة تناول لبعض المسائل الفقهية الواردة فيها لنرى مذهب ابن رشيد فيها أكثر وضوحا.

¹: الرحلة 89/3، والمستصفي من علم الأصول للغزالي ص: 11-18.

د: ابن رشيد والتصوف

بحكم اتصال ابن رشيد أيضا بمن لهم شهرة في ميدان التصوف وقدم راسخة فيه كأبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني وأبي محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي ومحمد بن عبد المنعم بن الحيمي وأبي النقي صالح بن سليمان بن شوشن وأبي عبد الله القيسي السلاوي وعفيف الدين سليمان النلمساني وعبد السلام بن مزروع البصري وأبي اليمن عبد الصمد بن عساكر ومكين الدين عبد الله بن منصور بن الاسمر وأبي العباس الاشعري وأبي محمد المرجاني وأبي محمد الطبري، ولباسه الخرقه من القسطلاني والخلاسي¹، فإن ذلك يرينا جانبا آخر من جوانب مقومات شخصيته وثقافته. ولكن بالرغم من الاتصال الوثيق بأولئك الشيوخ لا ينبغي أن نغفل نغمة صوفيا مشهورا وإنما نغده من المتصوفين أو المتشبهين وذلك لِمَحَبَّتِهِ إياهم وصحبته لهم²، فقد اتصل ابن رشيد في مدن الشام بأمرأء الطريق المشهورين آنذاك وكان لهم إلمام بما كان رائجا في فارس وما جاورها في الوقت الذي كانت فيه مدرسة ابن عربي تعرف انتشارا في مدن العالم الإسلامي شرقا وغربا، ولهذا نجد مثلا في سلسلة الروايات التي أوردها ابن رشيد لبعض الشيوخ رجلا مشهورين كأبي العباس أحمد بن محمد بن ميمون المالقي المعروف بابن السكان وهو الأديب المحدث الفقير الصابر³ وعبد المحسن بن فرامرز الحنفي البهري العالم العارف الزاهد الصوفي الشافعي⁴ وأبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي قاوم شذوذ الصوفية وأنكر خروجهم عن حدود الشرع⁵ وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي المعافري الأندلسي الواضح في الزهد والعبادة والقديم في الطريق⁶ وعز الدين محمد بن أبي القاسم السلمي أوحده دهره، وفريد عصره ولسان الشريعة وسيد علماء الطريقة⁷ ومجد الدين أبي زكرياء الاصبهاني الذي صحب أبا نعيم الاصبهاني وتعلمذ طريقا وتحقيقا على أبي عبد

¹: انظر التعريف بهؤلاء في تراجم من لقيهم من الشيوخ والأصحاب.

²: عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردي ط: 1، 1966، انظر الفرق بين الصوفي والمتصوف والمتشبه. باب 7 ص: 65.

³: الرحلة 66/2 والذيل والتكملة سفر 1 قسم 2 ص: 521 ترجمة 768.

⁴: الرحلة 111/3، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي 314/8، ترجمة 1219.

⁵: الرحلة في أماكن منهاج: 62/2 - 46 خاصة، وج: 6/3 - 13 - 14 - 81 و 115 خاصة. ج: 106/6 ج: 65/7 وانظر

كذلك ذم الهوى لأبي الفرج بن الجوزي ط: 1962/1 ص: 8. وانظر ابن خلكان 140/3 ت: 380.

⁶: الرحلة 53/2 وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: 423 ترجمة 961 انظر مصادر ترجمته هناك.

⁷: الرحلة 12/6.

الله الهروي¹ وغير ذلك مما له اتصال بالطريق ولباس خرقة التشريف أو خرقة التعريف من شيوخ مشهورين مذكورين في سلسلة رواية الأخذ لأبي محمد الخلاسي² والفيقيه الزاهد أبي بكر محمد بن إبراهيم بن الحسن الرازي المعروف بالحنيفي³.

وبهذا نخلص إلى أن ابن رشيد عرف ومارس نماذج مختلفة ومتباينة من التصوف المعتدل والمتطرف. ولو توافر لدينا الجزء الرابع المفقود لأمكن لنا أن نرى كيف كانت علاقته مثلا بعفيف الدين التلمساني الذي رمى بكثير من صفات الغلو والإفراط في الاعتقاد⁴، فقد أخذ عنه شيئا من شعره ومروياته وسجل عنه بعض آرائه وأفكاره في الزهد والتصوف⁵ ولكن الإشارة إليه في الأجزاء المعروفة ضئيلة جدا لأنه لم يورد اسمه إلا عرضا في ترجمة شرف الدين أحمد بن عبد الله الجزائري وذلك في قوله: "أنشدني لشيخنا عفيف الدين أعني عفيف الدين التلمساني..."⁶ ولكنه لم يقدم له بأي وصف خلقي مثلما يفعل في تقديم شيوخه الآخرين ولو فعل ذلك لاستفدنا من حكمه عليه بذلك الوصف، ولاستنتجنا منه موقف ابن رشيد من التصوف السائد في الشام بعامة واتجاه عفيف الدين التلمساني في نظره فقد أورد له قطعة في ستة أبيات منها:

(الطويل)

إذا أومضت من جانب الحي أو همت * * فإن سليمي قد أميط لثامها
علي لها أن لا أهيم بغيرها * * وليس عليها أن يدوم ذمامها
فعقب عليها بأنه لا يذكر أنها من إنشاد أحمد بن عمر الجزائري له ذلك
وليتحقق أمرها وسبب شكه أنه وجد منشدات متصلة بها من إنشاد شيخه أبي بكر بن
حبيش ولهذا لا يدري أي الرجلين أنشدها له. والتلمساني هذا كان ممن يدعي العرفان

¹: الرحلة 54/2.

²: الرحلة 53، 56.

³: الرحلة 20/3.

⁴: شذرات الذهب ج: 412/5 وفيات 690، وفوات الوفيات 72/2 ت: 179.

⁵: الرحلة 58/5.

⁶: درة الحجال 306/3 ترجمة 1396 أخذ عنه وأجاز له.

ويتكلم على اصطلاح القوم¹ وهناك من ينسببه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية، وكان أيضا حسن العشرة².

وباللقاء نظرة عامة على الرحلة واتجاهها يتحصل لنا أن ابن رشيد لم يكن ليأخذ عن شيوخه وما شذ في أخلاقهم أو طباعهم والدليل القاطع على ذلك ما رأيناه في دراسة أحواله وخلقه وطبعه.

¹: انظر في تعريف المعرفة وصفة العارف: كتاب اللمع في التصوف لأبي عبد الله ابن علي السراج الطوسي مطبعة بريل ليدن 1914 ص: 35-41، وانظر مقدمة ابن خلدون ص: 473 وروضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب تحقيق عبد القادر عطاء. ط: 1387 ص: 433.

²: فوات الوفيات 72/2.

2-ثقافة ابن رشيد في الأدب والعلوم اللسانية وغيرها

ابن رشيد الأديب

شعره

أهم مصادر شعره

دراسة بعض موضوعات شعره

الشعر الديني- الاخوانيات- الحنين والشوق-

الوصف

موضوعات عامة

- قيمة شعره

- ابن رشيد البلاغي الناقد

- ابن رشيد النحوي

- ابن رشيد العروضي

- الحس التاريخي لدى ابن رشيد

- ابن رشيد الجغرافي

- ابن رشيد الخطاط

أ- ابن رشيد الأديب

لقد اشتهر ابن رشيد بكونه محدثا وفقهيا وخطيبا ومفسرا، ولكنه إلى جانب ذلك كان مبرزاً في الأدب شعره ونثره وما يتصل بذلك من النقد والبلاغة والعروض، لأننا عندما نطلع على مؤلفاته في ذلك نجد أنها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤلفاته في علم الحديث¹ وأن أكبر دليل على علو كعبه في هذا الميدان ما نجده في الرحلة من الاشعار الكثيرة من نظمه أو من النصوص الأدبية التي كان يجمعها ويختارها ويغوص على معانيها ولو لم يكن لديه ميل إلى الرواية وحب في الجمع والتصنيف وحظ من الذوق الرفيع لما حفلت رحلته بما يعد ذخيرة مهمة في الإنتاج الأدبي في عصره وما قبله². وقد أسهمت صحبته لعدد من الأدباء الأجلاء والشعراء المشهورين والكتاب الملحوظين والنقاد السائري الذكر³ في توسيع معرفته واكتساب اتجاه متميز في الأدب والنقد، ثم إن إيراد تلك النصوص الكثيرة والأخبار المهمة على طريقة خاصة، جعل من رحلته مصدرا مهما يشبه إلى حد ما يتيمة الدهر للثعالبي أو الذخيرة لابن بسام الشنتريني.

وأن شخصية ابن رشيد الأديب الناقد لتظهر كذلك من خلال شعره ونثره الذين صمناها وحلته، مما يجعل مؤرخ الحركة الأدبية للعالم الإسلامي بعامة وبلاد تونس بخاصة لا يستغني عما ورد في الرحلة من هذه الجوانب. وسنكتفي فيما يلي بمحاولة إبراز بعض المعالم الكبرى من شخصيته الأدبية.

شعره:

إننا لا نعرف لابن رشيد ديوانا شعريا مجموعا، ولكن ما ضمته مؤلفاته وبعض المصادر التي ترجمت له ينبئ بتعدد نماذج شعره. وتنوع موضوعاته وأغراضه⁴، فقد كان

¹: انظر قائمة مؤلفاته في هذا البحث.

²: لعل ذلك هو الذي جعل لسان الدين بن الخطيب يصفه بأنه كان محافظا على العربية ريان من الأدب، الإحاطة 136/3.

³: من أمثال حازم القرطاجني ومالك بن المرحل وابن عبد الملك المراكشي وابن البناء العددي وأبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الناقد وابن الحكيم الرندي الرئيس الأديب وأبي بكر القلوسي الاصطبوني العروضي وأبي اسحاق إبراهيم وأبي عبد الله بن خميس التلمسانيين وابن النحاس الحلبي وشرف الدين الجزائري وغيرهم. (انظر تراجمهم في شيوخه وأصحابه).

⁴: وقد قمت بجمع ما وصلت إليه يدي من شعر ابن رشيد وهو شعر يحتاج إلى دراسة مستقلة.

مثلا يدرس شعره وشعر غيره، ويذكر المنتوري أن أبا علي عمر بن احمد القرشي العبدري روى مقصورة حازم على أبي عبد الله محمد بن عبد الرزاق المعروف بان أبي حاج وأبي بكر ابن جزى وذلك بروايتهما عن شيخها أبي عبد الله بن رشيد¹. وأشار المنتوري كذلك إلى أن ابن جزى روى عنه منظوماته وتآليفه².

أهم مصادر شعره: بعد البحث والتنقيب استطعت أن أحدد أهم مظان شعر ابن رشيد وأذكر منها:

- الرحلة: وتضم معظم ذلك الشعر، فقد ورد ما يربو على 245 (خمسة وأربعين ومائتي بيت³) في 35 موضعا تقريبا وهو موزع بين التنف والمقطعات والقصائد⁴.

- كتاب الاحاطة لابن الخطيب: وفيه سبعون بيتا في ثلاثة مواضع أي في مقطوعة وقصيدتين وقد نقل جل ذلك من الرحلة⁵.

- ازهار الرباع: وفيه أربعة عشر بيتا في ستة مواضع أي في أربع مقطوعات وبيتين مفردين⁶.

- بغية الوعاة: وفيه سبعة أبيات في مقطعتين⁷

- طبقات المفسرين للداودي: وفيه خمسة أبيات في مقطعتين⁸

- درة الخصال: وفيه ثمانية أبيات في ثلاث مقطعات⁹

- الوافي بالوفيات: وفيه ستة أبيات في مقطعتين¹

¹: فهرست المنتوري 101.

²: نفسه ص: 220.

³: أي خمسة وأربعون ومائتي بيت.

⁴: انظر الرحلة 52/2، 70/3، 17/5، 20-56، 13-1/6، 81-83، 94-2/7، 3-4، 24-25، 27-34، 35-36، 38-39، 50-51، 66-67، 81-94.

⁵: انظر ج: 141/3.

⁶: انظر ج: 352/2 و276 وكذا ج: 253/3 و344/4 و347 وكذا صفحات 184-193-232-233.

⁷: انظر ص: 85.

⁸: انظر ص: 217 ت: 552.

⁹: انظر 98/2-99.

- الاعلام للمراكشي: وفيه تسعة أبيات في ثلاث مقطعات².

وبهذا يكون مجموع تلك الأبيات قريبا من ثلاثمائة بيت في سبعين موضعا تقريبا، وهي موزعة بين التنف والمقطعات والقصائد، ونلاحظ أن تلك المصادر مجموعة، غير الرحلة، لم تمدنا بأكثر من خمسة وخمسين بيتا، وذلك إذا استثنينا ما كان ينقله أحدها عن الآخر أو عن أجزاء الرحلة الموجودة والمفقودة.

ونظن، مع ذلك، أن ما تجمع لدينا من نماذج شعر ابن رشيد لا يمثل كل شعره، باعتبار أنه لم يضمن رحلته كل ما قاله، ولكون بعض المصادر الأخرى قد اكتفت بإيراد الأبيات القليلة منه أحيانا.

أغراض شعره: أما أغراض شعر ابن رشيد فقد تقسمتها موضوعات عديدة تتفاوت من حيث الأهمية والغزارة والقيمة الفنية ففيها ما هو خاص بالشعر الديني كالحجازيات من وصف المقامات الشريفة والعرصات الكريمة والشوق والحنين إليها ومدح النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر خلقه العظيم ووصف مثال نعله الكريمة. وكذا في الزهد والاستغفار³.

ومنها ما هو في الاخوانيات كمدح الشيوخ والأصحاب ومراسلتهم والإجابة عن كتبهم وكذا الاعتذار وما يتصل بذلك⁴.

ومنها ما هو في الوصف بأوسع معانيه⁵.

وفي الحنين والشوق إلى الأبناء ورثاء بعضهم⁶.

ومنها ما هو في موضوعات عامة كمدح الكتب والسفر وفي الأغضاء والتجاوز والتوقيع والألغاز وغير ذلك⁷.

¹: انظر: ج: 284/4 ت: 1805

²: ج: 2 ص: 253-255.

³: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من خمسة وثمانين ومائة بيت.

⁴: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من اربعين بيتا.

⁵: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من خمسة عشر بيتا في حين اننا نجد خصائص وصفه في جميع شعره.

⁶: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من ثمانية وثلاثين بيتا.

⁷: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من ثلاثين بيتا.

ولأجل معرفة قيمة هذا الشعر ووضعه في المكان اللائق به لا بد من أن نورد بعض النماذج منه لتكون دالة على شخصية صاحبها وتعريفا بأحوال الشعر في عصره، ورصدا لما طرأ عليه من التغير والتطور وما استحدث في مبناه ومعناه باعتباره نموذجاً للشعر في ذلك العصر خاصة. وسأتوخى في عرض ذلك الإيجاز والاختصار قدر الإمكان لأن هذا الشعر كما أسلفت يحتاج إلى تحقيقه ودراسته دراسة خاصة.

دراسة بعض موضوعات شعره:

من شعره الديني: تمثل الحجازيات قسماً مهماً من شعر ابن رشيد الديني، فمن ذلك ما نظممه بتونس عام 685 هـ، وقد دخلت أشهر الحج فتذكر أيام العجّ والثج¹ (17 بيتاً)² ومنه (البسيط):

يا أشهر الحج قد هيّجت لوعاتي * * فعبرني لم تطق نقعا لغلاتي.

يا ليلة في ألأل³ قد ظفرت بها * * كأني من سروري في منامات

وهو يشير في هذا النموذج إلى ما كان يكنه لتلك المقامات وساكنيها من الحب والوفاء الصادقين كما يترجم عن خلقه وطبعه وكرم نفسه:

عاهدتهم أن أفي والصدق من شيمي * * أن المحب صدوق في المودّات

فهمت سرر معانيهم فهمت به * * لما سقيت بكاسات المصافاة

اروم اضماره والـحال تظهره * * نور الزجاجة لا يخفى بمشكاة

ففي هذه الأبيات نجده متأثراً بطريقة الصوفية، ويتضح ذلك من خلال استعمال بعض تعابيرهم واصطلاحاتهم مثل الهيام والمساقاة بكاسات المصافاة والحال، ولعل ذلك جرياً على مذهب ابن عربي الذي كان مهيمناً في هذا العصر على الشرق والغرب الإسلاميين⁴، أما من حيث المبنى فنجد أن ابن رشيد يميل إلى استعمال كثير من

¹: أفضل الحج العج والثج، فالعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج اسالة دماء الهدي (لسان العرب).

²: الرحلة 51/7.

³: سيااتي التعريف بالمصطلحات الجغرافية.

⁴: انظر الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه للدكتور عباس الجراري ج: 1/143.

المحسنات البديعية والبيانية، فمن ذلك الجناس بين (فهمت) من الفهم و(فهمت) من الهيام، كما تجده يستغل السورة القرآنية من الناحية الفنية وذلك في البيت الأخير الذي ينظر فيه إلى قوله تعالى: الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري. الآية¹.

ومن تلك الحجازيات قصيدة قالها وقد أرق ليلة فسمع مغنيا يغني قصيدا حجازيا فشغل باله وهيج بلباله² فنفت نفثة المصدور، على حد تعبيره، متذكرا أيام السرور بتلك المعاهد اللائحة النور، (25 بيتا) ومنها³(الرمل).

أهل ودي لا تدينوا بالصدود ** بدمام كان في وادي زرود
وخلّص إذا وردنا خلصه ** فرعى الله أويقات الورود

وفيها يعبر عن شوقه وحنينه إلى تلك المقامات، ويتذكر أويقات الورود مستعملا صيغة التصغير تعبيرا عن ظمئه المستمر لورودها وقصر تلك المدة التي يقضيها هناك. ولا شك في أن للتصغير دلالة خاصة عند ابن رشيد وغيره من الشعراء كالمثنبي والشريف الرضي كما سنرى بعد في دراسة الشعر الوارد في الرحلة⁴.

وقد تذكر ابن رشيد في هذه القصيدة كل ما يقوم به الحاج من الأعمال والشعائر، ولهذا ذكر منى والصفاء والمروة وزمزم والحجر الأسود ونعمان الأراك وسلعا وقباء وغيرها من الوهود والنجود، ويظهر بعض ذلك في قوله:

وسقى الله عهدا بمنى ** اظفرتنا بالمنى سكب العهد⁵
كم صفا موردنا في مروة ** والصفاء بين حدود وصعود
كم لنا من شربة في زمزم ** بردت نيران قلبي ببرود
وفيها يقول:

1: سورة النور الآية 35.

2: البلبال شدة الهم والوسواس.

3: الرحلة 51/7.

4: انظر دراسة شعر الرحلة.

5: العهد أول المطر جمع عهاد وعهود.

يا وفود المصطفى طوبى لكم * * فانعموا في كل عام بالوفود
ونجد الشاعر أيضا في هذه الأبيات يستعمل كثيرا من المحسنات البديعية من
الجناس خاصة مثل (المنى ومنى) (والعهود والعهود) (وصفا والصفاء) (بردت والبرود).
ومنها قوله مشيرا إلى شدة شوقه إلى المدينة المنورة التي تحمد نسماتها بعض
اوار ذلك الشوق ولظاه.

ان سرت من طيبة لي نسمة * * اخمدت ما بفؤادي من وقود
بلدة من حلها منزلة * * حل بالبلدة اوسع السعد
وتتجلى هنا عاطفته الحارة نحو تلك المقامات الشريفة وشدة شوقه إليها، ونلاحظ
كذلك ما فيها من استعمال مصطلح من مصطلحات منازل القمر وهو (سعد السعد)
إشارة إلى موقع تلك المناسبة من نفسه وابتهاجه بها. وقد خمس هذه القصيدة صديقه
أبو عبد الله بن الحكيم، وظن ابن رشيد أنه لم يكلمها لعارض السفر، وهذا يدلنا على
أن شعره كان يتناوله الشعراء بالدرس والنسج عليه وذلك لبلاغته وجودته ولما يحمله من
المعاني الشريفة والبليغة.

ومن تلك القصائد أيضا ما أنشده بعد ما وصل إلى بلده، سبتة مُتَشَوِّفًا مُتَشَوِّفًا
إلى تلك المعاهد، وذاكر بعض الأفعال المرجو قبولها بتلك المشاهد العظيمة (55 بيتا)
منها¹ (الطويل)

أقول إذا هب النسيم المعطر * * لعل بشيرا باللقاء يبشر
وعل الصبا مرت على ربع جيرتي * * فعن طيبهم عرف العبير يعبر
وإن كان كثير من الصور الواردة في هذه القصيدة قد أوردها في القصيدتين
السالفتي الذكر، فإن ابن رشيد قد نوع في طريقة التعبير وسلك مناحي أخرى من
الأسلوب، حتى لم يعد هذا المكرور ممجوجا ولا ذلك المألوف معهودا. وإن هذا التكرار

¹: الرحلة 56/7 والاحاطة 138/3، ولاحظ الاختلاف في كثير من كلماتها، في المرجعين، وينبغي التنبيه أيضا على أن
محقق الإحاطة لم يشر إلى ذلك وأنه لم يطلع على القصيدة في الرحلة المصدر الرئيسي شعر ابن رشيد.

في المضمون مع اختلاف القصائد، والتوسع في صيغ التعبير ليدل على أن هذا الموضوع قد ملك على ابن رشيد نفسه وعقله حتى شغف به شغفا كبيرا فاستغرق عليه شعوره وفكره. وما يلاحظ فيها أيضا ولوعه بالتجنيس مثل قوله (عَلَّ، عَلَيَّ)(الرَّبع، والعَبير، يُعَبِّر) وكذلك كثرة ورود حرف العين بصفة تثير الانتباه، وذلك بأن حروف الحاء والعين والهاء والهمزة تحمل دلالة الحزن والهم والغم.

ومما أبدع فيه وصاغه على طريقة أهل التصوف قوله في موسم عام 687 هـ وقد سمع ما هيج شوقه المقلق من النداء على سفر بعض المراكب إلى بلاد المشرق(56 بيتا) ومنه¹(البسيط).

أهوى الحجاز وإن لم يمس لي وطنا * * ولم يكن أهله أهلي وجيراني
طاف السقاة على شرب الهوى فدعوا * * باسمي فلباهم دمعي وأشجاني
قالوا الشراب فقلت الدمع أغناني * * قالوا الندامى فقلت الوجد ندماني
قالوا النهوض فقلت العدم أقعدني * * قالوا النصبر قلت الشوق أفناني
كم ذا يطوف فيلقاني * * لقي ولا خمر إلا دمعي القاني

فلا شك أن ابن رشيد أعطانا صورة واضحة عن مدى أثر تلك الذكرى في نفسه وعقله حتى صار فؤاده جذوة من الشوق والحنين لا تنطفئ وقودها، بل انه يذكر بالصور التي عبر عنها بعض الصوفية في أشعارهم لتمثيل المواقف والأحوال كالهوى والوجد والصبر والفناء والخمر، هذا بالإضافة إلى الحوار الذي أضفى على القصيدة نوعا من الحياة والحركة وكذا ما فيها من الناحية الفنية من التجنيس مثل قوله يلقاني، لقي، القاني وهو من البديع المرغوب فيه.

وبعد أن استعرض كعاداته جل تلك المقامات والمشاعر عرج على طيبة وساكنها محمد صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه ويحييه:

¹: الرحلة 67/7.

أهدت لنا طيبة أرجا* * نسيمه نم عن رُوح وريحان
 وحين لاحت لنا من طيبة قبب* * زواهر هي والجوزاء سيان
 ملنا نحيه والاجلال يوقفنا* * والشوق يزعج ما يثنيه من ثان
 فَطَلْتُ اهتز من وجد ومن وله* * والدمع ما بين تسكاب وتهتان
 من ذا يرى ربح محبوب فيصبو عن* * لثم وتصفير خد فعل ولهان
 وفي طيبة نلت ما قد طاب من أمل* * نجني ثمار الأمانى قطفها دان
 عليه من رينا أزكى تحيته* * ما غرد الطير في أفياء أفنان

زيادة على ما في هذه الأبيات من المناحي البلاغية والأخذ من أفكار الصوفية ومواجههم فإن فيها أثر الأسلوب القرآني والاقتراس من غرر آياته مثل قوله بالروح والريحان الذي نم عن نسيم طيبة، والقطوف الدانية التي تجني من ثمار الأمانى ولو استظهرنا القصيدة كاملة لأبرزت لنا غير ذلك مما يحمد ويستجاد شكل ومضمونا.

ومما ذكره أبو العباس المقرئ¹ ان القاضي عياضا قال في معرض زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، منشدا لنفسه أبياتا أجاد فيها غير أن بيتا فيها ضعيف المعنى ينافي ما قصده من تفخيم الزيارة وتعظيمها وهو قوله(الكامل) :

لولا العوادي والأعادي زرتكم* * ابدا ولو سحبا على الوجنات²

فجعل العوادي والأعادي تصد عن زيارة الحبيب، والحبيب إذا تمكنت محبته من القلب لا يصد عن زيارته شيء ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه ثم أردف المقرئ قائلا :
 ألا قال عياض كما قال ابن رشيد (الطويل):

¹: ازهار الرياض ج: 4/183-184-193-232-233.

²: انظر كتاب الشفا للقاضي عياض، باب 3 فصل 7، وذلك في تعظيم أمره صلى الله عليه وسلم ولزوم توقيره وبره ومنها:

يا دار خير المرسلين ومن به * * هدي الانام وخص بالآيات
 لاغفرن مصون شيبى بينها * * من كثرة التقبيل والرشفات (ص132، 133)

هو القصد إذ غنت بنجد حداثنا * * وإلا فما نجد وبدر ورَّيَّاهُ

وتما الله لو ان الأسنة أشرعت * * وقامت حروب دونه ما تركناه

وزاد المقري مستخرجا ما في بيت ابن رشيد من الصور البلاغية بقوله: ولقائل أن يقول: إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية فالمعتبر فيما كان من هذا القبيل معناه لا لفظه، والمجاز من جهته أظهر.

ونستخلص من ذلك التعليق أن ابن رشيد وفق في المعنى السابق بما لا مزيد عليه من التوضيح. ومن سوء طالعنا أنه لا يوجد بين أيدينا إلا هذان البيتان ويحتمل أن يكونا ضمن إحدى قصائد، الحجازية الطويلة:

ومما يتصل بالشعر الديني أيضا ما قاله ابن رشيد في مثال النعل الكريمة، فقد أنشد القاضي أبو البركات البليقي قال: أنشدني الفقيه الخطيب أبو عبد الله ابن رشيد لنفسه في تمثال نعل النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رآه بدمشق في دار الحديث الاشرفية (5 أبيات)¹ (الطويل):

هنيئا لعيني ان رأيت نعل أحمد * * فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي
وهي مشهورة:

ولا شك في أن هذه الأبيات في الجزء الرابع المفقود الذي يشتمل على أخبار رحلته إلى الشام ودمشق، ونجد ابن رشيد في هذه الأبيات لا يجتزئ برؤية أثر من آثار النبي صلى الله عليه وسلم إذ لا يعتبر نفسه قائما إزاءه بالواجب إلا عندما يقبله ليجد تلك اللذة الروحية التي لا تعدلُها لذة ولا يطفى أوارها حتى ذلك التقييل الذي يزيده شوقا وهياما:

وقبلتها أشفي الغليل فزادني * * فيا عجباً زاد الظمأ عند موردي
فلله ذاك اللثم فهو ألد من * * لى شفة ليا وخد مـورد

¹: بغية الوعاة 85، وازهار الرياض 366 والاعلام للمراكشي 252/3-253.

ثم إن رؤية هذا الأثر الشريف تقوم في ذهنه معلما تاريخيا يؤرخ به حدثاً من أهم الأحداث وذكرى من أعز الذكريات وذلك لما كان هذا الأثر حافزاً على تفتيق قرائح كثير من الشعراء فأجادوا في تصوير العواطف النبيلة نحو النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن شعره في الاستغفار أن أبا العباس المقري وجد بخط القاضي البيزناسني نصاً وقف فيه على إجازة ابن رشيد لست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي مؤرخة بغرة محرم عام 721 هـ الذي توفي فيه: (الطويل)¹.

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

فابن رشيد وأثق من أن الله يغفر الذنوب جميعاً، إلا أن يشرك به فهو التواب الرحيم والعفو الغفور. وإننا لا ندري أ جاء هذا البيت مفرداً أم ضمن قصيدة. ورغم وجود بيت ثان يشفع وثره فإن الدلالة على شرف المعنى فيه أقوى ما تكون، لأنها مقتبسة من أنوار القرآن الكريم وهديه. ويمكن أن ننظر إلى قوله " (الخطاء) بشيء من التأمل والإمعان، لأن ذلك يلفت نظرنا إلى بعض تنبيهات ابن رشيد على صيغة المبالغة الواقعة في قوله تعالى (وما ريك بظلام للعبيد)². إذ لم يكتف بكونه مخطئاً حتى جعل نفسه خطاء ليأتي عفو الله على قدر ذلك.

وصفوة القول في شعره الديني، وفي مقدمته حجازياته، ان قصائده تتفاوت من حيث الطول والقصر، وان لغته فيها سهولة في الغالب، ولكنها تتميز في معظمها بكثرة المحسنات البديعية، كما تتفاوت في قيمتها الفنية أما عن مقدمة بعض القصائد فنلاحظ أن ابن رشيد يضمنها شيئاً من معاني النسيب أو الغزل مثل قوله في وصف ليلة بعرفات (البسيط).

¹: انظر دراسة الشعر الديني في دراسة الرحلة وأزهار الرياض 253 ص: 425 وما بعدها).

²: انظر صفحة 96 من هذا البحث.

إظلامها لعس اصباحها شنب * * بل كلها سحر بادي المسرات

وغالبا ما يحشر فيها كثيرا من أسماء المواقع والمشاعر التي يزورها الحجاج. وتمتاز أيضا، زيادة على ذلك، بالصدق في التعبير عن التجربة وحرارة العاطفة واستلهاهم روح القرآن الكريم والسنة المشرقة ومعاني المتصوفين والزهاد، وهي ميزات مناسبة للشعر الديني بعامته.

الاخوانيات: ومما يصور بعض جوانب العلاقات الاجتماعية والإنسانية شعر الاخوانيات الذي يبرز فيه الشاعر ما يمكنه من الاعجاب والتقدير إما للشيوخ وإما للأصحاب، ونحن عندما نبرز هذا اللون في شعر ابن رشيد فإننا نقصد بها تلك العلاقة الوطيدة بينه وبين ذلك الجمع الغفير ممن لقيهم وأثروا فيه تأثيرا كبيرا سواء في تكوينه العلمي أم الخلفي. وفي هذا الصدد نذكر له بعض ما أجاب به شيخه أبا الحسن ابن رزين، وذلك لما أراد السفر من تونس(البيسط)¹:

مستظهر بك ذخرا منجبا كرما * * أبهى وأشرف مكسوب ومذخور

بزت مآثر ك الباهي ترفعها * * فبان تقصير مكتوبي ومسطوري

فقد التزم فيها ايراد الباء والراء كما التزمهما شيخه ابن رزين في رسالة كان قد خاطب بها ابن رشيد.

وإذا كان هذا اللون من الصنعة معروفا عند الحريري في مقاماته فإنه صار في عهد ابن رشيد أكثر شيوعا وأشد تعقيدا، فقد اهتم كثير من الشعراء بالألوان المستحدثة من الألاعيب اللفظية ورصف الكلمات على أشكال مخصوصة حتى أصبحنا نجد قصيدة معجمة كلها أو مهمة كلها أو بعضها مهماً وبعضها الآخر معجماً أو إهمال حرف معين أو ما سوى ذلك من ألوان البديع².

¹: الرحلة 80/6-81.

²: مقامات الحريري: المقامة المراغية ص: 49 والمقامة الرقطاء ص: 358 وانظر مطالعه في الشعر المملوكي ص: 181 وما بعدها.

ولكن ذلك قد يحدو بالشاعر إلى الخروج عن المقصد الاسني بسبب التكلف،
فتأتي المعاني أقل جودة من الألفاظ التي لم يرد الشاعر إلا رصْفَهَا على شكل معين كما
رأينا في بيتي ابن رشيد.

ومما قاله في مدح شيخه ابي بكر بن حبيش يشكره على ماله عليه من
فضل (13 بيتا)¹ (الطويل):

وصلت ابا بكر غريبا لتونس * * فاقترت عينا بالقـدوم لتونسـا

وقابلتموني بالقبول تفضلا * * فأنسيتني ذكر اغترابي مؤنسا

فهو يذكر ما قابله، به ابن حبيش من الترحاب والتأنيس والمصادقة حتى توطدت
العلاقة بينهما وتكررت زيارة أحدهما لمنزل الآخر وتتابع السمر والجلوس للمذاكرة آناء
الليل وأطراف النهار، ولم يجد ابن رشيد ما يكافئ به شيخه الجليل إلا قوله:

فشكر ابي بكر علي فريضة * * أؤديه في وقت الصباح وفي المسا

أؤسس حمدي والبيان بناؤه * * واردف مدحي مردفا ومؤنسا

وبشير إلى ما كان يمتاز به ابن حبيش من الاختصاص بأمداح النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اشتهرت له في ذلك قصائد كثيرة من خمسات ومسدسات وغيرها:

واحرزت فضل سبق أول شأوه * * فكل بليغ أو بديع به ائتسى

بقيت لمدح المصطفى ناظما إذا * * تنفس صبح أو إذا الليل عسعسا

وبالرغم من قصر القصيدة نجد أن ابن رشيد قد ملأها بكثير من ألوان البديع
كعاداته، إذ لا يكاد يخلو من ذلك: مثل قوله (لتونسا ولتونسا) (والمقابلة
بالقبول) (والبيان وبناؤه) (وأؤسس ومؤنسا) (وحمدي ومدحي) (وأردف ومردفا) وغير
ذلك من النظر إلى معاني القرآن الكريم. فقد اقتبس منه تنفس الصبح والليل إذا
عسعس. وفي تلك الأبيات أيضا إيراد لمعاني العروضيين واصطلاحاتهم كالتأسيس
والإرداف.

¹ : الرحلة 5/2. والعهد المملوكي للدكتور بكرى شيخ أمين. ط: 2، 1979.

ومن تلك المدح أيضا قطعة ذكرها ابن رشيد بمناسبة تبسط أبي القاسم بن زيتون يوما في مجلسه، فلذت له المذاكرة، وكانت غايته إذا تبسط في المسائل الأدبية أن تبلغ به الاريحية فينشد من شعر نفسه، فإذا انتهى الى ذلك اقصر وراجع وقاره ولهذا فقد كان أنشد قصيدا على حرف الرء صنعته في توجهه إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فرام ابن رشيد أن يستفيد منه فلم يمكنه من ذلك فقال له: يكون ذلك في وقت آخر ثم قال لابن رشيد: بلغني أنك تنظم فرد عليه أن نعم، لقد صنع المملوك شيئا في مخاطبتكم. فدفعه إليه، ولكن ابن رشيد لم يورد منه سوى ثمانية أبيات منها: (البسيط)¹:

أمام هدي للعلم والعمل * * * فزان حسنا طلى الأيام والأول²

قد اقسام الفضل طوعا أن يهيم به * * * فـير فهو عليه حد مشتمل

وقد أورد فيها كثيراً من خلال هذا الشيخ وصفاته التي طار صيتها غربا وشرقا، ولقد طبقت شهرته الآفاق نبلا ومعرفة وورعا فبالإضافة إلى ما في هذه القصيدة من معان جليلة فقد ضمنها بعض المعاني العلمية من فقه وأصول مثل القسم والبر به والحد المشتمل³.

وبما أنه لم يأت إلا بجزء منها فإن ذلك يفسر لنا أن شعره لا يزال مفقودا بعضه أوجله.

ومما يسلك له في مضمار الاخوانيات أيضا ما قاله في أثناء إقامته بحضرة تونس، وذلك لما مرض صاحبه أبو الفضل التجاني مرضا شديدا أشفى منه على الموت ثم تداركه الله وفرج عنه وكان ابن رشيد يتردد إلى زيارته، فغاب عنه يوما لعذر منع فلما رجع لعيادته عتب عليه مغيبه فانشده في ذلك وكتبه له (بيتان)⁴ (الطويل).

¹: الرحلة 13/6 و 24/7.

²: الطلى ج: طلية: العنق.

³: الحد الحقيقي شرطه أن يشتمل على جميع ذاتيات الشيء: المستصفي للغزالي ص: 22، وانظر أيضا الأحكام في أصول الأحكام للأمدى: الترجيحات الواقعة بين الحدود الموصلة إلى المعاني المفردة التصويرية ج: 89/4.

⁴: الرحلة 24/7.

أبا الفضل عذرا عن مغيبتي بالأمس * * * فإن لم أعد جسما فقد عدت بالنفس
وما غبت إلا أن عيني لم تطق * * * مشاهدة عدوى الكسوف على الشمس.
وإن هذين البيتين لينمان عن صفاء الود والإخلاص بين ابن رشيد وصاحبه فقد
جرد من شخصيتهما روحين تقومان بما تعجز عنه الأشباح من التجاوب والتواصل، ثم
أن تشبيه أبي الفضل بالشمس التي اعتراها كسوف ذلك اليوم ليدل على دقة الوصف
وحسن التخيل، إذ لا يطاق النظر إلى ذلك المشهد الرهيب الذي يصاب فيه الناس
بالخشوع والخوف، ولقد كان أبو الفضل حقا في علومه وعقله وهيبته ولهذا قال
فيه أبو بكر بن حبش "واصل الغاية"، وذلك تنويها بما يملكه من الصفات النبيلة
والحميدة.

وفي هذا الصدد نذكر أيضا أنه لما مرض أبو الفضل التجاني جرت بينه وبين ابن
رشيد مراسلة فكتب كل منهما للآخر، وكان مما ورد فيها لابن رشيد ثلاثة أبيات¹
(الطويل):

رعى الله من يرعى الحقوق لصحبه * * * ويهدي إليهم شكره عبق العرف²

ملكنت أبا الفضل النفوس بأسرها * * * فعاملتها بالعفو فضلا وبالعرف³

ولاقيت أعراض الزمان مظاهرا * * * بدرع من التقوى وأخرى من العرف³

وهي من لزوم ما لا يلزم، لأنه أتى بكلمة العرض في أبياتها الثلاثة ولكنها
مختلفة الدلالة والمعنى، وهذا من باب الاشتراك أو التجنيس،³ ورغم ما في الأبيات من
تكلف وصنعة فيها معنى جليل يشير إلى صفات الإنسان الصابر إذا ما ابتلاه ربه،
ويعامل الناس بالعفو ويرعى الحقوق، وكانت هذه الخصال كلها مجتمعة في أبي الفضل
التجاني، ويظهر صدق ابن رشيد كذلك في أنه لم يصف صاحبه إلا بما فيه.

¹: الرحلة 25/7.

²: العرف بفتح العين ربح العود وبضمها المعروف وبكسرهما الصبر عند المصيبة، مثلثات قطب تحقيق د. رضا
السوسي ليبيا تونس 1978. ص: 63.

³: انظر العمدة لابن رشيق ج: 96/2. (رجوع اللفظين إلى حد واحد).

الوصف: أما الجانب الوصفي في شعر ابن رشيد فيمكن أن نرصده في جميع موضوعات شعره ولكننا نختار له نموذجاً من وصف الطبيعة مثل قوله يصف صحن المسجد الأعظم بتونس وقد عمه المطر وأوقدت فيه المصابيح فانعكست فيه طرائق من ضيائها تبهر العيون (بيتان)¹ (المقارب):

كأن انعكاس الشعاع بصرح * * أجاد الحيا صقله بانسكابه

سيوف نضار بـدرع لجين * * مساميرها ما طفا من حبابه

ففي هذين البيتين من حسن التشبيه ودقة في التمثيل ما يدل على أن صاحبنا كان يسحره جلال الطبيعة فيعبر عنه بما يضيف عليه جلالاً وهولاً وروعة ولهذا اختار ما يناسب ذلك من الوزن المتقارب والألفاظ التي لها دلالة خاصة في التعبير عن انسكاب الماء وفيضان النور على ذلك المسجد.

وحضر ابن رشيد مرة في نزهة مع بعض الأصحاب وفيهم أبو الفضل التجاني، فرأوا شجر الكُمثرِي قد نثر نوره على ثرى الدوحة فظهر منه بساط حسن وسأل ابن رشيد صاحبه أبا الفضل أن ينشد في ذلك فقال مرتجلاً² (السريع):

ودوحة تنظم أزهارها * * في الأرض نظم الدر في السلك

كأنما الأشجار من شغلها * * تنثر كافوراً على مسك

ثم أنشد بعد ذلك ابن رشيد مرتجلاً أيضاً³ (المقارب):

وزهر كزهر النجوم تـبـدى * * فأهدى لنا بهجة وسرورا

تساقط بين الرياض كعقد * * تقطع سلكاً فعاد نثيراً

وأنشد غير ذلك في تلك النزهة المثيرة لهذه المرتجلات في وقت غاب كاشحه وفصل بهر واضحه وهو القدر المشترك بين مارس وأبريل آخر ذاك وأول هذا¹.

¹: الرحلة 50/7.

²: الرحلة 39/7.

³: الرحلة 39/7.

ونلاحظ في هذه الأبيات كذلك مدى قدرة ابن رشيد على الارتجال وإتيانه مع ذلك بما يستجد.

وبما أنه كان يركب البحر كثيرا ويستأنس بمنظره في سبته والمرية وفي رحلته إلى المشرق فإنه لما انبسط عليه مرة ضوء القمر ليلة البدر أثار ذلك المنظر خوالج نفسه وحرك هواجسه فأنشده يقول²: (البسيط).

انظر إلى البدر قد مدت أشعته * * على خضارة حتى ابيض أزرقه
والريح قد صنعت درعا مسامرها * * حباب برق بدا للعين رونقه³

الحنين والشوق: ومما أجاد فيه أيضا ابن رشيد موضوع الحنين والشوق، فقد كان في تنقلاته ورحلاته في الشرق والغرب لا يريم يفكر في أسرته التي كانت ساكنة في سبته، وكانت ترأسه ويرأسها ليعرف كل منهم أحوال الآخر في غيابه الذي كان يطول أحيانا، ففي عام 685 هـ وافاه كتاب من أولاده من سبته، فهاج فكره وشغل خاطره فذكرهم يقول... (10 أبيات) منها⁴ (المتقارب).

أتاني كتابُ فراخ صغار * * فعذب بالي وأتعب فكري
وكدت أطيير اشتياقا ولكن * * عدتني عواد رمتني بنكر
فقصت جناحي وحصت رياشي * * فما أستطيع نهوضا لوكري

وان تصويره أبناءه فراخا صغارا ليدل على موقعهم في نفسه، ويدفعنا إلى إثارة نوع من الشعور والعاطفة نحوهم كما فعل الحطيئة قبله فهو يذكر أولاده مصورا ما يحول بينه وبينهم من المسافات الطوال وانتشار الأعداء وقطاع الطرق في البر والقراصنة في البحر:

¹: لم يشر ابن رشيد إلى ذكر مثل هذا التاريخ إلا نادرا في الرحلة وذلك لأجل تبين مناسبة ذكر الازهار في فصل الربيع.
²: الأعلام للمراكشي 253/3.
³: درة الحجال 98/2: حباب ماء يروق العين رونقه.
⁴: الرحلة 50/7.

وكيف السبيل للقياهم * * * وعرب بير وعجم ببحر

فبالله حسبي ونعم الوكيل * * * ففي يده كل نفع وضّر

ولكن ابن رشيد يسلم أمره دائما إلى الله ويرضى بالقدر خيره وشره، لأنه واثق من أن بعد العسر يسرا، ولأن اليسرين لا يغلبهما عسر واحد كما جاء في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة:

رضيت بحالي فمالي اعتراض * * * وأسلمت وجهي وفوضت أمري

إذا اشتد أمر تلاه انفراج * * * فيسران لا يغلبان بعسر

وتظهر تلك العاطفة الصادقة أيضا في ما يكنه لأولاده من الحب الشديد، ولهذا لما اختطف يد المنون أحد أولاده بكى عليه بما يذيب الصخر حنانا ورقة لأنه كان يتوق أن يحقق به أمله ويرى فيه ما يقر به فؤاده وعينه (28 بيتا) ومنه¹(الطويل):

شباب توى شابت عليه المفارق * * * وغصن ذوي تاقّت إله الحقائق

وهو ينظر في هذه القصيدة إلى كثير من المعاني التي صاغها ابن الرومي في داليتها المشهورة التي بكى فيها ولده الأوسط. ويذكر ابن رشيد في ذلك ما يعرض من الإصابة بالعين، وقد ورد في الحديث النبوي أثر العين والرقية منها²، ويظهر ذلك في قوله:

على حين راق الناظرين بسوقه * * * رمته سهام للعيون رواشق

فما أخطات منه الفؤاد بعمرها * * * فلا أبصرت تلك العيون الروائق

وحين تدانى للكمال هلاله * * * ألم به نقص وجدت مواحق

وقد قال ابن الرومي في هذا المعنى:

على حين شمت الخير من لمحاته * * * وآنست من أفعاله آية الرشد

وقد أنجزت فيه المنايا وعيدها * * * وأخلفت الآمال ما كان من وعد

¹: الإحاطة 141/3.

²: شرح صحيح مسلم للنووي (الطب والمرض والرقي) ج: 14 ص: 169 وانظر المعجم المفهرس للألفاظ الحديث النبوي ج: 4 ص: 453.

وهو يخاطبه بصيغة التصغير لدلالاتها الخاصة في نفسه، فهو ليس ابناً، ولكنه بني، ولهذا تكون ذكرياته لا ئطة بالقلب أكثر من غيرها:

ولا مثل فقدان البني فجیعة * * وإن طال ما لجت وجلت بوائق
وهو يتمثله في كل شيء ويتردد إليه صدهاء في كل وقت وحين بل إن كل ما
حوله يذكره به:

فأین التفت فالشخص للعين مائل * * وإن استمع فالصوت للأذن طارق
وإن أدع شخصاً باسمه لضرورة * * فإن اسمك المحبوب للنطق سابق
فاعجب لهذا الالتفات البليغ،
وإن تفرع الأبواب راحة قارع * * يطير لها قلب لذكرك خافق
ولا يملك بعد ذلك إلا أن يسلم عليه سلام الوالد الذي لا يستحلي بعد ولده،
لذة الحياة ولا مباهاجها:

عليك سلام الله ما حن ساجع * * وما طلعت شمس وما ذر شارق
وما هممتُ سحب غواد روائح * * وما لمعت تحذو الرعود بوارق
وقد نظر في ذلك المعنى الى قول ابن الرومي :

عليك سلام الله مني تحية * * من كل غيث صادق البرق والرعد
وإذا كنا نعرف كثيراً من أشعار المراثي البديعة في الأدب العربي، فإن هناك ماله
أثر كبير في النقش مثل بكاء أبي ذؤيب الهذلي أولاده السبعة¹ أو رثاء ابن عبد ربه
لولده² أو غيرهما ممن أجاد في ذلك³، فإن ابن رشيد لا يقل عن هؤلاء في حسن
التصوير وجودة التخيل.

¹: العقد الفريد لابن عبد ربه 253/3.

²: نفسه ص: 250-258.

³: نفسه ص: 236-311 (القول عند المقابر) (ومن رثى ولده) وانظر: كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي ج: 26/1 وغير ذلك. وكذا زهر الاداب للحصري 928/2.

وبذلك يمكن أن نقول أن قصيدة ابن رشيد في بكائه ولده تعد من بين الغرر في الأدب العربي لما فيها كذلك من حرارة العاطفة وصدقها وخلوها من المبالغة، والثناء عند ابن رشيد كما لاحظنا أكثر استلزاما للصدق، لأنه استطاع أن يشركنا في حزنه لما عرفنا أنه حزين حقاً¹.

موضوعات عامة:

وقد وردت لابن رشيد بعض النثف والمقطعات في موضوعات عامة كمدح الكتب والتوقيع عليها ومدح السفر والتغرب والاعضاء والتجاوز وفي الألغاز وغير ذلك.

فمن ذلك ما جاء له في مدح كتاب المختصر الوجيز المسمى بالبدر المنير في علم التعبير لأبي العباس أحمد بن أبي الفرج بن سرور المقدسي، وقد دفعه له مؤلفه بشعر الاسكندرية فوقع عليه ابن رشيد².

(الرجز): أبدى شهاب الدين بدر نيرا * * متوالي الإشراف والإسرار

بيدي من الرؤيا خبيئة سرها * * حتى يصير كروية الابصار

ولا شك في أن لهذا الكتاب أثرا في ثقافة ابن رشيد من حيث علم تعبير الرؤيا فقد كان طلب من مؤلفه أن يستنسخه له، فتم له ذلك ولكن بعد التماطل والارجاء، وينبغي التنبيه على أن ابن رشيد جلب هذا الكتاب إلى المغرب بعد استنساخه مباشرة، وبهذا يكون من بين المصنفات التي كان يتنافس الناس في اقتنائها وجلبها إلى الآفاق لنفاستها وأهميتها.

ولما كان السفر والترحال من شروط استكمال الثقافة عند العلماء والمحدثين، فإن لابن رشيد نظما مشهورا في ذلك³ (الطويل):

تغرب ولا تحفل بفرقة موطن * * تفز بالمنى في كل ما شئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حلَّ مفرقا * * ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج

¹: انظر كتاب ثقافة الناقد الادبي للدكتور محمد النويهى ط:1 القاهرة 1949 ص : 338 (مفهوم الرثاء).

²: الرحلة 36/7. وهو من الكتب المتوسطة في علم التعبير. كشف الظنون 231/1.

³: أزهار الرياض 253/3، درة الحجال 99/2، لاحظ بعض الاختلاف في الرواية.

وقد كان هذا المعنى شائعا بين كثير من الشعراء، ويقصد ابن رشيد بذلك الفوائد العامة من الرحلة وأغراضها عند المحدثين خاصة، فالرحلة تثير عزائم الشباب حتى يتخطوا الصعاب وليتمكنوا من الجوانب العلمية وينشروا العلم الذي حصلوه ويوسعوا ثقافتهم العامة ويسهموا في تنمية الفضائل والكمالات في النفس وكسب الصداقات الجديدة الخالصة¹.

وقد قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق * * * لذي حاجته فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زبدت محبة * * * إلى الناس أنْ لَيْسَتْ عليهم بسرمد
وله في ما يدل على كرم النفس والتجاوز والاعضاء والحلم²(الطويل)

إذا نال من عرضي حسود يغض بي * * * فأجزيه إعراضا يزيد شجاءه
أزيد على الاغضاب حلما كعنبر * * * يزيد على الإحراق طيب شذاه

ولا شك في أن خلة ابن رشيد وخلقه وطبعه تذكرنا بصير معاوية وعمر بن عبد العزيز والأحنف بن قيس وحلمهم وهذا ما يفسر بعضهم أن ابن رشيد كان يتحمل كلف العامة والخاصة كما ورد ذلك في تحليات تراجمه.

ولما شاع في هذا العصر ذلك اللون الأدبي من الألفاظ والاحاجي والجنوح إلى الصناعة اللفظية لإظهار طول الباع في اللغة، فإننا نجد أثر ذلك في ثقافة ابن رشيد، فقد كان ينظم في الألفاظ التي كان ينشد بعضها لابنه أبي القاسم ليتمرن على هذا الفن ويشحذ فكره بها. ومن ألفاظه في الباب قوله³(المجثت).

¹: انظر كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص: 24-28.

²: الرحلة 70/3.

³: الرحلة 35/7.

يا من له فضل فهم * * يهدي رعايا وصيدا

ما ردف قولي مريدا * * لستر اجعل وصيدا

والوصيد هو الباب نفسه

ونستخلص من دراسة بعض شعر ابن رشيد ان له نفسا طويلا في القصائد الدينية والحجازية خاصة، وهي بالرغم من كونها ترديد لمعاني من سبقه، فيها بعض أساليب التفنن في القول، وصياغة المعاني القديمة في صور أكثر استمالة وإغراء، بل إننا نجد بعض ظهور ذلك الشوق إلى العرصات الكريمة مقتبسة من أنوار بعض شيوخه كابي بكر ابن حبيش وأبي القاسم ابن زيتون التونسيين، وأبي اليمن بن عساكر نزيل الحرم الشريف وما كان سائدا في عصره في ظل بني مرين الذين شاعت في عهدهم قصائد المديح النبوي الشريف والاحتفال بمولده في أيام يعقوب ويوسف خاصة¹ وكذا في تونس في عهد بني حفص². وقد سبك ابن رشيد كل ذلك في لغة سهلة لا يعتريها الغموض أو الإبهام إلا حين يتكلف سجعا أو تجنيسا، فيضطر القارئ إلى قدح زناد فكره لاستجلاء المعنى الحقيقي من اللفظ المشترك.

ونجده أيضا يلتجئ في بعض المقطعات إلى لزوم مالا يلزم من إيراد حروف معينة أو إهمال بعضها وإعجام أخرى³ وذلك جريا على ما شاع في عصره من الأشكال الشعرية المستحدثة، وهذا ما يدل على أن ذخيره اللغوية كانت وفيرة، ولعل ذلك هو الذي دفع الشعراء في هذا العهد إلى الالتجاء إلى تلك الصناعة بعد أن قل المحصول في المعنى، والوقوف عاجزين عن الإبداع في كثير من المجالات التي سبقوا إليها.

وأما البحور التي نسج عليها شعره فهي الطويل والبسيط والكامل. والرمل والوافر والمتقارب والسريع والمجث والمضارع والرجز. وغالبا ما كان بحر الطويل في قصائده الحجازيات ومثال نعل النبي الكريمة وفي المدح والثناء، وذلك مما يناسب جلال الموقف وعظمته، ولهذا جاءت قصائدها طويلة أو أوفر من غيرها. ونلاحظ أنه كان

¹: ورقات للأستاذ محمد المنوني ص: 265-268.

²: نفسه ص: 278.

³: الرحلة 81/6 قطعة في مدح أبي الحسن بن رزين ...

يستعمل بحر المجثت في الألغاز فقط، وبما أنه بحر قصير، وهو أصل جميع البحور، فإنه لا يصلح لغير الاطراب والامتناع¹، ولهذا خص به ابن رشيد موضوع الألغاز التي يتفاكه بها الناس ويتنادرون في المجالس والمداعبات ونحوها كما كان يداعب ولده قبيل النوم. ومن البحور التي نسج عليها أيضا بحر المتقارب، فقد استعمله في المدح والوصف والحنين والشوق ورغم أن فحول الشعراء يتحامونه، نجد أن ابن رشيد كان يقصد فيه والغالب في ذلك أنه كان يراعي نوع الموضوع الذي ينظم فيه ليأتي مناسبا له وذلك مثل وصف النهر والمطر والضوء، ونلاحظ في جميعها اندفاعا وانسياقا وراء النغم كما يندفع التيار في غير ما توقف² وهذا ما نلاحظه في شعره في بعض النزهات أو غيرها مثل قوله (المتقارب)³.

ونهر كذوب اللجين وشاه * * نُضَارُ ذُكَاءٍ بكف النسيم

أو مثلما رأينا في وصف انعكاس الشعاع في صحن المسجد الأعظم بتونس وقد عمه المطر.

وإذا كانت هذه بعض الملاحظات العامة فإنه لا يمكن استقصاء جميع الخصائص والمميزات من حيث المبني والمعنى إلا في دراسة مستقلة، لأن الغرض من هذه النبذة هو إبراز جانب من جوانب ثقافة ابن رشيد المتعددة فحسب.

قيمة شعره في الميزان النقدي: كان ممن تصدى لنقد شعر ابن رشيد الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي قال عنه أنه كان يتكلفه، ولا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض⁴، وذكر أبو العباس المقرئ قولاً للقاضي أبي البركات البليقي بأن شيخه ابن رشيد كان يقرض الشعر على تكلف، ويظهر من خلال هذين الحكمين النقيدين الصادرين من شاعرين وكاتبين عظيمين، أن ابن رشيد لم يكن في مستوى الشعراء المعترف لهم بالإجادة في هذا الميدان. وهناك من كان يرى أنه لم يزل في الأدب متوسط الطبقة برغم

¹: المرشد إلى فهم أشعار العرب 98/1.

²: المرشد إلى فهم أشعار العرب 312/1، وانظر الرحلة 38/7.

³: الرحلة 38/7.

⁴: الإحاة 138/3. أزهار الرياض 384/2.

الكثرة الكاثرة مما روى من أدبيات عصره ممن لقيهم وساجلهم من الأدباء والبلغاء¹. ومع ذلك فإن شعره لم يخل من الجيد البديع كما سبق أن أوضحنا، وما يؤكد هذا الرأي أن صاحبه الأديب الشاعر أبا الفضل محمد بن علي التجاني قد وصفه بسر أرياب الأدب وذلك بعد أن خبر شاعريته وحسن بديهته في الإجازة والارتجال. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على جميع قصائده لمسنا غزارة معانيه وتعدد صورته الشعرية.

نثر ابن رشيد:

كان ابن رشيد، كما سلف في ترجمته، يُجَوِّدُ النثر ويتبصر مواقع حسنه، وفي مؤلفاته التي بين أيدينا، كالرحلة² وإفادة التصحيح³ بعض ما يدل على ذلك، ولو وصلت إلينا كتبه الضائعة مثل الإضاءات والإنارات في البديع، وحكم الاستعارة وخطبه، وشروحه وتعليقاته على كتب أبي المطرف ابن عميرة وابن الأبار⁴، لافادتنا في استجلاء طريقته في ترسله ومعرفة موضوعات نشره، ولأَمَاطَ اللثام عن بعض جوانب النثر الفني في القرن السابع الهجري.

وينبغي أن نذكر أن هذا العصر يمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور النثر وذلك لما بولغ فيه من الميل إلى البديع والاسراف فيه والحرص عليه. وممن اشتهر نشره، وكان له صلة بابن رشيد، مالك بن المرحل⁵ وعبد العزيز القبتوري⁶ وابن الحكيم الرندي⁷ وابن خميس الحجري التلمساني⁸ وأبو محمد عبد المهيمين الحضرمي⁹ وأبو بكر ابن شيرين¹⁰.

¹: ذكريات مشاهير - عيد الله كنون عدد 18 ص: 7.

²: انظر الرحلة 2/7 - 3 - 4 - 38 - 39.

³: انظر صفحات 1-2-5.

⁴: انظر مؤلفاته بعد ص: 188 من هذا البحث.

⁵: الإحاطة 320/3.

⁶: انظر كتاب رسائل ديوانية من سبته في العهد العزفي، إنشاء خلف الغافقي القبتوري ص: 53 وما بعدها.

⁷: الإحاطة 46/2.

⁸: الإحاطة 557/2.

⁹: النبوغ المغربي 175/2.

¹⁰: نفسه.

وإذا عرف لبعض هؤلاء رسائل ديوانية وغيرها فإننا لا نعرف لابن رشيد في الرحلة إلا تلك الرسائل التي كان يتبادلها مع بعض شيوخه وأصحابه، ولهذا سنرجئ الحديث عن خصائص نثره إلى حين دراسته في الرحلة.

ابن رشيد والنقد والبلاغة:

إن شخصية ابن رشيد الناقد والبلاغي تظهر كذلك من خلال بعض أحكامه وآرائه التي كان يصدرها هنا وهناك في تقويم بعض النصوص أو التعليق عليها.

وفي دراسة الرحلة سنعرض لبعض آرائه البلاغية والنقدية ونضعها حيث ينبغي أن توضع على ضوء ما عرفنا من مسألة التأثير والتأثير. فابن رشيد كان ممن أخذ عن أبي الحسن حازم القرطاجني وتلمذ عليه وشرح له بعض كتبه حتى صار كل ما يتمثله من المسائل البلاغية أو النقدية مستوحى من أفكاره¹. وقد انتفع بما أودعه في مؤلفاته، إذ لما وقف ابن رشيد وأبو عبد الله بن القويح التونسي على قوانين حازم القرطاجني، وعياها وصار كل ما يقرّنه أو ينظرانه من الكلام البليغ أو البديع، أمثلة لتلك القوانين. ومن خلال ما تجمع لدي من بعض الاصطلاحات البلاغية والنقدية ومن الآراء القليلة، نستطيع أن نصنف ابن رشيد في مدرسة معينة في هذه الحقبة المهمة من تاريخ النقد الأدبي.

وقد وجدت أن بعض من أرخ لهذه الفترة ودرس حركة النقد فيها لم يدرس ابن رشيد لينظر إليه نظرة من تأثر بحازم القرطاجني وشرح كتبه، ومن هؤلاء الدارسين إحسان عباس² ومحمد رضوان الداية³ ومحمد علي سلطاني⁴ والدكتور عبد العزيز قلقيلة⁵ وغيرهم⁶، ولكن جاءت أخيراً دراسات رائدة للدكتور علّال الغازي والدكتور علي لغزيوي وغيرهما، لتسد هذا النقص.

¹: الرحلة 117/6.

²: تاريخ النقد الأدبي عند العرب بيروت ط: 1971/1.

³: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس بيروت ط: 1968/1.

⁴: النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه دمشق 1972.

⁵: النقد الأدبي في المغرب العربي القاهرة 1973.

⁶: النقد الأدبي في العصر المملوكي ط: 1972/1.

إن المدرسة المغربية الأندلسية كانت تعرف أيام ابن رشيد شيوخا مبرزين في علم النحو واللغة، ومن هؤلاء أبو الحسين بن أبي الربيع، وأبو الحسن بن الضائع الكتامي الحضار وأبو إسحاق الغافقي ومحمد ابن عبد الرحمان المالقي وأبو القاسم القبتوري وأبو بكر القللويسي وما لك ابن المرحل وغيرهم¹.

وفي هؤلاء من كان يمثل مدرسة نخوية معروفة لها صيت طائر في الشرق والغرب، وآراء معروفة في المحافل اللغوية والمجالس العلمية كابن أبي الربيع الذي كان حامل لواء النحو في المغرب والأندلس، وكان أيضا أستاذا لشيوخ المشاركة وأبرزهم بهاء الدين ابن النحاس الذي كان يعترف بفضله، حتى إن كتبه كانت تصل إليه وإلى غيره من الشيوخ في القاهرة والإسكندرية والشام²، وعلى هذا الشيخ الجليل تعلم ابن رشيد في سبنة علم النحو وعلى يده تخرج، فقد قرأ عليه كتاب سيبويه³، ويرجح أن يكون قرأ عليه من مؤلفاته المهمة كتاب القوانين وكتاب الكافي، ومعنى هذا أن ابن رشيد تعلم النحو وأسس العربية في بلده حتى إنه كان قبل القيام برحلته ذا اتجاه خاص في هذا الميدان، ولهذا قال فيه صاحبه ابن الطواح: "إن نحوه يميل لنحو شيخه ابن أبي الربيع، وهو بعيد عن فك معنى كلام الامامين أبي عبد الله بن هشام⁴ وابن عصفور". وهذا الكلام الذي قاله ابن الطواح لا ينبغي لنا أن نأخذه على عواهنه، فقد يكون ذلك الحكم سريعا لا يعتمد على الروية والتبصر، وقد يكون مبنيًا على دوافع أخرى نفسية تملئها المنافسة والمعاصرة التي تجعل أحيانا من القرن خصما يعتمد إلى التقليل من قدره والغضب من شأنه بل وغمز علم شيخه ابن أبي الربيع، ويظهر ذلك في قوله بمناقشته في أمور العربية فوجد أنه لم يكن هناك أي لم يكن بذاك الذي يعتد بعلمه ولا بآرائه، ومهما يكن أمر هذا الحكم وملاساته، فإن ابن رشيد قد ترعرع في بيئة علمية أساسها النحو واللغة العربية والعلوم الإسلامية وغير ذلك مما ينشأ عليه طلاب العلم في تلك السن المبكرة.

¹: لكل هؤلاء تراجم في شيوخه وأصحابه. في هذا البحث.

²: الرحلة 23/3، وانظر ما قال عنه ابن النحاس عندما اتصل به لأول مرة في ترجمته ممن لقيهم بمصر.

³: الرحلة 23/3.

⁴: سبك المقال لابن الطواح ص: 97.

ولا شك في أن بقاءه في تونس تلك المدة الطويلة جعله يوسع أفقه في كثير من الميادين العلمية والأدبية خاصة، ولهذا يكون لاتصاله هناك ببعض النحاة أيضا أثر كبير، ومن أولئك الذين كانوا يتمتعون بذلك الأفق الواسع في اللغة والنحو أبو الحسن حازم القرطاجني وأبو جعفر اللبلي الفهري والشرف الجزائري وأبو عبد الله السلاوي وأبو العباس أحمد بن يوسف السلمي الذي كان جماعة لكتب ابن عصفور وكذا ابن أندارس المتطبب.

ولما ذهب إلى المشرق ولقي من أعلام النحو فيه مثل ابن النحاس الحلبي وابن مزروع البصري وابن حيان الغرناطي، لا شك في أنه تأثر أيضا بهؤلاء وآرائهم، وهنا لا يمكن أن نغفل عن الأصول الثقافية الأندلسية المغربية لابن النحاس الحلبي وابن حيان، فابن النحاس قد تأثر بابن أبي الربيع كما سبق، وأما ابن حيان الذي كان يلقب بأمر المؤمنين في النحو فكان أيضا تلميذا لابن الربيع وأستاذا ميرزا في القاهرة بعد أن خلف مشيخة ابن النحاس في أستاذية النحو. ومعنى هذا أن تكوين ابن رشيد في هذا الميدان متواصل متكامل العرا والحلقات منذ أن كان في سبتة إلى أن صار في القاهرة ودمشق والحرمين. ولو وصل إلينا كتابان من تأليفه، وهما تقييد على كتاب سيبويه وتلخيص قوانين ابن أبي الربيع، لا تَضَحَ لنا أكثر اتجاهه. وسنطلع في دراسة الرحلة على شيء من ذلك.

ابن رشيد العروضي

كان ابن رشيد عارفا بعلم العروض والقافية، وقد أسهم بإنتاجه في ذلك¹ إذ إنه لما التقى بأشهر العروضيين وصحبهم استفاد منهم ومكن معرفته في هذا العلم، وكان ممن أفاده في ذلك أبو الحسن بن الحضار الكتامي ومالك ابن المرحل وابن عبد الملك المراكشي وابن البناء العددي وأبو بكر القللويسي، وأبو عثمان بن سعيد بن جون المراكشي. وسيتبين لنا من خلال دراسة الرحلة ذلك الاهتمام الذي أولاه لهذا الفن، وسنعرض لدراسة بعض المصطلحات العروضية هناك، وننبه على ما ورد له مختلفا أو مؤتلفا بالمقارنة باصطلاحات العروضيين المشهورين في عصره وقبله.

¹: الرحلة 2/6.

أشار ابن الخطيب في الإحاطة إلى أن ابن رشيد كان حافظا للأخبار والتواريخ¹. وبالرغم من أننا لا نعرف له كتابا يستقل بالتاريخ فإننا نجد في الرحلة عناية تامة بهذا الفن واهتماما كبيرا بضبط تواريخ الإجازات والتحمل وذكر بعض الأحداث وتحديد تاريخ الولادة والوفاة لكثير من الشيوخ الرواة، وقد يذكر تاريخ اليوم والشهر والسنة والمكان الذي حصل فيه ذلك. ثم إن طبيعة التراجم من صميم التأريخ وبها سميت كتب الوفيات والطبقات.

وإذا استقرأنا التواريخ الخاصة بإجازات ابن رشيد ورواياته ولقائه بشيوخه وسماعته منهم، وتواريخ حلوله بالمنازل في الطريق ومغادرته لها، ألفينا ما يقرب من (300) ثلاثمائة إشارة تاريخية وأغلبها مذكور باليوم والشهر والسنة وفيها ما هو محدد بالمساء أو الليل أو الصباح أو الضحى كما هو عليه الحال في رحلته من دمشق على الحرمين وخاصة².

وأما التواريخ العامة التي تهتم بشيوخه وغير ذلك من الإجازات لهم وذكر شيوخهم وذكر الوفيات والإفادات والقراءة وتاريخ الانشادات فيقدر عددها بنحو (450) خمسين وأربعمائة تاريخ. وهذا كله يفسر لنا أن لابن رشيد حسا تاريخيا ينبغي أن يعتبر في الضبط والتوثيق والرواية. وسنورد في الرحلة قوائم بذلك.

ابن رشيد الجغرافي:

لم يكن لابن رشيد في رحلته اهتمامات كبرى بالمسائل الجغرافية كوصف العمران من المدن والقرى والحصون والآثار والقلاع والمدارس والمساجد ووصف الطبيعة من الجبال والوديان والمياه والشعاب والواحات والمنازل وغير ذلك من ذكر المسافات، ولكن إشاراته إلى ذلك كانت قليلة بالنسبة إلى ما ورد فيها من المعارف الأخرى، والسبب في ذلك ظاهر، فقد جعل ابن رشيد من رحلته أساسا لبرنامج شيوخه، ولهذا يغلب عليها هذا الطابع. ولكن ما يلفت انتباهنا هو أنه لم يبدأ في الوصف الدقيق للمعالم الجغرافية

¹: الإحاطة 138/3.

²: الرحلة 3-2/5.

إلا عندما سار من الشام إلى الحرمين¹ إذ أخذ يدقق ويحدد ويفصل وينقد ويصوب ما قاله الاقدمون في تعيين المقامات والمشاعر²، ولعل ذلك لما أراد به من التعبير عما تتبر فيه مرابع الحجاز ومقاماته وأركانه من شوق في نفسه لقضاء فريضة الحج، ولهذا كان اعتناء خاصا بالوصف والضبط لمعالم الحج والطريق إليه، لأن ذلك كان يتصل اتصالا وثيقا بمعرفة مسائل الحج وفرائضه³. ففي المسافة ما بين دمشق والحرمين لم يغفل عن ذكر القيسارية على ضفة النهر⁴ ولا بصرى وأسوارها وآثارها القديمة وأبوابها المنحوتة من الأحجار⁵ ولا تبوك وزروعها وعينها وصهريجها الكبير المبني بالحجر وكذا ماءها العذب الطيب المبارك وأصل شجرتها الذي يتبرك به⁶. ولا المدينة المنورة وجدرانها ومبانيها⁷ ولا مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة⁸ وما يتصل بذلك من المسائل الفقهية⁹.

ولو استعرضنا أجزاء الرحلة الخمسة الموجودة لوجدنا أن أربعة منها¹⁰ تكاد تخلو من الإشارات الجغرافية لولا ما ورد في الجزء الثالث مثلا من ذكر منار الاسكندرية وعمود الصواري¹² بها أو ذكر الغرّاف وهو نهر بالعراق¹³ أو ذكر المسافة بين الإسكندرية وطموش¹⁴. وأما الجزء الخامس فهو الوحيد الذي خصه ابن رشيد بتلك الإشارات السالف ذكرها. وبالرغم من ذلك يظهر من خلال تلك الإشارات أن لابن رشيد معرفة تامة بالعلوم الجغرافية ويضيف إلى ذلك دقة في الوصف وضبطا لما يعرض له من المسائل. وسنحاول في دراسة الرحلة الإمام بما ورد فيها من أسماء المواضع وكيف ضبطها ابن رشيد وعلق عليها بما أغفله بعض المؤرخين والجغرافيين المشهورين.

¹: الرحلة 1/5.

²: الرحلة 3/5.

³: الرحلة 8/5-17-20-21-22-23-24-25.

⁴: الرحلة 2/5.

⁵: الرحلة 4/5.

⁶: الرحلة 3/5.

⁷: الرحلة 3/5.

⁸: الرحلة 15/5.

⁹: انظر دراسة الرحلة بعد

¹⁰: الجزء الثاني والثالث والسادس والسابع ويرجح أن يكون كذلك الجزء الأول وبعض الجزء الرابع المفقودان.

¹¹: الرحلة 21/3.

¹²: نفسه.

¹³: الرحلة 10/3.

¹⁴: الرحلة 21/3.

كان من بين صفات المحدث المبالغة في تحسين الخط وتجويده¹. وقد قيل: الخط الحسن يزيد الحق وضحا، وقيل: جودة الخط إحدى الحسنين. وإن أكثر الراحلين تجتمع في حالتهم صفتان وهما إجادة الخط ودقته². ولما كان ابن رشيد محدثا ورحالة فقد اجتمعت فيه تلك الصفات السالفة الذكر، ولهذا وصفه ابن الخطيب بأنه كان بارع الخط³ وقال صاحبه ابن مبارك مخاطبا إياه في قصيد:

فيا ابن رشيد ذا الفخار محمدا * * وباسمك أضحي الوصف فيه محبسا
لقد طابق اسما منك معنى حويته * * كما طابق الروض الشذا المتنفسا
وفيها يقول:

ولم تقن إلا در لفظك حلية * * ولم تكسُ إلا وشي خطك ملبسا⁴
ومن عنايته بذكر الخط والخطاطين وأخبارهم أنه أورد كثيرا من أسمائهم
وأوصافهم في تضاعيف رحلته، بل انه كان يحدد مقدار إجادتهم ويذكر مرتبتهم ويضعهم
في درجتهم اللاتفة بهم⁵
ومن الأوصاف الواردة في تلك الخطوط: الجيد والحسن والبارع والدقيق السريع،
ومن خلال هذه المصطلحات ندرك مدى معرفته بأسرار هذه الصناعة ودقائق هذا الفن⁶.

1: أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص: 65.

2: نفسه 165-169.

3: الاحاطة 135/3.

4: الرحلة 7-6/2.

5: 9/2-12-13-61-66.

6: 71/3-100-107-123.

7-14-5/9.

3/6-14-53-57-61-65-68.

وغير ذلك.

6: في كشف الظنون ج: 707/1، وكتاب العمدة في الخط للهيتي، والاقتضاب لابن البطلوسي ص: 67 أوصاف شتى لأنواع الخط وفضله، وفي كتاب أحكام صناعة الكلام ص: 45 حديث في رتبة الخط. وانظر كذلك نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ج: 14/7 و3/9 وكذلك صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس القلقشندي 440/2 و1-2-3.

فممن ذكر لهم الخط البارع: الشرف بن الإمام الجزائري¹ وأبو إسحاق بن أبي الوليد التجيبي² وأبو إسحاق بن حبي القرموني³ وأبو الفضل التجاني⁴ وأبو العباس بن القصير⁵.

وممن له الخط الجيد أحمد بن عثمان الشافعي⁶ وعلم الدين أخو ابن العمادية⁷ وشرف الدين بن الصواف⁸.

وممن لهم الخط الحسن أبو الوليد محمد بن أحمد الكاتب⁹ وأبو بكر القسطلاني¹⁰ وابن العطار¹¹ وأبو إسحاق إبراهيم الفأسي¹² وأبو صادق القرشي¹³ وسارة الحلبي¹⁴ وابن خميس التلمساني¹⁵ ونجم الدين بن صصري¹⁶ وأبو الحسن القيطاجي¹⁷ وأبو العباس بن الحاج¹⁸.

وذكر أن شيخه ابن السراج كان بصيرا بأدق الخطوط مع كونه ناهز المائة سنة¹⁹.

وهناك من كان يسرع في الخط ويجيده إجادة تامة كأبي إسحاق إبراهيم الفأسي نزيل الحرمين²⁰.

¹: الرحلة 53/6.

²: الرحلة 12/2.

³: الرحلة 104/6.

⁴: الرحلة 5/7.

⁵: الرحلة 9/2.

⁶: الرحلة 14/5.

⁷: الرحلة 3/3.

⁸: الرحلة 79/5.

⁹: الرحلة 87/3.

¹⁰: الرحلة 84/3.

¹¹: الرحلة 68/6.

¹²: الرحلة 8/5.

¹³: الرحلة 71/3.

¹⁴: انظر من لقيهم بفاس. ترجمة 22.

¹⁵: انظر من لقيهم من أصحابه.

¹⁶: انظر من لقيهم في دمشق.

¹⁷: الرحلة 111/6.

¹⁸: الرحلة 34/7.

¹⁹: ابن السراج نزيل بجاية انظر قصته في الذيل والتكملة سفر 1 ق 1 ص: 370.

²⁰: الرحلة 8/5.

وأشار إلى أن شيخه جمال الدين ابن الظاهري كان له خزائن لكتبه حسنة
ظريقة كتب الكثير منها بخطه الذي له حظ كبير من الإتقان والإجادة¹.

هكذا كان ابن رشيد لا يَفْتَرُ عن وصف شيوخه بحسن النقل والضبط ونعت
الكتب بغاية الحسن والجمال كلما أنس منها ذلك. ولعل ذلك ما يقال عن أعاجيب
الخطوط بأنها على كثرتها، واختلافها وأصولها الواحدة، تختلف باختلاف شخوص
الناس مع اجتماعهم في الصفة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة
عليه².

ومما يدل على معرفته بأسرار الخط وصناعته وامتلاكه أدواته قوله بالكتابة يوما
بأطراف مقط كان عنده في حين لم يحضر القلم المبري وذلك في مجلس شيخه جمال الدين
ابن الظاهري، فكتب به حرصا على التحصيل ثم تداركه بعد ذلك بالتوضيح والابانة³.

ومن أخبار الخط والوراقة ما ذكره من أن الكاتب الأديب أبا عبد الله محمد بن
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الجذامي المعروف بابن العطار القرطبي الرحالة الشاعر
المجيد البليغ والأديب المتقن كان حسن الخط رائق الوراقة ومتقنا بجزاة السلطان بتونس،
ولم يزل بها وراقا إلى أن رحل عنها في حدود سنة أربعين وستمائة إلى المغرب⁴ وممن
كان يعرف أيضا بفن الوراقة وإتقان صناعتها شيخه ابن درادة⁵.

¹: الرحلة 97/3.

²: أدب الكتاب للصولي ص: 43.

³: الرحلة 123/3. وانظر أيضا ما يتصل بقط القلم والمقط: أدب الكتاب للصولي ص: 109-110.

⁴: الرحلة 68/6.

⁵: الرحلة 100/3، وانظر أيضا ما كتبه الأستاذ محمد المنوني عن فن الوراقة في مجلة المحاضرات الثقافية عدد 1

ص: 270.

المبحث السادس : أثر شيوخ ابن رشيد في تكوين شخصيته

لقد لقي ابن رشيد أكثر من خمسين ومائتين من الشيوخ والأصحاب الذين تنوعت بلادهم واختلفت مذاهبهم وطبائعهم وتباينت مستوياتهم العقلية والفكرية والثقافية، ولهذا لا بد أن يكون قد تأثر بهم قليلا أو كثيرا، ونلاحظ أنه كان يقومهم بكثير من الأوصاف التي تميز شخصياتهم من حيث التكوين العلمي والنفسي، وقد تأتى له ذلك بفضل الصحبة المخلصة والملاحظة الدقيقة والخبرة الحسنة التي ساعدته على سير أغوار الطبائع وتحليلها. وإن كل ترجمة من تراجم أولئك الشيوخ مصدرة بوصف معين من أوصاف تتعلق بالعلم أو العمل أو الخلق، وما أكثر تلك أوصاف وأشدها اختلافا من ترجمة لأخرى، وهي غير واردة من أجل التهويل والتفخيم، وإنما هي صفات لها دلالات حقيقية على الموصوف. ونورد فيما يلي شيئا منها على سبيل المثال لا الحصر.

الشيخ- الفقيه- الصالح- الفاضل-	وهو رضي الدين ابوبكر
المرضي الصوفي- البصير بصناعة	القسنطيني ¹
العربية المتحلي بحلى الصوفية	
الاجل- الفقيه- المسند - أحد	عبد الرحمان بن يوسف المزى
الشيخ الفضلاء الثقافات-	(ابن خطيب المرة ²)
الخييار	
الفقيه - المعمر- الإمام- العالم- الزاهد- الورع-	صفي الدين خليل
مفتي الإسلام- بقية السلف الكرام-	المراغني ³
أحد الشيوخ المسندين- قديم السماع	
الأديب البارع- الإمام - العالم- الصوفي-	شهاب الدين
الفاضل- المعمر- الحسن السميت والصمت	ابن الخيمي ⁴

¹: الرحلة 36/3.

²: الرحلة 36/3.

³: الرحلة 48/3.

⁴: الرحلة 44/3.

القاضي- الرئيس- صاحب ديوان
الاحساس

شيخ من العامة- له سماع صحيح- رغب
الناس في الأخذ عنه لغرابة اسمه
الإمام الأوحـد- رئيس النظـار المتأخرين- شمس
الملة والدين- ناصر السنة- فخر الأئمة- تاج الملة
- كبير المتكلمين- حكم المتناظرين- إمام وقته في
النظريات والعلم بالخلافات والقواعد
الصوفيات- ذو التصانيف البديعة والتدقيقات
الرقيقة

الشيخ الجليل- المسن- الفقيه- الصالح- العارف

الشيخ الأجل- نائب الحسبة
المتقن الوراقة- رئيس المؤذنين بالجامع الحاكمي
الشيخ المحدث - الصوفي- الأديب -
المصنف- المفتي المشهور المذكر
الشيخ المحدث- المعمر- الثقة- الفاضل- رحلة
الديار المصرية- كان سمحاً بالقراءة عليه-
حسن اللقاء- كثير البر- دائم البر لمن يلقاه-
انفرد بإجازة حماد الحراني وابن كليب

أبو الحسن ابن أبي الكوم
الشعالبـي¹
ذو النون الاسعـردي
الشـراريبي²

ابو المعالي محمد
بن محمود الاصـبهاني³

عبد الواحد بن علي
القرشي الحنبلي⁴
أبو العباس الاعـلاقـي⁵
أبو عبد الله ابن درادة القرشي⁶
قطب الدين أبو
بكر القسـطلاني⁷

عز الدين عبد العزيز الحراني⁸

1: الرحلة 85/3.

2: الرحلة 86/3.

3: الرحلة 88/3.

4: الرحلة 90/3.

5: الرحلة 93/3.

6: الرحلة 100/3.

7: الرحلة 107/3.

8: الرحلة 111/3.

- الإمام الأوحـد- العالم- العلامة- المجتهد- مفتي
الإسلام- ذو التصانيف الجليلة- والمباحث الدقيقة-
مدرس المذهبين المالكي والشافعي- بقية الاعلام
الفقيه- الأديب- الكاتب- البليغ- الحافظ- الناقد-
العلامة- المتفنن- الحلو الشمـل- والمنازع
الأديب- الكاتب- الناظم المكثـر- الخطاط
البارع- تحول غربا وشـرقا- صـحب
الأدباء والشعراء- وخطاط وخوطب
الشيخ الفقيه- الفاضل- الحسيب- الأصيل- ذو
البيت النبيل- والمجد الاثـيل-
الكاتب البارع- الضابط المتفنن
الأديب- الحسيب- الفاضل- الكامل- أحد الأدباء
الفضلاء- والرواة السـراة- المقدور عليه- الصابر
على الفقر المدقع- مع سراوة ونزاهة وسخاء
نفس- ربما استعمل في بعض الشهادات
المخزنية- وربما كتب عن بعض خدام
صاحب افريقية المتحمل المتجمل
الأديب- الناظم- له سماع- وإجازات-
وخط بارع- يشهد في المكوس
- محمد بن علي ابن دقيق العيد¹
أبو بكر محمد بن حبـيش²
أبو العباس ابن القصير³
أبو الوليد محمد
التجـيبي ابن الحـاج⁴
أبو الحسن علي بن
محمد بن رزيـن⁵
أبو عبد الله ابن التونسي⁶

1: الرحلة 58/3.
2: الرحلة 1/2 - 34/6.
3: الرحلة 9/2.
4: الرحلة 10/2.
5: الرحلة 64/6.
6: الرحلة 3/3.

المتطّيب- شيخ في أخلاقه شكاسة- وكبر-
وعدم فهم- له أسمعة- وإجازات صحيحة
الأديب - البارع- الكاتب- الحافل- المتفنن-
الفاضل- الكامل- ابرع الجماعة أدبا- وأوسعهم
طلبا- حافظ- لافظ- جمع أنواع الحسن أجمعها-
وحاز من كل فضيلة ابدعها- له خط رائق- وخلق
وخلق^١ تروك ذاته- وتشوقك أدواته- نجيب- ذو
عفاف وكفاف- يتصرف كيف شاء في الرواية
والارتجال- مديد الباع- فسيح المجال- مشارك في
فنون الطلب: في النحو واللغة والبيان
والكتابة والخطابة - له تحصيل لمعرفة التاريخ
وأيام الناس ومشاركة في الرواية والدراية

أبو الفضل محمد بن علي
التـجـانـي^١

ويخلص لنا من ذلك ما يقرب من (130) ثلاثين ومائة من الأوصاف في جميع
أنواع المعرفة وسمات الخلق والطباع وسائر المهن والأعمال. فأما أغلبها فخاص بأصحاب
الحديث، وقد ورد لهم ما يقرب من (80) ثمانين وصفا وفي أهل الأدب (70) سبعون
وصفا ولأهل التصوف والصلاح (30) ثلاثون، وللمفسرين والفقهاء وأهل العلم
بالخلافات والعارفين بالمازهر عشرون وللقضاة والرؤساء (10) عشرة وكذلك العدديون
والمتكلمون والمقرئون ولغيرهم من النحاة واللغويين (7) سبعة أوصاف وللقراء والخطباء
والمؤرخين العروضيين والخطاطين وأهل الفقر والتجريد والوراقين بعض الأوصاف
المختلفة.

ونورد فيما يلي مجملا بأسماء أولئك الشيوخ بعد تصنيفهم حسب الفن العلمي
الغالب عليهم، وترتيبهم حسب الحروف (أ- ب- ت) مع إثبات اسم المدينة التي كانوا
يدرسون بها ليسهل البحث عن تراجمهم في دراسة الرحلة. وينبغي التنبيه أيضا على أن

^١: الرحلة 5/7.

معظم هؤلاء الشيوخ كان مشاركا في أكثر من فن. بل أن فيهم من كان مبرزا في كثير من العلوم كما سيتضح عند التعريف بهم بعد. وعندما يظهر لنا مقدارهم ومدى اهتمامهم بفن معين سندرك من ذلك تلك العلاقة الوطيدة بالاتجاه العلمي الخاص بابن رشيد وأثر شيوخه فيه.

المحدثون

البلد	اسم الشيخ	البلد	اسم الشيخ
دمشق	سليمان بن حمزة المقدسي	سبته	إبراهيم بن احمد الغافقي
تونس	صالح بن محمد بن شوشن	دمشق -	إبراهيم اللوري الرعيني
الحرمان	عبد الحميد بن الزجاج البغدادي	دمشق	أبو بكر بن أبي الزبير المصري
دمشق	عبد الرحيم بن إبراهيم الفركاح	إسكندرية	أبو بكر بن احمد التميمي
القدس	عبد الرحمان بن إبراهيم المقدسي	دمشق	أبو بكر بن احمد المقدسي
دمشق	عبد الرحمان بن أحمد المقدسي	مكة	أبو بكر بن خليل
إسكندرية	عبد الرحمان بن سليم ابن العمادية	مصر	أبو بكر يوسف المنذري
دمشق	عبد الرحمان بن محمد البعلبكي	إسكندرية	احمد بن أبي بكر الزبيدي
مكة	عبد الرحمان بن محمد الزجاج البغدادي	مكة	احمد بن أبي بكر العسقلاني
المدينة	عبد الرحيم بن محمد الزجاج	دمشق	احمد بن فرح اللخمي
المدينة	عبد السلام بن محمد بن مزروع	اسكندرية	احمد بن أبي الفرج المقدسي
مكة	عبد الصمد بن عساكر الدمشقي	دمشق	احمد بن سالم بن صصري
سبته	عبد العزيز بن إبراهيم الجزيري	دمشق	احمد بن عبد الرحمان النابلسي
مصر	عبد العزيز السحراني	القاهرة	احمد بن عبد الكريم الاعلاقي
مصر	عبد الله بن أبي الزين الكاتب المصري	تونس	احمد بن محمد الاشعري
إسكندرية	عبد الله بن خير القرشي	القاهرة	احمد بن محمد ابن الظاهري
مكة	عبد الله بن سليمان اللقاني	دمشق	احمد بن هبة الله بن عساكر
القاهرة	عبد الله بن محمد التقي عبيد	دمشق	إسماعيل بن القراء المرادوي
دمشق	عبد المحسن بن فارس الابهري	دمشق	تمام بن محمد الحنفي
القدس	عبد المنعم بن يحيى النابلسي	دمشق	ثابت بن علي العسقلاني
القاهرة	عبد المؤمن بن خلف الدمياطي	دمشق	حسين بن داوود السهروردي
إسكندرية	عطية بن ساجد بن أبي الحسن	مصر	ذو النون بن عمر الاسعردى
نقيس	علي بن أبي صالح التلايني	دمشق	زينب بنت احمد الدمشقية
دمشق	علي بن أحمد البخاري	القاهرة	زينب بنت عبد اللطيف البغدادي
دمشق	علي بن احمد القاسيوني	دمشق	زينب بنت محمد البغدادي

زینب بنت مکی الحارثی	دمشق	علی بن احمد الغرافی	إسکندریة
سارة الحلبيّة	فاس	علی بن احمد المقدسی	القدس
علی بن الافتخار المقدسی	القدس	محمد بن عبد الخالق بن طرخان	إسکندریة
علی البدیع	حرم الخلیل	محمد بن عبد الملك البونینی	بعلبک
علی بن عیسی الیزنی الحمیری	إسکندریة	محمد بن عطاء الله بن الخطیب	إسکندریة
غازی الحلّاء	دمشق	محمد بن علی النابلسی	نابلس
فاطمة بنت إبراهیم البطّاحی	المدينة	محمد بن منصور الأنصاری	إسکندریة
مثقال بن عبد الله الفرّجونی	إسکندریة		
محمد بن احمد الکلاعی	تونس	محمد بن أبی بکر التّنوخی	إسکندریة
محمد بن اسماعیل بن الاناطی	القاهرة	مسعود بن احمد الحارثی	القاهرة
محمد بن حسن البونی الشراپی	إسکندریة	یحیی بن احمد بن الصّواف	إسکندریة
محمد بن الحسین القرشی	مصر	یوسف بن الشقاری	المدينة
محمد بن خالد الحموی	دمشق	یوسف بن صلاح الدین الحنفی	القدس
محمد بن عاصم الرندی	مصر		

الفقهاء

إبراهیم بن احمد الجزری	تونس	احمد بن النعمان	تونس
إبراهیم بن احمد بن فرح	غرناطة	جماعة بن یحیی الحلبي	تونس
إبراهیم بن محمد القاسی	المدينة	خلیل بن أبی بکر المراغی	القاهرة
أبو بکر بن یربوع	سبتة	أبو الوفاء اللّخمي	القاهرة
أبو القاسم بن أبی اللبيدي	تونس	عباس بن محمد النّجیبی	غرناطة
احمد بن عبد القادر الدمراوی	إسکندریة	عبد الحمید بن عمران الطرابلسی	تونس
احمد بن عبد الله الدمشقی	نابلس	عبد الرحيم بن يوسف المزي	القاهرة
احمد بن عبد الله الطبري	مكة	عبد العزيز بن حسن التميمي	المهدية
احمد بن عمر الجزائري	تونس	عبد العزيز بن علي كحیلا	بجاية
احمد بن عیسی بن قطران	بلیس	عبد الله البسکري	تونس
احمد بن اسماعیل المروش	تونس	عبد الواحد بن احمد الحنبلي	القاهرة
احمد بن محمد بن الغماز	تونس	عبد الوهاب بن عبد السيد	طرابلس

تونس	عبد الوهاب بن يوسف البجائي	تونس	احمد بن محمد الخزرجي
بليبس	علي بن عبد الكريم الدمشقي	تونس	احمد بن محمد المرسي
تلمسان	محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش	مصر	علي بن عيسى بن أبي الكوم
دمشق	محمد بن عبد الرحيم السعدي	مكة	عمر بن عبد المحسن بن الصواف
القاهرة	محمد بن عبد الكرين بن درادة	تونس	القاسم بن أبي بكر بن زيتون
الجزيرة	محمد بن خميس الاصطبوني	سبته	القاسم بن عبد الله بن الشاط
الخضراء	محمد بن عبد المعطي بن هريرة	بونة	أبو القاسم الفحصبلي
تونس	محمد بن علي بن دقيق العبد	روندة	القاسم بن يوسف الجذامي
القاهرة	محمد بن عمر الشريف الكركي	سبته	محمد بن إبراهيم البلقيني
مصر	محمد بن مالك بن المرحل	تونس	محمد بن إبراهيم السلاوي
مالقة	محمد بن محمد بن الخضار الكتامي	مكة	محمد بن أبي العسقلاني
سبته	محمد بن محمد بن علي	تونس	محمد بن أبي عبد الوهاب الكلاعي
تونس		تونس	محمد بن احمد الأنصاري
القاهرة	محمد بن محمود الاصبهاني	تونس	محمد بن احمد التجيبي
بجاية	منصور بن احمد المشدالي	تونس	محمد بن احمد حيان
تونس	موسى بن عبد الله التجيبي	بجاية	محمد بن احمد بن صالح
سبته	يحيى بن احمد بن منظور	تونس	محمد بن احمد بن الغماز
دمشق	يوسف بن عبد الله الحنفي	تونس	محمد بن احمد بن النعمان
تونس	يوسف بن محمد بن اندارس	دمشق	محمد بن الحسين الارموي
		مصر	محمد بن الحسن القسطلاني

المتصوفون والزهاد

القاهرة	عيسى بن يحيى الأنصاري	القاهرة	أبو بكر بن عمر القسنطيني
القاهرة	محمد بن احمد الخراساني	مصر	ثابت بن علي العسقلاني
القاهرة	محمد بن القسطلاني	القاهرة	شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي
القاهرة	محمد بن حاتم الدلاصي	القاهرة	صواب الصلاحي
سوسة	محمد الدكالي	مصر	عبد الرزاق بن إبراهيم بن اللخمي
مصر	محمد بن عبد الرحمان بن سامة	القاهرة	عبد الله بن الحسن ابن القاهري
تونس	محمد بن علي بن قطرال	مكة	عبد الله بن محمد المرجاني
القاهرة	محمد بن مكّي الصفار المطرز	تونس	عبد الله بن يوسف الخلاسي
تونس	يوسف بن إبراهيم الجذامي	القاهرة	عبد الولي بختر البعلبكي
		نابلس	علي الحنبلي
المهدية	يوسف بن علي السماط	القاهرة	عيسى بن الحسن ابن القاهري

المقرئون

إسكندرية	عبد الله بن منصور بن الأسمر	تونس	احمد بن موسى البطرني
تونس	علي بن عبد الله الرماني	القاهرة	احمد بن نصير بن نبا
رندة	علي بن يوسف السفاح	سبتة	إدريس بن محمد الانصاري
مصر	محمد بن احمد بن الصائغ	مصر	عبد الرحيم بن عبد المنعم
مالقة	محمد بن عياش الخزرجي	القاهرة	عبد الكريم الحلبي

الأدباء والكتاب

تونس	عبد الواحد بن مبارك	سبتة	إبراهيم بن أبي يحيى التلمساني
تونس	عبد الواحد بن الطواح	تونس	إبراهيم بن اسماعيل القرموني
القاهرة	عتيق بن عتيق العامري	مكة	احمد بن عثمان الشافعي
منركة	أبو عمرو بن سعيد القرشي	المربة	احمد بن عبد الله بن سلبطور
مالقة	أبو الحسين بن قراقش	سبتة	احمد بن عبد الله العزفي
المدينة	علي بن إبراهيم التجاني	تونس	احمد بن القاسم بن القصير

احمد بن محمد بن اللبان	تونس	علي بن عمر الشاطبي	تونس
احمد بن محمد بن نخيل الحميري	تونس	علي بن محمد الخرجي	إسكندرية
حازم القـراطـجـي	تونس	علي بن محمد بن رزين	تونس
خلف بن عبد العزيز القبتوري	سبتة	علي بن محمد القبيجاطي	تونس
سعيد بن جون المراكشي	إسكندرية	عمر بن إبراهيم التجاني	تونس
سليمان بن علي التلمساني	دمشق	عيسى بن لب البنسي	تونس
عبد الرحمان بن القوبع	تونس	فضل بن علي بن رواحة	بليبس
عبد العزيز ابن رأس الحجلة	تونس	القاسم بن محمد الهوزني	غرناطة
عبد الكريم بن علي الشافعي	مصر	مالك بن المرحل	سبتة
عبد الله بن عثمان بن حكم	منرقة	محمد بن الإمام	غرناطة
عبد الله بن محمد الطيري	تونس	محمد بن أبي تميم الحميري	تونس
عبد الله بن محمد بن هارون	تونس	محمد بن أبي القاسم الانصاري	تونس
محمد بن أبي القاسم الحسني	سبتة	محمد بن عيسى	تونس
محمد بن أبي القاسم اللواتي	تونس	محمد بن علي التجاني	تونس
محمد بن إبراهيم البنسي	تونس	محمد الجابي البزاز	إسكندرية
محمد بن إبراهيم الانصاري	مصر	محمد بن محمد الصائغ	المرية
محمد بن احمد التجاني	تونس	محمد بن القوبع	تونس
محمد بن حسن بن حبيش	تونس	محمد بن يحيى بن همشك	تونس
محمد بن حكم بن عقيل	مصر	محمد بن يوسف الجزري	إسكندرية
محمد بن عبد الحميد	مصر	محمود بن سليمان الحلبي	دمشق
محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم	رندة	مخلد بن بقي	تونس
محمد بن عبد الله بن جزي	غرناطة	موسى بن عبد الله بن عاصم	رندة
محمد بن عبد الله بن خطاب	تلمسان	نصير بن احمد المنيايوي	حمامة
محمد بن عبد المنعم الخيمي	مصر	يحيى الرنداحي	ملقة
محمد بن عبيدة	سبتة	يوسف بن احمد بن طاووس	شقر
محمد بن خميس التلمساني	سبتة	يوسف بن عبد العالي القماح	اسكندرية
محمد بن عمر بن الدراج	سبتة	يوسف بن علي الطرطوشي	سبتة

النحاة

احمد بن يوسف السلمي	تونس	محمد بن إبراهيم بن النحاس	مصر
احمد بن يوسف الفهري اللبلي	تونس	محمد بن يوسف بن حيان	القاهرة
عبيد الله بن أبي الربيع	سبتة		

التاريخيون

احمد بن إبراهيم بن الزبير	سبتة	القاسم بن محمد البرزالي	دمشق
احمد بن محمد الغرناطي	تونس	محمد بن عبد الملك المراكشي	سبتة

العروضيون

احمد بن البناء المراكشي	مراكش	محمد بن احمد القلوسي	مراكش
علي بن محمد الحضار الكتامي	سبتة		

ومن خلال هذا المجمل يتبين لنا أن عدد شيوخ ابن رشيد وأصحابه اللذين لهم اختصاص بالعلوم الشرعية (170) سبعون ومائة تقريبا، وفيهم (77) سبعة وسبعون في الحديث و(62) اثنان وستون في الفقه و(21) واحد وعشرون في التصوف والزهد والصّلاح و(10) عشرة من المقرئين.

وأما في العلوم الأدبية واللغوية وغيرها فعددهم (78) ثمانية وسبعون تقريبا. وفيهم (66) ستة وستون من الأدباء والكتاب، و(5) خمسة من النحاة و(4) أربعة تاريخيين و(3) ثلاثة عروضيين.

وبهذا يكون مجموع أولئك الشيوخ قريبا من خمسين ومائتين.

وينبغي أن ينظر إلى هذا التقسيم باعتبار الجانب الغالب على الشيخ، لأن معظمهم، كما أسلفت، كان مشاركا في كثير من العلوم والفنون. فقد كان ابن رشيد مثلا يروي من الأدبيات عمن لهم اختصاص بالحديث أو التصوف أو الفقه مثل العفيف التلمساني الصوفي وسارة الحلبيّة المحدثّة وعبد الصمد بن عساكر الإمام الزاهد المجاور بمكة وابن حيان الشاطبي المحدث وأبي محمد بن مبارك الصوفي. واذكر في هذا الصدد أن اهتمام ابن رشيد بتلك الأوصاف السالفة الذكر وإيراده لها بكثرة في ترجمة شيخ من

الشيخ، واهتمامه بعبارات التنويه والإعجاب، وكذا طول الملازمة، وتبادل الزيارة وكثرة الأخذ والاستشهاد بآرائه وأقواله، كل ذلك له اعتبار في تأثر ابن رشيد بهم. ويظهر ذلك مثلاً في ترجمة أبي الفضل التجاني وأبي بكر بن حبيش وأبي الحسن الغرافي وأبي محمد الخلاسي وأبي جعفر اللبلي وأبي الحسن بن رزين وعز الدين الحراني وتقي الدين بن دقيق العيد وأبي اليمن بن عساكر.

ومن خلال دراسة الرحلة وغيرها من المؤلفات نجد أن أهم من تأثر به في علوم الحديث: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي الذي قرأ عليه بسبته في سنيه الأولى. وأما في الشرق فكان أبرزهم الغرافي وأبو إسحاق اللوري وأبو بكر القسطلاني والشرف الدمياطي وابن البخاري وجمال الدين بن الظاهري.

وأما في الفقه والأصول فقد تأثر بأبي الحسن بن الحضار الكتامي وصديقه ابن الشاط. وبعد قيامه بالرحلة كان أهم من لقيه في هذا الشأن عبد العزيز بن كحيل وناصر الدين المشدالي والقاسم بن زيتون وأبو العباس بن الغماز وابن دقيق العيد وأبو المعالي الاصفهاني.

وأما في القراءة فقد تأثر أيضاً بأبي الحسن بن الحضار، ثم مكن معرفته في ذلك بعد ان اتصل بابي العباس البطرني ومكين الدين بن الأسمر.

أما في الأدب فقد قرأ في سبته في حادثة سنة على خَلَف القبتوري ومالك بن المرحل ثم اتصل في رحلته بالمع الأدياء والعلماء كحازم القرطاجني وابن حبيش وابن هرون القرطبي وأبي عبد الله بن القوبع والشرف الجزائري وابن أبي تميم الحميري وابن رزين وابن الخيمي وابن النحاس وأبي الفضل التجاني.

وكان أول من أخذ عنه النحو وتأثر باتجاهه أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي بسبته ثم اتصل بعد ذلك بأبي جعفر الفهري اللبلي وابن النحاس وابن حيان الغرناطي.

وأما علم العروض فقد قرأ مبادئه على أبي الحسن بن الحضار ثم اتصل بعد ذلك بأكبر العروضيين كأبي بكر القلوسي وابن البناء العددي.

وفي دراسة الرحلة سنتناول أولئك الشيخ والأصحاب بشيء من التركيز لمعرفة مدى أثرهم في ابن رشيد.

المبحث السابع : تلاميذ ابن رشيد

وهؤلاء تلاميذ ابن رشيد الذين أخذوا عنه في الأندلس والمغرب، وذلك في غرناطة والمرية ومالقة ورندة وفاس، وقد أقرأهم في شتى المعارف والفنون، وفي مختلف الكتب مثل رحلته ملء العيبة والسنن الابن له وكتاب الأربعين له وصحيح البخاري والروض الانف للسهيلي ورسالة ابن زيد القيرواني والشاطبية وغير ذلك.

ونستخلص من ثقافة أولئك التلاميذ مستوى ثقافة العصر، ومنهاج التعليم في الغرب الإسلامي وقتئذ، ونلاحظ من خلال ذلك أيضا مستوى المراكز الثقافية في هذه البلاد وتنوع المعارف فيها من التفسير والحديث والفقه والكلام والأدب واللغة والنحو والتصوف والرياضيات والطب والكيمياء.

وفي هؤلاء التلاميذ رحالون قاموا برحلاتهم إلى المشرق فشارك بعضهم أستاذهم ابن رشيد في شيوخه وأصحابه قراءة وإجازة. وفيهم كتاب وشعراء وذوو الرئاسة والقضاء والنيابة والوجاهة والمؤلفون والأساتذة والخطباء والخطاطون، ونلاحظ أيضا أن أغلبهم كان مشاركا.

وينبغي أن نذكر أنه لو توافر لدينا الجزء الخاص بالشام من الرحلة، لاعطانا فكرة عامة عن مجالسه العلمية بدمشق أو صورة عامة من التلاميذ الذين كانوا يدرسون عليه بها.

وسنرى في هذه المجموعة من التلاميذ أمثلة مهمة للمستويات العلمية والثقافية في القرن الثامن الهجري.

1- إبراهيم بن أبي العاصي

هو إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان التنوخي، أبو اسحق، وكان خطيبا مقرئا مجودا مدرسا للعربية والفقه، أخذ في الأدب والتفسير، وكان ظريف الخط، له شعر وسط قريب من الخطاط¹ أصله من جزيرة طريف ونشأ بغرناطة وبها توفي سنة 726 هـ. وهو الذي تولى عرض كتاب ابن رشيد: السنن الابن، وهو المسمى أيضا

¹: الإحاطة 374/1.

بالنسخ في تعاليق ذلك الكتاب. وقد أنجز ذلك في منتصف شهر رمضان سنة 702هـ. وكان صاحب النسخة هو أبا عبد الله الخزرجي الذي ينوه به المؤلف¹.

2- إبراهيم التسولي

إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن أبي يحيى التسولي النازي المالكي كان قاضيا، فصيح اللسان سهل الألفاظ فاضلا من صدور المغرب، مشاركا في العلم متبحرا في الفقه، وكان وجيها عند الملوك، صحبهم وحضر مجالسهم، واستعمل في السفارة، وهو شارح رسالة أبي زيد ومقيد المدونة، وكان يحضر مجالس ابن رشيد العلمية. لقيه ابن الخطيب بغرناطة وأخذ عنه².

3- ابن تميم اليفراني المكناسي

هو أحمد بن عبد الرحمان (عبد الرحيم) بن تميم اليفراني الشهير بالمكناسي وهو أخو أبي الحسن الطنجي شيخ أبي عبد الله السطبي. وكان المكناسي هذا أستاذا وفقهيا، يرحل إليه الناس من فاس للأخذ عنه³. وتوفي سنة 753هـ.

4- ابن خيرون الشاطبي

هو أحمد بن عتيق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن خيرون الأزدي الغرناطي المعروف بالشاطبي، أبو جعفر، وكان قاضيا ببرجة، حافظا للنوازل، وهو الأديب الشاعر الموثق الحافظ للأدب، الذاكر لكثير من التاريخ⁴.

5- أبو بكر بن جُري

أحمد بن محمد بن أبي قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن جُري (بالجيم والراء مصغرا)، وهو أديب عارف بالفرائض والعربية وشارح الالفية¹. قرأ على ابن رشيد

¹: السنن الابن. 59. وانظر أيضا درة الحجال 179/1 ونيل الابتهاج 37-38 وبغية الوعاة 185 والكتيبة الكامنة 32 وغاية النهاية 24/1 وأعلام المغرب العربي 110/1 ترجمة 116.

²: الإحاطة 372/1، نيل الابتهاج 89-90، جذوة الاقتباس 85/1، درة الحجال 179/1، تاريخ قضاة الأندلس 136، شرف الطالب 80، لقط الفرائد 202، شجرة النور 1 ط: 220، هدية العارفين 15/1، إيضاح المكنون 557/1 جامع القرويين 488/2، أعلام المغرب العربي 119/1 ترجمة 123.

³: الجذوة 122/1، نيل 69، درة 46/1 لقط 206، شجرة 218/1، فهرس، مخطوطات خزانة القرويين 151/1.

⁴: درة الحجال 137/1 ترجمة 167، لقط الفرائد 195.

كتابه الأربعين وتأليفه، وناوله جميعها، وقرأ عليه كتاب المغني عن الحفظ للحافظ أبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي، وكتاب الروض الانف ومقصورة حازم القرطاجني.

6- ابن أبي جبل المعافري

أحمد بن محمد بن سعيد بن علي بن محمد بن مالك المعافري الغرناطي وكان عارفا بالأحكام الشرعية والقضايا الدينية، وله حذق بصناعة العربية، وكان سابق حلبة زمانه في الأدب، أجاز له من أهل المشرق بعض شيوخ ابن رشيد كناصر الدين المشدالي وابن النحاس الحلبي وعز الدين الحراني، توفي سنة 726 هـ².

7- ابن شعيب الجزنائي

أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي الفاسي، رُحِّلَ الوقت، التعاليمي الأديب النباتي البارع الخط الحافظ المشارك المتهتك في علم الكيمياء، له دراية بعلم الأدب خاصة، وكان حافظا للشعر، وذكر أنه كان يحفظ عشرين ألف بيت للمحدثين، والغالب عليه العلوم الفلسفية وقد مقت لذلك وتوفي سنة 3749.

8- أبو العباس بن يربوع

أحمد بن محمد بن أبي العيش بن يربوع السبتي، أبو العباس كان كبير المنصب من أهل اليقين والمشاركة، غاية في الوقار، حسن السمات، والتعاطف مع الظرف، وكانت له عند السلطان حظوة. أجاز له بعض شيوخ ابن رشيد كابن دقيق العيد والشرف الدمياطي والضياء السبتي⁴.

¹: الدرر الكامنة 293/1 ترجمة 742. وفهرست المنتوري 4-63-64-68-291. اللوحة البدرية 128.
²: الأحاطة 193/1، درة الحجال 136/1 ترجمة 166، الدرر الكامنة 107/1 ترجمة 39، الكتيبة الكامنة 67 ترجمة 34، لقط الفرائد 182 وفيات 426 أوصاف الناس 36.
³: الأحاطة 72/1، نثير الجمان 225-245، نيل الابتهاج 68، درة الحجال 45/1 جدوة الاقتباس 120/1، المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص: 248-295، أوصاف الناس 106، لقط الفرائد 202، جامع القرويين 488/2، أدب الفقهاء 7، الأعلام للمرآكشي 214/2 ترجمة 191، الأدب المغربي 227، دعوة الحق عدد 6 س: 14 (1978) ص: 181 بقلم الدكتور كمال شبانة، المناهل 15/2 بقلم ذ عبد الله كنون.
⁴: الدرر الكامنة 291/1 ترجمة 739.

9- أبو العباس الطنجالي:

أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف .. بن عمر الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة كان كاتب الشروط أصيلاً وجيهاً، ثم ترك ذلك واقتصر على الخطابة والإمامة بمالقة، صحب ابن الخطيب إلى العدو قَبْلاً منه فضلاً وسداجة. وقد شارك أستاذه ابن رشيد في بعض شيوخه كابن أبي الربيع وابن الغماز وابن دقيق العيد توفي سنة 764 هـ¹.

10- أبو العباس الزاوي

أحمد بن محمد الزاوي شيخ القراء بالمغرب الذي لا يجارى، أخذ العلم عن مشيخة فاس حتى أصبح له علو في السند. وعمل فهرسة مقروءاته ومروياته في مجلدة سمعها منه أبو عبد الله محمد بن محمد السلاوي وكانت له نواذر حسنة، وروى عن ابن مروان الشريشي وأبي جعفر ابن الزبير وتوفي سنة 749 هـ أو 750 هـ².

11- أبو البقاء البلوي

خالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة المشهورة تاج المفرق، وكان فاضلاً كثير التواضع³.

12- ست العرب الحضرمي

ست العرب الحضرمي عبد المهيمن الحضرمي، وقف القاضي اليزناسني على إجازة ابن رشيد لها مؤرخة بغيره محرم سنة 721 هـ⁴.

¹: الدرر الكامنة 180/1 ترجمة 463، وج: 251/1 ترجمة 645.

²: المسند الصحيح 110، جذوة الاقتباس 122، درة الحجال 94/1، والتعريف بابن خلدون 20، 45 وفيات الوئشريسي 119، نيل الابتهاج 68، غاية النهاية 125/1-138، الدرر الكامنة 289/1 ترجمة 733.

³: الجذوة 186/1، الدرة 262/1، نهاية الاندلس 468، فهرسة مخط خ ق 79/2.

⁴: ازهار الرياض 355/2.

13- ابن ليون التجيبي

سعيد بن احمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بابن ليون التجيبي أبو عثمان المري، الزاهد العالم الناصح الذي تزيد تأليفه على المائة. ومما يحكى عن بعض كبراء المغاربة أنه رأى رجلاً طَوَّلاً، فقال لمن حضر مجلسه: لو رآه ابن ليون لاختصره إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب وهو مولع بالتدوين والتأليف. وله شعر رائع ولد سنة 681 وتوفي سنة 750 هـ¹

14- ابن شعيب القيسي

عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن محمد القيسي، أبو زيد وأبو القاسم من أهل المرية يعرق بابن شعيب، الفقيه الجليل المحدث الرواية الصالح والخطيب بجامع المرية. وقد لخص كثيراً من الكتب وله تأليف كثيرة حسنة، كان له إسناد واعتناء بالرواية وحط من الضبط. أخذ عن أبي عبد الله بن الكماد وأبي القاسم بن الشاط وابن الزبير ولد سنة 673 هـ وتوفي سنة 737 هـ².

15- ابن مسلم القصري السبتي

عبد الله احمد بن مسلم القصري السبتي، روى عن ابن رشيد رحلته وكتابه الأربعين³.

16- ابن الملجوم

عبد الله احمد بن أبي العباس بن الملجوم. أجاز له ابن رشيد وسمع منه عام 710 هـ⁴.

¹: طبقات المالكية 519، النفح 58/8، 302/3، الدرر 86 ت 24 نيل الابتهاج ص: 123 الدرة 292/3 ت 1374، لفظ 240، اوصاف الناس 29.

²: درة الحجال 73/3، نيل الابتهاج 165.

³: فهرسة المنتوري 63- 64.

⁴: فهرسة مخطوطات خزانة القرويين 272/1.

17- ابن أشعت الرعيني

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعت الرعيني الصوفي الفقير الارشدوني من كورة رية، الخطيب القاضي الصالح الحسن السمت الحسن النفس والقاضي الوزير له حظ من الطلب والفقه والقراءة والفريضة توفي سنة 739 هـ¹.

18- أبو محمد عبد المهيمين الحضرمي

عبد المهيمين بن محمد بن عبد المهيمين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي. وهو جامع رحلة ابن رشيد الشيخ الرئيس، والإمام المحدث المبرز في الأدب والتاريخ واللغة والعروض وغير ذلك وهو صاحب القلم الأعلى بالمغرب، شارك أستاذه، ابن رشيد في كثير من شيوخه في المغرب والمشرق كابن أبي الربيع، وابن منظور وابن الشاط والقلاوسي وابن الدراج وابن المرحل والشرف الجزائري وابن الغماز والناصر المشدالي وابن هارون والحلاسي وابن الظاهري وابن عساكر وابن النحاس ولد سنة 676 هـ وتوفي سنة 749 هـ في الطاعون².

19- عتيق بن مقدم اللخمي

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي الغرناطي الزاهد الصالح الصوفي الفقير، له طريقة في الخصوصيات والتخلي والعزلة والانقطاع، وكان إلى ذلك حسن السمت مليح الظرف طلعة شارك ابن رشيد في صحبة ابن الشاط³.

20- علي بن عتيق القرشي

علي بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي الغرناطي، الصالح الصوفي الفقير، وهو كلف بطريق الصوفية، شارك ابن رشيد في التلمذة علي بن

¹: الاحاطة 459/3.

²: الاحاطة 11/4، شرف الطالب 80، الاعلام للمراكشي 388/8، بغية الوعاة: 116/2-117، نثير الجمان 223.

³: الاحاطة 196/4.

أبي عبد الله بن صالح والخلاسي والدمياطي وابن دقيق العيد وابن الظاهري والغافقي وابن المرحل وأبي إسحاق التلمساني وغيرهم¹.

21- أبو الحسن بن الجباب

علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الانصاري رئيس الكتابة والإمام في الفرائض، المتوفد الذهن والعارف بالقراءات والحديث المتبحر في الأدب وعلوم اللغة والعربية والتاريخ، وهو ذو الوزارتين، شارك ابن رشيد في صحة ابن الشاط وابن المرحل وابن الزبير وابن الغماز وابن صالح الكناني وابن هارون القرطبي والمشدالي ولد سنة 673 هـ توفي سنة 749 هـ².

22- ابو حفص القرشي العبدري

عمر بن احمد بن عمر القرشي العبدري، روى عن ابن رشيد كتاب الأربعين حديثا عن أربعين شيخا عن أربعين مصنفا لأربعين عالما من أربعين طريقا إلى أربعين تابعا عن أربعين صحابيا بأربعين اسما من أربعين قبيلة في أربعين بابا، وذلك قراءة لبعضها ومناولة لجميعها عن ابن رشيد عن أبي عبد الله بن صالح الكناني سماعا لجميعها عن ابن الابار، وحديثه بجميعها ابو بكر بن جزي عن أبي عبد الله بن رشيد عن ابن صالح³.

23- أبو القاسم التجيبي

القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي صاحب الرحلة المشهورة (مستفاد الرحلة والاغتراب) وهو الذي ألف هذه الرحلة على طريقة رحلة ابن رشيد وزاد عليها فهرسا لشيوخه، شارك ابن رشيد في كثير من الاعلام المشاركة كابن دقيق العيد والشرف

¹: الاحاطة 197/4.

²: الاحاطة 125/4، نثر الجمان 239، الكنتية الكامنة 183، لسان الدين بن الخطيب 33-35، درة الحجال 234/3ت: 1254، اللحة البدرية 89، أوصاف الناس 57، نفح الطيب 223/3 و 364/7-369-377، معجم المؤلفين 201/7 لقط الفرائد 202، نهاية الأندلس 465 إيضاح المكنون 481/1 مجلة الثقافة المغربية ع 4 صفر 1391 ص: 131 بقلم د. محمد كمال شبانة.

³: فهرست المنتوري 62.

الدمياطي والضياء السبتي وابن النحاس وغيرهم. ولد سنة 670 هـ وتوفي سنة 730 هـ¹.

24- ابو عبد الله الآيلي

محمد بن إبراهيم بن أحمد الآيلي العبدري التلمساني، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره وأصله من شمال مجريط بالأندلس، كان أبرع أهل عصره في فنون الحكمة، وكان ينthal عليه الطلبة حتى انتشر ذكره أخذ عن ابن البناء وأخذ عنه ابن خلدون. ولد سنة 681 وتوفي سنة 757 هـ².

25- ابن الصفار المراكشي

محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي، إمام القراءة في وقته، الف في ذلك تأليفاً، وأحضره أبو عنان، وكان يعارضه القرآن وهو الذي غسله لما مات توفي سنة 761 هـ أو 762 هـ³.

26- السيارى البياني

محمد بن إبراهيم بن محمد السيارى ويعرف بالبياني من أهل غرناطة، كان حسن الطريقة، وقرأ الفقه ودرسه عمره، وهو مشارك في العربية والفرائض والأصول، قرأ عليه ابن الزبير وابن الشاط وابن الزيات وتوفي سنة 753 هـ⁴.

27- أبو الحسن السبتي التلمساني

محمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني السبتي الدار الغرناطي الاستيطان، ويعرف بالتلمساني كان يقوم على كتاب الله حفظاً وتجويداً طيب النغمة راوياً محدثاً إخبارياً أديباً شارك ابن رشيد في الأخذ عن القبتوري وإبي اسحاق الغافقي وإبي عبد الله بن

¹: مستفاد الرحلة 36. انظر مجلة العرب السعودية ج1، 2 ص11. 1976 ص: 54.
²: البستان لابن مريم 214، نيل الابتهاج 252، الدرر الكامنة 375/3، التعريف بابن خلدون 21- 23، جذوة الاقتباس 302/1، ابن بطوطة 331 لقط الفرائد 208، اعلام الجزائر 188 فهرست المجاري 261- 269 نفع الطيب 167/7، الاعلام للمراكشي 367/4.
³ الدرر الكامنة 881/4، نيل الابتهاج 254، الاعلام للمراكشي 410/4 ترجمة 609 لقط الفرائد 211، معجم المحدثين والمفسرين 29.
⁴: الديباج 296- 297، درة الحجال 49/2 ت: 2/49 ت: 494، الدرر الكامنة 295/3.

الخضار وابن الزبير والخلاسي وابن الغماز وابن أبي الليدي والشرف الدمياطي وابن النحاس وابن دقيق العيد صاحب عبد المهيمن الحضرمي. توفي سنة 760هـ¹.

28- ابن عبد الملك الفشتالي

محمد بن احمد بن عبد الملك الفشتالي قاضي الجماعة بفاس الخطيب العالم المفتي المدرس، وهو شيخ أبي الوليد بن الأحمر².

29- أبو بكر بن الزييات الكلاغي

محمد بن أحمد بن علي الزييات الكلاغي. كان مشاركاً في فنون الأدب والعربية فقيهاً فرضياً ذا معرفة بالوثائق والأحكام، واستعمل في السفارة، قرأ ببلده بليش مدة فانتفع به³.

30- ابن شقرال الطرسوني

محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي من سكان المرية وغرناطة، كان قيماً بالعربية والنحو واللغة، مشاركاً في الاصلين والقراءات. توفي سنة 729 هـ⁴.

31- ابن جزي الكلبي

محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن جزي الكلبي الغرناطي صاحب كتاب القوانين الفقهية وغيره من الكتب المهمة وهو من ذوي الاصلة والنباهة في غرناطة، وكان جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس والمحاضرة، خطيب المسجد الأعظم ببلده، وله فهرست كبيرة اشتملت على جملة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، وله شعر حسن توفي سنة 741 هـ⁵.

¹: الاحاطة 200/3.

²: نثر الجمان 23، المسند الصحيح 75، بيوتات فاس الكبرى 68، أبو الوليد بن الأحمر 116.

³: الاحاطة 138/2، بغية الوعاة 131، نيل الابتهاج 240.

⁴: الاحاطة 23/3، فتح المتعال، بغية الوعاة 15، نيل الابتهاج 233، الدرر الكامنة 73/3 ت: 22، درة الحجال 75/2، نفح الطيب 282/3 ولقط الفرائد 184.

⁵: نفح الطيب 368/7 و28/8- 54، سلوة الانفاس 222/3، الكتيبة 46 ت 7 الديباج 295 فهرس الفهارس 224/1، طبقات المفسرين للداودي 447/2 ايضاح المكنون 144/1- 314- 447- 473، معجم المؤلفين 275/8. فهرس مخطوطات جامع القرويين 332/2- 511، والمجموعة النيهانية 326/4.

32- ابن قطبة الدوسي

محمد بن احمد بن محمد الدوسي الغرناطي يعرف بابن قطبة وهو شيخ الفقهاء والمؤتقين صدر أرباب الشورى، ونسيج وحده في التخلق والعدالة، مجبول على المشاركة ، مطبوع على الفضيلة، أجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة ولد سنة 669 هـ وتوفي سنة 1738¹.

33- ابن خميس الانصاري

محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله... بن أبي بكر بن خميس الانصاري الخطيب بمسجد الجزيرة الخضراء والقاضي بها، وكان مشاركاً لما تغلب العدو على الجزيرة الخضراء انتقل إلى سبتة وخطب بها إلى حين وفاته. وقد قرأ ابن رشيد بغرناطة عند قدومه عليها، أجاز له ناصر الدين المشذلي، وأخذ بسبتة على أبي عبد الله الحضرمي وابن خريث وأبي القاسم التجيبي المحدث توفي سنة 750 هـ².

34- أبو القاسم الشريف الحسني

محمد بن احمد بن عبد الله... ويرفع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان حامل راية البلاغة والبيان، رحلة الوقت ميرزا في علوم اللسان والبديع والعروض، وهو صاحب كتاب رفع الحجب المستورة ولد سنة 697 هـ وتوفي سنة 760 هـ³.

¹: الاحاطة 159/3، لقط الفرائد 191، نقيير فرائد الجمال 318.

²: الاحاطة 184/3، لقط الفرائد 177.

³: الاحاطة 181/2، نيل الابتهاج 290، بغية الوعاة 16، نثر الجمال 231، فهرست الرصاع 119 قضاة الأندلس 171، ذكريات مشاهير كنون عدد 21، فهرست مخطوطات خزانة القرويين 522/1، النبوغ المغربي 211/1 و 253/3، البحث العلمي عدد 26، 1976، ص: 125 (سبتة الأسيرة) بقلم ذ. محمد بن تاويت وابن خلدون 401/7.

35- أبو بكر ابن شبرين

محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي بن شبرين، من أهل سبنة، وهو الشيخ الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البارع الخط، كتب لأمر المسلمين محمد بن نصر. سمع على ابن رشيد بغرناطة، وقرأ على المشدالي وأبي العباس الغبريني وابن الزيات وأبي القاسم الكلاعي وغيرهم ولد سنة 674 هـ وتوفي سنة 747 هـ¹.

36- محمد بن البردعي

وكان فقيها وردت إشارة أخذه عن ابن رشيد في كتاب ازهار الرياض وذلك بصدد مناقشة أبي العباس المقرئ نسخة من نسخة كتاب الشفا للقاضي عياض، والتعريف بأبي القاسم عبد الرحمان الازدي واتهام ابن رشيد وتلميذه البردعي بالقصور والغلط في إيراد بعض الأخبار².

37- ابن مشتمل البلياني

محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن يوسف الاسلمي ويعرف بابن مشتمل البلياني وهو من أهل المرية، وكان قيما على القراءات والنحو والأدب، وكان جيد الشعر والكتابة، ولي قضاء غربي مالقة وناب في شرقها. أخذ عن ابن رشيد بغرناطة. وأجاز له ابن أبي الزبير وابن فضيلة وابن سيد بونة ولد سنة 668 هـ بشقر وتوفي سنة 736 هـ³.

¹: الاحاطة 239/2، النفح 55/8، الكتيبة 166، الدرر 166/4، أوصاف الناس 37 اللوحة البدرية 47 وفيات الوشريسي 115 درة الحجال 86/2 جذوة الاقتباس 383/2، لفظ الفراند 199، معجم المؤلفين 317/8، النبوغ 169/2 و 73/3 سلسلة مشاهير كنون 17، والمرقية العليا 153.

²: ازهار الرياض 16-14/3.

³: الاحاطة 364/2، الدر 62/2 ت 18، البغية 94، الدرة 76/2 ت 519 أوصاف 134، نيل الابتهاج 235، فهرست المنتوري 223.

38- ابن عثمان الرعيني السراج

محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الأندلسي الفاسي المعروف بالسراج، كان شيخاً فقيهاً محدثاً راوية مسنداً، وهو الحاج الرحال توفي سنة 778 هـ¹.

39- أبو عبد الله الكرسوطي

محمد بن عبد الرحمان بن سعيد التميمي الكرسوطي من أهل فاس، وهو نزيل مالقة، الشيخ الفقيه المتكلم الغزير الحفظ المحدث، قرأ على الجماعة بالمغرب والأندلس، وله تأليف حسنة وأخبار طريفة ولد سنة 690 هـ².

40- أبو بكر بن منظور القيسي

محمد بن عبد الله بن منظور القيسي من أهل مالقة، وكان بصيراً بالشروط، ولي القضاء بجهات كثيرة، قرأ على ابن أبي السداد الباهلي والطنجالي وابن المرحل، ولبس خرقة التصوف من أبي عبد الله الاقشري الفاسي وقرأ على أبي الحكم بن منظور ابن عم أبيه وشيخ ابن رشيد، وعلى أبي عبد الله بن الكماد³.

41- العواد الرعيني

محمد بن عبد الولي الرعيني الأستاذ المعروف بالعواد، الصالح العابد عَلمُ أعلام القرآن في التجويد، له معرفة بطرق روايته، أستاذ ابن الخطيب وجاره اللصق، لم يتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبته قرأ على أبي جعفر بن الزبير وعلى أبي جعفر الجزيري الضرير، ولد سنة 680 هـ وتوفي سنة 750 هـ⁴.

42- أبو عمرو بن المراتب

محمد بن عثمان بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمان بن ظافر الغرناطي وهو الذي حرج لشيخه ابن رشيد أربعين تساعيات، وفيها تخليط، فكأنه ليس بالمتقن رحل

¹: نثر الجمان 23، فهرست المنتوري 55، الجنوة 235/1، الدرة 270/2، نيل الابتهاج 271-272، اوصاف الناس 74، شجرة النور 236.

²: الاحاطة 130/3، النفخ 204/8، الجنوة 222/1.

³: الاحاطة 170/2.

⁴: الاحاطة 33/3.

وسمع كثيرا من الشيوخ كالشرف الدمياطي والحافظ المزي، ولد سنة 680 هـ وتوفي سنة 752 هـ¹.

43- ابن الفخار الإلبيري

محمد بن علي بن أحمد الحولاني أبو عبد الله، والفاضل التقي المنقبض، إمام اعلام البصريين من النحاة لا تشذ عنه حجة، وهو إمام حافظ، وكانت له إلى ذلك مشاركة في غير صناعة العربية كالقراءة والفقه والعروض والتفسير، وكذا مدرسا بالمدرسة النصرية وهي جامعة غرناطة التي أنشأها أبو الحجاج يوسف (733-755) توفي الحولاني سنة 754 هـ².

44- ابن علي الحاج الجزولي

محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي، المعروف بابن أبي الحاج من أهل فاس، ووالي قضاء الجماعة بها، والخطيب بجامع القرويين، وكان من أولي المعرفة بالحديث بصيرا بالقديم من القريض والحديث، وأما الإنشاء فكان يصوغ منه ما يشاء، وهو من أهل البيت الرفيع والعلم والفقه، له رحلة إلى المشرق، توفي سنة 758 هـ³.

45- ابن أبي امامة الدكالي

محمد بن علي بن عبد الواحد بن أبي امامة الدكالي المغربي المصري، نزيل مدينة فاس، وكان أستاذا نخويا شاعرا مؤرخا، وهو المدرس الحاج الرحال كان يحضر مجلس ابن رشيد، وأخذ في رحلته عن تقي الدين ابن دقيق العيد وغيره، توفي سنة 720 أو 723 هـ⁴.

¹: الإحاطة 562/1، نيل الابتهاج 240، طبقات الحفاظ للسيوطي 527، ذيل تذكرة الحفاظ 359 الدرر الكامنة 229/4، خلاصة تاريخ الأندلس 128.

²: الإحاطة 35/3، لقطا لفراند 207.

³: المسند الصحيح 44- 45- 63، فهرست المنتوري 101، نفاضة الجراب 6- 63 جذوة الاقتباس 229/1-ت 201، نثير الجمان 11، جنى زهرة الأس 64، بيوتات فاس الكبرى 50 ت 60، روضة النسرين 26، المرقبة العليا 135، شرف الطالب 82، لقط الفراند 209، وفيات الونشريسي 122، البحث العلمي يناير 65 غ 4- 5 ص: 89- 90: بقلم ذ عبد القادر - زمامة... وانظر أيضا نيل الابتهاج 249 وجامع القرويين 493/2.

⁴: جذوة الاقتباس 295/1، جامع القرويين 485/2، معجم المحدثين 34.

46- ابن أسود الغساني

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن عمر اسود الغساني من أهل حمة وشق من عمل المرية الغربي، كان من أهل العلم والدين، ذا تحقيق بضبط القراءات وعناية بعلم العربية، ومشاركة في غير ذلك من علوم السنة والآداب وكان قد أقام مدة بسبته يتعلم القرآن والعربية، ولد سنة 688 هـ وتوفي سنة 748 هـ¹.

47- البياسي

محمد بن علي بن يحيى بن علي بن سلمة الانصاري البياسي الغرناطي. أخذ الشاطبية عن ابن رشيد سنة 673 هـ².

48- الصيرفي

محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي، وهو من أهل النبل والظرف. وكان قد كتب عن ابن رشيد³.

49- أبو البركات البلفيقي

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي أبو البركات المشهور بابن الحاج، الفقيه القاضي الخطيب، وهو من بيت العلماء والمحدثين والحفاظ، ورجل الحديث وأسد رجاله، وعلامة العلم وفارس مجاله وهو أيضا من أعلام القضاء توفي سنة 373 هـ⁴.

50- أبو عبد الله المعمم

محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم الساحلي الانصاري أبو عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمعمم، كان يشغل بالتجر حتى صار ذا جاه عريض، وكان مع ذلك

¹: الإحاطة 96/3، جذوة الاقتباس 297/1.

²: غاية النهاية 209/2-219.

³: نفاضة الجراب 67.

⁴: فهرست المنتوري 14-17-18-21-28-44-50-61، المرقبة العليا 165 طبقات المالكية 601، غاية النهاية 63/2، أوصاف الناس 28، نشير الجمان 156 الكتبية الكامنة 127، نفح الطيب 391/7، الاعلام المراكشي 418/4 ت: 618.

مليح الشيبة بادي الوقار نبيه الرتبة، رحل إلى المشرق مرتين وخطب بسبته ولد سنة 648 هـ وتوفي سنة 745 هـ¹.

51- ابن بيش العبدري

محمد بن محمد بن بيش العبدري من أهل غرناطة، وكان متضلعا من العربية مشاركا، له معرفة بالطب، وكان يتعيش من التجارة بالكتب، سكن سبته وأقرأ بغرناطة ولد سنة 680 وتوفي سنة 753 هـ².

52- أبو بكر البلوي

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي من أهل المربة صدر الوزراء، شائع المشاركة، وكان أحد الشيوخ من طبقة أديبا لودعيا صاحب دعاية، تكررت له الولاية بالديوان غير مامرة توفي سنة 738 هـ³.

53- ابن بكر الاشعري

محمد بن يحيى بن محمد بن بكر بن سعد الاشعري المالقي أبو عبد الله ويعرف بابن بكر، من ذرية أبي موسى الاشعري، كان من صدور العلماء واعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفتنا أصيل النظر واضح المذهب، له رحلة إلى المشرق لقي فيها جماعة من المصريين والشاميين والحجازيين كشرف الدين الدمياطي وغيره ولد سنة 674 هـ وتوفي سنة 741 هـ⁴.

54- أبو زكرياء الدكالي السبتي

يحيى الدكالي السبتي أبو زكرياء الفقيه الحافظ الذكي كان زعيم أهل سبته في الفقه ذاكرا للمسائل عارفاً بالأصول ذا حظ صالح من الأدب أنيق الخط صحيحه، قيل

¹: الاحاطة 191/3.

²: الاحاطة 27/3، نفح الطيب 302/7 و308/8، درة الحجال 39/2 ت: 485.

³: الاحاطة 218/3.

⁴: الاحاطة 176/2 ثم نيل الابتهاج 237، بغية الوعاة 114، المرقبة العليا 141-147، لقط الفرائد 124، البحث العلمي 26. ص: 130 (سبته الأسيرة) قسم 2. للأستاذ محمد بن تاويت.

ان خطه لا يحتاج إلى مقابلة وكان أبو زكريا ذكي الطبع ذا نواذر وطرف. وقد لازم ابن دقيق العيد وصحبه كثيرا، وكان يتكلم على العمدة من تأليفه¹.

55- أبو زكرياء ابن عزقة

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد... ابن عزقة اللخمي أبو زكرياء وأبو عمرو كان قيما على طريقة أصحاب الحديث رواية وضبطا وتقبيدا وتخريجا مع براعة في الخط، وكان شاعرا مجيدا مطبوعا، ذا فكاهة وحسن مجالسة، رأس بسبته بعد إجازته البحر من الأندلس نائبا عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق له رحلة إلى المشرق. ومن شيوخه ابن الشاط وابن الزبير والمشدالي والقطب القسطلاني، ولد سنة 677 هـ وتوفي سنة 719 هـ².

56- أبو زكرياء ابن رشيد

يحيى بن محمد بن عمرو بن رشيد، روى عن أبيه ابن رشيد صاحب الرحلة التي نحن بصدد دراستها، كتاب الروض الانف للسهيلي عرضا من حفظه عليه عن أبي الحسن بن الحضار الكتامي³.

57- أبو الحجاج الساحلي

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري المعروف بالساحلي من أهل غرناطة الفاضل الصالح الحسن المشاركة، كان نائبا في الخطابة وإماما، وهو صدر في حملة القرآن، حج ولقي المشايخ واعتنق الرواية والتقيد وانتفع بلقائه، ولد سنة 667 هـ وتوفي سنة 752 هـ⁴.

58- أبو الحجاج المنتشافي

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد بن أحمد الجذامي المعروف بالمنتشافي من أهل رندة، كان حسن اللقاء والعشرة، ذاكرا للأخبار سيال الطبع كاتباً

¹: درة الحجال 322/3 ت : 1448.

²: الاحاطة 340/4.

³: فهرست المنتوري ص: 68.

⁴: الاحاطة 404/4.

شاعرا طلعة، وكان قاضيا برندة ثم بمربلة ثم وفد على غرناطة وكانت له مشاركة في الأدب وإليه انتهت رئاسة الأحكام ومن نظمه: (الكامل)

أدب الفتى في أن يرى متيقظا * * لأوامر من ربه ونواهي

فإذا تمسك بالهوى أهون به * * فالحبل منه إن تيقن واهي

ومن شيوخه ابن خميس الجزيري وأبو عبد الله الحضرمي وأبو اسحاق الغافقي وابن الشاط والمشدالي وأبو القاسم البليقي وغيرهم¹،

¹: درة الحجال 349/3 ت: 1488، الدرر الكامنة 479/4، الاحاطة، 377/4 نفح الطيب 359/10، أوصاف الناس 43.

المبحث الثامن من مكتبة ابن رشيد

إذا أشرنا إلى بعض ذخائر مكتبة ابن رشيد، فإننا لا نريد من ذلك إحصاء لجميع كتبها، ولكننا نقصد بذلك أن نأتي على ذكر بعض أصنافها وأنواعها وتعيين شيء من ذوقه ومشربه فيها، لأن مكتبته في الحقيقة صورة لعقله وفكره وشخصيته. فقد تكون تلك المكتبة زاخرة بكثير من النوادر التي لا يحصيها العد، وذلك بحكم أنه كان على اتصال وثيق بمكتبات شيوخه وأصحابه الاجلاء، وكان يستنسخ منها ويخبرونه فيما شاء من نوادرها أو يستميلهم في كتبها عنهم، ثم أنه كان يتحين أيام البيع المشهور في أسواق الكتب ليشتهي منها نوادر ونفائس وعلاقات، ولهذا كله أيضا لابد أن تكون مكتبته متنوعة المعارف والفنون لتشتمل على كتب التفسير والحديث والفقه وما يتصل بالدراسات الإسلامية خاصة، كما كان يوجد فيها كتب الأدب واللغة بصفة عامة. وأن معنى قولنا مكتبة لا نعني بذلك التحديد والإحصاء، وإنما نقصد به ما أشار إليه ابن رشيد نفسه في سياق الرحلة بقوله "دفع إلي فلان من... أو"كتبته" أو "نقلت منه" أو ما أشبه ذلك من التعابير.

وإليك بعض أسماء تلك الكتب مرتبة على حروف المعجم.

- الآيات الكبرى للفخر بن الخطيب:¹ لما التقى ابن رشيد بالشرف الجزائري بتونس دفع إليه نسخة منه وكان مكتوبا على ظهره ما نصه: قرأ علي هذا الكتاب الإمام المحقق العلامة شرف الدين الجزائري، وكرر قراءته قراءة تدبر وتحقق.² ويسمى هذا الكتاب أيضا الآيات البيئات.³ وقد روى ابن رشيد عن أبي القاسم بن زيتون كتاب بلوع الأمانى والغايات في شرح الآيات البيئات للفخر بن الخطيب مما شرحه وأوضحه الإمام سراج الدين الارموي.⁴

¹ هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الطبرستاني (543- 606). ووفيات ابن خلكان 248/4- 252.

² الرحلة 59/6.

³ الرحلة 15/6 وهدية العارفين 107.

⁴ الرحلة 15/6.

- أمالي نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الزاهد: كان السفر قد أعجل ابن رشيد عن نقل جزء منه بجملته. وقد سَمِعَهُ ابن رشيد أيضا على أبي الفضل الدميري وأجازه له ولأولاده، وذلك إثر صلاة الجمعة 26 رجب 684 هـ بفسطاط مصر¹.

- الاقتراح في بيان الاصطلاح²: وهو في علم الحديث من تأليف ابن دقيق العيد، وهو مما أجازه لابن رشيد³.

- البدر المنير في علم التعبير⁴: انظر كتاب المختصر الوجيز بعد.

- تحفة عيد الأضحى: لأبي القاسم زاهر بن طاهور بن محمد الشحامي النيسابوري⁵. وهو جزء حسن فيه اسانيد، وكان لابن رشيد منه نسخة⁶.

- التكملة في وفيات النقلة⁷: لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم المنذري. ناول جمال الدين بن درادة لابن رشيد هذا الكتاب وهو في مجلدين، وكان بخط هذا الشيخ، وقد قال له: "اروه عني بحق املاء مؤلفه علي" وقال ابن رشيد: "كانت مناولته لي الكتاب المذكور في 23 رجب 684 هـ بمسجده بالقاهرة وكتب الكثير بخطه وهو حسن الوراقة⁸."

- تعليق لأبي الطاهر السلفي في ذكر من اسمه ذو النون المصري: نقل ابن رشيد من خط وقف فيه على تعليق لأبي الطاهر السلفي أفاد فيه بمن اسمه ذو النون المصري⁹، وهم آباء الفيض ذو النون بن إبراهيم الاخميمي ذو الاشارات والرموز الشريفة، وذو النون بن احمد بن صالح بن عبد القدوس الاخميمي المقرئ المصري، وذو النون بن

¹: الرحلة 105/3.

²: كشف الظنون 135/1، وهو كتاب في أصول الحديث، مختصر.

³: الرحلة 61/3 و64/5.

⁴: الرحلة 36/7 وكشف الظنون 231/1.

⁵: وهو محدث خراسان روى عن الكنجرودي والبيهقي، رحل في طلب الحديث وخرج نحوًا من ألف مجلس ولكنه كان يخل بالصلاة فتركه جماعة توفي سنة 533 هـ، شذرات الذهب 102/4.

⁶: هدية العارفين: تحفة عيد الفطر لأبي القاسم زاهر بن طاهر.

⁷: الرحلة 29/5، وكشف الظنون 2019/2 وهدية العارفين 586/1 وهو ذيل على وفيات ابن الفضل، حققه أستاذ عواد معروف. النجف 1968-1969.

⁸: الرحلة 100/3.

⁹: الرحلة 87/3.

احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المصري الاخميمي المعروف بالقصار، وذو النون بن يحيى بن علي الاخميمي، وأبو بكر ذو النون بن سهل الاسنائي المصري. وزاد ابن رشيد اسم ذي النون ولكن ليس بالمصري وهو ذو النون بن محمد بن عامر الصائغ الراوي عن أبي احمد العسكري كتاب الأمثال المشهور¹.

- الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد بن حميد: وجميع الموافقات²، وقد قرأها ابن رشيد على شيخه أبي محمد القرشي الهاشمي وضاق الوقت عن تعليق جميع الجزء، ونقل منه شيئا من الأحاديث الثلاثيات والموافقات في اسم شيخه بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس³.

- جامع الترمذي: قرأه ابن رشيد على محمد بن الحيمي الشاعر الصوفي في مجالس آخرها يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من رجب سنة 684 هـ وذلك بمشهد الحسين رضي الله عنه⁴. ونقل ابن رشيد كتابه من نسخة بخط أبي الفتح الكروخي⁵.

- جزء فيه أحاديث عوال خماسيات الاسناد تخريج أبي جعفر يحيى بن عبد الله المكي من أصول سماعات الشيخ الإمام أبي الحسين احمد بن المنقور وقد كتب ابن رشيد ذلك الجزء مجملته عن شيخه ثابت بن علي العسقلاني⁶.

- جزء فيه أحاديث عوال مخرجة من مسند الشافعي قرأه على شيخه أبي صادق القرشي، وضاق الوقت عن نسخ الجزء بكامله⁷.

- جزء فيه أحاديث مصافحات للائمة قرأه ابن رشيد على شيخه أبي صادق القرشي يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ، وجملتها سبعة أحاديث. وقد ختم الجزء بحكاية

¹: الرحلة 87-88.

²: كشف الظنون 522/1: هو عبد بن حميد الكشي توفي سنة 249.

³: الرحلة 90/3.

⁴: الرحلة 44/3.

⁵: هو أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل القاسم المجاور بمكة (462هـ-548هـ) معجم البلدان، ياقوت الحموي 458/4.

⁶: الرحلة 84/3.

⁷: الرحلة 72/3.

وإشارة على العادة، وكتب ابن رشيد منه الجزء بكماله، ووقع له فيها وهم في حديثين منها أوردهما ابن رشيد في رحلته ونبه على ذلك الوهم¹.

- جزء نبيل لابن الصلاح تكلم فيه على حديث الرحمة المسلسل وطرقه وقوائده، وهو جزء مملوء فوائد وغرائب بالنفع عوائد².

- جزء صنفه أبو اليمن بن عساكر خصه بالنعل الكريمة. وكانت بين هذه النسخة والنسخة التي نقلها ابن رشيد بعض اختلاف وكانت تلك النسخة مسموعة عليه³.

- جزء من فوائد أبي الحسين بن بشران، سمع ابن رشيد على الخطيب تقي الدين أبي عبد الله القسطلاني خطيب جامع عمرو بن العاص قطعة من الجزء الثاني من تلك الفوائد، وناوله جميع الجزء بحق سماعه لجميعه من سبط السلفي بسنده⁴.

- جزء منتقى من الغِيلَانِيَّات: لما أراد ابن رشيد السفر إلى الشام كتب له عز الدين الحراني كتباً إلى أمراء الطرائق وإلى بعض أهل دمشق فانتفع بكتبه، ودفع له جزءاً جبيراً انتقاه من الأجزاء المعروفة بالغِيلَانِيَّات ليسمعه على أصحاب ابن طبرزد⁵ فبلغ الغرض من ذلك⁶.

- جزء منتقى من خط صاحب ابن رشيد سعد الدين مسعود الحارثي الحنبلي من مسند الإمام الشافعي، وقد كتبه من خط منتقيه⁷.

- حديث ابن علوان: وهو أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي الإمام العالم، كتب ابن رشيد هذا الجزء بكماله وعارضه، وهو جزء حسن⁸.

¹: الرحلة 75/3-76: والحديثان هما: العائد في هبته كالعائد في قبئه، وحديث غسل الجمعة واجب.

²: الرحلة 51/3.

³: الرحلة 45/5 وانظر أيضاً أزهار الرياض 261/3-262.

⁴: الرحلة 83/3.

⁵: ابن طبرزد هو أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر... موفق الدين المحدث البغدادي المشهور ويعرف بالدارقزي: ابن خلكان 452/3 ت: 499 وشذرات الذهب 26/5.

⁶: الرحلة 97/3، وانظر عن الغِيلَانِيَّات كشف الظنون 1214/2.

⁷: الرحلة 82/3.

⁸: الرحلة 26/5.

رسائل أبي عبد الله المريبي واستفتاءؤه: كتب ابن رشيد عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الانصاري المريبي أبوه المصري الدار بعض رسائله، ومن ذلك استفتاء كان أنشأه بسبب عرض له وأمل اعرض عنه فما بلغ منه ما أمله وقد أورده في الرحلة¹.

- روح الشجر وروح الشعر: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الجلاب الفهري: لما اتصل ابن رشيد بأبي الحسن بن رزين اعاره كتاب روح الشجر بخطه في مسودة تخرجه، ونقل منه فوائد، وأعاره كذلك كتابه الذي عارض به روح الشجر وسماه جنى الزهر وسنى الدرر وهو اكبر منه حجما ونقل منه فوائد².

- السداسيات والحماسيات المخرجة لأبي محمد بن عتاب: وقد قرأها ابن رشيد على أبي الحسن الغرافي وهو يمك على أصل سماعه ويعارض به نسخته منها بتاريخ 25 جمادى الأخرى 684 هـ³.

- كتاب القربة لابن بشكوال: نقلها ابن رشيد من اصل حصلت فيه شروط النقل بالإجازة⁴.

- اصل عتيق من كتاب البيوع: كان الشيخ أبو بكر بن حبيش قد سمع صحيح البخاري في اصل عتيق من رواية أبي ذر الهروي بخط الصمغ بن راشد بن اصبع اللخمي الذي كتبه بمكة شرفها الله وسمع فيه على أبي ذر. ولما صار ذلك الأصل إلى ابن رشيد حمد الله تعالى على حصوله عليه لانه أصل نفيس نادر⁵.

مجالس أمالي الجرجاني اليزدي التقى ابن رشيد بابي بكر القسنطيني في 25 رجب 684 هـ قرأ عليه الجزء المحتوي على المجالس الأربعة من أمالي الجرجاني رواية الرئيس أبي عبد الله القاسم بن الفضل عنه وكانت لابن رشيد منه نسخة هي اصل سماع أبي علي الحسن بن أحمد بن يوسف الاوقفي شيخ أبي بكر القسنطيني⁶.
--

¹: الرحلة 70/5.

²: الرحلة 67/6، انظر في تحقيق اسم هذا الكتاب نفح الطيب 2: 320 و4/172-335-472 خاصة وج: 470/5-544 خاصة. والشجر بكسر الشين المعجمة هو الشط: لسان العرب مادة شجر.

³: الرحلة 13/3.

⁴: الرحلة 7/3 وقد طبعت أخيرا.

⁵: الرحلة 21/6.

⁶: الرحلة 36/3.

- المختصر الوجيز المسمى بالبدر المنير في علم التعبير لجمال الدين أبي الفرج المقدسي وكان قد دفعه إليه بالإسكندرية وانتسخ له عنده وأذن له في حملة وجلبه إلى تونس¹.

- مشيخة أبي الصفاء خليل المراغي: التي أخرجها له صاحب ابن رشيد سعد الدين الحارثي، وقد قرأ عليه منها وضاق وقت السفر عن استيفائها نسخا وقراءة ثم على منها ما تيسر منه².

- مطالع الأنوار على صحيح الآثار، فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري. لما اتصل ابن رشيد بصاحبه ابن الحكيم برندة عرض عليه خزانة كتبه مخيرا له فيما يقع عليه اختياره لينعم بهيته له فاختر كتاب مطالع الأنوار³.

- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي: لأبي عبد الله ابن الأبار وقد قرأه ابن رشيد على أبي الحسن بن رزين في الأصل الذي كتبه ابن الأبار بخطه. ونقله من خط المحدث الفاضل أبي عبد الله بن الجلاب⁴.

- كتاب معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح وقد كتب عليه متمثلا:

لكل اناس جوهر متنافس * * وأنت طراز الأنسات الملائك⁵

- مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الأبار في قوله:

ادرك جيلك خيل الله أندلسا (القصيدة)

وقد جمع في ذلك الأديب التاريخي أبو الحجاج البياسي مجموعا حسنا سماه زجر النابج وردع الجامح. وقف عليه ابن رشيد وكتبه وهو جزء مفيد⁶.

¹: الرحلة 36/7.

²: الرحلة 48/3 مكرر.

³: الرحلة 59/7: ورد هذا الكتاب باسم مطالع الأنوار وذلك في الهامش فقط ولكن لم ينسئ، ويرجح أن يكون كما أسميته أعلاه وقد اختصره الفقيه ابن قرقول من كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض. وانظر كشف الظنون ج: 496/4 و497. وذكر لصاحب بغية الملتبس كتاب مطلع الأنوار لصحيح الآثار انظر ص: ز وكتاب مطالع الأنوار مخطوط في خزانة الجامع الكبير بمكناس في خط جميل رائع.

⁴: الرحلة 69/6.

⁵: الرحلة 51/3.

⁶: الرحلة 24/7.

المبحث التاسع تأليف ابن رشيد

كانت تأليف ابن رشيد كثيرة ومتنوعة، منها ما هو في الحديث النبوي الشريف، وما هو في الأدب والنقد والبلاغة وفي العروض والنحو والأحكام والعقائد وفي الفهارس والمشيخات.

وفي هذه التأليف ما هو في مجلدات عدة وما هو في مجلد واحد، وفيها الخطب والرسائل والرود. وفيها ما هو تام وما لم يكمله، وفيها الموجود والمفقود.

ويتضح لنا من كثرة تأليفه انه كان مشاركاً ذا ثقافة موسوعية على طريقة كثير من المؤلفين في القرنين السادس والسابع خاصة.

ومن كتبه التي تعرّفناها من خلال تراجمه وما ورد من أخبارها في رحلته وفي الكتب والفهارس ما يلي:

أ- في الحديث:

أ- رحلته الموسومة بملء العيبة بما جمع من بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، وهي مملوءة بالأحاديث وذكر الرجال والاسانيد العديدة التي روى بها أمهات كتب هذا الفن. فلقد ذكر فيها جمعا غفيرا من الرواة والمسندين والمحدثين، وضمنها قدرا حسنا من الأحاديث ومسائل من النقد والجرح والتعديل وهذا كله يجعلها مصدرا مهما في هذا الباب.

ب- افادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح وهو مطبوع بتحقيق الدكتور الحبيب بلخوجة

ج- السنن الابين والمورد الامعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنن، وهو مطبوع كذلك بتحقيق للدكتور الحبيب بلخوجة وذلك سنة 1977.

د- ترجمان التراجم في إبداء مناسبة تراجم البخاري ولكنه لم يكمله ويستمد منه كثير من شراحه. قال الكتاني في فهرس الفهارس: أطال فيه

النفس في إبداء المناسبات في تراجم البخاري¹.

هـ- المقدمة المعركة في علو المسافة والصفة².

و- ايضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب³.

ز- الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي⁴.

ح- جزء فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان⁵.

ط- استدراكات كثيرة على تراجم كتاب البخاري لناصر الدين ابن المنير أغفلها أو أسكلها فتركها فتازعه ابن رشيد في بعض مطابقاته التي أبدى فيها ابن رشيد ما يسلمه المنصف ولا ينكره إلا المتعسف⁶.

ي- كتاب الأربعين حديثاً، وقد قرأه أبو زكرياء السراج⁷ صاحب الفهرست.

ب- تخرجات في الأحكام: بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله

أو أَلَمَ بِهِ فَمَا تَمَّه وَلَا كَمَلَهُ:

جاء في الرحلة⁸ أن لأبي محمد عبد الحق كتاب الأحكام الشرعية في ست مجلدات، وقد وضع عليه ابن القطان (ت 628 هـ) كتابه المسمى بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، وأشار الذهبي إلى حفظه وقوة فهمه، ولكنه وصفه بالتعنت وعدم الإنصاف، وأشار الكتاني أيضاً في الرسالة المستطرفة⁹ إلى تعقب هذا الكتاب في توهم عبد الحق تلميذه أبو عبد الله المواق في كتابه الذي سماه المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال

¹: الدرر الكامنة 229/4 وأزهار الرياض 350/2 ودرة الحجال 201/4 وفهرس الفهارس 332/1.

²: أزهار الرياض 350/2، الوافي بالوفيات 284/4، والإعلام للمراكشي 252/3.

³: الوافي بالوفيات 284/4: (ايضاح المذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم الصاحب).

⁴: الوافي بالوفيات 284/4.

⁵: نفسه.

⁶: الرحلة 95/3، وانظر فوات الوفيات 194/2 ترجمة 55.

⁷: فهرست المنتوري 63.

⁸: الرحلة 11/5.

⁹: الرسالة 178، وقد نبه صاحب الرسالة على أن المواق هذا ليس بشارح مختصر خليل خلافاً لما قد يتوهم. وانظر

ترجمة ابن المواق في الإعلام للمراكشي 234/4، ولا حظ نسبة كتاب بغية النقاد إلى ابن المواق في كتاب كشف الظنون

251/1.

وما انضاف إليه من تكميم وإكمال، وقد عجب القصار من إدراكه وبراعة نقده إلا انه اخترمته المنية ولم يبلغ من تكميله الامنية، فتولى تكميل تخريجه مع زيادات تتمات وكتب ما تركه المؤلف بياضا أبو عبد الله ابن رشيد فسماه بغية النقاد النقلة... ويظهر ابن رشيد في هذا الكتاب محدثا ناقدا عارفا بالرجال وعلم الجرح والتعديل¹.

ج: في العقيدة:

إمطة الاذية الناشئة من سيطرة الشوذية²

د: في الأدب والبلاغة والنقد

أ- أحكام التأسيس في أحكام التنجيس³

ب- إيراد المرتع المربع لرائد التسجيع والترصيع، وهو الإضاءات والانارات في البديع⁴. وهو ينظر إلى كتاب المنهاج لحازم.

ج- حكم الاستعارة⁵.

د- ولابن رشيد خطب وقصائد كثيرة⁶.

هـ- ولا تغفل ايضا عما تشتمل عليه الرحلة من النصوص الأدبية كالتقصائد الشعرية والمناقشات في مسائل البلاغة وغير ذلك من الرسائل.

¹: وقد عثر الأستاذ الباحث الشيخ محمد إبراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخرانة العامة بالرباط على قطعة يفترض أنها من كتاب ابن رشيد، ورقمها بالاسكريال هو: 1749. وانظر كذلك كتاب علم العلال في المغرب من خلال بيان الوهم والإيهام الواقعيين في كتب الأحكام لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، وهي أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية العليا من إعداد الأستاذ إبراهيم بن الصديق تحت إشراف فضيلة فاروق النبهان (1981) وانظر كذلك الحركة العلمية في سبته من خلال القرن السابع وهي رسالة تقدم بها الأستاذ إسماعيل الخطيب تحت إشراف فضيلة الدكتور عيد السلام الهراس لنيل دبلوم الدراسات العليا لسنة 1980-1981.

²: الذيل والتكملة سفر 1 قسم 1 ص: 44، وانظر عن الشوذية محاضرة لفضيلة محمد بن شريفة، وانظر عن الشوذية كتاب البستان لابن مريم ص: 68.

³: أزهار الرياض 350/2، والاعلام للمراكشي 252/3.

⁴: أزهار الرياض 350/2 ودرة الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي 252/3، وانظر مقدمة السنن الابين للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ص: 57.

⁵: بغية الوعاة 85، والوافي بالوفيات 284/4.

⁶: الوافي بالوفيات 284/4، لم أعر على شيء ذي بال من خطبه، وأما شعره فقد مر الكلام عليه.

و- وله شروح وتعليقات على كتب الضبي وابن البار¹.

هـ: في العروض:

أ- وصل الفوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي شرح ما فيه كتاب القوافي لشيخه أبي الحسن حازم القرطاجني².

ب- جزء مختصر في العروض، وقد أوردته في الصفحات الأولى من الجزء السادس من رحلته مُعرِّفًا فيه بألقاب الزحاف والعلل³.

و: في النحو:

أ- تقييد على كتاب سيبويه، وقد كتبه أيام قراءته على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع بسبته⁴.

ب- تلخيص القوانين في النحو، وهو تلخيص لكتاب أستاذه أبي الحسين بن أبي الربيع كذلك⁵.

ز: في الفهارس والمعاجم

1- تعد رحلته نوعا من أنواع الرحلات المصنفة في الفهارس زيادة على أنها رحلة علمية.

2- برنامج أبي الحسين بن أبي الربيع وهو تاريخ شيوخه ودراسته لتلميذه ابن رشيد⁶.

3- الاستدعاء وفي ذكر لكثير من شيوخه مختصرا من الرحلة⁷

¹: المراد بالضبي أبو المطرف بن عميرة، انظر تاريخ الفكر الأندلسي لا نخل بالنثيا ص: 318 وله في الرحلة شيء كما سيظهر في دراستها.

²: ازهار الرياض 350/2، ودره الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي 252/3

³: ازهار الرياض 2: 350 ودره الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي. 252/3 وانظر مقالا كتبه الأستاذ سعيد اعراب بعنوان أبو الجيش الأنصاري وعلل الاعاريض دعوة الحق سنة 12 عدد 3 و5.

⁴: دره الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي 252/3.

⁵: بغية الوعاة 85.

⁶: تاريخ الادب لبروكلمان ج: 367/5، وقد أشار إلى المتحف البريطاني رقم 665. والاسكريال رقم 1785 رقم 3.

⁷: خزنة القرويين مخطوط رقم 7 (خروم). وقد حقق الطالب عبد اللطيف جيلاني استدعاءات الإجازة لابن رشيد وناقش أطروحته يوم 2003/1/16 بإشراف الدكتور محمد بن عبد الرحمان الصقلي الحسيني (كلية الآداب، فاس) شعبة الدراسات الإسلامية.

القسم الثاني

دراسة الرحلة

المبحث الأول

وصف أجزاء الرحلة

موضوعها

خط سير ابن رشيد فيها

1- وصف أجزاء الرحلة

لقد اختلف الذين ترجموا لابن رشيد والذين تحدثوا عن رحلته في تحديد عدد أجزائها، ولم يقر رأيهم في ذلك على شيء ثابت، ولعل مرد ذلك إلى أن بعضهم سمع عنها، وبعضهم الآخر قرأ أجزاء منها، وفيهم من انتفع بها بعد أن اطلع عليها كلها ونقل منها. وهناك سبب آخر للخلاف، وهو أن بعضهم قد يكون اطلع على الأصل ومنهم من اطلع على نسخ منقولة من الأصل، ومن الطبيعي أن تختلف النسخ في عدد أجزاء كل منها كما يقع ذلك عادة في الكتب القديمة وحتى الحديثة التي تتعدد طبعاتها ويختلف إخراجها ونشرها.

أما عبد الحي الكتاني فقد بلغه أن بمكتبة الاسكوريال ببلاد اسبانيا عدة مجلدات منها ما هو بخط المؤلف وربما يخرج من مجموعها نسخة كاملة أو أكثر¹. وأما أبو سالم العياشي فقد رأى منها عدة أجزاء بمكة عند شيخه أبي مهدي الثعالبي، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق². وأما أبو العباس المقرئ³ وصلاح الدين الصفدي⁴ وابن القاضي⁵ فيذكرون أن فيها أربعة أجزاء. وأما أبو المحاسن الحسيني⁶ وخير الدين الزركلي⁷ فيذكران أنها ستة مجلدات وقد وقف الحسيني عليها بمكة وعلق منها فوائد واستفاد منها الحديث المسلسل بالنهاة. وأما عبد السلام بن سودة فيقول ان فيها سبعة اجزاء ولا يعرف بالضبط وجود نسخة كاملة بالمغرب⁸.

ومهما يكن امر اختلاف هذه الآراء، فإننا لا نردُّ رواية هؤلاء ولا نفنّدها وذلك بحكم ان الرحلة كانت مطلوبة مرغوبا فيها من علماء المشرق والمغرب على السواء، ولا شك في أن بعضهم انتسخها لنفسه أو طلب انتساخها من غيره.

¹: فهرس الفهارس 332/1: وقد أكد ذلك المرحوم الأستاذ العلامة محمد بن تآويت الطنجي في حديث خاص مع بعض أساتذتنا.

²: رحلة العياشي 238/2.

³: ازهار الرياض 350/2.

⁴: الوافي بالوفيات 284/4.

⁵: درة الحجال 97/2.

⁶: ذيل تذكرة الحفاظ 355.

⁷: الاعلام قاموس تراجم 7 ص: 205.

⁸: دليل مؤرخ المغرب الاقصى 372/2.

وبهذا يستطيع ان يجعل منها ما شاء من الاجزاء أو المجلدات: اربعة أم ستة أم سبعة، ولكننا متأكدون بأن في هذا اعتسافا ظاهرا على ما أراده ابن رشيد أن يكون شكل كتاب رحلته وهيئته وتقسيمه، وذلك لأن بين ايدينا نسخة من جمع صاحبه وتلميذه الفقيه ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي الذي قابل الرحلة وضبطها مع مؤلفها ثم اكتبها لنفسه واكتبها ولم يحملها أحد عنه حتى حملها ولا عرف أحد من الفضلاء سواه ما عرف من فضلها¹. فقد جعلها ابن رشيد سبعة أجزاء وكذلك جمعها صاحبه الحضرمي في سبعة أجزاء كاملة. ولأجل التأكد من ذلك لابد من اعطاء نظرة موجزة عن كل جزء وفحواه. فما كان موجودا منها يدل على نفسه وما كان مفقودا دلت عليه إشارات العلماء والأصحاب والطلبة والنقلة في مختلف الاعصار والامصار.

أ: القسم الأول من الجزء الأول (أو الجزء الأول) وهو مفقود:

رأى ابن رشيد أن يكون الجزء الأول قسمين، فأما القسم الأول منه فمفقود وأما القسم الثاني الذي يدل عليه فموجود، ويظهر ذلك من خلال ما كتب عليه (الثاني من الأول). وبما أن هذا الجزء في قسمين فإنه يتخرج من الرحلة سبعة أجزاء كاملة.

ولما كان هذا القسم مفقودا، فإننا نجهل أخبار انتقال ابن رشيد من المربة إلى تونس، وكيف نظم هو وصاحبه ابو عبد الله بن الحكيم رحلتهم، وقد يكون المؤلف مشيرا في هذا الجزء إلى المنهج الذي سار عليه في الرحلة، وضابطا في عدد أجزائها وما تحتوي عليه². ويحتمل أيضا أن يكون متفقاً مع صاحبه على الاستفادة من الوقت وذلك بالاتصال بأكبر عدد ممكن من الشيوخ المنتشرين في العالم الإسلامي آنذاك، ولهذا سبقه ابن الحكيم إلى الحرمين، فلقي شيوخا لم يتسن لابن رشيد الاستفادة منهم. ونجده مثلا يروي لابن رشيد كثيرا من الانشادات التي تلقاها من أبي اليمن عبد الصمد بن عساكر رُحْلة الوقت في الحرم الشريف. وبفقدان هذا القسم نجهل كذلك ما إذا كان قد رسا في ثغور شمال افريقيا ومدنه في المغرب والجزائر من غير تلمسان وبجاية وبونة التي زارها فعلا، ونحن نعلم أن هناك بعض المراسي المشهورة التي كانت تستقبل الرحالة الواردين

¹: الرحلة 4/6.

²: سنلاحظ أنه ذكر شيئا من ذلك في الجزء السابع (انظر التعريف به في هذا البحث).

عليها من الأندلس والمغرب كقسنطينة وهين¹، ولكن الأخبار المبنية في بعض التراجم تدلنا على أن ابن رشيد كان في تلمسان التي لقي بها أبا عبد الله محمد بن أبي العيش الخرجي وأبا بكر بن خطاب، وأنه زار كذلك مدينة بجاية التي لقي بها عبد العزيز بن مخلوف المعروف بابن كحيلة، وأبا عبد الله الكناني الشاطبي المعروف بابن صالح وأبا علي منصور المشدالي²، ولقيه فيها أبو البقاء خالد البلوي صاحب تاج المفرق³. وقد حصل كل ذلك في الصدور⁴ أما مدينة بونة فقد زراها في الورود ولقي الرئيس الفحصلي⁵.

ولأجل هذا لا يسعنا إلا إلقاء نظرة عامة عن الشيوخ المشهورين في هذا العصر لأنهم يشكلون الهيئة العلمية التي كان لها اتصال وثيق بتونس والأندلس من جهة وبغيرها من العواصم الإسلامية في الشرق من جهة أخرى وبذلك نستطيع أن نقول بأن ابن رشيد لابد أن يكون قد اتصل بهم أو بأكثرهم أو أن يكون أخذ عنهم أشياء كثيرة تتعلق بالحديث والأدب والفقه. وغير ذلك، لأن مدينتي تلمسان وبجاية خاصة كانتا زاخرتين بالعلماء والشيوخ. وبإلقاء نظرة عامة على عنوان الدراية للغريبي ورحلة العبدري وكتاب البستان لابن مريم وكتاب تاريخ الجزائر العام ومعجم أعلام الجزائر وغيرها، نستطيع أن نتعرف بعض أولئك الشيوخ ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخرجي الشاطبي (ت: 691 هـ)⁶، وأبو القاسم السجلماسي⁷ وأبو إسحاق بن بهلول الزواوي (ت: 686 هـ)⁸ وأبو محمد بن عثمان التميمي (ت: 720)⁹ وأبويوسف الزواوي المنجلاتي (ت: 690)¹⁰ وأبو الحسن عبيد الله بن يحيى الأزدي (ت: 691)¹¹ وأبو علي بن باديس القسنطيني الذي التقى به العبدري¹² وأبو العباس

¹: رحلة البلوي تاج المفرق 53/1 وانظر دعوة الحق عدد 2 سنة 3 بقلم الأستاذ محمد الفاسي وكذا البيانات العلمية والفكرية للدكتور بلخوجة ص: 1-2.

²: ازهار الرياض 348/2.

³: تاج المفرق 150/1.

⁴: وانظر من ترجم لهم في بجاية وتلمسان بعد.

⁵: سنأتي تراجم أولئك وغيرهم بعد.

⁶: عنوان الدراية 126.

⁷: نفسه 132.

⁸: نفسه 182.

⁹: نفسه 214.

¹⁰: عنوان الدراية 226، ومعجم اعلام الجزائر 205.

¹¹: عنوان الدراية 121.

¹²: رحلة العبدري 32، معجم 68 نيل الابتهاج 109.

الملياني (ت: 715 هـ)¹ الذي فر إلى المغرب فأكمل دراسته بمراكش وأغمات وأحمد بن عمران البجائي الذي أخذ عن منصور المشذالي شيخ ابن رشيد² وأحمد بن إبراهيم البجائي (ت: 704 هـ)³ ومحمد ابن سليمان الزواوي (ت: 717 هـ)⁴ وعبد الرحمان بن محمد القسنطيني الفقيه العارف بالأنسب والتاريخ⁵ وأبو الحسن علي بن عبد الكريم التلمساني⁶ وأبو عبد الله بن العطار (ت: 707 هـ)⁷ وأبو الحجاج يوسف بن سعيد ابن يخلف الجزائري⁸، ومن هؤلاء أيضا أبو العباس الغبريني (644-704) صاحب عنوان الدراية، وبالرغم من أن الغبريني هذا ذكر أنه سيعرف بعلماء المائة السابعة ببجاية لم يذكر اسم ابن رشيد في كتابه ولو في إشارة خفيفة، مع أن ابن رشيد، وإن لم يذكره في اجزاء الرحلة الموجودة، فإنه ذكره في الاستدعاء⁹. وبهذا لا بد أن يكونا قد التقيا في بعض حلقات العلماء أوجرى بينهما حديث في مسألة من المسائل، ولولا ذلك لما ذكره ابن رشيد في الاستدعاء السابق ذكره بل قد يحتمل أن يكون ذكره في هذا الجزء أو ساق له بعض الأخبار فيه.

وقد يكون هذا القسم أيضا متضمنا لبعض المعارف الموجودة في تلك الكتب السابقة الذكر وإن يحتوي أخبارا أدبية كثيرة وشيئا من المسائل الحديثية والفقهية وغير ذلك من الإشارات إلى مسائل الزهد والتصوف وأهله. وإن كان العبدري في رحلته يهون من شأن كثير من المعارف في هذه البلاد وقتئذ إلا أن هناك روايات مفيدة وأخبارا طريفة في غير ذلك من الكتب، ولما كان منهج ابن رشيد مختلفا عن السابقين في الرواية والتدوين فإننا نفقد ذخيرة مهمة من الأخبار والإنشادات والتراجم الرئيسية والثانوية لشيوخ أغفلهم المؤرخون قبله وبعده، والدليل على ذلك ما كان يورده من التراجم لغير الشيوخ الذين التقى بهم كابي محمد عبد الحق بن ربيع¹⁰، وقد افادنا بذلك ابن قنفذ القسنطيني

¹: معجم اعلام الجزائر 31.

²: نفسه 32.

³: نفسه 52.

⁴: نفسه 73.

⁵: نفسه 87.

⁶: نفسه 115.

⁷: نفسه 179.

⁸: نفسه 206.

⁹: الاستدعاء ص: 2.

¹⁰: انظر ترجمته في عنوان الدراية 85، ومعجم اعلام الجزائر 81 وشجرة النور ص: 201 ترجمة 684.

كان ينقل من الرحلة مباشرة¹ ونجد صاحب درة الحجال كذلك ينقل من الرحلة مباشرة وخاصة من هذا الجزء المفقود ذلك مثلما فعل في ذكر أخبار صاحب ابن رشيد محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم الأزدي². ونستفيد أيضا من معجم اعلام الجزائر أن ابن رشيد ذكر في رحلته أن شيخه ابا علي منصور بن احمد المشدالي كبير فقهاء المالكية والمشارك في علوم العربية والمنطق والجدل رحل في صغره إلى مصر وقرأ على شيوخها³.

وصفوة القول في هذا الجزء أنه لو كان متوافرا لدينا لاعطانا صورة واضحة عن الحركة العلمية للأندلس وشمال افريقيا ولا سيما المغرب الأوسط.

ب: القسم الثاني: من الجزء الأول (أو الجزء الثاني من الرحلة):

وفي هذا الجزء اربع وثلاثون ومائة صفحة، وهو خاص بتونس وشيوخها وقد ترجم فيه ابن رشيد لثلاثة عشر شيخا وهم: ابو بكر بن حبيش وخصه ب 16 صفحة- وابو العباس القصير (صفحتين)- وابو الوليد محمد بن احمد التجيبي الشهير بابن الحاج (14 ص)- ومحمد الأزدي الطبري (8 ص) وابو العباس البطرني (1 ص)- وابو حيان الشاطبي (13 ص)- وابو جعفر الفهري اللبلي (14 ص)- وابو البركات موسى التجيبي المعروف بالقمجي (14 ص)- وابو عبد الله السلاوي (6 ص)- وابو يعقوب الجذامي الشاطبي (صفحتين ونصف)- وابو التقى صالح البلنسي المعروف بابن شوشن (صفحة واحدة)- وابو محمد الخلاسي (24 ص ونصف)- وابو عبد الله بن أبي تميم الحميري (18 ص). وهذا الجزء بخط المؤلف⁴، وفيه بعض الحواشي والهوامش والتعليقات المفيدة.

ويعد هذا الجزء مصدرا مهما للحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرن السابع، لأنه خاص بتلك المدينة العلمية المشهورة التي كانت تؤوي المهاجرين من الأندلس وفيهم العلماء وذوو الحرف والمهن ويظهر كذلك من أسماء المترجم لهم فيه أن أغلبهم من الأندلس، أو أن أصولهم منها، ويدلنا ذلك على نشاط الرحلة من الأندلس والمغرب إلى بلاد المشرق بعامة وبلاد تونس بخاصة، لأن هؤلاء الراحلين كانوا يجدون في تونس خير

¹: أنس الفقير وعز الحقيّر 101.

²: درة الحجال 94/2.

³: نيل الابتهاج 344-354 ومعجم اعلام الجزائر 196، وانظر كيف موته العبدري ص: 227.

⁴: الرحلة 1/2 وفهرس الفهارس 332/1 ودعوة الحق عدد 2 سنة 3 ص: 37.

موئل لهم، ويغلب على هذا الجزء الطابع الأدبي من رواية الشعر وأخبار الأدباء وفيه بعض النظرات عن الزهد والتصوف كما نجد ذلك في ترجمة أبي محمد السلاوي وأبي محمد الخلاسي وابن شوشن. وفي الكتاب أيضا ذكر لكثير من المصادر والكتب. وأهم تراجم هذا الجزء ترجمة أبي بن حبيس وأبي حيان الشاطبي وأبي محمد الخلاسي وأبي عبد الله ابن أبي تميم الحميري.

وأما عدد سطور هذه النسخة فيتراوح ما بين سبعة وعشرين واثنتين وثلاثين سطرا، ومعدل كلمات سطوره اثنتا عشرة كلمة تقريبا.¹

ج - الجزء الثالث:

وفي هذا الجزء خمسون ومائتا صفحة، وهو خاص بمصر والقاهرة والاسكندرية وعلمائها وشيوخها وتاريخ الحركة الفكرية والعقلية بالديار المصرية في القرن السابع الهجري. وقد ترجم فيه ابن رشيد لأزيد من أربعين شيخا وهم:

أبو عبد الله محمد بن ساطر البوني الشرايبي (3 ص) - وأبو عبد الله التونسي (ثلث صفحة) - وعلم الدين ابن منصور الهمذاني الشافعي (ثلث صفحة) - ومثقال الحبشي البزاز (ثلث صفحة) - وأبو بكر محمد ابن منصور الانصاري (3 ص) - ومكين الدين ابن الاسمر (4 ص) - وأبو عبد الله محمد بن مكين الدين بن الخطيب (صفحتين) - وضياء الدين الخزرجي (5 ص) - ويوسف بن هلال التميمي (ثلث صفحة) - وأبو الحسن الغرّافي (24 ص) - وأبو عبد الله بن عقيل (4 ص) - وبهاء الدين ابن النحاس (17 ص) - وأبو بكر بن الانماطي (10 ص) - وأبو بكر القسنطيني (16 ص) - وابن الحيمي (11 ص) - وصفاء الدين المراغي (20 ص) - وابن دقيق العيد (13 ص) - والتقي عبيد (10 ص) - وشعبان الخلاطي (أربع صفحات ونصف) - وأبو صادق القرشي (13 ص) - وعماد الدين الاصبهاني (7 ص) - وزينب البغدادى (4 ص ونصف) - وأبو عبد الله السلامي (3 ص) - وأبو عبد الله القسطلاني (صفحة واحدة) - وأبو بكر ثابت العسقلاني (صفحتين ونصف) - وبهاء الدين الحلبي (صفحتين ونصف) - وأبو محمد الشرابي (5 ص) - وأبو المعالي الاصفهاني (3 ص) - وأبو محمد القرشي الحنبلي (4 ص) - والاخوان أبو عبد الله وأبو

¹: ورقم هذه النسخة بالاسكريال هو 1736، وتوجد نسخة مصورة منها في خزانة معهد مولاي الحسن بنطوان. وينبغي التنبيه كذلك على أن هذه النسخة كان يملكها أحمد بن علي المنجور وولده.

موسى المعروف ابوهما بابن القاهري (صفحتين) - وابو العباس الأعلاقي (4 ص) - وابو عبد الله الخراساني (صفحة واحدة) - وضياء الدين السبتي (3 ص) - وابو العباس ابن الظاهري (6 ص) - وجمال الدين ابن داردة (3 ص) - وابو البدر بن الزين (3 ص) - وابو احمد البعلبكي (8 ص ونصف) - وابوبكر القسطلاني (14 ص ونصف) - وعز الدين الحراني (21 ص ونصف).

وهذا الجزء يغلب عليه طابع الحديث ولكنه لا يخلو من الروايات الأدبية كما في تراجم بهاء الدين بن النحاس وابن الخيمي وأبي بكر القسطلاني وفيه ايضا بعض المناقشات المفيدة في الفقه والاصول، وبعض النظرات في التصوف والزهد وذلك في تراجم ابي المعالي الاصبهاني والصفاء المراغي وابن دقيق العيد والعز الحراني بخاصة. وفيه كذلك ذكر لكثير من مصادر التراث لا سيما كتب الحديث واسانيده العوالي وبعض المناقشات المفيدة في الجرح والتعديل والتعريف بالرجال وتقديمهم.

ونجد أن أهم تراجم هذا الجزء هي الخاصة بتاج الدين الغرّافي والقسنطيني وابن الخيمي والمراغي وابن دقيق العيد والقرشي والقسطلاني والحراني.

وبما أن هذا الجزء مبتور من أوله وآخره فلا شك أنه سقطت منه بعض التراجم والفوائد. وبسبب ذلك تكون قد ضاعت منه أخبار سفر ابن رشيد من تونس إلى الاسكندرية، إذ لا ندري شيئا عن ذلك أكان عن طريق البر أم البحر. ولكن بالرجوع إلى الشيوخ الذين رتبوا ترتيبا حرفيا نجد أن هناك من عثر عليه في بعض المصادر والمراجع¹.

أما عدد سطور صفحات هذه النسخة فخمسة وعشرون سطرا، ومعدل ما في كل سطر عشر كلمات².

¹: نبه ابن رشيد في آخر الجزء السابق على أن هذا الجزء يبتدىء بقوله: "كان سفرنا من تونس كلاًها الله تعالى..."
²: رقم هذه النسخة بالاسكوريال هو 1739 وتوجد منه نسخة مصورة بخزانة معهد مولاي الحسن بتطوان ونسخة بالخزانة العامة بالرباط، وهذه النسخة الأصلية لهذا الجزء قد ضاعت قبل هذا التاريخ.

د - الجزء الرابع:

وهذا الجزء مفقود أيضا، وبذلك لا ندري كم أقام ابن رشيد في الديار المصرية، ولا متى حل بدمشق التي زراها والتقى فيها بعلمائها ومشايخها ولا كيف درّس في مدرسة هناك.

وأخبره عن مدة بقاءه بالشام قليلة جدا، ولم أظفر عنها من المعلومات والتواريخ إلا بالنزر اليسير. ومن ذلك قوله: "أهل هلال شوال ليلة الجمعة 684 هـ، وكان سفرنا من ظاهر دمشق يوم الاثنين 11 شوال 684 هـ بعد ميبتنا بالقيسارية ثم توجهنا مع الركب إلى بصرى متوجهتين إلى الحرمين"¹.

وكل ما توافر لدي من الشيوخ والأصحاب الذين التقى بهم في الشام أي في دمشق وبيت المقدس ونابلس وحرم الخليل وبعبك، مصدره تلك الكتب التي كانت تنقل من الرحلة كدرة الحجال خاصة أو الدرر الكامنة، ويقرب مجموع ذلك من خمسين شيخا وصاحباً، وبالرغم من فقدان هذا الجزء نستطيع أن نهتدي إلى بعض المعلومات الضرورية. فإذا كانت مجالس ابن رشيد الأخيرة بمصر مع أبي العز الحارثي في حدود غرة شعبان 684 هـ. فإننا نستنتج أنه بقي بالشام ما يقرب من شهرين كاملين، وهذه مدة كافية لأن يلتقي فيها بالشيوخ الذين كانوا كثيرين بدمشق خاصة والشام عامة، وأن يلمع نجمه هناك ويخصصوا له مقعداً للاقراء بالمدرسة القحفازية².

ومع ذلك فإن ابن رشيد لم يحظ بلقاء بعض الشيوخ الذين كان يأمل الاستفادة منهم، ويظهر ذلك في قوله: "ومما أفادني صاحبنا ورفيقنا في هذه الوجهة الكريمة المقرئ الفاضل الصالح أبو محمد عبد الله بن سليمان اللقاني فيما اطلعنا عليه من ثبت أسمعته بدمشق إذ كان قد أقام بها مدة طويلة بعد ققوله من الحج معنا، فتمتع بلقاء كثير ممن لم يقدر لنا لقاءه أو الاستكثار مما عنده"³.

وقد أفاده رفيقه اللقاني هذا ببعض هؤلاء الذين فاتته اللقاء بهم أو الذين لقيهم وذكره بهم⁴ ومن هؤلاء: تاج الدين الفزاري البصري الشافعي، وأخوه شرف الدين أبو

¹: الرحلة 2/5.

²: انظر عن هذه المدرسة كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنخعي (المدرسة 114).

³: الجزء الخامس من الرحلة 34.

⁴: انظر شيوخه بالشام (دمشق حرم الخليل، القدس نابلس وبعبك من هذا البحث).

العباس أحمد وقد سمعا على ابي عمرو بن الصلاح، وتقي الدين أبو إسحاق بن غالب الحضرمي، والفقيه الرحال أبو العز الفضل بن علي بن عبد الواحد القرشي، والمحدث أبو عبد الله الصفار الاسفرائني، وجمال الدين أبو الحسن الصوري، وأبو عبد الله بن الكميت الحراني، والحافظ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن علي القرطبي ونجم الدين أبو محمد ابن سالم الدمشقي، وهذان سمعا من ابن صدقة الحراني ومن جمال الدين ابن محمود العسقلاني. وغير هؤلاء¹.

وقال ابن رشيد: "وكل ذلك لصاحبنا أبي محمد في تسعة عشر مجلسا أولها يوم الاحد 2 رمضان وآخرها يوم الأحد 8 شوال من عام 686 هـ بقراءة علم الدين البرزالي صاحب ابن رشيد.

ومعنى هذا أنه لم يلتق بهؤلاء الشيوخ كما هو واضح من تصريحه بذلك. ولكن إذا ألقينا نظرة بسيطة على كتب التراجم كشذرات الذهب والنجوم الزاهرة والبداية والنهاية وكتاب الدارس في تاريخ المدارس وكتاب تاريخ علماء بغداد وكتاب فوات الوفيات والوفاتي بالوفيات ومعجم المؤلفين والدرر الكامنة وغيرها، ألقينا ان دمشق كانت تعج بالعلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء في مختلف المدارس والخوانق والربط والمساجد والجوامع ودور القرآن والحديث، ويحتمل أن يكون اتصل بهم أو بأكثرهم وذلك بناء على ما كانوا يدرسون في حلقات علمهم وتخصصهم في تلك العلوم التي يميل إليها ابن رشيد. ومن أولئك: شهاب الدين الصقلي (645-725)، وزين الدين الفارقي (633-703) وصدر الدين بن الوكيل (665-716) والكمال بن الزملاكاني (666-727) وكمال الدين بن الشريشي (653-718)، وجمال الدين بن المزي (654-742)، وشمس الدين بن الكمال (607-688)، وشرف الدين بن قدامة (638-695)، وكان هؤلاء يدرسون في دار الحديث الاشرفية المشهورة التي رأى فيها ابن رشيد مثال النعل الكريمة². ومنهم شرف الدين بن سباع الفزاري (630-705)³ والحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الثعلبي الربيعي الشافعي (655-723)⁴ وإمام

¹: الرحلة 35/5.

²: انظر تراجم هؤلاء في كتاب الدارس في تاريخ المدارس 19/1.

³: نفسه: المدرسة الناصرية رقم 23 وكان مدرسا بدار الحديث الناصرية.

⁴: المدرسة الاتابكية الشافعية رقم 27

الدين القزويني(653-996)¹ وجمال الدين بن القلانسي(669-731)² وبرهان الدين ابن الفركاح(660-728)³ وابو محمد هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي(731)⁴ ورشيد الدين الفارقي (598-689)⁵ وعز الدين الفاروشي(614-692)⁶ وشعبان بن ابي بكر بن عمر الاربلي(624-711)⁷ وابو الوليد الاشيلي⁸(643-728) وغيرهم.

ومن خلال معرفتنا لخلق ابن رشيد العلمي وحرصه على لقاء العلماء والشيوخ فإننا نستبعد أن لا يكون اتصل بأغلب هؤلاء أو ببعضهم، وان يكون قد أورد أخباراً عمن اتصل بهم وغير ذلك.

ولكن الذين تحقق لدينا انه اتصل بهم في دمشق:

ابو اسحاق اللوري وابو بكر بن المحتال المقدسي وابن ابي الزبير الكاتب المصري وابو العباس بن صصري وشهاب الدين ابن نعمة المقدسي وشهاب الدين بن فرج اللخمي وشرف الدين احمد المقدسي وابن الفراء المرادوي وتمام الحنفي وثابت الوزان وحسين الشهرزوري والزيانب الثلاثة وهن المقدسية والبغدادية والحرائية وسليمان المقدسي وسليمان التلمساني وعبد الرحمان المقدسي وعبد الرحمان الفزاري وعبد الرحمان الحنبلي وعبد المحسن الابهرى وابو الحسن القاسيوني وعلي بن البخاري وغازي الحلاوي والقاسم البرزالي وابو عبد الله الارموي وابو عبد الله بن حمدون ومحمد بن عبد الرحيم المقدسي وابو الثناء الحلبي ويوسف الاذرعي⁹.

وأما من لقيهم في حرم الخليل فمنهم: نور الدين ابو الحسن البديع.

وفي بيت المقدس:

¹: نفسه المدرسة 34.

²: نفسه.

³: نفسه المدرسة البدرائية رقم 35.

⁴: نفسه المدرسة الصارمية رقم 55.

⁵: نفسه المدرسة الظاهرية البرانية 62.

⁶: نفسه.

⁷: نفسه المدرسة الناجية الحنفية 93.

⁸: نفسه المدرسة المالكية 140.

⁹: انظر ضبط أسماء هؤلاء الشيوخ في ذكر فهرستهم بعد.

عز الدين ابو الفرج المقدسي وعبد المنعم النابلسي وابن نعمة المقدسي وابن الافتخار المقدسي وابو الحسن الغرافي ومالك الأوحـد.

وفي نابلس:

ابو العباس احمد بن عبد الله الدمشقي وابو الحسن الحنبلي وجمال الدين النابلسي وعماد الدين النابلسي.

وفي بعلبك شرف الدين اليونيني.

ولعلنا بعثورنا على هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم قدم راسخة في كثير من الفنون والمعارف كالآدب والحديث والتصوف والفقه نكون قد عرفنا شيئا عن الجزء الرابع المفقود، ومع ذلك ينقصنا طريقة ابن رشيد ومنهجه في نقد الرجال وتقويمهم، وتلك النقول المفيدة من مختلف المصادر القديمة، والأخبار التاريخية والروايات الكثيرة وأخبار الكتب وإيراد الإنشادات الطريفة وغير ذلك مما عرف عنه بله ما قد تكون دمشق تحتضنه في ذلك الوقت من المذاهب الفقهية والكلامية والطرائق المختلفة التي أشار إليها، كما سبق ذكره، لما اتصل بجمال الدين ابن الظاهري¹.

ومن المحتمل أن يكون هذا الجزء حافلا أيضا برواية الحديث ومناقشة مسائل العقيدة والتصوف زيادة على رواية الاشعار التي تتصل بذلك. ونحن نستقري ذلك من خلال طبيعة بعض أولئك المترجم لهم، ومن خلال ما كان سائدا في الشام آنئذ من الصراعات العقدية والمذهبية. بل ان فقدان هذا الجزء قد سبب في ضياع كثير من المعارف التي تهم الشام بعامة وفلسطين خاصة ودمشق بصفة أخص. وبالرغم من أن هناك تذييلات على كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، فلا شك أن رحلة ابن رشيد، لو توافر لدينا هذا الجزء، تكون أحسن تلك التذييلات وأغناها وأشملها، لأنه لم يكن يهتم بالجانب الفهرسي فحسب بل كان يستطرد إلى كثير من الموضوعات التي لا تكون في الحسبان، ويأتي بغرائب وطرائف نكت في جميع الفنون والفهوم ويكفي بما سبق، أن يكون هذا الجزء واضحا شيئا ما.

¹: الرحلة 97/3.

ثم انه يفترض أن يكون هذا الجزء ضخما كالجزء الثالث الخاص بمصر أو الجزء السادس الخاص بتونس بل أوفرها تراجم ومعارف.

وهناك ملاحظة ينبغي أن نذكرها في كتاب درة الحجال لابن القاضي وهي أنه كان يأتي بتراجم كثيرة من هذا الجزء، ولكن يلاحظ فيها نوع من الاختصار الشديد والتلميح المخل، ولا ندري سبب ذلك، ألكون ذلك الجزء مشهورا بين الناس، أم اطلع هو عليه اطلاعا مبتسرا عاجلا ولم يكن له الأخذ منه بتأن وتؤدة، أم كان يأخذ من مختصر الرحلة المفقود كذلك، ونحن على كل حال ليس بين أيدينا ذلك الكتاب ولا مختصر الرحلة وقد يكون ابن القاضي ينقل من الاستدعاء الذي تعرض فيه ابن رشيد للشيوخ باختصار. ومهما يكن فإن لابن القاضي الفضل الكبير في إيراد تلك التنبيهات المفيدة¹.

هـ - الجزء الخامس:

ويشتمل هذا الجزء على باقي رحلته من دمشق إلى الحرمين الشريفين: المدينة المنورة طيبة ومكة المكرمة المشرفة، وأدائه لفريضة الحج ورجوعه إلى المدينة المنورة ووداعها يوم الأحد 28 ذي الحجة إلى مصر والقاهرة مرة أخرى ثم إلى الاسكندرية. وفي هذا الجزء ثلاثة وستون ومائة صفحة وهو مبتور أيضا من آخره، وقد ترجم فيه لثمانية وعشرين شيخا وهم:

أبو محمد بن الزجاج (في صفحتين) - وفاطمة البطائحي (2ص) - والأخوان الزجاجيان عبد الرحيم وعبد المجيد (5ص) - وابو اسحاق الفاسي (2 ص) وابو محمد عبد السلام بن مزروع البصري (8ص) - ويوسف الشقاري (2 ص) - واحمد بن عثمان الشافعي (صفحة واحدة) - وابو محمد المرجاني (نصف صفحة) - وابو علي الصواف (12 ص) - والاخوان العسقلانيان محمد واحمد (10 ص) - وابو اليمن بن عساكر (44 ص) - ومحب الدين الطبري (6 ص) - والاخوان الزجاجيان مرة أخرى (5 ص) - وابو الحسن التجاني (صفحة واحدة وبضعة اسطر) - وجمال الدين بن الظاهري مرة أخرى (صفحتين) - وقطب الدين القسطلاني مرة أخرى (6 ص) - وابو صادق القرشي مرة أخرى (صفحتين) - وتقي الدين ابن دقيق العيد مرة أخرى (4 ص) - والفتى الطواشي (نصف صفحة) - وابو محمد عبد الكريم الشافعي (3ص) - والشريف الكركي (5 ص) - وابن اللخمي المعروف

¹: لاحظ كثرة ورود ذكر اسم كتاب درة الحجال في الشيوخ الذين لقيهم ابن رشيد في الشام بعد.

بالسكان ثلث صفحة)- وابو عبد الله الانصاري المربي(8 ص)- وابن حبان النحوي (5ص)- وابو محمد بن خلف القرشي(3ص)- وشرف الدين بن الحسين ابن الصواف(صفحتين)- وابو الحسن التجاني مرة أخرى (صفحة واحدة وثلث) وجمال الدين الجايي البزاز.

وهذا الجزء المذكور بخط المؤلف، وفيه هوامش وحواش مفيدة وفيه اهتمام كبير بذكر المقامات الشريفة وتحديد مواقعها وضبطها قصد تصحيح بعض الأوهام التي كانت سائدة آنذاك سواء من حيث المواضع أو في عرض المسائل الفقهية ومناقشتها. أما جانب الحديث النبوي فيغلب أيضا على هذا الجزء وإن كان فيه كثير من الانشادات الشعرية التي قيل جلها في الشعر الديني من المديح النبوي ووصف العرصات الشريقات.

وبعد هذا الجزء صورة واضحة عن الحياة الفكرية والعقلية بالحرمين الشريفين خاصة وغيرهما من مصر والقاهرة.

وأهم التراجم التي يحتويها هي ترجمة ابي اليمن ابن عساكر والشريف الكركي وابي عبد الله الانصاري المربي.

ويبلغ عدد سطور صفحات هذه النسخة 27 سطرا ومعدل كلمات كل سطر ثلاثة عشرة كلمة¹.

و: الجزء السادس:

ويحتوي على خمس وثلاثين ومائتي صفحة وفيه ذكر بعض ما جرى لابن رشيد على ظهر بحر الاسكندرية واخباره في طرابلس والمهدية ومدينة تونس خاصة. ويمكن اعتبار هذا الجزء أيضا صورة للحياة الفكرية والعقلية لتونس وما جاورها. وقد ترجم فيه خمسة وثلاثين من الشيوخ والأصحاب وهم:

ابو عثمان سعيد بن جون المراكشي(في بضعة أسطر)- وابن عبد السيد(بضعة اسطر)-وابو فارس التميمي(6 ص)- وابو القاسم بن زيتون اليميني(13 ص)- وابو العباس ابن الغماز(20 ص)- وابو يعقوب الجذامي (صفحة ونصف)- وابو القاسم ابن ابي

¹: رقم هذه النسخة بالاسكوريال هو: 1680 وتوجد نسخة مصورة منها في معهد مولاي الحسن بتطوان. وكان يملك هذه النسخة احمد بن علي المنجور، وسيدي احمد الونشريسي.

الليبيدي (4 ص) - وابن عبد القادر البجائي (12 ص) - وابو بكر بن حبيش مرة أخرى (38 ص) - وشرف الدين ابن الإمام الجزائري (18 ص) - وابو اسحاق الخزرجي الجزائري (صفحتين وثلاث) - وابو العباس بن يوسف الفهري مرة أخرى (ثلاث صفحة) - وابو الحسن بن ديسم (صفحة وثلاث) - وابو الحسن بن رزين (39 ص) - وابو العباس الفهري مرة أخرى (3 ص) - وأو عبد الله بن هارون القرطبي (نصف صفحة) - وابو عبد الله السلاوي مرة أخرى (6 ص) - وابن رأس الحجلة (صفحتين) - وابن أبي القاسم اللواتي (نصف صفحة) - وابو العباس الكتاني السلمي (13 ص) - وأبو العباس بن القصير مرة أخرى (5 ص ونصف) - وابن هريرة (نصف صفحة) - وابو عبد الله ابن أبي القاسم الانصاري (3 ص) - وابن همشك (صفحتين) - وابو الشمل العجيسي الحلبي (صفحة ونصف) - وابو العباس بن خيل الحميري (4 ص) - وابو اسحاق القرموني المعروف بابن حبي (11 ص) - وابو العباس المروش (3 ص) - وابو القاسم الكلاعي (نصف صفحة) - وابو الحسن القيحاوي (صفحتين ونصف) - وابو القاسم محمد بن علي الانصاري (صفحة واحدة) - وابو يعقوب بن أندارس (صفحة واحدة) - وابو العباس المرسى (3 ص) - وابو الكرم الحميري (صفحة واحدة) - وأخوه الاصغر (3 ص) - وابو عبد الله ابن القويع.

وهذا الجزء أيضا من خط المؤلف وفيه هوامش وتعليقات مفيدة ويحتوي على تراجم واسعة عن كثير من الشعراء الذين كانت تحتضنهم تونس التي كانت تعج بالواردين عليها من كل حدب صوب وذلك من الأندلس خاصة كما سبق في الجزء الثاني، ولهذا نجد حافلا بالقصائد والمقطعات في شتى الأغراض والموضوعات وبهذا يكون غالبا عليه الجانب الادبي لأن جل من ترجم فيه من الأدباء والشعراء واللغويين والنحاة.

وفيه أيضا بعض النصوص الثرية لابن رشيد وابي بكر بن حبيش وابي الحسن بن رزين، وفيه كذلك شيء عن العروض والتعريف بأهم اصطلاحاته، أما ما يتصل بالحديث فلم يرد فيه إلا النزر اليسير.

وأما أشهر التراجم الواقعة فيه فهي لأبي بكر بن حبيش وابن رزين وابي العباس الكتاني السلمي وابن زيتون وابي العباس بن الغماز.

أما عدد سطور صفحات هذه النسخة فسبعة وعشرون وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة تقريبا¹.

ز: الجزء السابع:

ومعظم هذا الجزء يتعلق بتونس وذكر لقاء ابن رشيد بأبي الفضل التجاني خاصة وأخبار الأسرة التجانية ومنها أبو حفص عمر وابو الحسن. وفيه أيضا ققول ابن رشيد من تونس إلى الوطن وذكر بعض الأخبار عن مאלقة ورندة وسبينة.

ويحتوي هذا الجزء على أربع وثلاثين ومائة صفحة، خص منها لأبي الفضل التجاني ما يقرب من تسعين صفحة، وهي حافلة بالإنشادات الشعرية والروايات الأدبية واللغوية وغيرها، وفيه كذلك تراجم لابن عياش وابن عاصم الاسدي وابن أبي اليسر الجذامي. ويحتوي أيضا على أخبار تاريخية وتراجم ثانوية كترجمة أبي العباس ابن الحاج النحوي وأبي القاسم بن الطيلسان وأخباراً وأشعاراً لحازم القرطاجني وابن الآبار وابن الصابوني وغيرهم. ويعتبر هذا الجزء ديوانا مهما لرواية الشعر لشعراء مغاربة ومشاركة.

ثم إن فيه نصا مهما يقوم مقام المقدمة في الجزء الأول المفقود وهذا النص يوضح لنا كثيرا من المسائل الغامضة في منهج ابن رشيد وطريقته في رحلته. ويتجلى من خلال الدراسات الأدبية قيمة هذا الجزء وأهميته. أما جانب الحديث فيه فضئيل جدا إذ لم يرد فيه إلا أربعة أحاديث.

2- تحقيق بعض النصوص والتراجم المفقودة من الرحلة

علمنا أن أجزاء الرحلة الموجودة يتخللها بعض النقص في أولها وآخرها، وإن القسم الأول من الجزء الأول والجزء الرابع مفقودان وبهذا فإننا نعدم تراجم مهمة لعدد من الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم ابن رشيد في شمال إفريقيا ومصر والإسكندرية والقاهرة والشام.

ولكن بالاستقراء والمطالعة، يتبين لنا أن هناك بعض المراجع التي جعلت من رحلة ابن رشيد مصدرا لها في نقل تلك التراجم وإيراد النصوص وتعليق الفوائد منها.

¹: ورقم هذه النسخة في الاسكوريال: 1737، وتوجد منه نسخة مصورة في خزانة معهد مولاي الحسن بنطوان. وكان يملك هذه النسخة محمد بن محمد بن هلال الذي وقع عليها بشيء من الشعر.

وقد حاولت أن آخذ فكرة عن هؤلاء الشيوخ بالاطلاع على أخبارهم في كتب أخرى مثل كتب التراجم والطبقات كطبقات الحنابلة والحنفية والمالكية والشافعية.

وإذا علمنا أن هناك تراجم لشيوخ مشهورين في ذلك الوقت في بعض كتب الطبقات والتاريخ فإن فيهم من ورد ذكره في كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعمي، والجواهر المضيئة لأبي الوفاء القرشي والفوائد البهية في تراجم الحنفية للمهتدي، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب والكتيبة الكامنة والطالع السعيد وهدية العارفين وغاية النهاية. وكذا كتاب البغداديون أخبارهم ومجالسهم لإبراهيم الدوري وفهرس الفهارس والدرر الكامنة وتذكرة الحفاظ وشذرات الذهب، وطبقات المفسرين للدودي، وحسن المحاضرة وشجرة النور الزكية وبغية الوعاة والرسالة المستطرفة، وتاج التراجم لابن قَطْلُوبَغَا والبدر الطالع وطبقات الشافعية للشوكاني، وطبقات الشافعية للسبكي وطبقات الفقهاء لطاش كبرى زادة وكتاب العبر وذيلوه، وتاريخ علماء بغداد للسولامي والنجوم الظاهرة والبداية والنهاية وغير ذلك مما يطول ذكره.

ففي هذه الكتب كلها تراجم لبعض أولئك الشيوخ أو فيها على الأقل صورة حية عن الحياة الثقافية والفكرية لذلك العصر في بلاد المشرق خاصة.

وينبغي أن ننبه كذلك على مسألة أخرى في تحقيق بعض النصوص وهي أنه قد وردت في كتاب درة الحجال نصوص تتعارض روايتها وما هو موجود في الأجزاء الباقية بالزيادة أو النقصان أو التحريف.

ونورد فيما يلي بعض النصوص والإشارات والتراجم التي توجد في مظان الكتب التي كانت تأخذ من الرحلة وتنقل منها حتى نستطيع أن نتمم بها بعض ما ضاع بسبب فقد الجزئين السالفي الذكر وتتميم ما بتر من الأجزاء الأخرى.

ومن هذه الكتب:

أ- درة الحجال لابن القاضي.

ب- رحلة العياشي.

ج- فتح المتعال للمقري.

د- نفح الطيب له.

هـ- أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني.

و- أنس الساري والسارب لأبي عبد الله السراج المعروف بابن مليح.

ز- طبقات القراء لابن الجزري.

ح- جذوة الاقتباس لابن القاضي.

ط- فهرس ابن غازي.

درة الحجال:

ونجد أن هذه التراجم التالية لا يوجد بعضها في أجزاء الرحلة الموحدة وبعضها وقع فيه الاختلاف والتحريف:

أ- ترجمة أبي طالب الابهري الذي أجاز لابن رشيد سنة 684 وهو العابد المجتهد¹.

ب- ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله القيسي السبتي وكان رجلا لا يوثق بقوله إلا أنه يوجد شيء بخطه من إجازاته².

ج- ترجمة أبي بكر القسطلاني: وقد ورد بعض الاختلاف في رواية الشعر الذي أخذه عن شيوخه: ومن ذلك مثلا قصيدة خمسة وردت في كتاب درة الحجال ناقصة مضطربة بينما توجد واضحة كاملة في الجزء الثالث من الرحلة ومطلعها:

أردت من زمني جودا يفيد جدا * * * فضن عني لما ارجوه مجتهدا

فقلت مذم اجد حراينيل ندى * * * لاجهدن على أن أرى أحدا

وأثنني غائبا عن قرب من بعدا

وهذا الاضطراب اعتري كذلك قصيدة ابن العريف التي مطلعها:

¹: درة الحجال 161/3 ت: 1125.

²: درة الحجال 259/2 ت: 745.

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم

أدنى إلى النفس وهمي ومن نفسي¹

د- ترجمة أبي الحسن علي بن أبي البركات عيسى بن موسى اليزدي الحميري
كمال الدين، أحد ولد سيف بن ذي يزن وقد أجاز لابن رشيد بالاسكندرية في 9
جمادى الأولى 684.²

هـ- ترجمة أبي الماضي عطية بن منصور بن أبي الحسن، وهو من موالي
الاسكندرية أخذ عنه ابن رشيد سنة 684 هـ.³

و- أبو الحسن الغرافي شرف المحدثين، توجد له ترجمة أولى في الجزء الثالث⁴
ولكنه لم ترد له ترجمة ثانية فيمن لقيهم ابن رشيد ببيت المقدس كما ذكر ابن القاضي،
ويمكن أن يكون ذلك سهوا منه.⁵

ز- ترجمة أبي عبد الله بن الحكيم: أورد له ابن القاضي نصا لا يوجد في أجزاء
الرحلة المعروفة وذلك في قوله: ومما أورده ابن رشيد في رحلته... وفي قوله: كتب
صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الحكيم في القبة التي بها قبر أمير المؤمنين أبي الحسن
السعيد:

انظر إليّ ففي اليوم معتبر البيتين⁶.

ح- ترجمة ابن الخيمي ونلاحظ فيها بعض الاختلاف في رواية الشعر، ومعنى هذا
أن الجزء الثالث، وصاحب الدرة كان كل منهما يتصرف في النقل من الأصل، وأغلب
الظن أن نسخة ابن القاضي أكمل من النسخة الموجودة.⁷

¹: درة الحجال 1/220 ت: 313 والرحلة 313/3 والرحلة 110/3 وانظر أيضا ابن العريف في درة الحجال 1:220
ترجمة 319.

²: درة الحجال 213/3 ت: 1221.

³: درة الحجال 179/3 ت: 1155.

⁴: الرحلة 10/3.

⁵: درة الحجال 215/3 ت: 1224.

⁶: نفسه 95/2 ت: 531.

⁷: نفسه 6/2- 14 ت: 450 والرحلة 44/3 ولاحظ كيف ورد اسم ابن الديثي واضحا في الرحلة محرفا في الدرة بـابن
البريشي.

ط- ترجمة بهاء الدين ابن النحاس: وفيها بعض اختلاف في الرواية كذلك: فقد وردت في الدرة اشعار لا توجد في الجزء الثالث المعروف.¹

ب- ترجمة محمد بن يوسف بن عبد الله الجزري، وقد أورد له صاحب الدرة شعرا ونسبه إلى من رواه لابن رشيد ولكن ذلك لا يوجد في الجزء المعروف. أيضا وذلك في قوله: (الوافر) تأمل قد هند في الثني (الأبيات).

ويظهر هناك أيضا تصرف الذي نسخ الجزء الثالث وإخلاله بالأمانة العلمية، وبهذا يمكن أن تنتهم هذا الجزء بالنقص وعدم الضبط والمقابلة.²

وبلاحظ أن هذه التراجم ينبغي أن تكون في الجزء الثالث من أجزاء الرحلة إلا ترجمة ابن الحكيم التي تدرج في الجزء الأول المفقود.

رحلة العياشي (أو ماء الموائد)

لقد أورد العياشي في رحلته كثيرا من النقول، ومعنى هذا أنه كان قد قرأ النسخة التي كانت في مكتبة الحرم الشريف، ويرجح أن تكون كاملة لما فيها من إفادات بعضها لا يوجد في أجزاء الرحلة المعروفة ومن تلك النصوص: قصة إسلام إبراهيم بن سهل الاسرائيلي³، و ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني⁴ ونقول مختلفة من الاشعار والبلاغة والنقد⁵، و ترجمة ابي بكر بن يربوع⁶ و ترجمة أبي العباس بن الحاج النحوي⁷، ووصف موافاة ابن رشيد وركبه المغيّرة (بسكون الغين المعجمة وفتح الياء المثناة) بعد يَنْبُع، وما يتصل بذلك من وصف المنازل⁸ وذكر رحيله من موضع يسمى فخيلا إلى موضع يسمى بالقاب، وغير ذلك من المسائل الفقهية⁹ وذكر مناقشة أصولية في الظن الخاطئ والترجيحات¹⁰ وشعر ابي الفضل بن شرف: (الوافر)

¹: درة الحجال 3/2 ت: 448 والرحلة 29/3.

²: درة الحجال 19/2 ت: 490.

³: رحلة العياشي 251/2 - 252.

⁴: نفسه 252/2.

⁵: نفسه 252/2 - 253 - 254.

⁶: نفسه 253/2 والرحلة 89/6.

⁷: نفسه 252/2 والرحلة 34/7.

⁸: نفسه 240/2 والرحلة 57/5.

⁹: نفسه 241/2.

¹⁰: نفسه 242/2 والرحلة 65/5.

ولم أجزع لهول الموت لكن * * * بكيت لقلة الباكي علياً

(الآيات¹)

ومن ذلك مسألة اعطاء العمالة وكرامتها² وقصة الجدي الذي كتبت في جبهته كلمة محمد³ وقصة النعمان التي تنسب إليه الريحانية المعروفة⁴ وذكر بيان في وصف بعض الطفيليين⁵، وما أنشده أبو حيان لأبي اليمن بن عساكر لنفسه وذكر بعض المسائل البلاغية كالنورية والكنائية⁶.

ويلاحظ أيضاً أن أغلب هذه النقول من الجزء السادس وبعضها من الجزء الثاني والخامس والسابع، ويبلغ عدد تلك النقول من رحلة العياشي أربعين مسألة تقريباً.

فتح المتعال :

وأورد صاحب الفتح بعض النقول من الرحلة مثل اقتراح ابن رشيد تسمية نظم أبي الربيع بن سالم الكلاعي بنتيجة الحب الصميم وزكاة النثر والنظيم بدلا من المنثور والمنظوم⁷ وقول ابن رشيد أن الكعية المعظمة كالإمام والطائف كالمأموم يقف عن يمين الإمام إن كان وحده⁸. وأورد ما ذكره ابن رشيد عن مثال النعل الكريمة⁹، وما جاء من المناقشات الأدبية والنقدية بين ابن رشيد وابن عبد الملك المراكشي في شعر مالك ابن المرحل¹⁰.

وينبغي التنبيه على أن هذه الفوائد تندرج في الجزء الرابع الخاص بالشام، وسبب ذلك أن ابن رشيد لما دخل دار الحديث الاشرفية بدمشق رأى مثال النعل الكريمة وأنشد في ذلك الآيات المعروفة، ثم أنه لا بد أن يكون قد جمع ما يتصل بذلك في هذا الجزء.

1: نفسه 246/2.

2: نفسه 250/2.

3: نفسه 251/2.

4: العياشي 252.

5: نفسه 242/2.

6: نفسه 243/2، 244 والرحلة 153/5.

7: فتح المتعال 5.

8: نفسه باب 1.

9: نفسه باب 2 وباب 3.

10: نفسه باب 3، وانظر ما نبه عليه الدكتور محمد بن شريفة في تحقيق الذيل والتكملة من الحواشي المفيدة سفر 1 قسم 1 ص: 44، 331، 333، 334، 336، 337، 338، 412، 521.

نفح الطيب:

وفي ذلك الكتاب أيضا نقول كثيرة عن الرحلة، ومن ذلك ما ذكره عن اعتناء ملوك الموحدین غاية الاعتناء بالمصحف العثماني، وأورد في ذلك كلاما بجملته لابن رشيد¹، وترجمة ضياء الدين الحزرجي وشعره². وما أنشده ابن رشيد لابن حيان النحوي لنفسه³ وما حدث به أبو حيان من خبر التاجر أبي عبد الله البرجوني بمدينة عيذاب⁴ من بلاد السودان وترجمة أبي عبد الله التجاني وما وصفه به قريبه أبو الفضل التجاني في كتابه الحلّی التجانية⁵، وما ذكر ابن رشيد عن أبي المطرف بن عميرة⁶ وتعريفه بابن حبيش⁷ وذكر وقوف ابن رشيد وابن الحكيم بعباد تلمسان على قبر السعيد وقصة ذلك⁸، وذكر شرح ابن رشيد لقوافي أبي الحسن حازم⁹.

ونلاحظ أن أغلب هذه النقول من الجزء الخامس وبعضها من الجزء الأول المفقود وذلك فيما يخص ابن الحكيم.

أنس الفقير وعز الحقير:

ذكر صاحب الانس ان ابن رشيد ذكر ابا محمد عبد الحق ربيع الانصاري البجائي في رحلته¹⁰، ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون قد اثبت له شيئا من أخباره وإنتاجه الفكري، وان تكون ترجمته مهمة كما ذكر له أبو العباس الغبريني من الأخبار الحسان¹¹. ونلاحظ أن صاحب الانس كان ينقل من الجزء الأول أو القسم الأول من الجزء الأول المفقود الخاص بذكر انتقاله من المرية إلى تونس.

¹: النفح 600/1-615.

²: النفح 195/2 والرحلة 8/3.

³: نفح الطيب 583/2 والرحلة 75/5.

⁴: نفح الطيب 583/2 والرحلة 76/5.

⁵: نفح 121/4.

⁶: نفسه 496/4.

⁷: نفسه 311/4.

⁸: نفسه 225/5.

⁹: نفسه 481/5.

¹⁰: أنس الفقير 101.

¹¹: الغبريني 85.

أنس الساري والسارب:

ونقل ابن مليح من خط ابن رشيد ما قاله الخطيب الزاهد أبو عبد الله بن برطلة المرسى: (الطويل).

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * * * وليس إلى قرب الحبيب سبيل
الآيات الأربعة¹.

وما أخذه ابن رشيد عن شعبان الصوفي بسنده إلى الاصمعي².
ويظهر أن صاحب الانس كان ينقل أيضا مباشرة من الرحلة، ويرجح أن يكون ذلك من القسم الأول المفقود.

طبقات القراء لابن الجزري:

وما نقله ابن الجزري من الرحلة خير أبي محمد قاسم بن فير الشاطبي الضرير
ورحلته واقرائه لقصيدته المشهورة (الشاطبية) بالقاهرة³.

جذوة الاقتباس:

وما نقله ابن القاضي أيضا من الرحلة ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الرحمان
ابن هارون العارف بأصول الفقه وأصول الدين مشاركته في العربية⁴.

فهرس ابن غازي:

وجاء في الفهرس⁵ عن الدعاء بعد الطعام ما يلي:

"حدثني أبو البركات البلفيقي مناولة عن الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن
عمر بن رشيد الفهري عن أم أحمد زينب بنت أحمد المقدسية عن أبي حفص عمر بن
أبي بكر بن طبرزد، والسند مرفوع إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: "دعا رجل من
الانصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو

1: أنس الساري 84 وانظر ما علقه الأستاذ محمد الفاسي على هذه الآيات.

2: نفسه 84 والرحلة 70/3.

3: طبقات القراء 22/2.

4: جذوة الاقتباس 136/1.

5: فهرس ابن غازي ص: 94، بتحقيق محمد الزاهي، الدار البيضاء 1979.

قال يديه، قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن ابلائنا، الحمد لله حمداً غير مودع ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغني عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الظلال وبصر من العمى وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً. الحمد لله رب العالمين. انتهى. رواه النسائي: وفضل على كثير.

ولا شك في أن هذا الحديث منقول من الرحلة من الجزء المفقود¹ الذي يضم ترجمة أم أحمد المقدسية وتسمى زينب.

ولأجل تكوين فكرة عامة وأكثر وضوحاً عن أجزاء الرحلة وأهم ما تحتوي عليه من المعارف نورد تصميمًا مختصراً لكل منها على حسب من لقيه ابن رشيد من الشيوخ والأصحاب، ويتسنى لنا من خلال ذلك ملاحظة طبيعة الجزء وفحواه أولاً وتكوين الشيخ أو صاحب وميله إلى فن معين من فنون المعرفة ثانياً. وقد ركزت الاهتمام على أهم الفنون العلمية من الحديث والجرح والتعديل والفقه والشعر والنثر والنقد والكتب وبعض العلوم الأخرى.

¹: أي الجزء الرابع. انظر من لقيهم ابن رشيد في دمشق. بعد.

المبحث الثاني: المضامين العامة للرحلة في الأجزاء الموجودة

الجزء الثاني:

الشيخ	شعر	نثر	تقد	حديث	كتب	علوم أخرى
ابن حبيش	70 بيتا	4	/	2	56	
ابن القصير	32					
التجيبى	27			2	16	
الشريشي	49					
البطرني	3					
ابوحيان الشاطبي	132			1		منطق. فلسفة
الفهري اللبلي	45			اسانيد غربية	102	
القمجى	16			12. طرق اندلسية	14	
السلأوى	5			1	32	تصوف
الجدامى				1	27	اخبار سبتية
ابن شوشن				1	9	
الخلاسى	40			8. بعض لمسللات	25	خرقة التصوف
الحميرى	305	نصوص	أدبية			
المجموع: = 13	620	4		28	286	

الجزء الثالث:

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
الشرابي				1	1	3	
ابن التونسي				1	1	6	
علم الدين مئقال						4	
الحبشي					1		
ابوبكر الانصاري				2	1	4	
المكين الاسمر	4 أبيات			4	2	11	
ابن الخطيب				3		4	
الساعدي	72		/			11	
التميمي	2		/				
الغرافي	6			21	8	33	استطرادات
ابن عقيل				2		3	
ابن النحاس	51	2		16	5	26	لغة
ابن الانماطي				11	3	30	
القسنطيني				1		3	
المزي				21	2	15	
ابن الحيمي	50		/	9		11	
المراغي	18			17		25	
ابن دقيق العيد	8			3		24	فقه
اتقي عبيد				7		18	
الحلاطي	12	/	/	1		5	
ابو صادق	5			19		14	
القرشي							
الصفار المطرز				5		13	
زينب البغدادي				5	1	4	
الدلاصي				3		5	
القسطلاني				1		4	
العسقلاني	8			1		6	
التعلبي				3	1	4	

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
الشرابي				3		7	
الاصبهاني	2					12	
الهاشمي				5		8	
ابن القاهر				2		3	
الاعلاقي				4		4	
التلمساني				1			
الضياء السبتي	2			3		7	
ابن الظاهري				12		17	
ابن درادة				1		7	
ابن ابي الزين				4		4	
البعليكي				2		3	
الدميري		/		6		17	
القطب القسطلاني	37 بيتا			3		23	
العز الحرائي	11			17		15	
المجموع: 40=	288			221	26	370	

الجزء الخامس:

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
فاطمة البطائحي				4		3	
الرجاجيان	15 بيتا			8			فقه
ابو اسحاق الفاسي				1		3	فقه
ابن مزروع				9		13	
احمد الشافعي				2			
	19			4		23	فقه
العسقلانيان				11		7	
ابو اليمان بن عساكر	600		خطب	3		21	
الرجاجيان	16			3		2	
ابن الظاهري				4		1	
القطب القسطلاني				3		9	
القرشي				2		5	
ابن دقيق العيد			1	1		4	
صواب الصلاحي	11			1			
ابو محمد الانصاري		/					
الشريف الكركي	4			2		9	تفسير
السكان اللخمي	4					1	
ابو عبد الله المربي	4		2			2	
نصير المنيماوي	70						
ابن حيان	50						
ابن خلف القرشي				5			
ابن الصواف				4			
ابو الحسن التجاني	15						
البزاز	15						
المجموع: = 24	820			67		109	

الجزء السادس:

الشيخ	شعر	نشر	حديث	جزء	كتب	فقه	بلاغة
ابن جون المراكشي	50 بيتا						
ابن الحضر					2		
ابو فارس التميمي	53						
ابن السماط	11		1	1	10	/	/
ابن زيتون	43		4		46		
ابن الغماز			1		2	/	
الجدامي			3		6		
ابن ابي الليبي			4		19	/	
ابن عبد القادر البجائي	350	/	9		14		
ابن حبيش	53	/			17		
الشرف الجزائري	17				14		
ابو اسحاق الحزرجي	7						
الليلي الفهري	230	5	5		57		
ابن ديسم	46	1			2		
ابن رزين	8				12		
الليلي الفهري	23						
ابن هارون	7				26		
السلوي	86						
ابن رأس الحجلة	31						
اللواتي	3						
الكتاني	13				17		
ابن القصير	8				7		
ابن هريرة	11						
الانصاري محمد بن أبي	71				13		
القاسم	213				4		
ابن همشك	28						
العجيمي الحلبي	6						
الحميري	54						
ابن حبي	18						
المروش	14						
الكلاعي	69						
القيجاطي	14						
الانصاري ابو القاسم	4						
محمد	21						
ابن اندارس					268		
الانصاري أحمد المراسي							
الحميري							
اخوه							
ابن القويح							
المجموع: = 37	1409	8	22				

الجزء السابع:

الشيخ	شعر	نثر	حديث	كتب	علوم أخرى
أبو حفص التجاني	95 بيتا	1		1	تقول ومجالس
أبو الفضل التجاني	1330	4	2	23	
أبو الفضل الفحصبلي				1	
أبو زكرياء الرنداحي					
أبو الحسين بن قراش					
أبو الحكيم				1	
أبو عياش	61	1	1	1	خو
أبو الحسن السفاج					
أبو عمرو بن عاصم					
أبو القاسم بن الأيسر			1		
المجموع: = 10	1486		4	27	
المجموع العام لأهم العلوم	4629		345	295	

المبحث الثالث: موضوع الرحلة ومنهج ابن رشيد فيها.

لقد دأب المؤلفون العرب على ذكر منهجهم الذي يسرون عليه في مقدمات مصنفاتهم، وبما أنهم كانوا يلزمون أنفسهم به إلزاماً، فإنهم غالباً ما كانوا يحترمون ذلك المنهج في مضمون كتبهم، ويحرصون على تطبيقه، ويسرون على ضوئه وهديه بصدق ووفاء حرصاً على الأمانة العلمية وهذا ما فعله ابن رشيد في رحلته، ومع أنه ليس بين أيدينا الجزء الأول الذي قد يكون مصدراً لتلك المقدمة التي يرسم فيها المنهج والطريقة بصفة أوضح وأكثر تفصيلاً وتدقيقاً، فإننا نجد له في الجزء السابع نصاً يفيدنا ببعض ذلك المنهج وتلك الطريقة.

وإننا نفترض ذلك بناءً على أن ابن رشيد كان يقدم لبعض كتبه بمنهج ولو مبسط لتوضيح مضمونها، وهذا ظاهر في مصنفه السنن الأبين¹ الذي قسمه إلى مقدمة وبابين، وأشار إلى ذلك باقتضاب واختصار ولكنه حرص على تطبيق منهجه فيه. ثم إن افتراضنا أن ابن رشيد كان قد كتب تلك المقدمة لا ينبغي أنه أثبت بعضها أول الأمر واستغنى عن بعضها الآخر ليوضحه في آخر الكتاب فيكون بذلك قد ذكر شيئاً عن أجزاء رحلته مثلاً والدافع إلى القيام بها ثم ترك مسائل مهمة لها اتصال وثيق بمضمون الرحلة إلى آخر الكتاب لتكون خلاصة أو استنتاجاً. ولهذا كتب مستدركا وموضحاً ومعللاً.

ولأجل معرفة منهجه لابد من إيراد ذلك النص لاستفيد منه شيئاً عن طريقته وما ضمنه رحلته من الفوائد والمعلومات رأى أنه قصد إلى تركه وإهماله. ولهذا كان يقدم ذلك بأسلوبه الواضح المعتمد على الوصف ويستعمل الصيغ التي لها مدلول الفعل الماضي الذي يفيد التقرير لما تم فعله. وكان في الإمكان تلخيص ذلك النص ولكن لأهميته ودلالته القوية على نفسية صاحبه وروح الرحلة، ثم لما فيه من بعض النظرات المعتبرة في كتب الأدب والنقد، لذلك كله اخترت إيراد ذلك النص بصيغته:

"قال ابن رشيد²: "ولما أنعم الله سبحانه بتيسير الغرض من هذا التقييد الذي تسنى ببركة التوجيه لأداء المفترض، سنح ببالي أن بعض ما ذكر فيه قد يعترضه من اعترض ممن لا يفرق بين الجوهر والعرض، فأريت أن أبين كيف وقع الحال فيما اشتمل

¹: السنن الأبين 15-16.

²: الرحلة 64/7.

عليه من الحل والترحال فأقول، والله في العفو والصفح المسؤول، أنني لم أكن قصدت به مقصد التصانيف المهذبة، ولا التأليف المرتبة، وإنما قيدته بحسب ما يسر لي مما كنت كتبته على ظهور الكتب وفي بطون البطائق مما قيد للتذكارات بتلك المعاهد اللائحة الأنوار، فقصدت أن أضمر بددّه، واجمع عدده، وأكثره وقع على غير روية بل وفي ما سمحت به السجية، فبحسب ذلكم ربما وقع فيه من أسماء الشيوخ مقدما من غيره أحق بالتقديم منه، ومؤخرا من حقه أن يؤخر غيره عنه¹. وربما وقعت (كذلك أيضا²) التواريخ في قراءتي على من قرأت عليه أو سمعت منه أو أخذت عنه³، وكل ذلك كتب على حسب ما تيسر من غير روية ولا تنقيح. وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان، ويعز وجوده على ذي البحث والتنقيح والافتنان، من مسائل حديثية وأصلية وأدبية وبيانية بعضها منقول عن أئمتنا وأشياخنا وبعضها مما فتح الله فيه من فضله العميم، وإفاضه من طوله الجسيم مما هو في ظني لم أسبق إليه ولا زوحت عليه. والحمد لله والشكر له.

وفيه أيضا مواضع من الاسانيد والمتون وإفادات ذوات العقول وقع الغلط فيها من غيري في سند أو متن، فما علمت وجه الصواب فيه أوضحته وأقمت صولبه، ونهت على أني أصلحته، وبعض بقي على حاله مغفلا، فكتب مغفلا وضبب عليه، أو جعلت في الحاشية علامة (نظر) ترشد إليه فمن وقع له وجه الصواب في ذلك فليدركه بفضل حلمه وسعة علمه وكذلك ان وقع خطأ من قبل في خط أو نقل، فلينبه عليه على طريق الاتصاف بالانصاف وعدم التعسف والاعتساف بحول الله. وكذلك من وصفته من شيوخنا وأصحابنا بصفة أو حليته بخلية فلم أتجاوز في أوصافهم بل جئت بما هو أقرب إلى انصافهم وإن سلك في بعضها على عادة أهل الأدب من الشعراء والكتاب، (فما قلت إلا بما علمت سعد). وشهد لهم من له مالهم من السؤدد والمجد. ولم أذكر منهم من لعله أنبهم عليّ ذكره إلا النادر ممن عرف أمره ولم أورد عنه إلا شيئا من نظمه أو ما أنشده لي من غيره، وأشارت إلى التنبيه على أحوالهم من غير إفصاح وذلك مغن عن الإيضاح. وقصدت بذكرهم أن أذكرهم فأوالي لهم الاستغفار وأسأل لهم العفو من المنعم الغفار،

¹: وذلك مثلاً وقع في ترجمة أبي الحسن الغرافي الرحلة 10/3.

²: كتب ما بين القوسين في الهامش.

³: هكذا وردت تلك الجملة.

وأيضاً ليكونوا في حلبة قوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش معهم أنيسهم ورحمة الله واسعة ومغفرته شاملة جامعة والله واسع عليم.

وكذلك وقع فيها من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتيه وإنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف مناقشة الحساب و...¹الجواب يوم بعثه من رمسه فأقول والله الموفق أني تحاميت فيه كثيراً مما يقبح ولا يحمل من وجوه التوريات وإن كانت ترأبئها بالبيان حاليات، والشعر أنما بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن وإن كان على غير ذلك في الظاهر، وإنما الأعمال بالنيات.²

وقد ضمنت هذا المجموع من الأحاديث النبوية والغرائب الأصلية والفقهية واللطائف الأدبية والنكت العروضية³، ما أرجو أن يشفع فيما تضمن من غير ذلك ويثقله في الميزان، ووراء ذلك كله رجاء العفو والغفران من الملك الديان.

وتضمن من حكم الأشعار ومدح النبي المختار وما يعفي على ذلك النزول الواقع فيه من غيره إن شاء الله.

وقد أتى بمثل ما أوتيت به من أبيات الغزل الغربية، والفاظ التورية العجيبة غير واحد من ائمتنا وشيوخنا، وليسوا مدفوعين عن باب الورع من المتقدمين والمتأخرين، وكتبهم وفوائدهم وفرائدهم مملوء بذلك، وفيهم الاسوة وبهم القدوة، كالقاضي أبي علي الصديقي وجماعة من شيوخه وكالقاضي عياض وجماعة من شيوخه وكالخطيب البغدادي، وأبي عبد الله الحميدي والحافظ السلفي⁴ وغيرهم من الاعلام، وقد نهبت أثناء الواقع منه في هذا التعليق على مواضع من ذلك واشترت على ما سوغه الفقهاء من تلك المسالك

1: كلمة غير واضحة.

2: كتب في الهامش (ولذلك قال بعضهم وقد سئل عن سماع الغناء...) والخط غير واضح.

3: كتبت هذه الجملة في الهامش.

4: كتب إمام هذا السطر في الهامش وللقاضي أبي بكر بن العربي في ذلك أفسح مجال في الروية والارتجال(انظر المغرب في حلي المغرب 225/1).

وحسبه¹ قول زاهد الفقهاء من التابعين أبي عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود² الشائع في الناس وقد جمع فيه أسماء السبعة الفقهاء: (الطويل).

أحبك حبا لا يحبك مثله * * * قريب ولا في العاشقين بعيد (الأيات)

وانا ابن قصدي، بإيرادهم ذلك فأقول لما كان فهم الكتاب العزيز وكلام النبي صلى الله عليه وسلم متوقفا على فهم تفنن العرب في وجوه بلاغتها وفنون فصاحتها ولذلك قال عمر رضي الله عنه: عليكم بديوان العرب فإن فيه فهم كتابكم وشحد ألبابكم. قالوا وما ديوان العرب يا أمير المؤمنين؟ قال شعرها. وكان للعرب طرائق في البلاغة والفصاحة فجاء الإسلام فازدادوا هم ومن بعدهم دقائق وفوائد، فوافق ما استفادوه من كتاب الله وسنة نبيه. فولدوا من ذلك فنونا عجيبة واساليب غريبة، ثم لم يزل المولدون كذلك هلم جرا إلى زماننا فأبدوا من الغرائب والعجائب ما تقف دونه الخواطر. واتوا من ذلك بالسحب المواطر. قصدت أن أبين تلك التفننات وأورد ما يخف من تلك التصرفات، ليرى ما خص به هذا اللسان العربي، ليكون عوضا للأفكار على ما تستثيره من كوامن أسرارها وربما اهتدت إلى المحال التي نقلت منها واستنتجت عنها فتقضي من ذلك العجب. هذا المتنبي يقول: (الحفيف)

وإذا كانت النفوس كبارا * * * تعبت في مرادها الأجسام

وهذا إذا تؤمل مأخوذ من قوله عليه السلام لما نزلت عليه: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فقام عليه السلام حتى قرحت قدماه فقبل له في ذلك. فقال افلا اكون عبدا شكورا؟ وذلك أن عبادة التكليف يطيقها القلب والجوارح، وعبادة الشكر إنما يقوم بالمستطاع منهما القلب. وأما الجوارح فتتفسخ دونها. وإذا كان المقصود هذا وكل يتوجه له وجب بحسب الناظر صار هذا الإيراد من قبيل المندوب لا من قبيل المكروه، ونية المؤمن أبلغ من عمله، وقد سمع بعضهم "السعتريري" فغشي عليه، وفهم من ذلك "اسع تر بري"³ وكذلك سمع بعضهم (وجه مليح وشارب أخضر)، فتواجد فسئل

¹: كتبت هذه الفقرة في الهامش.

²: انظر عن ابن مسعود: التاريخ الكبير للبخاري مجلد 5 قسم 1 ج: 3 ص: 385 ت: 1239. قيل للزهري أكان عبيد الله يقول الشعر؟ قال وهل يستطيع الذي به الصدر أن لا يشعر؟ وانظر عنه أيضا حلية الأولياء 188/2 ت: 174.

³: جاء في كتاب اللمع في التصوف لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي في باب وصف المشايخ في السماع: "وسمعت يحيى بن الرضا العلوي ببغداد يقول: وكتب لي هذه الحكاية بخطه قال: سمع أبو حلمان الصوفي رجلا يطوف وينادي باستعري فسقط وغشي عليه فلما أفاق سئل عن ذلك وقال سمعته يقول اسع تر بري قال الشيخ رحمه

بعد فن فهمه فقال: الوجه الجميل وجه ذي الجلال، وأنا في المحبة شارب خضر أي غير متمكن المكانة¹. وقد حكى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المحدث الصوفي قال: واخبرنا ابو محمد التميمي ببغداد قال: سألت الشريف ابا علي محمد بن احمد بن ابي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما ادري ما اقول فيه غير أنني حضرت بدار شيخنا ابي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة تسعين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبوبكر الابھري شيخ المالكيين وابو القاسم الداركي شيخ الشافعي وابو الحسن طاهر بن الحسين شيخ اصحاب الحديث، وابو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وابو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه ابو بكر الباقلاني في دار شيخنا ابي الحسن التميمي شيخ الحنابلة، فقال ابو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم، ومعهم ابو عبد الله غلام بابا، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن وربما قال شيئا، فقبل له قل لنا شيئا، فقال وهو يسمع: (البيسط)

خَطْتُ انا ملها في بطن قرطاس * * رسالة بعبير لا بأنفاس

ان زر فديتك من غير محتشم * * فإن حبك لي قد شاع في الناس

فكان قولي لمن أدّى رسالتها * * بقي لأمشي على العينين والرأس

قال ابو علي فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن اقتي في هذه المسألة بحظر ولا إباحة.

قلت: وقد وقفت على هذه الحكاية في كتاب تلييس ابليس لابي الفرج بن الجوزي² قال فيها: وقد أنبأنا ابو زرعة بن محمد بن طاهر عن ابيه، وذكرها ونقص منها ذكر أبي بكر الباقلاني رحم الله الجميع. وقد أنبأنا عن الجوزي بجميع ما عنده رُحْلَةٌ

فكذلك قال المشايخ الذين هم العلماء بهذا الشأن وأهل الفهم بهذه القصة أن السماع على حسب ما يقر في القلوب من حيث شغله ووقته وحضوره ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدى إلى أبي خلمان سمعه من حيث وقته وشغله. (اللمع ص: 289). وانظر مثل هذه المعاني كتاب المحاضرات لأبي علي اليوسي بعنوان: تذكُّر العقل في أسرار الكون، وتدقيق الصوفية معاني الأبيات والإشارات وتأويلها حسب المقومات. 433416415/2 وهو من البحوث النفيسة.¹ كتبت فوق هذه الكلمة إشارة على الهامس وفيه: "ورأت بعض الفقهاء المتشردين شيخا من الصوفية في بعض المساجد وشاب يغنيه أبياتا من جملتها:

.....فصاح الشيخ وتوجد ورمى بنفسه إلى الأرض. قال فقلت له: ايها الشيخ تسمع من الشعير ما شاء الله ولم يظهر عليك الطرب العظيم إلا عند هذا البيت السخيف أي معنى ظهر لك فيه؟ فقال إن كنت تسمع الجواب بحسن ظن قلت لك وإن كنت تسمعه مع سوء الظن فلا يفيد".

²: كتاب تلييس ابليس ص: 240 طبعته دار الكتب العلمية

مصر والشام أبو العز الحاراني وأبو الحسن...¹ رحمهما الله. وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في عارضة الاحوذى له². ولا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع، وإن كانت فيه الخمر ممدوحة بصفاتها الخبيثة من طيب راحة وحسن لون إلى غير ذلك مما يذكره من يعرفها، فقد مدح فيها كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ

إلى قوله في صفة الخمر: كأنه منهل بالراح معلول (انتهى)".

ثم أتى ابن رشيد بعد ذلك بكلام أتركه لتعذر قراءة بعض كلماته بسبب ما وقع فيه من التلف، وملخص ذلك الانتصار لرأيه في مفهوم الغزل وتمثيله في ذلك بالعلماء المتقدمين والمتأخرين الذين أتوا به في معرض التورية ووجهوه حسب النية الصالحة، فاستعرض لتأييد مقالته، ما وقف فيه على ما لبعض الشيوخ المعتمدين كالإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحسني الاسكندري بلدا في كتابه الذي جمع فيه أشعاره الغزليات واحتج بذلك مبتدئا بالصحابة ومن بعدهم، وضرب لذلك مثلا شعر أبي المعالي الجويني وأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المذهب الذي كان على تمسكه بالظواهر كان شافعيًا ثم انتقل إلى القول بالظاهر وكذا أبو عمرو بن يوسف بن محمد بن عبد البر النمري الذي كان ظاهريًا ثم صار مالكيًا مع ميل إلى فقه الشافعي في مسائل لا ينكر له ذلك³. ومثل ابن رشيد ذلك بغزليات الفقيه أبي الوليد بن حزم الوزير، وأبي الصلت أمية عبد العزيز بن أمية الاندلسي كما ورد في كتاب الحديقة، وما ينسب إلى ابن سناء الملك أو ابن الساعاتي والفقيه الإمام الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي فإنه مع فقهه المبين وزهده المتين كان يسمع من ينشده أبيات للوأواء الدمشقي ومنها: (مجزوء الكامل).

¹: كلمة غير واضحة.

²: عارضة الاحوذى 287/10.

³: التمهيد لابن عبد البر 1/سط.

قمر أتى من غير وعد * * في ليلة طرقت بسعد

الآيات¹.

وبعد هذه النبذة نستعرض المنهج العام الذي سلكه ابن رشيد في رحلته وذلك في عرضه للتراجم وما يتعلق بها من إيراد المعارف والأخبار.

إذا القينا نظرة عامة على تلك التراجم وجدنا أنها تتفاوت طولاً وقصراً وأهمية، ومع ذلك يجمعها منهج يكاد يكون متفقاً في أغلبها، فهو يقدم المترجم له يقوله: وممن لقيناه بمدينة كذا..

وبعد ذلك يورد له وصفاً من أوصافه الخلقية والعلمية ويذكر اسمه كاملاً وقد يأتي له بسلسلة النسب التي ترفع إلى الجد الواحد والعشرين² أو الاثنين والعشرين³، وقد يحقق له اسمه إذا رأى في ذلك رفعا للاتباس أو الوهم، ثم يذكر علاقته الخاصة بذلك الشيخ من الصحبة والقراءة والأخذ والإجازة له ولأولاده وأخوانه، ويفصل فيما أخذه عنه من الأحاديث والأشعار وما رواه عنه في الكتب والفرائد، ونلاحظ أنه يحرص في أغلبها على روايتها بالسند المرفوع إلى قائل ذلك الحديث أو منشد الشعر أو مؤلف الكتاب. ثم أنه لا يقبل تلك الروايات على علاقتها وإنما يناقش الحديث ويذكر علله وغير ذلك مما رأيناه في دراسة شخصيته محدثاً. ويختار من الأشعار ما لطف معناه وشرف كما سيتضح لنا من خلال دراسة الشعر الوارد في الرحلة، ويعتني بإيراد كل ما يتصل بتلك المسائل التي يناقشها ولهذا يستطرد أحياناً إلى ذكر مسائل من التفسير أو الجرح والتعديل أو البلاغة والنقد والفقه والجغرافية وغيرها، وكل ذلك بطريقة لا تبعث على الملالة كما قد يظن بسبب طول الرحلة واتساعها. ونلاحظ أنه كان يميل إلى أن يأتي ببعض الغرائب سواء في الحديث أم الحكايات أم الأوصاف، ويحرص على أن يأتي بكثير من الفوائد التي قال أنه لم يسبق إليها ويظهر ذلك في كثرة النقول من المصادر التي يعز وجودها، والطريقة الخاصة في صحبة العلماء.

¹: الآيات في الرحلة 66/7. وقد ورد منها ثمانية أبيات ومن المحتمل أن تكون قصيدة وهي مبتورة بسبب فقدان الجزء الأخير من الكتاب.

²: انظر ترجمة أبي الحسن عيسى بن ديسم الذي يرفع نسبه إلى ابن عوف الزهري الرحلة 63/6. وترجمة 86 من هذا البحث.

³: وذلك في ترجمة أبي الحسن الغرافي الذي يرفع نسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرحلة 10/3. وترجمة 128 من هذا البحث.

المبحث الرابع: خط سير ابن رشيد في رحلته.

لأجل معرفة خط سير ابن رشيد في رحلته نورد له هذا المجلد الذي نبين فيه تاريخ الذهاب والإياب وأهم المدن والمواضع التي حل بها وزارها وبعض الطرق التي سلكها وكل ذلك مستخرج من الرحلة أو الكتب التي درستها أو نبهت عليها.

واذكر في هذا الصدد ان ابن رشيد لم يكن يهتم كثيرا بتاريخ حله بالمواضيع وترحاله منها كما مر في دراسة شخصيته جغرافيا، ولهذا نجعل كثيرا من التفاصيل المهمة الضرورية.

الذهاب

الزمن	المكان	ملاحظات
أوائل سنة 683 ما بين محرم 683 وآخر ربيع الأول 683	ابتداء الرحلة من مرسى المربة بالاندلس. انتقاله بين مدن شمال افريقيا بالمغرب الاوسط كتلمسان وجاية ويونة ¹	برفقة الوزير ابن الحكيم في الجزء الثاني المفقود
الثلث الأخير من ربيع الأول 683 وشهر ربيع الثاني 683	انتقاله ما بين تونس وطرابلس	
أواخر جمادى الآخرة 683	انتقاله ما بين مصر والقاهرة والاسكندرية وبلييس وطموش	
آخر شعبان 684	توجهه إلى الشام والإقامة في دمشق والقدس وبعلبك وحرم الخليل وغيرها	ولا ندري تفصيل ذلك بسبب فقدان الجزء 4
الجمعة 1 شوال 684	سفر ابن رشيد من ظاهر دمشق على موضع يسمى ميدان الخطى	
الاثنين 11 شوال 684 (عصرا)	الخروج من دمشق إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والمبيت بموقع يسمى القيسارية على ضفة النهر	
الثلاثاء 12 شوال 684 (سحرا)	الشروع في الرحلة إلى بصرى ولقاء منازل على الطريق	لم يذكرها ابن رشيد

¹: وقد نبهني الأستاذ عبد القادر زمامة إلى ان ابن رشيد زار تلمسان مرتين انظر التفصيل في مجلة المناهل عدد 22 ص: 550-551.

الجمعة 15 شوال 684	نزوله ببصرى والاقامة هناك ليتجمهر الناس لاستقبال الصحراء ليومي السبت والأحد 16 و17 شوال 684	وصف دورها بأنها منحوتة من الحجر
الاثنين 18 شوال 684 (ضحاء)	استقبال الصحراء والرحيل من بصرى إلى وادي الأزرق	لم يلق أحد من أهل العلم
الأربعاء 20 شوال 684 (مساء)	موافاة وادي الأزرق والإقامة هناك يومي الخميس والجمعة 21-22 شوال 684	وهو موضع يرفع منه الماء
السبت 23 شوال 684 (ضحاء)	الرحيل إلى جنار المعصم	ويزدحم الناس هناك وقد رأى ابن رشيد قدوم الركب الشامي في ستين ألف راحلة والبغال والحمير
الخميس 28 شوال 684	للوصول إلى جفار المعصم والاقامة فيه يوم الجمعة	ويعبئ الناس فيه الجيش ويتزين الرجال والفرسان بالأسلحة ويسرون وتسير خلفهم الرواحل ويشغلون فيه بالتعبئة بالخطب حتى تظهر كأنها مراكب بحرية وذلك لتعذر الخطب بأرض تبوك إلا على بعد منها اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في تعبئة الجيش
6 ذي القعدة 684 (ظهرا)	موافاة تبوك	
الجمعة 7 ذي القعدة 684	الإقامة بتبوك إلى يوم 8 من ذي القعدة	خفت الركاب واحتاجت القلوب ولمع البرق من آفاق طيبة تلك الساعة ما كان أطيها
ذي القعدة 684 (ربيع الليل الأخير)	الرحيل إلى طيبة	أخذ الناس منازلهم واغتسلوا وكحلوا للقدوم على الضريح الطاهر، فله
الأحد 23 ذي القعدة 684 (ضحاء)	النزول بطيبة	

<p>ما ابدع ذلك اليوم، وفيه ذهب الناس لزيارة المدفن والبقيع، بقيق العرقد المعروف بحش كوكب. وفيه قصب وزروع وبطيخ ودبا وقطاني</p> <p>وهو موضع احرام</p> <p>استقبال أهل مكة وأطفالها للركب في يوم نزل فيه المطر الوابل (مع ابن الحكيم) رؤية العجب: وهو إيقاد الشموع بالجبل الواقع وسط عرفات المعروف بالال، وهنا لقي ابن الحكيم واما محمد المرجاني، وقد استنكر ابن رشيد ذلك</p> <p>يوم النحر الإشارة إلى حادث منع أصحاب البيت له من الدخول إليها إلا بعد إعطاء ما يرضيهم الاستعداد لفقول ابن رشيد من الحج</p>	<p>الوصول إلى وادي الصفراء موافاة بدر</p> <p>الرحيل من وادي الصفراء الوصول إلى رابغ الوصول إلى خليص موافاة بصرى</p> <p>الرحيل من بصرى إلى مكة</p> <p>التوجه إلى منى ثم إلى العقبة</p> <p>الذهاب إلى عرفات والمبيت بها ومن مكة إلى منى</p> <p>بعد طواف الإفاضة</p>	<p>السبت 29 ذي القعدة 684(غدوة)-(ظهرا)</p> <p>الأحد 30 ذي القعدة 684 1 ذي الحجة 684 الأربعاء 3 ذي الحجة 684 ذي الحجة 684 (الربع الأول من الليل) ذي الحجة 684(الليل الآخر)</p> <p>الأحد 7 ذي الحجة 584</p> <p>الاثنين 8 ذي الحجة 684 (ليلا)</p> <p>10 ذي الحجة 684 الخميس والجمعة 11 و12 ذي الحجة 684</p> <p>14 ذي الحجة 684</p>
---	---	---

الإياب

الزمن	المكان	ملاحظات
28 ذي الحجة 684	توديع مكة	وقد أودعوها الأرواح ورحلوا
الأربعاء 1 محرم 685 (ليلا)	المكرمة (الاستعداد) توديع مكة المكرمة إلى موضع يسمى مطرح الغزالة	بالأشباح
الأربعاء 1 محرم 685 الخميس 2 محرم 685	السفر إلى وادي الصفراء النزول في مكان لم يسم له	
الجمعة 3 محرم 685	الوصول إلى ينبع	كان اليوم قائظا وكاد الناس يموتون عطشا وقد أقبل المغنون على الركب بالترحيب (والعامّة تقول الينبوع) لأجل الاستراحة
السبت والأحد 4-5 محرم 685	البقاء بينبع	وبها ماء
الاثنين 6 محرم 685 (ظهرا)	الرحيل من ينبع	
8 محرم 685	موافاة المغيرة	
الخميس 9 محرم 685 (ليلا)	مغادرة المغيرة	
الجمعة 10 محرم 685 (طلوع الشمس) (ظهرا)	موافاة الحوراء التوجه إلى منازل منها الوجه سلمى عيون القصب	فيها واد فيه شجر الاراك وما رد للشارب وكان اليوم يوم عاشوراء وهناك تلقاهم القادمون من الشام بالدقيق والتين والخروب
محرم 685	نزوله بالقاهرة ومصر	
الجمعة 22 صفر 685	الانصراف عن مصر	وابن رشيد شاك من الرمد (والله آمل الشفاء والعافية)
الأربعاء 27 صفر 685	الوصول إلى الاسكندرية من مصر إلى القاهرة	والحالة من الرمد مشتدة، وقد منعه ذلك من استيفاء أغراض عدة
الثلاثاء 4 ربيع الأول 685	التوجه إلى الاسكندرية	ولم يكن توجهه إلها عازما على التغريب ولكن لأخذ كتب كان أودعها هناك
27 ربيع الأول 685	سفره في بحر	برفقة الوزير ابن الحكيم

الاسكندرية	سفره في طريق، ومرسى	أواخر ربيع الأول 685
مرسى هواره المعروف بقصر احمد	هواره وصحراء برقة	
البقاء فيها إلى يوم الأربعاء	موافاة مدينة طرابلس	1 ربيع الآخر 685 (غدوة)
وهي بلد حسن وفيها ناس فضلاء،	السفر من طرابلس	الأربعاء 3 ربيع الآخر 685
وقد أشار إلى الخوف من العدو		(ضحاء)
البحري		
مدينة حسنة ولكنها مخربة	موافاة المهديّة	10 ربيع الآخر 685
	عزمه على السفر من	(منتصف الليل)
	بلاد تونس إلى بلاد	الخميس 14 ربيع الثاني 685
	المغرب	
	البقاء في المهديّة	16 ربيع الآخر 685 (ضحاء)
	والسفر منها	
وهي مدينة أصابها الخراب كالمهديّة	الوصول إلى سوسة	16 ربيع الآخر 685 (بعيد)
		(العصر)
المبيت عند عجوز صالحّة، والإشارة	السفر من سوسة إلى	الأربعاء 17 ربيع الآخر 685
إلى اكتراء الحمير لاستعمالها	الحمامات	(صباحا)
في جو من الأمن والاطمئنان	السفر من الحمامات	18 ربيع الآخر 685 (ضحاء)
	والمرور على المياه	
	والقرى	
وكان هو وصحبه أول من دخل	السفر من دار العجوز	الجمعة 19 ربيع الآخر 685
بابها وتلقاهم هناك الأصحاب لما	الصالحّة والوصول	(قبل طلوع الشمس)
سمعوا بوصولهم	إلى تونس	
وذلك مع رفيقه ابن الحكيم لعدم	المكوث بتونس	العشر الأخير من رمضان 685
وجود جفن (مركب) للسفر فيه		
وعزمه على السفر مع مجموعة من	البقاء بتونس	دخول عام 686 يوم الأحد
الأصحاب		
وذلك في مركب النصرانيين، وفيه	الإقلاع من تونس	الخميس 14 ربيع الثاني 686
تجار مسلمون، في جو من الاضطراب	والرجوع إلى الوطن	
والحال قد تفاقت بين التجار	الدخول إلى بونة	السبت 7 جمادى الاولى 686

وصاحب المركب وقد أقام فيه يوما أو يومين	الدخول إلى مرسى اشتورة	الخميس 12 جمادى الأولى 686
وفيه ذكر العدو قصمه الله، وخبر استيلاء العدو على جفن الدلائي وخبر تغير الريح على المركب بعد أن ساعدت الريح بعض مساعدة	الوصول إلى مرسى برشك	الأحد 22 جمادى الأولى 686 (عشاء)
وقد تغيرت الريح، فنزل من في المركب مع بعض الأصحاب. ثم سار في البر وبات تلك الليلة بالمنزل المعروف ببزليانة	الوصول إلى جهة ناروجة	الثلاثاء 1 جمادى 2
لقاؤه صاحبه ابا زكرياء الرنداحي، ووصول إلى ابن الحكيم الذي كانت بينهما معاهدة ومعاقبة أنه ان تمكن له دخول الأندلس ما يتوجه على بلده إلا بعد الاجتماع به بعد مאלقة والتوجه إلى ابن الحكيم	موافاة مرسى مرية بلش مאלقة ومنها إلى بزيانة	الثلاثاء 1 جمادى الثانية 686 (بعد الظهر)
	موافاة مאלقة	الأربعاء 2 جمادى الأخرى 686
	المبت بقصر بثيرة موافاة رندة	الخميس 10 جمادى 2 الجمعة 11 جمادى 2 (اثر صلاة الجمعة)
	انصرافه من رندة	الجمعة 18 جمادى 2 (بعد صلاة الجمعة)
	الوصول إلى الجزيرة الحضراء	الجمعة 20 جمادى 2 686
	انتهاء السفر والوصول إلى الوطن	الاثنين 22 جمادى 2 (ضحاء)
بعد تعيينه للخطابة بعد قضاء سنوات في سبتة	موافاته غرناطة	692 هـ
	قدوم ابن رشيد من الأندلس إلى سبتة زائرا	706 هـ

المبحث الخامس: أهم المصادر التي كان يرجع إليها ابن رشيد وينقل منها في رحلته

ما أكثر تلك المصادر التي كان ابن رشيد يذكرها في رحلته، وما أهمها وأشملها لمختلف العلوم والفنون التي تحتفظ لنا بالتراث. وإذا تجاوزنا في إيراد أسماء هذه المصادر فإننا نعتبر:

1- أن جميع شيوخه وأصحابه الواردة أسماؤهم في الرحلة مصادر مباشرة لأغلب نصوص الرحلة، لأنهم هم الذين كانوا يمدونه بالإنشادات والروايات والفوائد والأخبار.

2- وأن جميع الكتب الواردة فيها بغض النظر عن النقل أو الأخذ منها أو تعيينها، كذلك مصادر لتلك النصوص لأن لها اتصالاً وثيقاً بثقافته وثقافة أولئك الشيوخ والأصحاب، وهي التي كانت تحدد لهم اتجاهاتهم وتخصصهم في فن معين من المعرفة، ومن تلك الكتب كان ينقل هؤلاء الشيوخ ومنها يروون وفيها كانوا يدرسون.

3- وإن أسماء الأشخاص والكتب التي جمعتها في هذه الجداول تعد من أهم المصادر التي كان ابن رشيد ينص على النقل منها وينبه عليها في معرض الإحالات أو إيراد التعليقات والإفادات.

أ- كتب الحديث والفقه والتفسير

وَالْأُصُولُ وَالْأَحْكَامُ وَالزَّهْدُ وَالتَّصَوُّفُ وَالتَّعْبِيرُ

الكتاب	الرحلة	المؤلف	ملاحظات
اتخاذ المنبر	94/3	ابو القاسم بن هبة الله بن عساكر	
اختلاف قول مالك وأصحابه	58/3	ابو عمر يوسف بن عبد البر النبي الأندلسي	
الأربعين	67/3 و 18/6	ابو عبد الله القاسم بن الفضل بن محمود الثقفي	
الأربعين حديثاً من رواية المحمدين المخرج من صحيح البخاري لابن مسدي	26/5	تخريج ابي بكر محمد بن علي بن ياسر الانصاري الجبالي	قسمه إلى أربعة فصول في كل فضل عشرة أحاديث وحكاية
الأربعين السبعيات	103/3 - 111 - 6/1	ابو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوي	
ارتقاء الرتبة باللباس والصحة	110/3 و 111	المؤلف ابوبكر محمد بن احمد القسطلاني	وقد بين فيه طرق لباس الحرقة
أرجوزة في أصول الفقه (في الفرائض)	61/7	ابو اسحاق ابراهيم بن فرقد	
الارشاد	110/3 - 111	ابو يعلى الخليلي	
الاستيعاب	46/2 و 68/3	ابو عمر بن عبد البر	
الأطراف	12/5	ابو القاسم ابن عساكر	
الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه	66/3 و 101/6	ابوبكر محمد بن احمد الحازمي	وهو من أجل الكتب ومقدمته المهمة في الترجيحات خاصة انظر ص (7-23)
اكمال المعلم	22/6	القاضي عياض	
الامالي	96/3 - 100	ابو الحسن بن ميله	
الامالي	5/3	ابو الفتح نصر المقدسي	
الانتقاء في فضائل الثلاثة	54/5 مكرر	ابو عبد البر النمري	
الفقهاء			
إبصار النقل لآثار	82/6	محمد بن احمد بن الجلاب	

وهو المختصر الوجيز الجليل	ابو العباس بن سرور المقدسي	36/7	الفضل البدر المنير في علم التعبير
	زاهر بن طاهور الشحامي	28/5	تحفة عيد الأضحى
	ابو محمد مكي	58/3	التذكرة
	ابو عمرو بن الحاجب	23/5	ترتيب الرحلة
وهو التقاسيم والأنواع في الحديث	ابو حاتم بن حبان البستي	37/5 مكرر	التصحيح
	ابو الفرج ابن الجوزي	65/7	تلبيس ابليس
	ابن عبد البر النمري	11/5	التمهيد
	مسلم	12/5	التمييز
	ابو داوود النسوي	12/6	التمييز
	ابو موسى الرعيني الرحال	10/5	الجامع للمصنفات الجوامع
	ابو اسحاق إبراهيم بن ديزيل	80/3	جزء
	ابن عرفة	122/3	جزء
فيه الأحاديث التي ذكر فيها الصوت	ابو البركات الدميري	103/3	جزء الصوت
	مالك	106/3	جزء (الانتزاع)
	ابو الحسين احمد بن محمد بن العلاء	57/6	جزء
	رواية الشيخ ابي طاهر محمد بن عبد الرحمان بن العباس المخلص.	19/3 مكرر	الجزء الأول من الفوائد المنتقاة الغرائب العوالي عن الشيوخ الثقات
ذكر فيه الأحاديث الواردة في الحمام	ابو القاسم عبد الرحيم بن طلحة الانصاري	74/5	جزء
كتبه ابن الظاهري لابن رشيد إلى أمراء الطرائق الجزء العاشر	ابو بكر محمد بن عبد الله الشافعي	97/3	جزء من الغيلانيات
تخريج خلف الواسطي	ابو الحسن علي الخلعي	80/5	جزء من الخليليات
	رواية الحسن احمد بن زريق المخزومي	105/3	جزء العشرين الصحيح
	عبد الملك الاصمعي	70/3	جزء فيه حكايات
	ابو العباس محمد بن يعقوب	102/3	جزء من حديث

جزء فيه كرامات الحرالي	41/2	جمع تلميذه السلاوي	الاصم
الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة	29/2 و 21/5 - 23	ابو محمد ابن شاس	أبدع فيه مذهب مالك
حلة الناسك في صفة الناسك		ابو عمرو ابن الصلاح	
الخلعيات	73 - 21/3	ابو الحسن الخلعي	
الدلائل (في الحديث)		قاسم بن ثابت السرقسطي	
سباغيات	119/3	ابو بكر بن العربي	وطر عليها
سنن	44 - 4/2	ابوداود	وانظر ايضا 5/3 و 50/5
سنن	46 - 45/2	الترمذي	
سنن	120/3	ابن ماجة	
الشامل (في أصول الدين)	23 - 21/5	الامام الجويني	اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعي على الإطلاق
شرح البخاري		حاتم الطرابلسي	الأصل العتيق
شرح البخاري	22/6	ابو محمد الصفاقسي	يعتمد عليه ابن رشيد
صحيح	5/2	البخاري	35/3 - 11/6 - 19 - 21
صحيح	51/3	مسلم	بلغ ابن رشيد ان ابن الصلاح علق طورا مفيدة على صحيح مسلم استعان بها يحيى النواوي في شرحه لصحيح مسلم ولكنه لم يقف عليه
الصريح من فرع الصحيح	23/5	ابو عمرو بن الحاجب	
الصغفاء	13 - 6/3	ابو الفرج بن الجوزي	
عارضة الاحوزي	65/7	ابو بكر بن العربي	
كتاب	65/5	ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي	الذي جمعه في أسماء ما احتوى عليه الصحيحان من الرجال
كتاب	20/5	الشافعية	
الكشاف	66/5	الزحشري	

المأخذ	11/5	ابن المواق	مر ذكره (انظر كتيب ابن رشيد)
الحفال السامية			
المجالس الخمسة	66/3	ابو الطاهر السلفي	املاها بسلامس مطبوعة 1994
المختصر الوجيز	36/7	المقدسي	انظر (البدر المنير)
مطالع الأنوار	59/7	المؤلف ابن قرقول؟	اختاره ابن رشيد من مكتبة ابن الحكيم
المعجم الصغير	35/3	الطبراني	
المعجم الكبير	124/3	الطبراني	
معرفة أنواع علم الحديث	49/3 13/2	ابن الصلاح	انظر 33/5 و 11/6
الملخص	44/2	القابسي	انظر 26/6 - 27 - 54 مكرر
المنتقى	79/3	ابو عبد الله بن خلفون	
المنتقى (في الأحكام)	122/3	ابن الجارود النيسابوري	
نصرة المذهب	24/5	ابونصر بن الصباغ	
النصحية	26/6	ابوجعفر الداودي	
نهاية الطالب في تحقيق المطالب	89/3	ابو المعالي الاصفهاني	وهو مقدمة لكتاب المحصول تأسيا بمستقصى الغزالي لم ينسبه
النهاية	20 - 18/5	؟	

ب: كتب الأدب واللغة والنحو

	ابن خفاجة	70/6	شعر
	ابن الرومي	75/5	شعر
	ابي الحسن حازم	40/7	شعر
	المتنبي	25/7	شعر
ويجدر بنا أن ننبه هنا على أن هذا الكتاب ليس في حكم الضياع لأنه أورد له قصة طريفة في الرحلة مثلما ذكر في جذوة المقتبس 223 والنفح 4/48 ومعجم الأدياء لياقوت 281/11 والمعجب للمراكشي 51 وغير ذلك بل انه قمطبوع الآن.	صاعد الريعي البغدادي	20/6	كتاب النصوص
	المبرد	32/2 و 85/6	الكامل
	ابي الحسن حازم	37/6	مسودات
	ابن سعيد	3/7	المشرق في محاسن أهل المشرق
	ابن سعيد	28/7	المغرب في حلى المغرب
	سبويه	19/3 و 1/2	كتاب
وقد ذكر ابن رشيد أغلبها	ابن عصفور	92/6	مؤلفات
	ابو الحسين بن ابي الربيع		الكافي في الإفصاح
	ابن الانباري	21/3	الكافي
	ابن الحاجب	90/3	الواقية بنظم الكافية

ج: المعاجم

البارع	17/5	ابو علي القالي	
الصاح	32/2 و 17/5	الجوهري	
مختصر العين	68/3	الزبيدي	
مشارك الانوار	50/3	القاضي عياض	في الحديث
معجم ما استعجم	3/5	ابوعبيد البكري	

د: الفهارس والمشيخات

برنامج	51/5	محمد بن هشام	ابو بكر الصوفي
برنامج	18-16/6	ابو الربيع بن سالم	
التكملة في وفيات النقلة	100/3	زكي الدين المنذري	الحافظ (النسخة مخططة)
رجال موطأ مالك	29/5	محمد بن يحيى	الجزار
كتاب الطبقات	90/6	ابو البعاس الغرناطي	المفسر التاريخي
فهرست	27/2	ابوجعفر الفهري اللبلي	جمع فيها اسمعته وقف عليها ابن رشيد وعلق منها اكثرها وفيها اسانيد لا يوجد أكثرها بهذه البلاد المغربية
فهرست ابي بكر بن حيش	4/2	جمع ابي العباس الاشعري	34/6
كراسة الكني	29-28/6	ابن عبد القادر البجائي	حررها ابن رشيد في
الكني	78/3	ابن عبد البر	
الكني	79/3	مسلم	
معجم مشيخة	9/5	ابو عبد الله ابن مسدي	جمال الدين الحافظ
معجم مشيخة القاضي	69-64/6	ابن الآبار	
ابي علي الصدي	75/6	القضاعي	
مشيخة اجازة	2/3	الشرابي المتطبب	
مشيخة	3/3	ابو القاسم الهمداني	عبد الرحمان بن سليم
مختصر (مختصر) مشيخة	20/6	ابو عبد الله التجيبي	نزىل تلمسان
من مشيخة ابي علي التجيبي			

هـ: كتب التاريخ وما يتصل بها

85/3 و 11/3 - 98	ابن الأثير	35/6	التاريخ
الرحلة 112/3 وكشف	ابو نعيم الاصبهاني	97/6	تاريخ اصبهان
الظنون 288/1.	البخاري	-12/3	التاريخ
		76	
بغية الطالب في تاريخ حلب	ابن البخاري	12/3	تاريخ بغداد
انظر 11/5	ابن العديم	112/3	تاريخ حلب
	ابوبكر الحازمي	6/3	العجالة (في الانساب)
	ابو الوليد الازرقى	18/5	كتاب مكة
	محمد بن عيد الحميد	57/5	كتاب
	ابن الصباح		
التي دفن فيها السلفي وابو		20/3	مقبرة وعلة
بكر الطرطوشي وابن هزمر			

و: المحدثون والأدباء وغيرهم ممن اعتمدتهم ابن رشيد في رحلته

ومن أسماء المحدثين والفقهاء والقضاة والمفسرين والأدباء واللغويين الذين وردت اسمائهم في الرحلة، والذين لهم اعتبار فيها، ممن كان ينقل ابن رشيد مباشرة من كتبهم، أو يرجع إلى آرائها أو يثبت نصوصا من كتاباتهم: ابن عبد السلام (عز الدين)¹ وابن عزيز² ومحمد ابن عبد الله بن عبد الحكم³ الفقيه المالكي المصري، والزحشري⁴ وابو بكر بن نقطة الحنبلي⁵ وابو الحسن القاسبي أمام علم الحديث في وقته⁶، وابن القاسم⁷ وابو الربيع بن سالم وكتابات⁸ والازرق⁹ وابو زكرياء النووي¹⁰ وابن الحاجب¹¹ وابو عبد الله محمد بن احمد بن كلبون الذي كان يقرأ ابن رشيد بخطه¹² وابو الحسن اللخمي¹³ والشافعي¹⁴ والقاضي ابو الطيب¹⁵ وابو محمد ابن شأس¹⁶ وابو حامد الاسفرايني¹⁷ وخليل بن بدران الحلبي الذي قرأ ابن رشيد بخطه¹⁸ وعلي بن حسن بن جعفر بن احمد التفليسي¹⁹ والقاضي عياض²⁰ ومالك بن انس²¹ وابن المواز²² وابن المواق²³ وابو نصر الصباغ²⁴ ومحمد بن عبد الحميد بن الصباح²⁵ وابن

¹: الرحلة 59/3.

²: 19/5.

³: 19/5.

⁴: نفسه.

⁵: 18/3 - 66 - 103.

⁶: 38/2 و 24/5.

⁷: 58/3.

⁸: 35/6.

⁹: 19/5.

¹⁰: 24/6.

¹¹: 18/5 - 19.

¹²: 86/3.

¹³: 19/5.

¹⁴: نفسه.

¹⁵: 22/5.

¹⁶: 18/5.

¹⁷: 22/5.

¹⁸: 43/3.

¹⁹: 108/3.

²⁰: 59/3 و 22/6.

²¹: 53/6.

²²: 19/5.

²³: 11/5.

²⁴: 22/5.

²⁵: 57/5.

السكيت¹ وابو الحسين البسطي (ابو الجيش الانصاري)² وابن الابرار³ وابن عميرة⁴ وابن الجلاب⁵ وشرف الدين ابو محمد التلمساني الاصولي⁶.

ومن بين اصحاب ابن رشيد الذين يلحقون بعداد اولئك: ابنا حيان النحوي والشاطبي وابن سامة الدمشقي وابن عاصم الرندي وابن عبد الملك وابن المراتب وابن مبارك وابن الحكيم وسعد الدين الحارثي وابو العباس الاشعري وابن جون المراكشي⁷.

1:

2: 2/6

3: 49-6/6

4: 26/2

5: 75/6

6: 89/3

7: انظر تراجمهم في أصحابه وشيوخه.

المبحث السادس: ذكر من لقيهم ابن رشيد

من الشيوخ والأصحاب

وفيه شيوخه واصحابه بمدينة سبتة وفاس - ومراكش -
والجزيرة الخضراء - والمرية - ورندة وشقر - وغرناطة -
ومالقة - ومنورقة - وبجاية وبونة - وتلمسان - وتونس -
وسوسة - والمهدية واطرابلس - والاسكندرية - وبلبيس -
وحمامة مصر - والقاهرة - ومدينة مصر - وحرم الخليل -
ودمشق - ونابلس - والمدينة المنورة - ومكة المكرمة .

أ - ذكر من لقيهم ابن رشيد بسبته.

1- ابو اسحاق التلمساني (609-697هـ)

هو ابو اسحاق إبراهيم بن ابي يحيى بن ابي بكر بن عبد الله المربي التلمساني الانصاري البسطي¹، استوطن غرناطة ثم رحل إلى مالقة ثم على سبته وتزوج بها أخت مالك بن المرحل. وصفه ابن رشيد بالشيخ الفرضي الأديب البليغ المتقن المحقق الفاضل الفقيه الشاعر. وكان إلى جانب ذلك (عارفا بعقد الشروط) مُبرّزا في العدد ونظم الفرائض وهو ابن ثمانية وعشرين سنة، وخبر منه ابن عبد الملك في تكراره عليه حضور ذهن وتواضعا وحسن إقبال وبراء، وتخالفا في هيئته ولباسه يكاد ينحط عن الاقتصاد حسن المؤلف والمعروف بسبته².

لما وافى ابن رشيد سبته قافلا من الحج كتب إليه ابو إسحاق في الجواب عن الاستدعاء الذي كتبه ابو الفضل التجاني لابن رشيد ليأخذ به إجازات الشيوخ والأصحاب³، وقد تناوله منه إن لم يكن سمعه وهو:

انا سكيت حلبة قد أجابوا * * * فاجازوا ما استوهبوا من أجازه

(الخفيف) (15 بيتا)⁴.

وقد أخذ التلمساني عن الشلوين وابن عصفور وابن عميرة وابي بكر محرز وروى البخاري سماعا عن ابن مودود الفارسي عن الحماصي عن ابي الوقت السجزي، وله من المؤلفات التلمسانية المشهورة في الفرائض وله شعر وكتب⁵.

¹: الرحلة 49/7.

²: الاحاطة 326/1.

³: الرحلة 46/7.

⁴: انظر هذا البحث ص: ومجلة المناهل عدد 17 ص: 97 (ذ محمد المنوني).

⁵: فهرست الوادي أش 31، نيل الابتهاج 90- 91 واختصار الأخبار 18 ودرة الحجال 177/1 ترجمة 228، البستان 56-55، معجم المصنفين 573/4 السنن الابين (مقدمة) 55. هدية العارفين 13/1. ايضاح المكنون 513/2 شجرة النور 202/2 ترجمة 695 معجم اعلام الجزائر 9. اعلام المغرب العربي للأستاذ عبد الوهاب بن منصور 107/1 ترجمة 111. دعوة الحق ع: 1 س: 12 1968 : 125 (ذ محمد المنوني).

إبراهيم بن محمد بن عيسى الغافقي الاشيلي البليقي استاذ الطلبة وامام الحلبة، والمحدث الضابط الراوية الحسيب. وقال عنه ابن حبان الشاطبي العالم الزاهد الأكمل الفقيه الفاضل¹، وكان فريد قطره وواحد عصره وعمدة طلبة الموثقين لما استفاده في مجلسه من فنون العلوم، وقد دون في علم العربية وغيرها كتباً نافعة، وله تقايد حسنة في علم العربية².

اتصل به ابن رشيد وروى عنه وكان يسميه بصاحبه³، ومن الافادات التي اخذها عنه قول ابن دقيق العيد: "ما وقفت على كتاب من كتب الحديث وعلومه المتعلقة به سبقت بتأليفه وانتهى إليّ إلا أودعت منه فائدة في هذا الكتاب، أي كتاب الامام في أحاديث الأحكام إلا ما كان من كتاب التاريخ الكبير للإمام أبي عمر الصوفي فإنني لم اره"⁴.

وقد لازم الغافقي أبا الحسين بن أبي الربيع بسبته وتصدر بعد وفاته للإقراء في مكانه، وأخذ القراءات فيها عن ابن الحضار الكتامي وروى عن المسند المسن أبي عبد الله بن سليمان، والأديب الفرضي مالك بن المرحل والقاضي أبي عبد الله بن عمران.

وكان يعتمد عليه ابو القاسم الوزروالي في قراءة القرآن، وعلى الخطيب ابي جعفر بن الزيات من أهل بلش مالقة. وعليه كان اعتماد شيخ النحاة بحضرة غرناطة الاستاذ ابو عبد الله الخولاني⁵. وممن قرأ عليه ابو عبد الله الوادي آش⁶ وغيره.

وسمع الغافقي على محمد بن عبد الرحمان بن جوهر والقاضي محمد بن عبد الله الازدي السبتي والحافظ ابي يعقوب المحاسني السبتي وابي بكر محمد بن مشليون.

¹: الرحلة 23/2.

²: درة الحجال 176/1 ترجمة 227.

³: الرحلة 62/3.

⁴: الرحلة 62/3 وانظر كشف الظنون 158/1. وكتاب الإمام مطبوع الآن.

⁵: الرحلة 62/3 وانظر فهرست الوادي آش 29.

⁶: وانظر عنه أيضا الوادي آش 29 والمرتبة العليا 133 ونيل الابتهاج 249 بغية الوعاة 74- 82- 177- 319. وشذرات الذهب 38/6 ودرة الحجال 176/1 والمنهل الصافي 18/1، غاية النهاية 8/1، والدرر الكامنة 13/1 وذيل العبر 9/17 والمنهل الصافي 18/1، ودول الإسلام 170/2 وروضات الجنات لمحمد الخوانساري 45/1- 75 ومعجم المؤلفين 7/1 واعلام المغرب العربي 109/1 ترجمة 114.

3- ابو بكر بن يربوع

هو ابو بكر بن يربوع الكلبي الشريشي، وصفه ابن رشيد بالفقيه الكاتب المتفنن.

وحكى ابن يربوع له قال: "بعث إلى جدي الفقيه الأديب الطيب ابي بكر بن رفاعة رحمه الله صاحبه الوزير الأديب ابو عمر بن ابي محمد رئيس مدينة شريش إذ ذاك، يجين فكتب إليه جدي ابو بكر¹.

(السريع)

قد أقسم الجبن على حرد * * لا ينثني عن صحبه الزيد

ومنها واختصموا في حكم إيمانهم * * وغلبوا الاوحد في المجد

فوجه الدرمة² يقضي لهم * * بالجمع في مائدة الحمد

اكرم به من حاكم فاضل * * قد اوتي الحكمة في المهد³

وقد علق ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله: "وهذا من السهل البديع الممتنع

الرفيع".

4- ابو العباس العزفي (707 و708هـ)

ابو العباس احمد بن ابي طالب⁴ (عبد الله بن محمد)⁵ العزفي من بيوتات سبتة،

الأديب الحسيب وقد ورد ذكره في الرحلة عرضا بمناسبة إنشاد ابي حيان الغرناطي لبعض شعر ابي اليمن عبد الصمد بن عساكر، وذلك لما بعث إليه أحد أصحابه فتى اسمه محمد يستدعي منه الختمة فوجهها إليه وكتب معه:

¹: الرحلة 98/6.

²: الدرمة: الدقيق النقي الخواري، ويقال الدرمة أي الخبز الحواري (لسان للعرب، أساس البلاغة)

³: انظر رحلة العياشي 253/2 واختلاف الرواية.

⁴: الرحلة 75/5.

⁵: درة الحجال 11/1 ترجمة 7 ولنظر أيضا عنه ذكريات مشاهير كنون ص: 5 وبرنامج الرعيني (مقدمة ص: ع).

وفهرست التجيبي 72.

مولاي ان محمدا وافى إلى * * عليك بالركن الحكيم رسولا
علقت به روح الأمين صباة * * فعليه نزل حبه تنزيلا
وهذا المعنى ينظر إلى ما انشده ابو العباس العزفي بنفسه:
(مجزوء البسيط)

وعدتني أن تزور يا أملي * * فلم أزل للطريق مرتقبا
حتى إذا الشمس للمغيب دنت * * وصيرت من ليلتها ذهبا
أيأسني البدر منك حين بدا * * لأنه لو ظهرت لاحتجبا

5- أبو العلا الانصاري

هو ابو العلا ادريس بن محمد بن موسى الانصاري، وصفه ابن رشيد بالأستاذ
المقري، وقال له أنه استفاد منه وقرأ عليه كثيرا في جملة كتب، ولكنه لم يقدم له بترجمة،
ولم يحدد مكان القراءة ولا زمانها ويرجح أن يكون ذلك في سبئة أيام الصبا، لأن ما
أورده ابن رشيد من هذا الخبر ليس إلا تقييدا من تقييد رحلته¹.

ويروي ابو العلا عن الجد للأم الخطيب ابن جعفر بن يحيى والقاصي ابي محمد
بن حوط الله وغيرهم.

6- خلف القبتوري

أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف القبتوري الاشيلي الغافقي،
وصفه ابن رشيد بشيخ الكتاب وخاتمة أهل الآداب، وشيخنا أبي القاسم² الكاتب البليغ
الفاضل من له في صناعة الأدب القدم والقدم والرسوخ³ وبشيخنا البليغ الناظم النائر⁴.

¹: الرحلة 16/2.

²: الرحلة 24/2.

³: الرحلة 46/7.

⁴: وفتح المتعال باب 3.

كتب القبتوري لأمير سبتة لأنه كان له في الترسل باع مديد ونظم رائع مع التقوى والخير¹، وكان محدثا ونحويا ولغويا².

لازم ابن رشيد خلفا وافاده من أدبه، شعره ونثره ونحوه، وقد اتصل به من قبل الرحلة وبعدها لوثوق العلاقة بينهما. ومن الإنشادات التي افاده بها ما قدمه له لما وافى ابن رشيد سبتة وطنه من قصيدة يستجيز ابا الفضل التجاني وقد التزم فيها ما لا يلزم: (الوافر)

البي من أهاب لأن يجازي * * ابا الفضل المعجز ان يجازا

(15 بيتا)³

وبما ان الجزء الأول من الرحلة ليس بأيدينا فإننا نفقد كثيرا من أخباره وشعره، ونستدل على ذلك بما اورده صاحب كتاب فتح المتعال نقلا عن الرحلة.

قال: "قال ابن رشيد رحمه الله: ولما وافيت سبتة بلدنا حماها الله عائدا من وجهتي أريت ذلك المثال شيخنا... ابا القاسم القبتوري، فنظم في ذلك قصيدا وكتبه لي بخطه واسمعه لي من لفظه: (الطويل)

تبصر تمثالا لنعل مشت بها * * خير الورى طرا واسناهم قدم

(31 بيتا)⁴.

وقد أخذ القبتوري عن ابي الحسن الدباج وابي الحسين بن ابي الربيع وغيرهما، وأجاز له جماعة من اهل المشرق⁵ وروى عنه سعيد الحميري المالقي⁶. وله تصانيف

¹: الدرر الكامنة 85/2-86.

²: رسائل ديوانية من سبتة 36.

³: الرحلة 46/7 والمناهل عدد 17 ص: 89: "الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية: ذ المنوني"

⁴: فتح المتعال باب 3-4.

⁵: درة الحجال 262/1 ترجمة 394.

⁶: نفسه 297/3.

ومنظومات رواها المنتوري صاحب الفهرست عن ابن فرج عن الوادي آشي عن القبتوري¹،
وروى عنه الحضرمي جميع رحلة ابن رشيد².

7- ابوفارس الجزيري (617 - ...)

هو عبد العزيز بن المحدث الفقيه إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد
الرحمان الجزيري نسبة إلى جزيرة شقر، التلمسني المولد السبتي الاستيطان الهواري³.

وصفه ابن رشيد باسند شيوخ بلده الذين أدركهم مولد ولده محمد وأشهرهم
ثقة وعدالة وأحسنهم سمنا وصمتا، الشيخ الفاضل العدل، وهو من صدور أعيانها⁴.

وقد ظفر ابن رشيد من سماعه لصحيح البخاري بإسناد لا نظير له في بلاد المغرب
جلالة رجال واتصال سماع وعلو صفة، مع أنه لا يخلو من علو مسافة، وكان مما رغب
عليه كذلك اسماع ابنه محمد فاجاب على ذلك، وكان سماع ابن رشيد وابنه في أصل ابي
محمد التجيبي القبطي السرقسطي المعروف بملاطس وابو فارس يمك اصله الذي يخط ابيه
وفيه سمع على شيخه ابي مروان الباجي، وروى عنه كذلك الحير المرفوع إلى ابي محمد
التميمي الذي يقول فيه: "يقبح بكم ان تستفيدوا منا ثم تذكروننا ولا تترحمون علينا
فرحم الله جميع من حملنا عنه ورحم من ترحم علينا⁵.

وسمع الجزيري على ابي الحسن الغافقي الشاري⁶ بقراءة ابي الحسن الرعيني كتاب
الجامع للبخاري وكان في الأصل العتيق الذي يعز نظيره وهو أصل الرواية المحدث المتقن
ابي بكر بن خير الذي يخط أبيه⁷.

¹: فهرست المنتوري 211.

²: وانظر عنه المشتبه في الرجال للذهبي 521/2، والواجي آشي 43 ونيل الابتهاج 9 وبغية الوعاة 315 ونفح الطيب
352/3 وشجرة النور 216 وروضات الجنات 288/4.

³: إفاة النصيح 5-7-114.

⁴: نفسه 9-7.

⁵: نفسه 113.

⁶: إفاة النصيح 105.

⁷: فهرست ابن خير 94.

وسمع الموطأ على والده، والبخاري على أبي الوليد الباجي والترمذي على أبي عمر العبدري، وأجازه من المشرق ابن الحاجب وأبو الحسن علي البغدادي النجار المعروف بان المقير، وابن الصلاح وغيرهم¹.

8- أبو الحسين بن أبي الربيع (ت 688 هـ)

عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الأشبيلي نزيل سبتة، وصفه ابن رشيد بشيخنا إمام النحاة وصدر العلماء السراة²، وبالإمام الاوحد العالم المتبحر رضي الله عنه³. وكان بعض أكابر علماء الشرق يسميه سيدنا أبي الربيع وذلك كبهاء الدين ابن النحاس الحلبي المشهور⁴ وقد كان إلى ذلك مفسراً ومقرئاً وأستاذ الاساتذة في عصره⁵ وإمام النحويين وأسوة الفرضيين⁶.

لم ترد ترجمة خاصة بهذا الرجل في أجزاء الرحلة المعروفة لفقدان الجزء الأول، كما أن المادة المتصلة به فيها ضئيلة جداً، وردت فقط بمناسبة اتصال ابن رشيد بابن النحاس ومجلسه العلمي بقاهرة مصر يوم الأحد 7 رجب 684 هـ عندما سأله عن ابن أبي الربيع وعما أخذ عنه، وقد تبين بفضل ذلك أن ابن النحاس أخذ هو أيضاً عنه بطريق غير مباشر كما يفهم من عبارة ابن النحاس: "أيعيش سيدنا أبو الحسين بن أبي الربيع؟"، قال ابن رشيد: قلت نعم فقال: ذلك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفادته علينا أو معنى هذا يعني شرحه لكتاب إيضاح الفارسي المسمى بالكافي في الإفصاح⁷. وورد له ذكر في الرحلة وفي ترجمة أبي الحسن بن رزين الذي ذكر له حكاية جرت بين أبي زكرياء بن الغليظ وأبي ذر الحشني إذ كان يداعب أحدهما الآخر على الطريقة الأدبية فذكرت هذه الحكاية ابن رشيد بما وضعه ابن أبي الربيع في كتابه قوانين العربية ومسألة نسيانه باب القسم وسقوطه كما سقط كتاب السلم للقاضي ابن عبد الوهاب، فاستحسن ابن أبي الربيع نباهة ابن رشيد وقال له بما يعني أنه سيكون كاتب

¹: وانظر عنه أيضاً إفادة النصيح 7-50-103-109-111-113-114- والوادي أشي 94، والسنن الابن: تمهيد 24 والصفدي 285/4 ت: 1805.

²: الرحلة 49/7.

³: الرحلة 82/6.

⁴: الرحلة 23/3.

⁵: البغية 81-9.

⁶: اختصار الاخبار 16.

⁷: الرحلة 23/3. وانظر جزءاً من كتاب الكافي: في خزنة الجامع الكبير بمكناس.

ذلك الباب¹. كما ورد ذكر ابن أبي الربيع في الرحلة أيضا بمناسبة قول مالك ابن المرحل شعرا على لسانه في إجازة أبي الفضل التجاني².

وقد اتصل ابن رشيد بإمام النحاة اتصالا وثيقا، فقرأ عليه بسبنة في حادثة سنة ما يقرأ طلاب العلم والعربية مثل القرآن الكريم وذلك بالقراءات السبع بكتاب التيسير لأبي عمر الداني وقرأ عليه الجمل للزجاجي والإيضاح للفارسي والكتاب لسيبويه.

وقد كان ابن أبي الربيع ذا صيت ذائع داخل المغرب وخارجه وذكر أنه لم يشذ عنه مسألة في النحو، وصنف عدة كتب منها شرح الإيضاح والملخص للقوانين الفقهية للجزولي وشرح كتاب سيبويه، وقيد تقييدا حسنا عليه، وكتاب الجمل في عشر مجلدات³، وتأثر بأستاذه الشلوين وفاق جميع تلاميذه فكان أجبههم وأفصحهم مما جعل أستاذه يرشحه ليتصدر لأشغاله ويساعده.

ومن أساتذته أبو الحسن الدباج، وابن هارون النيمي وابن بقي المقرئ بسبنة وغيرهم ممن ذكر في برنامجهم.

وأما تلاميذه فلا يحصون عدا ومنهم: ابن الشاط وابن عبيدة وابن عبد الملك وأبو الطيب السبتي مختصر شرح الإيضاح وأبو جعفر الكلاعي السبتي المالقي المحدث(ت 725) وأبو اسحاق الغافقي.

وابن حبان النحوي ومحمد بن إبراهيم السبتي المالكي(ت 695)، وابن الفخار الاركشي ومحمد الاشعري المالقي وأبو طالب القنجائري(ت 713) وأبو اسحاق السبتي القصري وابن شعيب وأبو البركات البليقي وأحمد الرصافي(ت 736) وابن مسون وأبو عبد الله الشراذي.

¹: الرحلة 82/6.

²: الرحلة 49/7 وانظر دراسة الشعر بعد.

³: انظر عن ابن أبي الربيع هدية العارفين 649/1 والجزء الأول من الكافي له خزانة جامع القرويين برقم 512 وكتاب القوانين له برقم 513 والجزء الأول من الكافي في الجامع الكبير بمكناس. وانظر أيضا المنتخب النفيس من شعر ابن خميس ص: 25 وبروكلمان 367/5 وفهرست الفهارس 333/1 ونفح الطيب 374/3 وورقات للأستاذ محمد المنوني 319 ودرة الحجال 70/3 ترجمة 990 والاعلام للمراكشي 245/3 ومعجم المؤلفين 236/6 وفهرست أبي عبد الله محمد بن محمد المجاري مخط بالخزانة الملكية(مجموع 2/1578 ومجلة البحث العلمي ع: 10 ص: 4 ص: 22 ذ. محمد المنوني والثقافة المغربية ع: 5 ص: 1971 ص: 100 ذ. محمد المنوني).

9- ابو الحسن بن الحضار الكتامي (ت 680 هـ)

ابو الحسن علي بن محمد بن الحضار الكتامي الضرير الاشيلي وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام الاوحد في العروض والقافية¹ وورد في الرحلة وصفه بالمقرئ² وكان الى ذلك من جملة العلماء محكما للقراءات وحفظها ونحويا ماهرا حسن التصرف في علم الكلام وأصول الفقه وافر الحظ منه³. وهو من تلمسان واحد من مقرئها المشهورين انتقل منها على سبنة وزاول فيها عمله، وفيها لقيه ابن رشيد وسمع عليه العروض والنحو وغير ذلك، وبهذا يكون الكتامي وابن ابي الربيع من الأساتذة الاجلة الذين لهم أثر كبير في شخصيته في سنيه الاولى في سبنة وذلك من حيث التمكن من العلوم اللسانية كالأدب واللغة والعروض خاصة.

ومما قرأ عليه كذلك حرز الأمان في القراءات

10- ابو القاسم بن الشاط

هو القاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الانصاري السبتي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المتفنن⁴ وبصاحبنا الفقيه الجليل صدر الأصحاب وقدوة أهل الآداب والأخذ من كل فن من العلوم باللباب⁵، وكان يسمى أيضا بعمدة المحققين⁶ والفقيه الاجل الاعرف، والشيخ الفاضل الاخلاق الحسن القبول والمؤانسة⁷ والعارف بالأصلين والفروع والفرائض والحساب⁸.

لما وافى ابن رشيد سبنة وطنه عرض الاستدعاء الذي كتبه ابو الفضل التجاني، على جماعة أشياخه وأصحابه فكتب فيه جميع أدبائهم ومن بينهم ابن الشاط: ومنه (الحفيف)

¹: الرحلة 6/6.

²: الرحلة 45/2.

³: الذيل والتكملة سفر 5 قسم 373/1 وروضات الجنات 518/5 و289 وبغية الوعاة 204/2.

⁴: الرحلة 16/2.

⁵: الرحلة 47/7.

⁶: الفروق لشهاب الدين القرافي 1/1.

⁷: درة الحجال 270/3 ترجمة 1324.

⁸: درة الحجال 270/3.

أيها المستجيز هاك الإجابة * * فاقتبس نورها وراع الوجازة

(22 بيتا)¹.

وقد أخذ ابن الشاط عن الحافظ المحاسبي واجازته ابن البراء وابن أبي الدنيا وابن الفخار وابن الطباع وابن أبي الربيع وابن الحباب وابن شبرين واجازته ابن هارون. وروى عن ابن مشليون والابذي وممن تفقه عليه الاصيلي² وابن مسون الامي³. وهومن جمع فهرستا لأبي الحسين بن أبي الربيع⁴ وله تأليف مفيدة⁵.

11- مالك ابن المرحل (604-699 هـ)

أبو الحكم مالك بن عبد الرحمان بن المرحل، كان ابن رشيد يصفه بشيخنا أبي الحكم، وبشيخنا الأديب الشهير شيخ الأدباء وإمام الشعراء البارع الفارع⁶.

وكان ابن المرحل ذا العلوم والآداب والقراءات وغيرها⁷، شاعرا مطبوعا رقيقا سريع البديهة رشيق الألفاظ ذاكرة للآداب واللغة، تحرف بصناعة التوثيق وولى القضاء مرات، وهو شاعر المغرب⁸.

لما اصحب أبو الفضل التجاني صديقه ابن رشيد استدعاء بخطه ليأخذ به خطوط الشيوخ والأصحاب كان ممن كتب في ذلك ابن المرحل وذلك على لسان شيخه أبي الحسين ابن أبي الربيع وهو لابن رشيد مناولة وإجازة إن لم يكن سماعا:

اكرم الله مستجيزا اتانا * * منه شعر سَامَى السماك وجازه

(26 بيتا)⁹

¹: الرحلة 47/7-48 المناهل ع: 17 ص: 92 (ذ. محمد المنوني).

²: نيل الابتهاج 126.

³: درة الحجال 58/2.

⁴: فهرست المنتوري 111 وفهرس الفهارس 331/1 ونيل الابتهاج 138.

⁵: درة الحجال 51/1، هدية العارفين 829/1-830 ومعجم المؤلفين 105/8 ونهاية الأندلس سفر 467/4 ومعجم

سركيس 118/1، دليل مؤرخ المغرب الأقصى 345/2/2، طبقات المالكية 520 فهرست الوادي أشي 116.

⁶: الرحلة 49/7.

⁷: فهرست الوادي أش 91.

⁸: جذوة الاقتباس 327/1.

⁹: الرحلة 49/7 والمناهل ع: 17 ص: 95-96 ذ. محمد المنوني وانظر الأدبيات في هذا البحث.

وكان بين ابن المرحل وابن عتيق الثعلبي مهاترات وملح¹ وله ديوان وأرجوزة في نظم كتاب التيسير معارضة للشاطبية ونظم كتاب الفصيح وغير ذلك².

وشيوخه كثر منهم ابن الفحام وابن بقي والدباج والشلوين وغيرهم كابن أبي الربيع الذي أخذ عنه هو وابنه محمد. أما تلامذته فهم أيضا جم غفير منهم ابن الزبير وابن مسون (محمد بن يوسف الأمي)³ ولهذين علاقة بابن رشيد⁴.

12- أبو القاسم البليقي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن الحاج السلمي البليقي.

ورد في كتاب إفادة النصيح لابن رشيد خبر وفاة أبي عبد الله بن شريح باشيلية في يوم الجمعة منتصف شهر شوال 476، وكانت ولادته رضي الله عنه في سحر عيد الأضحى 372، وقد صلى عليه ابن شريح وحضر جنازته الرشيد بن المعتمد⁵. هذا ما قرأه ابن رشيد بخط أبي إسحاق وإفاد بذلك ابنه أبو القاسم صاحب الترجمة⁶.

وبما أن أبا القاسم هذا كان ممن قرأ القرآن بالقراءات السبع، والرافضين لزي الطلبة، فإنه كان قد لبس الحشن وبالع في الانتقاض وانقطع إلى الله يرباطات سبعة وجبالها وكانت له كرامات. ولو توافرت لدينا ترجمة ابن رشيد له في أحد أجزاء الرحلة المفقودة لعرفنا جوانب أخرى من شخصيته⁷.

¹: جذوة الاقتباس 181/1.

²: هدية العارفين 1/2- والوادي أش 91.

³: نفسه وانظر نفح الطيب 279/5 (مناقشة مسألة ماذا بينه وابن أبي الربيع مجلة الثقافة المغربية عدد 5 دجنبر 71 ص: 100 (ذ. محمد المنوني).

⁴: درة الحجال 58/2. وانظر أيضا ما يتصل بأخباره وشعره ومؤلفاته: الاحاطة 307/3. فتح المتعال باب 3 جذوة الاقتباس 327/1. سلوة الانفاس 29/3 بغية الوعاة 271/2 غاية النهاية 36/2 الدارس في تاريخ المدارس 29/1 شجرة النور ترجمة 697، بروكلمان 136/5، الزركلي 138/5. ذكريات مشاهير 40/8 خلاصة تاريخ الاندلس 128، النبوغ 225/1، دعوة الحق ع: 10 س: 3 ص: 36 بقلم الأستاذ محمد القاسي.

⁵: إفادة النصيح: 54.

⁶: وابن أبي القاسم هو أبو البركات تلميذ ابن رشيد: المرقبة العليا 164.

⁷: وله أخبار في نفح الطيب 471/5- 487، والاعلام للمراكشي 196/3- 325 وفهرست الوادي أشي 82 والاحاطة 3/248 والعبري 250- 252 وغاية النهاية 28/2.

13- ابو عبد الله الكيملي

محمد بن ابي عبد الرحمان الكيملي قاضي ازموور، وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في صدد ذكر أبي العباس المقرئ أخبار قرية بليونش القريبة من سبتة، ومن قال فيها شعرا: وكان من ذلك ما انشده أبو عبد الله الكيملي لابن رشيد : (مخلع البسيط)

بليونش كلها عذاب * * * فالمشي في سبلها عقاب

يكنفها شامخ منيف * * * كأنه فوقها عقاب

واننا لا نعلم أين لقيه بالتحديد ولكن نرجح ذلك بمدينة سبتة ويمكن أن يكون ابن رشيد أخذ عن الكيملي بعض الإنشادات الشعرية وغير ذلك مما يتصل بالعلوم الفقهية¹.

14- ابو عبد الله بن ابي القاسم الحسني

وصفه ابن رشيد بصاحبه الشريف بن الشريف²، ولكن ابن رشيد لم يفرد له ترجمة خاصة، وإنما أورد له ذكرا مختصرا، فقد ذكر اسمه في صدد إيراد فائدة عنت في الطواف، فبعد أن أشبع القول في هذه المسألة، وذلك بذكر حال الكعبة وبنائها في الجاهلية، وتفصيل القول الشاذوران، وعرض آراء كثير من الفقهاء في مختلف المذاهب، ذكر اسمه على طريقته في الاستطراد إلى الأخبار الثانوية.

وكان ابن رشيد يتصل به ويستفيد منه ويغرف من بحر علمه الواسع ومن الافادات التي عنت لابن رشيد في رحلته وذكرها فيها ما يتعلق بتقويل الحجر الأسود دون صوت، فقد حضر ابو عبد الله بن ابي القاسم الحسني بمكة عند الشيخ محمد الطبري³ فحادثه مستفتيا في تلك المسألة فذكر له التقويل من غير تصويت فقال المستفتي أني لا أستطيع، قال فأطرق الشيخ ثم ارتجل أبياتا منها: (الطويل)

¹: ازهار الرياض 35/1.

²: الرحلة 25/5.

³: الرحلة 25/5.

وقالوا إذا قبلت وجنة من تهوى

فلا تسمعن صوتا ولا تعلن النجوى

(الآيات الثلاثة)¹

15- ابو بكر بن عبيدة (706)

ابو بكر بن عبيدة الانصاري الاشيلي نزيل سبتنة.

وصفه ابن رشيد بالأستاذ المقرئ والأديب النحوي البارع². ووصفه ابو القاسم الانصاري بالشيخ النحوي الاديب الأنبل³ ويعدأبوبكر هذا ايضا من أولئك الذين أجابوا عن استدعاء أبي الفضل التجاني التونسي، وقد نقل ابن رشيد من خطه في ذلك (الحفيف) أيها المبتغي الاجازة حدث * * عن أخيكم محمد بالإجازة

(14 بيتا)⁴

وقد قرأ ابن عبيدة بالسبع على ابي الحسن الدباح، وأخذ عن ابن فضيلة المقرئ وابن المحلي السبتي، وابن ابي الربيع وأكثر عنه⁵.

وقرأ عليه عبد المهيمين الحضرمي وابو القاسم بن سلمون الكناني الغرناطي الشروطي⁶. وله شعر ونثر⁷.

16- أبو عبد الله بن الدراج

محمد بن عمر بن محمد بن الدراج الانصاري التلمساني السبتي وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأديب الكاتب البارع، وكان ذا خط رائع وفضل ذائع متقنا

¹: انظر الأدبيات ص: 532 وما بعدها

²: الرحلة 48/7.

³: اختصار الأخبار 18.

⁴: الرحلة 48/7 والمناهل ع: 17.

⁵: غاية النهاية 182/2 والوادي أش 36.

⁶: نيل 125.

⁷: انظر بعض أخباره في بغية الوعاة 170/1 . ولقط الفرائد 165 وفيات 706. والبحث العلمي عدد 10 سنة 1967/4 ص: 22- 37 (المصادر الدفينة في تاريخ المغرب. د. محمد المنوني).

متفنا¹. وقال عنه ابو القاسم الانصاري : انه الشيخ الفقيه القاضي المحدث
الكاتب الأديب الأبرع².

وكان ابن الدراج هذا من اولئك الذين اجابوا ايضا عن استدعاء ابي الفضل
التجاني التونسي الذي طلب اجازات الشيوخ والأدباء. (الحفيف)

حسن در نظمتوه استجازه * * * فقد احل استرقاقتنا واستجازه

(25 بيتا)³

وقد أورد الوادي آشي اسم ابن الدراج في فهرست شيوخه⁴.

قرأ ابو عبد الله على ابي يعقوب المحساني وابي الفضل بن محمد بن فضيلة
وغيرهم⁵.

17- ابن خميس الحجري التلمساني (625-807هـ)

محمد بن عمر بن عمر... بن خميس الحجري الرعيني التلمساني.

ليس بين أيدينا ما أضافه ابن رشيد لابن خميس من الأوصاف الخلقية والعلمية
بحكم فقدان الجزء الأول من الرحلة. ولكن ابن خميس هذا كان نسيج وحده، زهدا
وانقباضا وأدبا وهمة، حسن الشبهة جميل الهيئة عاملا على السياحة والعزلة عالما
بالفرق قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت في الشعر وأقدر الناس على اجتلاب
الغريب⁶ ووصفه ابن خاتمة بأنه من فحول الشعراء وأعلام البلغاء⁷.

وقد التقى ابن رشيد في بلده سبنة التي كانت تجمع كثيرا من فحول الشعراء.
وكان ابن خميس معجبا بشخصية ابن رشيد، ولعل ذلك لالتقائهما في كثير من الصفات
والخلال كما يظهر من وصف المقرئ وابن خاتمة له، ولهذا مدحه ابن خميس في قصيدة
طويلة (80 بيتا) منها: (المقارب)

¹: الرحلة 49/7.

²: اختصار الأخبار 21.

³: الرحلة 49/7-50.

⁴: فهرست الوادي آشي 85.

⁵: درة الحجال 248/2 ت: 721.

⁶: ازهار الرياض 301/2-304. درة الحجال.

⁷: نهاية الأندلس قسم 4: 463-464.

أطار فؤادي برق أَلَا حَا * * * فما هز بعد لو كان جناحا
ويا ابن رشد تعودت من * * * هواه فقد زدت فيه افتضاحا
بهرت رجال الحديث اقتداء * * * وفقت رجال الكمال اقتراحا
فما ان جليس إذا قلت لا * * * أو ان خطيب إذا لحت لاحا
وهي قصيدة بديعة¹

ولرسوخ قدم التلمساني في النحو واللغة كانت تجري بينه وبين أبي الربيع مناقشات لغوية ونحوية باجتماع عيون الطلبة وأحذقهم لفك كثير من غوامض النحو ومشكلاته² ولا شك أن ابن رشيد كان من اولئك الطلبة. ومن بين الشيوخ الذين اشتركوا فيهم ابن دقيق العيد وابن عيشون وابن الحاج، ومن الطلبة ابن عبد الرزاق وابن ليون وقد التقى العبدري³ أيضا بأن خميس وأورد له اخبارا حسنا في رحلته. وكان هذا يفتخر بلقاء حازم القرطاجني. ومن اصدقائه ابن حمدون وأبو زكرياء بن عصام. وقد جمع له الحضرمي شعره كما جمع لابن رشيد رحلته⁴.

18- ابن عبد الملك المراكشي

ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي التاريخي صاحب الذيل والتكملة. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل المتفنن الأديب المحدث المتقن الضابط الناقد⁵.

وكان المراكشي إلى ذلك مسندا وشاعرا ولغويا وعرضيا نبيل الأغراض عارفا بعيد التصرف⁶ وكان ابن رشيد يجتمع به في سبته، وتجري بينهما مناقشات علمية مفيدة،

¹: المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس. جمع ذ. عبد الوهاب بن منصور ص: 89-95.

²: نفسه 30.

³: العبدري 13.

⁴: وينظر في بعض أخباره: نفح الطيب 57/6 و280/7 - 297 ونفاضة الجراب 21 وبلغة الامنية 176 والدرر الكامنة ت: 4173. وفيض العباب 105 وطبقات المالكية 585. والاعلام للمراكشي 199/3 ومعجم المؤلفين 92/11 وأزهار الرياض 297/2. والتعريف بابن خلدون 40. تاريخ الجزائر العام 59/2. والاعلام للمراكشي 199/3. والزركلي 776 والبحث العلمي ع: 26 س: 13 ص: 123 سبته الأسيرة ذ. محمد بن تاويت.

⁵: الرحلة 2/6.

⁶: المراقبة العليا 130.

ومن ذلك ما افاده، يوما أن بعض الادباء صنع نظما عجيبا في العروض، ولكنه لم يمكنه منه إلى أن افاده بذلك ابو عثمان بن سعيد بن جون المراكشي¹.

وكانت بينهما مناقشات أدبية ونقدية مشهورة².

روى المراكشي عن الرعيني وصحبه كثيرا، واخذ عن ابن الضائع وابن عتيق والمزدغي وابي القاسم العزفي والابهرى وابن خميس وابن المرحل وابن ابي الربيع وابن القطان وابي اسحاق التلمساني وابن الزبير.

وممن أخذ عنه ابن البناء المراكشي وابن الدهان³.

19- ابو عبد اله بن الحضار الكتامي

محمد بن محمد الكتامي التلمسيني المعروف بابن الحضار.

وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه العدل⁴ الثبت⁵ والحاج المحدث الفقيه الفريد⁶. وكان ابن الحضار هذا عارفا بعلوم الحديث⁷ لأنه لقي أشهر من عرف بذلك مثل ابن الصلاح المشهور الذي لقيه بدمشق سنة 634 هـ وسمع عليه، وسمع كذلك عن ابن مميل الشيرازي الدمشقي قاضي دمشق⁸ وسمع كذلك على ابي مروان الباجي وتقي الدين ابن عبد المنعم الدمشقي⁹.

وقد كان ابن الحضار من مصادر ابن رشيد في كتابه ابن النصيح وفي الرحلة فمما افاده به اخبار ابي مروان الباجي وابن مميل الشيرازي¹⁰ ومما أفاده به كذلك قراءته

¹: الرحلة 3/6 وانظر العروض في هذا البحث.

²: فتح المتعال باب 3 والنقد في هذا الباب، والذيل والتكملة سفر 1 قسم 1: 330.

³: مقدمة الذيل والتكملة بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة سفر 1 قسم 1 وانظر كذلك عن المراكشي: اوصاف الناس في التواريخ والضلالت 108 ووفيات الوثنريسي 98 وفيات 703 ولقط الفرائد 163 وفيات 703 وفهرست مخطوطات خزانه القرويين 191/2 والاعلام للمراكشي 331/4-355 ودعوة الحق عدد 4-5-6. 1959 بقلم ذ. محمد عابد الفاسي.

ومقدمة احسان عباس في الذيل والتكملة س: 4-5.

⁴: افادة النصيح 98-101-104.

⁵: نفسه

⁶: الرحلة 67/6.

⁷: درة الحجال 263/2.

⁸: افادة النصيح 115.

⁹: درة الحجال 263/2.

¹⁰: افادة النصيح 98-115-118.

وسمعه كتاب معرفة علوم الحديث على ابي عمرو بن الصلاح مؤلف الكتاب وهو من اجل المصنفات اعتمدها ابن رشيد في الرحلة¹.

20 ابو الحكم بن منظور (686هـ)

هو ابو الحكم يحيى بن ابي جعفر احمد بن يحيى بن منظور الاشبيلي السبتي. وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه العدل الفاضل الحسيب² وهو الشيخ الولي الصالح³ وأحد مصادره في كتاب افادة النصيح.

ومما أخبره به قال: أخبرني بعض أصحابي قال: لما كان ابو مروان الباجي قاضيا تحاكم عنده خصمان وحضره جماعة من الشهود وعندما اقبل عليه قام ابو مروان رحمه الله وقال للشهود الذين حضروه افصلوا الحكم بينهما، ودخل ابو مروان إلى منزلة وفصلوا الحكم بينهما فقليل له في ذلك، فقال بيني وبين احدهما تغير فخشيت ان حكمت عليه أن يجد في نفسه علي شيئا لمكان التغير.

وفد أخذ ابن منظور عن محمد بن خلف بن صاف اللخمي وكان فاضلا كثير التعفف والانتقباض⁴.

ولقي ابن منظور ابا الحكم الزبير الاصغر بسبنة عنه محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن غصن الشدادي القصري⁵ وكذلك إبراهيم بن محمد بن علي التنوخي المعروف بابن ابي العاصي⁶.

¹: الرحلة 67/6 و65/5 ومقدمة ابن الصلاح ص: 4 وفهرست التجيبي.

²: افادة النصيح 97 وانظر ترجمة جده ابي القاسم ص: 56.

³: درة الحجال 328/3 ت: 1442.

⁴: درة الحجال 228.

⁵: غاية النهاية 47/2.

⁶: درة الحجال 179/1. لقط القراء وفيات 706. وفهرست التجيبي 23.

يوسف بن ابي الحسن علي بن محمد الانصاري الطرطوشي.

وصفه ابن رشيد بصاحبنا الاديب البليغ الناظم الناثر ذي الفصائل والمآثر¹ وبالاديب الكاتب²، وكان الطرطوشي صدرا من صدور زمانه فكاهة ودعابة ومعرفة فسيحة، مطلق الاعنة في الأدب³. وكان أيضا ممن كتب جوابا عن استفتاء ابي الفضل التجاني ومما أنشده وكتبه له بخطه إلا بينا واحدا الحقه فأمله عليه وكتبه: (الخفيف)

يا وحيدا آياته في المعالي * * * لجاربه اظهرت اعجازه

(21 بيتا)⁴

وكان الطرطوشي أيضا من مصادر ابن رشيد في رحلته لأنه كان يورد له إنشاداته وفوائده، ومن ذلك ما أنشده له ملغزا في رباعي (مجزوء الرجز)

ما اسم لدى العد سداسي * * * وهو إذا شئت خماسي⁵.

وقد كتب عن الطرطوشي ابو عبد الله محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي بمراكش، وكان صديقا لابن الخطيب⁶.

¹: الرحلة 48/7.

²: الرحلة 73/5.

³: أوصاف الناس 105.

⁴: الرحلة 48/7.

⁵: الرحلة 73/5 (حاشية).

⁶: نفاضة الجراب 67. وينظر بعض أخباره في معجم المؤلفين 318/13 والبحث العلمي ع: 10 س: 4 ص: 22 (المصادر) للأستاذ محمد المنوني - ودعوة الحق عدد 1 س: 12 ص: 123 (المولد النبوي ذ. محمد المنوني) ودعوة الحق ع: 6-7 س: 14 ص: 180 (أوصاف الناس د. كمال شبانة).

ب: ذكر من لقيه بفاس

22- سارة الحلبية

سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية نزيلة المغرب، وهي الشاعرة الادبية الشبيخة.

ويظهر من اسمها أنها من أسرة العالم الشهير ابي عمرو بن الصلاح صاحب المقدمة السائرة الذكر، ولهذا لا بد أن يكون لها نصيب كبير من الرواية والعلم.

وكان بينها وبين ابن رشيد مساجلة شعرية، ومما قال فيها:

(السريع):

سرى نسيم من حمى سارة * * عاد به كل حمى عاطرا

فأجابته بقولها: (السريع)

وافى قريض منكم قد غدا * * ببعض أوصافكم ذاكرا

ايا ابن رشيد يا ابن الرشد يا * * من لم يزل طي العلا ناشرا

خذها فدتك النفس يا سيدي * * وكن لمن نظمها عاذرا

لم تستطع أنتى بتقصيرها * * بان تجاري ذكرا ماهرا

لازلت تحيي من رسوم العلا * * ما كان منها قبلكم دائرا¹

وكانت سارة متقنة للوراقة وتكتب بخط مستحسن².

ج: ذكر من لقيهم بمراكش

23- ابوبكر القلوسي (707 هـ)

محمد بن احمد بن ادريس بن مالك بن عبد الواحد من أهل اصطبونة¹ ويعرف بالقلوسي ويلقب بالفار. وصفه ابن رشيد باحد أصحابنا المغربيين الأديب النحوي

¹: جذوة الاقتباس 434/2 وجامع القرويين 491/2.

²: المحاضرات الثقافية 207/1 (الوراقة المغربية ذ. محمد المنوني). الزركلي 112/3.

العروضي²، وكان يسأله في المسائل العروضية وينشده من شعره الرائق. ومن تلك المسائل ما نبه عليه ابن رشيد أن أبا الحسن البسطي (أبا الجيش الانصاري) لم يذكر لعروض السريع إلا ستة اضرب على مذهب أبي الحسن الاخفس وأبي اسحاق الزجاج. وأما الخليل فلها عنده سبعة اضرب فسأل ابن رشيد صاحبه العروضي أن يتم له ما نقصه الانصاري الضرب الاصلم³ فأجاب.

ومما أنشده القللوسي لابن رشيد في مشروط كيف وصفه (البسيط)

لا تنكرن تشاريطا بوجنته * * * فانها أثر الأَلْحَاطِ والفكر

وطالما جرحت باللحظ صفحته * * * والجرح ليس له بد من الأثر

وذلك بضم جيم الجرح وفتحها).

وللقللوسي تأليف في الفرائض والتاريخ وفيما تعرف به الأوقات⁴ وأرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد، وله شرح الفصيح.

وقرأ القللوسي على أبي الحسين بن أبي الربيع أبي القاسم الحصار وأبي جعفر بن الزبير، وهو تلميذ ابن البناء المراكشي في العروض.

24- ابن البناء المراكشي 654-721 و723 هـ

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي الشهير بابن العددي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المدرك المحقق⁵ ونوه به وبصاحبه أبي القاسم بن الشاط بقوله: "لم أر عالما بالمغرب إلا رجلين أبي البناء بمراكش وابن الشاط بسينة".

ويعد ابن البناء أيضا من مصادر الرحلة لأنه كان يستفيد منه ابن رشيد في علوم شتى، كالأدب والعروض خاصة. وما يدل على أنه كان يكتابه ويعرض عليه بعض المسائل المعقدة قوله: وكنت عرضت عليه أبيات أبي المطرف بن عميرة:

¹: نيل الابتهاج 301 وانظر معيار الاختيار (اسطنبول: ص: 51 ورحلة الأندلس. حسين مؤنس) (استنبونا ما بين مألقة والجزيرة الخضراء. ص: 256.

²: الرحلة 31/3 و4/6.

³: انظر العروض من هذا البحث.

⁴: الاعلام للمراكشي 337/4. درة الحجال 26/2- نيل الابتهاج 301 جذوة الاقتباس 288/1 لقط الفرائد 166. البغية 1/

220 ذكريات كنون ع: 33 ص: 6.

⁵: الرحلة 26/2. انظر الشعر في هذا البحث وأبو المطرف بن عميرة 241.

فضل الجمال على الكمال بوجهه... الآيات¹.

وتكلمت معه في قوله فما مقصوده بالسفسطة فكتب لي بخطه بعد انصرافه ما نصه: قد يكون مقصوده بالسفسطة إيضاح احوال المخدوعين من المدعين محبته، فقوم يحبونه لكمالهم وجمالهم، وقوم يحبونه لنغم طربه وسحره فهؤلاء مخدوعون فيه لا ينالون منه إلا الغشاء والآخرون يمتنعهم بالنظر إليه، فهذا وجه والله أعلم².

25- ابو علي صالح التلايني

هو ابو صالح عبد الحليم بن يحيى بن موسى التلايني الايلاني. وصفة ابن رشيد بشيخنا الفقيه الصالح³ وهو العالم التاريخي الزاهد الورع، جمع الله له بين العلم والعبادة، فاشتهر بالعفاف واقتصر متاع الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا والحلول من الورع في الدرجة العليا⁴.

لم يشر ابن رشيد إلى مكان اللقاء به ولا إلى الزمان الذي حصل فيه ذلك، وإنما ورد اسمه عرضاً في ترجمة ابي الحسن الغرافي، وذلك في صدد تحقيق اسم علي بن عثمان ابن خطاب المعروف بابي الدنيا⁵. ولكن ابن القاضي يذكر أنه نزّل نفيس⁶ في جنوب المغرب، ومعنى هذا أن ابن رشيد التقى به هناك أو في مراكش. ويفهم كذلك من كلام ابن رشيد والنص الذي ساقه له أنه استفاد من شيخه أبي صالح ما يتصل بعلوم الفقه والحديث.

¹: الرحلة 26/2. انظر الشعر في هذا البحث وابو المطرف بن عميرة 241.

²: انظر بعض من ترجم له وأورد أخباره: الدر الكامنة 278/1، والبدر الطالع 108/1 وسلوة الأنفاس 52/2، وجدوة الاقتباس 73/1، ونيل الابتهاج 65 والاعلام للمراكشي 375/1، وفهرست الرصاع 116 وشرف الطالب 77، وفيات 721، لقط الفرائد 180، وفيات 723، هدية العارفين 104/1، الزركلي 22/10، كشف الظنى 1411/1، شجرة النور 216ت: 759، الاستقصا 179/3، النبوغ 213/1 و263/2 و263/2 ذكريات كنون ع: 32 دائرة المعارف الإسلامية 1/102 وجامع القرويين 2-380-485، البحث العلمي ع: 11-12 ص: 29 ل. كنون معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب 17.

³: الرحلة 15/3.

⁴: درة الحجال 30/3 ت: 925.

⁵: انظر الجرح والتعديل في هذا البحث.

⁶: من وريكة إلى نفيس 35 ميلا، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبي عبيد البكري ص: 154 (الطريق من مدينة اغمات إلى رباط قور) وانظر معلمة المدن والقبائل ملحق 2 للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ص: 364.

د: ذكر من لقيه بالجزيرة الخضراء

26- ابن خميس الانصاري الاسطبوني (613- 688 هـ)

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن ابي بكر ابن خميس الانصاري الاسطبوني نزيل الجزيرة الخضراء.

كان ابن خميس هذا حافظا للفقہ حاضر الذكر في النوازل أدبيا شاعرا حسن الخط، وكان إماما بالجامع الأعظم من الجزيرة الخضراء بعد أن انتقل إليها سنة 635 أو 636 هـ.

وردت إشارة رواية ابن رشيد عليه في الذيل والتكملة لابن عبد الملك¹ وأغلب الظن ان ترجمته في الجزء الأول المفقود وأنه أخذ عنه الفقہ وما يتصل به.

روى ابن خميس عن ابن عمه ابي عمران وابن الفحام وابن ابي موسى السلوي وروى عنه من اصحاب ابن رشيد ابو بكر القللوسي، وهو قريبه. وابن عبد الملك المراكشي.

هـ : ذكر من لقيهم بالمرية

27- ابن شلبطور (608- 704 هـ)

أبوجعفر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي المربي، ويعرف بابن شلبطور، وهو من اهل المرية وأعيانها في الرياسة والوزارة والأدب والكتابه والمشاركة في العربية واللغة، وزيادة على ذلك كان من تلك الأسرة المشهورة بقيادة الأساطيل والنشاط البحري مع حظ وافر من صناعة الطب. ولا نجد له ترجمة في الأجزاء المعروفة إلا ما ورد له من الذكر في بعض تراجم ابن رشيد². وقد لقيه وقيد عنه نظمه لأنه كان ماهرا في الشعر وروايته.

أخذ ابن شلبطور عن أبي القاسم بن الأصفر الحارثي وهارون اليهودي طيب ابن الرميحي³.

¹: الذيل والتكملة 312/6 ترجمة 806.

²: ازهار الرياض 349/2 ودرة الحجال 125/1 ترجمة 152 والاعلام للمراكشي 51/3.

³: وانظر عنه لقط الفراند وفيات 703.

ابو الحسن علي بن محمد بن الحضار الكتامي

انظر الترجمة عدد 9

ابو عبد الله بن الحكيم انظر من لقيهم برُندة

الترجمة عدد 31

28 - ابن الصائغ الامي (698هـ)

ابو عبد الله محمد بن محمد بن لب بن عبد الله الامي المربي ويعرف بابن الصائغ. ولي الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالمرية في حدود الشيبية، واستمر على ذلك إلى وفاته، وناب عن بعض الفقهاء بها، وشوور بها وافتي وكان يتكلم على موطأ مالك، وله رحلة إلى المشرق وتدرّس في المدرسة الصالحية بمصر¹. ولا نعرف له ترجمة في الأجزاء المعروفة إلا ما ورد في ترجمة ابن رشيد في درة الحجال² وازهار الرياض³ والاعلام للمراكشي⁴ ويحتمل أن يكون أصحاب الكاتب الثلاثة السابقين نقلوا ذلك عن الجزء المفقود، ولا بد أن يكون ابن رشيد قد قرأ على ابن الصائغ كتاب الموطأ وغيره، لأنه كان بحر معرفة لا يغيض وصاحب فنون يأخذ فيها ويغيض⁵.

قرأ ابن الصائغ على ابن القاسم بن الاصفر، وأجاز له ابوالربيع ابن سالم وابو الحسن بن قطرال، وروى عنه ابن سلمون الكتاني وابنه القاضي ابو محمد.

و: ذكر من لقيهم برُندة

29- ابو الحسن بن السفاج

علي بن يوسف بن علي العبدري⁶ الغرناطي⁷ ويعرف بابن السفاج.

¹: درة الحجال 61/2 ترجمة 504.

²: و 97/2 ترجمة 532

³: ازهار الرياض 349/2.

⁴: الاعلام 295/5.

⁵: اوصاف الناس في التواريخ والصلوات 50.

⁶: الرحلة 60/7.

⁷: الذيل والتكملة سفر 5 قسم 1 ص: 425 وانظر عنه ايضا مقدمة السنن الابيين لابن رشيد لكتبتها د. بلخوجة ص: 54. والاحاطة 310/4.

وصفه ابن رشيد بالشيخ المقرئ والخطيب الصالح المبارك الفاضل، وقد لقيه بمدينة رندة وأجاز له ولأودلاه ابي القاسم وعائشة وامة الله وذلك في أواخر جمادى 686 هـ و وذكر له بعض شيوخه.

ويظهر من خلال مركزه العلمي أن ابن رشيد اخذ عنه القراءة وما يتصل بالزهد والتصوف.

ومن شيوخ السفاج الإمام المقرئ أبو الحسن الدياج، قرأ عليه بالقراءات السبع، وسمع عليه كتاب الكافي لابي عبد الله بن شريح وأجاز له. ومنهم ابو الحسن بن قطرال وأجاز له. ومن تلاميذه ابن سلمون الكتاني.

30- ابو القاسم ابن الايسر الجذاني القرميني

القاسم بن ابي حجاج يوسف بن احمد بن يوسف الايسر الجذامي ويشهر ابوه بالقرميني وابن الايسر.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه الخطيب الفاضل الكاتب والأديب الحافل والمحدث المسند بن الشيخ الفقيه الجليل المحدث الصالح الزاهد الورع الفاضل. وكان ابن الايسر من اهل العلم والصلاح والزهد ويشهر بالكرامات واجابة الدعوات. وله اتساع في الروايات وتقدم في علوم القرآن والحديث والفقه والاصول والتصوف واللغات والنحو والأدب، وكان قاضي بلده ثم تزهد وترك بلده. وكان خطيب قسبة رندة أيام لقاء ابن رشيد له. وربما كتب عن بعض الوزراء وله معرفة بالرقانة وحظ صالح من الكتابة وله مصنفات مفيدة¹.

اتصل به ابن رشيد بمدينة رندة وذلك بمنزل صاحبه ابن الحكيم وسمعه عليه كثيرا وقرأ عليه الموطأ والأحكام لعبد الحق وصحيح مسلم والسير، وذلك في 15 جمادى الأولى 686 هـ وأجاز له يوم 17 وروى عنه حديث: إنما الأعمال بالنيات وقال أن له مصنفاً فيه حظ وافر من كتابة المتأخرين.

أما شيوخه فكثير ومنهم الفقيه أبو العباس (ابوجعفر) العزفي وأبو جعفر القنجائري الصوفي المعروف بابن مطرف، وأبو الفتوح العبدري الصوفي والفقيه

¹الرحلة 62/7. ومقدمة السنن الابيين ص: 55

الأصولي. وابو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي قاضي الجماعة. وابو الحسن سهل ابن مالك الفقيه. وعلي بن إبراهيم بن علي الشريش المحدث الحافظ المعروف بابن الفخار وابو الحسن بن قطرال وابو القاسم بن ربيع المقرئ. وابو الحسين بن عاصم الرندي وابو علي الشلوبين وابو الحسن بن الدباج وابو الفتوح بن عمر بن فاخر العبدري وابو اسحاق ابن محمد بن عبيد.

ومن تلاميذه سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناشي الغرناطي¹

31- ابن الحكيم الرندي (660-708 هـ)

بدر الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح اللخمي الرندي المعروف بابن الحكيم.

أورد ابن رشيد اسمه في الرحلة في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً، وفي كل مرة يضيف إليه وصفاً من الأوصاف التي تجلّه وتبين مكانته ومقداره وجوانب شخصيته القوية، وقد تحصل لنا من تلك الأوصاف الكثيرة ما ملخصه: رفيقي²، ورفيقنا³، وصاحبنا⁴، المكرم وولينا المعظم المحترم الوزير الفاضل⁵ الجليل الماجد الأصيل⁶، الحسيب⁷ الحافل الاحفل⁸، الأديب⁹، الكاتب¹⁰، البليغ نادرة الزمان ودارة عقد الإخوان¹¹، البارع¹²، الكامل¹³، ذو الوزارتين¹⁴، حفظ الله مجده¹⁵، وحفظ عهده¹⁶،

¹: الاطاعة 310/4. وانظر أيضاً عن ابن الايسر: فهرست التوجيهي 33.

²: الرحلة 31/7.

³: 58-46 - 18/2.

⁴: 26/2.

⁵: 53/7.

⁶: 62/2 و 31/7.

⁷: 109/6.

⁸: 45/5 و 18/2.

⁹: 62/5 و 109/6.

¹⁰: 45/5 و 6/2 و 58/2.

¹¹: 31/7 و 2/6.

¹²: 62/5.

¹³: 12/7.

¹⁴: 26/2.

¹⁵: 6/2.

¹⁶: 126/5.

وذخيرة الاخوان وصدر الاقران، ووصفه ابن الخطيب بأوصاف عدة تنم عن نبيله وشرفه¹، وترجم له ترجمة واسعة وأورد شيئا من شعره الرائق² وكذلك فعل المقرئ في نفح الطيب وازهار الرياض³.

كان ابن رشيد وثيق الصلة بابن الحكيم وذلك من وجوه عدة منها أنهما ترافقا في رحلتهم المشهورة، وحضرا معا حلقات كثير من الشيوخ ولهذا كانت مَشِيخَتَاهُمَا متشابهتين. ثم ان ابن الحكيم كان وليه المعظم بل انه كان يقوم بخدمته⁴، ثم أنه يعد مصدرا مهما من مصادر رحلته في كثير من الأخبار والأشعار والفوائد. والدليل على ذلك بعض هذه النقول التي أوردت أرقام صفحاتها في هذا الثبت. وان في الرحلة كثيرا من المذكرات والمساجلات بينهما، فقد مدح ابن رشيد صاحبه بقوله: (المتقارب)

ايا حائز العلم نوعا فنوعا * * ولو حل محلا قصيا

(8 أبيات)⁵

فأجابه ابن الحكيم بقوله (المتقارب).

ايا من تحلى حلي المعالي * * وفي رتب العز اضحي عليا

(16 بيتا)⁶

بعد أن وافى ابن رشيد مالقة يوم الاربعاء 2 جمادى الثانية 686 هـ بعث إليه صاحبه ابن الحكيم بمكتوب يذكره بالمعاهدة والمعاقدة التي فحواها: أن لا يتوجه ابن رشيد إلى بلده إلا بعد الاجتماع به. كانت تلك المعاهدة معقودة بتونس كما هو مثبت في الرحلة⁷.

¹: الاطاعة 444/2

²: نفسه 452/2

³: نفسه 444/2 والنفع 373/3 و411/4 و12/8 وازهار الرياض 340/2-347.

⁴: 53/7

⁵: الرحلة 2/6 وانظر الأدبيات.

⁶: الرحلة 2/6 وانظر الأدبيات.

⁷: الرحلة 53/7.

وكان من فضل ابن الحكيم أنه كان يروي كثيرا من الأشعار ويجمعها ويزود بها صاحبه كما فعل في ترجمة شيخهما ابي اليمن بن عساكر¹ وشعر ابي المطرف بن عميرة².

ومن اهم الشيوخ الذين روبا عنهما ابو عبد الله الحميري والقطب القسطلاني وابن عساكر وابن حبيش وبهذا لا بد أن تكون رحلتاهما متشابهتين في المنهج والغرض³.

32- ابن عاصم الاسدي (605- ...)

ابو عمرو موسى بن الفقيه الجليل والخطيب الفاضل المحدث المقرئ ابي الحسين عبيد الله بن عاصم الاسدي.

وصفه ابن رشيد بالوزير الجليل والحسيب الأصيل والماجد الفاضل والمبارك الطاهر⁴. وهو أحد أعيان بلده وصدورهم، له سماع قليل وإجازات عالية صحيحة. التقى به ابن رشد يوم 18 جمادى الاخرى 686 هـ بعد رجوعه من الحج وأجاز له جميع مروياته ولأولاده وأنشد عليه بعض شعر العمداء الاصبهاني: (الوافر):

أجزت القوم ما راموه مني * * بمالي عندهم من حسن ظني
مجازاتي ومسموعي فإني * * أذنت لهم بأن يرووه عني
(5 أبيات)⁵.

وأخيره بأبيات ابي عمرو ميمون بن خطاب المعروف بابن خبازة وذلك في سقوط القبة الحمراء بمراكش: (البسيط).

انظر الى القبة الحمراء ساقطة * * لما رأت مضر الحمراء عن كثر
ويقول فيها:

وإنما سجدت لما سهت وغدت * * فوق الظلال فكانت أعجب العجب

¹: الرحلة 36/5 وما بعدها، فقد أنشد له ما يقرب من 600 بيت.

²: الرحلة 26/2.

³: انظر اخبار ابن الحكيم ايضا في الدرر الكامنة 459/3 والنفح 20/3- 373 و411/4 ودرة الحجال 93/2 واللمحة البدرية 47 ووفيات الونشريسي 99 ووفيات 707 ولقط الغرائد وفيات 707 وابن خلدون 248/7 ونهاية الاندلس عصر 4 ص: 462- 463 ومقدمة السنن الابين 54- 55. والمجموعة النبهانية 436.

⁴: الرحلة 60/7.

⁵: الرحلة 60/6 ح.

وهي طويلة ولكن لم يورد منها سوى خمسة أبيات فقط¹.

كما أخبره بحكاية غريبة مسندة الى عمر بن عبد العزيز مفادها أن رجلا سأله أن يريه موقع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فيما يرى النائم جسد رجل يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة قد أدخله في منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله عز وجل خنسه².

ومن شيوخ ابن عاصم ابو العباس العزفي الذي اجازه سنة 616 هـ، ومحمد بن محمد بن زرقون سنة 610 هـ وابو الحسن الغساني المعروف بابن العشاب سنة 613 هـ وابو عمر بن سالم المالقي سنة 615 هـ وابو علي عمر بن عبد المجيد الازدي سنة 635 هـ وابو بكر محمد بن مسدي سنة 625 هـ ومحمد بن عمر بن نصر السلاوي سنة 636 هـ.

وبعث ابن عاصم لابن رشيد مكتوبا فيه شيوخه الآخرون ومنهم ابو عبد الله اللبلي وابو عبد الله بن عمرو الانصاري وأبو الفتح الرندي والفقهاء ابو علي (كذا) بن دحية³.

ز: ذكر من لقيه بشقر

33 - ابن طاووس النحوي (720هـ)

ابو الحجاج يوسف بن احمد بن طاووس النحوي من اهل جزيرة شقر، كان إماما في العربية والطب، وهو آخر الاطباء بشرقي الاندلس، وكان الى جانب ذلك عارفا بكتاب سيبويه، وآخذا من اهل زمانه وعلوم الأوائل، وله من المؤلفات: الإيجاز في الطب. اتصل به ابن رشيد وكان له صاحباً، ولا بد أن يكون لكل منهما أثر في الآخر ما دام يجمع بينهما علوم العربية والنحو⁴.

¹: الرحلة 61/7 وأشار ابن رشيد على أنها طويلة، أثبتتها في مكان آخر غير الرحلة.

²: نفسه.

³: وانظر عنه ذكريات كتون عدد 7 ومقدمة السنن الابين ص: 54-55.

⁴: بغية الوعاة 421 ودرة الحجال 354/2 وهدية العارفين 557/2.

ح: ذكر من لقيهم بغرناطة

34 - ابواسحاق بن فرج الفهري

إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد بن فرج الفهري.

وصفه ابن رشيد بالفقيه الصالح العابد¹ وقرأ عليه بعد ققوله من الحج بحضرة غرناطة - حماها الله - كتاب الإيضاح والبيان في العمل بالظن المعتبر شرعا بالسنة الصحيحة والقرآن² وأذن له في روايته عنه عن مؤلفه إذنا له ومناولة، وكتب له خطه بالإذن في الرواية بجميع ما رواه أو ألفه من نظم أو نشر.

35 - ابو جعفر بن الزبير (708 هـ)

أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير ابي الحسن بن الحسن بن الزبير ابن عاصم ابن مسلم بن كعب الثقفي العاصمي. كان ابن رشيد يسميه بالشيخ الأستاذ المقرئ المحدث³. وكان ابن الزبير هذا علامة حافظا نحويا، جمع وصنف وحدث بالكثير، وانفرد بالافادة ونشر العلم وحفظ الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه⁴.

وهو أستاذ القراء الثقة العمدة⁵، وله نظر في الرجال⁶ وهو الإمام⁷ الذي تخرج عنه كثير من العلماء والشيوخ، وكان محرر اللغة وأفصح عالم رآه ابن حبان⁸.

وبعد ابن الزبير من مصادر معارف ابن رشيد في كتابه افادة النصيح، فقد أخبره مكاتبة من غرناطة قال: "قال لي شيخنا ابو الحسن الغافقي: ولا دخل على قوس باب سبئنة أزهر منه (يعني ابا محمد الحجري)⁹ وبهذا يكون اتصال ابن رشيد به.

¹: الرحلة 66/2.

²: لم يشر ابن رشيد الى مؤلفه وقد يكون محمد بن خلف الاوسي المتكلم برأي الاشعرية: الاحاطة 166/3.

³: افادة النصيح 79.

⁴: البدر الطالع 33/1-34.

⁵: شذرات الذهب 16/6.

⁶: تذكرة الحفاظ 1484/4 ترجمة 1169.

⁷: طبقات الحفاظ للسيوطي ت: 1137.

⁸: الدرر الكامنة 84/1 ت: 232.

⁹: افادة النصيح 79-80 وانظر ايضا عن ابن الزبير الاحاطة 188/1 والذيل والتكملة س: 1 ق: 1 ص: 39 ت: 31 وفيات الوئشريسى 100 وفيات 707. لقط 167. المنهل الصافي 191/1 ت: 107 كشف الظنون 1735 الوادى آشى 76. معجم المؤلفين 138/1.

ابو الفضل عباس بن الوليد محمد بن احمد التجيبي¹ وهو ابن اخي ابي اسحاق ابن ابي الوليد التجيبي².

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفاضل الحبيب الاصيل ولكنه مع ذلك لم يستجزه إذ لم يكن له علم بشيء من الرواية ولا كان يذكر ذلك.

ابو محمد القاسم بن محمد الهوزني الاشيلي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الاديب الحبيب اللغوي وكان له حظ من تعبير الرؤيا، ويأتي من ذلك بغرائب وعجائب ولم يكن تمكنه في العلم بذاك³.

قال له ابن رشيد: من أين لك هذا فقال له: "كنت رأيت باشيلية وأنا صبي صغير احمل على عنق الغلام، فيما يرى النائم كأني على روضة النبي صلى الله عليه وسلم ورأيت في جانبها طاقا اتقاصر عن ادراكه والناس يتواردون عليها فيدخلون ايديهم في ذلك الطاق ويخرجون للأمام يلتقمونها فرمت ذلك فلم تدركه يدي فأخذت قصبة وجعلت ابل اسفلها ترابا قد علق بها، فالتعقه ثم أعيد ذلك العمل مرات، واستيقظت وقد وعيت الرؤيا فقصصتها على أبي فقال هل علمت أمك ذلك قلت لا، قال واستدعي غلاما لنا فحملني على عنقه مع أبي رحمه الله إلى الشيخ الكبير المشهور باشيلية المعروف بالحنّمي وكان يأتي في التعبير بأمر يعجز عن إدراك فهمها، فقصصتها عليه فقال يا بني: التراب تراث وهذا القدر الذي نلت من ترابه صلى الله عليه وسلم نزر يسير، وأنتك توتني حظا من علم التعبير فصدق تأويله رحمه الله.

¹: الرحلة 24/2.

²: انظر ترجمة ابي الوليد محمد بن احمد في من لقيهم بتونس

³: الرحلة 49/5 مكرر.

38 - ابن الإمام

ابو عبد الله محمد بن الإمام، وصفه ابن رشيد¹ بصاحبنا الثعالبي الإمام المحقق، وقد أورد اسمه عرضاً بمناسبة إنشاده أبيات أبي المطرف بن عميرة:
فضل الجمال على الكمال بوجهه بوجهه
الأبيات².

ابن الحكيم الرندي

انظر من لقيهم برندة (الترجمة عدد 31)

39 - ابو القاسم بن جزى (741 هـ)

محمد بن أبي محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزى الكلبي. وصفه ابن رشيد بالوزير الأجل الحسيب الأصل المعمر.

كتب ابن جزى عام 682 هـ بخطه لابن رشيد قال: "أنا الوزير الجليل الحسيب الأصيل أبو الحسن محمد بن الفقيه القاضي أبي بكر بن جابر بن ذي النون الثعلبي فيما كتب لنا بخطه سنة خمس وستمئة، وذلك بالسند المرفوع الى أنس رضي الله عنه قال: كان يعجبنا يجيء الرجل من أهل البادية فيسأله، يعني صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل فقال: رسول الله متى قيام الساعة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن السائل عن الساعة فقال الرجل انا يا رسول الله، فقال وما أعددت لها؟ فقال والله ما أعددت كبير عمل ولا صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب"³.

ط: ذكر من لقيهم بمالقة

40 - ابو الحسين بن قراش

وصفه ابن رشيد بأنه كان من بعض أصحابه ورفقائه، وهو الوزير الأجل الحاج⁴ الذي مكنه ابو عبد الله بن الحكيم من مكتوب كريم يذكر فيه ابن رشيد بذلك العهد

¹: الرحلة 26/2.

²: انظر ترجمة ابن البناء.

³: الرحلة 38/2.

⁴: الرحلة 53/7.

ويطالبه بالعقد الذي كان بينهما بتونس وهو أنه ان تمكن له دخول الاندلس حرسها الله ما يتوجه على بلده إلا بعد الاجتماع به. ولهذا انتدب ابن قراقش لهذه المهمة. وهذا يفسر لنا مدى العلاقة الوثيقة بين ابن رشيد ورفيقه أبي الحسين الذي كان حريصا على جمع شمل الأصحاب ولم شعثهم، ولهذا أقام ابن رشيد عنده أياما فأكرم نزله إلى أن وصل المركب إلى مالقة ليتسنى الاتصال بوليّه المظّم وأخيه المكرّم ابن الحكيم.

ولا شك أن ابن قراقش كان رئيسا وأديبا كابن الحكيم، ويجمع بين هؤلاء العلم والسياسة، ويمكن أن يكون قد جرى بينهما وبين ابن رشيد مجالس أدبية ومفاوضات في غير ذلك من فنون العلم.

41 - محمد بن مالك بن المرحل (710 هـ)

محمد بن مالك بن عبد الرحمان بن المرحل المالقي، وردت إشارة اجازته لابن رشيد في درة الحجال¹ ولكن لم يورد اسمه في من لقيهم بمالقة في الجزء السابع الذي ترجم فيه لبعض شيوخه بها، ويحتمل أن يكون خصه بترجمة في الجزء الأول المفقود. وقد قال ابن حجر العسقلاني أنه كان إماما في الشروط²، وبما أنه كان ابن الشاعر المشهور والاديب الكبير مالك ابن المرحل، فلا شك أنه قد تأثر في فن أو أكثر من الفنون التي كان يتقنها أبوه. وقد أخذ المالقي أيضا عن ابن السراج وابن فرتون والشلوين وابن أبي الربيع والدباج والازدي³.

42- ابو عبد الله بن عياش الانصاري القرطبي

محمد بن عياش بن محمد بن احمد بن خلف بن عياش الانصاري الخزرجي القرطبي نزيل مالقة. وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الفاضل المقرئ الراوية المسند المعمر اليقظ⁴.

لقيه ابن رشيد بمالقة في 7 جمادى الثانية 686 هـ وسمع عليه مروياته ومسموعاته، وأجاز له ولأولاده، وما قرأه عليه كتاب زهرات البساتين⁵ وناوله جميع

¹: درة الحجال 264/2 ترجمة 758.

²: الدرر الكامنة 152/4 ترجمة 402.

³: انظر شيئا عن أحواله في فهرست الرصاع 120.

⁴: الرحلة 54/7 والسنن الابين (تمهيد) ص: 54.

⁵: لأبي القاسم بن الطيلسان انظر الذيل والتكملة س: 5 ق: 2 ص: 566.

الكتاب وقرأ عليه الخبر المرفوع إلى عمر رضي الله عنه قال: "من زافت عليه دراهمه فلا يحالف الناس".¹

وقرأ عليه طرائف أدبية لطيفة كقصة اللصوصية بالنسيئة وقرأ عليه فوائد نحوية كأول واضع علم النحو "وكذا الخبر المرفوع إلى أبي هريرة في شأن شد الحجر على البطن من الجوع، وكذا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين مجلس يدعو الله ومجلس يتعلمون العلم ويعلمونه... الحديث وكذا الخبر المسند إلى محمد بن عبد الرحمان أنه سمع أباه عبد الرحمان بن أحمد بن بقي يقول: "الاجازة عندي وعند أبي وجدي كالسماع". وقد أورد له ابن رشيد في الرحلة شيئا من اجازاته ومقروءاته، فمن اجازة أبوه وصهره أبو القاسم بن الطيلسان وأبو القاسم ابن بقي فلما سمع على ابن الطيلسان كتابه الزهرات ومختصره اقتطاف الانوار وكتاب الإشارة والاماع وكذا مشيخته وغير ذلك. وممن اجازة أيضا سهل ابن مالك وأبو عبد الله القرشي². وقد أورد الوادي آشي في فهرسته³.

43 - أبو زكرياء الرنداحي

وهو صاحب ابن رشيد القائد الاجل الافضل⁴، وكان الرنداحي هذا أيضا من رجال القيادة الذين كانت لهم صلة ابن رشيد بهم وطيدة كابن الحكيم وابن قراقش وصاحب الترجمة، إذ لما وافى مالقة ضحوة يوم الاربعاء 2 جمادى الاخرى 686 هـ اجتمع به فأنزله وأكرم نزله وأقام عنده أياما إلى أن ذهب إلى صاحبه ابن الحكيم الذي كان بينه وبين ابن رشيد تلك المعاقدة السابقة الذكر.

ي: ذكر من لقيهم بمنركة

44- أبو عمرو بن حكم وابناؤه

أبو عمرو بن الرئيس الجليل أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي صاحب ثغر منركة. لما اتصل ابن رشيد بقطب الدين القسطلاني بالقاهرة المعزية دفع له يوما استجازة برسم

¹: انظر الخبر في لسان العرب مادة (زيف).

²: الوادي آشي 90 والمرقبة العليا 148.

³: الوادي آشي 90 والمرقبة العليا 148.

⁴: الرحلة 53/7.

بني الرئيس ابي عمرو المذكور صاحب ثغر منرقة واسماؤهم يحيى وسعيد ومحمد. فكتب القسطلاني: "أجزت لهم احيا الله بالسعادة حمدهم وامات بالكمد ضدهم".¹

45- ابو محمد مولى ابن حكم

عبد الله مولى الرئيس ابي عثمان بن حكم. وصفه ابن رشيد بالقائد الاجل الفاضل². لقيه ابن رشيد وانشده أبيات عبد الله حكم بن سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي التي كتبها إلى الفقيه ابي عبد الله القضاعي كذلك لما بعث إليه ابائنا منها: (الكامل)

يا طول فخر قضاة بأخيها ماذا افاد من العلوم بنيتها
اهدى إليهم من نتائج فكره حللا يحلي بالهدى مهديها
فبحقه يدعى ابو عبد الإله ————— مؤرخا ومحدثا وفقهيا
فيجاوبه ابو عبد الله بابيات منها:
أزرى بقولي في قريش قوله * * * يا طول فخر قضاة بأخيها

ك: ذكر من لقيهم ببجاية

46- ابوفارس بن عمر ابن مخلوف ابن كحيلة

(602_ 685 أو 686هـ)

عبد العزيز بن علي بن عمر بن مخلوف القيسي الشهير بابن كحيلة من أهل تلمسان. وهو الفقيه المالكي المحدث والقاضي الحافظ والذاكر لمتون الحديث المتقن والفصيح اللسان والعبارة الحسن الإشارة. له عكوف على التدريس ودؤوب عليه، وكان يُعرفُ بجزانة مالك رضي الله عنه.

¹: الرحلة 108/3، عنوان الدراية 254 المغرب 469/2 واختصار القدرح المعلى في التاريخ المعلى لابن سعيد ص: 28
²: الرحلة 76/6.

أخذ عنه ابن رشيد ببجاية ولم يتعين لنا الا أن ما أخذه عنه لفقدان الجزء الخاص بذلك ويرجح أن يكون اعتماده عليه في العلوم الفقهية والحديثية وما يتصل بالزهد والتصوف.

أخذ ابن كحيل عن ابن محرز ببجاية، وبها لقي ابا الحسن الحرالي الزاهد الصالح واخذ عن ابيه وعن ابن زيد البناسني وابي الحسن بن ابي نصر.

وممن أخذ عنه محمد بن يعقوب المنجلاتي الزواوي وأبو محمد بن علوان الاديبي وإبراهيم المظماطي. ومن تلاميذه ابو العباس الغبريني الذي حدثه بكتاب الرسالة للقيرواني والتبصرة للخمى¹.

47- ابو عبد الله ابن صالح ابن رحيمة

(614 - 690 هـ)

محمد بن احمد بن محمد الكناني الشاطبي المعروف بابن رحيمة نزيل بجاية. وصفه ابن رشيد بشيخنا الخطيب الصالح² وكان خطيب بجاية وشيخها وهو اعلى الناس سندا بالشاطبية. وقد وردت عنه اشارة في الرحلة وذلك في صدد انشاد الشيخ ابي العباس ابن الغماز لنفسه مما صنعه في يوم عيد بعض اصحابه، واكبر ظن ابن رشيد أنه أبو عبد الله بن صالح صاحب الترجمة: (الحفيف)

لبس البرنس الفقيه فباهى * * * وراى أنه المليح فتاها

لوزليخا رأتة حين تبدى * * * لتمنت أن يكون فتاها.

ويعد ابن صالح هذا أيضا من أحد مصادر ابن رشيد في كتابه إفادة النصيح فقد أنبأه بحكاية المرأة المستحاضة وكانت من الصالحات، وملخص ذلك أنها لما سمعت بموت ابي محمد الحجري أشفقت الا تحضر الصلاة عليه ودفنه لما رجحت في ذلك من الثواب، فاستجيبت دعوتها في رفع تلك الحليضة الشديدة³.

¹: انظر بعض أخباره في عنوان الدراية 316، والبيان لابن مريم 66، وشرف الطالب 74 وفيات 685، ونيل الابتهاج 233، وأنس الفقير 276، ودرة الحجال 117/3 ترجمة 1057، والاعلام للمراكشي 251/8، وشجرة النور 202 ترجمة 693، والحلل السندسية للسراج 692/1، ومعجم المؤلفين 123/2.

²: الرحلة 25/6.

³: إفادة النصيح 93 وانظر كرامات أبي محمد الحجري في ص: 78.

وممن روى عنه الشاطبية أساتذته وشيوخه: ابن الابار وابن برطلة وابن قطرال.
 وشيوخه كثير منهم ابن السراج واليعمري وابن فيرة وابن البراء والسوسي وابن
 عميرة وغيرهم¹.
 ويعد ابن صالح فيمن لقيهم العبدري وقرأ عليهم برنامجهم وغيره². ومن تلاميذه
 ايضا ابوالعباس الغبريني³.

48- ناصر الدين المشدالي

(632-731 هـ)

ناصر الدين ابو علي منصور بن احمد بن عبد الحق المشدالي مدرس مجاية.
 وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام المفتي⁴. ولم يرد للمشدالي ذكر كثير في الاجزاء الموجودة،
 ويحتمل أن يكون قد عرف به في الجزء الأول الفقد. وما ورد من أخباره أن ابا القاسم
 ابن زيتون كان يمسك بأصل الموطأ عند سماعه على ابي عبد الله بن ابي الفضل المرسى،
 وهو الاصل الذي سمع فيه ناصر الدين على ابن ابي الفضل⁵.

ومن ذلك ما حكم المشدالي ان القاضي ابا محمد عبد الوهاب قال: "النضح
 مستحب"⁶. وذكر صاحب معجم اعلام الجزائر، نقلا عن الرحلة ان المشدالي رحل في
 صغره إلى مصر مع أبيه فقراً بها وتَهَدَّبُ اخلاقه ورقت طباعه، وقرأ على الشيخ عز
 الدين بن عبد السلام وغيره، وأقام في رحلته نيفا وعشرين، ثم رجع بعلوم جمّة من
 الاصول والفقه والادب والكلام والتصوف وأقبل على العبادة والاقراء⁷.

أخذ المشدالي عن ابي عبد الله المرسى والقطب القسطلاني وغيرهما وممن
 أخذ عنه العبدري وابو موسى المشدالي وابو عبد الله الباهلي والغبريني وخلق كثير⁸.

¹: بغية الوعاة 79-100. وانظر ايضا عن ابن رحيمة روايات كثيرة في فهرست ابي القاسم التجيبي.

²: العبدري 27.

³: عنوان الدراية 104 وانظر عن ابن رحيمة: الذيل والتكملة 231/6 ترجمة 672 ونثير الجمان 23- الوادي آشي 99.
 غاية النهاية 254/2. شرف الدين الطالب 75 وفيات 699. فهرست المنشوري 62 شجرة النور 202.

⁴: الرحلة 11/6-33.

⁵: 11/6.

⁶: الرحلة 33/6.

⁷: 195/6.

⁸: وانظر عن المشدالي: مقدمة ابن خلدون 431 وفهرست التجيبي 206.

ل: ذكر من لقيهم ببونة (عنابة)

49 - ابو الفضل الفحصبلي

القاسم بن محمد بن عبد السلام الفحصبلي، وصفه ابن رشيد بالفقيه وبقاضي البلد ذي البيت الأصيل والسلف القديم.

لما وصل ابن رشيد إلى مدينة بونة قاعدة بلاد العناب كان ذلك اليوم يوم السبت 7 جمادى الاولى 686 هـ، والحال قد تفاقمت بين التجار وصاحب المركب، فغلب صاحب المركب على أسلحة التجار وسلبها منهم وتقفها عنده. وفي هذه الاثناء اجتمع ابن رشيد بقاضي البلد واجتمع ايضا بوالي البلد وكان من الموحدين، وكانت له سياسة وفضل فحاول الإصلاح بين الطائفتين، وأشار على ابن رشيد بالدخول بينهم في ذلك فلم تتم الحال في ذلك اليوم، وبعد ذلك توقف الأمر وصلحت الحال. وقد اقام ابن رشيد هناك أياما وتكرر الاجتماع بالقاضي واستجازه في جميع مروياته فاذن له في ذلك لفظا وذلك يوم الاربعاء 11 جمادى الاولى وذكر له أنه أخذ عن جمع وافر منهم ابو علي الجياني الذي قرأ عليه الموطأ، ومنهم ابو عبد الله البيضا.

ولأبي الفضل رحلة إلى البيت الحرام وجمع في ذلك كتابا مفيدا. ولم يتمكن ابن رشيد من تعرف احواله الاخرى لأنه سافر يوم الخميس 12 جمادى الاولى 686¹.

م: ذكر من لقيهم يتلمسان

50 - ابن ابي العباس الخزرجي (710 هـ)

محمد بن عبد الرحيم بن ابي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان، لم تتوافر لدينا المعلومات الكافية عما قد يكون ابن رشيد اخذ عنه، إلا أنه ورد في كتاب البستان لابن مريم رواية تدل على أنه كان يحضر خطبه، فقد قال محمد بن محمد القرشي التلمساني الشهير بالمغربي أنه سمع الامام ابا عبد الله الآبلي² العبدري يقول¹: "سمعت ابا عبد الله

عنوان الدراية 200. بغية الوعاة 301/2. نيل الانتهاج 345. درة الحجال 9/3. طبقات المالكية 524. شجرة النور 217 ترجمة 764. فهرست الوادي أشي 91. الدرر الكامنة 2 ترجمة 4847. غاية النهاية 28/2. شرف الطالب 77 وفيات 731. معجم اعلام الجزائر 195. ورقات للاستاذ المنوني 313.

¹: الرحلة 52/7.

²: انظر ترجمته في تلاميذه.

ابن رشيد يقول: سمعت ابن ابي العيش بتلمسان يقول في خطبته: من يطع الله ورسوله فقد رشد "بكسر الشين" وكان الطلبة ينكرون عليه فلا يرجع فلما أقبل ابن رشيد من رحلته دخل على الأستاذ ابن أبي الربيع بسبنة هناك بالقدوم وقال له رشدت يا ابن رشيد². بكسر الشين أيضا.

51- ابن خطاب المرسى (686 هـ)

أبو بكر محمد بن عبيد الله بن داوود بن خطاب، وكان كاتباً وشاعراً كتب لأمر المؤمنين ابي عبد الله بن يوسف الغالب.

لقبه ابن رشيد بتلمسان وروى عنه شعره ومنه قصيدته التي أولها³:

(الطويل)

سرى البدر فارتاع الفؤاد لومضه * * فبتُّ وجفني لم يذق طعم غمضه

تبدي كعرق في الغمامة نابض * * يدل على سقمي تواتر نبضه

وبما أن الجزء الأول مفقود فإن معارفنا عنه فيها ستظل في هذه الحدود.

لقي ابن خطاب كثيراً من الشيوخ ببلده مرسية كأبي بكر محمد بن محمد المعافري الشهير بالقرشي وأبي علي الحسن بن عبد الرحمان الكتاني الشهير بالرفاء والفقهاء ابي بكر بن محرز وغيرهم. وروى عن ابن جهور وأبي بكر المعافري وابن عميرة، وأجاز له ابو الربيع بن سالم⁴.

¹: البستان 159.

²: رشدت بفتح الشين وكسرهما لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ص: 217 وانظر عن ابن ابي العيش نيل الابتهاج 332، واظن أنه وقع سهو في كتابته وفاته لأنه جعلها سنة 910 هـ وكذلك فعل صاحب كتاب شجرة النورص: 1019 وانظر معجم أعلام الجزائر 155. وانظر عنه بحثاً مفيداً للأستاذ عبد القادر زمامة. المناهل: 224 و551

³: تاج المفرق للبلوي 60/1-150.

⁴: رحلة العبدري ص: 17 واللحة العبدرية 30-33 والذيل والتكملة 332/6 ترجمة 873. والبحث العلمي عدد 10 س: 1967/4 ص: 22 ذ. محمد المنوني. وانظر أيضاً البحث العلمي عدد 8 س: 1966/3 ص: 129 (رسائل ابي بكر بن الخطاب): المصادر الدقيقة في تاريخ المغرب للأستاذ محمد المنوني. وانظر فصل الخطاب في ترسيل ابي بكر بن خطاب مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط رقم 4605.

ن: ذكر من لقيهم بتونس

52 - ابواسحاق الحزرجي

إبراهيم بن أحمد بن محمد الانصاري الحزرجي الجزري¹.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام العالم المتفنن في انواع المعارف، شيخ الشيوخ وبغية اهل الرسوخ، اتصل به بتونس وقد اقعده، السن عن التصرف لضعفه، ولكن لم تكن به زمانة بل كان صحيح المذهب والعقل والبديهة غير انه يغلب عليه النسيان حتى يذكر بالشيء فحينئذ يفيض فيه ويستذكره. وكان هذا الشيخ بحرا في علوم العربية والبيان وأصول الفقه والمنطق واصول الدين وغير ذلك، وقد أخذ عنه علماء العربية ونجباؤها² وله تأليف حسنة تلفت أو أكثرها بموته لأنه لم يخرجها من مسوداتها في حياته وتركت بعد وقاته لرداءة خطه ودقته. ومن أهم كتبه السباحة في بحري البلاغة والفصاحة. ورفع عن المظالم عن كتاب المعالم، وقد تكلم فيه مع ابي المطرف بن عميرة في المسائل التي تعرض فيها لكتاب المعالم للفخر ابن الخطيب³. وذكر له ابن رشيد ثلاثة عشر كتابا من مؤلفاته الجليلة النفيسة وهي في النحو والجدل وعلوم القرآن وغير ذلك واشاد به مع أنه - كما قال - الان عديم الذكر.

وقد روى عنه بعض شعره وشعر غيره، وممن أخذ عن الحزرجي ابو الفضل التجاني وابوعبد الله بن الحكيم وغيرهما.

53 - ابواسحاق بن حبي القرموني

إبراهيم بن الشيخ الاديب الكاتب ابي الوليد اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن بكري الأيادي ثم القرموني المالقي نزبل تونس⁴. وصفه ابن رشيد بالشيخ الكاتب الاديب الحسيب الفاضل الكامل الرواية المسند، ناسق حساب الحسب وسامق ذرى الادب وسابق السراة النجب وكذلك كان ابوه. وقد لقيه بتونس وسأله الإجازة له ولبنيه في جميع مروياته ومرتجلاته، وأن يسمي بعض شيوخه ويتحفه ببعض

¹: الرحلة 62/6.

²: بغية الوعاة 406/1.

³: انظر تفصيل ذلك في كتاب ابو المطرف ابن عميرة ص: 297-298.

⁴: الرحلة 104/6.

فوائده، فكتب بخطه الإجازة التي أثبتها ابن رشيد في الرحلة بنصها ويقول في أولها: "سألني أيها السيد الجليل والصاحب الخليل الذي بز في ذكائه ونخوه على الخليل أن اجيزك وبنيك السعداء أقر الله لهم انسان عينك..."

وقد تفنن ابن حبي في تلك الرسالة بما يدل على أنه كان يجيد النثر ويتبصر مواقع حسنه.

ومن شيوخ القرموني: الحافظ الناقد الورع الزاهد المتبتل ابو بكر حميد بن ابي محمد القرطبي الشهير وغيره ممن عرص عليهم كثيرا من الكتب كالشهاب والفصيح والاشعار الستة والجمال والتلقين والمقامات وشعر حبيب. ومما قرأه على أبي بكر الاشيلي: القرآن الكريم بالاحرف السبعة. وممن كتب إليه بالإجازة ابو عبد الله الاستنجي المالقي.

وفي ترجمة ابن حبي هذا فوائد كثيرة إذ فيها رواية اشعار بديعة وشيء من الأسئلة والأجوبة، وفيها نصوص مهمة من الشعر الذي قيل في نكبة الحسين، وهي اشعار قيلت في التذييل على بيتي أبي الفرج ابن الجوزي¹.

54- ابو القاسم بن ابي الليدي (600- 686)

ابو الفضل ابو القاسم بن حماد بن ابي بكر الليدي الحضرمي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه والخطيب الحسيب الصالح المبارك اليقظ المعمر خطيب قسبة السلطان وخطيب الأعياد². وقد أضاف ابن ابي الليدي خطيب تلميذه ابن رشيد في منزله واحتفل به، وقرئ عليه وهو يسمع جميع ملخص القابسي³ في جمادى الاولى 686 هـ وغير ذلك من الحديث والأخبار الحسان، وقد أتى ابن رشيد في ترجمته ببعض التنبيهات المفيدة فمن ذلك تنبيهه على أنه لا يعتمد الاملاء على الحفظ، لأن الحفظ خوان والإنسان موكل به النسيان، وجاء ذلك في صدد نقد سند أبي محمد بن عتاب في سماعه ملخص القابسي لأنه وهم في بعض سنده، بسبب ذلك ومن ذلك قول ابي القاسم

¹: الرحلة 107/6. وورقات للاستاذ محمد المنوتي 316.

²: الرحلة 26/6 وفهرست الوادي آشي 14.

³: الملخص بفتح الخاء وكسرها كما بينه ابن رشيد في الرحلة 27/6. وكان ابو الحسن يقرأ كتابه بكسر الخاء ويجعله فاعلا يريد أنه لخص المتصل من حديث مالك.

جمزة بن محمد الكناني: "إذا اختلف الناس عن مالك فالقول ما قال ابن القاسم:" ومنها نص ما الفاه بخطه:" قال الشيخ ابو عمران الفاسي بقي على الشيخ ابي الحسن القاسمي حديث واحد لم يخرجوه وهو حديث (يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة) وبه يتم جميع ما في الملخص عشرون وخمسائة حديث".

وقد قرأ ابن ابي الليدي كتاب الملخص على ابي زكرياء البرتي في أواخر شوال 623. وممن قرأ عليه إجازة ابو سعيد فرج بن قاسم بن لب الثعلبي الاندلسي الغرناطي. وأخذ عنه حيدر بن يوسف بن عبد الملك¹.

55 - ابو العباس المروش

احمد بن ابي الطاهر اسماعيل بن احمد الربيعي ويشهر بالمروش².

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه والكاتب الاديب واحد من المبرزين من عدول تونس والمعدودين في شيوخها وهو ذو السمات الحسن والحائز من المروءة على اقوم نهج وأوضح سنن.

اتصل به ابن رشيد بتونس وأسمعه من حفظه القصيدة الشقراطية. للتوزري³ وتخميمها⁴. وأنشده شيئا من شعره ومنه:

(الطويل)

الا خيروا ما للنَّسيم إذا سرى * * لتلكم ووافانا شممناه عنبرا
وأنشده من قصيد ومطلعه: (الكامل)

طاب الزمان وذا الشتاء قد انقضى * * وأتى الربيع مكفرا عما مضى
هذي الحمائل كالجمائل بهجة * * والنهر فيها كالحسام المنتضى

¹: انظر بعض أخبار الليدي في طبقات المالكية 496 وغاية النهاية 29/2.
²: رحلة التجاني 83. ورحلة العبدري 243. وفي نيل الابتهاج 110 ذكر لبعض تلامذته مثلا. وورقات 314.
³: رحلة العبدري 45-49.

⁴: انظر تخميمها في رحلة العبدري 49-51.

ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر بن الامام الجزائري ويشهر بابن معط. وصفه ابن رشيد بالفقيه القاضي الاديب الفاضل، أحد المسندين الفضلاء والبارعين من رواة الأدباء مع براعة الخط والتفنن في أنواعه على الطريقة المشرقية. وكان يكتب العقود التي ترفع لأمر المؤمنين بتونس بثبات اهله الشهور في ليالي الارتقاب، وكان طيب المجالسة كثير الانشادات وله العناية الفائقة باقتناء نفائس الكتب بخطه البارع، وكانت له رحلة إلى المشرق في فتاء سنه، واشتهر هناك بنبيل وذكاء حتى كان يعرف بالشريف النحوي¹، وهو العالم الصالح الكامل² وكان حسن الصورة لطيف المزاج³.

وتعد ترجمة ابن رشيد لشرف الدين الجزائري ترجمة حافلة بالاخبار الحسان، فقد قرأ بخط فوائد كثيرة⁴ وانشده كثيرا من الاشعار. ومما روى عنه كتاب المحصول لفخر ابن الخطيب والآيات الكبرى له، واخبره أنه صحب ابا محمد الشارمساحي. وممن أخذ عنه ابن الامام في رحلته: ابن هبة الله بن سلامة المعروف بابن الجميزي، ودخل بغداد وسمع على أصحاب ابي الوقت السجزي ومنهم ابو عبد الله الزبيدي، وابو المنجي ابن اللتي وابو الحسن علي بن روزبة الذي سمع عليه البخاري عام 633 هـ وسمع كذلك على ابي الفرج بن الجوزي وعبد اللطيف بن القبطي وابي الحسن القطيعي وابني دحية وابي نصر ابن هبة الله الشيرازي ورشيد الدين العطار وابي عبد الله السلمي وابي عمرو بن الحاجب.

ويقول ابن رشيد ان ما يدل على عناية الجزائري بتقعيد الفوائد أنه نقل الكتاب الملقب بالمحرر الوجيز في دقائق النحو للفخر ابن الخطيب.

¹: الرحلة 53/6.

²: شجرة النور 65/1 ترجمة 679.

³: بغية الوعاة 137 ومعجم أعلام الجزائر 26.

⁴: انظر مثلاً قصة كتابي المثل السائر والفلک الدائر في هذا البحث (الكتب) وانظر عن الجزائري ورقات 315.

57 - أبو العباس بن القصير

أحمد بن القاسم الاشيلي القرار نزيل تونس¹ ويعرف بأبن القصير. وصفه ابن رشيد بالأديب الكاتب الناظم المكثّر الخطاط البارع المتجول شرقا وغربا، كان له بتونس حانوت يقعد بها لمجالسة الادباء ويستقضي منها حوائجه. لقيه ابن رشيد بتونس وانشده من شعره الذي كتب به إليه ابي القاسم المزياتي².

وقد صحب ابن القصير كثيرا من الادباء والنبلاء وخاطب وخطب³.

58 - أبو العباس بن نخيل الحميري

أحمد بن محمد بن أحمد بن نخيل الحميري. وصفه ابن رشيد بالأديب الكاتب الحسيب الفاضل⁴. لقيه بتونس مقدمة من الوجهة الكريمة بعد أن قصده إلى منزله مع صاحبه الفاضل ابي الفضل التجاني، فتلقاهما بالبر والترحيب وذلك في 16 ربيع الاول 686 هـ، وقد انشده من شعره ونقل بعضه من خطه، وافاده بكثير من الأخبار منها ما جرى بين الحميري وابي عبد الله بن عین الفولة من ذكر شعر ابن خفاجة في تشبيهه الهلال⁵. وانشده الحميري بلفظه شعرا رائقا ثم نقله بخطه. وله اشعار حسان كان يرتجلها ومنها (المجثت):

الحال حال زمان قد شاع في الناس مقتنه

والمرء فيه على ما يعطى من الحظ وقته

59 - أبو العباس ابن الغماز (619-693هـ).

أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن سعد بن سعيد بن مخلوف بن الغماز الانصاري الحزرجي البلنسي نزيل تونس وقاضي الجماعة بها⁶ وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه احد الفضلاء العقلاء والمنفذ لاحكامه في القضاء والبصير بالنوازل

¹: الرحلة 9/2.

²: انظر شعر المديح في الرحلة.

³: سبك المقال 99.

⁴: الرحلة 102/6.

⁵: الوصف في أدبيات الرحلة.

⁶: الرحلة 16/6.

العارف بالوثائق وعقد الشروط مع حسن الخلق والطلاقة في الوجه¹ وكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق. وكان في مدة ولايته ببجاية بعض ظلمة العمال². وكان ابن الغماز حبيرا نزيها كاملا، زين الحملة والرواة، وهو العالم الذي كان يأخذ بالاسماع والابصار³.

لقبه ابن رشيد بتونس وتكرر اللقاء به، وقرأ عليه كتاب التقصي لابن عبد البر النمري(26) في ربيع الأول 686 وسمع عليه الاربعين لابن ودعان رواية السلفي وسمع عليه مفاوضة القلب العليل للكلاعي⁴. وكتاب اسماء مشيخته وسمع عليه صدرا من كتاب الاستيعاب في ربيع الثاني 686 هـ والاربعين للثقيفي وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وبرنامج الكلاعي وذلك بقراءة ابن الحكيم. وسمع عليه ايضا قصة كتاب الفصوص⁵ والاربعين للشيباني في جمادى الاولى 685 هـ وذلك مع صاحبه ابن حيان الشاطبي وسمع عليه قطعة من البخاري بقراءة صاحبه ابي العباس الكتاني الذي كان يحب المباحثة ويحرك لها، وكذلك الفرائض من الموطأ وغير ذلك من الكتب النفيسة

وكان ابن الغماز إمام الفريضة والنافلة متميزا بالعدل، وكان ابن رشيد يجتمع إليه بسقيف منزله ويقرأ عليه وكان في سمعه نقل وقال ابن رشيد ان ابن الغماز كان يصطليح الناس لتقل خصوماتهم حتى ربما بقي بعض الاحيان في مجلس القضاء قاعدا لا يتحاكم اليه أحد. ومن شيوخه ابو الربيع بن سالم الكلاعي وابن خيرة وابن السراج وابن طرخان وعز الدين بن عبد السلام واسماعيل القسطلاني وابن عبد العظيم المنذري⁶ وخلق. وممن أخذ عنه: الغبريني وابوالحسن التجاني وابن سلمون الكناني⁷ وغيرهم⁸.

¹: نقلا عن طبقات ابي العباس الغرناطي.

²: عنوان الدراية 129.

³: العبدري 240 ونيل الابتهاج 64.

⁴: مفاوضة القلب العليل ومناظرة الامل الطويل لطريقة ابي العلاء المعري في ملقى السبيل. انظر الذيل والتكملة س: 4

ص: 168 وإيضاح المكنون 522.

⁵: انظر الكتب من هذا البحث.

⁶: درة الحجال 79/1.

⁷: نيل الابتهاج 125 وعنوان الاريب للنيفر 67/1.

⁸: وانظر عن ابن الغماز سبك المقال 54- 112، وفهرست الرصاع 94. والذيل والتكملة س: 4 ص: 13- والاعلام للمراكشي 223/3، وتاج المفرق 66/1، ومستودع العلامة 32، ونفح الطيب 72/6، وشرف الطالب 75 وفيات 693، وتاريخ الدولتين 53 وغيرهما، فهرست الوادي أنشي 3، وورقات 314، وطبقات المالكية 490، والزركلي 22/10، وشجرة النور 673 ص: 199، وتاريخ المغرب العربي 121 ومجلة الاصالاة العدد الخاص ببجاية س: 4 ع: 26 وفهرست التجيبي 126.

60 - ابو العباس الغرناطي (ت: 690 أو 692 هـ)

احمد بن محمد القرشي الغرناطي صاحب كتاب الطبقات¹ وصفه ابن رشيد بصاحبنا المفسر التاريخي. ويعتبر الغرناطي هذا مصدرا لابن رشيد في أخبار شيخهما ابي القاسم بن زيتون² وابي العباس بن الغماز³. وكان الغرناطي اعلم الناس بالكتب المصنفة وأحفظهم لاسمائها وكانت له فصاحة لسان وعذوبة بيان، وأشاد به الغبريني في ترجمته له فقال أنه كان ممن لا يشك في حفظه واتقانه في نقله⁴، وكان قد تولى القضاء بمواقع من الاندلسي وصنف تاريخ قومه وقرابته⁵ وشرح المستصفي للغزالي وممن أخذ عنه ابو العباس الغبريني⁶.

61- ابو العباس بن اللبان

احمد بن محمد بن اللبان. ورد اسمه عرضا في ترجمة صاحب ابن رشيد ابي الفضل التجاني⁷. وقد أنشد شيئا من الشعر لجدته لأمه الكاتب الجليل الاوحد أبي بكر ابن النجار.

62- ابو العباس بن لب المرسى

احمد بن محمد بن لب الانصاري المرسى. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الاديب الفاضل المقرئ المجود المتقن الحسن الإيراد، قارئ الأمراء وصدر القراء⁸. لقيه وتجدد اللقاء به وسمع عليه بقراءة صاحبه ابي العباس الاشعري، وسمع عليه من انشاداته الشعرية الكثيرة ومن ذلك ما قاله في مدح الرئيس ابي عبد الله ابن ابي طاطو الشيخ: (البسيط)

¹: الرحلة 16/6.

²: الرحلة 9/6.

³: الرحلة 9/6.

⁴: عنوان الدراية 301 ترجمة 672.

⁵: هدية العارفين 102/1.

⁶: شجرة النور 199/1.

⁷: الرحلة 37/7 هامش.

⁸: الرحلة 113/6.

شمل السعادة بالاسعاد منتظم * * فالانس مكتمل والدهر مبتسم
بيوم بمن شמוש الانس طالعة * * به علينا وجود الجود منسجم
(وهي طويلة 58 بيتا)

وأنشده اشعارا لنفسه ومنها يودع بعض العمال(الكامل)
سفرت سعودك عن سنا الاسعاد * * وقضى لك الانجاح بالانجاد
وله اشعار طريقة في الألغاز

63- ابو العباس الاشعري ابن السكان

احمد بن محمد بن ميمون الاشعري المالقي ويعرف بابن السكان¹. وصفه ابن
رشيد بصاحبنا المحدث الاديب² والفقيه الفاضل³ الراوية⁴ وهو ممن يعجب فهمه وذكاؤه
ويبهر فضله وحيأؤه⁵. ويعد الاشعري ايضا مصدرا من مصادر ابن رشيد لأنه كان ينقل
من خطه، وكانت بينهما صداقة متينة، ويحضران المجالس الادبية وتجمع بينهما النزاهات
مع الحساباء البلغاء في تونس البديعة⁶. وقد جمع الاشعري فهرستا للاستاذ ابي بكر بن
حبيش وكتب ايضا جميع تأليفه⁷.

64 - ابو العباس البطرني (637- 710 أو 713هـ)

احمد بن موسى الانصاري البطرني⁸. وهو صاحب ابن رشيد المقرئ المجود
الصالح الفاضل الراوية المسند المفيد مقرئ القرآن ذي الرواية الواسعة في الحديث المبرز
في الدين على اقرانه، ويقول عنه صاحب شجرة النور بأنه شيخ الشيوخ بتونس وعمدة

¹: نيل الابتهاج 68.

²: الرحلة 44/6- 114. و 108/3.

³: الرحلة 113/6.

⁴: الرحلة 3/2.

⁵: العبدري 267 ونيل الابتهاج 68.

⁶: انظر النزاهة التي جمعت بين ابن الحكيم الاشعري والمرسي وابن المبارك وما قالوا فيها من الاشعار وذلك في آخر

ثلث ربيع الاول 684 هـ. الرحلة 60/2- 61.

⁷: الرحلة 44/6 والذيل والتكملة س: 1 ق: 2 ت: 768 ص: 21، ونفح الطيب 46/5.

⁸: الرحلة 20/2.

أهل التحقيق والرسوخ بها¹. وقد التقى به في 23 ربيع الآخر 684 وروى عنه شعر أبي القاسم بن نوح حين خروجه من بلنسية: (الكامل)

لازلت تصحبك السلامة حيثما * * * يمت في غرب البلاد وشرقها
فقلوبنا لك مصفيات ودادها * * * ولئن ملكت قلوبنا فبحقها
ضمنت لك الشيم التي خولتها * * * الا يكون سواك مالك رقها

وكان ابن رشيد مشاركا للبطرني وابن عبد الله بن الغماز في حلقات الشيخ أبي العباس بن الغماز العلمية المشهورة.

ومن شيوخ البطرني أبو عمر بن شقر وأبو عبد الله بن برال، وممن أخذ عنه جماعة كابن عبد السلام وغيره².

65 - أبو العباس بن النعمان

وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه القاضي المشاور³. وقد ورد ذكره عرضا في ترجمة أبي العباس بن الغماز وكان يحضر مجلسه مع ابنه أبي عبد الله محمد بن العباس بن النعمان وما دار في إحدى تلك المجالس من انشاد أبي عبد الله لبعض الشعراء المجيدين (البسيط)

حتى إذا طأح عنها المرط من دهش

واخل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الجو فالتقطت * * * حبات مُنتَثَر في ضوء منتظم

فطلت الثم عينيها ومن عجب * * * اني اقبل اسيافا سفكن دمي⁴

¹: شجرة النور 205/1 ت: 71 والعبدي 275 ولاحظ الاختلاف في سنة الميلاد.

²: شجرة النور 205/1، والحلل السندسية للسراج 594، وانظر أيضا الحلل ص: 1048 خاصة و266-595 والدرر الكامنة 322/1 ت: 811 جعل وفاته سنة 703 والعبدي 275 وفهرست الوادي أشي 47 وورقات 315 فهرست التجيبي ص: 16.

³: الرحلة 25/6.

⁴: وانظر عنه أيضا فيض العباب الخزائن الملكية رقم 3267 ص: 99-75.

احمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي. وصفه ابن رشيد بالاستاذ المقرئ اللغوي النحوي المتفنن أحد مشاهير أصحاب أبي علي الشلوين¹ والمصنف المجيد الامام العالم². وقد لقيه وتجدد اللقاء به وخصه بثلاث تراجم حافلة بفوائد حالية بفرائد جمة أولها وهي الالهة عند وروده على تونس والآخران عند الصدور من الوجهة الكريمة³ واجازه جميع مروياته في 27 ربيع الاول 685 هـ. وقد وقف على فهرسته التي جمع فيها اسمعته وعلق منها اسانيد لا يوجد أكثرها بالبلاد المغربية. وكان ابن رشيد يتحامي بعض الأحيان حضور مجلسه لضجر في خلقه وخفته وصعوبة خلقه مع أنه كان أحد المشهورين الاعلام. وقد سمع اللبلي ابا علي الشلوين والدباج و ابا اسحاق البطليوسي وروى عن ابن خلفون وأخذ بسبته عن ابن رحمون وبيجاية عن ابي عبد الله الازدي وغيرهم كثير.

وله مصنفات عدة منها شرح الفصيح واختصاره وله كتاب في التصريف ضاهى به كتاب ابن عصفور. وأما مروياته فكثيرة منها الباهج في القراءات وحرز الأمانى وغريب الحديث للهروي والاحكام الصغرى لابن عبد الحق والروض الانف والشهاب والشمائل . والاشارة للباجي. والارشاد ومختصر السلاقية وعوارف المعارف والاحياء وقوت القلوب وكتاب سيبويه والايضاح والتكملة والذيل والتكملة واللمع والايضاح وأصول ابن السراج والفصيح وأدب الكاتب والمثلث والكمال وكفاية المتحفظ والمقامات وغير ذلك كثير⁴. وعندما حدد اللقاء به اجازه ولأولاده وأخذ يغشى معه مجالس ابن الغماز⁵، ولما لقيه للمرة الثالثة اسمعه العقيدة العمريه وأنشده من شعره في تسبيح الباري، وقد قال عنه الغبريني أنه لم يستفد بالمشرق علما لأنه لا ما ارتحل إلا بعد الاستاذية ولهذا اقتصر على ما علم⁶.

¹: الرحلة 27/2 و 84/6.

²: الرحلة 63/6.

³: انظر تراجمه في المراجع اعلاه.

⁴: الرحلة 27/2- 35.

⁵: الرحلة 65/6.

⁶: الرحلة 84/6 عنوان الدراية 300 وانظر أيضا سيك المقال 71 وبغية و الوعاة 402/1 ونفح الطيب 406/2 وروضات الجنات 100/1- 304 نيل الابتهاج 80 ورحلة العبدري 43- 44، ودرة الحجال 38/1، وهدية العارفين 1/100 والحلل السندسية للسراج 831/1، وفهرست الوادي آشي 18 وشجرة النور الزكية 198 ترجمة 670، وكشف

احمد بن يوسف بن يعقوب السلمي التونسي شهر بالكتاني وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأستاذ النحوي¹ الأديب الفاضل والفقيه الأجل² والفقيه الشاعر³ والذي له اختصاص بالأستاذ ابن عصفور⁴ وذلك بعد أن حصل كثيرا من تصانيفه ولكن لم يكن مع ذلك تام التحصيل لصناعة النحو، ولكنه يشارك ويذاكر وكان يجتمع به مع ابن رشد عند شيخهما ابن الغماز بسقيف منزله.

وقد أنشده الكتاني شعرا لنفسه وشعرا لابن عصفور ولغيرها. ونفهم مما سبق من قول ابن رشيد ان الكتاني هذا لم يكن تام التحصيل أنه لما ذكر له كتب ابن عصفور الكثيرة استدرك عليه ابن رشيد أهمها ومنها كتابه ضائر الشعر⁵ وشرح كراس الجزولي الذي ابتدأه هو وأكماله ابو الحسن الابذي فجاء التكميل أحسن من الابتداء.

ومما سمعه ابن رشيد بقراءة الكتاني على ابن الغماز مفاوضة القلب العليل لأبي الربيع الكلاعي. وكان الكتاني هذا مِمَّنْ التقى بهم ابن الطواح وترجم لهم⁶.

68- ابو الشمل الحلبي (629-.....)

ابو الشمل، وأبو عسكر جماعة بن يحيى بن مهنى بن كباب العجيسي المسيلي نزيل تونس ويشهر بالحلبي لطول سكناه بها في رحلته الى المشرق. وصفه ابن رشيد بالفقيه المدرس المتفنن بباب المنارة بالمدرسة المبنية خارج باب تونس⁷، وكان حسن البحث في الفقه على طريقة الجد⁸. لقيه ابن رشيد ولم يأخذ عنه، وكان يحضر معه بعض الأحيان مجلس ابن زيتون ثم كتب إليه مجيزا بعد انصرافه عن تونس غير مرة في جميع ما يجوز له وعنه روايته. وكان الحلبي هذا قد صحب بتونس القاضي ابا العباس الغماري⁹، الفقيه

الظنون 1674، والزركلي 260/1، وبروكلمان 350/5، ومعجم المؤلفين 212/2، وورقات 314، ومجلة الاصاله (عدد خاص ببجاية) سنة 4 عدد 26. وفهرست التجميعي 96.

¹: الرحلة 17/6 و34/6.

²: الرحلة 89/6.

³: الرحلة 21/6.

⁴: أورد له ابن رشيد افادات حسنة ومسائل نحوية مهمة 91/6.

⁵: فوات الوفيات 110/3، والمتع في التصريف 4/ 1.

⁶: سبك المقال 71- 72.

⁷: الرحلة 101/6.

⁸: الرحلة 102/2.

⁹: توفي الغماري سنة 682 انظر شجرة النور 201 ترجمة 691.

الجليل والقاضي النبيل الذي رحل أيضا إلى المشرق وأخذ عن عز الدين بن عبد السلام وانتفع به.

ومن سماعات الحلبي صحيح مسلم علي نظام الدين البلخي إمام الحنفية بحلب وصحيح البخاري على ابن الطفيل الحلبي، وكتاب الاعتبار للحازمي على أبي المجد اسماعيل بن هبة الله الموصلي وسنن أبي داود على أبي اسحاق الدمشقي وغيره والموطأ على ابن العجمي بجامع حلب وكتاب نصرة الصحاح لأبي الفرج الثقفى وغير ذلك.

ومن شيوخه أيضا أبو عبد الله القزويني وسيف الدين بن طغرل المحسني، وقد سمع عليه الغيلانيات وأبو الحسن بن خشنام وأبو الحجاج الدمشقي وغيرهم.

69 - حازم القرطاجني (608-684هـ)

أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الانصاري بن الحسن بن محمد بن خلف بن هني الدين المالكي النحوي التونسي مولدا والقرطبي منزلا. وصفه ابن رشيد بشيخنا بحر البلغاء وحرر الأدباء¹، وأورد ذكره في مواضع تزيد على العشرة وذلك في صدد مناقشته للمسائل الأدبية والبلاغية والنقدية، ومن ذلك قوله إن وضع الحروف في الكلام كالرباطات في الجسد التي تجمع العضل إلى المعظم² وفي مقارنته بين ابن حبيش وحازم، فقد كان أبو الحسن يفخم كلام نفسه بينما كان أبو بكر يخفي محاسن كلامه ولكل منهما نظر سديد³، وأورد له قصيدة في نكبة الحسين⁴، ثم أن أبا الحسن كان يعجب بقول أبي الفضل التيجاني وأورد له في ذلك شعرا⁵ وأنشده أبو الفضل قصيدة مطولة يمدح فيها أبا زكرياء ابن أبي حفص⁶.

¹: الرحلة 90/3 و40/6 و7/6 وانظر درة الحجال 254/1.

²: الرحلة 90/3.

³: الرحلة 80/6.

⁴: انظر نكبة الحسين في دراسة الشعر. وانظر الديوان ص: 22.

⁵: الرحلة 6/7.

⁶: الرحلة 31/7-32 و40/7.

وقد تأثر ابن رشيد بحازم وباتجاهه البلاغي والنحوي، ولهذا شرح له بعض كتبه¹، وذكر ابن القويح أنه لما وقف على قوانينه رعاها حتى صار كل ما يقرؤه وينظره من كلام بليغ أو بديع يصير كله له أمثلة لتلك القوانين².

وقد أخذ حازم عن جماعة يقرب عددهم من ألف شيخ وأخذ عنه الكثير كذلك. وله مؤلفات حسنة مفيدة³.

70- صالح بن شوشن (573-.....)

أبو التقى صالح بن محمد بن سليمان البلسي المولد الشهير بابن شوشن وأصله من طرطوشة، ونزل تونس وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الولي المعمر أحد الأولياء الأتقياء وقال فيه: "لوتشاغل بالسماع لكان عنده من ذلك ما يفرح، ولكن السماع رزق" دخل عليه ابن رشيد فكان قد بلغ غاية من الهرم فقراً عليه حديثاً من ثلاثيات الإمام البخاري إيثارا التخفيف عليه، ثم أجازه جميع رواياته ولأولاده وجماعة من الأصحاب منهم أبو حيان الغرناطي⁴ وروى عنه حديث: "كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب".

وقد قرأ عليه الوزير ابن الحكيم أيضاً سبعة أجزاء من ثمانية من كتاب البخاري، وقرأ ابن شوشن كتاب الترمذي على أبي الربيع الكلاعي والبخاري والاستيعاب والسيرة والموطأ على أبي الحجاج الأبي وبعض الموطأ على ابن واجب وحرف نافع على ابن سعادة⁵.

¹: انظر كتب ابن رشيد

²: الرحلة 17/6.

³: وانظر بعض أخبار حازم ومؤلفاته وأشعاره في قصائد ومقطعات، وديوانه بتحقيق ذ عثمان الكعاك ومنهاج البلغاء وكتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (دراسة كتاب المناهج الأدبية)، والعبدري 258 ونفح الطيب 316/3-341، أزهار الرياض 172/3-173-177-178-184، شجرة النور ترجمة 667 الفارسية 251 وكشف الظنون 1870 وهدية العارفين 260/1 وشذرات الذهب 386/5 وسبك المقال 92 ز، وروضات الجنان 227/4، والاعلام المرآة: 106/3 ترجمة 377، معجم المؤلفين 177/3، بروكلمان 113/5، وركات 316 الحلل السندسية للسراج 1/440-549-1028. والبرهان للزركشي 311/1.

⁴: الرحلة 45/2-46 ودرة الحجال 30/3 ترجمة 924 وفيها أنه ولد سنة 591.

⁵: وانظر بعض أخبار ابن شوشن في الذيل والتكملة سفر 4 ص: 135 ترجمة 256 والحلل السندسية 837/1.

71- ابن أبي الدنيا الصدي (606- 684هـ)

ابو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدي الطرابلسي¹. وصفه ابن رشيد بالعالم العامل رئيس الفقهاء في عصره وقاضي القضاة والفقيه الجليل العالم المشاور المفتي، وهو معروف بالعلم والدين والورع والفضل.

وصل ابن رشيد الى تونس وابن أبي الدنيا بحالة مرض شديد فقصده بعض الطلبة المشتغلين بالرواية هناك وكان له اتصال به، فسار معه إلى منزله فاستأذن ودخل وتركه في ذكآن أسطوانه فمكث ساعة وخرج إليه وقال له أن الشيخ بحالة لا يدخل عليه فيها وقال ابن رشيد: "وما نصح في ذلك ولا اراه صدق في استئذانه" لأنه بلغه أن الشيخ كان في تلك الأيام حريصا على لقاء من وصل من المغرب في المركب راغبا فيمن يستجيزه أو يأخذ عنه أو يسمع منه. وفي الغد عاد ابن رشيد لينظر من يتوسل إليه ليدخله عليه فألقى الشيخ وقد وضع في مصلاه فحضر جنازته واشتد اسفه على عدم اللقاء به "إنا لله وإنا إليه راجعون". ولابن أبي الدنيا تصانيف في أصول الفقه وأصول الدين ونظم ونثر، ولي قضاء الجماعة بتونس محمولا عليه وبلغ ابن رشيد أنه لم يحكم إلا اياما قلائل، وقيل إنه دعا الله أن لا يحكم بين اثنين فأجيب².

72- ابو زيد بن القويح

عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان بن عبد الجليل بن يوسف القرشي الهاشمي التونسي ويعرف بابن القويح³ وهو أخو ركن الدين محمد بن القويح المشهور. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأديب الحسيب، وقد لقيه بتونس وسأله أن يكتب له شيئا من نظمه البديع ومنه (البسيط).

¹: الرحلة 65/2.

²: وانظر بعض أخبار أبي الدنيا في عنوان الدراية 122، والديباج 159 ورحلة التجاني 251 وتاريخ طرابلس لابن غلبون 175 وعنوان الأريب 69/1 والحلل السندسية 1040/1 وطبقات المالكية 485 ومعجم المؤلفين 99/5 ودرة الحجال 161/3 وتذكرة الحفاظ 224/2/2.

³: الرحلة 16/6.

لله ما بفؤادي من هوى رشٍ * * من حسنه فتن الاذهان والمقل
بيدي لنا خـده والبدر قابله * * بدرا تلفع في برد من الحجل
بغار بدر الدجى من حسنه فيرى * * يصفر من حسد كالحائف الوجل
وله ايضا (البسيط):

لله ليلة أنس قد بلغت بها * * ما شئت من وصال الشاذن الغزل
بتنا بها نتعاطى الرَّاحَ صافية * * من كف ظبي به الألباب في شغل
يديرها تارة صرفا وآونة * * يشجها بلمى أحلى من العسل

73- ابن رأس الحجلة الجعدي

أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الجعدي المعروف بابن رأس الحجلة¹
وصفه ابن رشيد بالأديب الناظم الفاضل محب الأمراء والافاضل والمتولي بعض
الخطط (الحسبة) بتونس، فخير منه فضلا وأدبا وتواضعا ونبلا. وكان يتردد إلى منزله
متفضلا ومؤنسا ويمده بأيكار أفكاره، ويتحفه بأحلى وأمتع نوادره وطرفه، إذا كان ينشده
لنفسه، ويحكي له نوادر من غيره ومن غير ذلك ما حكا، للشيخ الفقيه المتفنن المطرف أبو
بكر ابن يربوع الشريشي الكلبي من حكاية الجُبْن والدرمك السالفة الذكر. ثم انشده
أشعارا أخرى لنفسه بديعة، ومنها ما حكاها لابن رشيد قال: حضر بعض الطلبة عند
الأمير أبي حفص وطلب منه أن ينظم الشعراء له بيتا قبل آخر هذين البيتين وبيتا بعده
على طريق التعجيز:

والبيتان المذكوران هما (البسيط):

إن قلت غبت فقلبي لا يصدقني * * إذ أنت فيه مدى الأيام لم تغب
أو قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب * * وقد تحيرت بين الصدق والكذب
فقال ابن رأس الحجلة (البسيط):

¹: الرحلة 16/6.

بل أنت محتجب عن ناظري فإذا * * لم تبد لي ظلت في وجد وفي كرب
فالقرب والبعد في وقت مما عجب * * حاضر غائب من أعجب العجب
وهذا يدل على حسن شاعريته وحضور بديهته وقدرته على الاتيان بالسهل
المتنع¹.

74- ابو محمد البسكري

وهو صاحب ابن رشيد الفقيه النحوي²، وقد ذكره عرضا في ترجمة ابي عبد الله
الطبري الشريشي الذي أخبر ابن رشيد بأنه كان جالسا مع جماعة بموضع سكناء من بيوت
مكة وهو مستلق نائما وابو محمد البسكري قائم فاستيقظ الطبري وقال أنه رأى تلك الساعة
في ذلك الموضع عينا تنبع وقطرا ينزل عليها من السماء ثم أخرج ابو محمد البسكري
السبحة من كفه وقال: هذا هو الذي رايت، وكان للبسكري سبحة مخفية وهو يذكر الله
سرا، قال ولم يزل على ذلك وعاد الى ذكره وقد علق ابن رشيد على ذلك بقوله: هذا
حسن جدا وصحيح في التأويل.

75- ابو محمد الطبري الشريشي

عبد الله بن ابي عبد الله محمد بن السليم الازدي الطبري الشريشي وصفه ابن
رشيد بصاحبنا الاديب الحبيب الصوفي الفاضل، واحد النجباء النبلاء، تصوف وتعبد
وتزهد وتطور ولبس خرقة الصوفية وتخلق بأخلاقهم³، وكان فقيها⁴ ملحوظا. وذكر عنه
ايضا كان ممن سهلت عليه تلاوة القرآن مع حسن الإيراد، يأتي منه على الكثير في الزمن
اليسير، وكان الناس يصحبونه على اختياره لا على اختيارهم، ويتصرف في غالب أحواله
كما يريد، وكان يقول انا محبوب لذاتي فمن ارادني صبر على تصرفاتي، أوخو هذا وله
نظم جيد في المغرب وشعر على الطريقة الزجلية، يتصرف بها على الطريقة الصوفية.
صاحبه ابن رشيد وتوجه معه برسم الحجاز وذلك برفقة الشيخ الفاضل الفقيه المشار إليه
في وقته ابي محمد المرجاني، وكان يصغي اليه وهم يسيرون على ظهر البحر أوهم قاعدون

¹: الرحلة 89.

²: الرحلة 20/2.

³: الرحلة 17/2 و 35/7.

⁴: الرحلة 37/5 و 108/6.

بفرشة المركب العليا فيصغي إليه المرجاني ويقبل عليه بكليته، وكان طيب النغمة مع بحّة في صوته. ومن شعره البديع (الطويل):

تصفح صفاح الكائنات فإنها * * من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها أن تأملت خطها * * إلا كل شيء ما خلا الله باطل

وقد ضمنه شطراً من بيت لبيد بن ربيعة السائر

وله غيره من غير ذلك اشعار لطيفة.

وقد ابتدأ الطبري القراءة بسبّية على الشيخ أبي إسحاق الغافقي لما انتقل عن

شريح ثم ارتحل إلى تونس وقم بها قراءته.

76- ابن هارون الطائي القرطبي (603-702هـ)

أبو محمد عبد الله بن محمد هارون بن محمد بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي. وصفه ابن رشيد يشيخنا الأديب الكاتب¹ المسند المعمر². اتصل به بتونس وقرأ عليه أحاديث وصدر من كتاب الامالي لابي علي القالي وناول جميعه بمنزله وذلك في شهر رجب 685 هـ. وأجاز له ولبنيه، وأذن له في كل ما يحمله على الشروط المتعارفة.

وقد سمع الطائي جميع كتاب الكامل للمبرد على القاضي أبي القاسم بن بقي، وجمع كتاب اللالي المجموعة من باهر النظام وباعر الكلام في صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وممن أخذ عنه الوادي آشي³ وابن زيتون وابن عبد السلام وابن هرون التونسي⁴

¹: الرحلة 44/6 و 15/2 و 3/5.

²: الرحلة 10/5.

³: الوادي آشي 16.

⁴: شجرة النور 199 ترجمة 675، وانظر ايضا عنه تاج المفرق 69/1 وفهرست 101، ورحلة العياشي 256/2، وسبك المقال 91، والديباج 143، وورقات 314، والمسند الصحيح 44-45، ودعوة الحق ع: 9-10 س: 1966/9 ص: 103 ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي ذ. محمد المنوني.

ابو محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي، وصفه ابن رشيد بالشيوخ الصالح الزاهد الفاضل وأحد الأولياء الأتقياء مع التواضع والحمول على معرفة الناس بقدرة وفضله وتكاثرهم عليه¹. وقال فيه العبدري: الناسك المنقطع الفاضل الكامل (الحفصي) الاندلسي من أهل التمسك بأخلاق السلف الصالح². وكان ممن سمع الاندلس ثم رحل وحج. اتصل به ابن رشيد بتونس وأنشد عليه كثيرا من الفوائد والاشعار وكتب عنه بعض الاحاديث المسلسلات³، وقرأ عليه المقدمة المحسنة المحتسبة بتوصية ذوي الخرق المنتسبة لابن مسدي⁴، ثم ألبسه طاقية على رأسه وألبسه كذلك الخرق في ربيع الثاني 684. وأورد له في رحلته سماعاته الكثيرة كصحيح مسلم والاكتفاء لأبي الريح الكلاعي⁵ والمقدمة لابن مسدي وموالي ابن الدباغ وكتاب المغني عن الحفظ، ومن سماعاته أيضا جميع القواعد للقاضي عياض عن ابن عجلان القيسي، وكذلك الموطأ والشهاب والشمال والمصافحة لابن العربي. وروى الخلاسي عن ابي مروان عبد الملك الشقوري القاضي بلبسية وذلك سنة 674 هـ⁶. وممن قرأ عليه ابن سلمون الكنانى الغرناطي العارف بالشروط⁷.

78- ابن الطواح

عبد الواحد بن محمد بن الطواح صاحب كتاب سبك المقال لفك العقال. لم أجد ذكرا لابن الطواح في الرحلة إلا أن ابن الطواح هذا ذكر ابن رشيد في كتابه وقال: ومن الأصحاب الذين لقيتهم ووفدوا على بلدنا الفقيه... محمد بن رشيد السبتي... ذاكرته في العربية زمان الصبا ولم يكن هناك، وكان شيخه ابا الحسن بن ابي الريح⁸ ولكنه قال " وانشدني رحمه الله في الجامع المعظم عام 687 هـ بيتين يخاطب بهما ابا الفضل التجاني رحمه الله وكان مريضا بجمي فآبَلَّ وهما:

¹: الرحلة 46/2.

²: انظر فهرست الاجايدث مثل مسلسل اطعنا وسقاننا ومسلسل المشابكة.

³: العبدري 244.

⁴: وقد أثبتها ابن رشيد في الرحلة بنصها.

⁵: سمع على ابن الريح الكلاعي ولم يجزه: الوادي أشي 15.

⁶: درة الحجال 44/3 ترجمة 945.

⁷: نيل الابتهاج 125 وانظر عنه ايضا ورقات 315.

⁸: انظر ابن رشيد النحوي وترجمة ابي الحسين بن ابي الريح فيمن لقيهم بسبته من هذا البحث ترجمة 8.

أبا الفضل عذراً عن مغيبه بالامس (البيتين)¹.

ونلاحظ أن هذا التاريخ الذي أثبتته ابن الطواح غير دقيق لأن رحلة ابن رشيد إنهاها سنة 686 هـ، ولا نظن أنه رجع إلى تونس في هذه السنة وقد يكون ذلك سهواً من الكاتب أو الناسخ².

ومن شيوخ ابن الطواح الذين التقى بهم: أبو علي السماط وابن العطار التونسي وابن خلف القيسي وأبو الحسن الرماني وأبو الحسن التجاني وأبو بكر بن حبيش وأبو عبد الله التجاني وأبو الحسن البودري الهواري وأبو زكرياء اليفرنى وأبو القاسم بن عميرة وابن شيلو النحوي وابن هارون القرطبي وحازم القرطاجني وأبو عيد الله بن تميم وابن القصيرة. ومن أصحابه ابن عبد السلام والقديدي ومجد في هذه المشيخة من اشترك فيه مع ابن رشيد كابن السماط والرماني والتجاني وابن حبيش وحازم وابن تميم.

79- أبو محمد بن مبارك

عبد الواحد بن محمد بن مبارك وهو صاحب ابن رشيد وصديقه الأديب النحوي³ والفقير⁴ الفاضل المبارك الأكمل⁵ والصوفي⁶ والكاتب النبيل⁷.

ويعد من أصفياء ابن رشيد وأصدقائه الذين يدرج اسمهم في مصادر معارفه في الرحلة، فقد ورد ذكره أكثر من خمس عشرة مرة تقريباً، وكلها في معرض الفوائد والأخبار الأدبية. ويعد ابن مبارك أيضاً تلميذاً خاصاً بأبي بكر بن حبيش الذي كان لا ينظم شعره إلا في توحيد الباري تعالى وتسييحه أو مدح- نبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ولهذا كان إذا خوطب يجيب عنه تلميذه ابن مبارك.

وعندما ألبس أبو محمد الخلاسي تلميذه ابن رشيد خرقة التصوف المباركة في ربيع الثاني 684 هـ حضر القراءة ولبس الخرقة هذا الفقيه. وكان ابن رشيد وأصحابه

¹: انظر دراسة الشعر.

²: سبك المقال 90.

³: الرحلة 5/2-58.

⁴: الرحلة 6/2 و 39/7.

⁵: الرحلة 56/2.

⁶: الرحلة 60/2.

⁷: الرحلة 47/6 و 45/6 و 37/7.

ومنه ابن مبارك تقوم بينهم مساجلات ومكالمات أدبية كثيرة¹ بل إنهم كانوا يصطحبون دائماً إلى منزل شيخهم أبي بكر بن حبيش فينشدهم أوينشدون الطارق والتليد من الأشعار.

80- ابن عبد القادر البجائي

أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي ويشهر بابن عبد القادر. وصفه ابن رشيد بالمتمنن المدرك الصدر الأوحده واحد الفضلاء النبلاء من ذوي الفهم السديد والنظر الحديد والرأي المصيب² والفقيه الاوحد³. وقال فيه الغبريني أنه من الذين قل أن يسمح الزمان بمثلهم⁴. وكان للبجائي معرفة بأصول الدين والفقه وتصرف في صناعة المنطق. لقيه ابن رشيد بتونس وسمع عليه كتاب التلقين للقاضي ابي محمد عبد الوهاب، وسمع عليه بقراءة ابي عبد الله بن القويح جملة من كتاب معالم أصول الفقه للفخر بن الخطيب. وقرأ عليه جميع كتاب الجامع من كتاب الموطأ رواية الليثي وذلك في مجالس آخرها 19 ربيع الاول 686 هـ. ولما تكرر سؤاله عليه في كتب الاجازة لم يجب تواضعا منه فألح عليه ابن رشيد فكتب له بخطه كراسا سمي فيه مشيخة من اخذ عنهم. وقرأ عليه جميع هذه الكراسة وذلك ف 18 ربيع الاول 686 هـ. وقد أورد ابن رشيد نص هذه الكراسة في رحلته. ولما جرى الكلام بين ابن عبد القادر وتلميذه في مسألة الحلف والإيمان اللازمة وكذا في حكم النضح كان الشيخ بماشي ابن رشيد على طريقة النظر ويناقشه في غير ذلك من المسائل⁵.

ومن شيوخ البجائي ابوبكر بن محز وابو الحسين احمد بن محمد بن السراج الاشبيلي وابو الحسن علي بن ابي البجائي ولو عثمان ابن زاهر الانصاري وابو العباس بن عجلان القيسي الاشبيلي وعبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندراني وابو اسحاق بن عمر الواسطي وابو الشتاء حامد

¹: الرحلة 60/2.

²: الرحلة 28/6.

³: افادة النصيح 94.

⁴: عنوان الدراية 204 ونيل الابتهاج 183.

⁵: انظر دراسة الفقه من هذا البحث.

الايباري، لقي ببجاية ابن الآبار القضاعي. وممن روى عنه ابوزيد اليزناسني¹ وغيره².

81- ابو الحسن الرماني (632- 709)

علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن رمان التونسي وصفه صاحب البغية بالاستاذ المقرئ النحوي وذلك نقلا عن رحلة ابن رشيد لأنه أجاز له بعد انصرافه من تونس³. والرماني هذا فقيه نحوي لغوي فرضي مصحح للشواهد في زمانه دون غيره، واعرابه اجود من ذكره للأحكام والتعاليل، وكان مبالغاً في طلب دنياه. وممن أخذ عنه الرماني ابو الحسن بن عصفور وابوالفضل بن البراء وابوعبد الله الشريشي وابن الابار وغيرهم. وقرأ عليه الوادي آشي يسيرا ولا يعلم هل استجازه اولاً⁴، وهو ممن أخذ عنه ابن الطواح⁵.

82- علي بن عمر الشاطبي

ابوالحسن علي بن عمر الشاطبي، وصفه ابن رشيد بالأديب ولكنه لم يترجم له، ولم يشر الى مكان لقائه به، وإنما أوردته في أحد تقايبه في الجزء الخاص بتونس ومن لقيهم فيها، ومما أنشده الشاطبي لنفسه في وصف تمر يسمى حفصة (الكامل):

ولقد خلوت بحفصة لا ريبة * * تخشى علي لعفتي وعفافها
أشكو قساوة قلبها فيجيبني * * في الحين ما قد لان من اعطافها
ففضضت خاتمها ولست بآثم * * عدنية قد حرت في أوصافها⁶

83- ابو الحسن بن رزين (.....- 692هـ)

علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر بن رزين التجيبي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الأديب الحسيب الفاضل الكامل واحد من الرواة السراة من اهل مرسية

¹: انظر رأينا ترجمته في طبقات المالكية 498 ووقات 315.

²: بغية الوعاة 340.

³: فهرست الوادي آشي 44.

⁴: سبك المقال 79- 80.

⁵: الرحلة 16/2.

⁶: الرحلة 64/6.

انتقل منها قبل الدجن وسكن سبتة¹ ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس وكان مقدورا عليه صابرا على الفقر المدقع، وربما استعمل في بعض الشهادات المخزنية وربما كتب عن بعض خدام صاحب افريقية، ولكنه لم يكن يحصل من الدنيا على ما يقيم به اوده أو يعول به اهله.

دخل ابن رشيد منزله يوما عائدا وما رأى عنده ماله قيمة ولا ما يستر أهله عن أعين النظار، وكان مع ذلك متحملا متجملا، صحبه ابن رشيد بتونس وكان يوليه برا حافلا ويتردد إلى منزله في كثير من الأوقات مفيدا ومتحفا بأنواع من الآداب، واجناس من الافادات، وقرأ عليه وسمع وأجاز له جميع رواياته وكتب له خطه بذلك غير مرة وسأله أن يكتب له أسماء شيوخه فصنف في ذلك جزءا جمعه برسمه يحتوي على نحو عشرين قائمة، وقرأه عليه. وقد حكي فيه شيوخه ثم انشد عليه ما تلقاه منهم وكتب له بخطه جملة من شعره ونثره، وخاطبه وراجعه، وانشده من شعر ابن الابار وقرأ عليه معجم الصدي وكذلك شعر ابي الحسن المقدسي الذي ختم به تأليفه: الفوائد المنتخبة (الطويل): ايا نفس بالمأثور عن خير مرسل * واصحابه والتابعين تمسكي (الايات).

واعاره ابن رزين كتاب روح الشجر وروح الشعر بخطه ونقل منه فوائده وكذلك الكتاب الذي عارض به ابن رزين هذا الكتاب وسماه جنى الزهر وسنا الدرر. وهو أكبر حجما منه ونقل منه فوائد، ثم انشده كثيرا من شعر غيره. وتعد ترجمة ابن رزين من ابداع التراجم واشملها وأكثرها استيعابا لكثير من الاخبار والروايات وغيرها.

ومن شيوخ ابن رزين ابو القاسم بن نبيل، وابن ابي السداد، وابو عبد الله الازدي وابو عبد الله بن الجنان وابن الابار وابو المطرف بن عميرة وابو الحسين بن السراج وابن بقي وابن فرتون وابو اسحاق البليقي وابو عبد الله بن ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان نزبل تلمسان، وابن برطلة الازدي وابو الحسن بن قشارش البلنسي وابو عبد الله ابن الجلاب الفهري وابو عثمان سعد بن خلف، وخلق².

¹: الرحلة 64/6.

²: انظر بعض اخباره في: نفح الطيب 230/4، والعبدي 252-255 وفهرست الوادي آشي 45، والذيل والتكملة سفر 5 قسم 1 ص: 176 وورقات 314.

علي بن محمد بن علي الانصاري القيجاطي، وهو شيخ ابن رشيد الفقيه الاديب ذو الخط البارع والنظم الجيد، والذي ترفع بهمته إلى معالي الأمور، فعزف عن مخاطبة الجمهور، وكان ذا تخصص وانقباض وتألم من زمانه وارتماض¹ قصده بمنزله مع صاحبه ابي الفضل التجاني واملى عليه شيئاً من شعره وشعر غيره. فمن بديع ما نظمته:

(البسيط):

تأتي على المرء أزمات تقنطه * * ويعتري معها يأس فيسخطه
رضيت، ربي، بما يجزي القضاء به * * فالرزق تقبضه طورا وتبسطه
الله خالقنا والله رازقنا * * فكيف اسعى لمخلوق أوسطه
وقوله (الطويل)

وقالوا رجوت ابن الحسين فلم تصل يداك إليه أين منك نداه
فقلت ينأى النجم عن كف لامس ولم ينأ عنه نوؤه وهده
وله في مدح ابن البراء قصيدة مطلعها (الكامل)

اهدي إليه خياله متعطرا * * فغدا المحب منعما مستبشرا².

وممن قرأ عليه وأخذ عنه ابي الحسن: ابو البركات البليقي وفرج بن لب الثعلبي وابن الصائع المري وابوجعفر الرعيني والكرسوطي³.

85- ابو حفص التجاني

عمر بن ابراهيم التجاني، وهو اخو ابي الحسن صاحب ابن رشيد، وقد وصفه بالكاتب الاديب

¹: الرحلة 111/6.

²: انظر دراسة الشعر.

³: درة الحجال 52/1، وانظر اخباره وشيوخه في نفح الطيب 22/8. أوصاف الناس 24، بغية الوعاة 15- 60- 157- 215- 344 وغيرها، ونيل الابتهاج 211، والكتيبة الكاملة 37- 4، وغاية النهاية 557/1 و7/2، وهدية العارفين 723/1، وفهرست المجاري 245، والزكلي 131/5، ودعوة الحق ع: 1 س: 13/ 1969 س: ص 126 (أوصاف الناس...) تحقيق الدكتور كمال شبانة.

البارع¹، لقيه بتونس وقرأ عليه وسمع افادات واشعارا كثيرة في منزله، ومن ذلك قصة ابي العباس احمد بن اسماعيل الحريري المشهر بابن القابلة الذي كان أميا عاميا، ومع ذلك كان ناظما، ولما غي خبره إلى المستنصر واتهم في شعره امر باختباره، وان لا يفارق حتى يحبس هذين البيتين فقال على البديهة (الطويل):

هل الوجد إلا ما حوته قلوبنا * * وشقت له اكبادنا لا جيونا

فمحضرنا فيه وفيه مغيينا * * ولما التقينا والنوى ورقينا

غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم

حبيبة قلب لا ادين بكرها * * لحسن صفات عز مبلغ كنهها

وحاولت أن آتي بشبهه وشبهها * * فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها

ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقد انشد التجاني لابن رشيد أشعارا كثيرة منها ماهو لابن جكينا البغدادي وابن التلميذ النصراني وابن التلميذ النصراني وابن الحشاش اللغوي وأبي القاسم بن المعلم وطلائع بن رزبك وابن عمارة اليميني وابن السوادي وابن غنوم، واتى في ترجمته بأخبار أدبية أخرى كثيرة².

86- ابو الحسين بن ديسم البلنسي (615-....)

أبو الحسين عيسى بن لب بن محمد بن الحسين بن خلف بن أيوب بن ديسم، ويرفع نسبه، إلى ابن عوف الزهري، العوفي البلنسي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الكاتب الاديب الفاضل الحسيب السري³، وقد لقيه وتجدد اللقاء به، وقرأ عليه بعض شعره وذلك بخط صاحبه محمد بن حيان ومما انشده ابن ديسم (الطويل):

عراني هم لادكار احبتي * * يراوحنني طورا وطورا يباكر

وكل قصي الدار يذكر اهله * * ولكن كذكري ليس يذكُر ذاكِر

¹: الرحلة 4/7.

²: وانظر عنه ايضا شجرة النور وذلك في ترجمة ابن رشيد ص: 217 ت: 760، وقد وهم المؤلف في نسبة الحلبي التجانية للمترجم له لأنها لأبي الفضل محمد بن علي. عنوان الاريب 87/1، والعبدري، وقد لقيه، ص: 262.

³: الرحلة 63/6.

وقرأ عليه بعض الطرائف في مجاز فتيا اللحن¹.

ومن شيوخ ابن ديسم ابو الربيع بن سالم وابن خيرة وابوالحجاج بن المرينة وابو بكر بن محرز وابن السراج وابن الابار، وهؤلاء قرأ عليهم وسمع وأجازوا له. وكتب إليه جماعة من أهل المشرق والمغرب².

87- ابن زيتون (620 و 621- 691 هـ)

تقي الدين ابو الفضل وابوالقاسم بن ابي بكر بن مسافر بن احمد بن عبد الرفيع اليميني المشهور بابن زيتون. وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام العالم المفتي قاضي الجماعة بتونس³ وكان أيضا فاضلا كاملا زكيا راضيا حسيبا مفتي افريقية والمنظور بها وقطب اصولها وفروعها والمرجع إليه في أحكامها غير مدافع⁴ وهو المجد المجتهد جمال علماء المغرب⁵ وقد رحل إلى المشرق رحلتين. لقيه وتكرر اللقاء به وخصه بترجمة حافلة وقرأ عليه كثيرا من الفوائد، ومما سمع عليه ما يتعسر من كتاب الموطأ وذلك بمدرسة الشماعين، وكذلك جميع المختصر البديع المفيد الذي اختصره عز الدين بن عبد السلام مضمنا فيه جل مقاصد الرعاية للمحاسبي وذلك في أواخر شوال 685، وقرأ عليه كتاب أمثلة التعارضات للفخر ابن الخطيب وغير ذلك، وكان ابن رشيد يباحثه في المعاني ويسمع له ابن زيتون مالا يسمح لغيره وذلك في 24 شوال 685 وكان يسأله كذلك في مسائل عقدية وفقهية وبيانية وتفسيرية فيجيبه بما يدل على علو كعبه في شتى الفنون⁶ ولهذا مدحه بقصيدة أولها: (البيسط)

أمام هدي هدى للعلم والعمل * * فزان حسنا طلى الايام والدول⁷

وينبغي أن نعرف أنه لم يكن يتأخر عن مجلس ابن زيتون أحد من كبراء طلبتها ولا من نبهاء فقهاء عدا ابي العباس ابن الغماز وقاضي الجماعة ابي عبد الله بن يعقوب الشاطبي.

¹: انظر شعر الفكاهة في الادبيات. ص: 559 من هذا البحث.

²: درة الحجال 188/3 ت: 1184 ويظهر ان ابن القاضي كان ينقل معارفه عنه من الرحلة.

³: الرحلة 9/6- 101 و 35/7.

⁴: الحلال السندسية 684/1 ونيل 222.

⁵: عنوان الدراية 114، شجرة النور 193 ت: 650 العبدري 256.

⁶: انظر دراسة الفقه.

⁷: انظر مدح الشيوخ في الادبيات.

وممن سمع على ابن زيتون ابو الفضل المرسى وعز الدين بن عبد السلام وغيرهما. وكانت الاسئلة ترد عليه من اقطار البلاد فيضع الكلام فيها في مجلسه على الطلبة ويتكلمون فيها حتى يتخلص له مراده ولهذا كثر طلابه وتلامذته كابن القويق وابن الجياب والغبريني وغيرهم¹.

88- ابو الكرم الحميري (618-.....)

محمد بن إبراهيم الحميري البلسي الأندلسي، وصفه ابن رشيد بالشيخ² وقد لقيه بتونس وصحبه عند صديقه ابي العباس الاشعري الذي كان محتفيا بهما، ولكن ابن رشيد لم يأخذ عنه ولكنه وافاه خطه مجيزا بعد انصرافه من تونس، وذلك بجميع ما يجوز له عنه وعنه روايته.

وممن أخذ عنه الحميري ابوبكر بن محرز الذي قرأ عليه البخاري والموطأ، وعرض عليه رسالة أبي زيد. وقرأ على الحافظ ابي عبد بن عسكر وأجازه اجازة عامة في جميع ما يحمله ويرويه.

89- ابو عبد الله القيسي السلاوي

محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي³ أصله من سلا وفيها ولد وبها نشأ، وهو الشيخ الصالح الراوية، خديم المشايخ الحافظ الفاضل السمع المبارك له رواية وذكر لنبد الاداب وحفظ لكرامات الاولياء وذكر لما شاهد منها. وقد رحل الى المشرق قديما وسمع من جماعة. وخدمهم واختص بخدمة الشيخ ابي الحسن الحرالي⁴. وكان السلاوي لا يقيم الاعراب حق اقامته وربما تَصَحَّفَ عليه اسماء الرجال، إذ لم يكن هذا من شأنه ثم انه لم يكن يخلو من سذاجة تقرب من البله وقد اتصل به ابن رشيد وتجدد اللقاء به واستجازه فأجازه ما رواه من شيوخه وما سمع من رواية ومسموعات وأخبار وأشعار. وما أنه كان اماما بمسجد ابي بكر بن حبيش فإنه كان يجتمع به هناك مع شيخه ابي بكر فتجري بينهم مناقشات تدور حول التصوف والزهد والكرامات. وقد أنشد السلاوي

¹: انظر عن ابن زيتون طبقات المالكية 486، سبك المقال 86 وغيرها الوادي آشي 5، الزركلي 7/6، الاعلام للمراكشي 236/3، ورقات 314.

²: الرحلة 114/6.

³: الرحلة 41/2 و 85/6.

⁴: شجرة النور 181 ترجمة 592.

لابن رشيد بعض شعر ابي الحجاج بن الشيخ، وابي القاسم بن هشام، وذكر له حكاية عن التاج الشريشي الذي كان يصحب الملك الكامل في أسفاره وأملى عليه ما سمعه على شيخه ابي الحسن الحرالي من الحكايات وما تناوله له بحق سماعه منه ككتاب الوصية لسالك طريق الصوفية وأورد من تصانيفه علم الحروف وكتابا في علم النحو سماه النافع في الاعراب وغير ذلك وأورد شيئا من أخبار ابن دحية ورحلته من بلنسية الى اشبيلية في شأن طلب علو الرواية، وما جرى له في جامع العديس فقد أتى إليه رجل فسأله عن اسم البصل في لغة العرب فقال له: (الدوفص).

ومن شيوخ السلاوي ابو العباس الشريشي وابن المقر البغسداوي ورشيد الدين العطار وابن خروف وابو علي حسين الشاطبي وغيرهم.

90- ابو عبد الله بن ابي تميم الحميري

محمد بن ابي تميم الحميري، وصفه ابن رشيد بالشيخ المعمر والأديب الحسيب، صدر في بلغاء تونس وادبائها صاحب الفضائل الغر والمطابة المطالة والمقطعات التي هي بالزهو والعجب محتالة¹ وقد قصده مع صاحبه ابن الحكيم فوافياه متوكنا على عصاه وهو من الوهن بحيث لا تكاد تحمله خطاه، فاستفسره ابن الحكيم واستملاه شيئا من شعره فأشده شيئا من ذلك في وصف السوداء وفي وصف المغني القبيح الصوت وفي مدح ابي عبد الله الهنتاتي في قصيدة طويلة، وتهنته بخنمة حفيده يونس وسماها رقم العذار، وأورد له شعرا في الغزل والرياء والفخر بنسبه وحسبه، وقد افاده بذلك صاحبه ابو محمد بن مبارك. ومما أنشده ابو الفضل التجاني لابن رشيد قال: انشدني ابو عبد الله بن ابي تميم لنفسه لما حل امير المؤمنين المستنصر ببزرت (مجزوء الرجز).

لما حللت باللوى * * بين ظلال الالوية

رأيت في بنزرت ما * * لم أر في افريقية

سعد السعود قاد للبدره سعد الاخبية

وانشده غير ذلك من الاشعار الحسن الطريفة²

¹: الرحلة 58/2.

²: الرحلة 35/7 انظر ترجمته أيضا في سبك المقال 97.

91- ابو القاسم الكلاعي

محمد بن الفقيه الاجل ابي عبد الوهاب الكلاعي، وصفه ابن رشيد بالفقيه الوزير الحسيب الاصيل الكاتب الفاضل وقد لقيه بتونس مقدمه من الحجاز وانشده شيئا من شعره وشعراخيه ابي محمد عبد الوهاب وكذلك لبعض الادباء ومن ذلك:
(الطويل):

تذكر متى حان أمر تخافه * * ولا تتركن يوما ركونا إلى الله
فما خاب عبد كان بالله واثقا * * ولا يندمن يوم المعاد سوى اللاهي¹

92- ابو عبد الله بن ابي القاسم الانصاري

محمد بن ابي القاسم بن احمد الانصاري²، وهو من عداد الاصحاب الذين لقيهم ابن رشيد بتونس، وكان كاتباً وقد انشده جملة قطع من شعره، الا أن فيه ضعفا ولكنه سهل:(الطويل)

الا ليت شعري هل إليك وصول * * فيشفى محب بالغرام قنيل
وهل آتـين يوما إليك مسلما * * فيشفى بتسليم جوى وغليل
ففي الصدر اشجان وفي القلب لوعة * * تحيركم أن المحب عليل

93- ابن ابي القاسم اللواتي

هو محمد بن ابي القاسم اللواتي³، وهو عامي، إلا أن ابن رشيد يورد ما يفهم من أن شعره متين من جهة الاعراب، ويجود ذلك طبعه السليم، ومن ذلك(البسيط)
شبابك ولي كان اكبر شافع * * الي الا فاذهب فلي عنك مذهب
انا البدر في ليل الشبية مطلعي * * إذا لاح فجر من مشبك اغرب
امالك ان يزجركم الشيب زاجر * * به وله منك المنون تقرب

¹: الرحلة 111/6.

²: الرحلة 99/6.

³: لم أتبين اسمه كاملاً بسبب وقوع تلف في الورقة الرحلة 89/6.

94- ابن حيان الشاطبي (635- 718)

محمد بن احمد بن حيان الشاطبي الاوسي نزيل تونس وهو الفقيه الراوية المكثر المسند المقيد المفيد الضابط المقرئ المجود، وهو أحد المكثرين سماعاً وتقييداً وتحصيلاً لهذا الفن وتجويداً سمع العالي والنازل¹ وكان له قدرة على مداخلة الشيوخ واستخراج ما عندهم وقد لقيه بتونس مقدمه عليه من بلاد المغرب، وروى عنه الحديث والشعر وقرأ عليه من مسلسلات القاضي ابي بكر العربي الى قوله باب كف صافحت رسول صلى الله عليه وسلم. وقرأ عليه في 28 ربيع الأول 684 هـ بعض الاحاديث وكتب له اوزاناً بخطه ومن ذلك ما أنشده ابو عبد الله المصري لنفسه في كتاب التنبيهات للقاضي عياض وغير ذلك من الاشعار الكثيرة منها ما هو في مثال النعل الكريمة ومنها شعر ابي المطرف بن عميرة في الغزل وفي مخاطبة المستنصر وغير ذلك. وتعد ترجمة ابي حيان هذا من التراجم الكاملة الغنية بالحديث والأدب² ومن شيوخ ابن حيان من القراء والمحدثين والادباء والفقهاء ابو عبد الله السوسي وابو محمد بن برطلة وابواسحاق بن عياش واجاز له علماء من المغرب والمشرق كابي الحسين بن السراج.

95- ابو عبد الله التجاني

محمد بن احمد بن محمد بن ابي القاسم التجاني³ وصفه ابن رشيد بالاديب، ووصفه حفيد عمه أبو الفضل التجاني. في كتابه الذي سماه الحلى التيجانية الذي جمعه برسم صديقه الوزير ابن الحكيم قال: هو آدب الجماعة وحافظ الأداب وكاتب العلامة وعلامة الكتاب وناظم الحفاظ وحافظ اولي النظم. وأنشد له أبياتاً منها (الهرج):

ولا تحزن ولا تنقنط * * * فإن الرزق مقسوم

فإن ضاقت بك الحال * * * فتفويض وتسليم

لقي التجاني ابن الابار وأخذ عنه وروى عنه كثيراً⁴.

¹: الرحلة 21/2.

²: وانظر عن ابن حبان الشاطبي: فهرست الرازي أشي 48 ودرة الحجال 245/2 ترجمة 737 والسنن الابين 29 وفتح المتعال (بعض أخباره).

³: العياشي 252/2.

⁴: سبك المقال 83.

96- ابو عبد الله الكلاعي ابن النجار (693)

محمد بن احمد بن عبد الله الكلاعي الدوقي¹ ويعرف بابن النجار وهو الشيخ الصالح المتصوف المحدث. ورد خبر أخذ ابن رشيد عنه في كتاب درة الحجال²، ويحتمل أن يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث وغير ذلك مما يتصل بالزهد والتصوف.

أخذ الكلاعي القرآن والحديث والفقه والأصول عن ابن أبي الحسن الهواري وابن برطلة، وأخذ بالمشرك عن الرشيد العطار وغيره وأخذ عنه الوادي آشي وأجازة اجازة عامة بشروطها وكتب خطه بذلك³.

97- ابو عبد الله بن الغماز

محمد بن قاضي الجماعة أبي العباس احمد بن الغماز. وقد كان من العلماء العاملين والقضاة المتقنين العادلين الاذكياء عمر طويلا وكان ابن الغماز هذا ممن وصفهم ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل الذكي اللبيب الفاضل الحاج، وكان هو وابوه حَقِيَيْنَ به⁴.

وكان ابن رشيد يحضر قارئاً وسامعاً على أبيه فيتذكر كذلك مع ابنه هذا. أخذ ابو عبد الله عن الرضي الطبري وروي عنه البخاري. وروى عن جماعة منهم ابو عبد الله الغساني المكناسي وابو عبد الله الوادي آشي⁵.

98- ابو عبد الله بن النعمان

محمد بن أبي العباس بن النعمان⁶ وصفه ابن رشيد الفقيه الفاضل المتقن المشارك ابن شيخنا الفقيه القاضي المشاور. وقد انشده في مجلس أبيه لبعض الشعراء المجيدين (البسيط).

¹: الوادي آشي 46 وفيه (ابن الرومي).

²: درة الحجال 553/2 ترجمة 736، وانظر عنه الوادي آشي 46.

³: الوادي آشي 46.

⁴: شجرة النور 225 ترجمة 806 وطبقات المالكية 491 والرحلة 16/6.

⁵: شجرة النور 225 ترجمة 806 وطبقات المالكية 491 والرحلة 16/6.

⁶: الرحلة 25/6.

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش* * واخل بالضم سلك العقد في الظلم
(الايات)

99- ابو الوليد بن الحاج التجيبي

ابوالوليد محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن خلف بن إبراهيم بن لب بن خالد بن بكر التجيبي ويشهر بابن الحاج. وهو الشيخ الفقيه الفاضل الحسيب الاصيل ذو البيت النبيل والمجد الاثيل الكاتب البارع الضابط المتفنن ذو الأخلاق الكريمة والذات الشريفة لقيه ابن رشيد مقدمه على تونس من بلاد المغرب وذلك بالممر الكبير وأجاز له ولبنيه في ربيع الأول 684، ونقل من خطه تسمية أشياخه في إجازته لابي عبد الله بن محمد بن حيان الشاطبي، ومن أولئك الشيوخ والده وابن مهني اللخمي والشلوبين وابواسحاق ابن هارون المرادي وابومحمد بن حزم الاموي وابوعبد الله الازدي السبتي والصالح ابو محمد اللخمي وابو عمرو عثمان التميمي وابو القاسم المصمودي السبتي والزاهد ابو الحسن المقدسي وابو الحسين ابن أبي الربيع القرشي وابوزكرياء السكوني، وممن أجاز له الإجازة العامة القاضي ابو الحسن علي بن عبد الرحمان الزهري وغيرهم. وكانت هذ الإجازة في عقب شهر جمادى الأولى 663 هـ. وقرأ عليه ابن رشيد كثيرا من الفوائد ونقلها من خطه¹.

100- ابو بكر بن حبيش

محمد بن حسن بن يوسف بن حسن بن حبيش اللخمي، أصله من سبنة وبها نشأ، وتجول ببلاد الاندلس ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس واستقر بها. وصفه ابن رشيد بالفقيه الأديب والكاتب البليغ الحافظ الناقد العلامة² والشيخ الحافل المتفنن الحلو الشماثل والمنازع العذب المطالع والتخلصات والمقاطع³. وكان قد نسك وتزهد واقتصر على النظم في تنزيه الباري تعالى، وهو متقدم القدم في صناعة البيان متمكن اليد من ناصية الابتداء⁴، ثم إن هذا الشيخ لم يصدر عنه بيت هجو قط. وقد خصه ابن رشيد بترجمتين حافظتين في الورود والصدور، وسمع منه كثيرا وأورد له كثيرا من الانشادات

¹: الرحلة 10/2.

²: الرحلة 1/2.

³: الرحلة 34/6.

⁴: الرحلة 1/2 وانظر نفح الطيب نقلا عن الرحلة 46/6.

وبعض الاخبار الادبية والنقدية والبلاغية. وقد سبق القول ان ابن رشيد كان معجبا بحازم القرطاجني وابن حبيش¹.

ومما سمعه عليه انشاداته الكثيرة كالعقيلة الحالية والوسيلة العالية، وهي التي خمس بها معراج المناقب لابن ابي الحصال، وقرأ عليه كثيرا من تأليفه وما انشده شيوخ ابن حبيش عليه كابن محرز وابي علي الرفاء. وقرأ عليه اسانيده في برنامج الذي جمعه له تلميذه وصاحب ابن رشيد: ابو العباس الاشعري².

ومن شيوخ ابن حبيش ابوالقاسم الانصاري وابو علي الرفاء وابن سلمة الشاطبي وابن محرز وابن عسكر المالقي وابن قطرال وابن السيد المرسى وابن واجب وابن عتيق الازدي وابن ابي الغصن وابن ابي السداد وابن بُرْطُلُ وابن عميرة وابن غالب وسهل بن مالك. ومن اسمعته الكثيرة التيسير، والقصيدة الحصرية والجمان والمفصل والحماسة والتقريب والمحزر الوجيز، والبخاري ومسلم والبديع والسيرة والاستيعاب والتبصرة والرسالة لابي زيد والتلقين واصلاح المنطق والكمال والمقامات وفهرس ابي القاسم ابن حبيش وشعر ابن خفاجة والموطأ والمستصفى وشعر المتنبي وشعر ابن وضاح وغير ذلك.

وممن أجازاه ولم يلقه ابن الاصفر الحارثي والشلوبين والدباج وابن الطيلسان وابن حريرة المالقي وابن طلحة وابن عبد الصمد الخزرجي. ومن تلاميذه ابن مبارك وابوالعباس الاشعري جامع فهرسته³.

ابو عبد الله بن الحكيم

لابن الحكيم ترجمة مهمة فيمن لقيهم برندة، وما أنه كان رفيق ابن رشيد في الرحلة فإنه كان يتصل به حيناً ويفارقه حيناً آخر، ولهذا وردت وترد له بعض الاشارات المقتضبة عن اخباره في اماكن أخرى.

¹: انظر ترجمة حازم القرطاجني قبل ترجمة 69.

²: انظر ترجمته في التونسيين ص: 287 ترجمة 63 من هذا البحث.

³: وانظر عن ابن حبيش: نفح الطيب 121/5 - 16 - 46 - 76، وازهار الرياض 174/5 وما بعدها وسبك المقال 65 والعبدري 18 - 50 - 51 وفهرست الرصاع 207، والذيل والتكملة 446/6 وهي ترجمة مقتضبة جدا. والمشتبه في الرجال 272/1 ومعجم المؤلفين 228/9، وورقات 315، الزركلي 317/6 وانظر عن ابن حبيش فهرست التجيبي ص: 181 و213.

حضر ابن الحكيم مع ابن رشيد مجالس ابي يعقوب الجذامي وابي العباس الغماز الذي كان يسمع عليه بقراءة ابن الحكيم برنامج مع ابي الربيع بن سالم وقد ورد فيه قوله: "كتاب الفصوص تأليف صاعد الربيعي، ناوئيه ابو عبد الله بن هشام المصحفي عن صاعد مؤلفه.

وقد اقام ابن الحكيم معه إلى العشر الاخير من شعر رمضان المعظم من سنة 685 هـ ولكنه لما استطال مدة المقام أزمع السفر مع جماعة من الاصحاب على طريق البر، واقام ابن رشيد بعدهم بتونس الى أن دخل عام 686 هـ، وكان دخوله بالاحد، ثم تمادى المقام إلى ان دخل شهر ربيع الآخر 686 هـ وبعد ان تهيأ المركب للمسير غادر تونس. ومعنى هذا أنه تأخر عن صاحبه ستة أشهر وبضعة أيام¹.

101- ابوبكر بن غصن التجيبي

محمد بن ابي محمد عبد الله بن يوسف بن غصن التجيبي. وصفه ابن رشيد بالفقيه العدل الحسيب. وقد لقيه بتونس في 6 جمادى الثانية عام 685 هـ وانشده شيئاً من الشعر رواية عن ابي محمد بن عبد الله البيولي الحرار عن ابي العباس بن حمير السبتي الصالح الزاهد لنفسه وكان انشده ابن حيان شيئاً من ذلك لابن رشيد فلما لقي ابن غصن انشده (الطويل)

وجامع اموال علي وجه حلها* * يجود بها فضلاً على كل معدم

(7 أبيات)²

102- ابو عبد الله بن هريرة

محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي ويشهر بابن هريرة. وهو الفقيه الاجل الانبل الافضل، واحد المتخصصين بتونس ونبلاء ادبائها وله مشاركة في النحو والأدب والتاريخ³ وقد قال فيه العبدري أنه ذو العناية والتهمم، خير صدوق⁴.

¹: الرحلة وانظر ترجمته فيمن لقيه برودة.

²: الرحلة 100/6.

³: الرحلة 99/6.

⁴: رحلة العبدري 44.

لقبه ابن رشيد بتونس وأنشد شيئا من شعر ابي العطار القرطبي الكاتب¹، وقد اختصر ابن هريرة كتاب الصلة بالشكوالية وذلك بأن جرد منها الاعلام الذين تمس الحاجة إلى التعريف بهم ومن اعلام الادب التونسيين الفضلاء من القادمين عليها. ويرجح أن يكون الكتاب الذي جمعه في وفيات المشاهير من اهل كل فن على حد العبدري- لولا انه لم يرتب على ما ينبغي².

103- ابو الفضل التجاني

محمد بن ابي الحسن علي بن ابي اسحاق إبراهيم بن محمد بن ابي القاسم التجاني، كان ابن رشيد يدعوه صاحبا الفاضل وواصل الغاية³ في الفضل، والفاضل زاده الله من افضاله⁴ والاديب البارع⁵ والكاتب السري الكامل⁶ والحافل المتفنن ابرع الجماعة ادبا واوسعه طلبا حافظا لافظا، وهو ذو المفاخر والمحاسن، وكان شيخه ابوبكر بن حبيش يسميه واصل الغاية وسماه ابن رشيد عاطفا على كلام شيخه "وحرز النهاية عند البداية" إلى غير ذلك من الصفات التي لا يتسع المقام لذكرها كلها لاتساعها وتعددتها.

وقد بلغ من اخلاص وده له أنه كان أيام مقامه بتونس، بعد رجوعه من الحجاز ، وذلك الزمان من أشرف ما كان يعتده من ايامه، كان يتردد كل منهما إلى منزل الاخر ويذكر أنه كان يبايته كثيرا ويذاكره ويشاعره، وقد كان يستفيد كل منهما عن الآخر ويأخذ عنه⁷. وكان ابن رشيد معجبا بأبي الفضل ايما اعجاب ولهذا خصه بترجمة لم يحظ بمثلها غيره اذ تنيف على تسعين صفحة، وان شئت قل ما يقرب من جزء كامل ضمنه ما شاء من الشعر والنثر والأخبار الطريفة الخاصة والعامة والرسائل البديعة، وفيها أخبار ابيه وجده ابي الحسن علي وابي اسحاق إبراهيم.

¹: انظر شعره في الالغاز (في السكين).

²: العبدري 44 وانظر عنه ايضا الاعلام للمراكشي 207/3، وورقات 315.

³: الرحلة 12/6 - 111.

⁴: الرحلة 61/6.

⁵: الرحلة 15/6.

⁶: الرحلة 40/6.

⁷: الرحلة 5/7.

ومما قرأه عليه ابن رشيد: كتابه حشر الامم الخالية ونشر الرمم البالية وهو في محفة التسويد، ثم قرأه عليه لما رآه حلل التجديد¹. كما جمع ابو الفضل كتابا باسم ابن رشيد وصديقهما ابن الحكيم. وجمع له ابن رشيد كذلك شيئا من شعره البليغ ومنه (الحفيف).

انا من قد علمت مت حيا* * وطوتني الاداب بالنشر طيا²

وجمع ابو الفضل كتابا في مشيخته سماه: الحلل المضمخة في حلى المشيخة. وشيوخه يزيدون على المائتين، ومنهم ابو بكر بن حبيش وابوزيد الجمحري وابو عبد الله السيوسي وابو عبد الله القضاعي وابن برطلة وابو اسحاق التجيبي وابو العباس الحميري وابو اسحاق البليقي والمازري (ابو العباس) وابن ابي الدنيا الطرابلسي، وكان ابو الحسن حازم يستظرف شعره. وقد قرأه عليه الصادية المشهورة التي عارضها ابو بكر الصابوني وابن الابار وابن عريبة³.

104- ابو القاسم الانصاري

محمد بن علي بن احمد بن إبراهيم الانصاري. وصفه ابن رشيد بالفقيه الاجل الكاتب الافضل وقد لقيه بتونس مقدمه عليها من المشرق وانشده لنفسه من قصيد (الطويل):

ذكرتك والازهار تندي وتفتح * * وروض الثريا منها سمط موشح

وقد طلعت زهر النجوم كأنها * * عوائم في نهر المجرة تسبح

وصرح خيرى الرياض بسر * * كدمعي يسري في هواك يصرح

وللورد ما بين الغصون تبرح * * كخدك يدمى باللحاظ ويجرح

(58 بيتا)⁴

¹: وهو التاريخ الكبير.

²: انظر الشعر (الشكوى من الزمان والدهر).

³: وانظر عنه ايضا عنوان الاريب 87/1 وسبك المقال 82 والحلل السندسية 346/1 ورحلة التجاني 285 وتاريخ

الدولتين 63.

⁴: الرحلة 12/6.

105- ابو عبد الله بن قطرال

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الانصاري. وقد ورد اسمه عرضا في ترجمة ابي عبد الله السلاوي الذي أجاز له واخبره الحسن الحرالي أخذ عن ابي ذر الحشني وابن خروف وابن القطان وابي الصبر الفهري الذي لقيه في سبته. ويحتمل أن يكون ابن رشيد قد أخذ عنه ما يتصل بالزهد والتصوف أو تذاكر معه في المسائل التي تتعلق بذلك¹.

106- ابو عبد الله بن عيسى :

عندما جرت مذاكرة بين ابن رشيد وصاحبه ابي محمد بن مبارك وشيخهما ابي بكر بن حبيش وذلك في 28 جمادى الاولى 685.

في بعض المسائل الادبية، كان ممن حضر من اصحاب ابن رشيد ابو عبد الله بن الحكيم وابو العباس المرسى وابو عبد الله بن عيسى² ونستنتج من ذلك أنه كان من طبقة ابي العباس الكتاني وابن مبارك. وغيرهما ممن كان له إلمام بالأدب والفقه والزهد والتصوف ولا شك في أن ابن رشيد كان يذاكره في ذلك.

107- ابو عبد الله بن القويع(664- 738 هـ)

ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الجليل بن يوسف القرشي الهاشمي عرف بابن القويع وابن القوييع، وهو اخو عبد الرحمان السابق الذكر، ولكنه كان اصغر منه سنا وأكبر علما، وقد برع في الفهوم وقرس في كثير من العلوم ووجهه بعد ما بقل³، وهو النبيه الذكي الحديد الذهن الفائق الفهم⁴، وقيل عنه انه كان يتوقد ذكاءً إذا حدث في شيء من العلوم أو تكلم في دقائقها وغوامضها⁵. وكان فريدا في فنون العلم الاصول والحديث والفقه والعروض والطب والحكمة.

¹: الرحلة 44/2.

²: الرحلة 46/6 وانظر الشعر الديني.

³: الرحلة 117/6.

⁴: الرحلة 28/6.

⁵: شجرة النور 208 ت: 724 والحلل السندسية 698/1.

وكان ابن رشيد يلتقي به كثيرا وبياحته في مسائل الأدب والبلاغة المعقدة وغير ذلك¹ لأنه كان منتفعا في علم البلاغة بكتاب شيخهما حازم القرطاجني² بل كان يصحبه وينشده من شعره وتجري بينهما مباحثات ومشاعرات لطيفة. وقد قام ابن القوبع هذ بالرحلة إلى المشرق، وكان يعرف بشيخ المالكية بالديار المصرية والشامية وكان يدرس بالمنكتمرية بالقاهرة، ويدرس الطب بالمارستان المنصوري، وكان يعتمد على كتاب الشفاء لابن سينا دائما النظر فيه³.

108- ابو عبد الله الفرضي

محمد بن محمد بن علي المشهر بالفرضي⁴. وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل الفاضل والإمام في علم التعاليم على الإطلاق، طاف وجال في جميع الآفاق غربا وشرقا، وظن ان اصله من الأندلس التي قضى بها صدر عمره مع فضلاء اهل عصره، ثم حج ورجع الى تونس فاضلا صوفيا ملازما للصلاة بجامع الزيتونة الاعظم، فنزل بعض الخانات من المسجد مع الطهارة والعبادة والانكفاف، وكان أيضا بارع الخط حسن المجالسة. التقى به ابن رشيد وانشده من شعر ابن الساعاتي في الغزل وفيه معنى من معاني الفقه: (الطويل)

الى الله اشكو حب احور شادن * * وقعت ومالي من يديه خلاص

جرحت بلحظي خذه وهو جارح * * بعينه قلبي والجروح قصاص

وغير ذلك من شعر الغزل للشاعر رضوان بن خالد المخزومي الملقب الذي انشده عليه في عام 633 هـ. (البسيط).

ابدى هواي واخفى بالصبا جسدي * * فظل ينشره طورا ويخفيه

اكرم به من مليح الجيد عاطله * * ومن مدامي ربق الثغر حاله

¹: انظر في دراسة الرحلة (البلاغة).

²: انظر ترجمة حازم والانتفاع بالقوانين له.

³: وانظر عنه أيضا نيل 232 بغية الوعاة 226/1 الدرر 229/4 درة الحجال 300/2، الزركلي 264/7، ط. الدودي 2: 570. الوافي 238/1، أيضا المكنون 527/1.

⁴:

ثم أورد ترجمة لرضوان هذا: وهو أبو النعيم رضوان بن خالد بن الحسين بن عبد الرحمان بن مكرم الفرضي المخزومي من اهل مالقة وهو اديب جليل وشاعر جليل له عزة نفس ومعرفة الاداب. وقد أورد له بعض الشعر من غير ذلك.

وقد أورد ابن رشيد في ترجمة الفرضي بعض الفوائد ومن ذلك مسألة اختلاف العلماء في الرخص للشاعر في وصف الحدود والقدود، فمن محرم ومبيح، وقد أورد قول أبي الفرج بن الجوزي عن أبي حامد الطوسي ان ذلك لا يجرم، ثم عقب ابن رشيد على ذلك بتفصيل وتصحيح مفيدين. سمع ابن رشيد على الفرضي شيئا من شعر أبي حامد الغزالي وغيره¹.

109- أبو عبد الله بن هشمك

محمد بن أبي زكرياء يحيى بن يعقوب بن هشمك السبتي، اصله من الأندلس ولد بسبته ونشأ بها وله بها ولوع². وهو الشيخ الاديب المفيد الجماعة لكتب الاديب الرحالة ابي الحسن بن سعيد. وهو أحد الحسباء ذو المنازع الغربية والتصرفا العجيبة وكان حافظا للادب مولعا بمخاطبة صدور الناس من الامراء والرؤساء والفقهاء وقد جمع كتب ابي الحسن بن سعيد وافادته وتصانيفه الادبية والتاريخية وجمع من ذلك ما لم يجمعه غيره، ولعله احصى جميعها على كثرة عددها، وكان لا يعير شيئا منها ولا ييخل ايضا بانتساخها من عنده بل كان يحمل ناسخا لموضع عنده ينتسخ ما أراد منها، ولكنه مع ذلك كان يسمح لابن رشيد ببعضها ويهدي إليه على عادته المعروفة بعض الأشياء، ومن ذلك مصباح من ختم وكعكة من النبي تسمى الفرجلة ودجاجة مطبوخة أو بعضها، وبالجملية فإن منزع ابن هشمك كان عجيبا غريبا ولهذا كان يحبه ابن رشيد ويحله ويجالسه كثيرا، ومما افاده به مما وقع له من تأليف الرحلة ابي الحسن بن سعيد كالمشرق والمغرب والمهاد ورقم الحلل ووشي الحسب والشجرة المثمرة ومصاييح الكلام والحلة السرياء والسحر المذاب والحدود الموردة وحلى الرسائل وسلوك الكلام وريحانة الادب والادب الفضي وجنى النحل وغنج المحاضرة والمقتطف والطالع السعيد والنفحة المسكية واللمعة البرقية وغير ذلك كثير³. وقد كتاب ابن هشمك ذلك كله بخط يده، ثم استدرك

¹: الرحلة 115/6.

²: الرحلة 100/6.

³: انظر بعض مؤلفاته في كتاب ابن سعيد الاندلسي ص: 172.

ابن رشيد عليه بعضها مما وقف عليه من تأليفه كالحلى البلادية والحلل العبادية، وقد وقف على قطعة منه بالاسكندرية. ومما انشده ابن همشك لابن رشيد قال: انشدني ابو عبد الله بن ثابت قال انشدني ابو زكرياء بن ابي حفص لنفسه بالجزيرة الخضراء وكان وليها في صباه: (المجنت)

تبـا لاهـل الجـدار * * فدارهم شر دار
اذا دعوا للمـم * * لم يسمـحوا بابتـدار
واذا دعوا الطـعام * * جاؤوا بـدار بدار

وروى عنه ذلك.

110- ابو القاسم بن بقي

مخلد بن بقي. من بيت بني بقي. وصفه ابن رشيد بالاديب الحسب والناظم البارع ذي الخط البديع وكان قد تصرف وتطور. لقيه بتونس وصحبه وسمع منه بعض شعره الذي يقوله على البديهة. وانشده ابو الفضل التجاني شيئا مما انشده ابن بقي هذا وذكر له أيضا ما تلقاه عنه من النثر البديع. ومن بديع نظمه: (الطويل)

وما كان ظني أن تخون مودتي * * ولا أن ترى غيري أعز وأكرما
ومن لم يصب أصلا فإن فروعه * * وان اثمرت حلوا تحول علقما¹.

111- ابو البركات القمجي (610-)

موسى بن القاضي ابي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن احمد التجيبي المرسى عرف بالقمجي² وهو صهر صاحب ابن رشيد ابي عبد الله بن حيان الشاطبي، وعنده لقيه. وصفه بالشيخ الفقيه الحسيب الاصيل العدل الفقيه. وقد لقيه في شهر ربيع الاول والثاني 684 هـ فانشده في أوائل لقائه به وحكى قال: حضرة في منتزه مرسية مع الزاهد

¹: الرحلة 100/6.

²: الرحلة 35/2.

ابي العباس بن مكنون عام 636 هـ فرأى اهتزاز أغصان الثمار وتمايلها فقال مرتجلا:¹(الكامل)

حارت عقول الناس في ابداعها * * أَلِسْكِهَا أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثني * * ويقول ارباب الحقيقة تسجد
قال ابوالبركات فقلت ما الذي يدل على أنها في وصف الثمار فقال لي: وطئ
انت لها. قال فقلت وانشدها لي ومنها:

يا من اتى متنزها في روضة * * ازهارها من حسنها تتوقد
انظر إلى الاشجار في دوحاتها * * والريح تنشق والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت اطرافها * * وترى الطيور على الغصون تعربد
ومما انشده ابو البركات لنفسه قال صنعتها في النوم واستيقظت منه وادمعي معي
تسيل فقيدتها في الحين، وقد اسقط ابن رشيد بينين منها لفساد قافيتهما: ومنه(المجث)

مضى الزمان وولى * * ولم افارق عيـوبي
فالعمر لا شك فان * * فحق لي بالنحيب
والعفو منك الاهي * * ارجوك محوذنوبي
فانت رب كريم * * لكل عبد منيب
فلا تخيب رجائي * * يا سيدي يا حبيبي

ومما قرأه عليه احاديث المصافحة لابن عربي وذلك في 9 ربيع الثاني 684 هـ
وقد أورد له في ترجمته بعض الاحاديث في علو التنزيل وهي من ثلث المصافحة.

112- ابويعقوب بن عقاب الجذامي(613-.....)

يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن عقاب الجذامي من اهل شاطبة، وهو الشيخ
الصالح المجود الفاضل الصوفي الذكي التقى² والفقيه الصوفي المتخلق¹ وقد لقيه في

¹: نبه ابن رشيد على ان البيتين ليس لابن مكنون وانما هما لأبي زيد الفاسي وقد تمثل بهما ابن مكنون الرحلة 35/2.
²: الرحلة 44/2.

الورود والصدور بتونس وأجاز له ولأولاده ولجماعة من الاصحاب وقرأ عليه شيئا من كتاب التيسير، وجميع ثلاثيات البخاري وذلك في اواخر شهر ربيع الأول 684 هـ، وكتاب الشمائل للترمذي في 19 رمضان 685 هـ.

وكتب له الجذامي ما قرأه على الشيوخ ومن ذلك الكتاب العزيز على ابي القاسم الانصاري المشهر بالولي، وكذا القرآن الكريم والحديث الشريف على ابي عيسى لب بن حسن التجيبي البلسني، وقرأ على جده للأم أبي عبد الله بن مالك المعافيري، وقرأ بشاطبة على ابن قطرال كتاب الشمائل والجامع للترمذي والموطأ والبخاري ومسلما والدارقطني وسنن ابي داود والسيرة والاستيعاب والشهاب والمغازي لابن حبيش، والتقصي والملخص. ولقيه ايضا بمراكش وسمع عليه واجازه. ولقي بمرسية وشاطبة الزاهد ابا عبد الله بن قاسم. ومرسية ابن ابي السداد وابن محرز وابا بكر القرشي، وبغرناطة سهل بن مالك وابن ابي الاشعري وابا عبد الله محمد بن سعيد الانصاري المعروف بالحصار والاستاذ المالقي ابا صالح محمد بن محمد بن محمد. وصحبه الى سبتة ولازمه. ولقي بسبتة ابا الحسن بن الحضار، وبمراكش ابا البركات عمر بن مودود، وقرأ عليه البخاري والتيسير ورسالة القشيري، وأول كتاب حلية الاولياء والموطأ، ولقي ابا اسحاق اللوري وقرأ عليه الرسالة. والرعاية للمحاسبي ومقامات الهروي وبعض تفسير ابن عطية وغير ذلك من كتب الرقائق. وصحب ابن سبعين إلى بجاية وسبتة. ولقي ابن وضاح وغيرهم.²

113- ابو يعقوب بن اندراس: 726 و729 هـ)

يوسف محمد بن احمد بن اندارس الاموي الاندلسي الاصل التونسي النشأة³ والطرسوني المرسى⁴، وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل المتفنن الطبيب الماهر والاديب الحسيب، أحد الفضلاء أصحابنا ونجبائهم ومن ذوي المروءات وممن جمع له فضل الذات والأدوات. كانت له مشاركة حسنة في الرياضيات والمعقولات مع حظ من المنقولات ومشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب الذي برع فيه، ويجمع إلى

¹: الرحلة 25/6.

²: وانظر عن الجذامي: رحلة العبدري 271 وقد سمع عليه وناولوه بعض الفوائد وفهرست الوادي أشي 38. وانظر أيضا

فهرسة التجيبي 30.

³: الرحلة 12/6.

⁴: الديباج 360.

ذلك كله كرم النفس وحسن الانس، وزاده مألّف الفضلاء، وكان اصحابه يبيتون فيه ويتذكرون في أنواع العلوم ويتبارون في فنون المنثور والمنظوم.

وقد التقى به عند مقدمه من المشرق، وانشده من رائع شعره، ومنه في وصف مؤذن حسن الصوت والوجه: (الكامل)

ومؤذن أمسى بجامع تونس* * يسبي بحسن اذانه من فيه

فالعين تبصر روضة في وجهه* * والاذن تسمع زمرا من فيه

وقد اشتغل ابن اندارس على ابي القاسم بن زيتون وتفقه بآب عبد القادر الزواوي¹.

س: ذكر من لقيه بسوسة

114- ابو عبد الله الدكالي

وهو الشيخ الفقيه الصالح الولي التقي المنقطع². وقد التقى به ابن رشيد لما وافى مدينة سوسة يوم الثلاثاء 16 ربيع الآخر 685 هـ عشية، فرأى منه رجلا فاضلا وأمر الدكالي بإنزال ابن رشيد وصحبه في الرباط المعد هناك، وبعث لهم من الطعام ما كفى وأغنى. وسمع منه قوله: انه صاحب ابا الصفاء خالص بن مهدي الاندلسي، وصحب ابو الصفاء ابا العباس القنجائري. ولم يزد على ذلك لأنه سافر صبيحة يوم الاربعاء 17 ربيع الآخر.

ع: ذكر من لقيهم بالمهدية

115- ابوفارس التميمي

عبد العزيز بن الشيخ ابي علي حسن التميمي³ وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الخطيب المبارك، إمام مسجد المهدية وخطيبه، وبه لقيه وأخبره أنه سمع جميع الموطأ رواية الليثي على ابي الصفاء خالص بن مهدي الاندلسي وذلك في سنة 639 هـ. وسمع

¹: الديباج المذهب لابن فرحون 360 ودرة الحجال 350، ومعجم المؤلفين 328/3.

²: الرحلة 9/6.

³: الرحلة 7/6.

عليه كذلك قصيدة الشاطبي. وقرأ التميمي فصيح الثعلب على محمد بن محمد التجيبي الشاطبي في 643، وسمع عليه كذلك مقصورة ابن دريد.

وقد أفاد أبو فارس تلميذه ابن رشيد بغير ذلك، ولكن ابن رشيد كان وقتئذ شاكيا من الرمد الذي منعه من الكتب واستيفاء الغرض.

ولم يكن في المهدية آئذ من يلقي الشيوخ سوى أبي فارس هذا وأبي يعقوب بن السماط، مع أنها كانت فيما سلف دار علم وفقه وأدب.

116- أبو يعقوب بن السماط (613-690)

يوسف بن أبي الحسن علي بن أبي مروان عبد الملك المعروف بابن السماط المهدوي، أخي الإمام الصوفي الجليل أبي علي بن السماط.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الأديب الفاضل الصوفي¹. وكان حريصا على لقائه فيحث عنه فلم يمكن له لقاءه، ثم أعجله السفر فلم يقض ذلك وصلته أجازته بعد ذلك في جميع منظوماته إذ ليس عنده غيرها فيما يعلم. وكان ابن السماط شاعرا مطيلا مطنبا ونظمه بارع اخذه الناس وسمعوه عنه. ومن ذلك ما أجاز به لابن رشيد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (الكامل)

اعد الحديث فليس بالملول* * عن خير مبعوث وخير رسول

54 بيتا².

وقد ظهرت على ابن السماط بركات أخيه أبي علي وتمت عليه أسراره³

ومن أخذ عنه ابن السماط الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد نعمة المقدسي الصالح المشهور⁴.

¹: نفسه.

²: انظر دراسة الشعر (المديح النبوي).

³: شجرة النور الزكية 192 ترجمة 647.

⁴: درة الحجال 349/3 ت: 1486 وانظر أيضا عنوان الأريب 77/1.

ف: ذكر من لقيه باطرابلس

117- ابن عبد السيد

ابو محمد عبد الوهاب بن ابي الحسين بن عبد السيد، وهو الفقيه الفاضل الصالح شيخ اطرابلس ورئيسها¹ وقد لقيه ابن رشيد بها ورأى منه رجلا فاضلا سريا حفيا على سنن الفضلاء تواضعا عن رفعة ومجدا عن كسب ووراثة، فأضافه وصحبه، واحتفل بهم وهيا لهم الجفن الذي سافروا فيه ولم يمكن له السماع من الشيخ ولم يستطع كذلك استجازته بسبب اعجال السفر، ثم غادروا طرابلس يوم الخميس 14 ربيع الآخر 684 هـ.

وقد ظن العبدري أن ابن عبد السيد لا رواية له، ولمس منه ضيق الخلق ولين النظر².

ص: ذكر من لقيهم بالاسكندرية

118- ابوبكر فارس (..... - 685 هـ)

سراج الدين ابوبكر بن ابي العباس احمد بن اسماعيل بن فارس التميمي الاسكندراني. وصفه ابن رشيد بشيخنا³ المحدث⁴ ولم يخصه بترجمة في الاجزاء الموجودة لدينا. وقد لقيه بالاسكندرية وسمع عليه، ولما توفي يوم السبت غزة شهر ربيع الأول 685 مرورا بجنازته عليه وهو بشارع الدوقي في احد الفنادق هناك⁵ ولم يمكن له حضور جنازته لما كان مصابا به من رمد ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث وما يتصل به. وقد سمع ابن فارس من التاج الكندي وابن الحرساني⁶.

¹: الرحلة 3/6.

²: العبدري 77 وانظر ايضا الزركلي 208/3.

³: وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في جذوة الاقتباس 290/1 والاعلام للمراكشي 295/5 وازهار الرياض 347/2.

⁴: الرحلة 35/3.

⁵: نلاحظ أن الشوارع كانت في الاسكندرية في هذه الحقبة انظر الرحلة 77/5 ورحلة التجيبي 5-8 في قوله (شارع بين

القصرين).

⁶: الرحلة 77/5 وشذرات الذهب 391/5 وذيل العبر 15 وفيات 685.

119- ابو حاتم القرشي الزبيدي

أحمد بن أبي بكر بن علي بن حاتم القرشي الزبيدي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا¹، وقد ورد اسمه عرضا في ترجمة أبي الحسن التجاني الذي لقيه ابن رشيد بثغر الاسكندرية إذ لما أجازته أبو الحسن لفظا في جميع ما يجوز له وعنه روايته كتب ذلك عنه الزبيدي صاحب الترجمة، وكان ذلك في يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول 685 هـ. ويحتمل أن يكون قد حضر معه كثيرا من مجالس العلماء، وأن يكون قد أمده ببعض الفوائد وذلك مثلما رأينا عند أصحابه ابن عاصم وابن سامة الدمشقي وابن عبد الحميد وسعد الدين الحارثي وغيرهم، لأن هؤلاء الاصحاح كانت لديهم معارف عامة، فتارة تجدهم بمجالس المحدثين وأخرى بمجالس العلم من الأدب واللغة، ولهذا كانوا يفيدون ابن رشيد في مجالات شتى من روايات وأخبار وغيرها.

120- شهاب الدين المقدسي (608- 688 هـ)

أبو العباس بن شيخ الإسلام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن عبد المنعم ابن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي الحنبلي². وهو الشيخ الإمام العالم الصدر الكامل والمحدث الحافظ، وهو الذي دفع لابن رشيد كتابه المشهور المسمى بالبدر المنير في علم التعبير، وهومن الكتب الجليلة المعتمدة في هذا الشأن، ولا شك في أن ابن رشيد كان قد أخذ عنه الحديث ايضا، ولكن ابن رشيد ينص على أنه أجازته في كتابه البدر المذكور.

121- ابن رافع الدمراوي (... - 690 هـ)

أبو الذكر أحمد بن عبد القادر بن رافع الدمراوي وهو أحد عدول الاسكندرية³. ورد خبر لقاء ابن رشيد في كتابه افادة النصيح، وقد أخبر أبو الذكر تلميذه ابن رشيد عن أبي الفضل جعفر بن أبي الحسين بن أبي البركات المغربي قال: قرئ على أبي الطاهر السلفي وأنا اسمع قال أنشدنا أبو السمع عبد الله بن جبليان الحافظ بتستر قال:

أنشدنا أبو الحسن الداوردي ببوشنج هراة لنفسه (السريع)

¹: الرحلة 80/6.

²: الرحلة 35/7 وانظر ايضا من لقيهم بدمشق وفي دراسة الرحلة (مدح الكتب).

³: افادة النصيح 127.

كان اجتماع الناس فيما مضى * * يورث البهجة والسلوة
فانقلب الامر إلى ضده * * فصارت السلوة في الخلوة

قرأ الدمراوي على ابي جعفر الهمداني وروى عن ابي القاسم الصفرائي¹

122- ابن جون المراكشي

ابو عثمان سعيد بن جون المراكشي، وصفه ابن رشيد باحد الفضلاء الادباء المحييين للسماح والغناء، أمره عجيب وتكوينه غريب، وله مشاركة في العروض والعربية والأدب والعدد والفرائض، وينظم ويغني مع أخلاق فاضلة وعقل جيد وعفة ظاهرة² وقد رحل إلى الحج قبل ابن رشيد، ولكنه عاد في المركب صحبتته بعد أن التقيا وهما على بحر الاسكندرية. إلا أن المراكشي كما يبدو لم يأخذ عن أحد في رحلته إذ لم يكن قصده من الرحلة ذلك كما يقول ابن رشيد.

وقد أخذ عنه ابن رشيد قصيدة أبي الحسن البسطي في معرفة الاعاريض³. أخذ ابو عثمان ببلده عن قاضي جماعتها ابي عبد الله المعروف بالشريف، كما لقي ابا عبد الله المراكشي صاحب الذيل والتكملة.

123- علم الدين الهمداني (..... - 691 هـ)

ابو القاسم عبد الرحمان (عبد الرحيم) بن سليم بن منصور الهمداني الشافعي ويلقب علم الدين وهو اخو ابن العمادية المشهور الرحال المصنف وكان في ابي القاسم هذا نبل وفطانة وبقظة، وله خط جيد، وهو أحد وجوه الاسكندرية وبها لقيه ابن رشيد واجاز له ولبنيه واخواته، وأحال ابن رشيد في تسمية أشياخه على شيخه تاج الدين الغرافي⁴.

سمع الهمداني من ابن رواج والصفرائي وسبط السلفي، واجازه وسمع على ابن عماد الحرائي الخلعيات واجاز له وسمع على ابن دحية التقصي والمخلص للقاسي واجاز

¹: وانظر عنه ايضا طبقات القراء 70/1 ت: 307.

²: الرحلة 2/6.

³: انظر دراسة العروض في تحقيق هذا الاسم.

⁴: الرحلة 3/3.

له. كما استجاز له أخوه جماعة كبيرة من البغداديين¹. ومما قرأه عليه ابن رشيد حديث الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين².

124- وجيه الدين ابن خلف القرشي

أبو محمد عبد الله بن خير بن حميد بنخلق القرشي، وهو الشيخ الجليل الاصيل³ لقيه ابن رشيد بثغر الاسكندرية وسمع عليه وأجاز له ولبنيه واخواته ولمن ذكر معه في الاستدعاء وكتب خطه بذلك، وكتب في طبقة السماع صاحبه وصفيه محمود بن ابي بكر التنوخي الشافعي، ومما سمعه عليه بقراءة التنوخي: الخبر الخامس والسادس من الخلعيات⁴ وذلك في يوم الأحد 2 ربيع الأول، وقرأ عليه كذلك بعض الأحاديث. سمع القرشي الأجزاء المعروفة بالخلعيات على محمد بن عماد الحراني.

125- مكين الدين الاسمر(....- 693)

أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي المشهور بمكين الدين الأسمر، وهو الشيخ المقرئ المجود، وأحد الصلحاء الفضلاء، وكان متصدرا لاقراء القرآن بالاسكندرية⁵ وهناك لقيه ابن رشيد بـدكان منزله وذلك يوم السبت 21 جمادى الاخرى 684 هـ، وقرأ عليه جميع المجالس الخمسية السلماسية التي املاها الحافظ السلفي بسلماس⁶ سنة 506 هـ. وقد اجازه المكين ولبنيه واخواته جميع ما يجوز له روايته وكتب خطه بذلك، وروى عنه حديث (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وقد أخذ مكين الدين القراءات عن ابي القاسم الصفراوي⁷.

¹: وانظر ذلك في فهرس الوادي آشي، إذ أن له إجازة من أهل بغداد كابن القبيطي واخيه ص: 95.

²: انظر عنه درة الحجال 77/3 ت: 995.

³: الرحلة 75/5.

⁴: الخلعيات من تخريج القاضي ابي الحسين علي بن حسن بن حسين الخلعي الموصلبي المتوفى سنة 448 وقد جمعها احمد بن حسين الشيرازي في عشرين جزءا، وهي من موالى المصريين. كشف الظنون 722/1 وانظر عنه: درة الحجال 40/3 ت: 940.

⁵: الرحلة 5/3.

⁶: سلماس بفتح اوله وثانيه مدينة مشهورة بأذربيجان. معجم البلدان. ياقوت 238/3.

⁷: وانظر عنه ايضا طبقات القراء لابن الجزري 460/1، وشذرات الذهب 421/5 وذيل العبر 15 376 ودرة الحجال 45/3 ومرة الجنان 4/وفيات 692، وحسن المحاضرة 215/1-216.

126- ابو الماضي عطية بن ابي الحسن(608-)

ابو الماضي عطية بن محمد الدين بن ابي المعالي بن ساجد بن عطية ابن منصور ابن عبد الواحد بن ابي الحسن. لم يرد له ذكر في الاجزاء المعروفة، ولا شك في أن ترجمته موجودة في الاوراق الاولى المبثورة من الجزء الثالث. ويعد ابو الماضي هذا من عوالي الاسكندرية.

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب درة الحجال¹، ولا شك أنه أخذ عنه الاسانيد العوالي التي كان يبحث عنها ويحرص عليها، وذلك سنة 684 هـ. سمع ابو الماضي من ابن عماد الحاراني السيرة النبوية والاجزاء المعروفة بالخلاصات المشتملة على العشرين جزءا، وهي من عوالي المصريين كما ذكرنا.

127- ابو الحسن التجاني

علي بن ابي اسحاق التجاني². لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وتجدد به اللقاء، وقرأ عليه ما انشدته عليه والدته ابنة القاضي ابي زيد عبد الرحمان الجمحي، واسمها ست الاهل، وقد قالت ملغزة في قصيد ومنه(الطويل):

ولو أن في قلبي مكانا لسلوة * * سلوت ولكن لا سلو لهائم

(15 بيتا)

ثم أجاز له جميع ما تجوز له وعنه روايته وذلك يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول 685 هـ³.

128- تاج الدين الغرافي السني

تاج الدين ابو الحسن علي بن ابي العباس احمد بن عبد المحسن.. ويرفع نسبه إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويعرف بالغرافي، والغراف يتشديد الاء نهر بالعراق من اعمال واسط، السني بكسر السين والنون المشددتين، وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل المحدث، وقال عنه:"وحقه ان يقدم ولكن اردت أن أجعله لمن لقيته بالاسكندرية مسك

¹: درة الحجال 179/3 ت: 1155.

²: الرحلة 80/5.

³: انظر من لقيهم ابن رشيد بطيبة بعد. ترجمة 240 في هذا البحث.

الحُثام ودليل التمام"¹. وقد لقيه وقرأ عليه بعض الاحاديث وسمع عليه ثلاثيات الامام البخاري والجزء الاول من الفوائد المنتقاة الغرائب العوالي رواية ابي طاهر المخلص، وعارض جزءا من أجزاء شيخه في الحديث بالجزء الذي عنده وقابله به. ومما أذن له في روايته عنده سلسلة روايته لمسند الإمام الشافعي. وكتب عنه من الاسانيد سنده في التاريخ الكبير للبخاري. وقرأ عليه السداسيات والخماسيات المخرجة لابن عتاب وكذا الجزء المعروف بجزء ابي صالح ابن زنبور. ثم أنشده الغرافي ايضا شيئا من شعره².

وتعد ترجمة الغرافي من أغنى التراجم في الرحلة لأنها تشتمل على اربع وعشرين صفحة، وتحتوي على استطرادات وتعليقات مفيدة وتنبيهات وتصحيحات ومناقشات حسنة في الجرح والتعديل وغير ذلك من النصوص المنقولة. سمع الغرافي من أبي الحسن بن روية القلانسي، وأجاز له ابو الكرم محمد بن عبد الواحد بن المتوكل، وأنشده ابو عبد الله الديلمي، وابو العباس بن المنير، وأبو سالم بن طلحة النصيبي الشافعي، وسمع مسند الشافعي على ابي بكر الخازن النيسابوري. و(قرأ على ابي الحجاج يوسف الفنتروسي. وممن روى عن الغرافي ابو العباس الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية³.

129- ابو الحسن بن ذي يزن

كمال الدين ابو الحسن على بن ابي البركات عيسى بن موسى بن العابد، وهو عبد الله بن عوض بن منصور بن المتن اليزني الحميري، أحد ولد سيف ابن ذي يزن. وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال⁴. وقد لقيه بالاسكندرية وأجاز له في 9 جمادى الاولى 684 هـ، ويرجع أن يكون أخذ عنه الحديث. وما يتصل به وشيئا من مسائل الزهد والتصوف.

130- ضياء الدين الخزرجي

ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الدين الخزرجي الساعدي من أهل غرناطة رحل من الاندلس قديما واستقر بالاسكندرية.

¹: الرحلة 10/3.

²: انظر دراسة الشعر.

³: وانظر عنه غاية النهاية 28/2، والسنن الابين 70، والوادي أشي 108، وتذكرة الحفاظ 94، والعبدري 143، وذيل العبر 704/17.

⁴: درة الحجال 213/3 ت: 1221.

وهو الشيخ الاديب الفاضل المعمر الصالح الثبت الحاضر الذهن العدل بالديار المصرية، وكان أديبا ناظما مطيلا مطنبا، ويتصرف في حوائجه بنفسه¹.

لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وأجاز له ولأولاده واخواته جميع ما يجوز له روايته وماله من نظم ونثر، وكتب عنه بإذنه ومحضره شيخ ابن رشد ابوبكر بن منصور، وسمع عليه حديث "الراحمون" وشيئا من شعره في ديوانه المسمى: المواجد الخرجية، وأنشده من شعره قصيدة المسمط الذي عارض به قصيدة الحريري التي أولها: (خل اذكار الاربع).

وغير ذلك من القصائد كالقصيد الذي عارض به قصيده كعب بن زهير(بانت سعاد): وفيها يقول:

ما في سعاد قصد لنا ولا سُـوْلُ * * فإن قلبي عنها اليوم مشغول

وما سعاد وما مقدار منصبها * * حتى ابيت وقلبي منه متبول

سيان عندي ان بانت وان وصلت * * فوصلها بنصال الصد مفصول²

وكتب ابن رشيد بالإجازة لتعذر بصره وذلك في 8 جمادى الثانية 684.

سمع الخرجي قبل رحلته على القاضي ابي محمد بن حوط الله، وقرأ عليه صحيح مسلم، ولقي ابا الحجاج المنصفي بمالقة ولم يسمع منه، ولقي ابا زيد الفازازي، وقرأ عليه من معشراته الحبية، وأجاز له جميع ما قاله من نظم ونثر.

وسمع بعد ذلك من جعفر الهمداني وقرأ عليه ملخص القاسي وكفاية المتحفظ في اللغة لابن الاجدابي، وسمع الملخص على ابي الخطاب بن دحية، والموطا على ابي عمرو بن دحية، وأجاز له هؤلاء³.

131- مثقال الحبشي البزاز

أبو إبراهيم، وأبو السعادات مثقال بن عبد الله الفرجوني، مولى ابي الفضائل عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرحون الاسكندري البزاز وهو أشهر شيخ ابي، ولكن له رواية.

¹: الرحلة 8/3.

²: انظر دراسة الشعر.

³: انظر ترجمته في درة الحجال 213/3 ترجمة 1223.

أجاز لابن رشيد جميع رواياته مشافهة، وكان قد سأله الكتب في الاستدعاء ظناً منه أنه يكتب، فقال له مثقال: "حتى يجيء من يكتب عني" فتركه ابن رشيد وانصرف عنه ولم يقدر أن يسمع منه يروي¹.

132- ابن شاطر البوني الشرايبي (621- 684هـ)

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي علي حسن بن أبي محمد بن عبد الملك ابن محمد بن شاطر البوني (يفتح الباء وسكون الواو) الشرايبي (بتشديد الراء) المتطبب، وهو شيخ في أخلاقه شكاسة وكبر وعدم فهم، ولكن له اسمعة وإجازات صحيحة.

لقبه ابن رشيد بالاسكندرية فأجاز له ولبنيه وكتب ذلك بخطه، ولكن لم يقرأ عليه سوى حديث واحد زهداً فيه لخلق، وهذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت اغتسل معه صلى الله عليه وسلم من الإناء الواحد. وهو أول حديث من الأربعين البلدانية للحافظ السلفي. ووقف ابن رشيد على إجازة جماعة من الشيوخ له.

ومن سماعات الشرايبي: الأربعين للسلفي والخلعيات على ابن عماد الحراني وأجاز له أبو القاسم الصفراوي وأبو البركات جعفر الهمداني وعبد الوهاب بن ظافر المعروف بابن رواج، ومحمد بن إبراهيم الانصاري المعروف بابن الجرج (بكسر الجيم وسكون الراء) التلمساني. وأبو الرضا علي بن يزيد الفارسي وظافر بن طاهر بن شحم المطرز وعبد الخالق ابن طرخان القرشي وحسين بن الحسن الشاطبي وعبد العزيز بن عوف ومظفر بن الحاسب وهو سبط السلفي وغيرهم².

133- جمال الدين ابن التونسي

أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي المعروف بابن التونسي. وهو أديب له نظم وسمع وإجازات وخط بارع. لقبه ابن رشيد بالاسكندرية ولكن لم ير أن يخرج عنه الحديث لأنه كان يشهد في المكوس³.

¹: الرحلة 3/3.

²: الرحلة 1/3. وانظر عنه درة الحجال، نقلاً عن ابن رشيد، 21/2 ترجمة 461.

³: الرحلة 3/3.

قرأ ابن التونسي على أبي الفضل المرسي جامع الترمذي، وأكثر صحيح مسلم رواه له ابن رواج والسبط السلفي، وأجاز له ابن الجرج التلمساني، وسمع عليه كتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الموطأ ومخمسات ابن مهيب لشعر الفازاني¹.

134 - شبل الدولة ابن طرخان (605-687)

أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان الأموي الإسكندراني السخاوي، الشيخ الصالح المكثر المسند، له السماع الصحيح العالي، ورد خبر وراية ابن رشيد عنه في الدرر الكامنة وجذوة الاقتباس ودرة الحجال وغيرها². ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث والمسندات العوالي خاصة.

سمع ابن طرخان أبا الحسن علي بن البناء، وأبا الفتوح مباركا الجلاجلي، وأبا عبد الله بن عماد وأبا محمد العثماني والحافظ ابن المفضل وطائفة³.

135- جمال الدين ابن الجابي البزاز

محمد بن محمد بن الجابي البزاز. لقيه ابن رشيد بالإسكندرية وأنشد عليه شيئا من شعره الذي يخاطب به شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان المزالي القاسي الذي تجول بالبلاد ونزل مصر وسمع من ابن رواج وابن المقيّر وغيرهما، وقد توفي قبل وصول ابن رشيد إلى الإسكندرية. وله فضائل تذكر⁴. وقد أورد ابن رشيد تلك القصيدة ومن أبياتها (الكامل):

عرج بباب المنحنى وقبابه * * * وأسأل أهيلَ الحي عن اعرابه

وفيها يقول:

هذا ابن نعمان الذي كل الورى * * * يبغون علما نازلين ببابه

وقد نقد ابن رشيد تلك القصيدة فوصفها بعدم التلاؤم⁵.

¹: وانظر عنه أيضا درة الحجال 22/2 نقلا عن الرحلة.

²: الدرر الكامنة 229/4، الجذوة 290/1 ودرة الحجال 19/2 ترجمة 459.

³: وانظر عنه شذرات الذهب 403/5 وحسن المحاضرة 384/1 والوفاء بالوفيات 219/3 والسنن الابيين 94.

⁴: الرحلة 80/5.

⁵: انظر النقد

136- ناصر الدين ابن الخطيب

ابوعبد الله محمد بن مكين الدين عطاء الله بن مظفر بن عبد الكريم بن الخطيب¹.

لقبه ابن رشيد بالاسكندرية وأجاز له ولابنه أبي القاسم وكتب الإجازة بخطه، واخبره بالأحاديث التي ابتدأ بها أبو القاسم بن بشكوال كتاب القرية له، وقد نقلها ابن رشيد من أصل حصلت فيه شروط النقل بالإجازة وروى عنه بعض الأحاديث ومنها: "كل دعاء محبوب عن السماء حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم². بأحد المساجد هناك³.

ولا شك في أن التنوخي هذا كان من طبقة أولئك الأصحاب المشار إليهم سابقا كسعد الدين الحارثي وابن الحميد وابن عاصم وغيرهم ممن كان ابن رشيد يستفيد منهم في جميع المعلومات والأخبار ويحضر معهم في حلقات العلماء ومجالسهم ويذاكرهم ويفاوضهم في شتى الفنون.

137- زين الدين الانصاري (635-...)

أبو بكر محمد بن منصور بن أحمد بن منصور بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن الانصاري. لقبه ابن رشيد بشجر الاسكندرية وأجاز له ولبنيه وخواته، وروى عنه حديث الحمرة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي تعرض بعد أن فجعوها بفرخيها، وهذا الحديث من الاجزاء الثَّقَفِيَّاتِ، وكان ذلك بحضور شيخ ابن رشيد أبي الحسن الخزرجي الساعدي⁴، وسمع أبو بكر هذا الاجزاء الثَّقَفِيَّاتِ على ابن رواج، وسمع السبط السلفي والصفراوي وابن مقرب وظافر بن شحم، وأجاز له أبو علي الحضرمي في اجزاء ابن عليّك النيسابوري⁵.

¹: الرحلة 7/3.

²: درة الحجال 22/2 ترجمة 464.

³: الرحلة 77/5.

⁴: الرحلة 4/3 وانظر الأحاديث.

⁵: الوادي أشي 87 والدرة 22/2 ق: 403.

138- شمس الدين الجزري (637-716هـ)

أو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري ثم المصري وينسب إلى جزيرة ابن عمر من كُور الموصل. وكان يدرس بالمعزية، ويخطب في جامع ابن طولون، وكان معيدا أيضا بالمحببية، ومدرسا كذلك بالشرفية وانتصب للإقراء، فكان لا يفرغ ساعة واحدة لنفسه، وكان يقرأ عليه المسلمون واليهود والنصارى، وصحب الجاشنكير وارتفعت منزلته، لأنه كان عالما في الفقه والأصول والنحو والمنطق والأدب والرياضيات¹. وقد وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال، بعد أن لقيه بالإسكندرية سنة 684 هـ وأنشده من شعره. وقد أخذ عنه السبكي علم الكلام².

139- محمود التنوخي

محمود بن أبي بكر التنوخي الشافعي. لما التقى ابن رشيد بأبي محمد عبد الله بن خير بن حميد بن خلف القرشي الذي أجازه بالإسكندرية، كتب في طبقة السماع صاحب ابن رشيد وصفيّه محمود بن أبي بكر التنوخي الشافعي، وسمع كذلك عليه بقراءته الخبر الخامس والسادس من أحاديث الحلي وذلك يوم 2 ربيع الاول 684 وذلك بشارع الدوقي بأحد المساجد هناك³.

ولا شك في أن التنوخي هذا كان من طبقة أولئك الأصحاب المشار إليهم سابقا كسعد الدين الحارثي وابن عبد الحميد وابن عاصم وغيرهم ممن كان ابن رشيد يستفيد منهم في جميع المعلومات والأخبار ويحضر معهم في حلقات العلماء ومجالسهم ويذاكرهم ويفاوضهم في شتى الفنون.

140- شرف الدين ابن الصواف (609-705هـ)

أبو الحسين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي الصواف⁴ الجذامي الإسكندراني المالكي⁵. وهو الشيخ الجليل الأصيل العدل والإمام

¹: الدرر الكامنة 299/4 ت: 830.

²: الدرة 19/2 ت: 460، وانظر شذرات الذهب 42/6 وحسن المحاضرة 549/1 والسلوك 2/ قسم 1 ص: 1، والنجوم الزاهرة 221/2، ذيل العبر 63/17 وطبقات الشافعية 276-275/9، والزركلي 25/8.

³: الرحلة 77/5.

⁴: الرحلة 79/5.

⁵: الدرر 410/4 ت: 1134.

المعمر، وكبير الشهود، لقيه ابن رشيد بالاسكندرية في 2 ربيع الأول 685، وسمع عليه وأجاز له ولأولاده وأخواته وجميع من ذكر معه في الاستدعاء وسمع عليه الجزء العاشر من الخلعيات.

سمع ابن الصوّاف من محمد بن عماد الحراني، وهو آخر من حدث عنه وآخر من قرأ على الصفراوي، وسمع من جده ومن ابن عماد الحراني وغيرهما وسمع منه قاضي القضاة السبكي وجماعة¹.

141- يوسف القماح

يوسف بن عبد العالي بنى علال التميمي القماح، وهو الشيخ الاديب² لقيه ابن رشيد بدكانه في الاسكندرية فأنشده قطعاً من شعره، ومنه على طريقة التجنيس (الطويل).

ولما اعتدى دهري علي وخانني * علمت وايم الله أن له نبا
فحاربته حتى عدمت تجلدي * * وجردت سيف الصبر في وجهه نبا
وغير ذلك من شعره.

ق: ذكر من لقيهم ببلييس

142- ابو العباس بن قطران الشروطي (.....-722هـ)

شهاب الدين أحمد بن الفقيه عيسى بن يوسف المقدسي، ويشهر بابن قطران، وهو شيخ يتشاغل بالشهادة في الوثائق، وليس له سماع ولكن حدث الناس عنه لكونه أجاز له الحارستاني والتاج المسند³.

لقيه ابن رشيد بمدينة بلييس وأجاز له وأخبره كتابة عن العدل أبي القاسم الحسين ابن هبة الله بن صَصْرَى بسند مرفوع إلى أبي الحسين علي بن المديني أنه قال "قيس بن أبي حازم سمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص والزبير وطلحة وابن شهم والبدرى وابن الارت وابن شعبة ومرداس الاسلمي ومستورد الفهري وذكين ومعاوية

¹: انظر عنه شذرات الذهب 13/6. وفيات 705. ودرة الحجال 329/3 ت 1444. وتذكرة الحفاظ 1479/4 وفيات

705

²: الرحلة 10/3.

³: الاستدعاء 8.

وعمر بن العاص وابن حرب وابي جحيفة¹ وقيل لعلي هؤلاء كلهم سمع منهم قيس، قال نعم، ولولا ذلك لم نعه له سماعاً.

قال ابن رشيد: فانظر عنايته بسماعه وتأكيده له المرة بعد المرة² ولكن ابن رشيد لم يبين أي قيس بن أبي حازم يعني³ ويرجح أن يكون هو قيس بن أبي حازم البجلي الاحمسي ابا عبدالله⁴.

143- ابو الحسن ابن عبد الكريم الدمشقي

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي، وكان شيخاً صالحاً فاضلاً، لقيه ابن رشيد بمدينة بلييس، وسمع عليه ثلاثيات البخاري⁵، وسمع الدمشقي على زكي الدين عبد العظيم المنذري الثلاثيات وسمع من جماعة منهم ابن ملاعب وابن طبرزد بسماعهم من ابي الوقت السجزي، وسمع ايضاً على ابي الحسن ابن هبة الله بن سلامة الشافعي، وسمع من كريمة بنت عبد الوهاب القرشية وابي محمد عبد الرحمان بن ابي الفهر، وقد ذكر ذلك أبو حيّان، ووقف ابن الزبير على إجازته سنة 684⁶.

144- جمال الدين ابن رواحة

ابو الخير فضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة ابن ابراهيم ابن عبد الله بن رواحة بن عبيد الله بن محمد بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الانصاري الحزرجي الشيخ الاجل الرئيس الاديب الفاضل، اختيار الملوك والسلاطين. اتصل به ابن رشيد بمدينة بلييس، وأخذ عنه وأجاز له سنة 684 هـ⁷ وذكر أنه أملى عليه قوله، وهومن لزوم ما لا يلزم (الوافر).

وارجو ان عجزت عن الاماني * * امانا عن ذمامك يا إلهي

فلي ظن احققه يقينا * * برحمتك التي كل المنى هي

¹: نقل ذلك بتصريف

²: السنن الابين 151.

³: انظر من ورد ذكرهم هذا الاسم في الاصابة لابن حجر 244/3 ت 7153 او 267/3 ت 7274 او 271/3 ت 7295.

⁴: الاصابة 271/3 ت 7295 والتاريخ الكبير للبخاري 145/7 ت 648.

⁵: الاستدعاء 9.

⁶: درة الحجال 232/3 ت 1249.

⁷: الاستدعاء 6 وازهار الرياض 353/2.

واسأل منك عوناً لي على ما * * أمرت به وتركى للمناهي
وأخذ ابن رواحة عن أبي القاسم بن رواحة وسمع من سعد الدين الفارقي¹.
ر: ذكر من لقيه بحماحة مصر

145- ناصر الدين المنيأوي الحمامي (669-708هـ)

نصير بن أحمد بن علي المصري المنيأوي الحمامي، كان أدبياً كيس الأخلاق،
يتحرف باكتراء الحمامات وكان ينظم الشعر ففاق فيه أقرانه مع عاميته، وكان
يستجدي به².

وقد وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب تاج المفرق للبُلوي تلميذ ابن رشيد
وذلك في معرض إجازته له في مدينة بجاية³.

وذكره ابن رشيد في الرحلة بمناسبة ذكر استفتاء جمال الدين الانصاري المربي
ابوه المصري الدار وشيخه بمصر، وكان قد انشا بسبب عرض له وامل اعرض عنه فما بلغ
منه ما امل. فكتب ذلك الاستفتاء شاكياً حاله لفضلاء الديار المصرية⁴. ومن جملة من
صف جواباً عن هذا الاستفتاء ناصر الدين المنيأوي، وقد وقع له في هذه المجاورة بيت
شعر استحسنته كل من سمعه لجودة نظمه وخفاء التعريض فيه وهو: (البسيط)

عين المروءة في انسانها ابدا * * نور يرى سر أرباب المروءات⁵

ش: ذكر من لقيهم بالقاهرة

146- أبو العباس الاعلاقي (610-696 هـ)

زين الدين أبو العباس أحمد بن تاج الدين عبد الكريم بن غازي بن أحمد بن
عبد الله الواسطي، ويعرف بالاعلاقي، وهو الشيخ الاجل، المسند. نائب الحسبة بالقاهرة
المعزية، وكان إمام المسجد، لقيه ابن رشيد بها وأجاز له ولِمْنَ ذكر معه في الاستدعاء

¹: درة الحجال 263/3 ت 1312 وذيل العبر 372/15.

²: الدرر الكامنة 393/4 ت 1080 وفوات الوفيات 205/4 ت 5151 والرحلة 71/5.

³: تاج المفرق 156/1، انظر له بعض شعره هناك.

⁴: انظر نصه في الرحلة 71/5.

⁵: انظر عنه أيضاً حسن المحاضرة 569/1.

وكتب خطه بذلك ولم يتمكن السماع منه لشغل عرض له إذاك، وكان يرغب في العودة إليه غير أنه لم يتمكن من ذلك لعارض السفر. وكتب إلى ابن رشيد مرة ثانية وثالثة، وكتب له عنه صاحبه ابو عبد الله بن عاصم ومن ذلك بعض الاحاديث التي لها علاقة بمنبر الرسول صلى الله عليه وسلم¹.

سمع الاعلاقي شرف الدين ابا محمد عبد القادر البغدادي وابن ابي الصقر، وسمع منه جميع موطأ يحيى بن بكير، وسمع سبط السلفي وأكثر سماعة بقراءة ابن عبد العظيم المنذري. وسمع من ابن باقا البغدادي بعض سنن النسائي وسمع عن ابن الحباب (02) وهو ابو الفضل السعدي.

147- جمال الدين ابن الظاهري (626- 696 هـ)

ابو العباس احمد بن محمد بن عيد الله الظاهري، ويعرف أيضا بابن الظاهري نسبة الى الملك الظاهر ملك حلب لا إلى المذهب. وهو الشيخ المحدث الإمام الفاضل، أحد الأجلة الفضلاء دينا وخلقا²، والحافظ الزاهد القدوة³ وكان له رباط يسكن فيه وبه مكتبته التي نقل أكثر كتبها بخطه الجيد، وكان عارفا بالتفسير ونقده على مذهب أهل الرأي.

لقيه ابن رشيد لما ورد على القاهرة وقرأ عليه وسمع ومن ذلك تاريخ اصبهان لأبي نعيم، وأحاديث ابي أبي شريح، وأجاز له ما تجوز له روياته بشرطه، وكذا لولاده وإخواته ومن ذكر معه في الاستدعاء الكبير ثم لقيه مرة أخرى بعد قفوله من الحج فسمع عليه حديث(الراحمون) وذلك في 10 صفر 685 هـ وغير ذلك من الاحاديث.

وابن الظاهري هذا هو الذي خرج للعز الحرائي مشيخته، وكتبها بخطه وأمره أن يسمعها عليه، ولهذا ذهب ابن رشيد إلى الحرائي فاستوفى قراءتها.

سمع الظاهري على ابن خطيب المزة سنن ابي داود، ولازم الحافظ ابا الحجاج ابن خليل، وسمع منه تاريخ اصبهان، وسمع ابن اللتي وقرأ عليه مسند الدارمي ومسند عبد بن حميد والمائة الشريحية، وسمع من ابن الجميزي مشيخته والاربعين، وروى عن ابن

¹: الرحلة 71/5.

²: الرحلة 97/3 و59/5.

³ شذرات الذهب 435/5 وفيات 696.

عدلان الموصلي النحوي. واخذ عن محمد بن حسن بن يوسف الفاسي نزيل حلب¹ ومن تلاميذه ابن عاصم ابن رشيد. وله مصنفات مفيدة².

148- شهاب الدين ابن سليمان (620-.....)

ابوالبركات وابو العباس احمد بن النصير بن نيا سليمان، وهو شيخ فاضل متواضع، له معرفة بالقراءات.

كان يسمع مع ابن رشيد كتاب الترمذي على شيخهما ابن الخيمي وهناك لقيه وسأله الاجازة فقال له أجزتك في جميع من ذكر معي قي الاستدعاء، ثم كتب له خطه بعد ذلك في استدعاء آخر، ولم يسمع منه، والقي ابن رشيد سماعه بمجلس ابن مطيع على الشيخ الشهور بالحباب وذلك بقراءة شهاب الدين، سنة 644.

ومما أخبر به شهاب الدين حديث (ما منكم من أحد ينجيهِ عمله...)، وحديث (من حج بمال حرام) مشيء من شعر يحيى بن معاذ الرازي الذي يقول فيه: (البسيط)

عانقت دنياك مسرورا بزينتها * * وقد منعت التقى والزهد والورعا

فكيف ينفع منك العلم سامعه * * ولا يراك بهذا العلم منتفعا

سمع شهاب الدين: ابن رواج وابن الحباب وهو ابو الفضل السعدي المشهور³

149- ابوبكر القسطنطيني (607- 695 هـ)

رضي الدين ابو بكر بن عمر بن علي القسطنطيني نزيل القاهرة وهو الشيخ الفقيه الصالح الخير المرضي الصوفي الذي كان بصيرا بصناعة العربية ومتحليا بجلى الصوفية، متواضعا وله معرفة تامة باللغة والنحو والفقه والحديث⁴، وقد نشأ بالقدس بفلسطين ثم انتقل الى القاهرة وتصدر للاشتغال مدة، واضر بآخر عمره.

¹: غاية النهارية 106/2.

²: انظر عنه : هدية العارفين 101/1، حسن المحاضرة 150/1، دول الإسلام 155/2 وفيات 696. طبقات الحفاظ للسيوطي 512 ت 1155، وتذكرة الحفاظ 1480/4.

³: الرحلة 114/3.

⁴: الرحلة 36/3.

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه الجزء المحتوي على المجالس الاربعة من امالي،
ابي عبد الله الجرجاني اليزدي، وكان اللقاء في 25 رجب 684هـ.

سمع القسطنطيني من ابي علي حسن الاوقي مجالس من امالي ابي عبد الله
الجرجاني واجازه ابن عبد المعطي وابن الحاجب، وسمع من ابن المقير، وقرأ كتاب سيبويه
على ابي الفضل المرسي، وسمع ابن عوف الزهري. وأخذ عنه ابن حيان ومدحه بقصيدة
طويلة¹.

150- صفى الدين المراغي (.....- 685)

ابو الصفاء خليل بن ابي بكر بن محمد بن صديق المراغي، وصفه ابن رشيد
بالشيخ الفقيه المعمر، والإمام العالم الزاهد الورع مفتي الإسلام بقية السلف الكرام، نائب
قاضي الحنابلة بالديار المصرية، وأحد الشيوخ المسندين، قديم السماع² لقيه ابن رشيد
بالقاهرة وقرأ عليه الاربعين للقيصري وذلك يوم الاثنين 15 رجب 684 بالمدرسة الصالحية
النجمية بإيوان الحنابلة. ومرا عليه في 2 شعبان 684 فوائد منها شعر الاديب فارس بن
الحسين³، وما انشده ابن الصلاح لنفسه في كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض⁴. وانشده
من شعر يحيى بن معين ومنه (الكامل).

المال يَنْفَدُ حله وحرَّامُهُ * * يوما وتبقى في غد آثامه

انشده شيئا من شعر القاضي النعماني⁵.

سمع ابو الصفاء من ابي الفتوح ابن عمروك النيسابوري، ومن ابي محمد ابن
قدامة المقدسي كتاب التوابين له، وسمع من السخاوي وأجاز له روايته ومن ابي عمرو ابن
الصلاح وابي نصر الجيلي، وسمع على ابن الحنبلي واجازه ومن ابن صدقة الحراني
الدمشقي وابي الحسن الامدي الشافعي.

¹: انظر عنه بغية الوعاة: 70/1- 71 وشذرات الذهب 434/5 ودرة الحجال 225/1 ت 328 ومعجم اعلام الجزائر 55

²: الرحلة 48/3 مكرر.

³: انظر دراسة الشعر.

⁴: نفسه.

⁵: وانظر عنه: افادة النصيح 115- 117 والاستدعاء 3 وشذرات الذهب 390/5 وحسن المحاضرة 215/1 وذيل العبر
15 ودرة الحجال 383/1 والنجوم الزاهرة 7/ وفيات 685 وذيل طبقات الحنابلة 316/2 و423 وطبقات القراء 275/1

ومن تلاميذه ابن الظاهري والمزي وابن حبان وهم شيوخ ابن رشيد وكذا ابن منير. ويعد المراغي أحد مصادر ابن رشيد في كتابه افادة النسيج.

151- ابو الوفاء اللخمي

ابو الوفاء بن الفقيه ابي القاسم بن الفقيه ابي العباس اللخمي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الفاضل الاوحد¹ وقد جاء ذكره في ترجمة ابن دقيق العيد وذكر كتابه المسمى الامام، وكان ابن رشيد قد حكى لأبي الوفاء قول ابن دقيق العيد: (ما وقتت على كتاب من كتب الحديث وعلومه المتعلقة به سبقت بتأليفه وانتهى إلي الا اودعت منه فائدة في هذا الكتاب، الا ما كان من كتاب التاريخ الكبير للامام ابي عمر الصوفي فلاني لم اره.

152- أم الفضل زينب البغدادي(.....-713)

زينب ابنة الامام ابي محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وهي الشبيخة الصالحة² والزاهدة المسندة الرحالة³.

لقيها ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليها جزءا من حديث ابي اسحاق إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمداني وذلك يوم الاثنين 29 رجب 684 وأجازت له وجميع من سمي معه في الاستدعاء، وهذا الجزء مسموع لشيخ ابن رشيد ابي بكر الاثمطي في الخامسة من عمره وذلك في سنة 614 بقراءة أبيه الحافظ أبي الطاهر. روت زينب عن أبيها أبي محمد⁴.

153- شهاب الدين الخلاطي(624 - 711)

ابو البركات شعبان بن ابي الطاهر بن عمر الخلاطي الصوفي الشيخ الصالح⁵ البركة⁶. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمع عليه واجازه له ولبنه وقرأ عليه جزء فيه حكايات عبد الملك بن قريش الاصمعي عن العرب وغيرهم وذلك يوم السبت

¹: الرحلة 62/3.

²: الرحلة 80/3.

³: درة الحجال 278/1.

⁴: وانظر عنه البداية والنهاية 73/4. وفيات 713 وجامع القرويين 484/2.

⁵: الرحلة 69/3 والاستدعاء 7 ودرة الحجال 318/3 ت 1410.

⁶: شذرات الذهب 26/6 وفيات 711 والدرر الكامنة 189/2 ت 1935.

27 رجب 684 بإيوان مشهد الحسين، ومن ذلك ما ورد في الرحلة بالسند المرفوع الى عبد الملك بن قريب الاصمعي قال: (سمعت أعرابيا يقول: خير من الحياة ما إذا فقدته انقضت الحياة وشر من الممات ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت) وغير ذلك من الحكايات¹.

سمع الخلاطي من ابن رواج ومن يوسف بن محمود بن الحسين.

154- الفتى الطواشي

الفتى الطواشي صواب الصلاحي السهيلي، وهو شيخ حسن البزة موقر الجلسة والأمير المحتشم البعيد الصيت². لقيه ابن رشيد بالقاهرة بباب منزله وسمع عليه كتاب التوكل لابن أبي الدنيا، وكتب له خطه مجيزا ولبنيه واخواته وسمع عليه حديث: (لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا).

سمع صواب الصلاحي من سبط السلفي الحافظ³

155- ابن خطيب المزة (598-687)

شهاب الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن العلم يوسف بن يحيى بن يوسف بن أحمد بن سليم الدمشقي المزي، وبشهر بابن خطيب المزة⁴ وابن العلم. وهو الشيخ الاجل والفقيه المسند الفاضل، الدين الثقة⁵ لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه مشيخته التي انتقاها له صاحبه المحدث سعد الدين مسعود الحارثي وذلك يوم 29 رجب 684. وسمع عليه جميع الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي مسموعة لشيخه المزي، وهي ايضا من عوالي البغداديين. وذكر له ابن رشيد في ترجمته بيانا مطولا للتعريف بسنده وسماعه وسماع شيخه ابن طبرزد، وروى عنه كثيرا من الأحاديث.

سمع المزي سنن أبي داود على الدارقزي ومسند ابن حنبل على ابن سعادة الرصافي وأجاز له وسمع على ابن طبرزد وأجاز له.

¹: انظر عنه ذيل العبر 17 ت 706 وأنس الساري 84 نقلا عن الرحلة.

²: الرحلة 66/5.

³: ولتتر عنه ذيل العبر 17/36 والنجوم الزاهرة 225/8 والدارس 255/2.

⁴: الرحلة 37/3، والمزة موضع بغوطة دمشق.

⁵: الرحلة 36/3 وشذرات الذهب 401/5.

وقد تنافس الناس في سماع كتاب ابن حنبل على المزي هذا وممن سمعه عليه ابن دقيق العيد المشهور، وكان يفخر بذلك¹.

156- قطب الدين الحلبي (663-735هـ)

ابو علي عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحلبي المصري وصفه ابن رشيد بصاحبنا² الإمام العالم المقرئ المحدث مفيد الديار المصرية الذي كتب العالي والنازل. وهو الذي كتب عن الأخوين ابي محمد وجلال الدين ابني حسن بن ابي محمد ابن القاهري عندما اجازاه ولمن ذكر معه في الاستدعاء الاصغر وبما انه لم ترد له ترجمة خاصة فإنه من المحتمل أن يكون أحد مصادر ابن رشيد في الحديث وما يتصل به لأنه شرح البخاري³ وعمل تاريخ مصر، وله في غير ذلك فهم وبصر بالرجال ومشاركة حميدة في الفقه والسيرة النبوية.

تلا قطب الدين بالسبع على ابن المليحي وسمع من ابن عماد الحرائي وغازي الحلاوي وابن خطيب المزة وابن العماد والفخر بن البخاري وطبقهم. وروى عنه ابن عمر محمد بن علي العثماني الاندلسي⁴.

157- ابو سعد بن سنان

رشيد الدين ابو سعد محمد بن عبد الله بن حسن بن ابي محمد بن عبد الواحد ابن حسن بن سنان المعروف ابوه بابن القاهري. وهو الشيخ الصالح⁵، لقيه ابن رشيد بالقاهرة هو وأخاه جلال الدين ابا موسى عيسى واجازا له ولمن ذكر معه في الاستدعاء الاصغر، وكتب عنهما بذلك صاحب ابن رشيد قطب الدين الحلبي، وروى عنهما بعض الأحاديث.

¹: وانظر بعض أخباره في الاستدعاء 6 ودرة الحجال 109/3 ت 10/46 والنجوم الزاهرة 76/10 وفهرس الفهارس 107/1.

²: الرحلة 92/3.

³: معجم سركيس 319/1: له كتاب البدر المنير الساري في الكلام علي البخاري.

⁴: انظر عن الحلبي وأخباره: فهرست الوادي أشي 56، وطبقات الحفاظ للسيوطي 519 ت 1147 وذيل تذكرة الحفاظ 349 وطبقات الشافعية 406/10 وتاج التراجم في طبقات الحنفية 38 ت 112 وشذرات الذهب 110/6-111 وذيل العبر 186/17 والدرر الكامنة 398/2-399 وغاية النهاية 402/1 ودرة الحجال 152/3 والرسالة المستطرفة 198 وحسن المحاضرة 150/1 وتذييل دول الإسلام 187 وفيات 735 وكشف الظنون 301، 404، 1013، 1316 والزركلي 177/4.

⁵: الرحلة 92/3.

أجاز للأخوين ابي محمد و ابي موسى: الفخر الفارسي، وسمعا من عبد الرحيم ابن الطفيل الاربعين البلدانية، وأجاز لهما. وسمعا من القاضي الاشرف ابن عثمان المخزومي الاربعين البلدانية، وأجاز لهما ابن ابي الصقر وابن باقا.

158- شرف الدين الدمياطي: ابن الجامعة (613- 705 هـ)

ابو محمد وابو أحمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن بن شرف أبي الحسن بن موسى التوني (من توتة) المولد الدمياطي المنشأ. وهو استاذ الحديث في المدرسة الظاهرية التي أسسها الظاهر بيبرس. واحد أكابر الشافعية، وهو عمدة النقاد حافظ الوقت العلامة¹ الحجة الفقيه النابه وشيخ المحدثين².

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه بعض التراجم التي عرست له وبعدها يرجح أن يكون أخذ عنه الحديث خاصة وغير ذلك.

أخذ الدمياطي عن جم غفير منهم أحمد بن ابي بكر الاسكندراني وأبونصر بن مميل الشيرازي، واخذ عن ابي عبد الله الحلبي اللغوي.

وأخذ عنه الكثير منهم عبد المهيمن الحضرمي ابو القاسم بن سلمون الكناني وابن عيسى المالقي وابن سيد الناس اليعمرى³.

159- شمس الدين الحنبلي

ابو محمد بن عبد الواحد بن علي بن أحمد بن محمد القرشي الهاشمي الحنبلي، الشيخ الجليل المسن الفقيه الصالح العارف.

قصده ابن رشيد بمنزله بالموضع المعروف بالحكر (او الكافوري) بظاهر القاهرة وذلك في 22 رجب 584، فقرأ عليه وأجاز له ولأولاده وأخواته ولكنه لم يستطع الكتب لضعف بصره فأذن له في الكتب، وقرأ عليه جميع الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد بن

¹: الشذرات 12/6.

²: طبقات السيوطي 512 ت 1134.

³: وانظر أخبار الشوف وتراجمه في: افادة النصيح 115 والاستدعاء 4 والسنن الابين 65 والعيدري 132 والوادي آشي 97 ومستفاد الرحلة 37 والدرر 417/2 وتاريخ علماء بغداد 120 والبدر الطالع 403/1، وحسن المحاضرة 150/1. الشافعية 10/4 وفوات 409/2 والبداية والنهاية 40/14 ودرة الحجال 169/3 وتذكرة الحفاظ 1477 وطبقات المفسرين 217 والمستطرفة 138 والزركني 318/4 ودول الاسلام 164/2 وتاريخ الجامعات 93 ومعجم المؤلفين 197/6.

حميد، وجميع الموافقات وأخيره بأنه لما كان بالموصل كان على مذهب الإمام الشافعي، ولما جاء إلى الشام واجتمع بشيخه ابن قدامة وأراد الانتقال إلى مذهب أحمد اعلم شيخه بذلك.

سمع ابو محمد الحنبلي مسند عبد بن حميد المسمى بالمنتخب على ابي نصر الجيلي¹.

160- ابو احمد البعلبيكي (611-.....)

عبد الولي بن بختر بن حماد البعلبيكي. وهو الشيخ الصالح² لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه جزءا من حديث ابي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم، ولم يتفق له استيفاء تعليق الجزء لعارض السفر. وقد شك في بعض أسانيد فترك كتبها حتى يكشف أمرها.

سمع البعلبيكي أبا المعمر الفزويني.

161- التقي عبيد (....- 692)

تقي الدين ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عباس الاسعدي، ويشهر بالتقي عبيد. وهو الشيخ المحدث والمشار إليه من بين الحفاظ بديار مصر وكان مكثرا من الرواية، وله معرفة بالحديث، وكان حريصا على تخريج اسمعة الشيوخ³.

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمع عليه وأجاز له ولاولاده، يوم الجمعة 19 رجب 684 وذلك في احواز جامع ابن طولون، وروى عنه مجموعة من الأحاديث، وأخبره بسماعه جزءا من المجالس السلماسية، وكتاب الاعتبار للحازمي وغير ذلك. وقد فات ابن رشيد سماع كتاب الاعتبار عليه فأسف لذلك أسفا شديدا.

سمع التقي على ابن المقير وابن الجميزي وابن الحباب وسبط السلفي، وسمع بالاسكندرية ودمياط ومصر والشام، ومن سماعته الكفاية لابن الخطيب وأجزاء الثقفي والاعتبار وغيرها.

¹: الرحلة 90/3.

²: الرحلة 102/3.

³: الرحلة 66/3 والاستدعاء 6.

162- صدر الدين القيسي

ابو يحيى عتيق بن ابي يحيى عتيق بن عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي العامري¹. وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في ترجمة ابي الفضل التجاني الذي روى له مقطوعة شعرية ومنها: (البسيط)

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر * * عطفاك ان فتكت عيناك لي وزر
ابعد ما كان ليلى كله سحرا * * صيرته بالتجني ماله سحر
قد رق لي في الهوى كل الانام سوى * * من حاز رقي فمالي عنه مصطر
فإن شكوت له يفتر مبتسما * * عن عشرة قد حواها ثغره العطر
طلع افاح صباح جوهر برد * * در حباب لجين بارق زهر

وقد علق ابن رشيد عليها بقوله: وهذه عشر تشبيهات في بيت دون ذكر المشبه به وهو مما يندر.

163- جلال الدين ابن سنان

ابو موسى عيسى بن حسن بن ابي محمد بن عبد الواحد بن حسن بن سنان المعروف ابوه بابن القاهري، وهو الشيخ الصالح. سمع عيسى على ابن الحباب. وكان شافعي المذهب².

(انظر ترجمة أخيه ابي محمد ترجمة 157 من هذا البحث)

164- ضياء الدين السبتي (613- 696)

ابو الهدى عيسى بن يحيى بن احمد بن محمد بن مسعود الانصاري السبتي، وهو الشيخ الصوفي والإمام الحافظ المحدث، له كلام على المعاني وهو ممن يستحضر أكثر كتاب الترمذي. لقيه ابن رشيد في القاهرة وأجاز له وكتب له خطه غير مأمرة بالإجازة، وقرأ عليه بالمدرسة الظاهرية من القاهرة المعزية وذلك يوم الاثنين 8 رجب 684³.

¹: الرحلة 33/7.

²: الرحلة 92/3.

³: الرحلة 95/3.

سمع السبتي الكثير بالاسكندرية ومصر وغيرها على ابن رواج وابن الجميزي وظافر بن شحم وغيرهما من اصحاب السلفي. وسمع من ابن الطفيل الدمشقي والجعري وابن الحباب وابي الفضل بن عبد المعطي وابن الصابوني والشهرزوري وابن المقير وأصحاب السلفي.

وقد ذكره ابن الزبير الاصغر في مشيخته¹.

165- موفق الدين التلمساني الحراساني (614-....)

ابو عبد الله محمد بن احمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالحراساني التلمساني الدار، وهو الشيخ الصالح الصوفي².

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وكتب له خطه مجيزا له ولأولاده واخواته، وقرأ عليه بعض الاحاديث، ثم البسه خرقة الصوفية وذلك يوم الجمعة 4 شعبان 684 هـ.

سمع الحراساني من ابن هبة الله الجميزي، والبسه خرقة التصوف وأجاز له³، واجاز لابن جابر الوادي آشي.

166- قطب الدين القسطلاني (614-686هـ)

ابو بكر محمد بن ابي العباس احمد بن ابي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الميمون الميموني القسطلاني⁴، الشيخ المحدث الصوفي والاديب المصنف المفتي المشهور.

لقيه ابن رشيد بعد وروده على القاهرة، وصحبه وسمع عليه واجاز له ولأولاده واخواته وقرأ عليه بالمدرسة الكاملية، وأنشده شعرا لابن العريف وغيره وفرا عليه من كتبه مختصر العقيدة المسماة لسان البيان عن اعتقاد الجبان وذلك في مستهل شعبان 684 والبسه طاقية على رأسه في العشر الأول من شعبان 684. وللقسطلاني طرق في ذلك بينها في كتابه ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة.

¹: وانظر عن السبتي أيضا مستفاد الرحلة 88 والوادي آشي 111 وشذرات الذهب (السبتي الشافعي) 436/5 ودره الحجال 190/3 ت 1175 (نقلا عن الرحلة).

²: الرحلة 95/3 والاستدعاء 8.

³: وانظر عنه الوادي آشي 83 ومستفاد الرحلة 97 ودره الحجال 263/2 ت 758.

⁴: الرحلة 107/3 و60/5.

ولما ورد سؤال على القسطلاني أجاب عليه وقرأه على ابن رشيد وكتب له خطه علي ويتعلق ذلك بالدروزة¹. وانشده شيئاً من شعره². ولما لقيه عند الصدور في 7 صفر 685 روى عنه حديث (الراحمون) ومسلسل (أضافنا) وذلك بحضور رفيقه الوزير ابن الحكيم ولاشك في أن ابن رشيد قرأ على القسطلاني الحديث وغير ذلك.

نشا القسطلاني بمكة وصحب العلماء والصلحاء ولقي من الشيوخ الخفيفي الابهريسي، وابا حفص الملقب بِحَمُورِيَّة الشهرزوري وسمع منه عوارف المعارف ولبس منه خرقة الصوفية، وروى عنه ما صنفه، وسمع كتاب الترمذي على ابن البناء وصحيح البخاري على ابي الحسن القطيعي، وصحيح مسلم على ابي عبد الله المرسى ولبس خرقة الصوفية ايضا من جده.

ومن تلاميذه ابو الفتح ابن سيد الناس اليعمري وخلق³.

167- ابوبكر الانماطي

زين الدين ابو بكر محمد بن ابي الطاهر اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الانصاري، ويشهر بابن الانماطي، وهو الحسيب الاصيل والراوية المسند⁴. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمح عليه واجاز له ولبنيه وكتب حظه بذلك وقرأ عليه الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد من حميد وذلك ظهر يوم الاثنين 22 رجب 684 وقرأ عليه جميع الجزء الأول من حديث بشر ابن مطير بقراءة صاحبه ابي عبد الله بن سامة الدمشقي. وقرأ عليه جزءا من فوائد ابي محمد بن ماسي، واجازه في كتاب الاربعين السباعيات المستخرجة من مسموعات الإمام هبة الرحمان القشيري.

ومن شيوخ ابن الانماطي: ابوه الذي اعتنى به، وابن ملاعب والمؤيد الطوسي وابو اليمى الكندي وابو الفتوح البكري.

¹: الرحلة 112/3 وانظر نص السؤال ومعناه في التصوف بعد.

²: الرحلة 107/3.

³: انظر عن القسطلاني- درة الحجال 220/1 وط. الشافعية 43/8- 44 وطبقات الشعراني 212 وشذرات الذهب 397/5 وذيل تذكرة الحفاظ 76 ومراة الجنان 4/وفيات 686 وفوات الوفيات 300/3 ومعجم المؤلفين 299/8 وحسن المحاضرة 236/1 وتاريخ علماء بغداد 173- 175 والرسالة المستطرفة 123 ودول الإسلام 145/2 والنجوم الزاهرة 373/7 وكشف الظنون 47، 62، 470 وهدية العارفين 135/2 والزركلي 219/6.

⁴: الرحلة 31/3 والاستدعاء 7.

ومن سماعاته جزء ابن ديزبل على ابي بكر القرشي والاجزاء الخمسة من الفوائد
المنتخبة الصحاح والغرائب على ابي محمد بن قدامة المقدسي وسمع على الحرساني
وغیره.

ومن تلاميذه ابو الفتح اليعمری¹.

168- شرف الدين الدلاصي

ابو عبد الله محمد بن ابي الجود حاتم بن هبة الله بن خلف بن داود الدلاصي
المالكي، وهو الشيخ الصالح² الخير³ والعايد الورع الناسك. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ
عليه جزءا فيه أحاديث منتقاة من كتاب مسند الإمام الشافعي وذلك بالمدرسة الصالحية
يوم السبت 27 رجب 684 وتقل ابن رشيد جميع الجزء من خط منتقيه صاحبه سعد
الدين الحارثي، سمع الدلاصي من ابن باقا البغدادي. وقرأ عليه احمد بن ابي بكر
الاسكندري⁴.

169- ابن دراة القرشي

جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن علي بن جعفر بن درادة
القرشي، الشيخ الأجل المتقن الوراقه ورئيس المؤذنين بالجامع الحاكمي⁵. لقيه ابن رشيد
بالقاهرة وناوله كتاب التكملة في وفيات النقلة بخطه وذلك في 23 رجب 684. وقرأ
عليه جزءا فيه مجلس من أمالي ابي علي محمد بن أحمد بن ميلة وذلك بقراءة صاحبه
شمس الدين محمد بن سامة الدمشقي الذي قرأ على جمال الدين ابن درادة. وابن رشيد
يسمع عشرة احاديث متوالية من أول الاربعين الزاهرة في الاحاديث النبوية الفاخرة
المخرجة من روايات الشيخ ابي الحسن بن المقير تخريج رشيد الدين القرشي ثم أجاز له
ابن درادة ولاولاده واخوانه وجميع من ذكر معه في الاستدعاء سمع ابن درادة من ابن
الجميزي وابن رواج وابن المقير وابن عبد العظيم المنذري، وكان عنده بخطه كتاب أسماء
رجال الصحيحين لابي الفضل المقدسي.

¹: وانظر عن الانماطي درة الحجال 6/2 وشذرات الذهب 388/5 وذيل العبر 15 والنجوم الزاهرة وفيات 684.

²: الرحلة 72/3.

³: درة الحجال 16/2 ت 455.

⁴: درة الحجال 16/2 ت 455.

⁵: الرحلة 100/3 / 3.

تقي الدين ابوالفتح محمد بن ابي الحسن علي بن وهب القشيري المشهور بابن دقيق العيد. وهو العالم الامام الاوحد المجتهد مفتي الإسلام، ذو التصانيف الجليلة والمباحث الدقيقة، ومدرس المذهبين المالكي والشافعي¹.

لقبه ابن رشيد بالقاهرة عند الورود عليها سنة 684 بالمدرسة الصالحية، واخبره بما حدث به من مسموعاته ومقروءاته واجازاته الكثيرة، ثم أجاز له في تأليفه في علم الحديث الذي سماه: الاقتراح في بيان الاصطلاح وأجاز ايضا لاولاده غير مرة. ثم لقبه مرة ثانية عند الصدور سنة 685، وروى عنه الحديث، وأملى عليه شيئا من الشعر. وفي كلتا ترجمتي ابن دقيق العيد فوائد جليلة في التفسير والفقه والعقيدة، وهي تنم عن شخص صاحب الترجمة الواسع العلم، المتمكن من كثير من الفنون.

ومن شيوخ ابن دقيق العيد ابو الحسن ابن هبة الله اللخمي وابن المقير وابن رواج وابن الحباب وابوالقاسم بن الحاسب وهؤلاء من اصحاب السلفي وأما شيوخه من اصحاب البصري فمنهم ابن عبد العظيم المنذري وابو الحسين القريشي وابو البقاء النابلسي ولأبي الفتح مصنفات كثيرة وجليلة.

ومن اصحابه ابو زكرياء الدكالي الحافظ الذي قدم فاسا وسبنة وصحبه كثيرا. وكان بينه وبين سعد الدين الحارثي منافرة مشهورة².

ومن تلاميذه ابوالفتح اليعمري وابوالطيب السبتي واحمد الاسواني وعبد الله الغرناطي الغافقي وابوالعباس الغبريني وغيرهم كثير³.

¹: الرحلة 58/3.

²: انظر ترجمة الحارثي عدد 174 بعد.

³: انظر عن ابن دقيق العيد: العبدري 138 ومستفاد الرحلة 16 والوادي آشي 85 وطبقات المالكية عدد 364 وتذكرة الحفاظ 1481/4 وطبقات الحفاظ 513 ت 1136 وشذرات الذهب 5/6 وذيل العبر 17 وفيات 702 والدرر الكامنة 4/ 210 والبدور الطالع 229/2 وطبقات ابن السبكي 207/9 ومراة الجنان 4/ وفيات 207 والرسالة المستطرفة 180 والوافي بالوفيات 193/4 ودرة الحجال 15/2 ت 454 وحسن المحاضرة 127/1، 142/2 ودول الإسلام 161/2 والبداية والنهاية 27/4 والطالع السعيد 462 وغاية النهاية 219/2 وانس الساري والسارب 59 وكشف الظنون 125، 1170، 1157، 1176 ايضاح المكنون 54 وهدية العارفين 140/2 وشجرة النور 189 ت 629 والزركلي 173/7 وفوات الوفيات 442/3. والمجموعة النهائية 357/4. وجامع كرامات الاولياء 136/1 وجمهرة اولياء واعلام اهل التصوف 253/2.

171- ابوالمعالى الاصبهاني (606- 688)

ابو المكارم ابوالمعالى محمد بن محمود بن محمد بن عباد المعجلي الاصبهاني الشافعي، وهو الإمام الاوحد رئيس النظار المتأخرين وشمس الملة والدين، وناصر السنة وفخر الائمة، كبير المتكلمين وحكم المتناظرين، وإمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات، والقواعد الصوفيات، وكان صاحب التصانيف البديعة والتدقيقات الرقيقة¹.

لقيه ابن رشيد بالقاهرة ونفقتة عليه في كتابه المسمى بالقواعد الكلية في خمس من الفنون العلمية: علم اللغة والمنطق والخلاف وأصول الفقه وأصول الدين. وأجاز له ولاولاده وأخواته جميع ما روى. ورأى بعضا من كتابه في الحدود والعلم بالخلاف.

وجرت بين ابن رشيد وابي المعالي مكاملة في مجلسه حول قولهم الحرف ما دل على معنى في غيره...²

تخرج الاصبهاني على الاثير الابهرى، وله مؤلفات كثيرة ومهمة³.

172- عماد الدين الصفار المطرز

عماد الدين ابو عبد الله محمد بن مكى بن حامد بن ابي القاسم الاصبهاني الصفار المطرز. وهو شيخ صالح، أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكن له سماع صحيح⁴. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه وأجازه ولبنيه، ومما قرأه عليه جزء ابي العالي البوسنجي، وقد أورد منه بعض الاحاديث في رحلته.

سمع عماد الدين على ابن روضة العطار القلانسي الصوفي البغدادي⁵.

173- ابن حيان الغرناطي (654- 745هـ)

اثير الدين وبدر الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي الحياتي الجياتي الاندلسي نزيل القاهرة.

¹: الرحلة 88/3.

²: انظر مناقشة النحو في دراسة الرحلة.

³: انظر عنه النجوم الزاهرة 7/وفيات 688 ومراة الجنان 4/وفيات 688 وشذرات الذهب 406/5 وفيات 688 وهديّة العارفين 126 ولاحظ كيف صحح ابن رشيد اسم كتاب القواعد السالف ذكره.

⁴: الرحلة 77/3 والاستدعاء5.

⁵: وانظر عنه درة الحجال 14/2 ت 451 نقلا عن الرحلة، والنجوم الزاهرة 369/7.

وصفه ابن رشيد بصاحبه الاديب النحوي والمتفتن المحدث¹.

لقيه بالقاهرة وتجدد اللقاء به، وكان يستفيد من علمه الواسع، ويمده بكثير من الروايات المفيدة في جميع الفنون، وبأخذ عنه الاحاديث والاشعار والأخبار التاريخية، وينقل من خطه، ولهذا يعد ابن حبان من أهم مصادر الرحلة ومما روى عنه شعره وما أنشده وكتبه بخطه، ومن ذلك ما أنشده ابو المعالي زماخ الحمداني المهنمئدار لنفسه بالقاهرة: (الوافر)

فلا تعجب لحسن المدح مني * * صفاتك أظهرت حكم البوادي

وقد تبدي لك المرأة شخصا * * ويسمك الصدى ما قد تنادي²

روى ابن حبان عن ابي الحسين بن ابي الربيع وابي جعفر اللبلي، وابي الحسن حازم القرطاجني، وشيوخه لا يحصون عدا.

واما تلاميذه فكثير. وقد عمر فالحق الاجداد بالاحفاد. وله مؤلفات عديدة ومشهورة³.

174- سعد الدين الحارثي (652-711هـ)

مسعود بن احمد بن مسعود بن زيد الحارثي العراقي ثم المصري كان الحارثي معتنيا بالحديث، طلب بنفسه وكتب الكثير، وسمع العالي والنازل فاتسعت معارف، وولى مشيخة دار الحديث بدمشق ثم تركها ورجع إلى مصر ثم ولي القضاء سنة 709 وكانت له يد طولى في الصناعة والاسانيد والمتون.

¹: الرحلة 75/5.

²: فوات الوفيات 350/4 ورحلة العياشي 440/2 نقلا من الرحلة.

³: انظر أخبار أبي حبان في: مستفاد الرحلة 142-143 ونفح الطيب 289/3-314-468 والدرر الكامنة 302/4 ت 832 والوادي آشي 54 وذيّل تذكرة الحفاظ 23 وفوات الوفيات 282/2 ونكت الهميان 280 وفهرس الفهارس 208/1 والنجوم الزاهرة 111/10 وبغية الوعاة 280/1 وشذرات الذهب 145/6 والرسالة المستطرفة 101 ودرة الحجال 2/122 ت 573 وطبقات السيوطي 538 وفهرس الرصاع 76 والفوائد البهية 125 وكتاب ابو حبان النحوي للدكتورة خديجة الحديثي. وفهرس مخطوطات جامع الفرويين 224/2 وكشف الظنون 61، 153، 1152، 1028-1864، 1818 خديجة الحديثي. وايضاح المكنون 101/1، 122، 583، 605 وهدية العارفين 152/1 وأدب الفقهاء 71 والزركلي 8/26 ومن اهم مؤلفاته المطبوعة البحر المحيط (تفسير).

لما انتقى الحارثي جميع مشيخة ابن خطيب المزة قراها ابن رشيد عليه يوم الاثنين 29 رجب 684، ولما خرج مشيخة صفى الدين المراغي قراها ابن رشيد وعلق منها ما تيسر وذلك في رجب 1684¹.

ويعد الحارثي مصدرا من مصادر معارف الرحلة.

سمع الحارثي الحديث من الشيوخ الجللة كالرضى بن البرهان والنجيب وطبقتهما وسمع بدمشق من الجمال ابن الصيرفي. ومن مصنفاته شرح سنن أبي داود في الحديث وشرح المقنع لابن قدامة في الفروع. وكان ابن دقيق العيد يغضُّ من الحارثي لقوله بالجهة، ويقال أن الحارثي هذا هو الذي اعد مسودة كتاب الإمام لابن دقيق العيد بعد أن كان اكمله².

ت: ذكر من لقيهم بمصر

175- ابوبكر المنذري (647- 751هـ)

ابوبكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف بن أحمد بن داود بن حميد المنذري كمال الدين بن الصباح المصري³.

ورد في بعض التراجم أن ابن رشيد روى عن زكي الدين عبد العظيم المنذري، وذلك لا يجوز لكون المنذري هذا توفي سنة 656 هـ أي قبل مولد ابن رشيد بعام واحد⁴. وبهذا يرجح أن يكون المنذري الذي روى عنه ابن رشيد هو ابا بكر بن يوسف المنذري المصري.

روى ابو بكر عن ابيه وسمع من لاحق بن عبد المنعم الارتاحي قطعة من دلائل النبوة، فكان آخر من حدث عنه مطلقا. وسمع من العز بين ابيك الدمياطي.

¹: الحارثية من قرى بغداد.

²: انظر بعض اخباره في البدر الطالع 302/2 ت 547 وذيل طبقات الحنابلة 362/2 وتذكرة الحفاظ 515 ت 1143 ودرة الحجال 11/3 والبدائية والنهاية 63/4 الدرر الكامنة 347/4 وشذرات الذهب 26/6 والنهاية 63/4 الدرر الكامنة 347/4 وشذرات الذهب 26/6 ومراة الجنان 4/وفيات 711 وحسن المحاضرة 150/1 ودول الإسلام 163/2 وكشف الظنون 28/2 وهدية العارفين 429/2 ومعجم المؤلفين 225/12 والزركلي 109/8.

³: الدرر الكامنة 469/1 ت 1263.

⁴: وانظر عنه سلوة الانفاس 191/2 والمراكشي 251/8 ودرة الحجال 524/4 وشجرة النور 216 ت 760.

176- ابوبكر العسقلاني الرزاز

نجم الدين ابوبكر ثابت بن علي بن عبد القوي بن القاسم العسقلاني الرزاز. وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح¹. وقد لقيه بمصر يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ وقرأ عليه جزءا فيه أحاديث عوال خماسيات الاسناذ بتخريج ابي جعفر يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الله المكّي، ثم أجاز له ولبنيه وأخواته وكتب عنه بذلك صاحب ابن رشيد ابو عبد الله بن عاصم الرندي. ومما أخبره به أيضا سند رواية النابغة الجعدي للنبي صلى الله عليه وسلم قوله (الطويل).

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا²

وملخص ذلك السند: (ابن رشيد- العسقلاني الرزاز- ابو الحسن بن المغيرة البغدادي - حاضر بن محمد بن حاضر سنة 640- المبارك بن الحسن الشهرزوري- أبوالحسين احمد البزاز- ابو الحسين محمد الدقاق- عبد الله بن محمد البغوي- داوود بن رشيد- يعلى بن الاشدق- النابغة الجعدي - النبي صلى الله عليه وسلم).

177- الاسعدي الحرار الشَّرابي

ابو يونس، وابو محمد ذو النون بن عمر بن عباس القرشي، ويعرف بالحرار الشَّرابي³، وهو شيخ من العامة لكن له سماع صحيح.

ويقول ابن رشيد: إن الناس رغبوا في الأخذ عنه لغرابة اسمه⁴، وتعد هذه من الالتفاتات النادرة في هذا الموضوع. لقيه بمصر وقرأ عليه بدكانه بجوفي المسجد الجامع المنسوب لعمر بن العاص وذلك بعد عصر يوم الجمعة 17 رجب 684، بعض الأحاديث كحديث: الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه، وغيره. وكانت تلك الاحاديث قد كتبت في جزء لطيف كان عنده يقدمه للوافدين عليه.

سمع الاسعدي جزء الانصاري على الحافظ ابي الحسين يحيى القرشي، وسمع الجزء الاول من كتاب الناسخ والمنسوخ للحازمي على عبد الله الدمياطي وأخيه الحسين.

¹: الرحلة 84/3.

²: الاغاني 8/5 والجمهرة للقرشي 33/1 والشعر والشعراء 208/1.

³: الرحلة 86/3.

⁴: الرحلة 86/3-87.

178- ابو الفضل الدميري (603- 695)

محيي الدين ابوالفضل عبد الرحيم بن ابي البركات عبد المنعم بن خلف الدميري. وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام الصدر العدل الرئيس المقرئ الجليل قارئ المصحف المنسوب لعثمان رضي الله عنه بفسطاط مصر وهناك لقيه وسمع عليه وأجاز له ولاولاده¹. ومما سمع عليه جزء ابي الفتح المقدسي الفقيه، وفيه كتاب عمر بن الخطاب حين صالح نصارى أهل الشام، وقد أورده ابن رشيد بنصه. وقرئ على ابي الفضل بعض الاحاديث وهو يسمع. وأخبره ببعض ذلك كتابة، وكتب له عنه صاحبه محمد ابن عاصم.

سمع الدميري من الحافظ ابي الحسن المقدسي حاكم الاسكندرية، ومن سماعه عليه الجزء الذي فيه الأحاديث التي ذكر فيها الصوت. وسمع الفخر الفارسي وأكثر عنه ولبس منه خرقة التصوف. ولبسها أيضا من شهاب الدين السهروري، وسمع ابا الحسن ابي بنت الجميزي وغيرهم.

179- ابو محمد ابن اللخمي: السكان

زين الدين ابو محمد عبد الرزاق بن عماد الدين إبراهيم بن ابي الفضائل هبه الله بن سلامة بن المسلم اللخمي الشافعي السكان المعروف بابن اللخمي. وهو الشيخ الصالح².

لقيه ابن رشيد بمصر مع صاحبه المحدث ابي عبد الله بن عاصم وأجاز له لفظا ولكن لا يشك في السماع منه.

وممن كتب له عنه أيضا صاحب ابن رشيد نجم الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الحميد وذلك في يوم 27 محرم 685.

سمع ابن اللخمي من عمه بهاء الدين وابن الصابوني الاربعين البلدانية للسلفي.

¹: الرحلة 103/3.

²: الرحلة 70/5.

180- عز الدين الحراني (595-686)

أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله الحراني، هو الشيخ المحدث المعمر والثقة الفاضل رحلة الوقت¹ لقيه ابن رشيد بمصر وقرأ عليه المشيخة التي خرجها له جمال الدين ابن الظاهري، ومجموعة من الأحاديث. وقرأ عليه صدرا من كتاب البخاري من بدء الوحي وكتاب الأمان ومعهما كتاب العلم. ومما قرأه عليه أيضا شيء من شعر أبي نواس في الزهد، وشعر أبي العتاهية في وعظ الرشيد وغير ذلك.

وتعد ترجمة العز الحراني من التراجم المهمة، إذ خصه بأزيد من ثلاث وعشرين صفحة²، وفيها مناقشات مفيدة في الحديث وما يتصل به من علو التنزيل وغير ذلك.

وقد انفرد الحراني بإجازة حماد بن هبة الله الحراني وأبي الفرج بن كليب، وتفرد في الديار المصرية بسماعات قاضي المارستان ابن عبد الباقي ومشيخة ابن حسنون وغيرهما. ومن سماعته صحيح البخاري على الحازن المعروف بابن البيع، وأجاز له الحافظ ابن الجوزي، وأجلسه في حجره، وممن أجازه أيضا ابن ملاعب والزبيدي والعاقولي المؤيد الطوسي وابن طبرزد وأبو اليمن الكندي وغيرهم كثير.

رحل الناس إلى العز وتزاحموا في السماع عليه، فقد سمع عليه من شيوخ ابن رشيد: ابن دقيق العيد والحافظ التاريخي القاسم البرزلي وشرف الدين الجزائري وأبوجعفر ابن الزبير.

181- أبو محمد عبد الكريم الانصاري

عبد الكريم بن علي بن محمد الانصاري الشافعي. وهو الإمام العلامة المتين وإمام أئمة البيان، ويدعى آخر المتصدرين المشهورين بالديار المصرية³. لقيه ابن رشيد بمصر جامع عمرو بن العاص. ولما عرفه بعض الأدباء مكان ابن رشيد بالغ في البر

¹ الرحلة 114/3.

² الرحلة 119/2. وانظر عن الحراني أيضا الاستدعاء 3 وتاريخ علماء بغداد 94-108 وتالي كتاب وفيات الأعيان ت 171 ص 113 وشذرات الذهب 396/5 ودول الإسلام 145/2 وفيات 686 والنجوم الزاهرة 361/7 والبدائية والنهاية وفيات 686 وتذكرة الحفاظ 97 ودرة الحجال 201/4 (ترجمة ابن رشيد) وكذلك في أزهار الرياض 347/2، وشجرة النور 216 وإفادة النصيح 120.

³ الرحلة 66/5، 67 وانظر التفسير.

والاعتناء به، وسأله أن ينشده شيئاً من نظمه، فقال له ليس من الأدب أن أنشدك شيئاً خاطبت به غيرك، وسيرد عليك مني ما يخصك. فاعجل السفر ولم يقدر له لقاءه.

وقد حكي الانصاري لابن رشيد ما جرى بينه وبين العلم اللورقي من مكاملة في اعراب قوله تعالى (ولا ينبئك مثل خير)¹.

182- ابو البدر بن ابي الزين (602- 689)

نور الدين ابو البدر عبد الله بن ابي الزين الكاتب المصري. وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل. لقيه بمصر وقرأ عليه جميع الأحاديث التي قيدها في اسم شيخه الإمام بهاء الدين النحاس، وهي مستخرجة من مسند عبد بن حميد، وذلك بجامع عمرو بن العاص من فسطاط مصر في 26 رجب 684 هـ، ثم أجاز له جميع ما رواه ولولاده. وقد وردت في ترجمته بعض المناقشات في الجرح والتعديل وغير ذلك.

سمع ابن ابي الزين مسند عبد حميد علي ابن الليثي بدار الحديث الاشرفية يدمشق عام 634 هـ².

183- ابوالحسن بن ابي الكؤم (613- 710)

بهاء الدين ابو الحسن علي بن ضياء الدين ابي الفرج عيسى بن سليمان بن رمضان بن ابي الكؤم الثعلبي الشافعي³.

وهو الشيخ القاضي الصدر الرئيس صاحب ديوان الاحباس بالديار المصرية، وكان من عرف به ابن رشيد صاحبه نجم الدين محمد بن عبد الحميد القرشي ومحمد بن عاصم الرندي، وقد لقيه بمصر وسمع عليه بعض الاحاديث واجازه ولولاده واخواته، وكتب خطه بذلك في 12 رجب 684 هـ.

ومما سمع عليه حديث الجمعة واجبه، وقول ابي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم : إني اسمع عنك حديثاً كثيراً ثم أنساه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ابسط

¹: نفسه.

²: الرحلة 101/3.

³: انظر دراسة الحديث بعد دراسة وتاريخ علماء بغداد 72 والاستدعاء 7.

رداءك... الحديث. سمع الثعلبي من والده كتاب الصحيح للبخاري، وسمع من سبط السلفي، وحدث عن الفخر الفارسي وابن باقا البغدادي وغيرهما¹.

184- غازي الحلاوي (695- 690)

ابو محمد وابو المحامد غازي الحلاوي بن ابي الفضل بين عبد الوهاب الدمشقي. وهو الشيخ المعمر الذي انتهى إليه علم الاسناد بمصر².

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في بعض الكتب التي ترجمت له وقد لقيه يوم 12 شعبان 684 هـ بمصر وسمع عليه بها الحديث ثم أجاز له وكتب عنه بذلك علي بن محمد بن علي بن بركات الانصاري المقرئ وذلك بحرم الخليل.

سمع الحلاوي على ابي حفص بن طبرزد وابي علي حنبل وأجازا له وكان الحلاوي صاحب الامين زكي الدين بيسيرس بن التركماني.

185- بهاء الدين بن النحاس (627- 698)

ابو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن ابي نصر الحلبي المشهور بابن النحاس. وصفه ابن رشيد بأحد أعلام علماء الديار المصرية في العربية والأدب والخلاف. له نظم رائق ونثر فائق وكرم ذات وفضل أدوات ومروءة ظاهرة ورواء وبهاء³، وهو العالم العلامة حجة العرب⁴، والمدرس بمدرسة الريحانية بدمشق.

لما وافى ابن رشيد مدينة مصر استصحب معه إلى مسجدها الاعظم أحد الفقراء السفارة يدلّه الطريق فبينما هو أثر صلاة العصر يتطوف في المسجد الجامع رأى فيه حلقةً بعضها لاقرأ القرآن وبعضها للعلم فقال له ذلك الفقير: ادن من هذه الحلقة فإني أرى أهلها ذوي احتشام فدنا ابن رشيد منها فرأى الطلبة قد أهدقوا بهذا الإمام فسلم ودخل الحلقة وجلس وهو لا يعرف الشيخ، وكان هذا يتكلم في علم العربية فأخذ ابن رشيد

¹: الرحلة 85/3 وانظر عنه ايضا الدرر الكامنة 91/3 وشذرات الذهب 23/6 وحسن المحاضرة 183/1، 388 وذيل العبر 56/17 ودرة الحجال 213/3 ت 1222 ودول الاسلام (ابن القيم) 197/2.

²: الاستدعاء 9 درة الحجال 290/4 ت 1308 وشذرات الذهب 417/5 وذيل العبر 15 وفيات 690 ودول الاسلام 149/2.

³: الرحلة 23/3.

⁴: فوات الوفيات 294 وشذرات الذهب 442/5 وفيات 698.

وانظر خلق ابن رشيد ومزاحه ص: 70 من هذا البحث، وانظر مناقشة النحو في دراسة الرحلة بعد، وكذا ترجمة ابي الحسين بن ابي الربيع ص: 250 من هذا البحث. وانظر أيضا فهرست التجيبي ص: 103.

معهم بطرف مما كانوا يتكلمون فيه، فسأله الشيخ: من أين قدومك. فأجابه ابن رشيد أن قدومه من جو المغرب، (يعني من داخل المغرب أو المغرب الأقصى باللهجة المصرية) فكان أول ما فاتحه به قوله: أيعيش سيدنا أبو الحسين بن أبي الربيع؟.. عرض ابن النحاس جميع كتبه على ابن رشيد أو أكثرها كتابا كتابا حتى مل، وقال له: حكمك فيها ماض، وهي مباحة لك.

وقرأ عليه بمنزله قطعة انتقاها في جزء من الثلاثيات والمواقفات، وذلك في يوم الخميس 25 رجب 684هـ.

وانبأه بجميع كتاب سيبويه في ذلك اليوم. وبعد ذلك أنشده شعره ونثره¹.

سمع ابن النحاس على ابن اللّتي، وقرأ كتاب سيبويه على علم الدين اللورقي² وسمع من أصحاب السلفي وقرأ كذلك مسند الدارمي ومسند عبد بن حميد على ابن اللّتي وغير ذلك.

ومن تلاميذه أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري وإبراهيم الاسنوي وإبراهيم بن عبد الله الحكري. وله مؤلفات مفيدة.

186- جمال الدين الوطواط (632- 718)

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الانصاري المري، من أهل المرية أبوه، المصري الدار والمعروف بالوطواط الكتبي. وهو الأديب الفاضل والكاتب البارع الحافل³ والماهر العارف بالكتب⁴.

لقبه ابن رشيد بمصر وكتب عن بعض رسائله ومن ذلك استفتاء كان أنشأه بسبب عرض له وأمل اعرض عنه فما بلغ منه ما امله فخاطب به بعض الفضلاء شاكيا له حاله وشارحا له ما الح عليه من اقلاله، فلم يواسه بشيء من ماله فكتب ذلك الاستفتاء، وهو مما سمعه عليه بقراءة رفيقه ابن الحكيم.

¹: انظر شعره في فوات الوفيات.

²: انظر عنه ايضا مستفاد الرحلة 22 وذيل العبر 399/15 وتاريخ علماء بغداد 37 ودرة الحجال 261/2 والوادي آشي وغاية القدامة 43/2 والدارس (المدرسة 105) ودول الإسلام 159/2 وهدية العارفين 139/2 ومعجم المؤلفين 219/8 وبروكلمان 297/5 وبغية الوعاة 13/1-14. والمجموعة النبهانية 609/1.

³: الرحلة 70/5.

⁴: الدرر الكامنة 298/3 ت 799.

وأول ذلك الاستفتاء: (ما يقول السادة الامجاد والقادة الانجاد كنوز المفاخر ومعادن المآثر..... في متعفف متكفف..... لا تمتد إليه راحة براحة ولا يجد من المواساة ما يأسو به جراحه....) ويقول في آخره:

(افتوا بمقتضى الفتوة ومروا بمرتضى المروة، مفصلين محسنين على ممر الاعمار والسنين.)

وقد كتب في الجواب عن هذا الاستفتاء عدد كبير من فضلاء المصريين وادبائهم وعلمائهم، واراد ابن اللخمي جمعها في كتاب يضم نشرها، ومن بين الذين كتبوا فيه الوزير ابن الحكيم وناصر الدين المنياوي.

وللطواط تآليف واشعار ورسائل، ومن ذلك ترسيل سمعه عليه ابن الحكيم وكان قد أنشأه بهراه، ومنها مناهج الفكر ومباهج العبر في عدد فنون المعرفة الطبيعية الفلك والجغرافية والنبات والحيوان والطبيعات والكيمياء ويمتزج في فصوله العلم بالأدب. وله غير ذلك¹.

187- تقي الدين ابن الصائغ المصري

(636-725)

ابو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكى المصري المشهر بابن الصائغ².

وهو شيخ القراء الماهر والفقيه المشارك، والخطيب المشهور بفن الاقراء، وشيخ المتصدرين بمصر، وله الرحلة في الافطار للقراءة والبحث عن علو الاسناد والدراية.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في بعض المراجع التي عرضت لترجمته كالدرر الكامنة والاعلام للمراكشي وازهار الرياض. ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث والقراءة وما يتصل بهما.

¹: انظر عنه هدية العارفين 143/2 والوافي بالوفيات 16/2-18 والزركلي 187/6.

²: انظر عن ابن الصائغ: الدرر الكامنة 320/3 ت 862 ودرة الحجال 254/2 ت 739 وشذرات الذهب 69/6 وفيات 725 ودول الإسلام 171/2 ومعجم المؤلفين 273/8.

أخذ ابن الصائغ عن كمال الدين بن فارس الدمشقي وأبي الحسن بن سالم القرشي والنجيب الحراني والحافظ أبي الحسن العطار.

أجاز ابن الصائغ لابن جابر وابن حيان.

188- أبو عبد الله القسطلاني (642-.....)

تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن أحمد القسطلاني، وهو الخطيب الفاضل، خطيب جامع عمرو بن العاص، كهل حسن¹ لقيه ابن رشيد بمصر وسمع عليه قطعة من الجزء الثاني من فوائد أبي الحسين ابن بشران، وناوله جميع الجزء، وأجاز له ولبنيه وأخواته.

سمع القسطلاني من سبط السلفي وهو أبو القاسم عبد الرحمان بن أبي الحزم مكّي بن الحاسب وذلك سنة 651².

189- ابن عاصم الرندي

أبو عبد الله محمد بن عاصم الرندي، وهو صاحب ابن رشيد ورفيقه بمصر والقاهرة، واحد مصادره المهمة في كثير من الروايات، وبعض التحقيق، إذ كان يورد اسمه من حين لآخر وينقل من خطه.

ولهذا كان ابن رشيد يصفه بصاحبه المحدث الفاضل، ويظهر ذلك من خلال دراسة بعض التراجم الواردة في الرحلة، فعندما اتصل ابن رشيد بابن اللخمي المعروف بالسكان لقيه مع صاحبه هذا³. وعندما لقي أبا صادق القرشي ووقف على الجزء الأول من الفوائد المخرجة من الأصول عن شيوخ القاضي أبي الحسين بن المهدي، وقف ابن رشيد⁴ على الأول منهما بخط أبي صادق وسماعه فيه مثبت، وعلى الجزء الثاني بخط صاحبه ابن عاصم⁴. وعندما لقي ابن رشيد ابن أبي الكوم الثعلبي حقق له اسمه وضبطه⁵، وعندما لقي العز الحراني وكتب عنه حديث: ما منكم من أحد ينجيّه عمله...

¹: الرحلة 83/3.

²: درة الحجال 16/2 ت 456.

³: الرحلة 70/5.

⁴: الرحلة 74/3.

⁵: الرحلة 85/3.

الحديث؛ كتب عنه ابن عاصم¹. وعندما قرأ ابن رشيد على الضياء السبتي بعض الحديث كان ابن عاصم حاضرا معه وقال أنه نقل ذلك من امالي ابن ميلة². وعندما لقي ابا العباس الاعلاقي كتب عنه ما استفاد منه³ وعندما لقي التقي عبيد وقرأ عليه سماعات ابي عبد الله الثقفي رئيس اصبهان، كان على النسخة خط ابن عاصم⁴.

ويظهر من خلال هذه الاشارات أن ابن عاصم كان محدثا وحافظا ومقيدا ومقيدا، ومن شيوخ الرندي محيي الدين بن خلف الدميري شيخ ابن رشيد.

190- شرف الدين بن عقيل (608-.....)

ابو عبد الله محمد بن الرشيد عبد الحكم بن الحسن بن عقيل بن شرف السعدي الشافعي. وهو الشيخ الراوية الحسيب الاصيل الشيخ الحسن.

لما وافى ابن رشيد مصر ليلة الأحد 7 رجب 684 بعد مغيب الشفق، كان أول من لقي ابن عقيل هذا، وساله الاجازة فاجاز له لفظا ثم كتب له خطبه بعد ذلك غير مرة. وأخيره بقراءته عليه بالمسجد الأعظم (مسجد عمرو بن العاص) بقصة الشافعي ورؤيته باليمن امرأة من وسطها إلى أعلى بدنان مفترقان بأربع أياد وراسين ووجهين، ومن وسطها إلى أسفل بدن امرأة. وقد سمع ابن عقيل من جده الجزء الثاني والثالث من الخلعيات وسمع من الشيخ ابي العباس احمد بن تامتيت اللواتي وأجاز له ومن عبد العظيم المنذري والرشيد العطار ومن ابن الجميزي الاجزاء المعروفة بالفوائد المدنية وهي من تخريج ابن مسدي⁵.

191- نجم الدين ابن عبد الحميد

محمد بن عبد الحميد، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المحدث، ولكن اسمه كان يرد عرضا بصدد ذكر بعض الروايات فحسب.

¹: الرحلة 114/3

²: الرحلة 96/3

³: الرحلة 93/3

⁴: الرحلة 67/3

⁵: الرحلة 21/3 ودره الحجال 15/2 ت 453.

كان نجم الدين هذا أحد مصادره في بعض معارف الرحلة، إذ لما زار ابن رشيد شيخه ابن اللخمي لقيه برفقة صاحبه ابن عاصم الرندي ورفيقه ابن عبد الحميد¹. وكذا الشأن في ضبط اسم الشيخ أبي الكوم الشعبي، فإن ابن رشيد أخذ تحقيقه عن ابن الحميد². ومعنى هذا أنه أن كان يستفيد منه في الرواية والضبط ويحضر معه حلقات العلماء.

192- ابن سامة الطائي (662- 708)

شمس الدين محمد بن عبد الرحمان بن سامة (بالسين المهملة) بن كوكب الطائي السراذي الحنبلي الحكمي، كان فصيحاً متعبداً كيساً جيد المعرفة حافظاً زاهداً ضابطاً متقناً.

كان ابن رشيد يصفه صاحبنا³، وقد جاء ذلك في معرض ذكر بعض الأخبار التي كان يفيده بها أو ينقلها عنه، وهو أحد مصادر معارفه في الرحلة كذلك.

رحل ابن سامة إلى مصر سنة 683 هـ وسمع بها على عز الدين عبد العزيز الحراني وابن خطيب المزة وغيرهما، وأخذ بالاسكندرية على ابن طرхан وجماعة، وبيغداد من ابن الطبال، وأخذ عن شيوخ اصبهان والبصرة وحلب وواسط وكان ابن سامة مشهوراً بالحديث بالديار المصرية⁴.

وقد استفاد ابن رشيد كثيراً منه بسبب حسن اطلاعه وطول رحلته في الاقطار.

193- ابن الخيمي (602- 685)

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد اليماني الانصاري، ويشهر بابن الخيمي. وهو الاديب البارع والإمام العالم الصوفي الفاضل المعمر الحسن السميت والصمت، وصدر أدباء المصريين في عصره⁵.

لقيه ابن رشيد بمصر القاهرة بإيوان مشهد الحسين وسمع عليه ما يتصل بالأدب والحديث وأجاز له اجازة عامة ثم أجاز لبنيه كذلك.

¹: الرحلة 70/5.

²: الرحلة 85/5.

³: الرحلة 44/3، 37، 100.

⁴: وانظر بعض أخبار ابن سامة في ذيل العبر 97. 43/17 وذيل طبقات الحنابلة 472/2 ومروءة الجنان 4/وفيات 708

⁵: الرحلة 87/3.

ولما كان لابن الخيمي أشعار عذبة المطالع حلوة المقاطع، فقد سمع ابن رشيد منه اشعاره وأخبارا أدبية، ومن ذلك بائنته المشهورة التي أولها: (البسيط)

يا مطلباً ليس لي في غيره ارب * * إليك آل التقصي وانتهى الطلب
ومنها هذا البيت الذي سار مثلاً في افواه المصريين:

يا بارقا بأعلى الرقمتين بدا * * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وهي القصيدة التي وقعت فيها محاكمة طريفة بين ابن الخيمي والنجم الاسرائيلي وكان القاضي فيها الشاعر ابن الفارض، وقد أوردها ابن رشيد مع شيء من النقد والتحليل، وذكر مسائل بلاغية كالتحليل في التخيل والوصف المشترك والتكذيب والتخلص من إقامة الحجة وغير ذلك¹.

وقد سمع ابن رشيد عليه جميع ثلاثيات الإمام البخاري وذلك بقراءة صاحبه ابي عبد الله ابن سامة الطائي.

سمع ابن الخيمي جامع الترمذي على ابي الحسن بن البناء، وسمع منه الحديث الثلاثي، وليس في الجامع حديث ثلاثي غيره. وأجاز له منصور الفراوي جميع رواياته².

194- الشريف الكركي (....- 688 هـ)

شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن موسى بن عبد العزيز بن محمد... ويرفع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعرف بالشريف الكركي، ولد بفاس ونشأ بها ثم رحل الى المشرق.

لقيه ابن رشيد بالمدرسة الطيبريسية مع صاحبه ابن الحكيم وجرت بينهما مباحثة في مسألة تحقيق الكسب³، وسمع عليه من تأليفه شرح المرشدة المسمى باللمحة المشردة في شرح المرشدة وذلك في آواخر سنة 685 هـ ثم أجاز له ولأولاده في استدعاءين. ومما رواه عنه حديث النهي عن ثمن الكلب وحديث لا تتبعوا الذهب بالذهب.

¹: انظر القصيدة في فوات الوعيات 413/3 والنجوم الزاهرة 339/7 والكشكول لبهاء الدين العاملي 109/2 والأدبيات في دراسة الرحلة.

²: وانظر عنه شذرات الذهب 393/5 وحسن المحاضرة 244/1 وذيل العبر 15 والوافي 50/4 درة الحجال 6/2 وبروكلمان 80/5.

³: الرحلة 68/5.

وللشريف الكركي يسير نظم أودع بعضه في شرح المرشدة¹.

وقد اورد ابن رشيد نص تلك المرشدة واوله:

(بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله عليه وسلم اعلم أرشدنا الله واياك أنه واجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي...).

تفقه الشريف قبل رحلته على ابي محمد صالح بمدينة فاس، وبمصر على عز الدين ابن عبد السلام، وأقام منصرفه من الحجاز بالكرك من أعمال الشام حتى صارت شهرته بمصر بالكركي، وكان يلقي الدروس في العربية واللغة والاصلين وعلم الحساب وغير ذلك.

وروى عن ابي الفضل المرسى صحيح مسلم والموطأ عن المقدسي وكذا اختصار الرعاية للمحاسبي، وجامع الأصول في حديث الرسول لابن الأثير ورسالة التصوف عن المراغي².

195- ابوصادق القرشي

جمال الدين ابو صادق محمد بن ابي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي، وهو الشيخ الحدث والمسند الصدوق³.

لقبه ابن رشيد بمصر بعد ققوله من الحج، وسمع عليه بقراءة صاحبه المحدث ابي عبد الله ابن عاصم الرندي.

ومما روى عنه: جميع الاربعين من تخريج ابي صادق لنفسه. ومما نبه عليه ابن رشيد استعمال ابي صادق في احاديث رواياته النوع المسمى من التدليس بتدليس التحميل، وقد أكثر منه المتأخرون، وكان الخطيب البغدادي يكثر منه⁴. وقرأ عليه شيئاً من الحديث⁵.

¹: انظر شرح مرشدة محمد بن تومرت لأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني الاشبيلي. دراسة وتحقيق الأستاذ يوسف احنايا. دار الغرب الإسلامي ط. 1. 1993.

²: وانظر عنه طبقات المالكية عدد 487 وجامع القرويين 481/2.

³: الرحلة 63/5.

⁴: الكفاية 355-358 ودراسة الحديث.

⁵: وانظر عن القرشي شذرات الذهب 399/5 والاستدعاء 5 ومن لقيهم بالقاهرة.

196- شرف الدين اليونيني (621-701هـ)

ابو الحسين محمد بن عبد الملك بن عمر اليونيني الازورني وهو الإمام العالم والمحدث الحافظ، والعارف بقوانين الرواية، حسن الدراية جيد المشاركة في الالفاظ والرجال¹، وكان جليلا حسن الوجه بهي المنظر حسن السميت، عليه سكينه وله قبول من الناس².

اتصل به ابن رشيد، ولا شك في أنه روى عنه الحديث فيما يظهر. وكان أحد مصادره في إفادة النصيح³.

سمع اليونيني من ابي عمرو بن السلاح وعبد العظيم المنذري وابن الجميزي والرشيد العطار وابن الزبيدي، وغيرهم.

وسمع منه كثير من الحفاظ والائمة، وأكثر عنه البرزالي والذهبي وكانت له رحلة قرأ فيها على ابن مالك تصحيحا، وقرأ عليه ابن مالك تصحيحا ورواية⁴.

خ: ذكر من لقيه بحرم الخليل

197- ابو الحسن البديع

نور الدين ابو الحسن البديع.

لقيه ابن رشيد بحرم الخليل وسمع عليه قصيدة الشاطبي وبهذا يتحصل لنا أنه كان شيخه في القراءة وما يتصل بها⁵.

وقد أجاز له ابن رشيد في الاستدعاء وكتب ذلك يوسف بن داود ابن عيسى بن أبي بكر بن محمد بن أيوب الحنفي.

سمع البديع على ابي الحسن العباسي الضير قصيدة الشاطبية.

¹: طبقات السيوطي 516 ت 1143.

²: شذرات الذهب 6/3-4.

³: إفادة النصيح 24.

⁴: وانظر عنه دعوة الحق ع17 س17 1975 صحيح البخاري في الدراسات المغربية ب محمد المنوني ص: 76.

⁵: الاستدعاء 9.

198- ابو اسحاق اللوري (614- 687)

زكي الدين ابو اسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرعيني اللوري (بالراء المهملة) أصله من أعمال اشبيلية، والمقيم بدمشق.

وهو صدر الفضلاء ورأس الصلحاء، وشيخ المدرسة الظاهرية بدمشق وصفه ابن رشيد بشيخنا المحدث الاديب الصوفي الفاضل¹ والصالح الورع لقيه بدمشق وقرأ عليه وأجاز له في الاستدعاء. ومما أورد له من الفوائد ما قرأه عليه في حديث ذكر فيه اسم ابي الحسن بن رزقوية: فالنحويين يقولون رزقويه كسيبويه (يسكون الياء وفتح ما قبلها)، والمحدثون يقولون رزقويه (بفتح الياء وسكون ما قبلها) وهم يكرهون (ويه)

ثم عقب على ذلك ابن رشيد بقوله:

انما عرب ذلك النحاة حيث كرهوا تغيير الاسم العلم بادغامه وبقائه المحدثون على حاله من العجمة مع أن له نظيرا في الاعلام العربية مثل قولهم (حيوة) وهو الاسم العلم².

ومن الفوائد أيضا ذكر لباس اللوري خرقة الصوفية من عم ابي بكر القسطلاني المشهور الذي دخل إلى بلاد الاندلس واسمع بها الحديث. ومن ذلك لقاء ابي يعقوب الجذامي ابا اسحاق اللوري في مراکش³.

سمع اللوري من ابن رواج وابن الجميزي وطبقتهما⁴.

199- ابوبكر المقدسي: المحتال (626- 718)

ابو بكر بن احمد بن عبد الدائم بن نعمة بن احمد المقدسي ويلقب بالمحتال. كان ذا همة وجلالة وفهم، وله عبادة وأحكام، وصار مسند دهره كأبيه¹.

¹: الرحلة 12/2 وإفادة النصيح 30 وانظر عنه أيضا الاستدعاء 11 والرحلة 45/2، 107/3.

²: إفادة النصيح 30.

³: الرحلة 45/2.

⁴: وانظر عن اللوري: الدراسات في تاريخ المدارس، المدرسة 62، 19/1 والنجوم الزاهرة وفيات 687 والاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ 153 وشذرات الذهب 420/5 ودرة الحجال 169/1 ت 265 ومراة الجنان 4/وفيات 687 واعلام المغرب العربي 106/1 ت 109.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال² ولكن دون تفصيل القول فيه، ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه علوم الحديث وما يتصل به، وكان ذلك سنة 684 هـ.

سمع المحتال كتاب الصحيح كله من ابن الزبيدي وسمع كذلك من ابن اللتي والناصح ابن الحنبلي وسالم بن صصرى، وأجاز له ابن روزبة.³

200- ابن الزبير المصري الكاتب 602-.....)

ابو بكر (ابو البدر) بن عبد الله بن ابي الزبير المصري الكاتب، اسمه لقبه. وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال⁴ ولكن لم يفصل القول فيه، ويرجح أن يكون أخذ عنه ما يتصل بالمسائل الحديثية، وكتب له خطه سنة 684 هـ. سمع ابن الزبير من عبد حميد وابن اللتي.

201- نجم الدين بن صصرى (655- 723)

ابوالعباس احمد بن المعدل عماد الدين محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن احمد بن محمد ابن مصري الثعلبي الربيعي الشافعي قاضي القضاة بالشام كان له يد في الانشاء والعبارة، وكان مدرسا بالعدالية والامينية والغزالية وذلك في سنوات 682 هـ- 690- 694 على التوالي وولي قضاء الشام سنة 702 هـ وغير ذلك⁵.

ولابن صصرى نظم ونثر ومشاركة في الفنون⁶.

سمع نجم الدين الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضي شمس الدين ابن خلكان، وتفقه بتاج الدين الفزاري، وعلى أخيه شرف الدين في النحو.

¹: الدرر 438/1 ت 1158.

²: درة الحجال 221/1 ت 320.

³: وانظر عن المحتال: الشذرات 48/6 وفيات 718 وذيل ابن رجب 278/2.

⁴: درة الحجال 225/1 ت 329.

⁵: الدارس في تاريخ المدارس 132/1.

⁶: قوات الوفيات 125/1.

وبهذا يحتمل أن يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث والفقه وغير ذلك من اللغة والأدب لأنه كان مشاركا¹.

202- شهاب الدين المقدسي (628- 697)

ابو العباس احمد بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي . كان متفقا في المذهب وبارعا في معرفة تعبير الرؤيا وانفرد بذلك بحيث لم يشارك فيه، ولم يدرك شأوه، وكان الناس يتحIRON منه إذا عبر الرؤيا بما يجخر الرائي بأمر جرت له، وربما أخبره باسمه وبلده ومنزله، ولو كان من بلد ناء، وله في ذلك حكايات كثيرة غريبة مشهورة وهي من أعجب العجب، وكان أيضا مدرسا في دار الحديث النورية والشامية والبرانية والغزالية².

ومما يتعلق بالرؤيا وتعبيرها فإن ابن رشيد لما قدم على تونس من الوجهة الكريمة جلب من الديار المصرية كتاب المختصر الوجيز من تأليف المقدسي هذا وكان قد دفعه له بئغر الاسكندرية وانتسخ له من عنده، وأذن له في حمله ولكن ذلك لم يتم بسبب إعجال السفر³.

سمع المقدسي على عمه تقي الدين بنابلس وابن الجميزي وأبي رواح وسبط السلفي، وسمع على عمه يوسف، وأجاز له ابن مندة والسهوردي وابن روضة، وسمع منه الكثير كابن خطيب المزة والبرزالي والذهبي وابن القيم⁴.

203- ابو العباس ابن فرح اللخمي (604- 699)

شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بن احمد بن محمد اللخمي الاشيلي نزيل دمشق. كان إماما ومحدثا بارعا⁵، اقبل على تجويد المتون وفهمها ، فتقدم في ذلك.

¹: وانظر عن ابن صمري شذرات الذهب 59/6 وذيل العبر: 128/17 والدرر 263/1 ودول الإسلام 175/2 والنجوم الزاهرة 253/9 والبدر الطالع 106/1 ت 64 وتذكرة الحفاظ 1441/4 ومراة الجنان 4/وفيات 723.

²: الدراس في تاريخ المدارس 132/1.

³: الرحلة 36/7 وهدية العارفين 102/1 وانظر مدح الكتب.

⁴: وانظر عن المقدسي درة الحجال 32/1 - 34 (ترجمة مكررة) وفوات الوفيات 87/1 - 88 والوافي 48/7 وذيل ابن رجب 336/2 عدد 444 وشذرات 437/5 والبداية والنهاية 697/13 وفهرست الوادي آشي 24. وكتاب المقدسي مطبوع ومتداول.

⁵: نفسه 29.

وكانت له حلقة اقراء في جامع دمشق، يقرئ فيها فنون الحديث، وكان هذا الشيخ سكيئة ووقارا وديانة واستحضارا¹.

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب درة الحجال. ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتصل به².

أخذ ابن فرح عن ابي حفص الكرمانى والتنوخى والحشوعى وعز الدين بن عبد السلام، وسمع مسند ابن حنبل على شرف الدين عبد العزيز الانصارى.

ولابن فرح مؤلفات منها منظومة في أصول الحديث (من عيون التواريخ) أولها:

غرامى صحيح والرجا فيك معضل* * وحزنى ودمعى مطلق ومسلسل

وفيها ذكر لمصطلحات الحديث³.

وله غير ذلك⁴.

204- شرف الدين ابن عساكر (614- 699)

ابو العباس، وابو الفضل، احمد بن هبة الله بن احمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وهو حفيد أبي القاسم بن عساكر مؤرخ الشام المشهور صاحب التاريخ.

وهو احد مشايخ دمشق ومسنديها⁵. الذين رووا الكثير، وهو أيضا ممن تفرد باشياء⁶.

ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث وبعض الأخبار وأسماء الرجال وغير ذلك. وقد وردت إشارة أخذه عنه في بعض الكتب التي ترجمت له⁷.

¹: ط. الشافعية الكبرى 26/8 ت 1052.

²: درة الحجال 36/1.

³: نفح الطيب 283/3.

⁴: وانظر عنه هدية العارفين 102/1 والوادي آشي 29 وتذكرة الحفاظ 1486/4.

⁵: دول الإسلام 159/2.

⁶: شذرات الذهب 445/5.

⁷: نيل الابتهاج 283.

سمع ابن عساكر علي ابي محمد القزويني، وابي الحسن بن الأثير، وسمع البخاري على ابن الزبيدي، وسمع ابا القاسم بن صصرى والسلار وأجازه المؤيد الطوسي والسمعاني وابن اللتي¹.

205- ابن الفراء المرداوي (610- 700)

عز الدين ابو الفداء اسماعيل بن عبد الرحمان بن عمرو بن موسى بن حميرة، ويعرف بابن القراء المرداوي الصالحى الاصل الحنبلي وهو الشيخ الصالح العدل² المسند³ الكبير⁴.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال⁵ ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث، وربما أخذ عنه أيضا بعض مؤلفاته.

سمع المرداوي الكثير من مرفق الذين بن قدامة، والحسين الزبيدي، ومن مسموعاته عليه صحيح البخاري. وسمع كذلك على ابن ابي لقمة والقزويني وابن راجح وغيرهم.

206- كمال الدين الحنفي

ابو الخير تمام بن محمد بن اسماعيل الحنفي. وهو المحدث الراوية⁶.

روى عنه ابن رشيد واجاز له سنة 684 هـ. وقد وردت إشارة ذلك في درة الحجال.

207- نجم الدين الوزان

ابوبكر ثابت بن علي بن عبد القوي العسقلاني بن قاسم الوزان. لم يبين لنا ابن القاضي جوانب ثقافته هذا الرجل ويغلب على الظن أن يكون متفقه في الحديث.

¹: وانظر عن ابن عساكر: درة الحجال 44/1 ص: 44 وفهرست الوادي آشي 26 وتذكرة الحفاظ 1487/4.

²: الوادي آشي 32.

³: دول الإسلام 160/2.

⁴: الشذرات 455/5 وفيات 700.

⁵: درة الحجال 213/1 ت 303 وذيل ابن رجب 90/2.

⁶: درة الحجال 230/1 ت 352.

وقد أجاز لابن رشيد يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ¹.

208- ابو عبد الله الشهرزوري

ابو عبد الله حسين بن داود بن حسن الشهرزوري. وردت ترجمته مقتضبة في درة الحجال كذلك، وبهذا لا نعرف جوانب شخصيته بالتحديد.

لقيه ابن رشيد سنة 684 هـ، وأجاز له، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث².

209- زينب الصالحية

ام احمد زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن احمد المقدسية، وهي الشیخة العذراء الصالحة المسندة³ وكانت دينة خيرة روت الكثير وتزاحم عليها الطبية، وكانت لطيفة الأخلاق طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، قاعة متعقفة كريمة النفس⁴.

أخذ عنها ابن رشيد بمنزلها بسفح جبل قاسيون وأجازت له سنة 684 هـ.

سمعت زينب على ابي جعفر بن طبرزد الفوائد الغيلانيات وأجازها علماء من بغداد وماردين وحلب والاسكندرية والقاهرة والشام وسمعت إبراهيم بن خليل وخطيب مردا وأحمد بن عبد الدائم.

وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعته بالإجازة⁵.

210- زينب البغدادي

زينب بنت محمد بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وهي الشیخة الصالحة الزاهدة المسندة الرحلة.

جاءت إشارة أخذ ابن رشيد عنها واجازتها له في كتاب درة الحجال¹، ويحتمل ان يكون أخذ عنها الحديث وما يتصل به².

¹: درة الحجال 232/1 ت 344.

²: نفسه 243/1.

³: نفسه 278/1 ت 432 وشذرات الذهب 126/6 وفيات 740 (أم عبد الله زينب).

⁴: الدرر 117/2 ت 1743.

⁵: وانظر عنا أيضا كتاب جامع القرويين 484/2.

211- زينب الحراني (594- 688)

أم حمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني (بنت الكمال) الشبيخة المعمرة العابدة، وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنها في درة المجال كذلك³، ويحتمل ان يكون أخذ عنها الحديث وذلك سنة 684 هـ.

سمعت أم أحمد من حنبل وابن طبرزد وطائفة
وكان الطلبة يزدهمون عليها⁴.

212- تقي الدين ابن حمزة المقدسي (628- 715)

ابو احمد وابو الفضل سليمان بن حمزة بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالح الحنبلي. وهو الإمام المفتي⁵ مسند الشام قاضي القضاة البارع في المذهب⁶، وكان تقي الدين هذا شيخا جليلا بهي المنظر وضيء الشبهة حسن الشكل مواظبا على حضور الجماعات وعلى قيام الليل والصيام، له أوراد وعبادة، وكان عارفا بالفقه مطلعا على كتاب المقنع خصوصا، قرأه وأقرأه مرات كثيرة، وكانت له حلقات بالجامع المظفري، وكان يذكر الدرس ذكر حسنا متقنا ويحفظه من ثلاث مرات أو نحوها. وكان قوي النفس لين الجانب متوددا الى الناس حريصا على قضاء الحوائج⁷.

حدث المقدسي بثلاثيات البخاري سنة 656 هـ وبجميع الصحيح سنة 660 هـ وولي القضاء سنة 695 هـ وحضر المقدسي على ابن الزبيدي والفخر الاربلي وغيرهما. وسمع ابن اللثي وكريمة القرشية وابن الجميزي وابن قميره.

¹: الدرة 278/1 ت 433.

²: وانظر جامع القرويين 484/2.

³: الدرة 278/1 ت 434.

⁴: الشذرات 404/5 وفيات 688 والنجوم الزاهرة 7/ وفيات 688 ومراة الجنان 4/ وفيات 688 وجامع القرويين 484/2.

⁵: الدرة 308/3 ت 1397.

⁶: الشذرات 35/6 وفيات 715 والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب 364/2 ت 475.

⁷: الدرر 146/2 ت 1837.

وأجاز له من البغداديين: السهروردي والقليعي وابن روزبة ومن المصريين ابن العماد وابن باقا. ومن الاصبهانيين المديني والحجندی وابن مندة، ولازم شمس الدين بن عمر، وأخذ عنه الفقه والقراءة وسمع منه الابيوردي، وذكره في معجمه، وروى عنه خلق¹. وبهذا يرجح ان يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث والفقه والفرائض وذلك بصاحلية دمشق سنة 684 هـ.

213- عفيف الدين التلمساني (610- 690)

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي الاصل ويعرف بالتلمساني، وهو الأديب الشاعر²، وشعره في الذروة العليا من حيث البلاغة³، وكان يدعى العرفان ويتكلم على اصطلاح القوم، وقال عنه اليونيني أنه رأى جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة وخدم في عدة جهات⁴، وقيل أنه كان يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وافعاله.

أخذ عن ابن رشيد بدمشق وأجاز له سنة 684 هـ، ومما أنشده بسوق الكتبيين لنفسه على طريق الصوفية (الطويل)

حياك يهواه المحيا اماترى * * حشا الكأس فيه جمرة تتوقد

وغير ذلك⁵.

ولو كان بين ايدينا الجزء الرابع من الرحلة لافادنا كثيرا في تحقيق ما رمي به هذا الشاعر من الزندقة او النصيرية او غير ذلك، ثم أن هذا الشعر الذي رواه عنه ابن رشيد ليدلنا على اثر ابن عربي في المشرق، ويدلنا كذلك على جوانب أخرى من المذاهب ونشاطها في الشام وما رواءها.

ولعفيف الدين مصنفات في الأدب والتصوف¹.

¹: وانظر عن المقدسي البداية والنهاية 75/1 والدارس 52/1 و35/2-37 ودول الإسلام 171/2 والنجوم الزاهرة 9/231 والبدر الطالع 267/1 وتالي كتاب وفيات الاعيان 89 ت 131 وذيل دول الإسلام 171 وذيل العبر 85/17.

²: الشذرات 412/5 (أحد زنادقة الصوفية).

³: الفوات 76/2.

⁴: نفسه 72/2 ت 179.

⁵: بلاغة شعره لامن حيث الاتحاد الشذرات 412/5. والقصيدة في درة الحجال 307/3 ت 1396.

214- ابو الفرج المقدسي

عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الملك المقدسي² لقيه ابن رشيد بصاحبة دمشق وقرأ عليه الحديث، ومن ذلك (طبقات أمتي خمس) الحديث³ وذلك بصاحبة دمشق سنة 684هـ.

215- تاج الدين الفركاح (624- 690 هـ)

ابو محمد عبد الرحمان بن الشيخ المقرئ برهان الدين ابي إسحاق إبراهيم بن ضياء الفزاري البصري الدمشقي الشافعي الفركاح.

انتهت إليه رئاسة المذهب وهو شاب، وكان من بلغ رتبة الاجتهاد، ومحاسنه كثيرة، وكان لطيف الجثة قصيرا اسمر⁴. درس وناظر وصنف، وكان فقيه الشام شيخ الإسلام⁵. وكانت الفتاوي تأتيه من الاقطار. وقد أعاد في الناصرية، ودرس في المجاهدية، وكان حسن العشرة كثير الصبر قنوعا.

وقد ورد ذكر لقاء ابن رشيد بالفركاح في الجزء الخامس من الرحلة: قال ابن رشيد وفقه الله: وقد كنت لقيت بدمشق عام 684 هـ تاج الدين.... الفركاح، وهو أحد أعلام فقهاء دمشق وعلمائها، لقينته بجامع دمشق الاعظم، فاعلمت به وسلمت عليه، ولم يقض منه سماع ولا إجازة فيما علمت الآن، والسماع رزق، وكان ذلك لما لزمه من المرض بدمشق ما قطعني عن نيل امانني بها إلى أن عجل رحيل الحجاج، والله المحمود والمشكور على كل حال⁶. وبالرغم مما صرح به ابي رشيد من عدم السماع والاجازة منه فإنه من المحتمل أن يكون قد اورد شيئا عن أخباره في الجزء الرابع المفقود، وذلك على عادته في الاستطراد والتقاط الفوائد من هنا وهناك⁷.

¹: وانظر عن عفيف الدين: هدية العارفين 40/1 وتالي كتاب وفيات الاعيان ت 122 ص: 82 وكشف الظنون 266، 802، 1034، 1264، 1828، 1829، 1891، وغيرها. ومراة الجنان 297/4 والنجوم الزاهرة 29/8-30 والبداية والنهاية 326/13 والاعلام للزركلي 193/3 وإيضاح المكنون 232/2 ومعجم المؤلفين 270/4 وابروكلمان 55/5.

²: انظر ترجمة ابن رشيد في اعلام المراكشي 251/8.

³: الرحلة 52/5.

⁴: فوات الوفيات 263/2 ت 247.

⁵: شذرات الذهب 413/5 وفيات 690.

⁶: الرحلة 35/5.

⁷: وانظر أخبار الفركاح في النجوم الزاهرة 217/8 وذيل العبر 32/7 وغاية النهاية 33/1 ودول الإسلام 149/2 وفيات 690 وتالي كتاب وفيات الاعيان ت 182 ص: 118 وطبقات الشافعية 60/5 والزركلي 64/4.

216- فخر الدين البعلبكي (611- 688 هـ)

ابو محمد، وابو بكر عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن نصر الحنبلي البعلبكي، وهو شيخ دار الحديث النورية، كان يفتي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وعبادة وزهادة، وبشتغل بالعلم مع الطلبة، وكان عنده سكون ويقرأ الحديث بفصاحة¹.

لقيه ابن رشيد بدمشق واورده في الاستدعاء²، ويحتمل أن يكون قرأ عليه الحديث والأصول.

قرأ البعلبكي القرآن على خاله صدر الدين عبد الرحيم قاضي بعلبك. وسمع عن أبي المجد القزويني وابن اللثني والناصح ابن الحنبلي. وحفظ كتاب علوم الحديث وعرضه من حفظه على مؤلفه تقي الدين ابي عمرو ابن الصلاح. وقرأ الأصول وشيئا من الخلاف على السيف الآمدي والنحو على ابي عمرو بن الحاجب. وكان اليونيني يحبه ويقربه إليه³.

217- ابوطالب الابهرى

عبد المحسن بن فارس بن خالد بن الشهيد عبد الغفار بن اسماعيل بن أحمد الابهرى.

ورد خبر إجازته لابن رشيد في درة الحجال، ولكن لم يفصل القول في اخباره⁴. ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث والمسائل التي تتعلق بالزهد والتصوف وذلك سنة 684هـ.

218- ابو الحسن القاسيوني

ابو الحسن بن ابي العباس القاسيوني.

وردت إشارة لقاء ابن رشيد إياه في كتابه افادة النصيح وذلك في ترجمته لأبي محمد الحموي¹:

¹: الشذرات 404/5 وفيات 688.

²: الاستدعاء 10.

³: وانظر عن البعلبكي ايضا الدارس في تاريخ المدارس 87/1، 111.

⁴: الدرة 161/3 ت 1125.

(أنبأنا كتبنا- إذلقيته- ابو الحسن القاسيوني عن ابي طاهر ابن ابي اسحق ابن ابي الفضل الجيروني عن ابي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن ابي الوليد سليمان بن خلف أنه قال: ابو محمد الحموي شيخ ثقة).

ولا شك في أنه قرأ عليه الحديث وما يتصل به.

219- الفخر ابن البخاري (595- 690)

فخر الدين ابوالحسن علي بن شمس الدين ابي العباس احمد بن عبد الواحد بن احمد بن عبد الرحمان بن اسماعيل بن منصور السعدس المقدسي المعروف بابن البخاري. وصفه ابن رشيد بالعالم الخطيب² مسند الدنيا والذي تفرد في الدنيا بالرواية العالية، وآخر من كان في الدنيا بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال ثقات³. وكان فقيها زاهدا عابدا مسندا مكثرا وقورا صبوراً على قراءة الحديث مكرماً للطلبة ملازماً لبيته مواظباً على العبادة، وكان من بيت العلم والحديث والرواية، وكان رحلة الدنيا في زمانه إذ الحق الاصاغر بالاكابر والاحفاد بالأجداد وقد حدث نحواً من ستين سنة، وحفظ المقنع وعرضه على مصنفه موفق الدين بن قدامة (ت 616) وكان ابن البخاري فاضلاً كامل العقل متين الديانة ويحفظ كثيراً من النوادر والملح والطرف.

ولا شك في أن ابن رشيد عندما التقى به واخذ عنه الحديث والاسانيد العالية روى عليه مشيخته⁴.

وممن أجاز للبخاري: ابن اللبان والصيدلاني وابن الجوزي وابن رواح وهو آخر من حدث عن ابن طبرزد بالسماع.

وسمع على ابن البخاري عن الاكابر شرف الدين الدين الدمياطي وابن دقيق العيد وسعد الدين الحارثي وسليمان المقسي وكل هؤلاء شيوخ ابن رشيد ومصادره في رحلته، وكذلك حدث عنه ابن سيد الناس اليعمري.

وله تأليف في الحديث وغيره¹.

¹: افادة النصيح 34.

²: نفسه 14- 18.

³: الشذرات 415/5- 416 ودول الإسلام 149/2.

⁴: انظر تراجم ابن رشيد في الاعلام للمرآشي ودرة الحجال والبدر الطالع وغيرها.

220- علم الدين البرزالي (625- 735هـ)

أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الأشيبلي الأصل الدمشقي الشافعي.

وصفه ابن رشيد بصاحبنا². وقد ورد اسمه عرضاً في ذكر ثبت سماع أبي محمد اللقاني صاحب ابن رشيد، وهو الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه المحدث المجد في الطلب، وكان رأساً في صدق اللهجة والأمانة، وصاحب سنة واتباع ولزوم الفرائض خيراً متواضعاً حسن البشر، فصيح القراءة مع عدم اللحن³، وكان مدرساً بدار الحديث النورية⁴.

والبرزالي هو المؤرخ أحد الأربعة الذين لا خامس لهم في هذه الصناعة⁵ وقدمدحه الذهبي فقال: (الكامل)

ان رمت تفتيش الخرائن كلها * * * وظهور اجزاء بدت وعوالي
وتفوق اشياخ الوجود وما رووا * * * طالع أواسم معجم البرزالي⁶
ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث والتاريخ وغير ذلك من المسائل
الفقهية.

سمع البرزالي ممن لا يحصى كثرة تفقه بتاج الدين الفزاري وأكثر عنه وانتفع به
المحدثون من زمانه إلى آخر القرن. وللبرزالي تأليف مفيدة⁷.

221- أبو عبد الله الأرموي (610- 713)

1: انظر عن ابن البخاري. هدية العارفين 714/1 وذيل طبقات الحابلة 327/2 عدد 334 وتاريخ علماء بغداد 135
والبداية والنهاية 13 وفيات 690 وذيل العبر 368/15 والمستطرفة 142.

2: الرحلة 35/5.

3: فوات الوفيات 196/3 ت 396.

4: الدارس (المدرسة 21) 112/1-113.

5: طبقات ابن السبكي 381/10 ت 140/6.

6: البدر الطالع 51/2 ت 372 وطبقات السيوطي ص: 522 ت 1151.

7: انظر عن البرزالي هدية العارفين 830/1 ودرة الحجال 277/3 ت 1337 وفهرست الوادي أشي 72 وتذييل دول
الإسلام 189 وفيات 739 وشذرات الذهب 122/6 وفيات 739 والدرر الكامنة 237/3 ت 609 وذيل تذكرة الحفاظ
353 ومراة الجنان 303/9 وذيل العبر- 209/17 وكشف الظنون 1735 ومعجم المؤلفين 124/8.

محمد بن الحسين الارموي، وصفه ابن رشيد بسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الكبير إمام العصر وفريد الدهر، تاج الدنيا والدين شيخ شيوخ المسلمين أعلم علماء العالمين¹.

وقد ورد ذكره عرضاً في ترجمة شرف الدين الجزائري، وذكر كتاب المحرر للفخر ابن الخطيب وذلك في قوله:

(لقد وجدنا مكتوباً بخط سيدنا... الارموي أمتعنا الله ببقائه ما نصه: نقلت هذه النسخة (المحرر في دقائق النحو للفخر بن الخطيب) وهي نسخة سقيمة جداً، ولعل كاتبها كان نقاشاً أمياً لا يعرف ما ينقشه، ولا حد لتصحيفها وتخريفها، ولو كان ذلك محدوداً محصوراً لأصلحناه، ولكنه لما كان ذلك متجاوزاً الحد تركنا التصحيفات بحالها، فلا ينقل منها إلا مستبصر متحرز كتبه محمد بن الحسين الارموي حامداً الله ومصلياً على محمد وآله).

وبهذا يكون ابن رشيد أخذاً عنه علوماً شتى².

222- ابو عبد الله بن حمدون الحموي

فخر الدين، ومجد الدين ابو عبد الله محمد بن خالد بن حمدون الحموي. جاء خبر أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال³، وورد اسمه في الاستدعاء له، وقد أجازته سنة 684، ولكن صاحب الدرة لم يفصل القول فيه كعادته في تراجم رحلة ابن رشيد.

سمع الحموي من ابن اللّتي وابي بكر محمد بن مسعود بن عزوز البغدادي.

223- شمس الدين المقدسي (607- 688)

محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان المقدسي الحنبلي السعدي الصالحي.

¹: الرحلة 61/6.

²: انظر عن الارموي: الوادي أشي 89 ودرة الحجال 299/2 ت 841 وذيل العبر 17 ت 715 ومعجم المؤلفين 9/244.

³: درة الحجال 23/2 ت 465.

كان هذا الشيخ معتنياً بالحديث، وكان يدرس الفقه بمدرسة عمه الشيخ ضياء الدين، وهو شيخ الحديث أيضاً بها وبنار الحديث- الاشرفية بسفح جبل قاسيون. وكان زاهداً كثير الخير، له قدم راسخة في التقوى، ووقع في النفوس، وحدث نحو أربعين سنة.

اتصل به ابن رشيد بدمشق بالمدرسة الصالحية، وأجاز له وذلك سنة 684 هـ، وقد جاء ذلك في كتاب درة الحجال، وليس بين أيدينا ما رواه عنه، ويحتمل أن يكون فرأى عليه الحديث خاصة وغير ذلك من مسائل الزهد والتصوف. ومن ذلك ما أنشده في بعض أصحابه: (الطويل)

دمشق لنا شوق إليها مبرح * * وإن لج واش أو ألح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها * * عبير وائفاس الرياح شمول

تسلسل فيها مأوها وهو ومطلق * * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد ضمنها بعض مصطلحات الحديث¹.

حضر شمس الدين على ابن الحارستاني والكندي، وسمع ابن ملاعب وابن أبي لقمة والشيخ موفق الدين والقزويني وابن صباح وابن الزبيدي وقيل أنه سمع ببغداد على المهذب وابن مندة².

وقد تم تصنيف الأحكام الذي جمعه الحافظ ضياء الدين وهو أبوه³.

224- أبو الثناء ابن فهد الحلبي

(644- 725)

شهاب الدين ابو الثناء محمود بن سليمان بن فهد بن محمود الحلبي الحنبلي. وهو الإمام العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ⁴ الذي فاق أهل عصره وأربى على كثير ممن

¹: درة الحجال 23/2 ت 466.

²: ذيل ط. الحنابلة 322/2.

³: وانظر عنه الدارس 49/1 والشذرات 405/5.

⁴: فوات الوفيات 82/4 ت 508.

تقدمه في جودة شعره¹، وعلامة الأدب وعلم البلاغيين، وكاتب الدست (السر) المعيد بدمشق الشام، وكتب بخطه الأنيق كثيرة واشتغل بالفقه².

لقيد ابن رشيد ووصفه بالفقيه الإمام العلامة والرئيس القاضي³ ولو توافرت لدينا ترجمته في الجزء الرابع المفقود لاستفدنا - على الأرجح - شعراً غزيراً ونظرات أدبية ونقدية وبلاغية كثيرة، يمكن اضافتها إلى ما رأيناه في ترجمة أبي الحسن حازم القرطاجني وأبي بكر بن حبيش.

وما يدلنا على أن ابن رشيد استفاد من علمه ما أورده ابن الأحمر في كتابه أن أبا الثناء الحلبي هذا أنشده في سنة سبع وثمانين وستمئة⁴ بطريق المدينة: (المتقارب)

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجئناك نظوي إليك القفارا
الآيات⁵

وقد سمع منه ابن رشيد تلك القصيدة وأنشدها في دروسه على تلاميذه - الاندلسيين والمغاربة⁶.

225- ابن عطاء الله الحنفي

بدر الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء الله الأذري الحنفي الصالح، وهو العالم الفاضل، له مشاركة تامة في العلوم.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال ولكن دون تفصيل ذلك، وفيها أنه أخذ ابن رشيد عنه بدمشق وأجاز له جميع ما يرويه عن أسيافه وكتب له خطه سنة 684 هـ⁷.

¹: البدر الطالع 295/2 ت 539.

²: شذرات الذهب 69/6 وفيات 725.

³: نثير الجمان 190.

⁴: اظن أن ذلك وهم، بل سنة 684.

⁵: نفسه 190 وكتاب: أبو الوليد بن الأحمر 137.

⁶: وانظر عن أبي الثناء: الوافي 12/5 والدرر 324/4 ت 886 وذي القعدة 140/17 - 141 والزركلي 48/8 وذي القعدة 275/2 رجب 78/2 وهدية العارفين 407/2 وكتاب حسن التوسل بتحقيق أكرم عثمان وتاريخ النقد لزغلول سلام 275/2 وفهرست مخطوطات خزنة القرويين ص/138.

⁷: الدرة 344/3 ت 1478.

تفقه ابن عطاء على أبيه قاضي القضاة عبد الله الأذري وعلى محمود الحصري¹.

ض - ذكر من لقيهم بالقدس

226- أبو الفرج ابن قدامة المقدسي (655-732 هـ)

عز الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي الحنبلي².

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في بعض المراجع التي ترجمت له كأزهار الرياض وغيره.

كان أبو الفرج فرضيا زاهدا قدوة فقيها عالما متواضعا صالحا على طريقة السلف. وكان عارفا بمذهب أحمد، وله فهم ومعركة تامة بالفرائض. وكان فيه تودد وانطباع وعدم تكلف. حج مرات عديدة، وسمع من ابن عبد الدائم وغيره.

ولما حج مع الشيخ ابن أبي عمر كمل عليه قراءة المقنع بالمدينة المنورة³. وسمع كذلك على الكرمانى وأبي بكر الهروي⁴.

أجاز المقدسي لابن جابر الوادي آشي⁵.

227- أبو الذكاء القرشي (.....-687)

عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي الشافعي⁶.

كان مفتيا ومفسرا وفقهيا فاضلا وخطيبا في المسجد الأقصى لقيه ابن رشيد بالقدس وسمع عليه، وكتب السماع عنه الحافظ ابن بدران.

سمع أبو الذكاء من داود بن ملاعب صحيفة سماع تخريج الإمام الدارقطني وسمع كذلك من أبي عبد الله بن البناء وأجاز له أبو الفتح المندائي وطائفة.

¹: وانظر عنه الفوائد البهية ص: 228 وتذكرة الحفاظ 1481/4.

²: أزهار الرياض 349/2 وشجرة النور 216 (ترجمة ابن رشيد).

³: الشذرات 100/6.

⁴: الدرر 321/2 ت 2274.

⁵: الدرر 109/3 ت 1045.

⁶: الاستدعاء 10.

228- ابو الحسن المقدسي (617- 699)

ابو الحسن علي بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي، قيم جامع الجبل، عذبه التَّار ومات شهيداً¹ وكان المقدسي صالحاً كثير التلاوة².

ويرجح أن يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث وذلك حسب الكتب التي ترجمت له.

سمع ابو الحسن من ابن الزبيدي وابن اللتي وابن الجميزي وبقي مدة قيم جامع قاسيون³.

229- ابن الافتخار المقدسي

ابو الحسن علي بن الافتخار بن إبراهيم المقدسي وقد ذكر ابن القاضي ان ابن رشيد أخذ عنه واجتمع به في بيت المقدس سنة 684 هـ، ولكن لم يبين جوانب شخصيته، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وعلومه⁴.

أخذ المقدسي عن أحمد بن الحسين الفارقي.

ابو الحسن الغرافي السني

تاج الدين ابو الحسن علي بن الإمام المحدث أحمد ابن عبد المحسن بن أحمد ابن محمد المعروف بالغرافي وهو شرف المحدثين. أورد له ابن رشيد ترجمة واسعة في الجزء الثالث من الرحلة⁵ وذلك عندما لقيه بالاسكندرية، ولكن ابن القاضي يشير إلى أنه اجتمع به في بيت المقدس سنة 684 هـ⁶، وقد يكون ذلك وهما، ويظهر ذلك في أن بعض النسخ التي حقق بها كتاب درة الحجال أوردت مكان لقائه فارغا.

¹ الدرة 229/3 ت 1242.

² الشذرات 451/5.

³ تذكرة الحفاظ 1487/4 وانظر تراجم ابن رشيد في ازهار الرياض وسلوة الانفاس ونيل الابتهاج والاعلام للمراكشي وشجرة النور وغيرها.

⁴ درة الحجال 215/3 ت 1225.

⁵ الرحلة 10/3.

⁶ درة الحجال 215/3 ت 1224.

ومهما يكن من أمر فانظر ترجمته فيمن لقيهم بالاسكندرية (الترجمة 128 من هذا القسم).

230- مالك الأوحـد

ايو يعقوب يوسف بن عبد الملك الناصر صلاح الدين بن داود بن الملك المعظم عيسى بن ابي بكر محمد بن أيوب الحنفي لقيه ابن رشيد ببيت المقدس عندما قدمها زائرا، وسمع عليه، وذلك بتاريخ 25 شعبان 684 هـ¹.

وقد أجازـه ابن رشيد في الاستدعاء وكتب عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي جعفر القرشي الزهري الشافعي الخطيب بالقدس الشريف.

سمع مالك على ابن اللتي المائة الشريحية بسماعه من ابي الوقت الهروي بسنده، وكتب إليه مجيزا من بغداد جماعة منهم القطيعي والزبيدي وغيرهما.

ظ: ذكر من لقيهم بنابلس

231- جمال الدين المقدسي (694 هـ)

جمال الدين ابو العباس احمد بن عبد الله الدمشقي.

كان فقيها ذكيا مناظرا بصيرا بالطب، درس وأعاد، وكان فيه لعب ومزاح².

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في الاستدعاء له³، وقد لقيه بنابلس وقرأ عليه بلفظه، ويرجح أن يكون أخذ عنه الحديث والفقه والأصول وما يتصل بالمذهب.

سمع الدمشقي من ابن الصلاح وابن عبد السلام، وأجاز له أبو علي الجواليقي.

232- ابو الحسن الحنبلي

مجد الدين أبو الحسن، وهو أخو شهاب الدين الحنبلي، وكان شيخا صالحا صوفيا⁴. وقد ورد ذكره في الاستدعاء ويرجح أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتعلق

¹: الاستدعاء 10 ودرة الحجال 344/3 ت 1477.

²: ذيل العبر 380/15.

³: الاستدعاء 11.

⁴: الاستدعاء 10.

بالزهد والتصوف، وقد أجازته وكتب محمد ابن محمد بن مسلم بن يوسف بن المسلم القرشي الشافعي.

233- جمال الدين النابلسي

ابو عبد الله النابلسي، قاضي نابلس. لقيه ابن رشيد فيها وقرا عليه بلفظه عام 684 هـ وقد ورد ذلك في الاستدعاء ويحتمل أن يكون أخذ عنه الفقه والحديث. سمع النابلسي عن ابي جعفر الحنبلي¹.

234- عماد الدين النابلسي (657- 711 هـ)

ابو المعالي محمد بن علي النابلسي، الدمشقي العدل المرتضى المسند، كان حسن الديانة.

لقيه ابن رشيد بنابلس وسمع عليه يوم الاثنين 28 شعبان 684 هـ²، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتعلق بالفقه، وقد أجاز له ابن رشيد في الاستدعاء وكتب علي بن عبد الرحمان بن عبد المنعم.

سمع عماد الدين من الشاغوري وكريمة وجماعة حضورا. ومن السخاوي وابن قميرة وسمع على ابن صصرى وموسى بن عبد القادر، وعلى الحسين بن المبارك الزبيدي ثلاثيات البخاري ومسند الإمام الشافعي³. وقد خرج له صاحب العبر معجما كبيرا.

ظ - ذكر من لقيهم بالمدينة المنورة

235- أبو اسحاق الفأسي

ابو اسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى الفأسي (بتسكين الهمزة تسكينا حيا)⁴ المنسوب إلى مدينة فاس، والمقيم بالمدينة المنورة، وكان شيخا صالحا فقيها مالكا فاضلا بارا حسن البشر جميل اللقاء حاضر الذهن كريم الخلق معروف الدين والفضل⁵.

¹: الاستدعاء 11.

²: الاستدعاء 10.

³: الشذرات 74/6 وتذكرة الحفاظ 1495/4.

⁴: ضبطه ابن رشيد كذلك امنا من الاشتراك: الفاسي والفارسي.

⁵: الرحلة 9/5.

التقي به ابن ابن رشيد بمدينة النبي طيبة، وقد أقعده الكبر عن التصرف، فقرأ عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري في 24 ذي القعدة وقرأ عليه حديث (كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب). ومما سمعه ابو اسحاق موطأ الليثي على ابن مسدي¹ وأجاز له، واخبره ابو اسحاق أنه لما جاء لسمع عليه ذلك قال له: لزممتي يمين أن لا أسمعه الا بعشرة دنائير عينا، فقال له: لو جعلت على الناس في سماعه عشرة فلوس لزهدتهم فيه. ولم يكن عنده ما يعطيه فجاء بعض بني الدنيا لسمعه عليه فبعث ابن مسدي إلى ابي اسحاق فسمعه معه.

وقد علق ابن رشيد على هذه القصة بقوله: وهذه جُرْحَة الا ان يتأوّل عليه انه قصد بذلك تنفيق العلم².

ومما سمعه ابو اسحاق ايضا موطأ الليثي على ابي عبد الله محمد بن عمر القسطلاني بسماعه من شرف الدين ابن ابي الفضل المرسي.

236- احمد بن عثمان الشافعي

احمد بن عثمان بن عمر الشافعي المصري.

وصفه ابن رشيد بخطيب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإمامه، والشيخ الخطيب والأديب اللغوي ذي الخط الجيد³.

وقد لقيه بالمدينة شرفها الله تعالى في 25 ذي القعدة 684 هـ وقرأ عليه ثلاثيات الإمام البخاري وأجاز له ولنيه، وكتب خطه بذلك. ومما قرأ عليه حديثين وهما: كان جدار المسجد عند المنبر وحديث: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.

قرأ الشافعي على شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي والمكي بن إبراهيم.

¹: هو محمد بن يوسف بن موسى الأزدي المهبلي الاندلسي الغرناطي، ارتحل إلى حلب ودمشق ومصر وتونس وتلمسان، وله معجم توفي سنة 663. تذكرة الحفاظ 1448/4 وطبقات الحفاظ 504 ت 1118.

²: انظر هذه القصة أيضا في كتاب ذكريات مشاهير. ذ. كنون (ابن رشيد ص: 38).

³: الرحلة 14/5.

237- ابو القاسم بن الزجاج

ابو القاسم عبد الحميد بن احمد بن محمد بن الزجاج البغدادي، وهو الشيخ
الفاضل الجليل¹.

(انظر الترجمة التالية لابن أخيه عفيف الدين ابي محمد عبد الرحيم)

238- عفيف الدين ابن الزجاج (612- 685)

ابو محمد عبد الرحيم بن محمد بن احمد بن الزجاج البغدادي.

وكان شيخا فاضلا وإماما عالما ومفتيا للمسلمين، وبقية السلف²، وفقهيا
حنبليا زاهدا وسنيا أثريا عارفا بمذهب أحمد³.

لقي ابن رشيد ابا محمد بن الزجاج وابن أخيه ابا القاسم عبد الحميد بن احمد
ابن محمد وذلك بمدينة طيبة زادها الله طيبا بعد أن لقيهما للمرة الاولى بوادي الازرق،
ثم تبوك. ومما فرئ عليهما وهو يسمع عند علامة الجدار الجوفي الاصلي قبل الزيادة من
مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، قصيد ابي عبد الرحمان الشحامى الذي
أوله: (الكامل)

لاصلين عل النبي محمد * * أبدا كما يرضي وآل محمد

خير الصحابة في الورى أصحابه * * واعز بيت اهل بيت محمد

الآيات....

وكان ذلك في عشي يوم الاثنين 24 ذي القعدة 684 هـ. وفي مجلس مبارك كريم
لورود ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا في ذلك القصيد. وذلك يذكر ابن رشيد بما
قاله في إحدى قصائده الحجازيات:

اعد حديث احبابي علي فما * * يمل سمعي منه بالاعادات⁴

¹: الرحلة 6/5.

²: الرحلة 6/5.

³: شذرات الذهب 391/5.

⁴: انظر شعر ابن رشيد قبل.

ومما قرا عليهما ايضا جزء أبي العالي وثلاثيات البخاري وبعض الاحاديث.

كان الزجاجيان يرويان عن ابن روزبة وابي الحسن القطيعي وسمع عفيف الدين من ابي الفتح بن عبد السلام وابي محمد العبرتي وروى مسند الدارمي على ابن اللتي وابي نصر الجيلي، واجاز له من دمشق أبو القاسم الحرستاني ومن حلب عبد اللطيف الهاشمي وابو البقاء العكبري¹.

239- عفيف الدين البصري

ابو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن احمد بن عزاز البصري الحنبلي جار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام والمحدث الفاضل الثقة الفرضي والنحوي² لقيه بالمدينة المنورة وأجاز له ولاولاده، ولن ذكر معه في الاستدعاء وكتب خطه بذلك، وسمع عليه الخبر الأول من حديث ابن شاذان في 26 ذي القعدة 684 هـ عند الجدار الجوفي من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسمع عليه بعض الأحاديث.

روى عفيف الدين عن جماعة يحيى بن ابي السعود بن ابي القاسم المؤتني³. وسمع من ابي الحسن المبارك بن محمد بن مزيد بن هلال الخواص، ومن فضل الله الجيلي، وسمع منه ابو الحسن بن جابر بن علي والقاسم البرزالي والكاظمي ببغداد وابو بكر عبد الله الصنهاجي⁴.

240- ابو الحسن التجاني

علي بن إبراهيم بن محمد التجاني.

وهو أحد صدور طلبة تونس ومقرئها ومبرزها في العربية والأدب، والناظم الناصر الحافل⁵، ويبلغ من سرعة النظم وسهولته مبلغا لم ينته أحد من أهل زمانه إليه مع

¹: انظر بعض أخبار عفيف الدين في تاريخ علماء بغداد 84 وذيل العبر 15/وفيات 685(عبد الرحيم) والنجوم الزاهرة 361/7 والرسالة المستطرفة 161 وقد أوردت بعض المصادر اسمه(عبد الرحمان).

²: الرحلة 9/5.

³: الواد أشي 96.

⁴: انظر بعض أخبار البصري في: تاريخ علماء بغداد 93 وشذرات الذهب 435/5 وذيل العبر 334/2- 441.

⁵: الرحلة 56/5 و79/5.

ما جبل عليه من حسن الخلق، حتى يقال أنه لا يظهر عليه أثر الغضب لولا أنه يعرف ذلك حمرة تعتريه في وجنته.

وكان قد قدم مكة قبل قدوم ابن رشيد إليها، لقيه وتجدد اللقاء، لما قرأ ابن رشيد مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة، والتي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم- هذين البيتين المكتوبين ببياض في سواد: (الطويل).

سعدتم به يا زائرين ضريحه * * * امنتم به يوم المعاد من الرجس

سلمتم وأصبحتم بأكتاف طيبة * * * فطوبى لمن يضحى بطيبة أو يمسي

سال صاحبه ابا الحسن أن يزيد عليهما فقال مرتجلاً: (الطويل)

ققوا سلموا هذا ضريح محمد * * * أما تبصرون اسنى من الشمس

فصلوا عليه واسألوا وتوسلوا * * * إلى الله بالمبعوث للجن والانس¹

ولما دخلا الروضة الكريمة سال ابن رشيد التجاني أن ينشد له شيئاً لنفسه في

المعنى فأنشد له وكتب ذلك رفيقهما ابو عبد الله ابن الحكيم: (الطويل)

أقول إذا ما نحن صرنا بطيبة * * * نزلنا بحمد الله بالمنزل الرحب

نزلنا بمغنى اكرم الخلق كلهم * * * قرأنا عليه اليوم مغفرة الذنب

وابو الحسن هذا هو والد ابي الفضل التجاني صاحب ابن رشيد الذي خصه

بترجمة حافلة².

وكان التجاني حافظاً لدرر من الشعر وراوياً لكثير منها³

241- فاطمة البطائحي (625 - 711)

أم الخير وأم محمد فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلبكي.

وصفها ابن رشيد بالشيخة الصالحة الكاتبة¹ وكانت دينة متعبدة مسنده².

¹: انظر رواية ذلك في رحلة العبدري 205.

²: انظر بعض شعره الرقيق في عنوان الاريب 87/2.

³: العبدري 258.

لقيها بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم لما قدمت في ركب الشام زائرة حاجة وذلك بمسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكتب خطها بالإجازة له ولبنيه، ومن تسمى معهم في الإجازة وذلك بمحضر ابنها، وكانت تسدل جلبابها على وجهها حياء وصونا.

قرأ ابن رشيد على الشیخة أم الخير بعض الأحاديث كحديث (لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار).

سمعت البطائحي على الحسين بن مبارك الزبيدي صحيح البخاري وذلك مرات، وسمعت صحيح مسلم علي ابن الحصري شيخ الحنفية، وسمعت من ابن رواحة. وممن أخذ عنها السبكي³.

242- عماد الدين الشقاري (606-699 هـ)

أمير الحاج، ابو نصر، ابو الحجاج يوسف بن ابي نصر بن ابي الفرج بن ابي نصر بن الشقاري.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الجليل الفاضل⁴، وأمام الروضة المشرقة. وقد لقيه بالمدينة المنورة بعد أن قدمها زائرا في ركب الشام وسمع عليه وأجاز له ولبنيه ولمن ذكر معه في الاستدعاء، وكتب خطه بذلك في 24 ذي القعدة 684 هـ. وقرأ عليه جميع ثلاثيات البخاري بسماعه على ابن الزبيدي، وبعض الأحاديث. ومما أخبر به ابو نصر أنه سمع جامع البخاري بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ابي عبد الله الزبيدي كرتين، وأنه سمع عليه جزء ابي الجهم وغير ذلك.

وقد حدث الشقاري بالصحيح مرات وحج مرات وتوفي زمن التتار⁵.

¹: الرحلة 5/5 والدرة 264/3 ت 1315.

²: الشذرات 28/5.

³: انظر بعض أخبارها في ذيول العبر: 60/17 والدرر الكامنة 220/3 ومراة الجنان 4/وفيات 711.

⁴: الرحلة 13/5.

⁵: درة الحجال 348/3 ت 1484 وانظر رحلة التحيبي مستفاد الرحلة 380.

أ.أ. ذكر من لقيهم بمكة المكرمة

243- ابو بكر بن خليل

وصفه ابن رشيد بشيخنا¹.

وقد ورد ذكره عرضا في الرحلة عندما أورد حديث(الملتزم² موضع يستجاب فيه الدعاء) وذلك في ترجمة رضي الدين وعلم الدين العسقلانيين³.

قال ابو بكر بن خليل:(ما دعوت الله فيه بأمر مهم إلا استجاب لي) وقال ابن رشيد أنه دعا الله هناك في أشياء من خير الدنيا والآخرة فعجلت الإجابة في بعضها أثر قدومه، وهو يرجو الإجابة في الباقي بحول الله وفضله.

244- علم الدين العسقلاني

احمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني المكي وهو اخو رضي الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني.

لقيهما ابن رشيد بمكة وذلك يوم 7 ذي الحجة 684 هـ وسمع من علم الدين خير الحجر الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم، واجاز له ولبنيه⁴.

245- محب الدين الطبري

(611 أو 615 - 694)

ابو العباس احمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري ثم المكي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه المحدث والإمام المصنف العالم العابد، وأحد العلماء الفضلاء⁵، وهو شيخ الحرم وحافظ الحجاز بلا مدافعة⁶.

¹: الرحلة 28/5.

²: بكسر الزاي، ما بين الحجر الأسود والباب ويقال له المدعى والمتعوذ سمي كذلك لالتزامه الدعاء والتعوذ. معجم البلدان 190/5.

³: الرحلة 25/5 ترجمة 244 من هذا البحث.

⁴: الرحلة 25/5.

⁵: الرحلة 49/5 مكرر.

⁶: طبقات الشافعية الكبرى 18/8 - 19.

لقيه بالحرم الشريف وطلب منه السماع والإجازة لما ضاق الوقت عن ذلك أجاز له بخطه، باستدعاء رفيقه الوزير ابن الحكيم. وقد أجاز له ما رواه وألفه على العموم. وأجاز لابنه ولجماعة من الأصحاب. وأخيرا ابن الحكيم صاحبه ابن رشيد، عن شيخهما أبي اليمن بن عساكر أنه قال: لم أر المحب في وقت من الأوقات إلا في عمل من صلاة أو طواف أو دعاء أو تعليم علم أو تصنيفه أو نحوها.

ومن مرويات المحب الطبري، وهي لابن رشيد منه إجازة وافاده بها عنه رفيقه ابن الحكيم: الطبقات التي صنفها أبو الفرج ابن الجوزي، وأنشده ابن الحكيم ما قاله الطبري من شعره مخاطبا الكعبة شرفها الله ومن ذلك: (الطويل)

وقائلة هل يحمل النوم مع وصلي * * ومثلك محسود على الوصل من مثلي

وللمحب كتب كثيرة ومفيدة¹.

أبو القاسم بن الزجاج

أبو القاسم عبد الحميد بن أحمد بن محمد بن الزجاج البغدادي.

انظر ترجمته ص: 404 ت 237 من هذا البحث وذلك فيمن لقيهم بالمدينة المنورة.

أبو محمد بن الزجاج

أبو محمد عبد الرحيم (عبد الرحمان) بن محمد بن أحمد بن الزجاج البغدادي.

لقيه ابن رشيد بوادي الازرق ثم تجدد اللقاء في المدينة المنورة، ثم لقيه أيضا في مكة المكرمة مع أخيه أبي القاسم عبد الحميد بن أحمد السالف ذكره، وذلك في 14 ذي الحجة 684 هـ وبصحبة الوزير ابن الحكيم. ومما أخبرهما به أبو محمد: حديث اعتامه صلى الله عليه وسلم بالعمامة السوداء يوم فتح مكة، وحديث دهن رأسه صلى الله عليه وسلم بالطيب وغير ذلك².

¹: وانظر عن المحب هدية العارفين 1091/1 وشذرات الذهب 4/5 و425 والمنهل الصافي 82/1 ت 184 وذيل العبر 382/15 والبداية والنهاية 13/ وفیات 694 والنجوم الزاهرة 74/8 وطبقات السيوطي 510 ت 1131 والدرة 336/2 ت 931 ودول الإسلام 153/2. ومراة الجنان 4/ وفیات 694 والزركلی 153/1 والسنن الابین 78 ومعجم المؤلفین 13/1 و363/298 وبرکلمان 219/6 وکتاب ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی طبع 1947 دار الکتب العراقیة.
²: الرحلة 54/5.

أمين الدين، ابو اليمى، عبد الصمد بن الوهاب بن أبى البركات الحسين بن محمد بن عساكر الدمشقي الشافعي نزيل الحرم الشريف،¹ وهو الإمام الزاهد المجاور بمكة² والمحدث³.

صاحب التوجه والصدق والشاعر المجيد والمدرس بالمدرسة النورية⁴ لقيه ابن رشيد بمكة المكرمة وأجاز له، وقد خصه بترجمة حافلة بأخبار مهمة ومفيدة، وأنشادات حسنة المنازع رائقة المطالع، ولما كان ابو عبد الله بن الحكيم قد لقي هذا الشيخ أيضا وروى عنه كثيرا، فإنه كان مصدرا مهما لمعارف ابن رشيد في ترجمته وأخباره، وهو الذي أنشد عليه جل تلك الإنشادات، ومن خطه كان ينقل ما تناوله من يد الشيخ ابى اليمى⁵، ومن خطه كذلك قرأ ابن رشيد على شيخه ابى اليمى، وكذلك قرأ بخطه ما أنشده صاحبهما أثير الدين أبو حيان الغرناطي ما أنشده جار الله أبو اليمى⁶، ولهذا جاءت تلك الترجمة، التي اشترك فيها ثلاثة رواة مشهورين، مستفيضة زاخرة بكثير من فنون العلم حتى ملأت ما يقرب من خمسين صفحة.

ومما أذن ابن عساكر لابن رشيد في روايته عنه في الجملة كتاب التصحيح المسمى بكتاب التقاسيم والأنواع لابي حاتم بن حبان البستي.

وممن أفاد ابن رشيد بذكر بعض شيوخ ابن عساكر، صاحب ابن رشيد، ابو عبد الله اللقاني.

وله شعر كثير ومنه في وصف كتاب (الطويل).

وجاءت إلينا من لدنك رسالة * * على فترة في آيها الذكر محكم

اخط يراع أم قنا الخط أشرعت * * يراع لها قلب الكمي المصمم⁷

1: الرحلة 29/5.

2: شذرات الذهب 395/5.

3: فوات الوفيات 328/2 ترجمة 282.

4: الدارس في تاريخ المدراس 160/1 مدرسة 21.

5: الرحلة 34/5.

6: الرحلة 48/5.

7: انظر بعض شعره في دراسة الشعر من هذا البحث ونفح الطيب 350/10 وفوات الوفيات 328/2.

ومن شيوخ ابي اليمن: محمد بن الحسين القزويني، وابو الحسن بن هبة الله وجده
وابو الحسن السخاوي وابو عبد الله الحسين الاربلي وأجاز له أبو روح عبد العزيز البزار
الصوفي وابن الصلاح وتقى الدين الصريفني وابو عبد الله الصفار الاستقرائي وابو عبد
الله القسطلاني.

ومن تلاميذه ابو عبد الله ابن الحكيم وابن حيان وابو محمد الطبري وقد سمعوا
منه مقدمة ابن الصلاح وأجازهم فيها وكذا في كتاب شرح السنة لأبي محمد الحسين بن
مسعود.

ولأبي اليمن تصانيف في الحديث وغيره¹.

247- ابو محمد اللقاني

ابو محمد عبد الله بن سليمان اللقاني، وصفه ابن رشيد بصاحبنا ورفيقنا في
الوجهة الكريمة، الفاضل الصالح² وكان اللقاني هذا قد اقام بدمشق مدة طويلة بعد ققوله
من الحج مع ابن رشيد وصحبه، وسمع وقرأ على شيوخ كثير ممن لم يقدر لابن رشيد
السماع عليهم، وقد اطلع صاحبه بثبت أسماعته بدمشق ومنهم تاج الدين الفزاري وتاج
الدين ابو اسحاق الصريفني والحافظ الشريف ابو علي السكري وابو عبد الله الاسقرائي
وغيرهم كثير³.

248- ابو محمد المرجاني (633- 699)

عبد الله بن محمد المرجاني، وصفه ابن رشيد- بالشيخ الزاهد الفاضل⁴ والصالح
الفقيه⁵ والصوفي المشار إليه بافريقية في وقته⁶.

لقبه بخيف منى بعد صلاة العصر وذلك يوم الاثنين 8 ذي الحجة 684 هـ،
وكان المرجاني قد وصل مع الجماعة من تونس، ولما وصلوا جميعا أشار المرجاني بموافقة

¹ : هدية العارفين 574/1 وفوات الوفيات 328/2. وانظر عن ابي اليمن أيضا. تاريخ علماء بغداد 87، 96 وابن فهد
81، 83 والبداية والنهاية 3 وفيات 686 ومراة الجنان 4 وفيات 686.

² : الرحلة 35/5.

³ : انظر التعريف باجزاء الرحلة في هذا البحث.

⁴ : الرحلة 16/5.

⁵ : الرحلة 25/5.

⁶ : 17/2.

الجمهور في التوجه تلك الليلة إلى عرفات والمبيت بها، فكان ذلك الرأي رأياً مباركا ولما اراد ابن رشيد أن يقدم له راحلته وعزم عليه في الركوب ابى إلا أن يسايره إلى عرفات فوضع يده في يده وساروا جميعا إلى عرفات فوافوها عند غروب الشمس، فذهب هو مع صحبه لموضع نزوله، وانفرد ابن رشيد مع صحبه.

قد عرفنا أن ابن رشيد توجه مع أبي محمد الطبري الشريشي الصوفي وكان المرجاني يصغي إليه وهو على قرشة المركب العليا¹.

وكانت بين المرجاني ورضي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر خليل العسقلاني (شيخ ابن رشيد بمكة) - مذكرات فقهية وأصلية، أما العسقلاني فكان شديد المعارضة حر النظر، وله فضل الجدة في المناظرة، وتعرضا لإيراد الشبه بينهما كان أبو محمد المرجاني بعيدا عن طرق المناظرة² ومناقب المرجاني تحتل مجلدا³.

249- أبو علي بن الصواف (690-....)

عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف نزيل الاسكندرية، وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه العالم الزاهد الورع⁴، وقد لقيه في الحرم الشريف مع ثلاثة نفر من صحبه وكان لهم رفيق شديد الدربة حسن المعرفة بالطريق وبتلك الأماكن الشريفة فصحبهم ابن رشيد للاقتداء بهم، وكان الشيخ أبو علي يقول لهم اسلكوا الطريق الوسط يعني التي في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يسلكون نعم الطريق فإذا غلبهم شدة الزحام تعلقوا بالجوانب إلى أن بلغوا مزدلفة بعد مغيب الشفق.

ولما قال ابن رشيد لابن الصواف أنه ليس على وضوء أشار عليه باتباع الحكم الشرعي⁵. ولما كان شديد الظمأ أخرج ابن الصواف زميزميه صغيرة جدا تخفي تحت ابط

¹: انظر ترجمة الشريشي عدد 75 من هذا البحث.

²: الرحلة 25/5.

³: شذرات الذهب 451/5 وفيات 699 وانظر عن المرجاني أيضا طبقات الشعراني 272 وذيل العبر 408/15 وسبك المقال 54 وفهرست الرصاع 91 والفارسية 153 ودول الإسلام 159/2 وشرف الطالب 75 ومراة الجنان 4 687/4 (ترجمة وافيه) وشجرة النور 193 ت 652 وتاريخ المغرب العربي 87.

⁴: الرحلة 19/5.

⁵: انظر دراسة الرحلة (الفقه).

الحامل فشربوا على كثرتهم، وما عاين ابن رشيد بركة ولا كرامة ظاهرة لأحد من شيوخه في سفره إلا تلك، وتكررت تلك الكرامة في عدم الحاجة إلى التيمم¹.

قرأ ابن الصواف ببجاية ثم ارتحل إلى المشرق وكان بارعا في الجواب على الفتيا، فإذا أفتى ترجح قوله على كل قول².

250- رضي الدين العسقلاني

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني المكي، وصفه ابن رشيد بالفاصل العامل العالم الفقيه المفتي³. لقيه وأخاه الصالح المبارك علم الدين أحمد المكي وذلك بمنى وعرفات من الحرم الشريف، وقَدَّمَا لَهُ من الطعام المعد للخروج على عادة أهل مكة في الاحتفال بذلك بحسب استطاعتهم.

وقد تذاكر رضي الدين مع ابن رشيد في مسائل فقهية وأصلية وكان شديد المعارضة⁴. وسمع علي العسقلاني بدارهما في 7 ذي الحجة 684 هـ (حديث الراحمون)، وقرئ على رضي الدين، وابن رشيد يسمع، كتاب الأربعين من رواية المحمدين لابي بكر الانصاري الحياتي وغير ذلك من الأحاديث.

سمع العسقلانيان من ابن عساكر الدمشقي.

ابو عبد الله بن الحكيم

ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم⁵.

التقى ابن رشيد مرة أخرى بابن الحكيم وذلك بمكة بعد أن أخذ عن بعض الشيوخ كابن عساكر الذي روى كثيرا انشاداته لابن رشيد⁶.

¹: انظر الكرامات في دراسة الرحلة، وبمعنى كراماته في عنوان الدراية ص: 180.

²: معجم اعلام الجزائر 124.

³: الرحلة 25/5.

⁴: انظر ترجمة المرجاني عدد 248 من هذا البحث.

⁵: انظر من ترجم لهم برندة.

⁶: انظر ترجمة ابي اليمن بن عساكر فيمن لقيه ابن رشيد بمكة ترجمة 246 ص: 384 من هذا البحث.

رقم الإذاع القانوني : 2003/1708
ردمك : 9981-826-81-2

مطبعة إليت
الهاتف : 037 81 41 45/46/47

رَحْلَةُ أَبْنِ شَيْكٍ السَّبْتِيِّ

أبي عبد الله محمد بن عمر

دراسة وتحليل
الدكتور أحمد حدادي

الجزء الثاني

1424 هـ / 2003 م

مشوراة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

القسم الثالث

من أدبيات رحلة ابن رشيد

وفي ذلك مباحث:

- المبحث الأول : الشعر
- المبحث الثاني : النثر
- المبحث الثالث : البلاغة والنقد
- المبحث الرابع : النحو
- المبحث الخامس : العروض

المبحث الأول: (الشعر)

وفيه: مقدمة

- مقدار ذلك الشعر

- طبيعة هذا الشعر

- موضوعاته.

مقدمة:

إن أبرز سمة للاختيارات الشعرية الواردة في الرحلة هي غزارتها وتنوعها، فهي صورة لثقافة القرن السابع الهجري بخاصة ومصدر للتراث العربي الإسلامي بعامه. فهؤلاء الشعراء الذين جادت قرائحهم بذلك الشعر كان فيهم الأدباء والكتاب واللغويون والمحدثون والفقهاء والمتصوفة وغيرهم ممن كانت له مشاركة في أكثر من فن من فنون العلم والمعرفة، ولهذا جاء ذلك الشعر ممثلاً لمشاربهم وأهوائهم وأذواقهم، ومصوراً لاتجاهات عصرهم والتيارات السائدة فيه، ثم إن هذا الشعر يمثل كثيراً من العصور والأقطار العربية إلى زمن صاحب الرحلة، فإذا أحصينا مثلاً الشعر الوارد بروي الدال: ألفيناه للشعراء التالية أسماؤهم حسب أمصارهم¹:

- فمن الأندلسيين: أبو محمد بن برطله، وأبو عبد الله ابن الجنان، وأبو عبد الله الدراج، وسعيد بن حكم، وأبو المطرف بن عميرة، وأبو العباس المرسى، وأبو الحسن بن عصفور، وأبو العباس بن القصير، وأبو الحسن بن رزين، وأبو العباس التنطيلي، وأبو اسحق الخزرجي، وأبو عبد الله بن البار القضاعي، وأبو عبد الله بن الجلاب، وأبو عبد الله بن الحكيم، وابن حيان الغرناطي، وأبو الحسن القيحاوي، وأبو بكر بن يربوع، وأبو الحسن بن خروف، وأبو العباس بن الغماز، وأبو الحسن حازم القرطاجني، وأبو يعقوب ابن اندراس، ومحمد بن عيشون، وأبو بكر بن محرز، وأبو العباس الجهارني المالقي الجراوي، وأبو عمران الزاهد.

- ومن المغاربة: ابن رشيد وأبو زيد الفاذازي، وضياء الدين عيسى الأنصاري السبتي، ومالك بن المرحل، والقاسم بن الشاط.

- ومن الجزائريين أبو عبد الله ابن أبي تميم الحميري.

¹: في هذا التقسيم شيء من التجاوز، لأن كثيراً من الأندلسيين غادروا الأندلس واستوطنوا المغرب والجزائر وتونس وبلاد المشرق وفي بعض المشاركة من أصلهم من المغرب كالمسلطاني الذي أصله من بلاد الجريد، وفي بعض التونسيين من أصلهم من المغرب الأقصى كأبي بكر بن حبش وأبي الحسن بن رزين الذين أنجبتهما سبتة، وممن استوطن القاهرة وأصله من فاس ضياء الدين السبتي.

- ومن التونسيين أبو القاسم بن زيتون، وأبو بكر بن حبيش وأبو الفضل محمد ابن علي التجاني، وعبد العزيز بن رأس الحجلة، وناصر الدين الحصري، وأبو عبد الله بن مبارك.

- ومن المشاركة: ابن جكين البغدادي، وابن جني، والوأواء الدمشقي، وطرفة بن العبد البكري، وأبو اليمن عبد الصمد بن عساكر، وابن زماخ المهندار، وأبو عبد الله المرزيان الكرمانى، وأبو الطيب المتنبي، وأبو محمد السراج البغدادي وقطب الدين القسطلاني، وأبو تمام، وابن خميس الجوزي، وأبو حامد الغزالي، وابن الرومي، وشهاب الدين محمد بن الحيمي، وأبو حفص عمر بن الفارض، وأبو طاهر السلفي.

مقدار الشعر الوارد في الرحلة

أما ما ورد في أجزاء الرحلة الموجودة من الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات والقصائد فيقرب عددها من ستمائة¹، ومجموع عدد أبياتها يربو على ستمائة وأربعة آلاف بيت وذلك في أغراض مختلفة وهي:

40	بيتا	تقريبا	في	12	موضعا	في الحديث والمحدثين
480	"	"	"	16	"	في المديح النبوي
230	"	"	"	27	"	في الحجازيات والمقام النبوي
300	"	"	"	45	"	في الزهد
100	بيت	تقريبا	في	10	مواضع	في الزهد والاستغفار والتسبيح
175	"	"	"	22	موضعا	في الاكتحال ومأساة الحسين
55	بيتا	"	"	23	"	في الحكمة
320	بيت	"	"	48	"	في الألم والشكوى والفراق
						والحنين والشوق والوداع

¹: إني استعملت هنا كلمة التقريب اعتبارا للقصائد المنفردة من الأجزاء المعروفة، وهي موجودة في المراجع التي كانت تنقل منها وفيها ما يزيد على مائة بيت شعري.

50	بيتا	"	"	12	"	في وصف الدهر وتغير الزمان
30	"	"	"	10	مواضع	في الشيب والشباب
80	"	"	"	15	موضعا	في الرثاء
1100	بيت تقريبا	في	104	موضع		في المدح (مدح الأشخاص والكتب)
48	"	"	"	9	مواضع	في الفخر
150	"	"	"	4	"	في الحرب
13	"	"	"	3	مواضع	في الهجاء والعتاب
80	"	"	"	3	"	في التهئية
360	"	"	"	14	موضعا	في الغزل والنسيب
30	"	"	"	25	"	في الألغاز
170	"	"	"	13	"	في الإجازة في معاني العلوم كالنحو
40	"	"	"	14	"	والحروف والحساب والفقه والمنطق
						والقراءة وغيرها

في وصف: النزهة والرياض والزرع والكتابة ونعم الله والشمس والقوس والسكين والشمعة والمسجد والدولاب ونزول المطر ... والمداعبات والطرف والملح وغير ذلك: أكثر من 700 بيت.

وأما عدد الشعراء الذين نسب إليهم شعرهم فيقرب من خمسين وثلاثمائة شاعر، وهناك ننف ومقطعات كثيرة لم تنسب إلى أصحابها وذلك في أزيد من أربعين ومائة موضع، ومعنى هذا أنه لو حققت تلك الأبيات لأصبح عدد أولئك الشعراء قريبا من خمسمائة شاعر.

ويمكن القول أيضا انه لو توافر لدينا ما فقد من أجزاء الرحلة لاجتمع لدينا أكثر من ستة آلاف بيت في أغراض مختلفة وإعطاء دليل على ذلك نجد أن أبا العباس المقري أفادنا ببعض النصوص التي كان ينقلها مباشرة من الرحلة وضمنها كتبه مثل

كتاب فتح المتعال¹ وأزهار الرياض² ونقح الطيب³، ثم ان ابن القاضي أفادنا كذلك ببعض تلك النصوص والتراجم، مما يدلنا أيضا على أنه كان ينقل منها⁴، ثم ان هناك بعض الشيوخ الذين ورد ذكرهم في كتاب عنوان الدراية وكانوا معاصرين لابن رشيد، وفيهم من تحقق اللقاء بهم وفيهم من يحتمل أن يكون اتصل بهم أو ذكرهم في القسم الأول من الجزء الأول، فأما الذين لقيهم فعلا فهم: مؤلف عنوان الدراية نفسه (توفي 704 هـ)⁵ وأبو محمد بن مخلوف بن كحيلة (ت 686-602 هـ)⁶ وأبو عبد الله بن صالح بن رحيمة الكنداني (ت 699 هـ)⁷ وكان شاعرا مجيدا، وأبو القاسم بن زيتون (ت 691 هـ)⁸، وأبو علي منصور المشدالي (ت 731 هـ)⁹، وأبو جعفر اللبلي¹⁰، وعبد الحميد بن أبي الدنيا الصدي¹¹ وأبو العباس بن الغماز (619-693)¹². وأما الذين يحتمل أن يكون التقى بهم فهم: أبو الحسن ب يحيى الأزدي¹³ (601-991)، وأبو عبد الله الخزرجي الشاطبي (691 هـ)¹⁴، وأبو اسحق الزواوي (686 هـ)¹⁵ وأبو محمد بن عثمان التميمي (720 هـ)¹⁶ وأبو يوسف الزواوي (690 هـ)¹⁷.

وفي رحلة العبدري ذكر لأمثال ابن خميس الحجري الشاعر المشهور وابن خطاب وغيرهم.

-
- ¹: فتح المتعال باب 3.
 - ²: أزهار الرياض 263/3.
 - ³: نقح الطيب 394/2 و 338/3 - 378 و 218/6 و 791/7 و 12/3 31-24.
 - ⁴: درة الحجال 220/1 ترجمة 319 و 3/2 ترجمة 48 و 19/2 ترجمة 460 و 96-93/2 ترجمة 531 و 14-6/2 ترجمة 450.
 - ⁵: الاستدعاء لابن رشيد 1.
 - ⁶: عنوان الدراية 91.
 - ⁷: نفسه 126.
 - ⁸: نفسه 114.
 - ⁹: نفسه 200.
 - ¹⁰: نفسه 308.
 - ¹¹: نفسه 122.
 - ¹²: عنوان الدراية 129.
 - ¹³: نفسه 121.
 - ¹⁴: نفسه 126.
 - ¹⁵: نفسه 182.
 - ¹⁶: نفسه 214.
 - ¹⁷: نفسه 300.

وفي رحلة البلوي كذلك ما يفيد أن الأندلس وشمال إفريقيا كانتا تحتضنان كثيرا من الشعراء الذين طار صيتهم غربا وشرقا.

ومن الإفادات المهمة ما ذكره ابن قنفذ القسطنطيني في كتابه أنس الفقير من أن ابن رشيد ذكر أبا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي¹ وأثنى عليه، معنى هذا أن ابن رشيد كان يجمع المعلومات المهمة عن الحركة الفكرية والثقافية بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى في عصره، ويترجم لكل من اشتهر ذكره في الأدب والحديث والفقه وغير ذلك. ولهذا نقول ان الجزء الأول قد يكون فيه أيضا شعر كثير اسوة بالجزء الثاني والخامس والسادس والسابع كما ذكرنا. وكل هذه الأجزاء تحتوي على ذخيرة مهمة من الشعر الذي يمثل درة يتيممة في تاج مفرق الأدب العربي عامة والمغربي خاصة وإلا فأين شعر أولئك الشعراء الكبار أمثال أبي اسحق التلمساني ومالك بن المرحل وابن الشاط وأبي عبد الله الصنهاجي المعروف بجمعة وأبي القاسم القبتوري وأبي بكر عبيدة وأبي عبد الله الدراج وأبي الحجاج الطرطوشي وابن خميس الرعيني وابن البناء العددي وأبي بكر القللوسي العروضي، وابن الحكيم الرئيس الكاتب الرندي المشهور وابن عاصم الأسدي وأبناء ابن حكم القرشي صاحب ثغر مترقة وغيرهم ممن كان يدور في فلکهم، ونجد بعض ذكرهم في الرحلة أو اختصار القدح العلوي وعنوان الدراية ونفع الطيب وأزهار الرياض وغير ذلك من الكتب.

وانطلاقا من هذا الافتراض يمكن القول ان الجزء الرابع المفقود لو وقع بين أيدينا لقرأنا فيه كذلك كثيرا من الشعر لشعراء شاميين وغيرهم، وقد عرفنا أن بعض الذين لقيهم أمثال ابن رواحة وعفيف الدين التلمساني وأبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الأديب الناقد وغيرهم. قد كانوا شعراء ورواة للشعر وناقدين له، وحتى إذا لم يكن جل الذين لقيهم في الشام شعراء وأدباء، فإنهم كانوا محدثين في الغالب الأغلب، ولكن لا ننسى أنهم كانوا يروون كثيرا من الشعر الديني في المديح النبوي والزهد والتصوف وغير ذلك كما نجد عند العفيف التلمساني، بل انهم كانوا يتذوقون الأدب والشعر الرفيع،

¹: أنس الفقير وعز الحقيير 101، وينبغي أن ننبه على الخطأ الذي وقع في تاريخ وفاة ابن ربيع وهو 675 بدلا من 777 ما ذكره صاحب الأنس وأحسبه، سهواً، وانظر أيضا طبقات المالكية 201 ترجمة 684 وعنوان الدراية 85 وما قاله عنه ابن الأبار في كتاباته الأدبية والصوفية.

ويؤرخون للحركات الفكرية لعصرهم. وفي كتب طبقات الحنابلة وفوات الوفيات والوفيات بالوفيات وذيل العبر والدرر الكامنة والبدر الطالع وغيرها من المعاجم وكتب التاريخ ما يجعلنا نفتنح أنه لو وصل إلينا الجزء الرابع من الرحلة لأتحفنا فيه ابن رشيد بكثير من الشعر الذي جمعه وانتقاه وضمنه ذلك الجزء.

وإذا أردنا إحصاء تقريبا كميا مفصلا لشعر الرحلة ينبغي أن نشير إلى أن فيها أبياتا مفردة وثنفا وقطعا وقصائد قصيرة ومتوسطة وطوالا.

فأما عدد ما ورد فيها من الأبيات المفردة فيقرب من ثمانين بيتا. ومن النثف ما يربو على مائتي نثفة.

وأما القطع ذات الأبيات الثلاثة فيزيد عددها على 120 قطعة

وأما " " " الأربعة فتقرب " من 70 "

وأما " " " الخمسة فيزيد " على 40 "

وأما القطع ذات الأبيات الستة فيقرب عددها من 30 "

وأما القصائد " " السبعة " " 15 قصيدة

وأما " " " الثمانية " " 12 "

وأما " " " التسعة " " 10 قصائد

وأما " " " العشرة " " 5 "

وأما القصائد التي يتراوح مقدار أبياتها ما بين أحد عشر بيتا وعشرين بيتا فيبلغ عددها ستا وثلاثين قصيدة وهي تتوزع كالتالي:

بيتا	11	ذواتا	(قصيدتان)	2
"	12	ذات	قصائد	3
"	13	"	"	7
"	14	"	"	4

"	15	"	"	5
بيتا	16	ذات	قصائد	3
"	17	"	"	5
"	18	"	"	3
"	19	"	قصيدة واحدة	1
"	20	"	قصائد	3

وأما القصائد المتوسطة التي يتراوح مقدار أبياتها ما بين عشرين وتسعة وثلاثين بيتا فيبلغ عددها ثمانية وعشرين قصيدة وهي توزع كالتالي:

بيتا	21	ذات	قصائد	4
"	22	ذواتا	قصيدتان	2
"	24	ذات	قصائد	3
"	25	"	"	3
بيتا	26	ذات	قصائد	3
"	27	"	قصيدة واحدة	1
"	20	"	قصيدة واحدة	1
"	20	ذواتا	قصيدتان	2
"	30	ذات	قصائد	4
"	31	"	قصيدة واحدة	1
"	34	"	قصيدة واحدة	1
"	35	"	قصيدة واحدة	1
"	37	"	قصيدة واحدة	1

1 قصيدة واحدة " 38 "

وأما القصائد الطوال التي تربو أبياتها على أربعين فيبلغ عددها ثلاث عشرة قصيدة توزع كالتالي:

1	قصيدة واحدة	ذات	42	بيتا
2	قصيدتان	ذواتا	46	"
1	قصيدة واحدة	ذات	52	"
1	قصيدة واحدة	ذات	53	بيتا
1	قصيدة واحدة	"	54	"
2	قصيدتان	ذواتا	56	"
1	قصيدة واحدة	ذات	59	"
1	قصيدة واحدة	"	66	"
1	قصيدة واحدة	"	77	"
1	قصيدة واحدة	"	92	"
1	قصيدة واحدة	"	100	بيت
1	قصيدة واحدة	"	177	بيت

ولتكوين فكرة واضحة عن توزيع هذا الشعر في الأجزاء الخمسة الموجودة نجد أن في الجزء الثاني بضعة أبيات مفردة (ست أبيات) وما يزيد على ستين نتفة وما يربو على مائة قطعة وما يقرب من عشرين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وثمانية وسبعين بيتا.

وفي الجزء الثالث بضعة أبيات مفردة (خمسة أبيات) وعشرون نتفة وما يزيد على أربعين قطعة وخمس قصائد يتراوح عدد أبياتها ما بين عشرة وسبعة وثلاثين بيتا.

وفي الجزء الخامس ما يربو على عشرين بيتا مفردا وما يقرب من أربعين نتفة وعشرين قطعة وثلاث وعشرين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وسبعة وسبعين ومائة بيت.

وفي الجزء السادس ما يقرب من عشرين بيتا مفردا وتسعين نتفة وما يقرب من عشر ومائة قطعة وست وخمسين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وسبعة وستين بيتا.

وفي الجزء السابع ما يقرب من ثلاثين بيتا مفردا ومائة نتفة وسبعين قطعة وسبع وأربعين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبع ومائة بيت.

ومن خلال هذه الصورة يتجلى لنا، كما بينا، أن الأجزاء: الثاني والسادس والسابع يطغى عليها الجانب الأدبي لما تحتوي عليه من الأبيات والقصائد وبعض النصوص النثرية والنظرات النقدية.

وأما الجزء الثالث فيغلب عليه جانب الحديث لما يحتوي عليه من الروايات والأسانيد.

وأما الجزء الخامس فيمثل الحد الوسط بين الجانبين الجانب الأدبي وجانب الرواية في الحديث وغيره.

طبيعة هذا الشعر

أ- توثيق الرحلة لشعر القدامى

كان ابن رشيد يتلقى هذا الشعر بطرق مختلفة، فهو تارة ينقله من أمهات الكتب والدواوين، وأخرى يرويه عن شيوخه وأصحابه وهو يكتب عنهم أو يكتب عنه أحد أصدقائه، وأخرى يكتبه له هؤلاء الشيوخ والأصحاب بخط يدهم، ولهذا يستعمل عبارات معينة في ذلك مثل قوله: كتب إلي وكتب لنا¹ وأنشدني² وأنشدنا³ وأنشدني

¹: الرحلة 6/2 من شعر صاحبه ابن الحكيم و 23/2 شعر ابن عساكر أبي اليمن عبد الصمد.

²: الرحلة 18/2 من شعر ابن الحكيم.

³: الرحلة 17/2 من شعر صاحبه أبي محمد الطبري الشريشي الصوفي.

بلفظه ونقلته من خطه¹ أو من إملائه علي² أو كتبه لي بخطه³ أو قرأت على...⁴، وأنشدت بلفظي على الشيخ...⁵ ومما قرئ على الشيخ من قبله وأنا أسمع⁶ ومما أمر بكتبه إلي... وأنشدني بعضه إن لم يكن كله⁷، وأنشدني فلان بقراءة فلان⁸، ومن نظم فلان مما أجازة لنا ونقلته مما قرئ عليه وصحح بخطه عليه⁹، وغير ذلك من العبارات التي تدل على حسن الضبط والتوثيق والتثبت من الرواية ونسبة الشعر إلى قائله والحرص على سلامة السند فيه فقد كان غالبا ما يقدم للأبيات بالسند المرفوع إلى راويها أو قائلها وذلك تأثرا بمنهج المحدثين وطريقتهم في التحمل والرواية توخيا منه الأمانة العلمية وحفظ الأثر والتراث من شائبة النحل والانتحال والتزويد. وبذلك يكون كثير من هذا الشعر موثقا توثيقا ذا قيمة كبرى في مجال التحقق، وهذا فضل المحدثين على الشعر والأدب بعامته.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أيضا أن هناك من وردت لهم أشعار كثيرة في تنف ومقطعات وقصائد مما يمكن أن يؤلف في حد ذاته ديوانا أو شبه ديوان، ونجد مثل ذلك عند أبي الفضل التيجاني وأبيه أبي الحسن، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا ديوان أسرة التيجانيين¹⁰ وكذا عند أبي بكر بن حبيش¹¹ وكل هؤلاء في تونس، ونجد مثل ذلك أيضا عند أبي اليمن بن عساكر المقيم في الحرم الشريف، وذلك في قصائده الحجازيات الحافلة بالمعاني السامية والتشبيهات الرائعة¹² والعواطف الحارة التي سبكها في قول سهل وأسلوب بديع، ولهذا جاء ذلك الشعر ذا ماء ورواء.

¹: الرحلة 102/6-103 شعر أبي العباس الحميري.

²: الرحلة 30/3 املاء بهاء الدين بن النحاس لشر لسنبلي.

³: الرحلة 23/2 رواية أبي حسان الشاطب لشعر خميس الجوزري وانظر أيضا 60/2 و 97/6.

⁴: الرحلة 50/3 رواية الصفي المراغي لشعر فارس بن الحسين.

⁵: الرحلة 74/3 رواية أبي صادق القرشي لشعر ابن السراج اللغوي.

⁶: الرحلة 8/3 شعر ضياء الدين الخزرجي.

⁷: الرحلة 9/3.

⁸: الرحلة 82/6 إنشاد ابن رزين بقراءة أبي الفضل التيجاني.

⁹: الرحلة 84/6 نظم أبي العباس اللبلي في تسبيح الباري.

¹⁰: الرحلة 7/ترجمة أبي الفضل الوافية والحافلة. (51-5/7).

¹¹: الرحلة 1/2 والحلة 34/6.

¹²: الرحلة 30/5.

وبما أن كثيرا من هذا الشعر الوارد في الرحلة أخذه ابن رشيد عن شيوخه وأصحابه مباشرة بواسطة الإملاء أو النقل من خطوطهم ودواوينهم، كما بينا، ثم انه كان ينقل بعض الشعر القديم مسندا إلى أصحابه، فإن الرحلة تكون أهم مصدر لذلك الشعر لمن أراد توثيقه وتصحيحه وضبطه وتحقيقه، والدليل على ذلك أننا عندما نطلع على تراجم كثير من أصحابه وشيوخه لا نعر على شعرهم في الكتب والفهارس والمعاجم التي ترجمت لهم أو عرضت لذكرهم، وحتى إذا وجد شيء من ذلك فإنه قد يعتريه شيء من النقصان والتحريف في مواضع كثيرة، ولقد صدق ابن رشيد عندما قال:

"وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان، ويعسر وجوده على ذي البحث والتنقيب والافتنان"¹.

ومصادقا لذلك نورد بعض النصوص التي تؤيد قول ابن رشيد وتدلنا على أن الرحلة مصدر حقا للتراث الشعري، وهي عاملة على حفظه وتوثيقه.

- فمن ذلك قصيدة أبي الحسن حازم القرطاجني (الصادية) ومطلعها (الطويل)².

منى النفس تدني منكم والنوى تقصي فكم ذا نطيع الدهر فيكم وكم يعصى
وفيها مائة بيت.

فقد وردت في الرحلة كاملة مضبوطة لم يسقط منها كلمة واحدة، بينما وردت في الديوان³ أقل تحقيقا وضبطا، وفيها حذف لبعض الكلمات، والراجح أن محقق الديوان لم يرجع إلى كتاب الرحلة لأجل التوثيق والتحقيق، ولهذا أسقط منها بعض الكلمات وأشطار البيت، وأورد الدكتور بلخوجة هذه القصيدة أيضا كاملة موثقة لأنه نقلها من الرحلة مباشرة، وبهذا تعتبر حقيقة تحقيقا علميا، ثم إن ابن رشيد نقلها مباشرة من مصدرها لأنه رواها عن أبي الفضل التجاني الذي قرأها على شيخه العلامة أبي الحسن حازم في مدح الأمير أبي زكرياء بن أبي محمد بن أبي حفص.

¹: الرحلة 6/7.

²: الرحلة 40/7.

³: الديوان بتحقيق د. عثمان الكعاك ص: 22 وانظر قصائد ومقطعات ص: 146 نقلا عن الرحلة.

- وهناك قصيدة خمسة لأبي بكر زكرياء بن قطب القسطلاني ومطلعها (البسيط)

أردت من زمني جودا يفيدا جدا فضن عني لما لأرجوه مجتهدا

فقلت مذ لم أجد حرا ينيل ندى لأجهدن على أن لا أرى أحدا

وأنثني خاليا عن قرب من بعدا

فقد وردت هذه القصيدة في الرحلة كاملة وفيها تسع خمسات واضحة الخط، مقروءة ومضبوطة¹، بينما وردت في درة الحجال² وقد سقطت منها كلمات كثيرة لدرجة أنها لا يستقيم لها وزن ولا معنى بسبب كثرة الخلط والتقديم والتأخير في أبياتها بدون مسوغ يذكر، ولعل السبب في ذلك أن صاحب الدرة كانت له نسخة سقيمة من الجزء الثالث ضاع أصلها الذي توجد منه نسخ أخرى أقل سقما مثل تلك التي بين أيدينا، ولولا ذلك لكانت أبياتها تامة، لأن ابن رشيد روى تلك القصيدة عن شيخه إنشادا من لفظه، وقرأها أيضا عليه، وفي ذلك توثيق وضبط لا مزيد عليهما³.

- وهناك قصيدة لأبي نواس في الزهد ومطلعها (الطويل)⁴

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

فقد ورد منها في الرحلة تسعة أبيات كاملة، بينها لم يورد محقق الديوان سوى ثلاثة⁵، ثم ان صاحب الديوان لم يذكر المناسبة والظروف المحيطة برواية تلك القصيدة، بينما نجد في الرحلة ذكر المناسبة وتهيدا لها بقصة مما يضيف عليها جوا من حسن التأثير والوقع في النفس، وقد وردت في الرحلة على هذه الصفة: "قال ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل رضي الله عنه يوما فسمعتنه يقول: كنت في البصرة في بعض مجالس العلماء، فرأيت من شعره في الزهد فأنشأ يقول: القصيدة ..".

¹: الرحلة 113/3.

²: الدرة 221/1 ترجمة 319.

³: الرحلة 113/3 والدرة 221/1 التي أشار محققها إلى أن في بعض نصوصها كلاما مطموسا (انظر الحاشية).

⁴: الرحلة 117/3.

⁵: الديوان ص: 615. بتحقيق وضبط وشرح د. أحمد عبد المجيد الغزالي مطهر 1953 القاهرة.

فمن خلال هذا النص نستفيد فوائد جلى منها إضافة أبيات جديدة للقطعة الموجودة في الديوان لتصبح بذلك قصيدة، ومن ذلك الاستفادة بأن أبا نواس كان يعقد مجالس للعلم عامة والزهد والدين خاصة، فقد قال فيه إسماعيل بن نوجت: "ما رأيت قط أوسع علما من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه..."¹. ثم إن هناك سؤالا يتبادر إلى ذهننا وهو: أين شعر أبي نواس في الزهد؟ إذ لم يصل إلينا منه سوى ثلاثين قطعة تقسمت بين قصيدة قصيرة ومقطوعة ومنتفة في ستة عشرة صفحة لا غير وذلك في ديوان يشتمل على ثلاثين وسبعمئة صفحة، ألم تكن قصائده في الزهد جرى لها ما جرى لهذه القصيدة التي بين أيدينا. مع شهرة ديوانه الذي لم يصل إلينا منه إلا اليسير؟ وقد قال فيه ابن خلكان: "ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه"² ولو لم يكن أبو نواس بهذا القدر من العلم والقدرة على القول في الزهد والتصرف والنصح العام لما كانت له مواقف مشهورة ومشهودة في المسجد الجامع بحضرة الخطيب³ والمأمون والحسن البصري وغيرهم.

- ومن ذلك قطعة لأبي اسحق بن خفاجة كان قد أعدها لتكتب على قبره، فقد ورد منها في الرحلة⁴ ستة أبيات ومطلعها (الطويل).

خليلي هل من وقفة بتألم على جدثي أو نظرة بترحم

وكذلك وردت في ديوانه بتحقيق السيد مصطفى غازي⁵ ولكن للرحلة فضل السند الذي يقول فيه: "قرأت على الكاتب أبي الحسن بن رزين قال: سمعت على الكاتب أبي عبد الله البار قال: وأنشدنا أبو الربيع، يعني ابن سالم قال: أنشدنا أبو رجال بن غلبون مجلس شيخنا الخطيب أبي القاسم بن حبيش قال: أنشدنا أبو اسحق بن خفاجة لنفسه وأعدها لتكتب على قبره: القصيدة..."

¹: وفیات الأعيان 96/2.

²: نفسه.

³: نفسه 96-97.

⁴: الرحلة 70/6 وانظر التصوف الإسلامي لزكي مبارك ص: 26-27.

⁵: الديوان ط. الاسكندرية 1960 القصيدة 300 ص: 363.

وينبغي الإشارة إلى أن الديوان الذي حققه كرم البستاني لم يورد هذه القطعة أصلاً¹.

وبهذا تكون الرحلة مصدراً مهماً من مصادر التحقيق إلى جانب تحفة القادم وتاريخ بغداد ومجلة المشرق التي اعتمدها المحقق السابق الذكر².

- وإذا نظرنا مثلاً في ديوان ابن دقيق العيد³ وجدنا أن محققه يعلق على القطعة التي مطلعها: (الطويل)

أتيتك والآمال تسري إلى مدى بعيد أراه باصطناعك يقرب بقوله:

"انفرد برواية هذه القطعة ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار في ممالك الأمصار، القسم الثالث من الجزء الثالث".

بينما نجد أن ابن رشيد قد أورد هذه القطعة في رحلته وبهذا يسقط قوله بانفراد الرواية، ثم إن شهاب الدين العمري متأخر عن ابن رشيد، فقد ولد سنة 700 وتوفي سنة 740 هـ، وبهذا تكون الرحلة المصدر الأول لهذه القطعة، والمسالك هو المصدر الثاني لها، هذا إذا أعطينا الرحلة الأولوية التاريخية.

- وإذا نظرنا في ديوان أبي العتاهية⁴ وجدنا أن رواية الصولي عن أبي العتاهية للبيت المفرد: (البسيط)

أفنى شبابك كر الطرف والنفس فالدهر ذو غرر والدهر ذو خلس وذلك في شأن دخول أبي العتاهية على الرشيد ووعظه وبكائه

¹: مكتبة صادر بيروت 1951.

²: الديوان ص: 363 ولاحظ اختلافاً يسيراً في: البت الأول لتألم ولترحم وفي البيت الأخير: عبرة المترحم في الرحلة. وفي الديوان دمعة المترحم.

³: كتاب ابن دقيق العيد حياته وديوانه مكتبة الدراسات الأدبية 18.

⁴: الديوان ص: 230.

- رواية في غير محلها، لأن مناسبة هذه القصة تليق بالقصيدة التي مطلعها:
(البسيط)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وإن تمنعت بالحجاب والحرس
وقد ذكر منها الديوان ثمانية أبيات، وذكر منها ابن رشيد ثلاثة.

وإني أستبعد الرواية الأولى وأقر الثانية - حسب رأي ابن رشيد - لأن في الثانية عناصر النص والإرشاد وتمهيدا وتفصيلا واشتمالا على عناصر أخرى كثيرة تدل على أنها قيلت في نصح الرشيد، بينما لا تتوافر تلك العناصر كلها في البيت المنفرد السابق الذي يشتمل على نصح عام لا يجزئ¹ ولهذا نرجح رواية ابن رشيد على رواية الديوان الحالية.

- ونقول مثل ذلك فيما ورد لقصيدة ابن رشيد نفسه في كتاب الإحاطة لابن الخطيب²، فقد ورد منها في الرحلة خمسة وخمسون بيتا وكذلك في الرحلة، ولكن نص القصيدة فيهما مختلفا اختلافا كبيرا³، وبما أن محقق الإحاطة لم يرجع إلى النص في الرحلة، فإنه لم ينبه على ذلك الاختلاف، وكان من الواجب عليه إثبات ذلك، لأن نص الرحلة أولى بإثباته والتنبيه عليه.

ومن خلال هذه الملاحظات يتبين لنا أن الرحلة مصدر مهم لتحقيق التراث القديم، ومنع ثر له، وذلك فيما يخص القرن الخامس والسادس والسابع بعامة، ومصدر لا مثيل له للتراث الأدبي لتونس خاصة. ثم إن رحلة ابن رشيد ورحلة التجاني ورحلة العبدري قد عملت على سد ذلك النقص الكبير.

ولهذا ينبغي أن نقدر حق القدر شعر ابن أبي تميم الحميري وشعر التجانيين وابن حبيش وابن زيتون وروايات ابن حيان الشاطبي وحازم القرطاجني وابن عميرة وغيرهم كثير.

¹: الرحلة 115/3.

²: الإحاطة 138/3: أقول إذا هب النسيم المعطر.

³: انظر شعر ابن رشيد وقد وقع الاختلاف بينهما في ما يقرب من 25 موضعا.

وفي هذا الصدد ينبغي أن نذكر بعض السمات لذلك الشعر فأما السمة الأولى فهي: إيراد ابن رشيد لنصوص لم ترد إلا في الرحلة، أو وردت في مصادر أخرى ولكنها مفقودة أو نادرة جداً¹ وهذا مهم جداً فلولو الرحلة لضاع شعر كثير.

وأما السمة الأخرى لجانب من هذا الشعر فهو ما وقع فيه من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية، ولعل هذا غريب أن يصدر من أمثال الفقهاء والمحدثين وأهل الورع، ولكن ابن رشيد يسبقنا إلى الجواب عما قد يتبادر إلى ذهننا من تساؤلات فيقول:

"وكذلك وقع فيها من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتبه أو إنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف مناقشة الحساب ... يوم بعثه من رmse، فأقول والله الموفق، أني تحاميت فيه كثيرا مما يقبح ولا يحمل وجوه التوريات، وإن كانت ترائبها بالبيان حاليات، والشعر إنما هو بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن وإن كان على غير ذلك في الظاهر وإنما الأعمال بالنيات".

وانطلاقاً من هذا النص نستطيع أن نقول أن ابن رشد كان يختار النصوص الأدبية والقطع الشعرية اختياراً خاضعاً لمقاييسه الخاصة، ولم يكن حطاب ليل، أو يخبط خبط عشواء، ولهذا لم يورد في رحلته إلا ما هو مهذب خال من الصفات المخلة في رأيه، وقد قال ابن عبد ربه: "اختيار الكلام أصعب من تأليفه"²، وقال أفلاطون: "عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم"³.

ثم إن هذه الاختيارات الشعرية دالة على شخصية ابن رشيد وعقليته ومستواه الفكري ومذهبه وذوقه، ثم إنها ترينا أيضاً جانباً مهماً من اتجاهه النقدي — وهو الأهم — في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الأدب العربي بعامة والمغربي بخاصة.

¹: انظر مثلاً شعر أبي اليمن بن عساكر، وشعر الاثار والمدن من هذا البحث.

²: العقد الفريد 26-25/1.

³: نفسه 26/1.

ومما يدلنا على حسن اختياره وتهذيبه وترك ما قد ينافي الخلق العام قوله: "لنا عن ابن البراء غير ذلك مما لا يليق ذكره"¹ وقوله: "وأنشدنا ابن أبي تميم الحميري قطعتين وأتركهما"². ويفهم من سياق الكلام أنه فعل ذلك لتجاوز شعره حدود اللياقة الأدبية وأن فيه اعتسافاً للخلق العام المهذب، ذلك الاعتساف الذي يحفوه الطبع السليم والذوق النظيف.

وإننا لا نعدو الصدق إذا قلنا إن أغلب ما يوجد في الرحلة يعد من عيون الشعر العربي، لما فيه من المعاني الشريفة والأوصاف البديعة الرائعة والمجازات والاستعارات التي لها مكانتها اللائقة في علوم البلاغة والبيان.

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال وهو: لماذا ضمن ابن رشيد رحلته تلك الأخبار الأدبية الكثيرة والأشعار الغزيرة؟ أيريد من ذلك أن تكون ديواناً مثل تلك الدواوين التي تغني صاحبها عن كتب غيرها مثلما صرح بذلك أبو اسحق الحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب؟³ أم أنه أراد به أن تكون من أمهات الكتب التي تضم كل ما يحتاج إليه الأديب من كاتب وشاعر في تلك الحقبة المهمة التي يجب أن يجلد إنتاجها الفكري في كتاب مهم مثل كتاب الرحلة هذا؟. إننا لا ننفي ذلك بل ربما أقررناه واعتبرناه، ففي الرحلة حقاً منهلاً ثراً لذوي المشارب الأدبية وغيرها، ولهذا يحق لها ولرحلة العبدري والتجيبى والبلوي أن تفتخر كلها بهذه الخاصية.

ثم إننا نعتبر هذا أنه الوجه الحقيقي للرحلة والسمة الواضحة لها، ولهذا إذا أردنا أن نوجه الرحلة توجيهاً أدبياً لا يتعذر علينا لك، بل إن من أراد أن يطلع على الحركة الأدبية في تونس خاصة فما عليه إلا أن يقرأ الجزء الأول والسادس والسابع ليجد ضالته.

¹: هو أبو القاسم بن علي بن البراء التتوخي المهدي قاضي الجماعة، انظر الرحلة 92/6 وشجرة النور 191/1 ترجمة 640. وقد ورد في الرحلة أن ابن البراء هذا، على شهرته وجلالته تغيرت حاله بعد ولاية القضاء، فقد وصفه ابن الخباز بالنزق، وهذا أقل دميم أخلاقه في رأيه. وابن الخباز تلميذ ابن البراء، وانظر أيضاً شجرة النور 192/1 ترجمة 644.

²: الرحلة 58/2.

³: زهر الآداب وثمر الإلباب لأبي اسحق الحصري القيرواني ط 1953 ص: 2.

ب- القصائد الطوال:

قبل دراسة موضوعات هذا الشعر وأغراضه العامة، نذكر شيئاً عن القصائد الطوال الواردة في الرحلة، ونعرف بها حسب رويها من الهمزة إلى الياء، وقد أردنا التنبيه عليها هنا لما فيها من بعض السمات المتميزة.

وقد وقع الاصطلاح على تلك القصائد التي يبلغ مجموع أبياتها الأربعين، بأنها طويلة ترجيحاً لما اختاره ابن رشيد في رحلته، وإن كان بعضهم يقترح لطول القصيدة ما هو أزيد من ذلك في أبياتها¹.

ونذكر أن لابن رشيد شيئاً من التجوز في بعض المصطلحات العروضية مثل قوله للنتفة التي لا تزيد على البيتين مقطوعة وذلك في ذكره لبيتي أبي المعالي محمد بن إسرائيل الدمشقي (المنسرح)²:

يزيد في الشمعة المقط إذا * * ينقصها النار قوة الحرق

يقطف منها شقيفة فإذا * * ما طفئت الفيت بلا ورق

وسمى كذلك غيرها من النتف مقطعات وذلك في ذكر قول الشريف أبي الحسن الموسوي الطوسي بن دفتر خوان (الرجز)³

وشمعة مقطها كأنها إذ أثمرت نؤارة زهراء

يقص كلب الماء منها توتة حمرا ويلقيها لهم سوداء

¹: الرحلة 8/8: أورد ابن رشيد القصيد المسمط لضياء الدين أبي ابن الخزرجي الساعدي من أهل غرناطة ومطلعه: هون بأهل البدع والهجر والتصنع ولذا بأهل الورع ثم قال وهي طويلة عددها أحد وأربعون بيتاً تقيدت بجملة في غير هذا الموضع. وهذه القصيدة معارضة للقصيدة الواردة في مقامات الحريري:

خل ادكار الأربع والمعهد المرتب
والظاعن المودع وعد عنه ودع

المقامة الخمسون البصرية ص: 596 وانظر بعض هذه القصيدة في نفح الطيب 395/2 نقلاً عن الرحلة ويلاحظ في ذلك بعض الاختلاف في رواية الأبيات.

²: الرحلة 3/7.

³: نفسه.

وإنني أورد شيئا من أبيات تلك القصائد معرّفا بمطلعها وآخرها، لأن الشاعر غالبا ما يحرص على حسن الديباجة وروعة الخاتمة، ثم أردف ذلك بذكر بعض الأبيات التي أرى أنها تستحق الذكر وذلك إما لجمال معناها وإما لحسن تخيلها وتصويرها وتشبيهها المناسب وأسلوبها الرائق أو غير ذلك مما له وجه من أوجه الاستحسان في مقام البيان، وحسبي في كل ذلك الاختصار والإتيان بالأهم وإن كان الاختصار عادة يخل بكثير من الأغراض التي يرجى تحقيقها واستيفائها.

فمن تلك القصائد الطوال قصيدة الرجز للفقير النحوي أبي جعفر اللبلي في تسبيح الباري، وقد أجازها لابن رشيد الذي نقلها مما قرئ عليه، وصح ذلك بخطه عليه، ومطلع القصيدة:¹

ومعجزات كلها شهيرة قد دونت في كتب كثيرة
وأحصيت في عبرة مذكورة وأسندت صحيحة موفورة
وجاءت في ثلاث وعشرين مزدوجة تتكون من ستة وأربعين بيتا.

وتشتمل هذه القصيدة على معان متداولة معروفة في موضوعها منها ذكر لصفات الله تعالى وأفعاله من العلم والقدرة والسمع والبصر وجلاله وعلوه عن الزمان والمكان وتنزهه عن الوصف بالجواهر والجثمان، وتديبره للكون وما فيه، والعالم بما يحويه، وهو سبحانه مهمل العصاة ذو العفو والرحمة، غافر للذنوب والزلات ذو فضل على الناس، وهو باعث للرسل ومؤيدهم بالمعجزات والحجج الصحيحة الواضحة.

ولا نجد في هذه القصيدة مغالاة في الاعتقاد ولا تعقيدا، وإنما نجد أهم معانيها في كتب التفسير والتوحيد والعقائد متداولة.

وزيادة على أن أبا جعفر اللبلي مشهور برسوخ قدمه في اللغويات والنحو فإنه يبدو لنا هنا متصوفا في غير تطرف ولا إغراق، لأنه كان مطلعا على كثير من الكتب المشهورة في الأصول والتصوف² كالأحكام لعبد الحق³ ومؤلفات المازري والميانشي

¹: الرحلة 84/6.

²: انظر ترجمته في الرحلة 27/2.

³: الرحلة 28/2.

ومؤلفات أبي بكر الخطيب وسيف الدين الآمدي¹ ورسالة القشيري في التصوف² وكتب الغزالي والسهورودي وأبي طالب المكي³.

ولا شك في أن لهذا التراث من الفكر الإسلامي أثرا في أبي جعفر اللبلي، ومع ذلك لا نجد رموزا ولا إشارات غامضة تستعصي على الفكر.

أما الأسلوب الذي صاغ به اللبلي هذه القصيدة فهو أسلوب سهل لا تعقيد فيه، إلا أن اللبلي كان يستعين ببعض الصور البديعة والبيانية وبعض التشبيهات والاستعارات المقتبسة من أنوار القرآن الكريم وغيره مثل قوله: (الرجز)

فكل ما في العالم العلوي	من ملك أو عرش أو كرسي
أو أجم أو كوكب دري	وكل ما في العالم السفلي
فكله بمعزل عن القدم	وكله مخترع بعد العدم
وكله أنشأه باري النسم	إلهنا وربنا محيي الرمم

وصفوة القول إن الشاعر صاغ هذا التسييح العجيب ذا المعاني الواضحة بأسلوب وكلمات أكثر فهما وإدراكا.

ونذكر أن أبا جعفر كان مشتهرا في ميدان الفقه والنحو واللغة والتاريخ⁴ وأن له بعض التأليف في الأذكار وعقيدة في علم الكلام⁵، ويحتمل أن تكون هذه القصيدة منقولة من أحد تأليفه في ذلك العلم ولهذا أسمع ابن رشيد من لفظه وحفظه عقيدة سماها العقيدة العمرية في الاعتقادات السنية، ونقلها ابن رشيد في رحلته في صفحتين⁶، ويظهر من تلك العقيدة أن مذهبه في الصفات على طريق السنة في قوله خاصة: "سميع لجميع المسموعات بصير لجميع المرئيات، مدرك لجميع المدركات، متكلم بكلام قديم أزلي ليس

¹: الرحلة 29/2.

²: الرحلة 30/2.

³: الرحلة نفسه.

⁴: عنوان الدراية 300.

⁵: هدية العارفين 100/1: له عقيدة المؤمن في علم الكلام.

⁶: الرحلة 84/6.

بحروف ولا أصوات، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه¹ ويظهر لنا أيضا أن اتجاهه العقدي في هذه القصيدة وتلك العقيدة واحد.

ومن تلك القصائد الطويلة قصيدة لأبي الفضل التجاني وقد أسمع ابن رشيد إياها من لفظه وكتبها له بخطه البديع وهي في المدح ومجموع أبياتها أربعة وخمسون ومطلعها (الكامل)²

روض كما شاء الربيع مدبح وأزاهر مسكيها يتأرجح

وآخر أبياتها:

أهديتها مثل العروس وحليها تلك الحلى وجميل قصدي هودج
لا زلت في حل وفي سفر ترى ما تبتغيه ولا أخافك مرهج³

وقد جعل لها مقدمة من ثلاثة وعشرين بيتا، وهي حافلة بأوصاف الرياض ومحاسن الأباطح والغياض ما ينسى بإشاراته إشارات الجفون المراض ومن أبيات تلك المقدمة:

والارض تكشف للعيون جمالها مثل العروس لبعلها تتبرج
وقد اكتست من سندسي نباتها حلا تريك الحسن مما ينسج
والزرع والنعمان في أثنائه بسط يزين حشوها ويبهرج
والزهر في أعلى الثمار كأنه زهر وتلك على الحقيقة أبرج

وقد حشر فيها أوصافا أخرى وتشايه وصورا بدیعة استعارها من العرائس وأعطاف الغواني والعقود والدمالج ومناظر الربا في فصل الربيع، وأتى فيها كذلك بأوصاف الحدود والعدار وغير ذلك حتى جعل كل بيت من أبيات تلك المقدمة ميدانا من ميادين لا ترى فيه إلا طبيعة صامتة أو ناطقة بلسان حالها، وقد تذكرنا تلك الأوصاف بدباجة البحري وابن خفاجة ووصفهما للطبيعة ثم خص الأبيات، الأخرى، وهي واحد وثلاثون بيتا، بأوصاف الممدوح الخلقية والخلقية، ومن أبياتها:

¹: الرحلة نفسه.

²: الرحلة 7/7.

³: الرهج: الغبار والشغب.

وحلى مكرمة وحسن مبهج
عند القياس فلمْ لَّا يُنتج
كفا بها لجج الندى تترجج
فله إلى سبيل الفضائل منهج

ذات معظمة ومجد طائل
صحت مقدمات الأصاله والجدا
ما عن رأينا قبل رؤية كفه
إن ضل عن سبيل الفضائل سالف
وفيها يقول:

هو من تفتح بابه للمرتجي فلذاك باب ثنائه لا يرتج
وأنارت الامداد لما صغتها حليا به، فالحق فيها أبلج
أهديتها مثل العروس وحليها تلك الحلى وجميل قصدي هودج

وفي هذه الأبيات معان مألوفة عند القدماء والمحدثين، ولكن أبا الفضل
التجاني، لما أوتيه من الشعر وإحساس مرهف، جعلنا نتصور المدوح غير ما ألفناه، هذا
زيادة على ما فيها من الصياغة الجيدة والمعاني المنطقية والفقهية (صحة المقدمتين،
القياس، النتيجة، الحق الأبلج) وهذا يدلنا على أن الشاعر كان متمكنا من اللغة
والبلاغة وذا اطلاع على فنون القول وذا إلمام بالعلوم العقلية والنقلية.

ومنها قصيدة قالها ابن القصير (أبو العباس) يرثي بها اشبيلية "ردها الله إلى
كلمة الإسلام"¹ وفيها خمسون بيتا، وتعد من الدرر الفريدة والجواهر اليتيمة في الشعر
العربي، بل إنها من النصوص النادرة والوحيدة في هذا الموضوع ومنها (المقارب)

أسل من دموعك مدرارها وساجل من الارض أنهارها
وبح بالحقايا ونح شاكيا فلن تحمد اليوم إضمارها
ابعدك يا حمص من سلوة لنفس غدوت لها جارها
فقد جار دهري عليها فلم يذر جارها لا ولا دارها

ويقول في آخرها بعد مدح أبي خالد المرتضى

وأظهر بالرغم إقبالها وإن رامت الروم إدبارها
ولكنه لا يرد الفتى أمور السماء وأقدارها

¹: الرحلة 97/6.

وتعد هذه القصيدة من أكثر أشعار النكبة أثرا في النفس ومن أبياتها المؤثرة

خاصة:

أينساك يا حمص ذو لوعة وهل تترك الطير أوكارها
فيا أيها الخطب رفقا فقد هتكت الحياة وأستارها
وقوله:

وكن نادبا حمص أم البلا د وأنس العباد وأفكارها
فقد أذهب الدهر أخيارها واسكنها اليوم أشرارها
وفيها صور هائلة لمأساة المسلمين في الأندلس، واستيلاء الروم على أموالهم وأرضهم وما يملكون وهول استبدال الكنائس بالمساجد والنواقيس بالأذان.

ولكن ما يؤخذ على الشاعر: حثه على البكاء والندب والقعود وذلك خلافا لابن الأبار الذي كان يذكي الهمم والعزائم بقصيدته المشهورة¹. (البسيط)

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا. الأبيات

ولعل ضخامة المصاب وروح اليأس المهيمنة، بل واختلاف الظروف والشخصيات والمسؤوليات، هي التي جعلت الشاعر يحس بذلك الشعور الذي لا أمل فيه لاسترجاع أرض الأندلس السلبية لأنه اعتبر ذلك أمرا من السماء مقدورا لا يمكن رده، وقضاؤه لازب لا معقب لحكم الله فيه².

ومن تلك القصائد ما كان كتبه أبو محمد عبد الله بن هارون الطائي القرطبي على أول جزء من كتاب اقتطاف الأنوار واختطاف الأزهار من بساتين العلماء الأبرار لمؤلفه أبي القاسم ابن الطيلسان، وذلك في مدح نسقه وما اشتمل عليه من اللطائف والمعارف، ويشتمل القصيد على أحد وأربعين بيتا يقول في أوله (الكامل)³

طالعت منها روضة معطارا أحيت مآثر جدت آثارا
صحفا متى فتحت أوراقا لها خلت الكمائم فتحت أزهارا

¹: انظر شعر النكبة في دراسة الرحلة.

²: انظرها في أزهار الرياض 210-207/3.

³: انظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ص: 643 ونهاية الأندلس العصر الرابع ص: 544-546.

القلب منها يجتني نوارها والعين فيها تجتلي الأنوارا
ويقول في آخره:

لكن عسى الرحمن يعظم أجرا وثوابنا ويخفف الأوزارا
ويشفع المختار فينا المصطفى وينيلنا جنات عدن دارا
وقد أطال ابن هارون في مدح الكتاب وذكر خصائصه وما يحتوي عليه وكذا في
مدح صاحبه ووصفه بالضبط في الإسناد والتقييد، وكان قد كتب من هذه القصيدة
واحدا وعشرين بيتا فقط ابتدأها بالمطلع السابق وختمها بقوله:

جازاه رب العرش خير جزائه عنها وبُوءى في الجنان قرارا

ولكن لما طلب منه بعض الأصحاب الذين وقفوا عليها، ذكر قرطبة (جبرها الله)
والزيادة في ذلك أضاف لتلك القصيدة عشرين بيتا أخرى فاكتملت واحدا وأربعين، وأول
هذه الزيادة:

أبقى لأهل العلم من آثارهم	ما يملأ الاسماع والابصارا
جمهورهم أبناء قرطبة وإن	ذهبت فقد أبقت بذاك فخارا
ويح الانام وويحها إذ عوضت	منهم على رغم الورى كفارا
كم قد تلوا وجلوا بها أنوارهم	ليلا فصار الليل ثم نهارا

وتعد هذه القصيدة من أهم القصائد التي تمثل شعر النكبة كذلك، لما لها من
المعاني الرقيقة، ثم إنها تصور مكانة الكتاب في المجتمع الإسلامي، وما أمتن العلاقة بين
ذكر كتاب ثمين ومدينة عزيزة كانت تحتضن التراث الإسلامي العزيز في ذلك العصر
الذهبي. وانظر كيف زاوج ابن هرون بين هذين المعنيين، وكان ذلك الشاعر الذي نبه ابن
هرون على الزيادة يرى بنور عقله ورهافة حسه تلك المناسبة بين ذكر الكتاب ومفاخره
وبين ذكر قرطبة شمس العواصم وأم الكتب الأمهات، وكان ذلك الشاعر يرى أن
القصيدة التي لا تبكي المجد الاثيل والتراث الاصيل والحضارة العربية والفخر السامق،
قصيدة تافهة لا أثر لها ولا ينبغي أن تخلد.

ومن تلك القصائد قصيدة لابن رشيد ومطلعها (الطويل)¹

أقول إذا هب النسيم المعطر لعل بشيرا باللقاء يبشر

وفيها ستة وخمسون بيتا، وقد مر ذكرها في عرض شعر ابن رشيد²

ومنها القصيدة الصادية لأبي بكر محمد بن أحمد الصابوني الاشيلي في مدح

الأمير أبي زكرياء، وقد قالها باشيلية قبل وفاته على حضرة تونس ومطلعها (الطويل):³

شخصت لعزم البين فاخترمت شخصي

زيادة وجد تنهك الجسم بالنقص

وقد أورد منها ابن رشيد في رحلته ثمانية عشر بيتا فقط وذلك نقلا عن ابن الأبار

في كتابه تحفة القادم، وذكر ابن الأبار أن لها معارضات كثيرة أثبتتها مستوفاة في كتابه

إيماض البرق، ومن المحتمل أن تكون قصيدة ابن الصابوني طويلة ليصل عدد أبياتها إلى

المائة بيت. ونستفيد ذلك من قول ابن رشد من أن ابن الأبار كان يفصل بين ما ينقل

منها بقوله: "يقول فيها "و"منها" ثم إن أبا الحسن حازما القرطاجني وابن عربية لما

عارضها أطالا قصيدتيهما حتى وصلت قصيدة الأول مائة بيت وقصيدة الثاني أزيد من

تسعين بيتا. ثم إن ابن رشيد لم يطلع على كتاب إيماض البرق الذي أشار إليه ابن الأبار

والذي يذكر فيه أنه سيأتي فيه شيء من القصائد المعارضة لتلك القصيدة، ولا شك في

أنها تكون مستوفاة هناك، وقياسا على ما جاء في قصيدة حازم القرطاجني وقصيدة ابن

عربية (92 بيتا)، وكل منهما معارضة لها، نستنتج أن قصيدة ابن الصابوني تكون بهذا

الطول أو ما يقارب.

وتعد هذه القصيدة من الغرر الفريدة والدرر البتيمة لما اشتملت عليه من البراعة

والغربة الإبداع، وإن كان أغلب ألفاظ أبياتها صعب الفهم والإدراك، كما أن ابن

الصابوني اختار قافية ذات روي صعب يتحاماه الشعراء وهو حرف الصاد⁴ ولهذا امتلأت

¹: الرحلة 66/7.

²: انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

³: الرحلة 42/7، وذكر صاحب الوفيات منها بيتين. 285/3

⁴: المرشد إلى فهم أشعار العرب 60/1: "والصاد من القوافي النفر وهو قتب أشرس".

بكثير من الكلمات المستثقلة مثل الحرص والشقص والبخص والنحص والرخص والفرص وغير ذلك.

ومن أراد أن يدرك هول هذه الألفاظ وجرسها الثقيل على الاسماع فعليه أن يطلع على قصيدة حازم القرطاجني أو ابن عريبة الطويلتين لأنهما كانا قد نهلا من حوضها وَعَلًا ولكن بالرغم من هذه الهنات القليلة تشتمل على صور بديعة وتشبيهات نادرة ومعان حسنة ومن أبياتها:

وقد كنت سلطانا عليها محكما فما نلت للرقبي سوى خلس اللص
كان الليالي لم تكن قط أرخصت بنيل المنى من ذلك البشر الرخص
وفيها يقول مادحا أبا زكرياء الحفصي

سأقتص للملك الهمام شكيتي فيبسط لي في صرفها يد مقتص
أبي زكرياء المهذب من أبي محمد النامي بمجد أبي حفص
أمير يُطِيعُ الله من قد أطاعه ويعصي حدود الله من أمره يعصي
فقد جاء بهذه المبالغة التي قرن بها طاعة الرب بطاعة عبده، ونرى مثل هذا عند ابن هانئ الأندلسي وغيره.

ومن معانيه الحسنة قوله:

فكم تحرص الدنيا لتحظى بوُدِّهِ فيصرف وجه الزهد عن رغبة الحرص
يشيد أركان المعالي براحة بناء العلا من سعيها محكم الرص
وتضطر أوصاف المحامد عنده إلى خرس الوصاف أو كذب الحرص
ستذكرني آفاق أندلس بما جلوت بها من رائق حسن النص
فقد نجست بالغمط حقي كأنها رأت أن عين الشمس تلحق البخص¹
وأهوى إلى ذاك الجنب ركائبي بكل غوص عندها السهل كالنحص²
إلى أن أرى وجهها إذا شمت برقه رأيت جبين البدر مكتمل القرص

¹: بخص عينه: أغارها.

²: النحص: أصل الجبل.

وممن عارض هذه القصيدة¹ أيضا ابن الابار، وإن كان قد أتى كذلك بالأبيات الثمانية عشر، فلا شك أن القصيدة أطول من ذلك أنه لم يرد منها في الرحلة سوى أربع مقتطفات فصل كلا منها بكلمة (منها)، ومن المحتمل أن تكون هذه القصيدة طويلة كقصيدة حازم وابن عريبة، ويقول فيها:

أتجحد قتلي ربة الشنف² والحرص وذاك نجيعي في مخضبها الرخص

ومنها:

وفيت لحرصي في هواها فخانني وقدما أصيب الناس من قبل الحرص
تلوت على بدر التمام لثامها إذا الوشي زرتة على الغصن والدعص
سقى الله دار المزن دارا قصية على الشد والتقريب والوخد والنص
يسائل عن نجد صباها معا شر وأسأل عن حمص النحامي واستقصي
ولو كنت موفور الجناح لطار بي إليها ولكن خصه البين بالقص
وقد ضمنها بعض المعاني الأصولية والفقهية مثل قوله:

خلافته الوت بكل خلافة كذلك بطلان القياس مع النص

ومنها:

تناهى إليه العلم والحلم فاثنت

تشيد بعلياه ثناء ولا تحصي

وما اشتبهت حال الملوك وحاله

ألم تر أن الفضل ليس من النقص

ولم تتوافر لدى ابن رشيد هاتان القصيدتان بأكملهما لأن ابن الابار لم يورد منهما إلا ما نقله ابن رشيد، فلو تمكن من ذلك لكتبهما أسوة بقصيدة حازم وابن عريبة.

¹: الرحلة 42/7. والديوان.

²: الشنف: القرط الأعلى.

وممن عارض تلك القصيدة الأديب المحدث أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان
القيسي المهدوي المعروف بابن عريبة. وقد أورد له ابن رشيد من قصيده ثلاثة وتسعين
بيتا ومطلعه¹:

أشار لدى التوديع بالعنم الرخص

وبان فلا أهلا بيان ولا دعص

ومن أبياته المشتملة على التجنيس:

وما رمت حتى ظن أني رمة برامة وقفا بين آرامها الحمص
ويقول في آخرها:

وقلت لنفسي اهني هناءك واسعدي

بما نلت من عفو الامامة واختصي

وفي العتب ما يضحى دليلا على الرضا

وفي اليأس ما يمسي سبيلا إلى الحرص

وقد قصد الشاعر إلى توالي بعض الحروف المعينة في البيت الأخير
ويقول:

فله ما أدنى علي ظلاله واحنى أياديه على أفرخي الحمص

وفي هذه القصيدة أيضا خصائص القصائد السالفة الذكر، وبما أنها كاملة فإن
تسلسل الأغراض باد عليها ومتوافر فيها، فقد بدأها بالغزل والنسيب في نحو من أحد
عشر بيتا، ثم انتقل إلى ذكر نجد والحمى والعذيب، ووصف طبيعتها في نحو اثني عشر
بيتا ثم خلاص إلى المدح ومنه، وقد ضمنه بعض المعاني الفقهية:

¹: الرحلة 43/7.

إذا أوجب التأويل تقرّظ منعم

فذاك الذي يستوجب الحمد بالنص

من آل أبي حفص أحق بما شدا حبيب بن أوس في ابن طوق وفي حفص

إذا قلت جودي يا سجاياه أو عدي

حباه فعمي بالمحامد أو خصي

وكم رهصت عظمي الخطوب فلم أجد

سوى يده البيضاء آسية رهصي

ومن تلك القصائد قصيدة أبي الحسن حازم الذي يمدح بها الأمير أبا زكرياء بن

أبي محمد بن أبي حفص، وتشتمل على مائة بيت ومطلعها:¹

منى النفس تدني منكم والنوى تقصي

فكم ذا نطيع الدهر فيكم وكم يعصي

وآخر أبياتها:

فما تطل الدنيا بدين من المنى سعودك تستقصيه منها فتستقصي

وتعد هذه القصيدة من بدائع حازم لأنه برع فيها براعة يقل نظيرها وذلك

لاختياره لها رويًا غريبًا وهو حرف الصاد، ولما جاء فيها كذلك من الحروف الاسلية

(ص س ز) التي يقرب عددها من ستين ومائتي حرف، ولما فيها من صور المدح التي

جعلت من أبي زكرياء رجلاً ذا صيت ذائع في مشارق الأرض ومغاربها.

عقائل قد عزت على كل خاطب ولو حليت عقد الثريا لدى النص

أرادت وحيدا في الملوك فلم تجد كيحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص

أمير لاقدام السعود تقدم إليه واقدام العدا عنه في نقص

وحر تهيم المكرمات به فما لها الدهر من خل سواه ولا خلص

¹: الرحلة 40/7 والديوان 22 وقصائد ومقطعات 146.

سموتم إلى العليا بطول قوادم
تراث الهدى فيكم وما لسواكم
بما حزتم من هدي أفضل صاحب
أبي حفص البحر الخضم الذي طما
به أصبح المهدي قد شد أزره
ومنها:

أسام الردى روض المنايا ذبابه

وقال لصغرى النمل آثاره قصي

عسى الله أن ينتاش أندلسا بها

ويأخذ فيها للهدى أخذ مقتص

قواف كمحض الود تَزْدَادُ روثقا

وحسن على استخلاصه وعلى المحص

فلاحت بجيد المجد أسنى قلادة

وفي خاتم العلياء أبهى من الفص

وبحكم اختيار حازم روي الصاد فإنه أورد فيها كثيرا من الكلمات العسيرة الفهم
والمستعصية المعنى، وقد سبقت الإشارة إلى مثلها.

ومن القصائد الطوال قصيد أبي بكر بن حبيش الذي مطلعها (الحفيف)¹:

حيث روض النعيم بالانس يجنى

وعروس السرور بالسعد تجلى

ويشتمل على ثلاثة وخمسين بيتا.

¹: الرحلة 46/6 ورحلة العياشي 239/2 نقلا عن ابن رشيد.

ومناسبتها أن ابن رشيد لما حل بالينبوع، كان ذلك اليوم شديدا قيظه والعطش فيه بالغاً غايته والتعب نهايته، وحين نزل هو وأصحابه بخارج تلك المدينة أقبل المغنون بهذه الأبيات:

أيها القادمون أهلاً وسهلاً كيف نجد وكيف بان المصلى¹

فعلقت هذه الأبيات بذهن ابن الحكيم، ولما وصلوا إلى تونس ذكروا هذه القصة لأستاذهما ابن حبيش، وطلب منه ابن الحكيم أن يذيلها ففعل ذلك منعماً مفضلاً.

ومن الطوال أيضاً قصيد أبي بكر بن حبيش ومطلعه:

يا خير من هو للاله رسول أنت الشفيع وجاهك المأمول
وفيه ثلاثة وخمسون بيتاً².

ومن تلك القصائد قصيد أبي يعقوب بن السماط الذي أوله:

أعد الحديث فليس بالمملول من خير مبعوث وخير رسول
وفيه خمسون بيتاً³

ومنها قصيد أبي العباس أحمد بن محمد بن لب المرسى يمدح الرئيس أبا عبد الله بن أبي طاطو الشيخ، وفيه ستون بيتاً ومطلعه (البيسط):⁴

شمل السعادة بالاسعاد منتظم فالأنس مكتمل والدهر مبتسم
ويقول في آخره وقد ضمنه بعض معاني النحو:

فالله يبقي مدى الأيام مدتهم في خفض عيش ورفع ليس ينجزم

ومن ذلك قصيدة أبي عبد الله بن أبي تميم الحميري في مدح أبي عبد الله بن يونس الهنتاتي، ويهنته بخيمة حفيده يونس واعذاره وسمى هذه القصيدة رقم العذار¹، وفيها ثمانية وسبعون بيتاً، يقول فيها:

¹: انظر القصائد الحجازيات والدراسة من هذا البحث.

²: الرحلة 45/6 وانظر قصائد لمديح.

³: الرحلة 7/6 والدراسة من هذا البحث.

⁴: الرحلة 114/6 والدراسة.

لست أنسى مهابة أدهشتني حين عاينت محفل الاعيان
ومقام الحفيد يونس فيهم ساحبا ذيله على سحبان
مرة منشدا وأخرى خطيبا بلسان أمضى شبا وسان

ومنها قصيدة ابن رشيد في الشوق إلى الرحلة إلى المشرق، وفيها ستة وخمسون

بيتا.²

هاج أدكاري لنعامي بنعمان فبت ينجدي وجدي وتحناني

ولأبي اليمن بن عساكر بعض القصائد الطويلة كبائيته التي يبلغ عدد أبياتها
أربعة وخمسين ومائة بيت، وداليته التي تصل إلى أربعة وتسعين بيتا، وميميته التي
مجموع أبياتها سبعة وثمانون بيتا. وسنذكر شيئا عنها في شعر الحجازيات³.

وسننبه في دراسة الشعر على بعض القصائد الأخرى عندما يقتضي الأمر ذلك.

وينبغي أن نذكر أن ابن رشيد لم يتوخ إيراد كثير من القصائد الطوال، وذلك
خوفا من الإطالة والخروج عن الغرض الذي كان يرمي إليه، ولولا ذلك لاجتمع له في
الرحلة شعر غزير لا يحصره العد، ولأصبحت ديوانا عظيما لشعر العرب، ولهذا كان
يكتفي غالبا بذكر كلمة "منها" أو بكلمة "من قصيد"، ليعلمنا انه يختصر ويلخص ما
استطاله، ومثال ذلك ما أورده لمدرک الشيباني⁴ من قصيدته المزدوجة الطويلة (الرجز)
"من عاشق ناء هواه داني". ولم يزد على ذلك الشطر من البيت إلا قوله (القصيدة
بجملتها). وإنه لم يوردها بتمامها لشهرتها غالبا.

أما تمام ذلك البيت فهو: ناطق دمع صامت اللسان

وقام المزدوجة:

¹: الرحلة 58/2 ص:

²: الرحلة 67/7 والدراسة من هذا البحث.

³: الرحلة 37/5 مكرر والدراسة من هذا البحث.

⁴: الرحلة 70/6.

معذب بالصد والهجران موثق قلبي مطلق الجسمان
وفي القصيدة خمسون مزدوجة كما ذكرها ياقوت الحموي¹.
ومن ذلك قوله: وأنشدني ابن حبيش من قصيد (البسيط)²
عمرتم عمر نوح تأنسون إلى سام من القدر أو حام من القدر
فهو لم يذكر سوى هذا البيت، ولا نعلم كم في هذه القصيدة من أبيات، وهي
على كل حال أكثر من سبعة.
وقال أيضا³:

"وأنشدت عليه وأظنه من قصيد"، ولكنه لم يذكر سوى أربعة أبيات منها:
(الطويل)

أعدت له ما كان أذهب دهره من العز والأوطان والمال والأهل
ومما يدلنا أيضا على أنه لم يكن يورد من القصائد الطوال إلا قطعا قوله⁴:
"ومن ذلك أول قصيدة أبي عبد الله الاستجي التي كتبها لأبي اسحق القرموني يجيزه
بها" ومطلع القصيد (الطويل):

بدأت باسم الله والحمد والشكر على فيض آلاء تجل عن الحصر
وقد قال بأن أول هذه القصيدة يتركب من تسعة أبيات، وبهذا لا بد أن تكون
طويلة إن لم تكن طويلة جدا.

ومن ذلك ما أنشده أمير المسلمين لما فتح مالقة⁵ (البسيط)

استشعر الأمن إن الخوف قد ذهب

القطعة.

¹: انظر كاملة في معجم الأدياء 145-136/19.

²: الرحلة 8/2.

³: نفسه.

⁴: الرحلة 106-105/6.

⁵: الرحلة 106/6.

فقد أشار أيضا إلى أن القصيدة تزيد على ثلاثين بيتا، بينما لم يذكر منها في الرحلة سوى تسعة أبيات ولم يذكر أيضا اسم قائلها.

ومن ذلك أيضا ما كتب به أبو اسحق القرموني من بجاية إلى أهل مالقة (أعزه الله) من قصيد (البسيط)¹

ذكرت مالقة ذكرى أخ شغف فكدت أذهب بين الوجد والكلف

فعقب ابن رشيد عليها بقوله: "وهي أزيد من أربعين بيتا"، بينما لم يورد منها سوى أربعة أبيات. وما أن هذه روايات القرموني التي راعى فيها الاختصار والإيجاز، وأراد بها أن تكون عجالة يفيد بها تلميذه ابن رشيد، فإننا نستشف من خلالها أن هناك أخبارا كثيرة وروايات مستفيضة وقصائد طوالا وقصارا ينبغي البحث عنها في مظان الكتب لاستكمال معارف الرحلة التي نجدها ضاربة جذورها في مضامين التراث من الكتب التاريخية والأدبية ودواوين الشعر والرسائل.

ومن ذلك قوله:² "وأنشدنا شيخنا ضياء الدين أبو الحسن الخزرجي الساعدي قصائده من قبله وأمر أن يكتب لنا بعض شعره ودفعه إلينا فمما قرئ لي عليه وأنا أسمع قصيده المسمط الذي عارض به قصيدة أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

خل اذكار الاربع" وهي خمسة وأربعون بيتا في كتاب المقامات³
ومن ذلك قوله:⁴

"ومما أمر بكتبه إلي ضياء الدين الساعدي وأنشدني بعضه إن لم يكن كله وأذن لي فيه قصيده الطويل الذي عارض به قصيد كعب بن زهير:
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

¹: نفسه.

²: الرحلة 8/3.

³: مقامات الحريري 6 و5.

⁴: الرحلة 9/3.

ثم ذكر مطلع القصيدة في خمسة عشر بيتا، إذا جاز أن نسمي ذلك مطلعاً وأول أبياته: (البسيط)

ما في سعاد قصد لنا¹ ولا سول فإن قلبي عنها اليوم مشغول

ثم قال بعد ذلك المطلع:

ثم تمادى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مطيباً ودعا الإحسان قلبه مجيباً
وأتى بأعلام معجزاته متبعاً الطيب بالطيب وجائداً بعد الجود بالصيب ناسجاً على منوال
الإحسان ... إلى أن نيف على ثلاثين ومائتي بيت.

ولكن ابن رشيد لم يذكر من هذا القصيد الطويل سوى ثلاثين بيتاً ذكر من
مطلعه خمسة عشر، واستدرك بقوله: تجزأت وتماها مكتوب في غير هذا الموضع. ولكننا لا
ندري ذلك الموضع، أيعني كتبه أم كتب غيره، وقد أشار إلى مثل ذلك في قصيدة ضياء
الدين الخزرجي بأنها تقيدت في غير الرحلة.

ومن ذلك ما أنشده ابن رشيد على أبي العباس بن القصير مما كتب به إلى أبي
القاسم المزياتي من قصيد (مجزوء الرمل)

ضعت ما بين أناس	كلهم للعهد ناس
أنت للآداب نور	لالتماس واقتباس
فاق لفظاً رق معنى	كرجاء بعد يأس

فهو لم يذكر من ذلك سوى سبعة أبيات منها الأبيات السابقة، ويرجح أيضاً أن
تكون طويلة.

وهنا تبادر إلى ذهننا سؤال وهو: لماذا كل هذه الإحالات والتنبيهات إلى أن
كثيراً من القصائد الشعرية مكتوبة في غير الرحلة؟ لا شك في أن هذا يجعلنا نزعج أن
هناك مؤلفاً آخر لابن رشيد قد يكون جمع فيه كثيراً من الاختيارات والانشادات

1: هكذا جاء هذا البيت، ولا يستقيم وزنه إلا بقولنا: ما في سعاد لنا ... البيت.

الشعرية، وكان هذا المؤلف بين أيدي الناس، ولهذا كلن يعوج القراء عليه ليجدوا فيه ما لم يرد ابن رشيد أن يعيد ذكره في الرحلة ليطيّلها بذلك.

ج بعض سند ابن رشيد

في رواية الشعر

إنه لمن نافلة القول التذكير بفضل المحدثين وعملهم الخطير في تصفية التراث الإسلامي من الأوشاب، وهذا ما دفع الأدباء واللغويين كذلك لان يحذوا جذوهم، وخير دليل على ذلك أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الأغاني وابن قتيبة في مؤلفاته. وبما أن ابن رشيد كان محدثا وأديبا ولغويا فإنه اتبع سنتهم الماثورة وطريقتهم المحمودّة، وفيما يلي ذكر لشيء من سند ابن رشيد في رواية شعر القدامى، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:¹

سنده في شعر أبي العتاهية

قرأ ابن رشيد على

عز الدين عبد العزيز الحراني على

أبي علي أحمد بن الحسن النجار قراءة عليه ببغداد، قال

نا أو بكر بن أبي طهر القاضي قال

نا أبو علي محمد بن عبد الله الزينبي قراءة عليه، وأنا أسمع

نا المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد الجريري في الإجازة قال

أنا الصولي²

نا عون بن محمد³

نا محمد بن أبي العتاهية قال

¹: الرحلة 116/3.

²: أبو بكر محمد بن يحيى صاحب كتاب أدب الكتاب.

³: عون بن محمد الكندي يروي عنه الصولي: أدب الكتاب ج2 ص: 194 والموشح للمرزباني ط. مصر 1965 ص: 24.
538)

قال الرشيد رضي الله عنه لأبي عطني قال: أخافك، قال أنت آمن فأنشده أبي:
لا تأمن الموت في طرف ولا نفس إذا تسترت¹ بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام² الموت قاصدة لكل مدرع مناس³ ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على يابس⁴
قال فبكى الرشيد رضوان الله عليه حتى بل أكمامه.

سنده في شعر أبي نواس⁵

ابن رشيد: قرأت على شيخنا

أبي العز عبد العزيز الحراني في سنة 684 قال أخبركم

ضياء بن أحمد بن الحريف، قراءة عليه وأنت تسمع ببغداد فأنعم

قال

أنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز قال

أنا الشيخ والذي رحمه الله قال

أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ المعروف بابن

الحمامي قال

أنا أبو بكر محمد بن الحسن النقاش قال

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل رضي الله عنه يوما

فسمعتة يقول: كنت في البصرة في بعض مجالس العلماء، فرأيت شيخا ققيل أبو نواس،

فقلت أنشدني شيئا من شعرك في الزهد، فأنشأ يقول:

1: الديوان ص: 230: إن تمنعت - فما تزال سهام - في جنب مدرع منها - اليبس

2: نفسه.

3: نفسه.

4: نفسه.

5: الرحلة 117/3.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيبُ
الآبيات التسعة.

سنده في شعر ابن خفاجة¹

ابن رشيد: قرأت على الكاتب
أبي الحسن بن رزين قال سمعت على الكاتب
أبي عبد الله بن الأبار قال أنشدنا
أبو الربيع بن سالم قال أنشدنا
أبو رجال بن غلبون بمجلس شيخنا الخطيب أبي القاسم بن حبيش
قال أنشدنا
أبو اسحق بن خفاجة لنفسه وأعدها لتكتبَ على قبره:
خليلي هل من وقفة بتألم على جدثي أو نظرة بترحم الآبيات

د موضوعات الشعر الوارد في الرحلة

سنذكر فيما يلي نماذج من أبيات الشعر المفردة والتنف والمقطعات والقصائد، وذلك لمعرفة بعض معانيها وإعطاء الدليل على أن ابن رشيد كان يختار من مقال الشعر ما يناسب المقام ويقتضيه الحال.

وينبغي التنبيه على تقسيم هذا الشعر إلى موضوعات رئيسة من الشعر الديني وما يتفرع منه من المديح النبوي كمثال النعل الكريمة وما قيل في الحج والحجيج والحديث النبوي الشريف وشرف أهله، ونكبة الحسين والزهد والتصوف.

وبعد ذلك نخلص إلى أغراض أخرى كالمدح والفخر والثناء والهجاء والاستصراخ والغزل والنسيب والشكوى من الدهر وغير ذلك مما يتصل بالسخط والرضا

¹: الرحلة 70/6 والديوان 361، وقد سبق التنبيه على ما فيه من الاختلاف عن رواية الرحلة.

والرجاء والخيبة، وبعد ذلك نذكر شيئاً عن الوصف وما يتعلق بنظم العلوم، والنوادر والألغاز.

1- الشعر الديني

لقد عرف الشعر الديني على مر العصور ازدهارا عظيما سواء في الغرب الإسلامي أم شرقيه، وذلك لعوامل كثيرة ومتشعبة، بعضها يرجع إلى شعور المسلم نحو بعض المواقف التي تعد مهمة بالنسبة لعقيدته وتاريخه ووضعه في مجتمعه، وبعضها الآخر يرجع إلى ما كان يعانيه العالم الإسلامي من غارات الأعداء وهجوم القراصنة على شواطئه مع ما يصحب ذلك من السلب والنهب، وما كان يتعرض له المسلمون من محاولات استئصال شأفتهم من الأندلس، وما كانت عليه دول الإسلام من الفتن والحروب الداخلية، وما كان يعانيه المسلم من غربة وضياح وخوف وقلق على مصيره، وشعوره بظلم الحاكمين وتمزق المحكومين ومغامرة المغامرين والمتمردين، ولهذا فاضت القرائح بذلك الشعر لتعبر به حيناً عن الشعور نحو بعض القيم المقدسة وحيناً آخر عن ذلك الجو القلق، أو ليكشف عن تلك النفوس المضطربة اليائسة.

وهذا الشعر قد يسمو تارة ويعلو إلى درجة الإجادة عندما يطبعه الصدق والعمق والأصالة، وقد يسف وينحدر إلى درك يعود به بهرجا لا غناء فيه ولا ماء ولا رواء. حتى إن ابن خلدون لاحظ ذلك الاسفاف بالنسبة لبعض أنواع الشعر لدى كثير من شعرائه فقال: "كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب، ولا يحذق فيه إلا الفحول، لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة"¹. وبالرغم من ذلك نجد في قصائد المديح لأبي بكر بن حبيش ونبويات أبي اليمن بن عساكر نوعاً من الحذق والإجادة والإبداع²، أما في هذا العصر فقد انتشر الأدب الصوفي وبلغ ذروته في الشرق والغرب، لأن الطرائق الصوفية أصبحت منتشرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي وفي الشرق خاصة إذ طبعت ثقافة القرن السابع بفكر أمثال محيي الدين بن عربي³ وأبي الفرج ابن الجوزي وابن الفارض وجلال الدين الرومي والسهروردي وسعدي الشيرازي وأبي محمد

¹: ابن خلدون 504/1.

²: الرحلة 36/5 وما بعدها.

³: الصوفية بين الأم واليوم. د. سيد حسين نصر ط 1975 ص 117.

المرجاني وأبي اليمن بن عساكر وأبي بكر القسطلاني وعفيف الدين التلمساني وابن الخيمي، وكل هؤلاء كانوا قادة للفكر ورؤساء لمذهب معين أو اتجاه خاص في العقيدة والتصوف وغير ذلك.

وننبه على أنه قلما نجد في هذه الفترة عالما أو طالبا لم يقل شعرا، ولم يعبر عن عواطفه الدينية، لأن أكثر الصوفية والزهاد النساك كانوا من أقطاب البيان والأدب، وذوي قدرة فائقة على قول الشعر والإبداع فيه¹.

ويمكن دراسة هذا الشعر الديني في أنواع كثيرة منها:

أ- في المديح النبوي

ب- في الحديث وشرفه وأهله

ج- في مثال النعل الكريمة

د- في نكبة الحسين

هـ - في الحج والحجيج

و- في مذهب المالكية

ز- في الجهاد

ح- في الزهد والاستغفار والصلاح

ط- في النسيب والتصوف

أ- المديح النبوي

إذا كان لمديح النبوي فنا معروفا في الشرق منذ فجر الرسالة المحمدية، فإن هذا الفن قد عرف كذلك في الغرب الإسلامي منذ عهد المرابطين والموحدين، ولكنه اتسع ميدانه وأصبح ذا شان يذكر في ظل المرينيين، إذ برزت طرائقه واتضحت قسماته في هذا العهد، بينما نجد أن قصائد التشويق إلى زيارة الشريف معروفة قبل ذلك بأمد

¹: التصوف الإسلامي لزكي مبارك 53.

بعيد، وقد شاعت الأمداح النبوية بعد سقوط قواعد الأندلس واختلال أمور الموحدین السياسية والاجتماعية، أما قصيدة المولد النبوي فلم تظهر إلا في أوائل القرن السابع الهجري¹، فقد ظهرت في الأندلس القصيدة الطويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها ذكر لصفاته ومعجزاته والتذرع إليه للشفاعة يوم الحساب. وفي هذا العهد أيضا كثرت قصائد المعارضة بين الشعراء. وفي النصف الثاني من هذا القرن، وهو عصر ابن رشيد، كثرت قصائد المديح واتسمت بالصنعة والتكلف، ولهذا شاعت الخمسات والمسدسات والمعشرات والقصائد الملتزمة لحروف المعجم. ولا شك في أن القدر الوارد في الرحلة من أشعار المديح النبوي وما يتصل به من القصائد الحجازيات التي يزيد عدد أبياتها جميعا على سبعمائة بيت لتدلنا حقا على الأهمية التي كانت لهذا الفن والعناية الكبرى المولاة له بصفة عامة، وفي ظل بني العزفي بسبته وبني مرّين بصفة خاصة.

فمما ورد في الرحلة² من قصائد المديح النبوي، ما أجاز به أبو يعقوب يوسف ابن أبي الحسن عل بن أبي مروان المعروف بابن السماط³ — أبا عبد الله بن رشيد الذي حرص على لقائه وبحث عنه، ولكن لم يمكن له ذلك بسبب اعجال السفر فوصلته إجازته بهذا القصيد ومطلعه (الكامل):

أعد الحديث فليس بالملول عن خير مبعوث وخير رسول

وهي قصيدة طويلة مؤلفة من خمسة وخمسين بيتا ابتدأها بالتشويق إلى سماع حديثه ورؤية ضريحه صلى الله عليه وسلم، وذلك بتكبد أهوال الرحلة إليه بيثرب، ثم ذكر الشفاعة وتطرق إلى ذكر معجزة الإسراء والمعراج وجهاد الكفار وأخبار الأنصار، ثم ختم القصيدة بذكر صفاته وأخلاقه الكريمة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته رضوان الله عليهم، ومن أبياتها:

واملاً مسامعنا بطيب حديثه فهو الشفا لحر كل غليل

¹: دعوة الحق س9 ع 9-10. 1960. ص: 97 بعنوان: ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي للأستاذ محمد المنوني. وانظر دعوة الحق س12 ع 12. 1968. ص: 117 بعنوان المولد النبوي الشريف في المغرب المريني للأستاذ محمد المنوني وكذا كتابه ورقات ص 265-286.

²: الحلة 7/6.

³: هو أخو أبي الحسن على بن السماط المشهورة بتصوفه وإمامته. انظر شجرة النور 152/1 ترجمة 647، أخذ عن البرقي، وكان شعره رائقا جيدا قصره على مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلم يوجد له في غير ذلك شعر إلا النزر النافه.

وإدأب عليه مصليا ومسلما فكذا أتى في محكم التنزيل
فرحا بمغناك المقدس تبره فرح المحب مبشرا بقبول
ومن بديع قوله:

وتهزني من طيب طيبة نفحة فيطيب لي حبي وجر ذيولي
وإذا أسأت تأدبي بحماكم عفوا فإنني غبت عن معقولي
ويقول فيها:

من ذا يرى حرم الحبيب فيهتدي لتمييز المعلوم والمجهول
قمر له هضبات مكة مطلع والروضة الفيحاء أفق أفول
وختمها بقوله:

هذا الفخار ومن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيل
وعلى أولي الأبواب طرا أن يروا بذل النفوس له أقل قليل
وعليه من ذي العرش كل محبة وعلى صحابته ذوي التفضيل
ما أمرع الروض الحيا وتضوعت ربا نسيم في الغدو عليل

وقد علق ابن رشيد على شعر ابن السماط فوصفه بأنه نظم بارع أخذه الناس عنه وسمعوه منه، وجله أو كله في أمداح النبي صلى الله عليه وسلم وهو مطيل مطنب¹، ومعنى هذا أن له قصائد كثيرة في هذا الغرض. وحسب الأبيات السابقة الذكر يظهر أنه كان طويل النفس مجيدا بليغا تطبع بعض أبياته روح التصوف مثل قوله: "وإذا أسأت تأدبي بحماكم ... البيت" وكانت هذه السمة غالبية على الشعر المشرقي بتأثير مذهب ابن عربي الشائع.

ومن قصائد المديح النبوي البديعة أيضا قصيدة صاحب ابن رشيد بتونس ورفيقه في توجهه معه برسم الحجاز: الفقيه الصوفي الفاضل أبي محمد عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن السليم الأزدي الطبري الشريشي المتزهة المتطور. فقد أنشد لابن رشيد قصيده الذي مطلعها (الطويل)²:

¹: الرحلة 7/6 وشجرة النور 182/1.

²: الرحلة 17/2.

محاسن أنوار تروق إذا تجلى وآيات أوصاف تفوق إذا تتلى

وهي تتألف من خمسة وعشرين بيتا، وذكر فيها أصله صلى الله عليه وسلم ونسبه وصفاته ومعجزاته ومقامه بين الأنبياء وفضل الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم. وتخللت أبياتها مصطلحات التصوف والمنطق، مما يدل على بعد شأو هذا الشاعر في ميدان الشعر والتعبير عن مكانم النفس واستقراء التاريخ، وفيها أيضا ذكر للنعل الكريمة وإيراد لبعض معاني العلوم كالنحو والمنطق وغيرهما ومن أبياتها

تجلى بها المختار من آل هاشم فما ظلمة إلا بأنواره تجلى
فشرفت العقل السليم محاسن كما شرفت آيات أوصافه النعلا
وكمل فخر الأنبياء فخاره فكانوا له وضعاً وكان له حملا
فكان دليلا للكمال مكانه فصار كذلك الحرف والنقط والشكلا
فما قوله لو بالضمير يقولها ليفعلها إلا ويسبقها فعلا
عليم بما قد كان أو هو كائن ولكنه شاء أن يعرف الجهلا
يعاين فيه كل جود طبيعة فتألم منه النفس أن يسمع البخلا
وفيها من معانيه الطريفة والبديعة:

أتى بعد كل الأنبياء زمانه فهذا هو البعد الذي يسبق القبلا

وختمها بقوله:

سدلنا ذيول التيه فخرا بحبه وفي غير هذا الحال لا ترتضي السدلا
لقد كان ذكر المصطفى وثناؤه فكان لدى الافواه مستعذبا سهلا
وكل جديد لا محالة لليلي وذكر رسول الله في الدهر لا يبلى
نواصل فيه كل حين صلاتنا ولم لا ورب العرش من قبلنا صلى

ومن سمع هذا السحر الحلال لا بد أن يعذر أبا محمد المرجاني الصوفي وهو يقبل على سماع الطبري الشريشي هذا، لأنه كان يصادف هوى في كل نفس¹، ويثير أريحة الشعراء السائرين في هذا المهيع، وقد صادف شعره هوى في نفس المرجاني لأنه يجمع بينهما الاتجاه الواحد والعب من منهل الزهد والتصوف، لأن الطيور على أجناسها تقع.

¹: انظر ترجمتي المرجاني والطبري في شيوخ ابن رشيد بتونس والرحلة 17/2.

وفي الرحلة من لهم نفس طويل في هذا الميدان كأبي اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر¹ الذي أجاز لابن رشيد كثيرا من شعره، وكان أبو اليمن زاهدا مجاورا بمكة صالحا خيرا ومشاركا في العلم بديع النظم لطيف الشمائل صاحب توجه وصدق² وله قصائد طوال بديعة منها ما كتبه لابن رشيد ومنها ما أخبره به صاحبه أبو عبد الله ابن الحكيم، ومن ذلك قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ومطلعها (الطويل)³

أرحها على ريم فقد جاوزت كشدًا⁴ واجد بلاغا فقد بلغت بها مجدا

وفيها أربعة وتسعون بيتا. وقد وصف فيها رحلته إلى ضريحه صلى الله عليه وسلم وما لاقاه فيما من الوعشاء، وحالة نفسه وتشوقه، وذكر الشفاعة والدعوة وحاله مع الكفار ورجاء الوقاية من عذاب جهنم وغير ذلك مما يتصل بالدعاء والاستغفار. وقد استعان في ذلك بالبديع من التجنيس وصوره والاقتناس من القرآن الكريم والأخذ من الحديث النبوي الشريف. ومما ورد فيها من الأبيات:

فألق العصا بين العقيق إلى قبا	إلى أحد واجعل لها أحدا حدا
هي الدار نعم الدار أشرب حبها	قلوب محبيها فهاموا بها وجدا
فأخرج من في النار من كان مؤمنا	ولم يبق إلا من استوجب الخلدًا ⁵
فمن ذا له جاه لديه كجأه	ومن ذا الذي أجدى علينا كما أبدى
أتاهم بقرآن ليرشدهم به ⁶	فردوا عليه القول كفرا به ردا
يبشر ذا تقوى وينذر من طغى	وعيدا لمن يخشى ومن يرتجي وعدا
فيا ضلة الأحلام ظلوا بجهلهم	عكوفًا على الأصنام قد عبدوا ودا
وكم آية دلت وكم من دلائل	بصدق رسول الله أوضحت الرشدا

¹: الرحلة 37/5.

²: شذرات الذهب 395/5 وفوات الوفيات 328/2.

³: الرحلة 41/5.

⁴: كشد: موضع بين مكة والمدينة (حاشية المخطوط من الرحلة).

⁵: ينظر إلى قوله تعالى: ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد. فصلت 28 وانظر حديث: كل خالد في ما هو فيه:

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 59/2.

⁶: انظر سورة الجن الآية 2.

وكم من براهين تواتر نقلها
أعد ذكره بالله يا ذاكر اسمه
أيا ربّ أوردنا، حنانيك، حوضه
وانعم برؤياه عيونا مشوقة
وهبنا يقيننا من عذاب جهنم
ولا تخرجنا عند الحساب وهننا
ويقول فيها:

مدحتك يا خير البرية أرتجي به منك قربا لا أرى بعده بعدا
ويظهر لنا من قراءة قصيدة ابن عساكر أنها ملحمة دينية رائعة لأنها ضمت
كثيرا من خلجات النفس وتعبيرات شتى عن الشوق والحنين إلى تلك الديار المقدسة مثل
قوله: "أعد ذكره بالله يا ذاكر اسمه ... البيت. وفيها عرض لشتى المشاهد الدينية التي
تنم عن تصور أبي اليمن الواسع وإدراكه الشامل، وفيها صور رائعة مقتبسة من القرآن
الكريم، بل إنه ضمنها آيات كثيرة فأضفت عليها سمة البلاغة والبيان.
وورد له في قصيدة أخرى حجازية مديح للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه
(الحفيف):³

شمت برقا شاميا من شآم من تهام عل نوى واغتراب
بت تستنشق الجنوب وقد هبت بليل سليلة الأثواب
كيف جانبتها وأنت محب هل محب رأيته ذا اجتناب
ومن قوله مجنسا:

فاحمد الله إذ بطيبة طابت أنت ثاو، وكنت طاب ابن طاب¹

¹: انظر سورة مريم الآية 6.
²: انظر سورة الكهف الآية 10. ولاحظ كيف اقتبس معاني الآيات الأنفة الذكر.
³: الرحلة 38/5.

بين قبر ومنبر أنت منها غاديا رائحا بلا إغياب²
ومنها:

أفضل المرسلين حقا بلا شك—، وخير الورى بغير ارتياب
صفوة المصطفى أفرد بالحلب—، وبالقرب فهو لب اللباب

وفي هذه القصيدة أيضا بعض المعاني السابقة، ولكنه أضفى عليها من الأوصاف
صور البرق الشامي وجنان الخلد، واقتبس فيها من الحديث النبوي الشريف: "ما بين
قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" ويظهر من هذه الأبيات أيضا أن أبا اليمن كان قد
أخذ بسهم وافر في هذا الميدان.

ومما يتصل بالمديح النبوي ما كتبه أبو بكر بن حبيش³ لابن رشيد بما يزدهي
نظمه بنظم الفريد، وقرأه عليه ومطلعه (الكامل):

يا خير من هو لئله رسول أنت الشفيع وجاهك المأمول
وفيها ثلاثة وخمسون بيتا، وفيها يقول:

ولواؤك السامي غدا في محشر والظل منه على العباد ظليل

ومقامك المحمود جل فقدرك المرفوع فيه وقولك المقبول
بك فتحت عدن ولولا أنت لم يشمل عصاة المؤمنين دخول
شرفت بمبعثه العوالم إذا غدا بكماله لجميعها تكميل
والله خص الأنبياء بفضله وعلى الجميع لأحمد تفضيل
يا روض طيبة طاب منك حفيلا لا صبر عن ذاك الجمال جميل⁴
كيف التصبر عن مغان حلها بالأمس جبريل وميكائيل
ومنها هذا البيت البليغ:

¹: هذا البيت ينظر على قول كثير بن كثير في عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا عمر بن الخطاب مقابل الاعراق في الطاب بالطاب. لسان العرب (ط. ي. ب.).

²: أغب القوم وغب عنهم: جاء يوما وترك يوما.

³: الرحلة 45/6.

⁴: ينبغي أن يقول (جميلا) بدلا من جميل المرفوعة.

وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وفي الرجوع يطول¹

ومنها في بديع التنجيس:

والنفس أنفس ما لدي بذلتها طوعاً لطاعته وذاك قليل

ومنها:

فعسى جوارك في الدنا ورضاه في

جناته وهنا انتهى التأمل

وقد سمع ابن رشيد هذه القصيدة على ناظمها ابن حبيش وذلك في 20 جمادى الأولى 685 هـ بتونس وسمع الفقهاء الجلة أبو عبد الله ابن الحكيم وأبو العباس أحمد ابن محمد المرسى وأبو عبد الله بن عيسى.

وإذا عرفنا أن أبا بكر بن حبيش كان قد خص شعره كله أو جله بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، أدركنا ماذا يكون قدر ديوانه في ذلك، فهو المجيد أدباً ونثراً. وبما أنه كان صوفياً زاهداً فلا شك أن له قصائد طويلة في ذلك الموضوع²، ثم إنه كان قد اعتزل القول في أغراض الشعر الأخرى، مع القدرة على القول فيها، وإذا خاطبه أحد أناب عنه تلميذه وصاحب ابن رشيد، أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد بن مبارك الصوفي الذي كان مندوباً للإجابة عنه³. وعن هذا الالتزام الذي أخذه ابن حبيش على نفسه ليدلنا على الإخلاص لقضية أخذت عليه قلبه وعقله، وهي قضية الحب النبوي.

وإذا أردنا تقويم اتجاه ابن حبيش في هذا الميدان، لنقدره حق قدره، فإن ترجمة ابن رشيد الثانية له في الجزء السادس⁴ لأصدق برهان على إبراز جوانب أخرى غامضة لهذا الشاعر وذلك في قوله: "ومما قرأت في ذكر أسماء تأليف شيخنا أبي بكر، التي صدرت عنه في الامداح النبوية والمراثي الحسينية، نفعه الله بذلك كله كتبها لنا بخطه

¹: انظر أيضاً ما جرى في هذا البيت بين ابن رشيد وابن حبيش في (النقد والبلاغة).

²: انظر أزهار الرياض 174/5.

³: الرحلة 5/2.

⁴: الرحلة 5/2.

صاحبنا المحدث الأديب أبو العباس الأشعري أشعره الله لباس التقوى...¹ ثم ذكر صفحة ونصف صفحة من تلك التأليف والقصائد المفردة ومنها:

الحقائق اللسانية والطرائق الحسانية، وهي تخميس مرثي حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخميس معارضتها لابن أبي الحصال² وكذلك فوائد الزمان وفوائد الشقراطية وفوائد الجمان وهي على ثماني مغصنات على القصيدة الشقراطية، وقد ذكرها مفصلة. وكذلك العقيلة الحالية والوسيلة العالية، وهي تخميس القصيدة الفريدة لأبي عبد الله ابن أبي الحصال المسماة بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب، وسبحانية النجار ورحمانية المستجار. وثراء العديم وشفاء السقيم. وبراعة المطنب وضراعة المذنب، وهي قصيدة طويلة مربعة الأبيات، والأريحيات الحجازية، وهي القصيدة التي سدسها بتسبيح الباري سبحانه وتعالى وسماها ثراء العديم وشفاء السقيم، وكذا سقيا السحابة في عليا المصطفى والصحابة. وغير ذلك مما يطول ذكره بالتفصيل.

ولا ينبغي أن تغفل عن خاصية أخرى لهذه القصائد المدحية، وهي خاصية المعارضة، فكلما أخذت قصيدة بلب الشاعر عارضها بما يشبهها أو بما يزيد عليها حسنا وجمالا، ويفوقها بلاغة وبيانا.

ولما حل ابن رشيد وصحبه بالينبوع، وكان ذلك اليوم قَائِظًا أقبل عليهم المغنون بهذه الأبيات: (الخفيف)³

أيها القادمون أهلا وسهلا	كيف نجد وكيف بان المصلى
كيف خلفتم العقيق وسلعا	وقباء والنقا ومن ثم حلا
فأجابوا لله ما كان أهنا	زمن الملتقى وما كان أحلى

فعلقت هذه الأبيات، لترديدهم إياها، بحفظ ابن رشيد وصاحبه ابن الحكيم، ولما وصلا تونس ذكرا هذه القصة لشيخهما ابن حبيش وسأله ابن الحكيم أن يذيلها فأجاب

¹: الرحلة 34/0.

²: أزهار الرياض 174/5.

³: الرحلة 46/0.

منعما مفصلا مطيلا ومجزلا وكتبها لهما بخطه وسمعاها تقرأ عليهما، وجعل الأبيات السابقة صدرها فقال (خمسة وخمسون بيتا)¹

حيث روض النعيم بالانس يجنى وعروس السرور بالسعد تجلى
حيث دار الحبيب تدعى سماء والذي حجبت من الشمس أعلى
وحلى حمده من البدر أبهى وعلا مجده من الصبح أجلى
من رأى ذاك المحل المحلى كيف بالصبر بعد يتحلى
وقد سار على هذا المهيع ملتزما فيها البديع والتجنيس خاصة وغير ذلك من
الاقتباس من أنوار القرآن الكريم، ومنها:

طيبة الطيبين قدس منها منزل هيئت به الخلد نزلا
ليس لي غير حب أحمد ذخرا ليس يبلى إذا السرائر تبلى
هو لي في قبري وحشري كما قد همت فيه هماً وكهلاً وطفلاً
ليس إلا محمد قيل فيه سيد الخلق وحده ليس إلا
مصطفيه² أحبه وحباه بخصال حازت من السبق خلا
ما عسى ينتهي له كل مثن والمثاني بوصف علياه تتلى
وهذه القصيدة كما قال العياشي في رحلته³ "سلسلة غريبة المناحي رائقة
الألفاظ، عذبة المعاني" وخصوصا في أبياته الأخرى التي يستعرض فيها كثيرا من أعلام
قصص الحب العفيف:

كيف يدنو إلى دنية دنيا من له ذاك الجلال تجلى
أجميل ينسى بثينة أو يرضى بذاك الجمال دعدا وجملا
أو لقيس لبانة غير لبنى أو يرى عروة لعفراء مثلا
أو يزيد سوى حباة يهوى أو كثير عن عزة يتسلى
أصعب الهجر في المحبة هجر ذاقه الصب بعدما ذاق وصلا
ومن بديع أبيات ذلك القصيد قوله:

1: انظر هذه القصيدة في رحلة العياشي 239/2 نقلا عن الرحلة وقد أورد منها ستة وعشرين بيتا.

2: في رحلة العياشي: مصطفىاه.

3: نفسه 240/2.

قلبوا القلب تبصروا فيه للروضنة والاقبر الثلاثة شكلا
واقراوا للوى بخدي طرسا عفر الخد حيث أوطأ نعلا
وقبول الصلاة والصوم إن متــــ، فحاوله حيث صام وصلى
هاك يا ربع الأحبة مني أربعا أمنت محبك محلا
ومقلتي مزنة وحبني روضا وقريضي ورقاء وصدري ظلا

ففي هذا الجانب من القصيدة رموز وإشارات إلى ما تضمنه الأدب العربي من
قصص الحب العذري، واشتمل عليه التاريخ من أحداث ووقائع مشهودة ومشهورة، بله ما
فيها من صور التصوف وعبارات الوجه، مما يدل على أن ابن حبيش كان ذا أفق
واطلاع واسع على التراث العربي والثقافة الإسلامية، ولهذا كانت اللغة تنقاد له
انقيادا، والأفكار تتثال عليه انثيالا لكثرة تمرسه بهذا الفن.

ويصدق على هذه القصيدة قول ابن رشيد نفسه: أن في كل بيت منها قصيدا لأن
جميع أبياتها درر منظومة في سلك ذلك الشعر الجميل البديع، ومنها هذه الأبيات التي
يفضل فيها مكان البقيع ويتمنى أن يضم رفاقه بعد أن تفارقه روحه:

وإذا أرمد البكاء جفوني فاحملوا لي من ترب يشرب كحلا
حلية المؤمنين لثم ثراها يا إلهي فلا تمثني عطلا
ليس مثل البقيع بقعة رحمى فعسى أعظمي به ليس تبلى
وختمها بقوله حامدا ومسبحا ومصليا ومسلما:

وختام القريض حمد الاله العرش سبحانه تعالى وجلا

وكمال الصلاة يهدي إلى أكمل هاد ساد البرية كلا

والرضا عن آل الهدى ولحا الله غواة لم ترع للال إلا¹

ومن القصائد التي تكتسي خصيصة أخرى من خصائص المديح النبوي من حيث
الشكل، كتكرار اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ما انشده أبو محمد بن الزجاج لابن

¹: الآل: العهد والقراءة.

رشيد بالمدينة المنورة¹ قال أنشدنا والدي أبو عبد الله لظاهر بن محمد المرزيان الشحامي لنفسه: (الكامل)

لاصلين على النبي محمد أبداً كما يرضى، وآل محمد
خير الصحابة في الورى أصحابه وأعزُّ بيتٍ أهل بيتٍ محمد

ولم يورد ابن رشيد جميع القصيد لطوله، ولكنه أجمل فحواه بقوله "ثم ذكر خلقة المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر أوصافه وأسماءه والبعثة والرسالة وإظهار الدين وإكماله وخصائص الإسلام والمعراج وإبلاغ الرسالة، ثم انتقل إلى ذكر الصحابة وحسن مؤازرتهم إياه وشرفه صلى الله عليه وسلم في القيامة وخصائصه فيها ثم قال: مضمنا قوله شعر حسان بن ثابت.

قد قال حسان وقولي قوله في مدح خير العالمين بحب محمد
ما إن مدحت محمدا بمقاتلي لكن مدحت مقاتلي بمحمد
ثم انتقل إلى غرض الاعتذار فقال مسوغا لفعله من تكرار اسم النبي صلى الله عليه وسلم:

أكثرت تكراري لذكر محمد حبا له فخرا بحب محمد
حب هو الإيمان إيثارا على حب الورى والنفس حب محمد
وبذاك قد قر الورى ليشيهم عشرا بواحدة إله محمد²
لا يقبل الله الصلاة من امرئ ما لم يصل على النبي محمد
حجب الدعاء عن السماء إذا علا دون الصلاة على النبي محمد³
أو ما عليه سلام مكة سلمت¹ وتنكست أعناقها لمحمد

¹: الرحلة 7/5.

²: قال تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الأنعام 160.

³: وهذا ينظر إلى حديث: ما دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب، وانظر كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيق للحافظ السخاوي 95/3.

أوفوا الصلاة عليه ثمة سلّموا حتى تروا رضوان رب محمد

يا رب أكرمنا وأكرم نزلنا واغفر لنا وارحم بحق محمد

يا رب واخصص بالكرامة عبده الراجي لفضلك طاهر بن محمد

فهذه القصيدة عظيمة التأثير في النفس لما فيها من المعاني السامية المقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم إن هذا التكرار له دلالة قوية على تثبيت المعاني بنوع من الجرس أو الإيقاع الرتيب، ولكنه يلذ النفس والأذن، وهو يقول إن المراد بذلك التكرار تقوية المعاني الصورية وتثبيتها في العقل².

وهنا لا نغفل عن لون آخر من المديح النبوي الذي قد يقع في رؤيا يراها الرجل، فيقع ذلك في قلبه ويهتاج بذلك فؤاده، فيجد وجدا. وقد نظم ابن رشيد رؤيا وهو بموسطة بحر الاسكندرية في قصيدة يخاطب فيها صديقه ابن الحكيم ومطلعها (المتقارب)³.

أيا حائز العلم نوعا فنوعا ولو حل منك محلا قصيا

وقد شرح فيها تلك الرؤيا التي رآها كأنه يزور النبي صلى الله عليه وسلم ويدنو من القبر الشريف دنوا ويلثمه فيغمره بذلك وقار وخوف أفيضا عليه، ثم طلب من صاحب ابن الحكيم أن يعبر ذلك المنام، فأجابه بقصيدة منها⁴

فقد صح في ذاك زر كي تزا	د في الحب قدرا رفيعا سنيا
سلوكك من هديه منهجا	رضيا وقصدا سليما سريا
وشغلك دأبا بنشر الحديث الـ	ذي قد غدا اليوم علما خفيا
وأما وقوفك من قبره	بقدر الذراع وقوفا مليا
فكونك أصبحت من علمه	بغرف الأسانيد منه مليا
سيلقاك يوم المعاد بوجه	يلوح من البشر طلقا وضيا

¹: انظر نبذة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب: عيون الاثر في فني المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمرى. ط 2 74-1.

²: انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب 495/2.

³: الرحلة 1/6.

⁴: الرحلة 2/6.

كما قد اتخذت ثقاه شعارا فحييت برا تقياً زكياً

ففي هذه الأبيات تعبير صادق عن الرؤيا الصادقة التي رآها ابن رشيد، إذ انه لما توسم فيها شيئاً ذا معنى، ورغبة في النفس أكيدة إلى رؤية المقام الشريف، ذكرها لصديقه الذي كان يفهم نفس ذلك المعنى ويشعر ذلك الشعور، وما رحلتها إلا تحقيق صريح لتلك الرؤيا، ولهذا عبرها ابن الحكيم تعبيراً واقعياً يشرحه الحال والنية القاصدة، وهكذا نجد في قصيدة ابن الحكيم تفصيلاً لكيفية آداء الفريضة آداءً كان يكمن في نفس ابن رشيد وصاحبه، هذا إذا عرفنا أن الرؤيا وقعت، وهما راجعان، على ظهر بحر الاسكندرية في طريقهما إلى مدينة طرابلس، وحق لظاهرين متطهرين أن يريا في المنام ما يسمو بالنفس ويعلو بالروح إلى ذلك المقام العالي الذي راماه، فكان تحقيق الأرب وبلوغ المقصد.

ثم إننا نجد في هذا الأبيات رفعا من مقام الحديث والمحدثين كما سنرى بعد في فضلهم وشرفهم.

وصفوة القول في خصائص المدائح النبوية أن أغلبها يمتاز بالإطالة والإسهاب حتى يتسنى للشاعر أن يفرغ كل ما في كنانته من شعور بالحب للنبي صلى الله عليه وسلم وآله وشوقه إلى زيارة قبره في المدينة المنورة، وبالرغم من أن هذه المدائح النبوية تشترك في كثير من العبارات المعينة واستعمال أسلوب متشابه، وتتداول بينها كلمات متعارفاً عليها، إن لكل شاعر طابعه الخاص به يرجع إلى ثقافته الخاصة وميله إلى فن معين من فنون المعرفة، ولهذا جاءت متنوعة لكل منها شخصيتها وطابعها وذوقها وطريقتها الخاصة في العرض، إذ إننا عندما نقرأ قصائد ابن حبيش، وننتقل إلى قصائد أخرى لأبي اليمن بن عساكر أو ابن السماط أو الطبري أو الشريشي، لا نشعر بالاملال وطابع التكرار، وإنما نستمتع بألوان متباينة ونستلذ طعوماً ومشارب مختلفة، فبعضهم مثلاً يغلب عليه التصوف، وبعضهم الآخر تستميله الطريقة الأدبية.

وأما الميزة الأخرى فهي ميزة المعارضة للقصائد البديعة والنسج على منوالها كما فعل ابن حبيش الذي عارض قصائد كثيرة لشعراء مشهورين كابن أبي الحصال ذي الوزارتين وأبي الفضل النحوي وأبي بكر بن يوسف النجار السبتي وأبي تمام وغيرهم.

وهناك خاصية التكرار لاسم النبي صلى الله عليه وسلم¹ أو تكرار شطر معين في القصيدة من أولها إلى آخرها كما فعل طاهر المرزيان الشحامي في تكرير اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك تكريماً له وتشريفاً. ثم إن هناك خاصية ذكر اسم المادح ضمن قصيدته كما فعل الشحامي أيضاً:

يا رب واخصص بالكرامة عبده الراجي لفضلك طاهر بن محمد

ولكن أبرز ما يخص القصائد المدحية في أواسط القرن السابع وأواخره هو التصنع والتكلف وتحليتها بأنواع من الزخارف الشكلية، وإن كثرة تلك المعارضات مصداق ذلك، إذ إن الشعراء كلفوا بالتزييع والتخميس والتسديس والتعشير، وهم يطلقون في ذلك عنانهم في فنون القول، فيأتي أغلبهم بالعجب العجاب.

وأما الخصائص الفكرية والمعنوية التي تمتاز بها هذه القصائد فهي ذكر مكارم النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ومنزلته بين الأنبياء صلوات الله عليهم، وذكر تفصيل لمعجزاته والحديث عن الإسراء والمعراج، وقد يذكر فيها بعض الأخبار عن نشأته وأولويته وشيء عن بدء الدعوة الإسلامية ومراحلها الأولى وتأييد الصحابة له. وكذا شجاعته وصفاته الخلقية والخلقية وشيء عن مآتيه ومغازيه ومواقفه المشهودة المشهورة.

فهذه القصائد تملأ الأسماع بطيب الحديث وتشفي حر كل غليل وهي أيضاً سبب الغيبة عن المعقول لذة وانتشاء، فالنبي صلى الله عليه وسلم يجلو الظلمات وينير بهديه القلوب، وهو فخر الأنبياء، لأنهم وضعوا الرسالات وحملها ... إلى غير ذلك من المعاني التي تضمنتها القصائد السابقة الذكر.

وقد أشار الدكتور زكي مبارك إلى أن كثيراً من القصائد التي قيلت في المديح قد مزجت بشيء من التصوف، ثم إنها غالت في بعض وجوهه². ولكننا عندما نستقري هذه القصائد التي بين أيدينا لا نجد فيها شيئاً من الغلو المستكره أو ذكر الصفات التي لا يصدقها العقل سواء من حيث الشفاعة أم ذكر مشاهد يوم القيامة التي تتصل بذلك،

¹: انظر ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعدم السأمة من تكرارها: تدريب الراوي 74/2.

²: للتصوف الإسلامي 200/1.

ولكن هؤلاء الشعراء لم يذكروا في الغالب إلا صفات مألوفة نجد لها ذكرا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ب - في الحديث وشرفه وأهله

كان للحديث وأهله شرف عظيم، لأن "علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة وأنفع الفنون النافعة، يحبه ذكور الرجال وفحولهم، ويعنى به محققو العلماء وكملة¹". وإن بعض من كتب عن الحديث والمحدثين خصهم بأوصاف كثيرة منها: خلفاء الرسول، وحملة العلم، وخير العباد، وذكور الرجال²، وأمناء الله، وغير ذلك من الأوصاف الجليلة³.

ثم إن هذا العلم "يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء فيه من وجوه الوعد والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحددين .. وفيه قصص وأخبار ومواعظ وسير تاريخية وأحكام وقضايا وخطب وعظات وأعلام ومعجزات، وفيه تفسير وأقاويل الصحابة وآراء الفقهاء المجتهدين، وهو الوسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمتة⁴". ولهذا اكتسب هذا العلم بلاغة وفصاحة تأتي مباشرة بعد بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه، والسنة قاضية عليه، ومقتضية سننه⁵.

ثم إن للحديث فضلا كبيرا على الثقافة العربية لأنه كان من الأصول التي يستشهد بها على قواعد اللغة، ومن علومه تعلم أجدادنا منهجية خاصة في الحكم على الاخبار⁶ وذلك كاتخاذ السند والتحقيق والجرح والتعديل والضبط والتمييز بين الصحيح والسقيم والصادق والكاذب من الاخبار والآراء. ولهذا كله وجد هذه العناية الفائقة في الوسط الإسلامي، إذ ألفت فيه كتب لا تعد ولا تحصى، وأفرد بدراسات خاصة تعد دررا في المنهجية واستنباط الأحكام.

¹: مقدمة ابن الصلاح 3.

²: إفادة النصيح 4 وشرف أصحاب الحديث 70.

³: ذكر أبو بكر الخطيب في كتابه شرف أصحاب الحديث 45 خمسة وأربعين وصفا من أوصاف المحدثين انظر ص: 145-146 وانظر أيضا كتاب أدب الإملاء والاستملاء لأبي عيد عبد الكريم السمعاني وابن الصلاح ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري بصفة عامة وكتاب الالمام للقاضي عياض ص: 17-44 بصفة خاصة.

⁴: شرف أصحاب الحديث 8-7.

⁵: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 55/1.

⁶: الحديث النبوي لمحمد الصباغ 16.

فمما ورد في الرحلة¹ في شأن علم الحديث ما أنشده أبو الحسن الغرا في السني قال أنشدنا الحافظ أبو عبد الله محمد الديب² ولم يسم قائله: (الكامل)

علم الحديث فضيلة تحصيلها بالسعي والتطواف في الأمصار
فإذا أردت حصولها بإجازة فقد استعضت الصفر بالدينار

ففي هذين البيتين إشارة إلى أن الحديث كان يتفقه فيه بالتجوال في الآفاق والاتصال بالعلماء والسماع منهم مباشرة دون واسطة بل إن طلب علم الحديث واجب³ على كل مسلم، وأن الرحلة في طلب الحديث فضيلة وأي فضيلة⁴، وقد روي عن يزيد بن هرون قال: قلت لحماذ بن يزيد: يا أبا إسماعيل هل ذكر الله عز وجل أصحاب الحديث في القرآن فقال: بلى، ألم تسمع إلى قوله:

"ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم"⁵.

فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ويرجع به إلى من وراءه يعلمهم إياه⁶. بل إن عكرمة مولى ابن عباس كان يقول إن المقصود من كلمة "السائحون"⁷ الواردة في القرآن طلبية الحديث⁸.

ومما يتصل بهذا المعنى ما أنشده المحدث جمال الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى القرشي لابن رشيد قال:⁹

أنشدنا أبو الفضل الهمداني قال: أنشدنا الحافظ السلفي قال أنشدنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج اللغوي¹ ببغداد لنفسه (مجزوء الكامل)

¹: الرحلة 11/3 والعبدري 111 والاعلام للمراكشي 211/4.

²: ابن الديب هو محمد بن أبي المعالي سعيد (553 هـ-637 هـ) محدث وفقيه ومؤرخ. انظر عنه ابن خلكان 394/4 والشذرات 135/5.

³: الاماع ص: 6.

⁴: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ط1 1975 بيروت ص: 16.

⁵: التوبة 122.

⁶: شرف أصحاب الحديث 50-59.

⁷: التوبة 112.

⁸: شرف أصحاب الحديث 60.

⁹: الرحلة 74/3.

لله در عصاۃ یسعون فی طلب الفوائد

يدعون أصحاب الحديث بهم تجملت المشاهد

طورا تراهم بالصعيد² وتارة في ثغر آمد³

يَتَّبِعُونَ مِنَ الْعَالَمِ بِكُلِّ أَرْضٍ كُلِّ شَارِدٍ

فهم النجوم المقتدى بهم إلى سبل المقاصد

وقد أنشد ابن رشيد هذه الأبيات بلفظه على شيخه القرشي يوم الجمعة 26 رجب 684. وتنبين من خلالها مهمة المحدث في الحل والترحال من أجل رواية الحديث والتحقق من صحته والتثبت من ذلك، فهو تارة بأقصى الجنوب وأخرى بأقصى الشمال باحثاً عن العلم والعلماء ليملاً عيبته.

ومن ذلك ما رواه ابن رشيد عن أبي عبد الله السلاوي⁴ قال أنشدنا أبو الحسن الحرالي⁵ لنفسه في نظم الحديث (مجزوء الكامل)

بين النبوة والرسالة أمر له من⁶ الأمر ما له

بیت عزیز لا تری إلا لرسول به وآله

ومن ذلك ما كتبه أبو عبد الله بن حيان الشاطبي لابن رشيد⁷ بالسند إلى أبي القاسم بن عساكر لنفسه⁸ في جمع الحديث وفضله (الكامل):

¹: ابن السراج حافظ عصره وهو صاحب كتاب مصارع العشاق. روى عنه أبو طاهر السلفي، وكان يفتخر بروايته. ولد سنة 417 وتوفي سنة 521 وأكثر أشعاره في الزهد والفقه. انظر عنه معجم الأدباء 153/7 ووفيات الأعيان 357/1 ترجمة 135.

2- في كتاب الجزيرة للأصمعي: بعدد منازل بني عقيل وعامر قال وأرض بقيّة عامر صعيد والصعيد بمصر بلاد واسعة. معجم البلدان لياقوت 400/3.

3. بلاد قديم حصين مبني بالحجارة السود على نشر دجلة وينسب إليه خلق من أهل العلم في كل فن ياقوت 56/1.

4: الرحلة 44/2.

⁵: أبو الحسن الحرالي أندلسي زاهد له فضائل وكرامات ومناقب وبينه وبين ابن عبد السلام مسائل توفي سنة 637 هـ.

شجرة النور 181 ت 592 وعنوان الدراية 145 ونفح الطيب 387/2.

6: كتب في هامش المخطوط: ام الامر ليستقيم الوزن وقد كتب في النص من الأمر.

7: الرحلة 23/2.

⁸ :: هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المحدث الفقيه صاحب كتاب تاريخ دمشق المشهور. وفيات ابن

واظب على جمع الحديث وكتبه واسمعه من أربابه نقلا كما
واعرف ثقات رواته من غيرهم وهو المفسر للكتاب وإنما
فتفهم الاخبار تعرف حله وهو المبين للعباد بشرحه
وتتبع العالي¹ الصحيح فإنه وتجنب التصحيف² فيه فربما
فكفى المحدث رفعة أن يرتضي ويعد من أهل الحديث وحزبه³

هكذا اجمل لنا ابن عساكر كيفية طلب الحديث وحثنا على معرفة علله وطرق
إسناده، وبين أن السنة مستمدة نورها من القرآن الكريم ومفسرة لأحكامه ومقتبسة من
جواهر معانيه، وحث كذلك على تحري العالي الصحيح، وأن لا يركن إلى النازل فيه⁴،
وقد قال في معنى ذلك أيضا (الوافر)⁵:

ألا إن الحديث أجل علم وأنفع كل نوع منه عندي وإنك لن ترى للعلم شيئا
فكن يا صاح ذا حرص عليه ولا تأخذه من صحف فترمى
وأشرفه الأحاديث العوالي وأحسنه الفوائد في الأمالي
يحققه كأفواه الرجال وخذه عن الرجال بلا ملال
من التصحيف بالداء العضال

¹: تدريب الراوي 159/2: الإسناد خصيصة لهذه الأمة وسنة مؤكدة بالغة وطلب العلو فيه سنة ولهذا استحببت الرحلة.
²: الكفاية 247: يقول الأوزاعي: لا بأس بإصلاح الخطأ واللعن والتحريف في الحديث. الكفاية 53 والحاكم 5 وابن
الصلاح 130.
³: انظر الأبيات في السنن الابيين ص: 29 نقلا عن الرحلة.
⁴: تدريب الراوي 159/2 النزول مفضل مرغوب عنه على الصواب ابن الصلاح 130، الحاكم 12.
⁵: ابن خلكان 310/3.

ثم إن منتهى آمال المحدثين في الحديث: النقل والنقد والحرص على العلو في السند، ولا يرضون بذلك بديلا، فقد أنشد أبو الحسن بن رزين لابن رشيد ما قاله في ذلك المعنى الحافظ أبو طاهر السلفي (مخلع البسيط)¹

ليس على الأرض في زماني من شأنه في الحديث شأني
علما ونقدا ولا علوا فيه على رغم كل شأني
وهو من مشهور قوله²

ثم إن سنة علماء الحديث الاتباع لا الابتداع، وقد اجمل ذلك أبو طاهر السلفي في قوله (الخفيف)³

إن علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فإذا الليل جنهم كتبوه وإذا أصبحوا غدوا للسمع⁴

ويعتقد السلفي أن الحديث أم العلوم، بل إنه البحر الطامي الذي يغذو الأنهار، ولكن مآلها لا بد إليه آئل، وقد أنشد ابن رشيد على أبي محمد الخلاسي عن أبي الحجاج المحمدي عن الزاهد ابن تامتيت اللواتي عن أبي الحسين بن الصائغ قال أنشدنا أبو طاهر السلفي لنفسه في شرف الحديث وأهله (الوافر)⁵

إذا ذكرت بحار العلم يوما فقول المصطفى لا غير بحري
هو البحر المحيط وما سواه فأنهار صغار منه تجري

¹: الرحلة 70/6.

²: أزهار الرياض 170/3.

³: الرحلة 70/6. وقد أنشده ابن رزين لابن رشيد، وانظر كذلك مستفاد الرحلة للتجيبى 120، وانظر كذلك فساد التقليد والفرق بينه وبين الاتباع: جامع بيان العلم وفضله ص: 133: فالتقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة. انظر الجامع 143 أيضا.

⁴: وانظر ما قاله أبو اسحق الشاطبي في الابتداع: الاعتصام 49/1. والعقيدة الطحاوية 398 وجامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي ص 56.

⁵: الرحلة 49/2.

وبهذا فإن الحديث أم العلوم لأنه أطلق المقيد وقيد المطلق، ووضح كثيرا من الأحكام الشرعية، وسن للمسلمين، بعد القرآن الكريم، سنة لا يضلون بعدها، وكيف لا وهي المقتبسة من أنواره والمستهدية بمناره.

ومن أوصاف أصحاب الحديث التي أضفاها عليهم العلماء: الصلاح¹ والعقل والعفة والوقار والجلالة وغير ذلك من الفضائل التي تجل عن الإحصاء، وهذه الصفات تتجلى لنا في هذه الأبيات التي انشدها ابن رشيد على شيخه أبي محمد الخلاسي عن أبي الحجاج المحمدي عن اللواتي عن ابن الصائغ عن ابن بشكوال عن ابن عتاب قال: أنشدني أبي قال: كان بعض علمائنا يقول إذا رأى أصحاب الحديث (الكامل)²

أهلا وسهلا بالذين أحبههم وأودهم في الله ذي الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوي تقى غر الوجوه وزين كل ملاء
يسعون في طلب الحديث بعفة وسكينة وتوقر وحياء
لهم الجلالة والمهابة والنهى وفضائل جلت عن الإحصاء
فمداد ما تجري به أقلامهم أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبى علم النبى محمد ما أنتم وسواكم بسواء

ففي هذه القطعة بعض أوصاف أهل الحديث، وإذا تصفحنا كتاب شرف أصحاب الحديث لأبي بكر بن الخطيب رأينا فيه أوصافا أخرى كثيرة، إذ أن فيه أوصافا لا يمانهم وفضلهم وأمانتهم وحمايتهم للدين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحفظهم للإسلام من الاندساس، وغير ذلك مما يجل عن الإحصاء كما قال الشاعر، أو ما ترى أنه فضله على الشهداء وميزهم عن غيرهم أنهم ليسوا وسواهم بسواء.

ويتجلى لنا من خلال هذه الأبيات المعاني مدى تدبير العلماء للحديث الذي يأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، وحثهم على طلبه وتعلمه ومكابدة الصعاب والأهوال في الحل والترحاب في سبيل معرفة العالي والنازل منه. وتتميز رجاله ومعرفة من ينبغي الأخذ عنه، لأن الحديث يبين للمسلم كثيرا من المسائل في حياته الخاصة والعامة،

1: شرف أصحاب الحديث 64.

2: الرحلة 48/2.

ثم إن المحدث بجانب للبدعة مُحَالِفٌ للتقليد مخالف للاتباع والاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

وقد صاغ هؤلاء الشعراء أبياتهم في مقطعات قصار ذات معنى جلي واضح دون إغراق أو غلو في استعمال الخيال والإفراط فيه، والمحسنات البديعية لم ترد فيها إلا قليلا، وهم لم يصفوا المحدثين إلا بأوصاف معقولة موجودة فعلا فيهم، وهي مأخوذة من الواقع الذي كان يعيشه المحدث ويشعر به في نفسه وشخصه ويمثله في وسطه الاجتماعي من الأمة الإسلامية.

ثم إن هذه القصائد، بالرغم من قصرها، تعطينا صورة جلية عن شخصية المحدثين وتكوينهم العقلي والفكري والنفسي، ومركزهم في الأمة الإسلامية، وقد استعمل الشعراء في التعبير عن عواطفهم نحو المحدثين أسلوبا بسيطا، يميل إلى الأسلوب العلمي، وحتى التشابه فيه مقصورة على الواقع، لأنهم لم يصفوهم إلا بالسعي والتطواف، ويهتدى بهم كالنجوم المقتدى بهم إلى سبل المقاصد، وكفى المرء أن يعد في أصحاب الحديث وحزبهم، لأنهم يتحرون الصدق والأمانة في النقل، وهم الصالحون الأتقياء، غر الوجوه وزين كل ملاء، لهم الجلالة والمهابة، والنهي وفضائل جلّت عن الإحصاء، وأما اللغة التي استعملها هؤلاء الشعراء فهي لغة سهلة لا غرابة فيها ولا تعقيد ولا تكلف.

ج - مثال النعل الكريمة

إن ما يتصل بالمديح النبوي تلك القصائد التي نظمت في تمثال نعله صلى الله عليه وسلم، وقد عرف هذا النوع من التبرك بالأثر الكريم اهتماما وإقبالا عند الشعراء في الشرق والغرب الإسلاميين، ثم إنه ازدهر في ظل الموحدين والمرينيين خاصة.

ومما يدلنا على أهميته وشيوعه وإقبال الشعراء عليه أن المقري خصه بصفحات من أزهار الرياض وأفرد له كتابا هو كتاب فتح المتعال، وذكره في مواضع من نفح الطيب¹. ومن اهتمام المؤرخين والأدباء به أيضا ما ذكره ابن عبد الملك المراكشي² وابن سعيد المغربي³، وما ضمنه بعض المؤلفين كتبهم وكراماتهم مثل كتاب نتيجة الحب

¹: أزهار الرياض 226/3-282 وفتح المتعال: نصوص كثيرة منقولة عن الرحلة. نفح الطيب.

²: الذيل والتكملة 188/5.

³: اختصار القدح (ترجمة سعيد بن حكم ص: 20-25).

الصميم وزكاة المنشور والمنظوم من تأليف أبي الربيع بن سالم¹ وكذا مختصر فتح المتعال² وما في كتاب تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل³.

وفي الرحلة أيضا أخبار متفرقة عن ذلك الاثر وذكر لكثير من القصائد النبوية التي تشير إلى النعل الكريمة، وتشوق الشعراء إلى رؤيته، ولابن رشيد أبيات في ذلك قالها لما دخل دار الحديث الأشرافية بدمشق⁴

ومن الأشعار الواردة في الرحلة ما أنشده صاحب ابن رشيد أبو عبد الله بن حيان الشاطبي بمدينة تونس قال: أنشدني الفقيه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني التونسي (الكامل)⁵.

لمثال نعل الهاشمي محمد	جادت جفوني بالدموع الرُعْفِ
وبكاي من فرط الأسى ولوا نني	أقضي وحق جلاله لم أنصف
أوطأته خدي وقلت تعززي	ما شئت يا نفسي بهذا واشرفي
وتمسكي أبدا بحب محمد	فعساك أن تنجُو به في الموقف
صلى الإله عليه ما جن الدجى	وبدا النهار ولاح نجم أو خفي

ففي هذه الأبيات تكريم لمثال النعل وتأميل لدخول جنة الفردوس بسبب ذلك وفيها فكرة أخرى وهي فكرة التمرغ بترابه والتعفر به ويذكرنا ذلك بمعنى الطلل الذي يتردد في جل القصائد والمقطعات النعلية، فالشاعر يقف إزاءه خاضعا ذليلا كالعبد.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان لابن رشيد قال أنشدنا أبو الحسن ابن مناد لنفسه (الوافر)⁶

وجودت المراد له احتفالا	تأنق من أراد بذاك ذخرا
وما ذاك المراد كما دروه	من الأنفاس أو غنموه خبرا

¹: نقد ابن رشيد هذا العنوان واقتراح له: ...وزكاة النثر والنظيم. الرحلة 22/6. وفتح المتعال 5.

²: مختصر فتح المتعال 90. الخزانة العامة بالرباط رقم 1370.

³: مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط رقم 4440.

⁴: انظر شعر المالكية في هذا البحث.

⁵: الرحلة 25/2.

⁶: الرحلة 25/2.

ومن بديع قوله فيه:

ولكن بعض نفسي سال نفسا ففجر للبراعة منه نهرا
سويداء الفؤاد لفرط شوقي تحلل واستحال فعاد حبرا
وتمتاز هذه الأبيات أيضا بالمبالغة والإغراق في إذلال النفس وتحقيرها أمام هذا
الآثر المقدس.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن
أحمد التميمي (الطويل)¹

عن العلم الحبر الامام أبي الفضل

روينا نعال المصطفى سيد الرسل

فبادر لك البشرى بلثم مثالها

عسى أن تنال الفوز في موقف الهول

فكم لاثم ترب الحبيب لأنه مواطئ أخفاف الركاب أو النعل

وفي هذه الأبيات معنى الشفاعة وتقييل الآثر كما يقبل الحجر، وفيها الحث على
ترقب مواطئ الاخفاف أو النعل للثم ترابها لأن فيه شرفا وأي شرف.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان أيضا قال أنشدنا ابن البار قال أنشدنا أبو الربيع
ابن سالم لنفسه (الطويل)²

خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى ففي كل حال يعتريه خبال³

وفيها تسعة أبيات ومنها:

وإن ير من آثاره أثرا همت له من غروب المقلتين سجال

كحالي وقد أبصرت نعلا مثالها لنعل النبي¹ الهاشمي مثال

¹: نفسه.

²: وقد خمس بها أبو عبد الله محمد بن فرج أبياته: أزهار الرياض 226.

³: ففي كل يوم ...

ومنها في التعبير عن الحب المطلق للمثال وخصه بالهوى قوله وقد أبدع فيه:

ومثلته نعل الرسول حقيقة وإنني لأدري أن ذاك محال

ولا فرق إلا أن حب محمد هدى والهوى فيمن عداه ضلال

ومن ذلك ما أنشده ابن الأبار لنفسه (6 أبيات) (الكامل) ومنها²

لمثال نعل المصطفى أصف الهوى	وأرى السلو خطيئة لن تغفرا
وإذا أضافحه وامسح لاثما	أركانه فمعزرا وموقرا
سر اعتزازي في جهار تذليلي	لجلاله أثرا بقلبي أثرا
لي أسوة في العاشقين وقصدهم	لثم الطلول لاهلن تذكر
أولا ³ أمرغ فيه شبيي راشدا	وأريق دمعي وسطه مستبصرا
ثقة بإثرائي من الخيرات في	شغفي بنعلي خير من وطئ الثرا

ويظهر لنا ابن الأبار في هذه الأبيات متحليا بحلى الصوفية في هواه وعشقه وشغفه بنعلي خير الورى. وقد ضمنها كذلك معاني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وذلك في التّعزير والتوقير ومصافحة المثال وجعل السلو خطيئة لا تغتفر ومما أنشده ابن الأبار أيضا (الطويل)، (8 أبيات) ومنها:⁴

سجام لعمرى أدمع وسجال	لأن عز من نعل الرسول مثال
مثال إلى نعل النبوة يعتزى	فإعزازه للحُسْنَيْنِ منال
وإلى اشتراك في التزام شراكه	وحسبي منه عصمة ومنال
ومعقده مما عقدت به الهوى	فما صح عزمي إن صحا لي بال
فأحظى بحظي من جوار محمد	وهل بعد تنويل الجوار نوال

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو اسحق بن عياش قال أنشدني أبو بكر بن محرز لنفسه (الطويل)⁵

¹: أزهار الرياض 226/3 (الرسول).

²: الرحلة 26/2، ذكر صاحب أزهار الرياض منها ثمانية أبيات ويلاحظ بينها وبينه يسير اختلاف، 224/3.

³: أزهار الرياض أفلا أمرغ.

⁴: الرحلة 26/2 والديوان وأزهار الرياض 224/3.

⁵: الرحلة 26/2.

أناظر شكلي والنواظر تعتدي إذا لم تكن عن نظرة القلب تهندي
تأمل على الست المئين مؤرخا أخية أخت جيلها صحب أحمد
ونسخة أصل كنت بعض فصوله مضاف إلى كف النبي محمد
يسمونني نعلًا وتلك مجلة عن المصطفى كانت وأكرم بمحتدي
وما ضارني اسم النعل لفظا معرفا وإجلال أختي تاج كل موحد
فهو يشير إلى معنى أنه، بالرغم مما يوحي به اسمه، يحل محلا أرفع من مقام
التيجان المرصعة، وذلك بسبب نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما أنشده أبو حيان أيضا قال أنشدني أبو الربيع بقي ابن سلام قال أنشدني
غير واحد ممن سمع أبا الحسن بن سعد الخير ينشد لنفسه (الكامل)¹

يا لاحظا تمثال نعل نبيه قبل مثال النعل لا متكبرا

وفي رواية أخرى²

يا مبصرا تمثال نعل نبيه قبل مثال النعل لا متكبرا

واعكف³ به فطالما عكفت به قدم النبي مروحا ومكبرا

أو لا ترى⁴ أن المحب⁵ مقبل ظلا⁶ وإن لم يلف فيه مخبرا⁷

وفي هذا الصدد لا ينبغي أن تترك ما أورده أبو اليمن بن عساكر في قصائده في
مدح النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر مثال النعل، فقد أفرد لذلك جزءا خاصا منه
قوله في الدعوة إلى ترك الوقوف على الأطلال وديار الأحبة وذلك من أجل الفناء في
حب هذا الأثر الشريف (الكامل)⁸

¹: الرحلة 26/2 وكذلك 23/6، ووردت كذلك في كتاب الذيل والتكملة السفر 5 قسم 1 ص 189، وبين الرحلة والذيل بعض اختلاف.

²: الرحلة 23/6.

³: في الذيل والتكملة (والثم به).

⁴: نه (أو ما ترى).

⁵: نفسه (إن الشجي).

⁶: نفسه (طللا).

⁷: وانظر ما ذيله أبو أمية بن عفير على هذه القطعة: في الذيل والتكملة

ولربما ذكر المحب حبيبيه بشبيهه فغدا له متصورا (الآيات)

⁸: الرحلة 45/5.

يا منشدا في رسم ربع خال ومناشدا لدوارس الأطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر لأحبة بانوا وعصر خال
ومنه على سبيل التجنيس:

والثم ثرى أثر الأثير محمد إن فزت مه بلثم ذا التمثال
بل لك الإقبال نعلي أخص حل الهلال¹ به محل قبال²
أثر له بقلوبنا أثربها شغل الخلي بحب ذات الحال³

وقد تفنن ابن عساكر في غير ذلك من الأبيات بما أتى فيها من البديع، وقد عرفنا أنه كان مطيلا مطنبا في نبوياته التي يضمناها بعض الأبيات التي يشير فيها إلى النعل ومثاله في مدح سيد الوري.

ومما جادت به قريحة مالك بن المرحل قوله (الطويل)⁴

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ونمّم خد الطرس بالنقش راقمه
نبي له فضل على الناس كلهم مفاخره مشهورة ومكارمه
رؤوف عطوف أوسع الناس رحمة وجادت عليهم بالنوال غمائمهم
له الحسن والإحسان في كل مذهب فأثّاره محمودة ومعالمه
حفي وفي لا تمين وعوده كمي أبي لا تلين شكائمه
ومنها:

أمثله في رجل أكرم من مشى فتبصره عيني وما أنا حاله
تفيض دموعي كلما لاح نوره بكاؤك للبرق الذي أنت شائمه
فيا دمع عيني أنت تمنع ناظري نعيما به فارقق فإنك ظالمه
سلام عليه كلما هبت الصبا وغنت بأغصان الأراك حمائمهم

¹: هلال النعل ذوابتها.

²: القبال: زمام البعير والنعل، معجم مقاييس اللغة 52/5.

³: أزهار الرياض 262/3، لاحظ الاختلاف في عدد الأبيات وترتيبها.

⁴: أزهار الرياض 203/3 (عشرون بيتا) وفتح المتعال باب 3 نقلا عن الرحلة، هذا لما علما بأن الأجزاء المعروفة لا يوجد فيها ذلك، وقال: أنشد بعضه صاحب المواهب اللدنية أي كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني توفي سنة 923، كشف الظنون 1896.

سلام عليه كلما افتر بارق فراقت عيون المجد بين مباسمه
سلام عليه ما تفاوضت الربا بزهر كان المسك تحوي كمائمه
ومما يتصل بذلك ولكنه لم يرد في أجزاء الرحلة الموجودة، ويحتمل أن يكون في
الجزء الرابع المفقود، وقد ذكر أبو العباس المقرئ نقلا عن ابن رشيد¹ الذي قال: "لما
وافيت سبنة بلدنا حماها الله عائدا من وجهتي أريت ذلك المثال شيخنا البليغ الناظم
النائر أبا القاسم القبتوري، فنظم في ذلك قصيدا وكتبه لي بخطه وأسمعه لي من لفظه:
(الطويل)

تبصر تمثالا لنعل مشت بها خير الورى طرا وأسناهم قدم
وفيها واحد وثلاثون بيتا ومنها:

وكل أخي وجد يهيج غرامه إذا ما بدا، ممن يحب له علم
وكم هائم أبلى وأذكى التبايع سنا بارق من أفق محبوبه ابتسم
وكم من محيا دارس الرسم ما أحى جديد هوى في القلب منه قد ارتسم
ولا ثم آثار ليشفي ما به بما من ثرى آثار من وده ارتسم

وقد عقب ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله:

وقد أجيبت دعوة هذا السيد الفاضل ... فلم يقره الشرق ولا فارقه التوق إلى
نيل تلك البركات العميمة وإلى تلك المعاهد الكريمة، فتوجه ثانيا وحج ولم يزل بطيبة
ثاويا إلى أن أصبح بها ثاويا.

ويتجلى لنا من خلال هذه الأبيات والنماذج ظاهرة فريدة وهي اهتمام المغاربة
والأندلسيين خاصة بهذا اللون من الشعر، ومع أننا نعرف أن مثال النعل كان محفوظا في
دار الأشرقية بدمشق، كما اخبرنا بذلك ابن رشيد، فإن الشعراء المغاربة قد صاغوا منه
مثالا شعريا عمموه ونشروه وبعثوا منه إلى الآفاق ذكرا سيظل الزمان يلهج به ويذكره
دون ما إعياء أو ملالة، وأما ما ورد من ذكر النعل ومثاله لأبي اليمان بن عساكر في

¹: فتح المتعال باب 3.

قصائد المديح النبوي فإنه لا يعد شيئا بالنسبة إلى ما ذكر¹. ثم إن هذه الإحاطة وهذا الجمع المنظم والتصنيف في فن معين، ليجعلنا ننظر إلى هذا الشعر المنشود في هذا الفن، نظرة اعتبار وقدر، ونلاحظ له مميزات شكلية وفنية، وخصائص فكرية ومعنوية.

فمن المميزات الشكلية ما نجد في هذه القصائد من تشابه وتماثل في إطارها العام، فهي تلجأ إلى ذكر كلمات معينة وتعايير متفقة في أغلبها، وتشابيه وصورا واحدة، وقد لا تتباين إلا في طريقة الصياغة التي تختلف من شاعر لآخر، ونلاحظ فيها أيضا ذكر الأطلال والنسيب، فإذا كان الشاعر القديم قد وقف على الأطلال واستوقف، وذكر الأثافي، وبكى واستبكى وندب الآثار، وعد المآثر لأحبة بانوا وعصر خال، فإن هؤلاء لم يشغل بالهم إلا النعل والمثال عن حب ذات الحال.

وفي هذه القصائد تشابيه وصور يجدر ذكرها والتنويه بها مثل قول ابن الأبار:

وإذا أصافحه وأمسح لاثما أركانه فمعزرا وموقرا
أو لا أمرغ فيه شيبى راشدا وأريق دمعي وسطه مستبصرا
أو قول ابن سعد الخير:

أو لا ترى أن المحب مقبل طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

ويظهر أن اللغة المستعملة لمدح هذا المثال لغة سهلة لا تعقيد فيها ولا تكلف أو صنعة إلا ما فيها من محسنات بدعية كثيرة
مثل قول الأبار:

فاحظي بحظي من جوار محمد وهل بعد تنويل الجوار نوال

فقد أتى باشتقاق: احظي وحظي، والتنويل والنوال وتكرار كلمة الجوار، وكان كثير من الشعراء يغرمون بهذا التجنيس الاشتقاقي: وهو مستحسن بديع، وهذا ما نجده عند المتنبي مثلا² ولكن الشاعر هنا لا يحتفل بالمحسنات البديعية بقدر ما كانت تهيمن

¹: نفسه وأزهار الرياض 224/3، 282.

²: مثل قول المتنبي في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:
تمرست بالأفاق حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر (الديوان شرح البرقوقى 252/2).

عليه تلك المعاني التي يريد أن يحسن اختيارها ويبدع في إضافتها إلى الممدوح ليصور بذلك شدة شوقه على رؤية هذا المثال ويتخذه وسيلة إلى شفاء غليله بالتملي بشكله وهيئته.

أما خصائص ذلك الشعر المعنوية، فتتمثل في اللجوء إلى التقبيل واللمس لإطفاء شعلة الشوق، والاستعانة بتعابير التذلل والحشوع والبكاء وإيطاء الحدود، وذكر التشرف والشفاعة والنجاء به في الموقف وطلب الإثراء من الخيرات عند الشغف به إلى أن يصير كل هوى دون هوى النعل ضلالا وخروجا عن الهدى وسلوك خطيئة لن تغفر. ونجد في تلك القصائد أيضا مشاهد من الجنة والنار، وإيراد بعض الصور الطبيعية، ولكن الشعور باللوعة والأسى وشدة الشوق والهوى والهوان هي التي تطبع ذلك الشعر، لأن النعل ومثاله طريق إلى التذكير بصاحبه، وهو باب يطرق ليدخل به إلى جنة الفردوس، وبها أيضا يتوسل بصاحبها إلى الله سبحانه وتعالى¹.

د- نكبة الحسين و (الاكتحال يوم عاشوراء)

مذهب التشيع في المغرب والأندلس، ويكائيات الحسين

كانت النكبة المشهورة للحسين رضي الله عنه في مقتله سببا من أسباب تفجير قرائح كثير من الشعراء الذين كانوا يكونون الحب لآل البيت في المشرق والمغرب والأندلس، ولكن هذه الحادثة المؤلمة وجدت صدى واسعا في المشرق بينما كانت في المغرب والأندلس خافتة، ولم يسمع فيها إلا بعض الأصوات تعلو هنا وهناك، وذلك بسبب تأثير التيار الأموي الذي كان يخنق كل صوت يسبب نشازا لدعوته، مثل أصوات الطالبين. ولذلك لم يجد المذهب الشيعي تربة ملائمة في ذينك البلدين، لأن هم الأمويين كان تثبيت السنة ومذهب الإمام مالك بالغرب الإسلامي².

¹: أزهار الرياض 225/3.

²: مقدمة درر السمط ص: ٥٢، وما بعدها. وانظر كذلك مجلة المناهل الاعداد: 11 و12 و14 و16 بقلم الدكتور عبد السلام الهراس.

وبالرغم من ذلك عرف بهذا المذهب عدة أفراد فيهم علماء المذهب وشعراء مشهورون¹.

ولم يبدأ الأدب الشيعي بصورة واضحة إلا منذ عصر المرابطين، فقد كان هناك من يبكي الحسين بشعره الرقيق المملوء بالحزن والأسى كأبي بحر صفوان بن إدريس²، وناهض الوادي آشي وابن المناصف وأبي عبد الله التجيبي وابن أبي الخصال الشقوري وغيرهم³.

ولكن السمة العامة التي امتاز بها التشيع الأندلسي والمغربي هو كونه غير أعجمي، لأنه كان معتدلاً بعيداً عن الغلو الشنيع، وقد عبر عبد المهيمن الحضرمي عن طبيعة حب المغاربة لآل البيت بقوله: "أحبهم حب تشرع لا حب تشيع"⁴.

وبين أيدينا نص مهم يصور هذه المسألة بأجلى مظاهرها، وفي هذا النص أسماء لبعض الشعراء المغاربة الذين ندبوا أنفسهم لأجل بكاء الحسين، وذلك في مراكش التي كانت تحتضن شعراء مفلقين مثل حازم القرطاجني وأخيه علي وابن الحناط وغيرهم⁵، ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه القضية الكبرى قد تسلت إلى قصور الموحدين فتجد لها أمراًوها ليعلنوها بصفة واضحة، بل إن رشيد بني عبد المومن أمر الشعراء بالقول فيها بتلك الحضرة. وهذا ما يدلنا على أن نكبة الحسين قد أخذت مجرى آخر لا كما عرفناها من قبل ظاهرة مقموعة محاربة، وحتى إذا لم تكن كذلك فقد كانت تدب بين الأفراد ديباً هادئاً محتشماً في طبقات الناس وإذا علمنا أن الرشيد الموحدي كان يقرب إليه كتاباً مشهورين كأبي المطرف بن عميرة وأبي الحسن الرعيني وأبي عبد الله التلمساني وأبي زكرياء الفازازي وأبي عبد الله بن أبي عشرة وغيرهم⁶ ممن سيرد ذكرهم أدركنا حقيقة هذه التيارات السائدة في أوائل القرن السابع الهجري، وذلك بالرغم من أن

¹: الدرر السمط ص: ط.

²: وانظر أيضاً حركات التشيع في المغرب ومظاهره، وهي محاضرة للدكتور عبد اللطيف السعداني في المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي ص: 243.

³: مقدمة درر السمط ص: ط وما بعدها. وانظر أيضاً دعوة الحق ع 9-10. سنة 1966 ص: 99 (ملاح وداوين في السيرة والمديح النبوي) (مراثي الحسين وأهل البيت. للأستاذ محمد المنوني).

⁴: مقدمة الدرر السمط ص: هـ.

⁵: الرحلة 106/6، وانظر حركات التشيع في المغرب ص: 342 وخبر ذكر ابن الخطيب في كتابه أعلام الاعلام: عادات الأندلسيين وأهل شرق الأندلس خاصة في ذكرى مقتل سيدنا الحسين من التمثيل بإقامة الجنائز وإنشاد المراثي ..

⁶: عصر المرابطين والموحدين، للدكتور عبد الله عنان ص 515.

الرشيد لم يكن كأبيه المأمون من حيث الثقافة والعلم بقدر ما كان ذكيا جريئا قوي النفس.

ومما يدلنا أيضا على انتشار هذا اللون من الشعر أنه لما لقي ابن رشيد أبا اسحق إبراهيم بن أبي الوليد بن يحيى ابن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن بترى القرموني المالقي نزيل تونس، والمشهور بابن حبي قال:¹

"وقفت لغير واحد على تذييل البيتين المنسوين للإمام أبي الفرج بن الجوزي، نضر الله وجهه، فاقتحمت ما اقتحموا وإن كان الأولى بهم أن يسكتوا دون ذلك النظم، ويفحموا، فإنها مجارة الجواد بالأعيار ومباهاة الشمس بأجْم الأسحار. والبيتان المذكوران هما: (مخلع البسيط)

ولائم لام في اكتحالي يوم استباحوا دم الحسين
فقلت دعني أحق عضو مني بلبس الأسود عيني²
فزيلتها بأربعة أبيات وهي:

وكيف لا أغتدي وأمسي سريع دمع صريع بين
وصرف هذا الزمان قهراً قد حال ما بَيْنَهُ وَيَّيْنِي
لو كنت أدركت يوم أودى جاهدت بالعضب والرديني
فإن نصر الحسين عندي كفرض عين وقرض دين

وقال ابن رشيد³: وكان الشريف نجم الدين يونس بن عثمان الحسيني يحفظ للجوزي بيتين أنشدهما يوم عاشوراء، وقد نقدت الشيعة عليه التكحل، فقال:

ولائم لام في اكتحالي يوم استحلوا دم الحسين
فقلت دعني أحق عضو مني بلبس السوداء عيني

¹: الرحلة 106/6، وانظر كثيرا من المعاني التي سترد في هذه الأشعار: في كتاب ذخائر العقبي لصاحب الدين الطبري، وهو شيخ ابن رشيد في الحرمين، وكذا كتاب المفيد في ذكرى السبط الشهيد للعالمي. هو عبد الحسين إبراهيم. ط2 1979 بيروت ص 113-120.

²: أورد صاحب فوات الوفيات هذه الأبيات لابن جكينا البغدادي 320، وانظر كتاب عاشوراء عند المغاربة للدكتور عباس الجارري، منشورات النادي الجارري 16 ط 1، 1999 ص: 76.

³: الرحلة 107/6.

واتفق أن الشريف أنشد البيتين بحضرة مراکش في أيام رشيد بني عبد المومن،
فأمر الشعراء بتذليلها، فذيلها جماعة منهم أبو محمد الحسن بن أبي الحسن بن القطان
(10 أبيات) ومنها: (مخلع البسيط)¹

سوداء طبعي تصعدت من لهيب قلبي للمقلتين

وبعد أن استعرض ما يشعر به من الحزن وجريان دموعه بدموع كالعين وتسويغ
اكتحاله بالترب والجدل، ودعائه على نفسه بالمرتبة إن كان اكتحل ابتغاء الزين، أعطانا
صورة صادقة وواضحة عن ذلك الأسى والحزن:

نجيع دمعي وجفن طرقي صارا لذا الرزء أسودين

هذا وما الكحل غير ترب وجندل خيبة لذي—²

ومن تلك الأبيات نستشف روح التصوف التي كانت مرتبطة بالتشيع تطبعها
المشاهد المأساوية الحزينة ويزيدها هولاً وروعة صور المبالغة في قوله خاصة:³

فكل خطب وإن تناهى غنيت عنه بالأسودين⁴

فلمست ألتذ بالأماني ولا الغواني والأصفرين

أصفر وجهي به وحزني أماًط مني بالأصغرين

ولعل هذه الصور مستمدة من الواقع الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية آنذاك
من الحروب الأهلية والاضطرابات ومصارعة العدو وضياح الحق العربي بالأندلس، وكذا
الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تسوء وتنحدر انحداراً شنيعاً. ولهذا جاء
هذا الشعر مؤثراً يخرج من النفس لتتلقاه النفس في لهفة شديدة. وذلك لما يحمله من
المعاني الإنسانية ذات الأثر العميق في القلوب. وقد عبر ابن رشيد عن ذلك بقوله: إن
هذه الأشعار ما بلغت مستوى بيتي ابن الجوزي، ولكنها في الواقع ليست كذلك، لأنها في
الحقيقة تصور الملاحم المأساوية للشيعية وتعبر عن الشعور الصادق، والنفس المكلومة التي

¹: الرحلة 107/6.

²: لعله يشير في ذلك إلى معنى الحديث الشريف: أحتوا في وجوه المداحين التراب، وقل أراد به الرد والخيبة كما يقال
للطالب المردود الخائب لم يحصل في كفه غير التراب (لسان العرب: ت. ر. ب.).

³: الرحلة 170/6.

⁴: إشارة إلى الحديث المسلسل (أطعمنا وسقانا: والأسودان هما التمر والماء) وانظر دراسة الحديث.

خبرت الحزن والحرب والضياع وسلب الحقوق الواجبة، ولهذا فهي تمثّل حرارة العاطفة وتصوير رائع للفاجعة التي عانى منها الشيعة وفنتت أكبادهم.

ومن ذلك تذييل على البيتين المذكورين لشعراء كثيرين وهم أبو زكرياء الفازاني وأبو عبد الله بن الحناط وأبو علي بن حازم وأخوه أبو الحسن حازم وأبو محمد غالب وأبو الحجاج بن موسى وأبو محمد العراقي وأبو القاسم بن حمدان وأبو الحسن العشبي، وأبو يوسف حجاج بن حجاج، وأبو عبد الرحمن بن زغبوش وأبو محمد الطبري وأبو الحسن بن زنون وأبو الحسن الجبائي وأبو علي بن أبي ثلاثة وأبو عبد الله محمد بن يوسف المصانعي، وقد اختلف هؤلاء الشعراء بين طول النفس في التقصيد والإبانة على العواطف الجياشة مثلما فعل أبو الحسن حازم والعراقي وابن حمدان والمصانعي، وبين التقصير حيث لا تقصير في حسن التعبير واستيفاء الغرض من آداء الواجب نحو المفترض في تصوير النكبة الحسينية الكبرى.

وبالرغم من أن في هذه المعارضات شيئا من التناقل وتكرار المعاني والألفاظ وطابع الشعور الموحد، نجد لكل شاعر في الحقيقة، نفسا خاصا وشعورا منفردا وتجربة مغايرة تميزه عن الآخر، لأن الحادثة واحدة، هي مقتل الحسين، ولكن أدوات التعبير عن هذه الفاجعة كثيرة جدا، إذ إنها تشمل أدوات الحياة الدنيا كلها، ولهذا نجد فيها النجيع والتراب والكحل والزين والشين والبكاء والغرام والدمع وسقي الكؤوس وثوب الحداد والقار، وغير ذلك مما له صلة بهذا الحدث الفاجع.

ولكي تظهر لنا الصورة لهذا الموضوع الشعري الهام نختار لكل شاعر شيئا مما عبر عنه، فنكتفي بالإشارة إلى أهم معانيه، وإن كان ذلك لا يجزئ إلا بنقل ذلك الشعر كاملا، ومعرفة ظروفه الواقعة في التاريخ معرفة محيطية.

فقد قال أبو زكرياء الفازاني (5 أبيات)¹

غيري بهذا الكلام يرمي	فإن مغزاه غير هـين
لا يدخلن العذول جهلا	في الحب ما بينه وبينني

¹: الرحلة 170/6.

فحب آل النبي زين وبغضهم شين كل شين

وقد استعار الشاعر في هذه الأبيات ما يقع للمحبين من حسد الغير وترقب الرقباء وتعنيف العذال وتقريعهم.

وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن الحنات الذي عبر كذلك عن غرامه المتيم وحبه الشديد لآل البيت (5 أبيات)¹

وحلة ليس يرتضيها إلا امرؤ قاصر اليدين
متيم شفه غرام كواه منه بشعلتين
تصعدت من حشاه نار حريقها بين مقلتين

وكان ممن جادت قريحته بما يستجاد: أبو الحسن حازم بن حازم² (34 بيتاً)، وقد صور محنة آل البيت المتمثلة في فاجعة الحسين، وذكر صوراً تاريخية مهمة بين فيها أحوال الصراع بين الأمويين وآل علي، ولم يزل كذلك لا يكف عن سكب العبرات وتصعيد الزفرات، وبث الشكوى وإظهار الحداد³، وقد استعان في ذلك باستعارات وكنائيات بليغة كعهده بها في أشعاره الرصينة وكذا إirاده لبعض الصور التي يظهر فيها الغلو مثل قوله:

أما تراها تسح دمعاً كأن عيني بكت بعين
والدمع مما يدل أن الحداد للحزن لا لزين
وفيه يقول:

قف خليلي نبك حزناً بكاء قلب وناظرين

وفيهما يذكر مشيراً إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل سرّة الحسن وثمر الحسين، ولهذا استنفع الشاعر فعل ابن حرب وما أقدم عليه.

¹: وانظر مأساة العباس بن علي في كتاب المفيد في ذكر السبط الشهيد ص 106 وتشابه توارده هذا الشعر في ص: 69 و113.

²: انظر أيضاً قصائد ومقطعات 215 ولكنه لم يذكر الأبيات كلها.

³: وانظر أيضاً كتاب العقيدة والشرعية لجولديهر ص: 178 وذلك في تصوير مأساة الحسين في وقعة كربلاء.

ويح ابن حرب لقد تعدى لنقر تلك الشيتين

لم يرع لثم النبي تلك الشيتين الشيبين¹

وقال ما قال من كلام كسته عقباه كل شين

وفيها يذكر شجاعته يوم كربلاء، وجلده وصبره في القتال إلى أن وافاه الأجل

المحتوم²

لو نظرت مقلتا أبيه إليه بين الكتيبتين
لراع منه العدا هزبرا خضيب كف ومخلين
لجألت دونه سيوف ما أرهفتها يمين قين
لابرحت ما حيت عيني تسيل للدمع وادين
خضبت منها أبيض حزنا ما اسود من لون مقلتين

ومنها مضمنا قصيدته بيتي أبي الفرج بن الجوزي:

ولائم لام في اكتحالي يوم استحلوا دم الحسين

فقلت دعني أحق عـضو منه بلبس السواد عيني

وقد أتى الشاعر في هذه الأبيات بمعان حسان، لأنه استطاع أن يجعل هذا الوجود

شمسه وقمره حزنين بسبب مقتل الحسين رضي الله عنه وذلك في قوله بخاصة:

فليس حزن كحزن عيني وليس خطب الأسى بهين
نور الهدى غاب عن عيون إذ حان للسبط يوم حين
فالشمس والبدر قد توارى شمس هدى غير مشرقين
والعين ثكلى لم تبدا كملا للحسن كلا ولا للزين

وفي ذلك المعنى يقول أبو الحسن العشبي (6 أبيات)³

¹: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى 126.

²: المفيد في ذكرى السبط الشهيد 65-85.

³: الرحلة 108/6.

يحسبه حلية وزينا يا بعد ما بينه وبينني

وفيهما يرد حجة من يرى أنه متخذ الكحل حلية للزين، وهو يستعير لحنه أليق الصفات وأنسبها وأجلاها:

واستمع الأمر ثم حقق بينك لك الصدق دون مين
إن سَوَادِي مع السَّوَيْدَا فاضا مع الدمع سائلين
ويقول فيها:

وانظر لشيب لم احتسبه تثبت ما بي بشاهدين
وأبو الحسن العشبي لم يرد أن يترك دعواه دون أن يؤيدها بحجة دامغة ولهذا أتى بهذا المعنى الفقهى البديع الذي يثبت به الأمر بشاهدين عدلين.

ومن ذلك ما قاله أبو يوسف ابن حجاج مذيلا بعدهما (6 أبيات)¹

فهي تلاقي الأسى بدمع كفيض نهر وماء عين
وقد جاء بصور جميلة، ويظهر ذلك في قوله إن العين تخبر عما في الضمير:
فكان حقا علي أني كسوتها ثوب حزن حين
وكي أرى الدمع في سواد بصيغ جوي مثل اللجين
مع أن وجدي وحزن قلبي زادا سَوَادَا في المقلتين
إذ كل ما في الضمير يبدو بالوجه والعين دون مين

وقال في ذلك أبو عبد الرحمن بن زغبوش قصيدا أبان فيه عن حسن التشبيه ودقة التصوير وإبداع في الوصف لخلجات النفس كذلك (7 أبيات) ومنها:²

أقصر فإن الذي تراه من اكتحال بالمقلتين
دخان قلب قد أحرقتة نيران حزن بغير مين
فصعدته أنفاس وجدي فحل مني بالناظرين

¹: الرحلة 108/6.

²: الرحلة 108/6.

ومن رماد الحريق شبيبي الذي تبدى بالمفرقين

أما أبو محمد الطبري فقد قرن هذا الحدث بغوائل الدهر التي لا تنفك تصيب
الإنسان من حين لآخر وتغوله، (3 أبيات) ومنها:

تبت يدا قاتليه عمدا لو أن بالصبر لي يدين
مستهدف للخطوب قلبي يصيبه سهم كل حين

وأما أبو الحسن بن زنون فقد أعطانا للحزن صورا أخرى لم نعهدها عند سابقه،
لأنه يرجو أن يبدو كل ما يراه في الوجود أسود حتى تكتمل عنده صورة المأساة (4
أبيات)¹

ولو بودي ملأت كحلا كل بياض في المقلتين
لو كان يجدي سودت شيبا في الرأس مني والعارضين
لو كان يغني جللت جزءا من قرن رأسي للأخمصين
حتى أرى كالحديد لونا ما كان مني لون اللجين
فلا تلمني فذا مصاب ما فيه للصبر من يدين

ومن ذلك قول أبي محمد غالب الذي يعتبر البكاء دينا عليه يجب أن يقضى
(9 أبيات)

إن تلتمس عذر مستهام فلترجع اللحظ كرتين
تجد مصابي أذاب قلبي فسال جريا في المدمعين

وله أيضا:

إن على القلب ناظرين قاما دليلين واضحين
هذي دموعي مذاق قلبي فاللون للقلب لا لذين
ولا حق الرشيد إلا قضيت من مدمعي ديني

¹: الرحلة 108/6.

ولأبي الحجاج بن موسى أبيات في نفس المعنى ولكن طريقته في التعبير عن ذلك مختلفة.

أقصر فماذا السواد كحلا	أبديته مظهرها لزين
سواد عيني الذي تراه	يسح دمعا بغير عين
فجاء طول البكا عليه	فسال في الشعر دون مين

ولأبي محمد العراقي الذي أبدع في كثير من المعاني قصيدة أتى فيها ببعض الصور النادرة والتشبيهات الحسنة (12 بيتا)¹ ومنها

كم أضربت من شرار دمعي

حتى استحالت كجمرتين

فرمت أطفئهما بكحل	فعدتتا منه محمتين ²
فالفحم أقوى على شرار	يجريهما ذائبا كعين
لم أكتحل اثمدا ولكن	قطرت قلبي بمقلتين
فكحل عيني سواد قلبي	والقلب للحزن كاللجين

ويقول في أخرى مستعملا معنى من معاني الفقه:

فلبسها للسواد فرض	من أجلها قيل فرض عين
سواد قلبي يمد كحلي	يجري اضطرارا بمقلتين

ولأبي القاسم عبد الكريم بن عمران أبيات ترسم فيها خطأ السابقين (4 أبيات):³

وليس زي الحداد مما	يؤتى به ماتم لزين
لم يبق إلا سواد قلبي	فاض نجيعا في المقلتين
شعار حزن عزوا لحسن	يا بعد ما بينه وبينني

¹: الرحلة 10/6.

²: فيها ضرورة شعرية.

³: الرحلة 109/6.

ولأبي العباس بن هشام في ذلك:

لم أكتحل مبدىا سرورا
لكن لتقوى على بكاهها
كلا ولا مظهرها لزين
عيني تسيل بكل عين

ولأبي الحسن الجياني:

ما رابكم في سواد عين
عيني استعارت سواد قلبي
تشاكلا لوعة وزيا
لو كان في الموت لي خيار
تبكي عليه بفيض عيني
أسعد مجلّين مسعدين
ما أبين الوجد بين ذين
قضيت للحين فيه حيني

ولأبي علي بن أبي ثلاثة¹

فهل رأيت السواد حسنا
فالكحل مما يظن زينا
إلا بفود² وعارضين
وربما أنه لشين

بل في حسين وفي أخيه المصلح ما بين الفئتين
أكلها هكذا وأبكي
ما عشت دمعا بغير عين

ولأبي عبد الله محمد بن يوسف المصانعي مقطوعة شعرية (5 أبيات) ومنها:

فأمر قتل الحسين صعب
وقد بكيت الحسين حتى
فإن كحلي لستر ما بي
علي والله غير هين
وقّت حيني من دون مين
قد يجلب الزين سترشين

وله:

حزنت إذ لم أجد دفاعا
له على المسلمين حق
وكيف لي زينة وعيني
عنه بلفظ ولا يدين
يلزم كلا لزوم دين
أولى بحزن من كل عين

¹: الرحلة 109/6.

²: الفود: جانب الرأس.

لولا اكتحالي لقليل تذري¹ عليه دمعاً بغير عين
فكان كحلي لصيغ دمعني أبلغ صيغ لشفر عيني

وله غير ذلك مما يظهر فيه الأسى العميق والحزن الشديد وفي قوله خاصة:

سواد قلبي أراد يبدي سواد عيني في الحسنيين

ولا شك في أن هذه الأشعار البليغة هزت أريحية صاحب ابن رشيد أبي عبد الله ابن الحكيم فأبى إلا أن يشاركهم شعورهم ويدلي بدلوه فيما أدلوا فقال (6 أبيات) ومنها

فما اكتحالي وحق حبي في آل بيت الهدى لزبن
لكن قلبي لفرط حزني كسا سوادا لمقلتين
على سليل الهدى حسين مالي بالصير من يدين

ومن خلال هذه الأبيات يتجلى لنا أن الحب المضمحل لآل البيت لم يكن من ذلك التشيع البغيض الغالي، وإنما هو حب معتدل وأن الأوصاف والمعاني البلاغية التي صيغت بها قد بلغت مداها من حيث حسن التعبير والإجادة في التصوير، وليست مبالغاتها شنيعة ولا نابية بل هي مقبولة في عرف الأدب والدين.

وتتجلى لنا أيضاً ظاهرة أخرى وهي أنه بالرغم أن هذه المأساة لم تجد لها سبيلاً لأن تنسرب مبكراً إلى المغرب، هذه الأبيات التي قيلت في ظل أمير مغربي تعطينا الدليل القاطع على أنها — وإن خبت في فترة معينة — كانت كامنة كمون جمر الغضا، إذ إن هذا الاندفاع القوي والبروز المفاجئ لهذه المعاني التي رأيناها في شعر هؤلاء الشعراء السابقين، واجتماعهم بهذا القدر من الكثرة، وظهورهم على هذا المستوى الرفيع ليدل كذلك على أن هذه المأساة كان يعيشها المغربي والأندلسي في أعماقه عيشاً متصلاً، لأن الحادثة في جوهرها تاريخية عاطفية دينية لها علاقة بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله، ولهذا كان البكاء والحزن انتصاراً لآل النبي صلى الله عليه وسلم دون مين أو تطرف أو إيغال.

¹: أذرت العين تذري دمعها: صبته.

ونجد في هذه الأبيات السابقة كثيرا من الكلمات التي تدل على الاكتحال والاختضاب والاعتسال ولبس الحزن والدموع والزين والشين وعشا العين من البكاء، والسواد والبياض وتأثر الكون شمسه وقمره بما جرى للحسين، واللوعة والوجد وقتني الموت والحين وفيها ذكر لبعض الأفعال التي يؤتى بها يوم عاشوراء، وقد وردت في تلك المعاني أحاديث قد تكون موضوعة لا يحل القول بها¹، مع أن يوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة، وصومه، لفضله، كان معروفا بين الأنبياء عليهم السلام منذ قديم الزمان².

وفي تلك الأبيات أيضا وحدة موضوعية بالرغم من تعدد قائلها، ولا يختلف بعضها عن بعض إلا في القليل، لأن لها كلها مصدرا واحدا وهو مصدر أبي الفرج بن الجوزي وهي معارضة لقوله. ولهذا لا بد أن يحذوا حذوه ويسيروا على منواله، ويعرفوا من معانيه، ولكن مقدار اللوعة وطريقة تشخيص البلوى وأسلوب التعبير عن الحزن يختلف من شاعر لآخر من حيث الضعف والقوة، لأن بعض هؤلاء الشعراء أطلقوا عنان خيالهم فأتوا بالقول العجيب كما رأينا.

وقد كان لهذه الأبيات أثر في الشعر الذي أتى بعدها مثلما نجد في شعر أبي القاسم السبتي مستكتب بني الأحمر، لأن له قصيدتين سارتا على هذا المنوال في الاستعانة بالاصطلاحات التي استعملوها، والمعاني التي تطرقوا إليها واللوعة، والحزن العميق الذي أبدوه³ وقد يكون أبو القاسم هذا اطلع على هذه المعارضات وتأثر بها ويظهر ذلك من خلال إيراد كثير من الكلمات التي كانت تدور في أشعار هؤلاء الشعراء مثل: العاذلين والبين والقلب والهين والمقلة والعين والدين ودموع الشاهدين والوجنتين واليدين واليربين. ومطلع قصيده (الوافر)

دعيني من مقال العاذلين وخلي بين تهيامي وبينني

وفيها (31 بيتا). ومما يدل أيضا على تأثره بذلك الشعر قوله:

¹: كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ ابن رجب الحنبلي ص: 52.

²: نفسه 45.

³: انظر: (مأساة الحسين في الأدب الأندلسي للدكتور عبد السلام الهرايس) في المناهل عدد 18 ص 300، وكتاب أبو الوليد بن الأحمر ص 238 للأستاذ عبد القادر زمامة. وكذا نثير الجمان 147 وفوائد نثير الجمان 232.

وأعرف في لحاظك ما رأيت في ظبا الثقفي قاتلة الحسين¹

وإذا عرفنا أن أبا القاسم الشريف هذا كان صاحب ابن رشيد، ثم إنه كان ينتسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه ليس غريبا أن يبكي الحسين بكاء بز فيه أولئك الشعراء السابقين، وذلك في مثل قوله الذي ضمنه معنى من معاني الفقه:

أهيم بخده ويميمه
فأنسب بالحمى والابرقين²
عقدت مع الغرام فبعث فيه
وقاري والتصير صفقتين

ومنه يذكر المشاعر والأماكن المشرفة ويضمن أبياته بعض مصطلحات الفقه والحديث أيضا:

فأحلف بالمحصب والمصلى
لانتصرن بالأجفان حتى
وحين تعرفوا كلفي وقلبي
كففت المقلتين ليشهدا لي
وأعلام الصفا والمأزمين³
تكون دموعها في الحب عوني
يصون السر عنهم كل صون
فجرحت الدموع الشاهدين

إلى غير ذلك من بديع قوله:⁴

ونذكر أيضا أن يوسف الثالث، ملك غرناطة، قد تأثر بهذه البكائيات التي أودع شيئا منها في ديوانه⁵. ويظهر ذلك من خلال قوله (مجزوء الرمل):

جيرة أودوا بقلبي
فلهم مني ولاء
لهف نفسي لو شفاني
ساعديني يا سماء
يوم حلوا العلمين
واعتقاد دون مين
عنهم عض اليدين
بدموع المرزمين
و...⁶ أصل حيني
كربلا هيج كربني

¹: النثير 147 ونثير الفوائد 232.

²: الابرقان: منزل بعد رميلة اللوى بطريق البصرة إلى مكة.

³: انظر كتاب أخبار مكة للأزرقي: المحصب وجنوده 159/2. والصفا 74-68/1 والمأزمين 185/2.

⁴: نثير الجمال: 149.

⁵: الديوان من تحقيق وتقديم الأستاذ عبد الله كنون. ص: 132، 133، 134.

⁶: اقترح محقق الديوان أن يكون محل البياض كلمة حسين، لأنه بياض بالأصل.

بعد ضيف الطف¹ تطفي
 بأبي منهم وجوه
 أشعروا الموت جهارا
 لوعتي أدمع عيني
 قدست عن كل شين
 وثووا كالفرقدين

وفيها يذكر آل حرب وما أقدموا عليه من التنكيل بآل البيت والغدر بهم في مقتل الحسين

كيف أنسى وحياتي
 آل حرب وزباد
 قطعوا بالسّم قلبي
 وبدور من بنيهم
 بعد نور الناظرين
 خطبهم ليس بهين
 ثم ثنوا بالرديني
 صرعوا ما بين ذين

وله من قصيدة أخرى يتضرع فيها ويتوسل (المتقارب)

تطاول ليلى بالبرقين
 وبت أساجل شهب الدجى
 ونام الخلي عن العاذلين
 بمحض النضار وذوب اللجين

ويقول فيها ذاكرا الشيعة وموطنهم، ومصورا حزنه الشديد على الحسن والحسين:

وخص العراقي من دونه
 وقولا غريبا عدته الذنوب
 لئن حل جسمي بالمغربين
 بسبطي نبي الهدى أبتغي
 سلام مشوق إلى الرافدين
 فأهدى هواه لغير الحسين
 فقد صار قلبي بالمشرقين
 وأرجو الشفاعة من دون مين

ومنها:

جعلت التشيع في آله
 وسائل أرجو بها الحسنين²

¹: الطف من ضاحية الكوفة، فيها مقتل الحسين رضي الله عنه. معجم البلدان 36/4.

²: الديوان 134.

تعد القصائد الحجازية وفيرة في الأدب المغربي، وقد ألفت في ذلك موشحات وقصائد كثيرة¹، لأن الشعراء كانوا يتوقون إلى رؤية المشاعر المقدسة كمكة المشرفة والمدينة المنورة وخَيْفَ منى وزمزم واليَنْبُع وغيرها. وكانوا ينسجون في ذلك قصائد طويلا يشحنونها بتعبير الشوق المؤثرة إلى زيارتها ورؤية أماكن أخرى في الطريق إليها، وخلال ذلك كانوا يصفون رحلتهم الشاقة عبر الفياضي والقفار، وما كانوا يكابدونه من التعب والخوف إلى أن تبدو لهم تلك المشاهد فتبيل ظمأ تلك الأشواق، وقد تزيدهم تلك الرؤية شوقا إلى شوق وتذكي فيهم أوار الحنين فيندفعون إليها اندفاعا يغيبون فيه عن عقلهم، ولهذا تراهم يسبحون ويهللون ويدعون في أحوال من الخشوع والتوبة. وقد شاع هذا اللون من الأدب في عصر المرابطين والموحدين، أما في العصر المريني فقد عرف ازدهارا كبيرا، واستقام فيه عوده وقوي. وإذا أردنا تقويم ذلك الازدهار فإن كتاب أزهار الرياض² ونفح الطيب³ والذيل والتكملة⁴ أرخت لذلك واحتوت على ما يشفي الغليل منه.

وأما رحلة ابن رشيد فقد أسهمت في التأريخ لهذا الفن وتخليده وإبراز جوانب من مميزاته وطابعه، إذ نجد ما يخص الأشعار الحجازيات ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما يقرب من ثلاثين موضعا، وليس اهتمام ابن رشيد بهذا الموضوع غريبا، لأن الرحلة قام بها صاحبها إلى الوجهة الوجيية، إلى الحرمين مكة وطيبة، ولهذا كان يلفت انتباهه كل ذكر لهذه المقامات الطاهرة.

ويحرص كذلك على أن يتلقى من شيوخه كل ما جادت قرائحهم عنها أو تلقوه عن غيرهم من الأشعار فيها.

¹: دعوة الحق ع 9-10 س 9. 1966 ص 98 (ملاحم ودواوين في السيرة والمدائح النبوية للأستاذ محمد المنوني).

²: انظر 230/2.

³: انظر ع 10 ص 294 وما بعدها.

⁴: الذيل والتكملة 294/5.

ومما ورد في الرحلة قول أبي اليمن بن عساكر في قصيد، وهو من جملة ما أجاز به ابن رشيد ومطلعه (الكامل)

يا من تبوأ من مشاعر مكة متبواً بين الصفا والمروة

وفيه (24 بيتاً) منه¹

عهد الأحبة بعد طول المدة	وغدا يجدد في معاهد رسمها
أسبابه وحباله ما رثت	عهد وميثاق لهم ما قطعت
أركانها ومردد لتحية	فمقبل طورا وطورا ما سح
وتقدست أوصافه وترقت	حتى إذا ما قيل صفى سره
قد أشرقت أنوارها بأشعة	بمواهب جادت له بعوارف
عن باب مولاه بكل تعلقة	أضحى بعيدا عن حماه محجبا

وبعد أن وصف أبو اليمن ما يقوم به زائر المشعر الحرام من التقبيل والمسح والتحية وتصفية السر والتظهير، انتقل إلى وصف موقفه متخشعا موثقا بوثاق الذلة خاضعا متضرعا سائلا عفوا ونوالا وغاسلا ذنوبه بالدموع لعل الله يفيض عليه من رحمته

يا ويحه قد أوثقته حظوظه في حيث يطلق من وثاق الذلة

وفيهما يقول:

متتبلا مما حييت بذلة	واخضع له واضرع إليه وناده
جم النوال ببسط ظل النعمة	وابسط له كف السؤال فإنه
أن يجتبيك من لدنه برحمة	واغسل ذنوبك بالدموع لعله

ومن ذلك قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر وهي أيضا من جملة المجاز وفيها (23 بيتاً) منها (الطويل):²

معاهد للأرواح فيها معارف عراك هواها إذ سقاك فعلاكا

¹: الرحلة 44/5 مكرر.

²: الرحلة 45/5.

ومنها:

فجددت رسم الوصل بعد دروسه وطفت كما طاف المحبون قبلكا
يباهي بك الله الملائكة العلا ظفر لعمرى ثم قد جد جدكا
وعرفت تعريف الألى عرفوا الهوى

وما أنكروا من بعد ذاك فمن لكا

بشطي ألال ثم في سفح نابت تراوح كي يرتاح في الحب قبلكا
وهكذا أخذ يتتبع إقامة الحاج لفرائضهم، ويصف شعورهم وأحوالهم بين
المشاعر وصفا دقيقا بأسلوب جميل وعبرة سلسلة مثل قوله:

أفضت وقد فاضت عليك إلى منى

مواهب أسرار بها برّ حكا

ومن قصائد أبي اليمن الأخرى، وهي من جملة المجاز كذلك، قصيدة تتألف من
(134 بيت)، وقد أنشدها له صاحبه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم بعد أن قرأها عليه
بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة وذلك في شوال 684 هـ.

وقد أجاد أبو اليمن في هذا القصيد وأطال نفسه فيه، لقد ابتدأه بالنسيب وذكر
الأطلال ومرتبع الهوى ومجمع الأحباب، ثم انتقل إلى وصف الرحيل بحروف كحروف قد
سطرت في كتاب، وهي تهوى إلى تهامة شرقا، ثم وصف أشواقه إلى أصحابه،
واستطرد إلى القول في ذكر المشاعر المقدسة وأداء الفرائض الواجبة، وبعدها انتقل إلى
وصف النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ثم ختم القصيدة بالاستغفار والضرعة
وطلب الصفح. وقارئ هذه القصيدة بيتا بيتا يجد فيها تفاصيل رائعة لكثير من الأحداث
التاريخية والمواقف الإسلامية الشهيرة، والتصوير الرائع لخلجات النفس المؤمنة الخاشعة.
وهي بالرغم من طولها وتداخل بعض الأغراض فيها، تبدو متماسكة مترابطة، فقد احسن

أبو اليمن التخلص من غرض إلى آخر لما أوتيته من مقدرة عظيمة على فن القول، لأنه كان "عالما فاضلا جيد المشاركة في العلوم، فهو صاحب عبادة وأدب جم غزير"¹.

ومما قاله فيها: (الخفيف)²

لا خلت منك مكة يا أبا الـــــــيمن تلقى رحبا بتلك الرحاب
حيث تضحى وأنت لله جار عائد إليه بين ركن وباب
طال ما قد نعمت عينا بنعما ن وشطي إلال بين الهضاب

ومنها:

ثم ودعت وانصرفت ترجي عودة في تأسف واكتئاب
ظلت تشتاقها وأنت تروح شوق حب إلى الأحبة صابي

وقد أسهب الشاعر في ذكر فضائله صلى الله عليه وسلم وإفراده بالحب والقرب
ووصف أصله وكرم نسبه وأرحامه وأصلايه وحسن خلقه وخلقه وخطابه الجزل وقوله
البليغ الذي فيه الفصل من غير اغراب، وحديثه الذي يحسب درا في حسنه يتساقط من
السحاب وانه:

هو نور في لمعة قد تراءى قد توارى عن ظله في حجاب
ثم إنه قد تزكى من كل ذام وعاب، وعقدت في يديه ألوية الحمد، وأحال أولو
العزم على جاهه المعضلات الصعاب.

ثم وصف الإسراء والمعراج:

وإلى الله صحبة الروح أسرى فحباه بزلفة واقتراب

كم مراقٍ إلى العلا قد ترقى

فتحت بالمنى له كل باب

¹: فوات الوفيات 382/2.

²: الرحلة 38-37/5.

فانتهى منتهى به قد تناهى

بالقضايا مطالب الطلاب

ثم ذكر من المعجزات والآيات والدلائل التي أزالَت عماية الارتباب ومن ذلك:

وله البدر شق إذ سألوه آية عيرة بنص الكتاب
شاهدت قريش والسفر أنبا ء أنهم شاهدوه عند الإياب

ومنها:

وحمام على فم الغار عَشَشْنَ فأغشين أعين المرتاب
قد توارى من كيدهم ثاني اثْنَيْن فكَانَا عن مكره في حجاب
ولكم آية وكم من دليل قد أزالَت عماية الارتباب

ثم بين أن وصفه بين لكل رسول، وإن نعتَه مثبت بكل كتاب، وهو الرؤوف بالمؤمنين، رحيم غير فظ ولا جاف ولا صخاب، ودينه عال على كل دين ومذهبه باق لغير ذهاب، ولهذا:

لا تطأ أرضه بنعل وطأها بجفون العيون والأهداب
انتشق تربه وقبله واخضع وتوسد شريف تلك القباب
وتشفع به إلى الله تسلم من عذاب خزي وخزي عذاب

ثم يعبر عن أن حبه له لا يفنيه الدهر ولا تذهبه الأيام، ثم اخذ يوالي عليه الصلاة والسلام:

إن حبي له لازم ولما يزول الحب لازم الأحباب
صلوات الله تترى عليه باقيات على مدى الأحقاب

ثم يختم القصيدة بطلب الشفاعة إليه لمغفرة ذنوبه والصفح عن زلاته:

¹: بالهمزة للضرورة: الإرتباب.

وأَجَزْنِي عَلَى الصَّرَاطِ بِرَحْمِي مِنْكَ أُنْجُو بِهَا وَيَسِّرْ حَسَابِي
فَذَنْوَبِي كَثِيرَةٌ لَيْسَ تَحْصِي وَعَيُوبِي شَتَّى مَلَأَن عِيَابِي
فَأَقْلَ عَشْرَتِي وَثَبْتَ مَرَادِي لَا يَزِغُ فِي مَوَاطِنِ الْإِرْهَابِ
وَأَعَفَ عَنِّي وَارْحَمْ وَسَامِح وَاعْتَقَنَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ فَكِ الرِّقَابِ

وتعد قصيدة أبي اليمن ملحمة طويلة مسهبة عرض فيها كثيرا من صور الافتتان، لأنها أبانت عن سعة أفقه وحرارة شوقه وثورة وجدانه، وما هذه الأبيات إلا نماذج من صور نفسه التي أخلص بها لحب الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك المغاني المقدسة، وحشر فيها أيضا كثيرا من البديع مثل قوله مجنسا بين (عششن وأعششن) و(حف وحافَّتْه) و(مذهب وذهاب) وغير ذلك.

ومما ورد في الرحلة من هذا القبيل أيضا نظم للمحب الطبري الأديب الزاهد المتصوف وذلك في قصيدته التي يقول في أولها (الكامل)¹

الوجد يشهد أنني مقتول بهوى المحجب والغرام كفيل
أسر الفؤاد جميله وجماله فالقلب فيه كثيرٌ وجميل

وفيها يقول:

يا معهد الأحباب هل من عودة ليضم فيها شملك الماهول
أو هل بتنعيم الحمى من وقفة أو هل إلى وادي الأراك سبيل
أو هل أرى من أرض مكة معلما أو يبدون لي شامة وطفيل²
أو تقبل النكباء حمل محبة لمتيم صب براه نخول
يخلو له سر الهوى وحديثه فيه عريض شرحه وطويل

ومن قوله:

كيف الوصول إلى الوصال وعزة عزت فعز على المحب وصول

¹: الرحلة 25/5.

²: هذا البيت ينظر إلى قول بلال بن حمامة

ألا ليت شعري هل أبين ليلة يفخ وحولي إذخر وجليل
وهل أرى يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل؟
ومعجم البلدان لياقوت 35/3.

ومنها:

أرجو وآمل وصلها وصلاتها يا حبذا المرجو والمأمول
يا ويح قلبي من صدود أحبتي ما الصد إلا للمحب قتول
أم كيف أسلو وهي غاية مطلبي إن الغرام بعزة لجميل
لا نلت وصلا إن تحدث خاطري بسلوها أو أضمر التبديل

ويتبين لنا من خلال أبيات محب الدين الطبري ذلك النفس والطريقة اللذان شهدناهما عند أبي اليمن بن عساكر، وإذا عرفنا أنه كان مفتيا للشافعية ومحدثا في الحجاز ومؤلفا لكتاب ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، فإن كثيرا من المعاني التي أوردها في ذلك الكتاب ضمنها قصيدته السالفة الذكر، ويغلب على معانيه كذلك مسحة الزهد والتصوف، وفي أسلوبه رصانة وقوة لا نجدها في شعر أبي اليمن، ثم إن تلك الإشارات والرموز التاريخية لتتم عن أفقه الواسع وفهمه المدرك لأحداث تاريخ الإسلام وظروف الدعوة الإسلامية، وغوص على جواهر المعاني وفيها إشارات إلى قصص الأدباء والشعراء القدماء كجميل وكثير وعزة وبلال بن حماسة وغيرهم.

وإذا كان من خصائص شعر الحجازيات وصف مواضع الحج، فإننا نجد أن محب الدين الطبري يذكر لنا مسألة فقهية يجيب فيها عن استفتاء مستفت، فقد حكى صاحب ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن الشريف أبي القاسم الحسني قال: حضرت بمكة عند الشيخ محب الدين الطبري فحادثه مستفت يسأله تقبيل الحجر الأسود بصوت أم دون صوت؟ فذكر له التقبيل من غير تصويت، فقال: إني لا أستطيع. قال فأطرق الشيخ ثم ارتجل هذه الأبيات: (الطويل)¹

وقالوا إذا قبلت وجنة من تهوى

فلا تسمعن صوتا ولا تعلن النجوى

فقلت ومن يملك شفاها مشوقة

إذا ظفرت يوما بغايتها القصوى

¹: الرحلة 24/5.

وهل يَشْفِي¹ التقسيل إلا مصوتا

وهل يبرد الاحشا سوى الجهر بالشكوى

وإن ارتجال الطيري لهذه الأبيات البليغة دلالة واضحة على علو كعبه في فن القول وسرعة البديهة وحضور الاحكام في ذهنه والتصدي بمقنع الجواب لبعض النوازل التي تحتاج الإجابة عنها إلى حسن الفهم والخبرة والممارسة والروية والأناة وطول التفكير. ومن صور الوجد التي تصيب حداة ركب الحج ما أخبر به أبو عبد الله العسقلاني تلميذه ابن رشيد من قصة رفع سندها إلى أبي بكر بن العربي قال²: سمعت محمد بن عبد الملك ابن الصوفي يقول خرجت مع أبي الفضل بن الجوهري رحمه الله مشيعين لقافلة الحجاج ومودعين لها، قال فالتفت بعد زم الرحال إلى فتى حسن الوجه شاحب اللون وهو يتبع الرواحل راحلة بعد راحلة ويتردد حتى مشى الحجاج عن آخرهم وكان يقول أثناء ترده (الطويل)³:

أحجاج بيت الله في أي هودج

وفي أي خدر من خدوركم قلبي

أبقى رهين⁴ الشوق في أرض غربة

وحاديكم يحدو بقلبي مع الركب

فوا أسفا لم أقض منكم لبانتي

ولم أمتع بالـجوار وبالـقرب

وفرقت بيني الرحيل وبينكم

فها أنذا أقضي على اثركم نخبتي

¹: قال ابن رشيد: هكذا قاله وهل يشفي فحرك حرف العلة للضرورة، ولا ضرورة بأن يقول وهل يبرئ وهي رديفة يشفي.

²: الرحلة 26/5.

³: انظر هذه الأبيات أيضا في كتاب ذم الهوى لأبي الفرج بن الجوزي مع اختلاف في كثير من الكلمات.

⁴: أسير الحب في دار غربة ص 546. ونلاحظ أن كتاب ذم الهوى أورد بيتين فقط ص 563 وفي الرحلة خمسة أبيات، وهناك اختلاف في السند أيضا.

يقولون هذا آخر العهد فيكم

فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

فلما لم يبق من الحاج أثر وانقطع رجاؤه جعل يخطر هائما وأخذ ينشد (المديد)

خل دمع¹ العين ينهمل بان من تهواه وارتحلوا²

بأي دمع صانه كلف³ فهو يوم البين مبتذل

قال ثم سقط إلى الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه رحمة الله عليه⁴ وهذه الأبيات تعطينا صورة أخرى عن ذوي القلوب الرقيقة والمنازع اللطيفة والإحساس المرهف والشعور الفياض الحافل بالمعاني السامية التي تغزو الأرواح والنفوس، وذلك في العصر الذي كانت تهيم فيه تيارات عقدية خاصة. فقد كان الحجاز يأخذ بجامع لب السائحين والراحلين والأدباء والشعراء وأهل الوجد والأحوال والتصوف، والإقامة في الحرم الشريف كانت تملأ أرجاء عقل الحاج ونفسه وقلبه وشعوره بعاطفة دينية خاصة ومعان روحية عامة، وما هو ذا محب الدين الطبري يعبر بشيء عن ذلك في قصيد (18 أبياتا) (الحفيف) ومنه:⁵

ما لطرفي عن الجمال براح	ولقلبي به غداء وراح
كل معنى يلوح في كل حسن	لي إليه تقلب وارتياح
وغرامي به نديم وشربي	دائما من سلافة أقداح
أجتلي الحسن شاهدا فيه معنى	هو روح وما سوى أشباح
فبهم يعشق الجمال ويهوى	ويشوق الحمى ويهوى الملاح
وبهم يعذب الغرام ويخلو	ويطيب الشناء والامتداح ⁶

¹: فيض الدمع.

²: فارتحلوا.

³: كل دمع صانه كلف.

⁴: أشار ابن رشيد إلى أن هذه القصة وردت في كتاب الأربعين لابن مسدي أيضا. وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه ذم الهوى ص: 563: ثم تنفس الصعداء وشهق شهقة، فحركته فإذا هو ميت ونلاحظ أن رواية السند الذي وردت به في الرحلة يختلف عنه في كتاب ذم الهوى.

⁵: الرحلة 52/5.

⁶: الإمتداح بالهمزة للضرورة.

وما عليّ من هوى المليح جُناح
يكتم الحب والهوى فضاخ
وقباء¹ فيها الوجوه الصباح
مشرق الـروض عطره فياخ
وربوع تشتاقها الأرواح
ويترب الحمى تداوى الجراح

لا تلم يا خلي قلبي فيهم
ويح قلبي وويح طرفي إلى كم
صاح عرج على العقيق² وسلع³
قف بجرعائها⁴ وناد بناد
يا أهيل الحمى وأهل المصلى
للمحب المشوق قلب جريح

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أيضا أن القصائد الحجازية تمتاز بالطول وذكر الكثير من المشاعر الكريمة ووصفها وصفا دقيقا وتشتمل على صور شتى للحل والترحال، وابداء الشوق، والهيام وذكر الحب والغرام على طريقة أهل التصوف في تواجدهم، وفيها وصف للنبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وفضله وطلب الشفاعة والإجارة من عذاب الحزني والتوسل به إلى الجنة، وفيها إسداء التحية له والسلام عليه. وفي كل ذلك تفخيم وتهويل يليقان بجلال الموقف وقديسيته. وذلك طبعي بالنسبة لمسلم ترتبط شعائره العقديّة والدينيّة وتقاليده الحياتيّة بتلك الآثار التي تشكل عنصرا من أهم عناصر أعماله في الصلاة والحج. ولأن فيها ممارسة وتعبدًا وذكرى نافعة. ولعل هذا هو السبب الذي كان يدعو أولئك الشعراء للغياب عن عقلهم في الفترة التي ينشدون فيها أشعارهم لينتقلوا إلى تلك الديار ليزوروها بأرواحهم قبل أشباحهم، ولهذا أيضا تجيء تلك الأشعار ملاحم بديعة الصور والمعاني والأسلوب، وبالرغم من طولها وإسهابها تجيء مقبولة سائغة لا يمل من قراءتها أو إعادتها.

و- في مذهب المالكية

لما وقع إجماع المسلمين على تقليد بعض الأئمة واتباعهم والافتداء بهم ودرس كتبهم والتفقه عليهم، فإن هناك من كان يرى أن مالك ابن أنس هو أحق بالإمامة، لأنه كان محصلا درجة الاجتهاد، ولأنه اعلم القوم كما قال فيه ابن هرمرز وابن عيينة ولأنه

¹: القباب: موضع بنجد على طريق حاج البصرة.

²: العقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخل.

³: سلع: موضع أو جبل بقرب المدينة.

⁴: جرعاء: موضع بنجد.

كان سيد المسلمين¹ وقد قال فيه الازاعي: "مالك عالم العلماء وعالم اهل المدينة، ومفتي الحرمين"، وقال الشافعي: مالك أستاذي وعنه أخذت العلم ومالك معلمي، وما أحد آمن علي من مالك، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله²، وقال أيضا: إذا جاء الاثر فمالك النجم³. وبكفيه فخرا أنه أستاذ الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني، بل إنهما تتلمذا عليه واعترفا بفضله وإمامته⁴ ويعتبر له ريادته وسبقه في استنباط المسائل الفقهية من الحديث النبوي الشريف. وكان كتابه الموطأ أول الكتب المعتمدة في ذلك، وأما مفخرته الثانية فهي المدونة، وقد ظهر فيها أنه "أثبت في كل شيء"⁵ ولهذا كله وقع مالك وعلمه وشرف عمله موقعا حسنا في نفوس العلماء والشعراء، وفي هذه المعاني أنشد أبو بكر بن قسوم لنفسه على أبي اسحق البليقي هذه الأبيات التي رواها عنه ابن حيان الشاطبي بتونس (الوافر)⁶

أجِدُّ المَالِكِيَّة لست أبغي بمذهب مالك في الشرع مذهب
ألم يك للحديث أصح تقلا وأبدع في تفقهه وأهذب

فلو لم يكن كذلك مقدما لما ضربت إليه أكباد الابل من مشارق الأرض ومغاربها⁷ وقد كان الثوري إذا جلس بين مالك ونظر إلى إجلال الناس له وإجلال مالك للعلم أنشد (الكامل):

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة

والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى

فهو المطاع وليس ذا سلطان

¹: ترتيب المدارك 73/1.

²: أسهل المدارك، شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك 6/1.

³: طبقات الحفاظ 90.

⁴: الانتقاء لابن عبد البر ص 24-25. و 93.

⁵: طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 90.

⁶: الرحلة 25/2.

⁷: ترتيب المدارك 74/1 وانظر ما قال فيه الثوري إذا جلس بين يدي مالك: شجرة النور 53 وذلك في أبيات.

ز - الزهد

إذا كانت صور الزهد تهيمن على كثير من الشعر الديني، فإن ما يطبعه هو ترك ملاذ الدنيا ومتاعها الزائل، والإيمان بأن الفناء سيدرك كل شيء إلا وجه الرب ذي الجلال والإكرام، وما يطبعه أيضا الحث على التزود بالتقوى والهداية والرضا بالقليل والفناعة، والدعوة إلى عدم طاعة النفس في شهواتها وهفواتها، والشعراء في هذا يختلفون ضعفا وقوة، علوا واسفاقا، وبين أيدينا ذخيرة ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار لإعطاء صورة واضحة عن الحياة النفسية والشعورية والثقافية لعصر ابن رشيد وقبلة من الأعصار. ثم إن هذه النصوص التي نوردها تعد صورة لنفوس قائلها وظروف حياتهم وطبيعة أخلاقهم في حال سخطهم ورضاهم وفي حال توبتهم وتكفيرهم عن زلاتهم. ومن شعر الزهد الوارد في الرحلة لشعراء سابقين لعصر ابن رشيد: شعر ابن الأبار الذي رواه ابن رشيد عن أبي الحسن بن رزين عن الشاعر لنفسه: ¹(السريع)

إلى م في حل وفي ربط تحبط جهلا إما خبط
دع الورى وارح الاله الورى فإنه ذو القبض والبسط
ليس لما يعطيه من مانع ولا لما يمنع من معط

وتعد هذه الأبيات آخر ما أنشده ابن الأبار لابن رزين ² وهي في معنى التسليم للمقدور.

ومما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو اسحق بن عياش الكاتب الشهير قال أنشدني أبو بكر حميد، وهو أبو بكر أحمد ابن الإمام أبي محمد القرطبي لنفسه: ³(البسيط)

مقاصد الناس في دنياك أجناس

فاقعد فلا مطلب يبغي ولا ناس

¹: الرحلة 65/6.

²: انظر هذه الأبيات أيضا في أزهار الرياض 222/3 وانظر أيضا رحلة العبدري 254.

³: الرحلة 25/2.

وارض القناعة مالا والتقى حسبا

فما على ذي تقى من دهره باس

وإن علتك رؤوس وازدرتك فقي

بطن الثرى يتساوى الرّجل والراس

ففي أبيات الابار والقرطبي دعوة صريحة إلى نبذ بهرج الحياة الدنيا وحث على القناعة والرضا وهذه المعاني تنظر إلى معنى الآية الكريمة: "ما عندكم ينفد وما عند الله باق"¹ وفيها أيضا إشارة إلى قول أبي العتاهية في قصيدته الشهيرة (الوافر)²

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تباب (القصيدة)

ومن ذلك ما أنشده أبو الحسن بن رزين قال: أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطلة لنفسه (الخفيف)³

واغتنم في الزمان يا صاح خمسا	قبل خمس تفز بخير اغتنام
صحة الجسم والغنى وفراغا	قبل شغل وفاقة وسقام
وشبابا تلتذه وحياة	قبل اعجال كبيرة وحمام
فلعمري لقد نصحتك نظما	نثره من كلام خير الأنام

وقد نظم الشاعر في هذه الأبيات الحديث النبوي الشريف: اغتنم خمسا قبل خمس ... الحديث رواه البيهقي عن ابن عباس.

ومن ذلك قول أبي الحسن التجاني في بعده عما يشينه وقربه من طلب ما يزينه وطلبه للعلا وتركه كل ما يندس شرفه (السريع)⁴

1: النحل 96.

2: الديوان 46.

3: الرحلة 83/6.

4: الرحلة 19/7.

وكأس راح حثها شادن رضابه عن شربها يسلي
فقلت يا شادن عني بها فليس يهوى شربها مثلي
همي وشغلي طلبتي للعلا ما الراح من همي ولا شغلي
لا أرتضي فعلي وعقلي معي فكيف أرضاه بلا عقل

وفي هذه الأبيات حوار يشخص لنا الحديث بين العقل والنفس، بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين هدى الله وضلال الشيطان، فكان الانتصار دائما للحق والخير. ومما أبدع فيه أيضا أبو الحسن التجاني في معنى اقبال الدنيا وادبارها واعراضها قوله في أبيات يصور فيها الدهر وكيف ينبغي أن نرتاضه ونلين ما شمس من طبعه (البسيط)¹

سألزم الصبر علّ الدهر يسعدني

بعد الحجاج ويدني كل أغراضي

هل اغضب الدهر من أبنائه أحدا

إلا تقلب حتى رده راضي²

كلا ولا تقبل الدنيا على أحد

إلا وتعقب اقبالا بإعراض

والمرء على ماضي إساءته

وليس يلحى على إحسانه الماضي³

ومما أنشده أبو الفضل التجاني أيضا قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد النور بن عبد الواحد بن خلف ابن مكي بن أحمد المازري الأصل الحميري التونسي لنفسه قال: ويجب على العاقل حفظها والعمل بمقتضاها (الطويل)⁴

¹: نفسه.

²: في ذلك ضرورة شعرية: أصله راضيا.

³: نلاحظ أن الشاعر التزم في الأبيات الثلاثة ما لا يلزم ولكنه ترك ذلك في البيت الرابع.

⁴: الرحلة 32/7.

حرصت على كسب العلاء فلم أجد

علوي إلا أن أفل شبا حرصي

وزهدني في طيب الزاد أنه يجيء بذل فاقصرت على قرصي

ولقد أجاد أبو العباس المازري في هذا القول الموجز، وهو من السهل الممتنع وفيه معنى جليل يعز ضريبه.

ومن ذلك قول ابن الطيلسان، وكان يعني، في قصيدته، أبا جعفر بن يحيى الذي كان امتدح ملوك زمانه بقصائد طوال يشهد له فيها بالإجادة، ثم نزع عن ذلك واستغفر الله تعالى فقال: (الطويل)¹

ولما رأيت الناس طرا تكالبوا

ولم يسمحوا إلا بكذب من الوعد

ولم يجد مدحيهم فتيلًا وزادني عنادا وجار القصد عن سنن القصد
نبذت بهم نبذا وعذت بخالقي وبأ فوز من قد عاذ بالصمد الفرد
بمن يملك الأشياء لأرب غيره ويرضى بالحاح السؤال عن العبد
فيا خالقي عطفًا علي ورحمة نعوذ بها يا من يعيد ومن يبدي

فبعد أن نبذ ابن الطيلسان كل ما يأتي من هذا العبد الفقير الذليل الذي لا يبدي ولا يعيد نراه يحذر الإنسان أوخم العواقب ويبصره بمصيره المحتم الذي لا مناص له منه، وهو يريد أن يجعل ثقته كاملة في الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير: (السريع)²

يا أيها الظالم للنفس فكر وبادر ظلمة الرمس
فيه ترى كل الذي قد جنت كف وتجنني ثمر الغرس
طوبى لمن آخر ألفاظه لأرب إلا الله ذو الكرسي
وكان في اليوم مدى عمره أحسن حالا منه بالأمس

¹: الرحلة 56/7.

²: الرحلة 56/7.

ذاك الذي يشفع فيه غدا محمد أفضل ذا الانس
يسقيه من طيب سلسال ما في الحوض بالكوب وبالكأس
يا رب يا مولاي لا تحرمن عبدك ما في جنة القدس

وهذا أبو الربيع بن سالم الكلاعي ينجز لنا عملا يغني فضولنا بما جادت به قريحته في هذا المضممار، وإليه تلقى في الحقيقة عصا التسيار، وذلك في كثرة ما ألفه وأنشده من القصائد الدينية في المديح النبوي ومثال النعل الكريمة والزهد وغير ذلك¹، فقد أنشد القاضي أبو العباس بن الغماز قال: أنشدنا الخطيب أبو الربيع الكلاعي سماعا عليه من كتاب المفاوضة (مجزوء الرجز) (حرف الراء)²

لله عبد صادق أراق كاسات الكرى
يقطع عمر ليله معتبرا مستعبرا
وماله في سبل الخيرات نهب للقرى

إذا رأى مكرمة هش لها مبتدرا
وإن ألم مؤلم قابله مصطبرا
ذاك الذي سوف يرى مسعاته كيف ترى
أخلق بساري الليل أن ترضيه عقبي السرى

وينشدنا من أخرى يحثنا فيها على التواضع وترك الصلف والكبر (البسيط) (حرف الفاء)³

يا من توهم أن الكبر مكرمة تواضع المرء في الدنيا هو الشرف
أبناء جنسك أمثال سواسية فقيم أم عمّ هذا التيه والصلف

ويا ضنيينا ببذل العرف عن جـدة

على مخـول هذي الانعم الخلف

¹: انظر شعره أيضا في كتاب تاريخ قضاة الأندلس 119 والذيل والتكملة 83/4. والمغرب 316/2. وفوات الوفيات 2/

80.

²: الرحلة 19/6.

³: الرحلة 18/6.

ضمن الفتى إذ تظنى بذ له شرفاً

وليس في الخير لو يدري الفتى سرف

ومن أخرى في الحث على العبادة والسعي إلى الخير والاجتهاد في ذلك:

عجبت للمتواني عن سعادته وشمس مدته قد قاربت طفلاً
يجري للغاية القصوى على كفل من عمره كيف يجري راكب كفلاً
رويد سعيك في طرق الهوى أفلاً يكفيك شيب ألت نذره أفلاً
بادر إلى الله بالأعمال مجتهداً واجمع إلى القرض ممن يرودها النفلاً
وعُدَّ عن عالم للغى مرتكب وعد أنسهم وحشاً بظهر فلا

وفي الحث على العفو مع المقدرة والحض على التوبة بعد الجناية والتحذير من
حتمية القدر قول أبي بكر بن قسوم، وقد أنشدها لعبد الله بن هرون لما لقيه بأشبيلية¹
(مجزوء الكامل)

يا ويحه مما جنى من لم يعف وقد قدر
حرم المشوبة فاستعد بالله من نسق القدر

ومن باب التوكل على الله وتسليم الأمر إليه ورجاء نعمته ورحمته وفضله
والاعتقاد في أنه فاتح لما استغلق من الأمور، وإنه مجيب الدعاء لمن دعاه، وإنه الميسر
لكل عسير - ما أنشده أبو عبد الله بن حيان الشاطبي قال أنشدني أبو محمد بن عبد
العزيز بن أحمد التميمي المشهر بابن بريدة، وكان فاضلاً، قال أنشدنا الأديب أبو محمد
عبد العظيم سالم بن أبي العرب الأندلسي لنفسه من كلمة طويلة (الحب)²

سلم في الأمر تنل فرجا وتجد إن ضاق له فرجا
وبفضل الله ورحمته أبشر جزلاً بهما لهجا
فوض لله فلست ترى أبواب اليسر به رتجا
وازدد في الأمر يقين هدى تلقى في الصدر به ثلجا

¹: الرحلة 16/2.

²: الرحلة 24/2.

واقرع باب الرضوان ومن قرع الأبواب فقد ولجا
واركب الفلك على ثقة بالله ولا تهب اللججا
فكليم الله وأمته لعبور اليوم نجوا ونجا

وهذه القصيدة تنظر إلى معاني قصيدة أبي الفضل النحوي المشهورة بأم الفرج
وكان قد أنشأها عند شدة هالت فأقشعت بفضل الله¹.

ومما جاء في الرحلة من معنى اللوم على اللهو والانسياق وراء نزوات القلب ما
صاغه أبو المطرف بن عميرة، ولم يكن وروده هنا إلا للاعتبار وتذكر العمر الذي يتولى
(الطويل)²

قالوا أتلهو والشباب قد انقضى

وعمرك قد ولى ولم يبق طائل

فقلت أصيل العمر ما قد بلغته

وأطيب أوقات الزمان الأصائل

وقوله كذلك:³ (الحفيف)

بايعونا مودة هي عندي كالمصرة⁴ يبيعها بالخداع
فسأقضي بردها ثم أقضي معها من ندامتي ألف صاع

وقوله: (الوافر)⁵

أرادوني على لبس الجديد ومالي والجديد من البرود
أيزوي العود والأوراق خضر مخالفة لعمرك للوجود

¹: انظر تخميسها في رحلة العبدري 92.

²: الرحلة 27/2.

³: نفسه وكتاب أبو المطرف بن عميرة ص 244.

⁴: التصرية عند مالك والشاطبي عيب، وذلك حسب الحديث النبوي: لا تصروا الابل ... الحديث. انظر بداية المجتهد

لابن رشد 132/2.

⁵: الرحلة 27/3.

ومما يسلك في الترغيب في العمل للآخرة والترهيب من العقاب يوم الحساب قول أبي الحسن بن المفضل المقدسي وقد أنشد أبو الحسن بن رزين لآين رشيد وكتبه له بخطه قال أنشدني ابن برطلة بالمسجد الجامع من بجاية في رجب 655 هـ قال أنشدني أبو عمرو ابن عات سنة 608 هـ قال أنشدني ابن المفضل سلخ شهر ربيع الأول سنة 502 هـ بشعر الاسكندرية وهو من لزوم ما لا يلزم (الطويل)¹

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل

وأصحابه والتابعين تمسكي

عساك إذا بالغت في نشر دينه

بما طاب من عرف له أن تمسكي

وخافي غدا يوم الحساب جهنما

إذا لفحت نيرانها أن تمسك²

ومن ذلك ما أنشده الكاتب أبو الحسن بن رزين لنفسه وقد سأله ابن رشيد نظمه ليصل مسلك الناظمين في العينيات المسلسلات فقال وكتبه له بخطه (الطويل)³

نصيبك من دنياك يا صاح بلغة

وإن عز فيها صحة وفراغ

فما بالنا نلهو ونغتر بالمنى

كان ليس للآخرى الغداة بلاغ

¹: الرحلة 66/6.

²: انظر: رحلة العبدري 254.

³: الرحلة 77/6.

يساغ لنا نساء الحياة لغاية

ولكن خلود المرء ليس يساغ

فشمر وبادر منك فرط إثابة

فحادي المنايا ليس منه مـراغ¹

ومما أنشده ابن الخيمي لابن رشيد في معنى النصيحة بعدم مطاوعة الهوى والحث

على الترفع عن الدنيا قوله: (الكامل)²

يا طالبا للعز هاك نصيحتي لفظا على المعنى البسيط وجيزا

ما الذل إلا في مطاوعة الهوى فإذا عصيت هواك كنت عزيزا³

وفي معنى التواضع والحمول ونبد الشهرة قول ابن حبيش، وقد أنشده ابن حيان

لابن رشيد وهو من لزوم ما لا يلزم (السريع)⁴

إياك والشهرة في ملبس والبس من الأثواب أسماها

تواضع الإنسان في نفسه شرف للنفس وأسمى لها

ومن بليغ قول أبي بكر بن حبيش أيضا: (البسيط)⁵

إني لأعسر أحيانا فتدركني بشرى من الله أن العسر قد زالا

يقول خير الورى في سنة ثبتت أنفق ولا تحش من ذي العسر إقلا لا

¹: في رحلة العبدري بعض اختلاف في نص هذه الأبيات انظر ص 253 ثم إن في رحلة ابن رشيد استدراكا مفيدا ونص: "غير البيتين الأولين وابتدأهما لي وكتبهما بخطه وعليهما اعتمد وزاد بيتا ثالثا تل الثاني فقال:

نصيبك من دنياك أبسر بلغة تصان لها أماننا وتصاغ

وتلبسنا الأيام أخلاق جدة قليل لديها صحة وفراغ

ونلهو كأننا في أمان من الردى وليس إلى دار الخلود بلاغ

فكيف وقد ولي والشباب ولاح للمشيب بفودي عارضيك صباغ

لاحظ مطابقة بعض أنصاف البيت لما في رحلة العبدري 144.

²: الرحلة 47/3.

³: انظر أيضا رحلة العبدري ص 253.

⁴: الرحلة 24/2.

⁵: الرحلة 8/2.

وفي معنى نبذ البدعة وترك التصنع وهجر الطمع قول أبي الحسن علي بن محمد
الخزرجي الساعدي الغرناطي شيخ ابن رشيد بالاسكندرية، من قصيده المسمط الذي عارض
به قصيد أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

خل اذكار الاربع¹

ومطلع قصيد الخزرجي: (مجزوء الرجز)²

هون بأهل البدع والهجر والتصنع ودن بترك الطمع
ولذ بأهل الورع

ويقول فيها:

وعد عن كل سند لم يكثرث بالسند والهج بير جهبذ
وعالم متضجع
واندب زمانا قد سلف ولم تجد منه خلف وابعث بأنفاس الأسف
رسائل التضرع³

ومن قوله أيضا في قصيدته الطويلة (البيسط)⁴

بأمر دنياك لا تحفل وكن حذرا

فقد أبانت لأرياب النهى عبرا

ومنها:

فكل عيش تراه العين من حسن

كر الأهلة لا يبغي له أثرا

¹: الرحلة 8/3.

²: انظر مقامات الحريري: المقامة الخمسون البصرية ص: 296.

³: انظر شيئا من هذه القصيدة في نفح الطيب نقلا عن ابن رشيد 395/2 مع اختلاف يسير في الرواية.

⁴: الرحلة 8/3 ودرة الحجال 214/3 ترجمة 1223 مع اختلاف يسير في الرواية.

طوبى لمن جال فيها فـكـره فـنـأى

عما تغيب منه أو حضرا

وقام في حندس الظلماء مجتهدا

يردد الذكر والآيات والسـُـورا

حتى إذا الليل ولى منه أكثره

وراقب الوقت لما قارب السحرا

ولم يزل واقفا بالباب مبتهلا

يرجو الإجابة ممن جل واقتدرا

فبات يبذر في أرض الرضا حسنا

وإنما يحصد الإنسان ما بذرا

مشى على منهج التقوى ودام على

حفظ الأوامر فاحتاجت له الأُمرا

لله ما الملك إلا ملك ما منحت

له الفناعة فاستغنى وما افتقرا

يا نائما وعيون القوم ساهرة

ولا يبالي أطل الليل أم قصرا

قم للهدى يا نومان مجتهدا

فللجديدين سيف ينسف العمرا

ومن أحسن قصائده قصيدة في معارضة كعب بن زهير في قصيدته (بانت سعاد)،

فقد نقض جميع أبياتها، وحل ما عقده كعب من المعاني، فكانت هذه إعراضا وتلك

إقبالا وشتان بينهما ويقول منها:

ما في سعاد قصد لنا ولا سؤال

فإن قلبي عنها اليوم مشغول¹

ومن شعر الصلاح والزهد ما أنشده أبو محمد الخلاسي لابن رشيد من شعر أبي الحسن علي بن الفضل المقدسي (المنسرح)²

يا حبذا الصالحون إنهم في سبيل الصالحات قد سلكوا
إن لم أكن قد فعلت ما فعلوا فليتني قد تركت ما تركوا

وصفوة القول في هذه المقطعات والقصائد أنها تمثل الزهد في التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب، وتوضح لنا سلامة الفطرة للشاعر العربي الزاهد الراغب عن الملاذ الشاذة للنفس البشرية الطامعة، ونزوعاتها الطائشة، والراغب في الفهم الأصيل لمتطلبات الحياة العملية في قصد واعتدال، وقد استعان الشعراء في كل ذلك بأسلوب مبسط غير مغرق في الرمز ولا مبهم في الإشارة، وفيها نصائح وإرشادات وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وفيها الهداية إلى أقصى الموارد من نهر الإسلام السلسال الخالد، وفيها صور من القناعة والرضا، وهجر التصنع والإسراف وفيها صلاح للإنسان في حياته وأخراه، فالعمر مهما طال، له آخر ونهاية، والحياة مهما سعدت فإنها تعروها بعض الأوشاب التي تنغص وتكدر الصفو. ويظهر من خلال هذه الأبيات أن الزهد عند هؤلاء الشعراء ينبثق عن الممارسة، ويتجلى في السلوك، ويتمثل في العمل والتربية. وقد استمدوا صور هذا الزهد من معين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأوامر الإسلام ونواحيه بصفة عامة. وإنه لا يهمننا أن يكون هذا الزهد متمثلاً حقاً في هؤلاء الشعراء، أو أن يكونوا ملتزمين به في حياتهم، وإنما الأهم هو ما بين أيدينا من نصوصه، ولابد من أن يعكس روح الأمة الإسلامية آنذاك في بعض وجوهها أو كلها، ولكن إذ عرفنا أن كل هؤلاء الشعراء الذين قالوا هذا الشعر قد عرف عنهم صلاحهم واستقامتهم، فلا شك أن هذا الشعر يمثل تلك التجربة الصادقة والمثل الأعلى، وهو بعيد كل البعد عن التواكل والحمول والجبن والانهزام.

¹: الرحلة 9/3 وهي طويلة أورد منها في الرحلة 30 بيتاً.

²: الرحلة 48/2.

ح - النسيب المزوج بالتصوف

كان لمذهب الشيخ محيي الدين بن عربي أثر كبير في الغرب الإسلامي أول الأمر، ثم امتد ذلك الأثر بعد ذلك إلى الشرق بمختلف نواحيه، وكان هذا الشيخ معاصراً لشعراء وفلاسفة عظام أمثال ابن الفارض والنجم الإسرائيلي وصدر الدين القونوي وسعد الدين الحموي¹، وقد نشأ في عهد ازدهرت فيه فلسفة ابن طفيل وابن رشد والغزالي².

وفي هذه التربة الخصبة نشأت مذاهب وعتت أفكار، وتشعبت ميول وعقائد، وازدهر الزهد والتصوف، وعمت طرائقه في العالم الإسلامي.

ونحن إذ نورد شيئاً من الشعر الذي تظهر فيه ملامح من التصوف نريد أن نعطي صورة أخرى للجانب الثقافي والفكري والعقدي الذي كان عليه العالم الإسلامي إلى حدود أواخر القرن السابع الهجري.

ولما كان المتصوفون من رجال الأدب والبيان، فإنهم أمدوا الأدب العربي بشعر له قيمة كبرى من الناحية الفنية والفكرية³، فهذا أبو الحسن التجاني التونسي الذي كان معروفاً بعلو كعبه في الأدبيات يسلك مسلك المتصوفين في بعض شعره وذلك بمزج النسيب بالتصوف مثل قوله: (الطويل)⁴

أجول بطرفي حيثما كنت لا أرى سوى حسن محبوبي الذي فتن الحسناء
دليلي إليه نوره فهو مشرق يقود محبيه إلى المقصد الأسنى
وأحسن ما يبدو لنا الحسن مسفراً إذا نحن غلبنا في محبته عنا

وفي المرصد الأعلى على طور وجدنا

من النور لما أن أتينا أقبسنا

¹: التصوف الإسلامي للدكتور قاسم غني ص 695 والتصوف الإسلامي لزكي مبارك ص 119.

²: محيي الدين بن عربي، من شعره للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ص 4.

³: التصوف الإسلامي لزكي مبارك ص 53.

⁴: الرحلة 15/7-16.

ولما وردنا حضرة قدسية دخلنا ومن أسرارنا نعرف الإذنا
أبيح لنا دن المدام فكلنا نشاوى الهوى والشرب لا ينقص الدنا
وقيل بساط الانس هذا فأنتم مباح لكم كل السرور بلا استثنا
فكم سكرة مخظى بها بعد سكرة وكم نعمة في روضة للرضا تجنى
وكان لنا سر كتمناه غيرة عليه فلم تكشف قناعا ولا بجنا
على حالنا حام الخلائق كلهم وصحت لنا من بينهم نكتة المعنى

ويظهر لنا من أبيات أبي الحسن التجاني أن شعره مما تعشو أنواره أبصار أهل
الحقيقة، ويعذب السمر في بساط سناه لأرباب تلك الطريقة، وذلك لحسن المحبوب الذي
يفتن الحسن نفسه، وغيبة المرء في المحبة عن نفسه، والشرب الذي لا ينقص الدن في روضة
الرضا وقد صاغ التجاني هذه المعاني بأسلوب رائق عذب بديع كما انه سالم من التكلف
والتعقر والزخرف، وهو أميل إلى طريقة الأدباء منه إلى شطحات الصوفية. كما أن
التجاني كان يستعمل بعض كلمات المتصوفة في وصف مشاعره والتعبير عن هيامه وذوبانه
في المحبوب، ويمزج التصوف بالنسيب عندما يذكر جوى البين والهوى والشوق والحب
والحسن المقيد والحسن المطلق والوصل والحال، وكانت تنقاد له أدوات اللغة ولا تستشكل
عليه صورة من الصور ولا يضطر إلى غريب من اللفظ كقوله

وقفنا بأقدام الرعاية والهدى

على المرصد الأعلى فلاح لنا السنا

عشونا إليه كالقراش وكيف لا تحن له الأرواح وهو لنا المنى

وحين رأينا الحسن طاشت عقولنا

وصرنا إلى حال يلذ بها الفنا

قدمنا عليه باشتياق وذلة

وخفر وتسليم فأدنى وأحسنا

ويبدو لنا التجاني لنا في مظهر المتصوفين، إذ إنه استعمل رموزهم
واصطلاحاتهم، وامتلاأت نفسه بما شعروا به من الغشاوة بالنور وطيش العقل وهيمنة

الفناء والشوق وغمرة الحسن والسنا، ولهذا نجد له قلبا للصوفي محققا يرى الذي أوجد
الأرواح والصور¹.

وإننا نجد في أبيات التجاني بعض معاني ابن عربي التي يقول فيها: (البسيط)²
تاه الفؤاد بذكر الله وابتهججا

ولاح صبح الهدى للعبد وانبلججا

وأسرج الله من أنوار حكمته

ومن معارفه في قلبه سرجا

فظل يفتح من أنوار رحمته على خليفته ما كان قد رتجا

وذلك عندما يبعث الله في القلوب أنوارا من الحكمة والإلهامات التي تضيء بها
القلوب فترى طريقها إلى الأسرار والحقائق.

ومما أنشده أبو الحسن التجاني أيضا لابنه أبي الفضل قوله في شعر يمزج فيه
النسيب بالتصوف (الطويل) (24 بيتا) منها³

فرقت ومثلي من جوى البين يفرق

وقد قربت منهم جمال وأينق

وقوضت الخيمات واغل نظمها

وأذهب شك البين منها التحقق

وظلت حداة الركب تحدو بركبهم

وظل غراب البين في الدار ينعق

¹: الرحلة 16/7 انظر المعاني في شعر ابن عربي (قلب الصوفي) الديوان ص 242.

²: محيي الدين بن عربي ص 226.

³: الرحلة 15/7.

وساروا بمن أهوى وخلفت بعدها

وفي كبدي نار من الشوق تحرق

وكفي على قلب من الوجد خافق

ودمع الأسى من مقلتي يتدفق

وألفيت أن الحب مر مذاقه

وأصعب ما يلقي الحب التفرق

فلو كنت في يوم التفرق شاهدي

لأبصرت ثوب الصبر كيف يمزق

ولو نظروا حالي وقد أزف النوى

لها لهم ما بي ورقوا وأشفقوا

ألا كل حسن فهو حسن مقيد

سوى حسن من أهوى الذي هو مطلق

سترت اسم محبوبي بأسماء غيرة

ومالي في أسماء قصد محقق

ولكنني أكني متى ما ذكرته

فكتمي من أهوى ألد وأليق

جعلت لقلبي منك نور محبة

يكاد به جناح الدجا يتألق

أتفتح لي باب المحبة منعما

ويصبح دوني باب وصلك يغلق

ثم لاحظ كذلك كثرة تكرار حرف القاف وفي ذلك دلالة معينة...

ومما قاله التجاني أيضا في معنى التوجه والإقبال والترقي إلى المقام الأسمى والأوجه قوله (الطويل)¹

بكل مكان روضة قدسية فقف وتنزه حيثما كنت واشهد
ففي كل شيء بهجة من جمالهم تلوح لذي وجد وتبدو لمهتدي
تجرد عن الأكوان واقصد جنابهم

حقيرا فإن الفوز للمتجرد
ولا تتعرض للرضا بوسيلة إليهم ولكن في وسائلك ازهد
وكن مطلقا حتى يلوح لك السنا

فحين تراه مقلتاك تقيد
سكرت ولكني سري لم أبح فما أنا في سكر الهوى بمعريد

فمهما بيد لنا التجاني في صورة المتصوفين فإنه ليس من أولئك الذين أغرقوا في الاعتقاد وأغربوا في السلوك، فتصوفه تصوف العاقل وليس تصوف عريضة، ولا شك في أن هذه الأشعار تدلنا على ما كان عليه جانب التصوف عند المغاربة بصفة عامة، لأن فلسفتهم وتصوفهم وتشيعهم واعتقاداتهم كان يغلب عليها جانب الاعتدال أكثر من غيره.²

ومن خلال الأشعار نستخلص مميزات القصيدة الصوفية ومنها اعتمادها على الألفاظ والرموز والمصطلحات التي يستعملها المتصوفون، وقد يكتنفها الغموض في بعض الأحيان، ولكن سياق الكلام عند التجاني يجعلنا نهتدي بسرعة إلى مفهومها ومعناها، وهم يستعملون تلك المصطلحات غالبا للتعمية والإخفاء كما عبر عن ذلك التجاني نفسه في بعض الأبيات التي ذكر فيها مصطلحات الغزل والحب والشوق، ولا شك في أن التجاني لم يقصد إلى حقيقة ذلك الغزل وظاهر معناه، وإنما كان يرمي من وراء ذلك إلى الحب الإلهي والفناء في الذات الإلاهية.

¹: الرحلة 16/7.

²: في تلك الأبيات توجيهات للسالك لابد من ذكرها وتحليلها لو كان هناك متسع من المكان.

وأما ما فيه من الإشارات الحبية أو الغرامية فلا تمثل إلا الاستشهاد في حب الله على طريقة الصوفيين¹.

2- المدح

لما كان المدح فنا من فنون الشعر العربي الغنائي الذي يعبر فيه الشاعر عن تقديره وإعجابه وحبه للممدوح، فإن القصائد الواردة في الرحلة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام، فأما القسم الأول منها فيتمثل في تلك القصائد التي قيلت في مدح الأشخاص، إذ يحاول الشاعر فيها الكشف عن أخلاق هذا الممدوح ومستواه العقلي والنفسي، وإبراز نواحي طبعه ومزاجه، والإشارة إلى كرم خلقه ويده وشجاعته وثباته في المواقف التي تدعو إلى ذلك، وتظهر في هذه القصائد ملامح المدح العربي عامة، إذ إن فيها ما هو من المدح الخالص النابع من العاطفة الصادقة التي لا يرمي الشاعر من ورائها إلى طلب العطاء أو تأميل في تحقيق رغبة من رغائب الدنيا، ونجد ذلك في شعر الطلبة الذين يمدحون شيوخهم، أو في مدح الشيوخ لتلاميذهم، أو مدح هؤلاء لأصحابهم، وفي كلتا الحالتين لا يعجب الشاعر عادة إلا بمن هو أهل لأن يجلد بذلك الشعر الذي هو ديوان العرب.

فمن القسم الأول تلك القصائد التي في مدح الكتب والعلوم ولا شك في أن لها اتصالاً بالقسم الأول، لأن أولئك الشيوخ والطلبة كانوا يمدحون بعضهم بعضاً إذا أنسوا في غيرهم غزارة العلم والسمو في الخلق.

وأما القسم الثاني فيمكن أن يدرج في مدح الملوك والامراء والقضاة والرؤساء.

وقد أضفت إلى ذلك قسماً ثالثاً من المديح الممزوج بالتهنئة لأنه يسير على منوال الامداح السالفة الذكر.

أ- مدح الطالب شيخه

فأما القصائد الواردة في الرحلة في هذا الشأن فيطبعها ذلك الاحترام والتقدير المطلقان، لأن الطالب دائماً يعجب بشيخه ويقدره حق قدره وذلك لما يربطه به من

¹: التصوف الإسلامي لزكي مبارك 250/1.

العلاقات التي لا تشوبها شوائب الطمع في الرئاسة، أو اقتناء مال، أو حصول على عرض من أعراض الدنيا، ولهذا نجد الطالب يرفع شيخه إلى درجة الملوك، ويسمو به إلى مرتبة تدنو من مراتب الرسل والأنبياء الذين لهم رسالة كرسالاتهم وغاية كغاياتهم، ولهذا لا يأخذنا العجب إذا صدرت عن ذلك الطالب بعض الأوصاف التي نسمها بالمغالاة والغرابة وتجاوز حدود الواقع، وذلك لأن الطالب معجب بشيخه مخلص في حبه، إذ روحه مستمدة من روحه وعقله مقتبس من عقله وعلمه مستفاد من بحره.

فمما جاء في الرحلة من الشعر الذي يمدح فيه الطالب شيخه ما أنشده أبو العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن القصير الاشبيلي في أستاذه الأديب أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر المزياتي (الكامل)¹

من رام رؤية آية فليأت فلقد أتى عجزا بها المزياتي
أدب كما انتسمت أزاهر روضة نفح الحيا فيهن روح حياة
فأجابه أبو القاسم المزياتي وكتبه ابن القصير لابن رشيد (الوافر)
لعمرك ما رأيت الشعر سحرا

سوى ما حاك منه ابن القصير

وقد اقصرت عنه ومن يجاري

مديد الباع بالباع القصير ومنه:

وناديت ابن حُجْر مستغيثا وقل هل لمثلك من نصير
فلست مساويا في قريضي ولو أصبحت فيه أبا بصير

ففي هذه الأبيات ما يدل على ذلك الإعجاب والتقدير المتبادل بين الطالب والأستاذ، واعتراف صريح يملك كل منهما من العلم والإحاطة والإجادة في الفنون والقدرة على بز الفحول من الشعراء كامرئ القيس والأعشى ميمون بن قيس.

¹: الرحلة 9/2.

ومن ذلك ما أنشده أبو العباس أحمد بن يوسف السلمي، صاحب ابن رشيد،
لنفسه وقد بعث به إلى الكاتب الأوحى أبي عبد الله محمد بن أبي العباس التجاني وهو
من جيد شعره: (الكامل)¹

حاشا لشعرك أن يكون مصونا أو أن تكون به علي ضنينا
لكن قصدت بطيه عن نشره معنى بديعا زاده تحسينا
نظمته من لؤلؤ فكننته كيما يصير اللؤلؤ المكنونا

وهو يريد بذلك أن يكشف لنا عن رسالة الشيخ الذي لا يرضن بعلمه أو يبخل
به، لأنه ينبغي أن يكون دائما سراجا للمهتمين من الطلبة.

ومن ذلك ما خاطب به إبراهيم بن عبد الحميد النحوي المعروف بالغزولي، أبا
الحسن بن عصفور وقد أفاد به أبو العباس السلمي صاحبه ابن رشيد (27 بيتا) (الوافر)
ومنها:²

تخلى دهرنا لا بالخلي	بالأستاذ ابن عصفور علي
فاتت بعده لأبي علي ⁴	مبادي النحو كانت من علي ³
تسلمها علي من الوصي ⁵	فصارت في دفاتره وصايا
وقومها على المنهج السوي	فقام بها وكان لها كفيلا
تباعد عنه فهم الفارسي ⁷	يقرب بالمقرب ⁶ كل معنى
والاخفش والمبرد والسري ⁸	وناضر للخليل وسيبويه
ويونس ³ والعلا ⁴ والأصمعي	ويحيى ¹ والكسائي ثم عيسى ²

¹: الرحلة 90/6.

²: الرحلة 93-92/6.

³: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

⁴: وهو ابن عصفور.

⁵: لاحظ أن الغزولي قد استعمل أحد الاصطلاحات التي يفهم منها معنى التشيع.

⁶: وهو أحد كتب ابن عصفور المشهورة.

⁷: هو أبو علي حسن ابن أحمد الفارسي النحوي (توفي 377هـ) وهو صاحب كتاب الإيضاح. كشف الظنون 211/1.

⁸: هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي. ابن خلكان 49/1.

وليس له من القرنا قريبن يباريه فيذكر في روي

ويقول في آخرها:

عليك سلام حب مستهام مشوق بالغداة وبالعشي

فأخلق بابتن عصفور أن تكون هذه صفاته ومزاياه، إذ يكفيه فخرا ما أغنى به اللغة العربية من المؤلفات النفيسة وغيرها من العلوم والفنون⁵.

وما كتب به علي بن أحمد التاذفي في مدح بهاء الدين ابن النحاس، وكان قد طلب منه أن يبيت عنده (البسيط)⁶

يا أيها المالك المولى الذي يده

تكف كف العدا إن نابت النوب

العالم العامل الذي شهدت بفضلته الفئتان العجم والعرب

ومن نلم به في كل معضلة لان الدهر منه الرعب والرهب

كالغيث إن يأت أرضا وهي مجدية

يحيا به حيوان الأرض والعشب

لم يبق للخلق إلا أنت منتخب

فليس تعمل إلا غوك النجب

قد صح بين جميع الناس كلهم

أن العلا إلى عليك تنتسب

¹: هو يحيى بن يعمر مراتب النحويين ص 50.

²: عيسى بن عمر مراتب 43.

³: يونس بن حبيب. مراتب 44-47.

⁴: أبو عمرو بن العلاء مراتب 33-42.

⁵: انظر قائمة كتب ابن عصفور في دراسة الرحلة ص: 962 وكذا في مقدمة تحقيق كتابه المقرب ص 5-6.

⁶: الرحلة 30/3.

قد شرف العلم قوما لا خلاق لهم
 وأنت تسمو بك الآداب والرتب
 أما الكتاب فلا أرضى به بدلا
 إلا إذا جاءت الخمسون والكتب
 فإن فعلت فقد أسديت تكريمة
 إن المكارم من نعماك تكتسب
 فلا برحت قرير العين في دعة
 ودمت ما كانت الأيام والحقب
 وإذا عرفنا أن ابن النحاس الحلبي هذا كان ممن رفع لواء العلم في العربية
 واللغة، أدركنا ما قصد به التناذير في شعره. وهذا ما حمّله على المبالغة والغلو في قوله:
 لم يبق للخلق إلا أنت منتخبا البيت.
 ومما أنشده أبو بكر بن حبيش من شعر ابن المرباط أبي بكر الكاتب من أبيات
 يمدحه بها (الكامل)¹
 فافخر أبا بكر فما داناك في² حوك القريض وحيدة المتنبي
 وأنسبه للفخر العظامي لؤلؤاً فله يقل، وإن تسامى اللؤلؤ
 ومن ذلك ما خاطب به أبو عبد الله بن الحكيم أستاذه ابن حبيش (الكامل)³

¹: الرحلة 9/2.

²: كتب في هامش المخطوطة: ساواك.

³: الرحلة 9/2.

ما للغريب إذا تذكر آله وبلاده لم يستطع أحواله
 وإذا تنسم نفحة من أرضه أضحى يردد للجوى إعواله
 وغدا يسح مدامعا تنسيك من وبل السحاب بسكبها هطاله
 ما ذاك إلا أن من يندى بها وبذاك يشغل بالصباة باله
 وأصح شيء في الهوى وحديثه أولى لمن يعنى به أولى له
 أبني الهوى إن شئتم خبر الهوى فأنا جهينته أحقق حاله

ويقول مخاطبا ابن حبيش:

محمد بن حبيش الحابي الجدا يولي القريب بفضله أفضاله
 إن الذي يأتي أبا بكر لقد جمعت له أيامه آماله
 من قدره في المد معلوم فما قدر الكواكب أن يكون نعاله
 علم المعارف قطبها الأعلى ومن يَسْطِيعُ أن يصف الرفيع كماله
 ما قدر مثلي أن يخاطبكم ولو ملكت من سحر البيان جلاله

ومن بديع قوله فيه:

فالشعر لست له بأهل إنني لم أستطع طول الزمان مقالته
 فإذا أردت قريضه قطعت من معناه أو من وزنه أوصاله

ومنها:

ويقيم والدهر جار وفقكم ما عاقبت بكراته آصاله

وقد استطاع ابن الحكيم الشاعر أن يجاري أفراس ابن حبيش في ميدانها ويأتي بما هو أبلغ وأقوم قليلا مما سبق إليه ذلك الأستاذ الأديب الناقد.

ومن ذلك ما انشده شيخ ابن رشيد جمال الدين محمد بن محمد بن الجابي البزاز يخاطب شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان (15 بيتا) (الكامل)¹ منها:

¹: الرحلة 80/5. والمخاطب هو أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني نزيل الاسكندرية، عارف بمذهب مالك، أشعري منحرف عن الحنابلة توفي سنة 683هـ. الشذرات 384/5.

عرج بباب المنحنى وقبابه

واسأل أهيل الحي عن أعرابه

وانشد فؤاد متيم قلق الحشا يشكو الجفا والبعد عن أحبابه

وأقر السلام على الحبيب وقل له

صل والها يحظى غداً بثوابه

واعطف وجد وارحم كئيها مدنفها

قد صرحت عواده بذهابه

قد قرح الدمع المصون جفونه وتبرحت أحشاؤه بمصابه

لا يستطيع تصيرا عن وصل من يفتر عن برد ومسك رضابه

أترى أرى الوجه الجميل ويشتفي

قلبي المعنى من لذيذ عتابه

يا عاذلي دعني فلو عاينته ما عاينته من لفظه وخطابه

لقد رتني ونظرت حسنا بارعا ورأيت ألفاظا أتت بكتابه

وبعد هذه المقدمة الطويلة التي مهد بها لذكر الممدوح قال:

هذا ابن نعمان الذي كل الورى

يبغون علما نازلين ببابه

شمس لنور الله حافظ علمه بر تقي زاد في آدابه

يا واحدا في عصره وزمانه يا منعما في بعده وإيابه

بادرت تشريفا فردت جلالة ورقيت عزا يا أجل صحابه

من رام مدحك فهو عنه عاجز ماذا يقول وأنت فوق جوابه

لقد أجاد البراز في وصف هذا العالم الجليل لأنه أسند إليه كل أوصاف الجلالة

والمهابة.

ومن شعر المدح قول أبي الحسن علي بن محمد الأنصاري القبيجاطي يمدح
القاضي الإمام العالم أبا الفضل بن البراء. ومع أن القبيجاطي هذا كان يترفع بهيمته إلى
المعالي من الأمور ويعزف عن مخاطبة الجمهور، لأنه كان ذا انقباض وتألم من زمانه
وارتماض، فإنه أنشد هذه الأبيات لابن رشيد وصاحبه أبي الفضل التجاني ليعبر بهما عما
كان يكنه لأبي الفضل بن البراء الإمام العالم من التقدير (ثلاثون بيتا) (الكامل) منها:¹

أهدى إليه خياله متعطرا فغدا المحب منكما مستبشرا
واقاه وهنا سافرا عن غرة خلعت عن الاظلام صبحا مسفرا
عانقته كالغصن أملد ناعما وعلقته كالظبي أحوى أحورا

ومنها:

يالائمي بان افتضاحي في الهوى

وأقام عذري أن تـمـراه معذرا

ما باختياري قدت نفسي للأسى

إذ كان ذلك في الكتاب مسطرا

لا خنت عهدا في هواه ولا أرى متسليا عنه ولا متصبرا

وبعد المقدمة الغزلية وذكر التحمل والارتحال ووصف العيس والنوق، تخلص إلى

مدحه بقوله:

ما في مشايخ عصرنا العلماء في

شرق وغرب من يباري ابن البراء

الأورع الاتقى أبا الفضل الذي في فضله وتقاة اجماع الورى

مبدي رسوم العلم بعد عفائها ومبيد آثار العماية والمرا

لولاه ما وضع الحديث لنا ولا سنن النبي ولا المفصل فسرا

يروى فيروي الدين من ظمإ به فترى هشيم الروض منه أخضرا

¹: الرحلة 111/6.

مهما دجا الشك استنار ذكاؤه فبدا لمستهد شهابا نـيرا

ومنها:

يا من بمالك أو سواه يقيسه أخطأت "كل الصيد في جوف الفرا"¹
لا تعتبر إن فاته متقدم فله الشفوف بأن أتى متأخرا²
فبيننا وهو الأخير رسالة في الرسل يشفع حين يأتي المحشرا
حير أنامله البحار وخلقه يهديك عرف المسك مازج عنبرا
جافى المضاجع قانتا متهجدا في ليله فجفونه جفت الكرا
شيخ الشيوخ بسنه وبعلمه وفتى فتاء إن تجي مستنصرا
أما الاله فقد غدا لك شاكرا نصح الخليفة موردا أو مصدرا
بسطة يده منك بالعضب الذي تدعوه منصورا به مستنصرا

لقد وردت في السنة المشرقة أن العالم والمتعلم شريكان³، وإن الملائكة تضع
أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب⁴، ولهذا نجد طلبة العلم يحترمون شيوخهم
ويجلونهم ويحلونهم المكان الأرفع، ويكنون لهم أعظم التقدير والاحترام، وإن أجلى ما
نلاحظ في هذه القصائد هو صدق الشعور وصفاء الطوية دون كذب أم مين، فالطلبة لا
يصفون شيوخهم إلا بما فيهم، ولا ينساقون وراء خيالاتهم في الإغراق والمبالغة، فهؤلاء
ليسوا إلا من أولئك الذين يحافون المضاجع ويتهجدون في الليل، ويبدون رسوم العلم
بعد عفائها ويبيدون آثار العماية والمراء، وقد صاغ هؤلاء الطلبة كل ذلك في أسلوب
جزل رصين يناسب عظم الموقف وجلاله.

¹: وهو مثل يضرب في الواحد يقوم مقام الكثير لعظمه. انظر المستقصى في أمثال العرب للزمخشري 224/2.

²: هذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري:

إني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

³: انظر شرح الحديث في كتاب جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر النمرى 33/1.

⁴: نفسه 30/1.

ب - مدح الشيخ تلميذه

ومما ورد في الرحلة من الشعر الذي يمدح فيه الشيخ تلميذه ما انشده أبو الحسن ابن رزين يخاطب أبا الفضل التجاني (12 بيتا) (الكامل) ومنها:¹

يا متحفا من بره وبيانه بغنى العديم ونزهة المتبصر
أهديت لي منك السلام معطرا فشممت منه شذا النسيم الاعطر
سبقت بديهتك الروي ميرزا سبق المذكر والعتاق الضمر
لله من فضل حويت جميعه أو فضل نظم بالبديع محير

وقد حاول ابن رزين في هذه القصيدة أن يفيد من شعر أبي تمام وصوره البديعة، ويقلد فيها رصانة المتنبي وجزالته ومثانة أسلوبه، وقد كان أبو الفضل ممن جمع إلى شخصيته القوية علما غزيرا وطرفا وكرما وحسن خلق، ولهذا وصفه أبو الحسن بن رزين بذلك ولم يعد الحقيقة.

ومن ذلك أنه لما وصل ابن رشيد إلى تونس كتب إلى شيخه أبي بكر بن حبيش بأبيات يقول فيها: (الطويل)²

وصلت أبا بكر غريبا لتونس فأقررت عينا بالقدوم لتونس
وفيها (أربعة عشر بيتا)

وبما أن ابن حبيش كان قد ألزم نفسه أن لا ينظم شعرا إلا في توحيد الباري تعالى أو تسييحه أو تقديسه أو مدح نبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام، فإنه كان إذا خاطب بشيء من الشعر يجيب عنه تلميذه الخاص به، وصاحب ابن رشيد وصديقه، الأديب النحوي أبو محمد عبد الواحد بن مبارك، وهو الشاعر الصوفي المطيل المطنب، ولهذا انتدب نفسه للرد على أستاذه، فجاء بهذا الدر التنظيم:

وردت فأوردت المنى ما تيجسا

لديك من الفضل الذي جل مؤنسا

¹: الرحلة 83/6.

²: الرحلة 5/2، وانظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

أبنت لنا عن مغرب عاد مشرقا
بما عاد من شمس اعتلائك شمسا
حوت سبنة في الفضل سبطا بأن رمت
بسهمك أغراض الكمال مقرطسا
وصارت رياضاً كلها بأن اغتدت
لغصن المعالي منك والعلم مغرسا
فيا ابن رشيد ذا الفخار حمدا
وياسمك أضحى الوصف فيك محبسا
لقد طابق أسما منك معنى حويته
كما طابق الروض الشذا المتنفسا
فديتك ما تلك العروس التي غدا
بها كفؤها في الحسن والفخر معرسا
ولم تقن إلا در لفظك حلية
ولم تكس إلا وشي خطك ملبسا
فقدرا من التقصير أني أهله
ومن يعترف بالفضل ينبل وإن أسا
فلا زلت للآداب والعلم روضة
تسقى من الفهم الحيا المتبجسا

ومما تظهر فيه عاطفة الشيخ نحو طالبه ما رواه أبو اسحق بن بكري القرموني
المالقي، شيخ ابن رشيد، قال: ومن الأشياخ الذين كتبوا إلينا بالإجازة العامة الشيخ

الفقيه الجليل العلامة أبو محمد بن عبد الله الاستجعي المالقي الدار وهو الذي كتب إلينا
بالقصيد المنظوم الذي أوله: (الطويل)¹

بدأت بباسم الله والحمد والشكر

على فيض آلاء تجل عن الحصر

وبعد ابتداء باسمه وثنائه

أصلي على الهادي المشفع في الحشر

وأنظم من در الكلام قلادة وإن معاني العلم أسنى من الدر

أجزت الخطيب المدرك المعتلي أبا

الوليد بن حبي واحد النظم والنثر

وأبناءه والله يهدي جميعهم

ويبقي لهم في العلم سابقة الذكر

أبا القاسم البادي النجاة أحدا

ويحيى المكنى فيهم بأبي بكر

وإن أبا اسحق فيه نجابة

ولم تر في الأبناء انجب من بتري

فإن لبتري مقاصد عندما تجرد يزري بالعوالي وبالبتري

هم خمسة تكفي بهم غير عاين²

فعدتهم فيها أمان من الذعر

فهذا النوع من الشعر يوضح تلك العلاقة الوطيدة بين الشيخ وتلميذه، إذ إن

تبادل الإعجاب كناية عن الاعتراف بالفضل والخير، ثم إن في ذلك أيضا إسقاط حجاب

¹: الرحلة 105/6.

²: عائن، من عان يعين أصابه بعينه فهو معين. مختار الصحاح.

الرهبة التي قد تزين على بعض المجالس العلمية التي لا يستطيع الطالب فيها مقاطعة شيخه أو إبداء رأيه أو رد بعض ما لا يقبله، وفي تبادل هذه القصائد فوائد جمة، نلاحظ من خلالها نفسية الأستاذ أمام طلبته، وكيف يحلهم محلا معينا من نفسه، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض الأساتذة يسمحون لتلاميذهم بما لا يسمحون به لغيرهم مثلما لاحظنا في ترجمة الشيخين أبي بكر بن حبيش وأبي القاسم بن زيتون وعلاقتهما بتلاميذهما¹.

ومما يلاحظ في هذه القصائد أيضا عدم التكلف في استعمال المحسنات البديعية لأن الشاعر لم يكن يهيمه الزخرف والتنميق بقدر ما كان يهيمه المعنى والفكرة، ولهذا لا نجد فيها كثيرا من صور الافتتان والصنعة مثل إيراد أنواع التجنيس والتورية وغير ذلك، ثم إننا لا نعثر فيها على صور الإغراق والمغالة في وصف الممدوح، وإنما يغلب على هذه القصائد كلها نوع من القصد الاعتدال، وحتى إذا جاء شيء من ذلك فإنه لا تستك منه المسامح أو ينبو عنه الطبع، وذلك مثل قول ابن الحكيم في ابن حبيش:

من قدره في المجد معلوم فما

قدر الكواكب أن يكون نعاله

وتقيم والدهر جار وفقكم ما عاقبت بكراته آصاله

وإذا قارنا هذه القصائد بغيرها في الشعر الديني استخلصنا أن قصائد المدح هذه يغلب عليها الاهتمام بالمعنى أكثر من المبنى.

ج - مدح الكتب والعلوم ومصنفها:

كان للكتاب أهميته العظمى في الوسط العلمي في الأمة الإسلامية إذ كثيرا ما نجد كتابا معينا يستقطب اهتمام جماعات من العلماء والأدباء في مختلف العصور، ولهذا غالبا ما كانوا يشيدون بصاحبه ويذكرون فضله وأهميته وأثره في العلوم المختلفة وفي المفكرين.

¹: انظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

ومن هذه الكتب الجليلة كتاب اقتطف الأنوار واختطف الأزهار من بساتين
العلماء الأبرار لأبي القاسم بن الطيلسان، فقد أنشأ أبو محمد عبد الله بن هرون الطائي
القرطبي يذكر هذا الكتاب ويمدح مصنفه (الكامل)¹ ومن ذلك:

طلعت منها روضة معطارا أحيت مآثر جددت آثارا
صحفا متى فتحت أوراقا لها خلت الكرائم فتحت أزهارا
القلب فيها يجتني نوارها والعين فيها تجتلي الأنوارا
شتى المحاسن قد حوته فأصبحت ما إن يعارض حسنها ويبارى
وإذا أردت العلم فانظر ما رووا تبدي أسرته لك الاسرارا
وإذا أردت الصالحين وذكرهم فالبحر بها الزهاد والابرارا

واقراً أحاديث النبي المصطفى

وتصفح الاخبار والاحبارا

ولتقطف الأنوار من صفحاتها وسطورها ولتخطف الأزهارا

أبدى بها ابن الطيلسان عجائباً

شتى وأظهر حسنها اظهارا

وفي شيوخ العلم فيها حقهم

وأطال صيتهم بها وأطارا

ومما يعد في هذا المضمار ما أنشده صفي الدين المراغي قال أنشدني الإمام أبو
عمرو بن الصلاح لنفسه في كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض، وهو أول شعر قاله
(الطويل)²

مشارق أنوار تسنت بسبته * * وذا عجب كون المشارق بالغرب

¹: الرحلة 57/7.

²: الرحلة 5/3.

ولما قال هذا البيت أبو عمرو بن الصلاح فإنه قد عرفنا مقدار القاضي عياض المغربي ومكانة كتابه مشارق الأنوار، في نفوس كل من يشتغل بالحديث¹. ومن شدة عناية المحدثين به أن اختصره بعضهم ونظمه واستدرك عليه².

ثم إن هذا التعليق مهم يدل على عدم الاهتمام بعلماء المغرب إلا أن يكون قدرهم علماء ملحوظون من خارج المغرب.

ومن حديث اجلال الكتب النفيسة ما كان ذكره أبو الفضل التجاني من خير عن كتاب المحرر على كتاب المفصل، وهو في النحو للفخر بن الخطيب وكان يرويه على الشرف الجزائري، وكان أبو الفضل قد كتب فيه أبيات منها: (الطويل)³

مهلك ممن يرتجيك قريب	ومرعى الأمانى من نذاك خصب
طبت على علم ومحض فضائل	فمالك في كل الأنام ضريب
لك الله من حبر وبحر معارف	به العلم يزهو والزمان يطيب

ومنها:

أيا شرف الدين الكفيل بأنه	إذا ما دعا داعي الرجاء يجيب
رجوتك في هذا فجذلي بعبضه	قربيا ونيل السؤل منك قريب
رمزت بما ألقى فباحث بمطلبي	أوائل أبيات بذاك تشوب

ولما طلب بعض التونسيين إلى أبي الفضل إعارة هذا الكتاب النفيس أنشد أبيات منها (البسيط)⁴

يا محرز السبق في ميدان آداب

وذا البيان الذي يصبو له الصابي

¹: انظر شعر ابن رشيد وإضافته بيتا إلى هذا البيت، وما قيل في ظلم عياض من أبيات: أزهار الرياض 343/4 وما بعدها.

²: انظر كتاب مطالع الأنوار لابن قرقول، كشف الظنون 1687 و1715. وهو مخطوط في خزانة الجامع الكبير بمكناس، في خط جميل رائع.

³: الرحلة 62/6.

⁴: نفسه.

بلغت بالقطر غايات تركت بها

فكر ابن حجر بليدا عاثرا كابي¹

حقق فديتك ما أبغي وآمله

فأنت أفضل من يرجى لتطلب

ومن تلك الكتب كتاب معجم أصحاب أبي علي الصديقي لابن الأبار، فقد كان في آخر ذلك الكتاب ما نصه: يقول عبد الله حكم بن سعيد الحكم بن عمر بن حكم القرشي وفقه الله: كتب سيدي ومولاي رضي الله عنه إلى الفقيه الكاتب أبي عبد الله القضاعي مؤلف هذا المعجم لما بعث به إليه أبياتا من نظمه (الكامل)²

يا طول فخر قضاة بأخيها ماذا أفاد من العلوم بينها

أهدى إليهم من نتائج فكره حللا يجلي بالهدى مهديها

وأبان في التاريخ كل هداية ظل الزمان خلاله يخفيها

فبحقه يسمى أبو عبد الله ————— مؤرخا ومحدثا وفقها

وإذا جواد للكتابة أجريت لم يجر إلا لاحقا ووجيها³

ومن الشعر الذي قيل في الكتب المفيدة والنادرة أنه لما وقف ناصر الدين الحصري على شرح أبي جعفر اللبلي لكتاب الفصيح استحسنته غاية الاستحسان وأطنب في وصفه والثناء عليه ونظم فيه أبياتا منها (الخفيف)⁴

نطق الدمع عن فؤادي القريح

بلسان من الغرام فصيح

معرب عن حشاشة أخلتها راحة البين من يد التبريح

¹: كابي، وقال (كابي) للضرورة.

²: الرحلة 76/6.

³: لعله يعني الوجيه واللاحق في بيت طفيل:

بنات الغراب والوجيه واللاحق ... لسان العرب 455/17 و203/12 والوجيه واللاحق من خيول العرب. وانظر أيضا ديوان ابن الأبار. وكتب الخيل وهي كثيرة.

⁴: الرحلة 33/2.

قائل أنني ضنيت ولم يبق من الجسم غير سقمي وروحي
 من هوى شادن أحـم بعينيه لقلبي يهدي الغرام ويوحي
 غصن بأن تهزه نشوة الد ل فتثني قوامه دون ريح
 جرحت خده العيون وأضحى كل قلب جراح ذاك الجريح
 يا أبا جعفر فداؤك قوم قتلتهم أنفاس شرح الفصيح

ومما يدل على الشعور بتلك النشوة اللذيذة عند قراءة كتاب مفيد أو ختمه أو حفظه أو شرحه، ما أفادنا به أبو جعفر اللبلي قال: قال لي شيخنا ناصر الدين الحصري: لما ختمت كتاب الكامل، وكنا في منظر¹ حسنة على النيل فقلت هذه الأبيات (مجزوء الرجز)²

بشاطي مصر جنة ما مثلها في بلد
 لاسيما قد زخرت بنيلها المطرد
 وللرياح فوقه سوابغ من زرد
 قد وشيت بالشمس من شعاعها بعسجد
 ومنها:

والفلك كالأفلاك يبين حادر ومصعد
 تكاد من خفتها تطير فوق الفرقد
 ونحن في منظره مثالها لم يوجد
 كأنها الجنة لـكنا بها لم نخلد

¹: المنظره هي المرقبة، أو موضع في رأس الجبل فيه رقيب ينظر العدو لسان العرب ن.ظرز. ووردت في الرحلة أيضا المنصورة، من النظارة والوجه صحيح.
²: الرحلة 33/2 ويسمى ذلك الكتاب الذي شرحه به: بتحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لثعلب في اللغة: كشف الظنون 1273 وهدية العارفين 100/1، وانظر دراسة هذا الكتاب وتحقيقه على يد الدكتور عبد الملك التيتبي. القاهرة ط، 1997.

فما ألدّ النزهة بعد ختمة كتاب أو انتهاء مجلس علمي.

هكذا نجد تلك العلاقة المتينة بين مدح الطلبة لشيخوهم والشيخو لطلبتهم، وبين مدح الكتب والمؤلفات التي سار ذكرها شرقاً وغرباً في بلاد العالم الإسلامي، لأن تلك الكتب كانت تمثل عنوان الحضارة ومقياس الرقي في ذلك المجتمع الذي كان يعرف قدر العلم وقيمته، ولهذا كان ذلك عندهم بمنزلة الاعلاق التي ينبغي أن تصان في الحق، بل إنها العيون والحدق.

د - مدح الملوك والأمراء والقضاة وعلية القوم

عرف الأدب العربي القديم قصائد في المدح تعنو لها الجباه، منها ما جاد به النابغة والمنتبي وأبو تمام البحتري وأبو نواس وغيرهم ممن كان يتمتع بتلك الملكة الشعرية الفائقة التي استطاعت أن تجود بكثير من الدرر النفيسة والتي لا يزال الأدب العربي يحفظها في حقيقه مصونة عزيزة، ولم تكن تلك الملكة مقصورة على مكان دون مكان أو زمان دون آخر، وإنما نجد منها على مر العصور قصائد أحرزت الإعجاب والتنويه.

فقد وردت في الرحلة أشعار للمغاربة والمشاركة، وهي تنم عن ذوق قائلها ومتخيرها وموردها، وتعطينا كذلك صوراً عما وصل إليه تطور معاني الشعر في مختلف الأعصار والأمصاّر.

فمن ذلك ما أخبر به أبو اسحق بن أبي الوليد التجيبي في ما كتبه لابن رشيد قال: أنا أبو محمد طلحة أنا أبو سليمان داود بن سليمان الأنصاري أنا ابن حوط الله إذا قال: أنشدني سراج بن عبد الله العثماني للقاضي أبي بكر بن عطية (الطويل)¹

إذا لثموا بالريط خلت وجوههم

أزاهر تبدو من فتوق كمائم

¹: الرحلة 17/2.

وإن قنعوا بالسابرية أبرزوا

عيون الأفاعي في جلود أراقم

ففي هذين البيتين¹ وصف للملثمين ملوك المغرب المتقدمين في شجاعتهم وصعوبة مراسهم ومضاء شوكتهم، وهو من بديع الوصف وأحسن ما يقال في مدح أمة في حالتها السلم والحرب.

ومما قيل في المدح الذي تضمن معنى الشكوى ما أنشده أبو العباس الكتاني، صاحب ابن رشيد، لأبي عمرو عثمان بن عتيق العامري المهدي، وقد سأله أبو زكرياء الحفصي عن حاله فأنشده: (الطويل)²

يقولون لي ما الحال وهي خفية

إذا لم يكن وصف جلي ولا شرح

وما حال أفراخ أخامص أصبحوا

وليس لديهم لا شعير ولا قمح

فمالي أراهم جوعًا ووراءهم

عوارف لطف الله والملك السمح

فما كان من أبي زكرياء إلا أن وجه إليه بعدد كبير مما طلب، ولعل ذلك بسبب الشاعرية المتدفقة التي هزت أريجها الممدوح وفتقت معين الندى فيه بتلك الأبيات التي لا يدانيها إلا أبيات الحطيئة الرقيقة في تصوير الخماص الجياع الذين لم يغتدوا خبز ملة ولا عرفوا له مذ خلقوا طعما.

ومن ذلك ما أنشده أبو بكر بن حبيش في القائد هلال رحمه الله وقد شكاه إليه (البسيط)³

¹: انظر هذين البيتين في الذيل والتكملة سفر 4 ص 9 (جلود الأراقم) وانظرهما أيضا في المطرب لابن دحية ص 91.

²: الرحلة 89/6.

³: الرحلة 9/2.

كيف القلاء فإشفاقي كما علما وإن وثقت بأن الله قد عصما
فارقتمكم ويد الشكوى تلاعبكم فجد خوفي وجادت عبرتي ديماء
فإن حملت ضناكم كله فكفى أولا فصحوا وزيدوا عبدكم سقما

فمعاني ابن حبيش العميقة تنظر إلى بعض قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

وا حر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم¹

وهي مما يصور شدة التعلق بالممدوح والإخلاص له والتفاني فيه، وقد صاغ ابن
حبيش، بحسن تصوره وعميق إحساسه وشعوره ذلك المعنى بكلام بديع، ولهذا حملة في
تعلقه بالممدوح على تمنيه أن يكون الموقف والحالة التي يعاني فيها الأمير من شكواه.

ومما أنشده الشيخ الكاتب أبو الحسن بن رزين لابن رشيد قال: أنشدنا صاحبنا
الكاتب أبو عبد الله بن الجلاب الفهري رحمه الله لنفسه يمدح الرئيس أبا عثمان بن
حكم أمير منورقة (الطويل)²

مدائحهم في الأرض جد سوائر وأمينهم للبذل غير (سوائم)
تتبع ما شادوه منه مشيدا كذاك الخوافي نفعها بالقوا دم
وفجرت من يملك خمسة أجر تفيض وقل إن شئت خمس غمائم

وخوفت أهل الشرك في دارهم فهم

يودون من حاليك حال المسالم

شريعة عدل منك قد بنيت على

يراع ورأي لا يقل وصارم

ثلاث بها التوحيد عن علمك اغتذى

فلله عال منه لاذ بعالم

¹: الديوان 80/4.

²: الرحلة 92/6.

وإن في مدح ابن الجلاب لصدقا وإن عليه لطلاوة وحلاوة، لأنه لم يمدح أحد بني حكم إلا بما فيه، وقد عرفت هذه الأسرة في ثغر منوقة بعلمها وجهادها وكرمها واحتضانها للعلماء، وإنها كانت ربة القلم والسيف تحافظ بهما على التراث الإسلامي وتصد جيوش المغيرين والمعتدين¹.

ومن شعر المدح ما قاله أبو الحسن بن عمارة في أبي الحسن اليميني الذي صلبه الملك صلاح الدين بمصر² (الكامل)

ملك إذا قابلت بشر جبينه فارقت والبشر فوق جبیني
وإذا لثمت يمينه وخرجت من أبوابه لثم الملوك يميني

ولا شك أن في هذين البيتين معنى بليغا يندر أن تجود القرحة بمثله. وللاخطأ مثل هذا المعنى، في خبراته (عليك أمير المؤمنين أمير).

هـ - المدح والتهنئة

وهذا وجه آخر من المدح لحمنه وسداه تهنئة باعذار، وهي من القصائد الغراء لأبي محمد بن أبي تميم الحميري الذي كان صدر بلغاء تونس، وأحد أدبائها الكبار وخدمائها وحسبائها الأجداد، وقد أفاد به أبو محمد بن عبد الواحد صديقه ابن رشيد قال: ومما قاله الحميري يمدح أبا عبد الله محمد بن أبي علي يونس الهنتاتي ويهنئه بختمه حفيده يونس واعذاره، فسمى قصيدته هذه رقم العذار في التهنئة بالختم والاعذار. وفيها سبعة وسبعون بيتا ومنها: (الخفيف)³

أي يوم يفوق حد التهاني لم يقم وصفه مقام العيان
إن تسلني به تسائل خيرا لو يطيق البيان عنه لساني
كلما رام عنه نطقي بيانا أحرصتني مهابة في جناني

¹: انظر عن ابن حكم: الذيل والتكملة سفر 4 ص 29 وعنوان الدراية 254 واختصار القدر المعلى 28 والمغرب 2/ 469.

²: الرحلة 3/7. ووفيات الأعيان 431/3 أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليميني، وانظر قصة صلبه وشفقه في وفيات الأعيان 435/3. وقد ذكر ابن رشيد أن صلاح الدين قد بلغه أن أبا الحسن بن عمارة كان يسعى في فساد دولته.
³: الرحلة 58/2-59-60.

قد غفرنا به ذنوب الليالي ومحونا به خطوب الزمان
فلو أن العلا بسبق لجاءت ليلة القدر وهي في شعبان
كم خليع سمعت مثلي ينادي أسقياني يا عاذلي اسقياني
فتروي المدام ظامي عظامي ويكون السرور حلف مكاني

ويقول فيها:

وثنائي السرور فيها صريعا فاعجبوا من مجدل جذلان
وإذا اعتلّي بأعلى جدار قلت كسرى علا على ايوان

وبعد مقدمة طويلة في وصف الحال والطبيعة والأنس وذكر فضل أبي عبد الله
الهنداتي وأخلاقه خلص إلى الغرض الرئيس فقال:

لا عدمننا لنجل يونس مغنى كم جنينا به المنى في أمان
إن يلح جليت دياجي الليالي أو يفه حليت نخور الحسان
نكب الناس عن طريق المعالي وجرى نحوها طليق العنان
وإذا المرء لم يرث عن جدود مجده كان واهي الأركان
يا أجل الأنام قدرا كفاني مدحة أن يكون مدحك شاني
ما ثنائي لمدح غيرك ثان مذ تيقنت أن مالك ثان¹

غير أنني أجل قدرك عن شعر ولو نظمت لك الشعران
قد كفاني بيانه لك صدقي ودليل الكتاب في العنوان

فاحك في الرفعة الكواكب واصحب

عزة ما تصاحب الفرقدان

ويظهر من هذه الأبيات أن الحميري أجاد في وصف الممدوح إجادة مزج فيها بين
الفخر العظامي والعصامي، واستعان في ذلك بكثير من مناظر الطبيعة في الأرض والسماء
وكانت مبالغاته مقبولة لا ينبو عنها الذوق السليم.

¹: أصلها ثانيا.

وصفوة القول في قصائد المدح هذه أن الصدق في العاطفة والطبع الأصيل هي السمة الغالبة عليها لأن جل الشعراء قد تنكبوا عن الصنعة والتكلف، وإن كل ما ورد فيها من المحسنات البديعية والصور البلاغية لم يأت إلا عن السجية والطبع.

3- الفخر

المفاضلة بين المشرق والمغرب

إن مسألة المفاضلة بين المشرق والمغرب قديمة وعريقة، وستظل ما ظل صراع الأجيال قائما بين القدماء والمحدثين، وبين البلد والبلد والقوم والقوم، وقد كان المشرق يعتبر الأم التي أرضعت وليدها المغرب بلبانها ردحا من الزمن، إذ كانت العلوم والفنون ترد من المشرق إلى المغرب تباعا، وفي هذا لا يمكن للمغرب أن ينازعه فيه لأن الفضل دائما للبادئ ولولا ذلك ما رحل المغاربة والأندلسيون إلى المشرق لأجل الحج والاقتباس من أنوار علمائه في جميع الفنون العلمية سواء منها النقلية والعقلية، وقد أثار هذه المسألة كتاب وشعراء ومؤرخون في كتبهم، ومنهم من نظر إليها بعين الهوى والشطط، ومنهم من نظر إليها بعين العقل والعدل والقصد. ولكن الرأي المصيب يرى أن للمشرق سبقا إلى كثير من الميادين، إذ لما اقتبس منه المغرب ذلك تمثله وأعمل فيه فكره حتى صار ذلك القديم جديدا والتليد طريفا والمألوف غريبا، وخير دليل على ذلك مؤلفات القاضي عياض وابن رشيد وابن الخطيب وابن خلدون وغيرهم كثير، إذ لا يمكن أن يقول الشرق في نتاج هؤلاء "هذه بضاعتنا ردت إلينا" مثلما قالها ابن عباد في العقد الفريد لابن عبد ربه.

فهنالك من المؤرخين من شهد بفضل المغرب على المشرق¹ لأن المغرب "لا يزال ظاهرا على الحق حتى تقوم الساعة وإنه لم يذكر قط أحدا من السلف إلا بخير"². بل قد ظل كثير من شعر الأندلس منسيا خاملا، ولا ذنب له إلا أنه من الأندلس وما حق مثله أن يهمل³.

¹: فضائل الأندلس وأهلها ص: ن وما بعدها.

²: المعجب 26-27.

³: المطرب لابن دحية 145.

ولو لم تحز الأندلس قصب السبق أيضا لما رحل إليها المشاركة بأعداد كثيرة جدا
لا يحصيها العد¹. ومهما يكن من أمر فإن في أهلها توقد ذهن ولو ذعية وألمعية، وفضلا
واضح البرهان².

ومن الآراء التي تنتصر للشرق وتقر له بالأولوية والسبق قول أبي الحسين محمد
ابن أحمد بن جبير (الكامل)³

لا يستوي شرق البلاد وغربها فالشرق حاز الفضل باستحقاق
انظر لحال الشمس عند طلوعها ببضاء تسحب بردة الإشراق
وانظر لها عند الغروب كثيية صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى ليوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بوشك فراق⁴

وقد أنشد هذه الأبيات أبو عبد الله بن حيان الشاطبي عن ابن برطلة عن أبي
حفص عمر بن عنبسة البلمسي قال أنشدني ابن جبير لنفسه: الأبيات

وإذا كان ابن جبير يرى الفضل للشرق فإن ابن الصلاح يعترف للغرب بذلك،
غير أن ذلك الاعتراف مصحوب باستغراب وتعجب وحجته في قوله ظاهرة:

مشارك أنوار تجلت بسبته وإذا عجب كون المشارق بالغرب⁵

وقد ذيل عليه أبو عبد الله المراكشي بقوله⁶:

تنادي بأنوار المشارق نخوة بمطلعها في الغرب يا شرق غرّب

وممن ذيل عليه أيضا ابن رشيد⁷.

¹: نفح الطيب 145/4 وقد ذكر العديد منه.

²: نفح الطيب 446.

³: الرحلة 24/2.

⁴: انظر هذه الأبيات أيضا في عنوان الدراية 105 وقد نسب هذه الأبيات إلى أبي الحسين بن جبير الكناني.

⁵: الرحلة 50/3 وأزهار الرياض 343/4.

⁶: انظر شعر ابن رشيد في هذا البحث وأزهار الرياض 344/4-346.

⁷: انظر شعر ابن رشيد.

ولقد دافع ابن حزم¹ وابن سعيد² والشقندي³ عن الأندلس ونسبوا لها فضائل لا توجد في الشرق، وأشاروا إلى أن المغاربة قد برزوا في القرآن الكريم والحديث والفقه وأصول الدين والتاريخ والعلوم الأخرى⁴.

وفي الرحلة إشارة إلى أن المغرب قد حاز قصب السبق في كثير من الميادين حتى رجع المغرب مشرقا وذلك بفضل نبوغ علمائه كابن رشيد الذي خاطبه صاحبه أبو عبد الله بن مبارك لما ندبه شيخه أبو بكر بن حبيش للرد عليه عندما مدحه ابن رشيد (الطويل)⁵

أتيت لنا عن مغرب عاد مشرقا
حوت سبته في الفضل سبطا بأن رمت

بسهمك أعراض الكلام مقرطسا
والقضية تحتاج إلى أفرادها بدراسة خاصة لخصوبة ميادينها وتوافر موادها منذ اتصال المغرب بالشرق إلى الآن⁶.

4- الرثاء

رثاء الأشخاص ورثاء المدن

لما كان الرثاء نوعا من الألم الذي يشعر به الشخص بسبب فقد حبيب أو موت عالم أو رئيس أو زوال نعمة أو رحيل مجد أثيل أو نقص مال أو ضياع سلطان، فإن بين أيدينا من شعر الرحلة نوعين من هذا الرثاء وهما: (1) رثاء الأشخاص و(2) رثاء المدن والملك.

وحق للعربي الأندلسي أن يبكي مجده التالد وفخره العظامي والعصامي الذي شاده بعقله ويده، ولهذا يحن إلى ذلك ما حنت الناقة إلى فصيلها.

¹: فضائل الأندلس وأهلها 4.

²: نفسه 22.

³: نفسه 29 والحلل السندسية للسراج 236/1.

⁴: الحلل السندسية 236/1.

⁵: انظر مدح الشيوخ لتلاميذهم من هذا البحث.

⁶: انظر أيضا المفاضلة بين المشرق والمغرب: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ص 184-185.

أ - رثاء الأشخاص

فمن رثاء الأشخاص ما أنشده أبو بكر بن حبيش يرثي به القائد هلالا، وكان معطاء مفضالا: (الطويل)¹

وقالوا رثيت المجد قلت لهم نعم

رثائي له حزني عليه إلى الحشر

لو كنت حيا بعده لرثيته

ولكن روعي سابقته إلى القبر

ويظهر من هذين البيتين ذلك الرثاء والتفجع الذي يصور الصدق النفسي، وإن فيه صفات خلقية ومعنوية لم يشر إليها إلا إجمالا، لأنه قصرها على كلمة المجد الذي يحتوي على معان كثيرة، ثم إن الشاعر أجاد في المغالاة التي صور بها سبق روحه ذلك المرثي إلى القبر.

ومن ذلك ما أخبر به أبو العباس أحمد بن ميمون الأشعري، الملقب صديقه ابن رشيد قائلا: توفي شيخنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن أحمد بن يوسف الخزرجي المعروف بابن أبي رقيقة وذلك يوم الاثنين 17 رجب 681، ودفن يوم الثلاثاء. وأنشدني محمد بن علي بن إبراهيم التجاني المعروف بأبي الفضل، يرثيه (مجزوء الكامل)² وهو من لزوم ما لا يلزم.

قالوا ارتدى ثوب الردى أستاذنا ابن أبي رقيقة

فأجبتهم هذا نعى العلم والنكت الرقيقة

إن كان مات فلم تمت إلا المعارف في الحقيقة

¹: الرحلة 8/2.

²: الرحلة 67/2.

وقد أجمل أبو الفضل التجاني، واصل الغاية، في هذه الأبيات معاني كثيرة في قول قليل، وما أعظم موت العلم في شخص ابن أبي رقيقة وما أشد وقع هذا المصاب فيمن يعرف هذا العلم.

ومن ذلك ما أنشده الناقد أبو بكر بن حبّيش قال: أنشدنا أبو بكر بن محرز لنفسه من أبيات يرثي بها أبا محمد واجب بن محمد بن واجب (الوافر)¹

وما بالعبرة البيضاء يبكى مثالك لو وجدت لك المثالا
دماء العين إذ أمسى حراما عليك الصبر يسفكها حلالا

ومنها في ذكر فضله وخلقه:

منيف الفضل معتدل السجايا ثقیل في العلا عما وخالا
وأجدادا له عشقوا المعالي ولما يعدموا منها وصالا
بطاء في اكتساب المال لكن لكسب الحمد تلقاهم عجلا
جرت بهم معاليهم جيادا وزانتهم جلالتهم خلا
وجاء أبو مُحَمَّدِهِمْ أخيرا ولكن كيف جال القول جالا

ففي هذه الأبيات البليغة مدح لابن واجب ولقومه، وقد أحسن ابن محرز في قوله لما جعل قومه يتصفون بأخلاق الأنصار² الذين يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع. وفيه معنى شعر المعري في الأوائل والأواخر.

ومما يصور لوعة الشكل وهول الفقد للأبناء ما أنشده ابن زيتون في رثاء ابنه أبي عبد الله، وقد أفاد به ابن رشيد صاحبه أبو الفضل التجاني ومن ذلك (السريع)³

يا واحدا كان به أنسي أين اجتماع الشمل بالأمس
لم ترض هذي الدار مستوطنا فاخترت دارا جنة القدس
أوه على غصن شباب ذوى قوامه في دوكة⁴ الرمس

¹ : الرحلة 48/6.

² : انظر ما يتصل بذلك وشرحه في كتاب الكامل للمبرد 3/1.

³ : الرحلة 15/6.

⁴ : الدوك: الدق والسحق.

أسلمني فراقه للأسى أصبح فيه مثل ما أمسي
روت ثرى تربته مزنة ما أشرقت مطالع الشمس

وكان ذلك الولد قد بدت نجابته ورحبت تلييته للعلم وأصالته ومما يحكى أن الشيخ يوم أصيب في ولده ظهر عليه من أثر الصبر ما يعجب منه، وكان قبل موته يتردد الناس ببابه صباح مساء للسؤال، فلما كان يوم موته جاؤوا سائلين عنه فقال لهم: قد وجد الراحة، ولم يظهر على الشيخ ما كان يظهر عليه قبل من الكآبة، فحملوا كلامه على الظاهر، فما راعهم إلا الإتيان بأسباب الجهاز برقبته، فحينئذ عزوا الشيخ.

فاعجب لهذا الصبر الجميل الذي بدا منه، وقد ذكر بعضهم أن الشيخ قطع التدريس ولزم منزله من بعد فقدانه ابنه.

ومن هذا القبيل في رثاء الابن قول ابن رشيد في قافيته المشهورة:

شباب توى شابت عليه المفارق

وغصن ذوى تافت إليه الحقائق¹

ومن شعر الرثاء الذي يبعث على البكاء ما ذكره ابن رشيد من رثاء أبي الفضل التجاني للإمام العالم الخطيب المفتي قاضي قضاة إفريقية أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي الطرابلسي نزيل تونس في قصيدة (الكامل) ومنها:² وهو من لزوم ما لا يلزم أيضا.

أطلق دموعك ولتندع إمساكها	قد جل خطب نائر أسلاكها
وأتى الزمان بنيه بالرزء الذي	أسر النفوس فما تطيق فكاكها
عم البرية بالرزية واغتدى	عدم التأسى غالباً نساكها
يا دهر قد فاجأتنا بعظيمة	بوات من نيرانها أدراكها
ما خلت أنك، واقتدارك بين	تأتي بها أو تدعي إدراكها
أو لست تدري أن من أعدمته	قد كان كل فضيلة أعطاكها

¹ : انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث والإحاطة لابن الخطيب 141/3.

² : الرحلة 8/7.

حلاك من أسلاكه بجواهر خطب النوى من بعده أسلاكها

ثم استطرد إلى ذكر فضله وخلاله ومنزلته العلمية ومقامه الرفيع بين العلماء
ومن ذلك:

وحباك من أحكامه وعلومه حكما فقل من ذا سواه حباكما
وأقام للعليا منارة راهب فهذاك نحو سبيلها وأراكها
من للمعارف بعده وهو الذي ما زال مالك رقمها وملاكها
من للأصول وللفروع جميعها يرمي عليها من نهاه شباكما

ثم انتقل في الأخير إلى ذكر شدة حزنه وألمه عليه:

قد أوشكت نفسي تذوب كآبة وأرى وفائي يقتضي إيشاكما
لم لا أعير الدهر منها مسكة وأنا الذي تخذ القريض مداكما

فله ما أبلغ أبا الفضل في قصيدته هذه وأبدعه، فقد عدد محاسن الهالك وذكر
مزاياه وفضائله ومناقبه بما يثير العجب والغرابة.

وقد قال فيه أيضا (السريع)¹

عدمت صبري ووجدت الأسى لما فقدت ابن أبي الدنيا
وكيف لي صبر ومن بعده قد أظلمت في عيني الدنيا

وفي رثاء الكاتبين الأديبين الشاعرين أبي عبد الله محمد ابن أبي تميم الحميري
وأبي الحسن حازم بن محمد الأنصاري، وكانا قد توفيا بتونس في عام 684، وبين
موتهما نحو شهر - قال أبو الفضل التجاني (الوافر)²

توى ابن أبي تميم ثم حازم فحزني بعد دفنهما ملازم
هما الشيخان إن ذكرت شيوخ تشد إلى لقائهم المحازم
هما العلمان إن شكرت علوم تعرّفها يعد من اللوازم

¹: الرحلة 9/7.

²: نفسه.

ومن بديع قوله الذي ضمنه بعض معاني النحو:

حذفت الصبر بعدهما ولم لا^١ وخطبهما لفعل الصبر جازم

ويظهر لنا من خلال هذه المقطعات والقصائد أنها تدور حول معان واحدة متقاربة وهي في الحزن والأسى وعدم التحلي بالصبر وبكاء العلم والشجاعة والكرم في أشخاص أهلها وغير ذلك من الفضائل، ويختلف الشعراء في تصوير الفاجعة والهول، فمنهم من يغوص على جواهر المعاني ومنهم من يردد الأفكار الشائعة المتداولة، ومع ذلك يمتاز هذا الشعر بالطبع والصدق والصياغة الجديدة في كثير من أبياته. ونلاحظ في كثير منه مسألة التزام ما لا يلزم.

ب - رثاء المدن والملك الزائل

لا شك في أن هذا النوع من الرثاء كان انعكاسا للحياة الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها الأمة العربية بعد سقوط بعض مدنها في الأندلس والمغرب، ومما كانت تعيشه من الاختلال في المشرق بسبب الحروب الأهلية والخارجية، ولهذا كان الشاعر يندب نفسه ليتأسف على تلك الحضارة الزائلة ويبكيها بدموعه الحارة، وذلك مثلما كتب أبو محمد بن هرون في ذكر قرطبة (جيرها الله). وفيها عشرون بيتا ومنها: (الكامل)¹

أبقى لأهل العلم من آثارهم ما يملأ الاسماع والابصارا
جمهورهم أبناء قرطبة وإن ذهبت فقد أبت بذاك فخارا
ويح الانام وويحها إذ عوضت منهم على رغم الوري كفارا
كم قد تلووا وجلوا بها أنوارهم ليلا فصار الليل ثم نهارا

ثم استطرذ إلى بكاء ما كان فيها من العلم والدين بدموعه الحارة

يا فجعة للدين والدنيا بها أضحت نفوس العالمين حيارى
عمت مصيبتها البرية كلها حزنا وأنجد رزؤها وأغارا
وأذاقت الإسلام ثكلا موجعا فأنهد منه ركنه وانهارا

ويمكن أن يقال عن كل بيت فيها قصيد بليغ ومن ذلك:

¹ : الرحلة 58/7، وانظر ما كتب عن أهمية الكتب في مدح كتاب اقتطاف الأنوار لابن الطيلسان، وهذه القصيدة ذيل لها.

يا لهف دين محمد إذ لم يجد فيها على أعدائه أنصارا
قد كان يعمره تقى قد تلا سورا فعوض كافرا إسوارا¹
طلعت به شمس الديانة ثم قد غربت فصارت بالحجاب تواری²

ومنها:

أبكي مصيبتها وقل لها البكا أبدا بدمع يخجل الامطارا
والدمع فيما فات لا يجدي وإن أرسلت منه ديمة مدرارا³

يا جفن صن هذي الدموع فماؤها

للحزن قد ترك الضلوع جراراً⁴

ومن أبياته التي تضمنت معاني وصورا من القرآن الكريم:

والأرض أرض الله يورثها لمن

قد شاءه من خلقه أطوارا

لكن عسى الرحمن يعظم أجرنا

وثوابنا ويخفف الاوزارا

ويشفع المختار فينا المصطفى

وينيلنا جنات عدن دارا

وكان ابن هرون قد كتب هذه الأبيات بمدينة مالقة في أوائل شهر ذي القعدة 638هـ، وهي تفيض ألما وحزنا على ما آلت إليه مدينة قرطبة موطن نشأته وتربيته، ولهذا جاءت القصيدة حاملة تلك المعاني الصادقة والغيرة التي لا تعدلها غيرة على حب البلد العزيز الذي كان يأوي العلماء والصالحين والقادة الصناديد والملوك العظام والمساجد الآهلة ودور العلم التي لا تزال آثارها شاهد عيان.

¹ : الاسوار قائد العجم، المصباح المنير.

² : وقد اقتبس هذا المعنى من القرآن الكريم: (حتى توارت بالحجاب) سورة ص 32.

³ : وهذا ينظر إلى الآية الكريمة: (أرسلنا السماء عليهم مدرارا) الأنعام 6.

⁴ : حرار جمع حرة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

ومما يسبك في هذا المعنى قول الوزير الكاتب الأديب العالم والشاعر الفحل أبي محمد عبد المجيد بن عبدون من قصيدته الرائية المشهورة المتضمنة من علم الحدثان وممالك الأعيان ما يعجز عن وصفه اللسان ويقصر عن رصفه البيان وأولها:

الدهر يفجع بعد العين بالآثر فما البكاء على الأشباح والصور
وهي في رثاء المتوكل من بني الأفتس وولديه خاصة، ولكنه صور فيها المأساة الأندلسية، وتقلب الدهر بالوجه الأعم.

وهي مشهورة، ولكن المهم أننا نوردها هنا، لأنها من القصائد التي تصور ما نحن بصده تصويراً رائعاً، وقد أفاض الدارسون والنقاد والمؤرخون القول فيها¹.
وقد سبقت الإشارة إلى قصيدة أبي العباس بن القصير في رثاء اشبيلية (حمص) وهي قصيدة فريدة في نوعها (المتقارب)² ومنها:

أَسِلْ من دموعك مدرارها وساجل من الأرض أنهارها

وتمتاز هذه المراثي بصفة عامة، بصدق العاطفة وعدم التكلف والصنعة أو العمد إلى المحسنات البديعية، ويتخللها صور مقتبسة من القرآن الكريم وهديه. ويظهر من هذا النزر اليسير من المراثي أن الأندلسيين فاقوا المشاركة في هذا الميدان لأن مظاهر الحزن والأسى والتفجع في عقر دارهم، أقوى فيها بسبب ما كانوا يلاقونه من الذل والهوان في عقر دارهم، وبمثل أبيات تلك القصائد تظل جذوة الشعر تشتعل لتثير مكامن النفس، وما الباعث على البكاء إلا البكاء.

ويتجلى لنا أيضاً من خلال هذه الأبيات أن هناك إضافة جديدة إلى تلك الذخيرة المعروفة في المصادر الأدبية والتاريخية مما عرف من قصائد المراثي في بكاء المدن والآثار.

¹ : الرحلة 13/5 وانظر أيضاً، هذه القصيدة المغرب 375/1 والذخيرة لابن بسام ص 112 والمعجب للمراكشي ص: 113 وفوات الوفيات 380/2 وابن خلكان 217/7.

² : انظر الرحلة 97/6 من هذا البحث.

5 شعر الجهاد والاستصراخ والنجدة

كان الباعث لهذا الشعر أيضا تلك الظروف القاسية التي كانت تحتازها الأمة الإسلامية عندما أخذ العدو يطوقها ويطعنها من خلفها وقدامها ووسطها، ويقوض ما ابتنته في قرون ملؤها الجهاد والعمل والفخار، ولهذا كانت تدفع الشاعر أنفثته وغيرته ليدافع عن حياضه وكرامته بكل ما أوتي من قوة وبسالة، وبكل ما منحه الله من عزة وشمم.

ولقد جادت قريحة ابن الأبار بما يبقى عنوانا واضحا على هذا المسلك اللاحب، والصورة المرموقة في هذا المهيح الواضح الواسع، وذلك بفضل قصيدته السينية التي هي قطعة من الحسن مقتطعة ووردة من رياض الشعر مقتطعة، ويقول فيها مستنجدا أبا زكرياء ابن حفص.

أدرك بخيلك خيل الله أندلنا

إن الطريق إلى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمت

فلم يزل منك عز النصر ملتصبا

وحاش مما تعانيه حشاشتها فطالما ذقت البلوى صباح مسا

وهي طويلة مشهورة:¹

ومن ذلك ما وقع لأبي العباس بن الحاج، إذ إنَّه قبل وفادته من اشيلية ركب البحر فأفسر واستصرخ بالأمر المقدس أبي زكرياء بن أبي محمد الشيخ أبي حفص، فخلصه من أسره وجلب إليه بعد قدومه على حضرته تونس، الخير بأسره، وفي ذلك قال (الكامل)²

بحرا لجودك لا يغيب ببه

إلاك يشعر للغريب وشعره

ناديت والبحر الخضم معارض

فأجبتني إذ لا مغيث ولم يكن

¹ : الرحلة 65/6 وأزهار الرياض 207/3 ونفح الطيب 200/6 والديوان.

² : الرحلة 33-34/7.

وأنفت للآداب من أسري فقد أسديت ما حاز الثناء بأسره

وفي إغاثة أبي زكرياء لأبي العباس بن الحاج إغاثة للأدب واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يجمعها إلى قوة شخصيته¹.

ومن ذلك ما أنشده أبو الفضل قال: أنشدنا أبو الحسن (وهو أبوه) لنفسه وكتبه لي بخطه يمدح الأمير الأجل المجاهد أبا اسحق بن الأمير الأجل أبا زكرياء رحمة الله عليه ورضوانه عندما عاد إلى حضرة تونس ملكا للبلاد الافريقية، وسلم إليه مملكتها سلطانها ابن أخيه أمير المؤمنين الواثق بالله منخلعا عنها وذلك في شهر ربيع الأول من عام 678 هـ. وفيها اثنان وثلاثون بيتا ومنها: (البيسط)²

الحمد لله هذا العز والظفر وهذه بَشْر لم يـؤتـها بَشْر
وذا الذي كانت الدنيا تؤمله وذا الذي كانت الأيام تنتظر

ومن أبياتها البليغة التي يذكر فيها أن الأيام والقدر يخدمان هذا الأمير قوله:

ودولة وکَلَّ الله السعود بها فخادما أمرها الأيام والقدر
أنت الخليفة والرحمن ناصره وخائب من بغير الله ينتصر
وهذه بيعة يرضى الاله بها وخيرنا من إليها كان يستدر

وفي ذكر النجدة يقول:

أحيا قدومكم منا النفوس كما يحيى الجدوب إذا ما أسبل المطر
ولاحت الغرة الغراء طالعة بين الجيوش فلاح الشهب والقمر

ومنها في تصوير الحرب واشتدادها وإقبال الجنود على بعضهم:

جيوش نصر جنود الله مقبلة

فيها وما من شهاها للعدا وزر

¹ : انظر شيئا عن أخباره في الرحلة 34/7 وطبقات المالكية ترجمة 605 ص 147.

² : الرحلة 16/7.

دخانها عثير الخيل المثار ومن

لمع الاسنة في أثنائه شرر

ويلاحظ أن في هذا البيت تردد حروف معينة لدلالة المعنى على اللفظ. ومن المعاني التي ينظر فيها إلى ما قاله أبو تمام:

تضمنت مهج الأعداء فهي لكم بيض عواسل أو هندية بتر
في غابة من أسود والقنا شجر فيها وهام الأعادي فوقها ثمر
وفيها يقول:

حفت بها عصب التوحيد بأسهم

بأس عظيم وكم فتت به مرر

أتت الأمير الرضا فخر الملوك أبا

اسحق في الله ما تأتي وما تذر¹

خليفة الله فرض الله طاعته

على العباد بهذا تحكم السور

وبعد ذكر أن الممدوح محاذي الظلم وأحيا سنة الهدى بعد طي الفقد ونشرها، قال:

وما علينا إذا صحت لنا سير	منهم بعدلكم أن تفقد الصور
ما زال يؤثر عن "ترشيش" أن لها	كسرا بأسياف إبراهيم ينجر
حللتموها محل الأمن ساحتها	وأقلعت جُفلاً عن أهلها الغير

ومن بديع قوله في الأخير:

والدهر معتذر، مما جناه، لنا	وذنبه بك يا مولاي مغتفر
كنا نؤمل آمالا وأعظمها	فيما نؤمل منك الآن محتقر

¹ : انظر هذه المعاني في قصيدة ابن اللبانة، الذخيرة ق3 م2 ص 605.

لازلت والعيش صاف والزمان بها ترضاه دان ولا منع ولا كدر

ففي هذه القصيدة صور رائعة عن الجهاد بالنفس والنفيس، ووصف بليغ للممدوح الذي اجتمعت فيه الصفات النبيلة كاتباع سنة الهدى ونشر العلم ومحو الظلم وإرهاب عدو الله بالقوة المستمدة من البارئ تعالى، وفيها أيضا صور حسنة عن الجهاد والدفاع عن كرامة الوطن. أما أسلوبها فمن السهل الممتنع، لأن الشاعر لم يغرب في إيراد الكلمات، ولكنه أتى بمعان بدیعة في ثوب عبارات بسيطة، والقصيدة في جملتها جميلة وتعد كذلك من الدرر الغراء في الأدب العربي.

ومما يدلنا أيضا على وجه آخر للجهاد في المشرق والحث على دفع العدو قول أبي اليمن بن عساكر الذي كتب عند موافاته مدينة المنصورة، هذه القصيدة تحريضا للمجاهدين وتحضيضا للمتقاعدين والمتثاقلين إلى الأرض أن ينفروا في سبيل الله. وفيها ثمانية وثمانون بيتا منها: ¹(الكامل)

ومصيبة عظمت وخطب فادح ذهلت له الالباب والافهام
أضحى به الإسلام منقسم العرا يجنى عليه برغمها ويضام

ويظهر أن بعض صوره مكرورة ومعهودة عند الشعراء مثل قوله:

كسفت له الشمس المنيرة واغتدى

وجه الصباح وقد علاه ظلام

ويعد ذكر أن الأيام لبست له ثوب الكآبة وذهبت بشاشة كل عيش ودام حزنه حتى الممات قال:

هجر الحبيب فلا وصال يرتجى منه وتقض وداده ابـرام

وبعد استناره الحمية والحض على الدفاع والجهاد وإذكاء العزم رفع صوته مناديا

ومستغيثا:

¹: الرحلة 46/5.

يا ناصر الدين الحبيب أهكذا
أسلمتموه إلى الصغار وأبتم
خارت عزائمكم وشتت جمعكم
أين الحروب المتقى سطواتها
أين الصواهل ضُمِّرا أين البوا
أين الذي قد باع مهجة نفسه
لا تضعفوا جنبنا ولا تتهيّبوا
عنكم يجازى ديننا الإسلام
والعار مقتن بكم والذام
وتقطعت ما بينكم أرحام
منكم وأين الكر والإقدام
سل زُورًا والفرس المقدام
لله فهو على الردى حوام
من شأنه الإذلال والإرغام

ثم سار على هذا المهيع في كثير من أبيات القصيدة يستحث الهمم ويحض على
الجهاد والقتال، وفي كل ذلك كان يستمد معانيه من القرآن الكريم والسنة المشرقة، ومن
بديع أبياته قوله:

جنحوا إلى العليا واهتجروا المنى

فعلى جفونهم المنام حرام

قد أعربوا لغة الردى في لحنهم

فلهم بالسنة الرماح كلام

ربحت تجارتكم ألا فاستبشروا هاتيك سوق المكرمات تقام

يا اخوة الإسلام كيف قعدتم عن نصره وأرى العدا قد قاموا

وغدا منار الحق منعدم البنا

فالحُرْم حل والحلال حرام

أمست مساجدكم كنائس لا يرى فيها لكم عند الصلاة زحام

نسخت شرائعه وبدل دينه واخُل من سلك الزمام نظام

ثم توجه في الأخير إلى العدو بهذا التقرع الشديد والتعنيف الذي يصبه جاما
عليه دون هودة أو رحمة.

غيرتم دين المسيح وما انتمى

موسى وما قد سن ابراهام

وحسدتهم خير البرية أحمدا فَلَنَعْتَهُ فِي كَتَبِكُمْ أَيُّهَام

هيهات نور الشمس ليس بمختلف

والمسك كيف كَتَمَتْهُ نَمَام

لقد كان أبو اليمى بن عساكر محدثا وفقهيا وزاهدا مشهورا، ومن خلال هذه القصيدة يتبين لنا أنه كان أيضا شاعرا مقلقا لا يشق له غبار، ولهذا جاءت القصيدة عصماء بليغة متماسكة لا تنفصم عراها وحاوية معاني وصورا وأخيلة لها اعتبار في مقام البلاغة والبيان ذلك لأن الشاعر كان يأخذ من القرآن الكريم معانيه ويصوغها في ثوب قشيب من شاعريته الفذة وخياله المجنح.

ويتبين لنا أيضا أن شعر الجهاد والاستصراخ له علاقة بما رأينا في قصائد رثاء المدن والآثار لأن لهما هدفا واحدا وغاية مشتركة تتمثل في المنافحة عن الدين والدفاع عن الوطن المغصوب.

6- الهجاء والعتاب

لم يرد في الرحلة شيء يذكر من قبيل الهجاء والعتاب، ولكن هناك بعض النماذج التي تدل على أن الرحلة حليت كذلك ببعض دررها ولم يعطل نحرها من التنف الحسنة المعنى في ذلك. ولعل أثر شخصية ابن رشيد باد في اختياراته وطريقة جمعه للشعر الوارد في الرحلة، ولهذا نجد هذا الموضوع خافتا فيها.

فمما جاء في الرحلة من صور الاعتذار عن العتاب ما أنشده بهاء الدين بن النحاس لنفسه، وقد بعث إليه بعض أصحابه يعاتبه على انقطاعه عنه ثلاثة أيام فكتب إليه، وكان المعاتب هو مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر الصاحب بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم. (الوافر)¹

¹ : الرحلة 29/3.

وحقك ما انقطعت لبعض عهد

ولا أنا للمودة بالمضيع

ولكن الليالي غادرتني بلا سكن فريدا من جميعي
وحسبك ما يقاسي طول دهري فؤادي من سؤالي في الربوع

فابن النحاس كان يعبر عن حاله ووحدته التي استغرقت عمره كله، ولهذا نجد
يتألم مما يعاني بسبب ذلك، وقد عرف أنه لم يتزوج¹.

ومن الهجاء قول ابن جكينا البغدادي (الطويل)²

مدحتهم فازددت بعدا بمدحهم فخيّل لي أن المديح هجاء
يقولون ما لا يفعلون كأنهم إذا سئلوا رفدا هم الشعراء

فكان في هذا اقتباس حسن من القرآن الكريم الذي يصف الشعراء بأنهم يقولون
ما لا يفعلون³.

7- الغزل والنسيب

قد يعجب قارئ الرحلة من كثرة القصائد والأبيات الواردة فيها من الغزل، وقد
يزداد عجباً عندما يعثر فيها على بعض قصص الهوى⁴ أو الغزل بالمذكر، وقد يكون لابن
رشيد عذر في هذا لأنه كان يتلقى ذلك الشعر من شيوخه، ولهذا تقتضي منه الأمانة
العلمية أن يورده كما سمعه، وقد لا يكون له العذر في ذلك لأن له الحق في حسن
التصرف والحذف والتأويل، ومع هذا كله فإن ابن رشيد كان عارفاً بأن هذه المسألة قد
تثير النقد أو كلاماً من بعده، لأن هناك من سيتهمه ويأخذ عليه ذلك، لكونه فقيهاً
ومحدثاً، ولهذا نجد يلمس العذر والتسوية والتوجيه المقبول لعمله هذا، ويظهر ذلك في
قوله: "وكذلك وقع فيها من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل
الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتبه أو إنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف

¹ : انظر ترجمته فيمن لقيهم بمصر من هذا البحث. وانظر فوات الوفيات 294/3.

² : الرحلة 1/7.

³ : انظر سورة الشعراء الآية 224.

⁴ : وذلك على سبيل اسم مؤلف أبي الفرج بن الجوزي "نم الهوى" وكان أبو الفرج هذا من مصادر معارف ابن رشيد.

مناقشة الحساب"¹. ويقول: "فأقول والله الموفق إنني تخاميت فيه كثيرا مما يقبح ولا يحمل منه وجوه التوريات، وإن كانت ترائبها بالبيان حاليات، والشعر إنما بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن، وإن كان غير ذلك في الظاهر، وإنما الأعمال بالنيات"².

وقد تخامى ابن رشيد فعلا بعض ما لا يحسن ذكره، ولا يليق مثلما فعل في شعر ابن أبي تميم وغيره. وقد سلك إلى حد ما مسلك أبي الفرج بن الجوزي في كتابه ذم الهوى الذي يقول فيه: "فأما إن كنت تمضي في تخليطك ولا تصبر على مضض ما يوصف لك فإنك تتعني وتتعب"³. وقال: "واعلم أنني قد نزلت لأجلك في هذا الكتاب عن يفاع الوقار إلى حضيض الترخص فيما أورد اجتذبا لسلامتك واجتلابا لعافيتك"⁴.

فابن رشيد على عافيته وعفافه وإسلامه اليقين وسلامة سريرته أورد بعض القصص مثل قصة مدرك الشيباني⁵ وقصة الغلام بين الحجيج⁶، وقد أورد هاتين القصتين كذلك أبو الفرج في كتابه ذم الهوى. ومهما يكن أمر هذا فإننا لا نجد في الرحلة ذلك المجون الذي جاوز حدود اللياقة والأخلاق، ولا هوى ينبو عنه الذوق السليم أو يشذ عنه الخلق العام فيخل بنظام الرحلة أو ينزل بها عن مقامها الرفيع أو يطعن في عدالة صاحب الرحلة أو يجرحها.

وإذا شئنا تصنيف الغزل الوارد في الرحلة، وجدنا أن فيه ما ورد في معنى من معاني العلوم كالفقه أو غيره، وفيها ما ورد بصورة الطيف والخيال الزائر، وفيه ما هو من التشبيب الذي يصف المرأة ومحاسنها ومنه ما هو في معاني المفاضلة بين البيض والسود، وفيه الغزل بالمذكر، وفيه ما هو في الاغراب والتعجيب في ذكر الهوى والهوان في صورة المجون والظرف.

¹ : الرحلة 64/7 .

² : نفسه.

³ : ذم الهوى ص: 1.

⁴ : نفسه.

⁵ : الرحلة 79/6 وذم الهوى 546-547 ومعجم الأدباء لياقوت 136/19.

⁶ : الرحلة 26/5 وذم الهوى 563-564.

ولولا خشية الإطالة والإملال لأتينا بكثير من القصائد والمقطعات والنتف، ولا شك في أن أغلبها عجيب في تشبيهاته وتوريثاته، ولكننا سنجتري بشيء من ذلك بإعطاء نماذج قليلة منه وذلك بالرغم من أنها مخطوطة وجلها نادر.

فمما ورد في الرحلة من معاني الغزل والنسيب وذكر الطيف ووصف العشق ما أنشده أبو بكر بن حبيش لنفسه مضمنا إياه بعض معاني الفقه: (الطويل)¹

وأحور وسنان الجفون سقيمها مهفف أثناء الوشاح هضمها
من الانس لم يدر الفلاة وقد سبا لحاظا وجيدا من مهاها ورعها
ضرعت إليه في الوصال فردني مرد مليء بالحجاج عليمها

وقال وصالا رمت والنهي عنه في

شريعتنا حكم أتى عن حكيمها

فقال لها في الشافعي وقد رأى

لمشترك الألفاظ حكم عمومها

هكذا كان ابن حبيش يجمع إلى طريقة الأدباء شخصية الفقيه الأصولي والمتصوف الذي كان يلتزم في شعره مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله، ولهذا جاءت إشارات كلها مهذبة ورموزه مشدبة ترمي إلى المعاني الفقهية والأصولية أكثر من غيرها.

ومن ذلك أنه صرف أبا الفضل التجاني صارف من الدهر عن رؤية بعض الكبراء مع ترادف العلل فخاطبه بهذه الأبيات ليفهم منها غير معنى الغزل (البسيط)²

قولا لعلوة إنني بعد فرقتها أمسي وأصبح لا ألوي إلى أحد
وعرفاها بقلبي أنها سكنت فيه كسكنى الهوى والشوق في خلدي

¹: الرحلة 7/2.

²: الرحلة 9/3.

وإن يكن عاقني عن وصلها قدر

فحبها ذاك لم ينقص ولم يزد

فهذا من شعر الرمز الذي يعطينا فكرة عن شعرية أبي الفضل الذي كان يسميه ابن حبيش: واصل الغاية. وقوله يعدل في حرارة عاطفته وصدقها شعر العذريين.

ومن ذلك أن المحدث الزاهد أبا العباس أحمد بن ميمون الأشعري سأل صاحبه أبا الفضل التجاني أن يذيل له على هذا العجز، وهي لأبي تمام:

رب سهم أصاب من غير رام.

فأجابه بقوله: ¹(الخفيف)

ورشا غرني بلين القوام وفـتور بلـظه وسقام

جئته أحسب المرام قريبا فرمتني الحاظه بسهام

لم أخل أنها من الصعب تسطو

فإذا قلبي المعذب دام

فاحذروا أسهم اللواظ تنجوا

رب سهم أصاب من غير رام

ومن شعر أبي الفضل التجاني الذي وصفه بهذره القديم الذي كان يستظرفه أبو الحسن حازم القرطاجني ويستظرفه ويستدعي منه إنشاده قصيدة منها: ²(الطويل)

ولينة الاعطاف بيني وبينها عقود هوى فيها تحار العواذل

وراحلتي قد أضعف السير والسرى

قواها وعن جهد تكل الرواحل

¹: الرحلة 9/7-10.

²: الرحلة 6/7.

تحمل جسمي وهي في ضعف ضعفه

كما حملت جسم الحسام الحمائل

إلى أن طرقت الحي من آل عامر

ولا عامر إلا الجياد الصواهل

فأبصرت من أبطالهن طوائفا

طوائف تحميها القنا والقنابل

وكانوا أخافوني الردى فعصيتهم

وبت ومن أهواه دان مواصل

وكيف يخاف الحين أو يحرم المني

فتى وله في خدمة المجد طائل

ففي هذه القصيدة صور مألوفة مما عهدناه في شعر امرئ القيس وغيره من مكائد الرقباء والحراس ومنعهم إياه، ومع ذلك فهو لا يستعمل تلك الأوصاف الحسية المادية لأنه عفيف القول والفعل. وفي القصيدة كذلك أنواع بديعة من التجنيس.

ومن ذلك ما أنشده أبو بكر بن حبيش لأبي الحسن سهل بن مالك لنفسه وقد استعمل فيه معنى فقهيا من معاني الحج (الطويل)¹

واحور معشوق الحلال محكم	على الصب يسيبه حسن خلاله
رمى بالحصاة والقلوب مطيفة	بها فاستحالت بينها قلب واله
فعاد إليه عائذا من فراقه	وقبل فاه كارعا في زلاله

وكان إلى الصم الصلاب انتماؤه

فأسأر² فيه الطبع قسوة آله

¹ : الرحلة 52/6.

² : أسأر، يقال إذا شرب فأسأر أي أبقي شيئا من الشراب في قعر الغناء. والسورة السطوة والاعتداء.

ومنها:

لئن رام وصفا لم يجد كنه وصفه ومن رام مثلا لم يجد في مثاله
ومما أنشده أبو حيان الغرناطي لنفسه وهو من جيد قوله (الطويل)¹
أيا باخلا حتى بلمس بنائه تعطف على من جاد فيك بنفسه
غريب غريب الحب لم ينو سلوة

طوال الليالي أو يحل برمسه

ومن جميل قول ابن أبي تيمم الحميري ما بز به قول جميل وابن حزام قصيدة
منها: (البسيط)²

عشق تولد بين الحسن والنظر لم أحظ منه بغير الشوق والفكر
أعطيت في الحب ما لم يُعطه أحد خمري الدموع وشغلي طيب الذكر
يا مطلع البدر من غصن له شفق باد من الحفر الوردي والشعر
من لي بوصلك والأيام حاكمة وذو العداوة مهما يحتكم يجر

ومنها:

لا خلص الله قلبي من هواك فما أحلى تجنيك لي يا منتهى وطري
فالبيت الرابع يذكرنا بقول الشاعر:

فعين الرضا عن كل عيب كليفة ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأما البيت الأخير فينظر إلى قول ابن زيدون في ولادة:³

لا سكن الله قلبا عن ذكركم فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

ومن طريف ما يروى ما أخبر به أبو حفص عمر بن إبراهيم التجاني قال: كان
أبو العباس أحمد بن إسماعيل الحريري، المشهور بابن القابلة رجلا أميا عاميا بتونس،

¹ : الرحلة 75/5.

² : الرحلة 60/2.

³ : ديوان ابن زيدون 141.

فنمي خبره إلى المستنصر واتهم في شعره فأمر باختباره، وأن لا يفارقه حتى يخمس هذين البيتين، فقال على البديه (الطويل)¹

هل الوجد إلا ما حوته قلوبنا وشقت له أكبادنا لا جيوبنا
فمحضرنا فيه وفيه مغيبنا ولما التقينا والسنوى ورقبينا

غفولان عنا ظَلَّتْ أبكي وتبسم

حبيبة قلب لا أدين بكرها لحسن صفات عز مبلغ كنهها
وحاولت أن آتي بشبهي وشبهها فلم أر وجهها ضاحكا قبل وجهها

ولم تر قبلي ميتا يتكلم

فاعجب لهذا الغزل الذي استعان فيه أبو العباس الحريري ببعض الصور الصوفية، فجاء شعره بديعا بليغا.²

ومن إنشاده أيضا (مجزوء الكامل)³

يا من حوى نور الهلا ل وغنج أَلْحَاطِ الرشا
ما في جفونك قد غدا معكوسه حشو الحشا

وقد علق ابن رشيد عل هذا التشبيه الحسن بأنه من البز المرتفع والسهل الممتنع. وقد أراد بالكلمة المعكوسة (مرض) ومعكوسها (ضرم).

ومن غزليات تاج الدين بن غنوم قوله: (السريع)⁴

ما خال من أهوى سوى خلة ترتع في الورد على الحد
وإن تقل أين جنا شهدا فالقم ملآن من الشهد

وله في غير ذلك: (الطويل)⁵

¹ : الرحلة 4/7.

² : انظر بعض شعره البديع في نفح الطيب 155/5.

³ : الرحلة 4/7.

⁴ : نفسه.

⁵ : نفسه.

ومن عجبني أني شهيد بحبها وامكث في نار الصدود مخلدا
ومن غزل أبي علي الرفاء الذي اشتهر بطرافته وخفة ظله قوله من لزوم ما لا
يلزم، وقد أنشده لتلميذه أبي بكر بن حبيش ومنه: (المقارب)¹

وسل عليه حسام النوى ومن بأس ما سل ما سلما
وضرم نار الجوى في حشاه فالحقه ضر ما ضرما
وعدمه الصير من بعده يرى فرضه عد ما عدما
وقد قلتما أن سيقضي الهوى ومن قبله قلت ما قلتما

فقد أتى أبو علي الرفاء في هذه اللزومية بكثير من التكلف المستثقل المفرق في
الصنعة، وإن كان فيها بعض الصور المستملحة ويظهر أن الرفاء قد أخذ نفسه على
القول على حروف المعجم، ويمكن أن نلتمس له العذر من هذا الجانب في الإتيان بهذه
القصائد التي غلبت عليها الصناعة اللفظية في غرض الغزل الذي يليق فيه ما يستملح من
التشبيهات ويستطرف من الكنايات ويستخف من الكلمات الرشيقة.

وللرفاء قصائد أخرى في الغزل أتى فيها بروي مستثقل كالحاء والغين
وغيرهما².

لقد كان ابن جكينا البغدادي من ظراف الشعراء الخلقاء، ولكن أجمع أهل
بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطاقة شعره³. ومن ذلك (المنسرح)⁴

لو كان أمري إليك أو يدي لكنت أعددت قبلك العددا
جفئك يرمي قلبي بأسهمه فما لحديك تلبس الزردا

ومن الغزل الطريف الذي تنجلي فيه الصناعة اللفظية المحمودة من حسن التشبيه
والتجنيس ما أخبر به الصفاء المراغي عن الزبيدي البغدادي عن الطائي عن السمعاني عن
أبي عمرو الصوفي عن السيد الجعفري قال: أنشدوني للقاضي النعماني (الخفيف)¹

¹ : الرحلة 50/6.

² : لنظر الرحلة 50/6.

³ : فوات الوفيات 320-310/1.

⁴ : الرحلة 1/7.

رب خود عرفت في عرفات سلبتني بحسنها حسناتي
حرمت حين أحرمت نوم عيني واستباححت دماي باللحظات
ورمت بالجمار جمره قلبي أي قلب يقوى على الجمرات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جفوني سوابق العبرات

لم أنل من منى منى النفس حتى

خفت بالحيف أن تكون وفاتي²

ومما جاء في هذا المعنى ما قرأه ابن رشيد على أبي الحسن بن رزين وذلك
بالسند المرفوع إلى أبي الحسين علي بن الحسن القاضي في الطواف لنفسه (الطويل)³

وحرّم غمضي والحجيج على منى

غزال رأيناه بمكة محرماً

رمى وهو يسعى بالجمار وإنما

رمى حبة القلب المعذب إذ رمى

ولما تفرقنا بمنعرج اللوى وأنجذت لا أرجو لقاء وإنما

بكيّت على وادي الارك، وماؤه

معين فصار الماء من عبرتي دما⁴

ومن الغزل الذي في معنى تفضيل السواد على البياض في المتغزل فيه ما أفاد به
ابن رشيد أنه ذهب برفقة صاحبه ابن الحكيم إلى الشيخ ابن أبي تيمم الحميري، فوافياه
متوكلنا على عصاه، فاستفسره ابن الحكيم واستملاه فذكر ما أحضره وأملاه ومن ذلك
قوله يصف سوداء جميلة:⁵

¹ : الرحلة 53/3.

² : انظر الأبيات في يتيمة الدهر 402/1 ومستفاد الرحلة للتجبيبي 405 وابن خلكان 418/5 مع اختلاف يسير في الرواية، وانظر ترجمة أبي حنيفة النعمان في ابن خلكان 45/5 ترجمة 766.

³ : الرحلة 74/6.

⁴ : مستفاد الرحلة للتجبيبي 405.

⁵ : الرحلة 58/2. ولأبي الفضل التجاني معان جميلة في ذلك الرحلة 10/7.

وليلة لولا تبسم ثغرها لما شك في فضل الظلام على الصبح
مُعْبِرَةً في اللون والاسم والشذا

غزالية في اللحظ والجيد والكشح

تملكته رقا وتملكني هوى ولكن مملوك الهوى فاز بالريح

ومن بديع استنباط المعنى العلمي من الشعر ما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وكتبه له بخطه قال: حكى أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الأديب المتجول نزيل تونس والمتوفى بها قال: كان معنا أبو العباس بن الحجاج في بعض العشيات بجامع العديس باشيلية، فنظر أحدهم إلى أسود حافظا للحديث يقرأ عليه غلام جميل الصورة فقال لابن الحاج: (مخلع البسيط)¹

كانه الصبح مستمدا سناه من غيب الظلام

فقال ابن سعيد: أجز يا أبا العباس:

ومعشق مثل النهار لمحته يتلو الحديث على أخي ديجور

فقال:

فأجبت من أبدى التعجب منهما

نور الحديث أتى بذاك النور

ومن مستحسنات قصائد أبي اسحق التجاني ما أنشده ارتجالا في غلام أعور يطبق جفن عينه العوراء، وقد سأله النظم في ذلك أحد الكبراء فقال: (المتقارب)²

ولما بدا كهلال الدجا تيس به خوطة مائدة
وقد جعل الله من حسنه دليلا على غيبة شاهدة
رأى قتل عينيه عشاقه فأغمض من رافة واحدة

وفي هذا المعنى قال أبو حفص التجاني قديما لنفسه في تحسين العور (المتقارب)¹

¹: الرحلة 34/7.

²: الرحلة 23/7.

وقالوا به عور شانه وفي الحق ليس به من عور
ولكنه مطبق جفنه لتسد يد رمي سهام الحور

وقال ابن رشيد أنشدني بعض أصحابنا المغربيين وهو الأديب النحوي العروضي
أبو بكر القللوسي لنفسه في مشروط كلف وصفه: (البيسط)²

لا تنكرن تشاريطا بوجنته فإنها أثر الالفاظ والفكر
وطالما جرحت باللحظ صفحته والجرح ليس له بد من الاثر

ومن ذلك ما أنشده أبو العباس بن القصير قال: كتب إلي الفقيه أبو علي عمر
ابن الناصح بهذه الأبيات ومنها: (البيسط)³

بحسن وجهك لا بالشمس والقمر

أقسمت ثم بذاك الفنج والحور

لو أن لي قدما في النظم ثابتة

لما تعطل ذاك الجيد من درر

مهلا علي قليلا أو أعد نظرا والله يعصمني من ذلك النظر

ما كل ذي خبر صحت روايته فالصدق والمين مخصوصان بالخير

وإن يكن ذاك في غصن الشباب فهل

بعد الصبا من لبانات ومن وطر

هذا ولو بقيت آثار ما زعموا

فسحر عينيك ما يبق من الأثر

1: نفسه.

2: الرحلة 31/3.

3: الرحلة 10/2.

وإن أنا اليوم لم أنهض بما طلبت

بما رمانني به دهري من الكبر

فبي إليك اشتياق سوف ينطقني

بما به تنطق الأطيّار في السحر

وإن هذه الذخيرة من الغزل الذي نجد أصحابه مشاركة ومغاربة ما هو إلا صورة للمجتمع العربي في القرن السابع الهجري، وذلك في رزانتهم وخفتهم، في مجونهم وعفتهم، وقد يكون أكثر هذا الغزل لإرادة الاحماض بعد الإملال، ولولا ذلك ما اختاره ابن رشيد وحلى به رحلته المملوءة بما عز من معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وغير ذلك مما ضمنه من قصص العرب وتاريخهم، ومهما يكن من أمر ما ورد في بعضه من الخروج على اللياقة الأدبية والخلق الكريم في الظاهر، فإن ابن رشيد يؤكد أن ذلك آثِل لا محالة إلى ما في نفوسنا وعقولنا من النيات.

وإن في الرحلة تنفا ومقطعات وقصائد تزري بنظم الفريد وهي تحتاج وحدها إلى دراسة مستقلة وتصنيف معين لأغراضها وموضوعاتها¹.

8- الشكوى من الدهر والزمان وما يتصل بذلك من السخط والرضا والرجاء

والحياة والفراق والوداع

ما أكثر مشاهد الشكوى من الدهر والزمان في الأدب العربي إذ لم يخل ديوان من دواوين الشعراء من ذلك، وكان لكل شاعر موقف من المواقف التي يتصدى فيها للحياة ومشاكلها ومصائبها التي تتحين الفرص لتتنقض على هذا الشاعر الذي حباه الله بإحساس وشعور يدرك بهما مسرات هذه الحياة ومضراتها.

وما الشعر الوارد في الرحلة، الذي من هذا القبيل، إلا وجه آخر من وجوه النشاط العقلي والشعور العام للوطن العربي في مشرقه ومغرب، لقد عانى العربي على مر

¹ : انظر بعض الأشعار الغزلية في الرحلة: 00/2 و 29/3 و 30/3 و 296-3 و 50/6 و 52/6 و 66/6 و 1/7 و 2/7 و 6/7 و 14/7 و 18/7.

السنين غربة وحرباً أخرجته من مسقط رأسه، وذاق ألم فراق الاخوة والأحباب والوطن، واعتزته أثناء المحن فترات السخط والرضا، ولقد قال ابن عبد ربه:

ألا إنما الدنيا نضارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب

فمما ورد في الرحلة من الشعر الذي يصف الزمان ويتشكى من أحداثه ومصائبه ما قاله أبو الحسن التجاني في إحدى مزدوجاته (مخلع البسيط)¹

البسني الدهر ثوب حزن كأن ملبوسه حديد
إن لاح للعين فيه خرق رقعته حادث جديد

فعلى كل من وقف على ما ارتسم في هذا الوجه ألا يبرح حتى يرتسم في صحة القلب² لأن أبا الحسن أغرب حقاً في هذا المعنى وأتى فيه بالصورة الحية المتحركة للدهر الذي لا تؤمن غوائله.

ومن قوله أيضاً في وصف الدهر (البسيط)³

هذا زمان كما أبصرت، جائرة صروفه لم تدن فينا بانصاف
فَرْدِيهِ كدرا إن كنت وارده أولاً فمت ظمأ لا تطلب الصافي

ومع أن التجاني قد أخذ من شعر بشار بن برد في معناه المشهور، فإن صياغته اللطيفة جعلتنا ننظر إلى شعره نظرة جديدة.

وقال التجاني أيضاً:

الدهر وراق بلا مرية سلني بما ذا كان وراقا
يخط بالشيب سطور الردى ويجعل الهامات أوراقا

وقال في عدم الأمان من تقلب الزمان (المتقارب)⁴

¹ : الرحلة 17/7.

² : كتبت هذه الجملة في هامش المخطوط 17/7.

³ : الرحلة 17/7.

⁴ : الرحلة 17/7.

أيا صاح إننا عرفنا الزمان

بتجديده وبإخلاقه

فلا تك تطمع في عدله . فليس بتارك أخلاقه

ومن صور الشكوى من الزمان وأهله قول أبي الفضل التجاني (الخفيف)¹

أنا من قد علمته مت حيا وطوتني الآداب بالنشر طيا
في زمان بنوه أجور منه ومكان لم أمس فيه هنيا
هبك أن المكان انقل رحلي لمكان سواه شيئا فشيا

ما احتيالي وكيف يجدي احتيال

أنني أصلح الزمان الدنيا

ومما أنشده في هذا المعنى الشيخ قطب الدين القسطلاني لنفسه قوله:²

أردت من زمني جودا يفيد جدا

فضن عني لما أرجوه مجتهدا

فقلت مذ لم أجد حرا ينيل ندى

لأَجْهَدَنَّ عَلَى أَنْ لَا أَرَى أَحَدًا

وَأَتْنِي خَالِيَا عَنْ قَرَبٍ مِنْ بَعْدَا

المخمسات التسعة

ومما جاء في الشكوى من الناس وذهاب خلال الوفاء والمودة والإخاء منهم قول

بشر الحافي³

¹ : نفسه.

² : الرحلة 113/3، ودرة الحجال 220/2 ت 310.

³ : الرحلة 3869 ووفيات الأعيان 274/1.

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب

والناس بين مختل وموارب

يغشون بينهم المودة والاخا وقلوبهم محشوة بعقارب

ومما ورد في الوداع ما كتب به أبو العباس الاشعري، بخطه مودعا ابن رشيد

ورفيقه ابن الحكيم عند حضور سفرهما (الوافر)¹

وداعكما وداع القلب مني	أبعدكما يصاحبني الفؤاد
وبينكما يبين الصبر عني	ويتركني يرق لي الجمد
وقد كان الرقاد يزور طرفي	وبعد نواكما ينأى الرقاد
لقد جار البعاد على المعنى	فديتكما لمن يشكى البعاد
فطيف منكم يسري اختلاسا	يزور الصب إن غفل السهاد
بقيتم للجمال بدور تم	وبالإحسان حسنكم يشاد

ويظهر في هذه الأبيات معنى الصدق والوفاء والإخلاص المتبادل بين هؤلاء الأصحاب الذين كثيرا ما كانوا يحضرون مجالس شيوخهم، ويجتمع كل منهم إلى الآخر في منزل صاحبه، ولهذا جاءت القطعة شارحة تلك العاطفة الصادقة، ومبينة لألم الفراق والبعد الذي لا يطاق.

ومما جاء في معنى الفراق وألمه أيضا ما أنشده بهاء الدين بن النحاس قال:

كتب إلي شرف الدين إبراهيم بن عز الدين بن فرج كاتب الدرج الشريف صدر رسالة:
(البسيط)²

فراقكم بعد بعد الدار ألزمتنا	ذم الزمان وكنا نحمد الزمان
يا سادة سكنوا منا القلوب فما	نختار غيرهم إلّا ولا سكنا
نأيتم فدنا وجدي بكم ودنا	صيري فوا حزني مما نأى ودنا

¹ : الرحلة 66/2.

² : الرحلة 30/3.

ولما بعث إليه بعض أصحابه يعاتبه على انقطاعه عنه ثلاثة أيام كتب إليه ذلك، وكان المعاتب هو مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر الصاحب بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم (الوافر)¹

وحقك ما انقطعت لبعض عهد ولا أنا للمودة بالمضيع
ولكن الليالي غادرتني بلا سكن فريدا من جميعي
وحسبك ما يقاسي طول دهري فؤادي من سؤالي في الربوع

ولما كتب إليه أحد تلاميذته وهو علي بن أحمد التاذفي، وقد طلب منه أن يبيت عنده، فاحتج له بأبيات الصاحب برهان الدين النجاري وقد ذكر فيها معنى منطقيا (الطويل)²

أظن النوى التقت عصاها لديكم

فحبل التداني منكم اليوم مقطوع

فإن يكن البرهان للهجر حجة

فذاك دليل بالبيديهة ممنوع

وأما ما قيل في معاني العشرة الحسنة فهو ما قرأه ابن رشيد على أبي الفتح بن دقيق العيد ولم ينسبه (الرمل)³

عاشر الناس بأخلاق الرضا تملك الاحرار من غير ثمن
لا تقل في الحلم ذل فلقد فاز أهل الحلم في كل زمن
إن للصبر عليه مسلكا ليس يرقى فيه إلا من ومن

ومما قاله أبو افضل التجاني يصف حاله مع الصديق وقيامه في موافقته بواجب الحقوق: (الطويل)⁴

¹ : الرحلة 29/3.

² : الرحلة 30/3.

³ : الرحلة 9/7.

⁴ : الرحلة 64/5. وانظر ديوان ابن دقيق العيد ص: 167 مع اختلاف في رواية بعض الكلمات:

أتيتك والآمال تسري إلى مدى

بعيد أراه باصطناعك يعرب¹

وقد شنع الأعداء أن مطالبي ترد على أعقابها وهي خيب²

وما تركوا من حجة أو أتواها على أنني ما لي ببحرك مشرب

ووالله ما صدقت أنك ترجى لدفع ملم فادح فتخيب³

ومن هذه الأبيات والقصائد التي تدور حول الشكوى من الدهر والزمان أو الفراق والوداع أو السخط والرضا أو الرجاء والخيبة تبدو لنا نفسية الشاعر العربي في مختلف وجوه الحياة المتعددة، ومنها تظهر لنا العلاقات الإنسانية في أوسع معانيها وقد قال الشاعر: (الطويل)

لمن تكن الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محب أو إساءة مجرم

9. الوصف

إن الوصف عامل مشترك بين جميع الأغراض الشعرية، لأن الشاعر يصف وهو يمدح، ويفخر، ويصف وهو يهجو ويعاتب، ويصف وهو يتغزل وينسب، ويصف وهو يشكو ويتألم، ولهذا كان ممكنا إدراج ذلك في الأغراض السابقة الذكر، ولكن أهمية هذا الموضوع تستوجب أفراد مكان مستقل به لإبرازه عنصرا مهما في استجلاء ذوق ابن رشيد من ناحية وفي استكشاف الجوانب المغمورة للرحلة وإبراز مكانتها من تلك الاختيارات الشعرية الكثيرة، والتهدي، على قدر الإمكان، إلى تقويم الصورة الفنية بواسطة الأدوات البلاغية والبيانية فيها من ناحية أخرى.

¹ : الديوان: يقرب.

² : حبيب.

³ : فتجنب.

وقد قال أحد النقاد: "إن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه، ولكنها بذاتها لا يمكن أن تخلق معنى بل إنها يمكن أن تحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى الذي تحسنه أو تزينه"¹.

وما أكثر طرق عرض الشعراء لأفكارهم، وبواسطة ذلك يستطيعون أن يخلقوا أو أن يسقطوا.

وقد حاول بعض الكتاب التأليف في التشبيهات والكنائيات وخص غيرهم فصولاً مهمة من كتبهم بالاستعارة والمجاز، واستقصوا ذلك في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وفي الشعر العربي على مر العصور، وبذلك لا نستطيع أن نترك هذه الذخيرة من الشعر المدون في الرحلة من دون أن نتبين فيه طرائق مختلفة من التعبير والإجادة فيه وكانت أداة الشعراء في ذلك الوصف.

بما أن الطبيعة، بأوسع معانيها، كانت تشغل حيزاً مهماً من نفس الشاعر العربي، فإننا نجد نفسه بها لائطة وقلبه إليها عالقا أبداً الدهر بجوانبها، تلك الطبيعة التي ظل يحن إليها وينقل من صورها، ويضيف إليها من إحساسه وشعوره ما كان يرى أنه ضروري لإتمام لوحاتها وإكمال مناظرها، فخياله يمتح منها ما بقيت تلك الطبيعة تغذو عقله وفكره وخياله.

فمما وقع في الرحلة من وصف الطبيعة ما أنشده أبو بكر بن حبيش لنفسه في أبيات منها: (البسيط)²

أنعم بيوم له في الحسن آثار تقضى به لك آمال وأوطار
وجه الزمان وقد راق محاسنه له سفور وللأصباح إسفار

والروض يهدي نسима ليس بشبهة

في الطيب إلا ثناء منك معطار

¹ : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. للدكتور جابر أحمد عصفور ص: 392.

² : الرحلة 7/2.

والشرق ذو شفق في البحر مؤتلق

كأنما الماء شبت فوقه النار

والشمس تطلع كالدينار أخلص من

محض النضار فهامت فيه نظار

تبدو مع الماء طورا ثم ترفعها

أوج ويدفعها موج وتيار

ما كان للبحر إذ حاكى يديك ندى

أن يمسك الشمس فيه وهي دينار

وفي هذه الأبيات تصوير حسن للطبيعة وغوص على أعماق معانيها وصورها، لأن تلك المعاني تنظر إلى معاني البحري وابن خفاجة في ديباجات شعرهما وفيها الوقوف أمام منظر واحد ولكنه يقدم في صور شتى ثم يخلص الشاعر إلى الممدوح في النهاية ويمضي يهز أريحته عندما يشبهه بالبحر الذي لا يمسك الشمس وإنما يدفعها ويلقي بها إلى الخارج.

وللكاتب الحافل أبي زيد الفازازي في نزول المطر قصيدة بديعة يقول فيها:
(الكامل)¹

بعد ما ذكر نعم الله التي هي إشارة لعباده يتقبلونها ويشكرون الله عليها
ويحمدون قال:

مدت إليه أكفنا محتاجة ما نالها من جوده تتعهد
وأغاثنا بغمام وكافة بالبشر تبرق والسعادة ترعد
حملت إلى ظمإ البسيط ربه ويد الغمام على الثرى لا تجحد

¹: الرحلة 34/2.

والأرض في حلي الربيع كأنها

نطف السحاب لؤلؤ وزبرجد

والروض مطلول الحمائل باسم

والقضب ناعمة المعاطف ميد

ومن بديع ما جاء فيها قوله:

تاهت عقول الناس في حركاتها

ألسكرها أم شكرها تتأود

فيقول أرباب البطالة تنثني

ويقول أرباب الحقيقة تسجد

وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها

في حق خالقها تقوم وتقعد

فاعجب لهذه الصور الفنية البديعة التي مزجها الشاعر بمعاني الرقص والسماع، وكأنه استعار لها بعض الشطحات الصوفية التي تجعل قارئها يهيم في معانيها العميقة.

وفي القصيدة واحد وعشرون بيتا ضمنها الشاعر كثيرا من ألوان البديع.

وقد أحسن الفازازي في مزج الطبيعة بهذه الصور الدينية التي توجد بين الطبيعة الظاهرة والطبيعة الباطنة في نفس الإنسان وتشبع فيه نهم العين والإحساس وشوق الروح والنفس والإلهام، ووحدانيته.

ومن المعاني الحضارية التي تعطينا وجها آخر لما وصلت إليه الصناعة والقدرة على إبداع المهندس العربي، فيقف أمامه الشاعر ليعينه على وصفه ويكتشف المعاني الإنسانية فيه قول محمد بن عيشون لنفسه يصف الدولاب (الكامل)¹

عجبا للدولاب يدور كأنه فلك يحاول ما به قد أفردا

¹: الرحلة 14/2.

وكان ماء النهر در سائل يلتقيه في أعلاه كيما يجمدا

ولما كانت المحيرة عند الكاتب والشاعر والخطاط أداة للإلهام ومبعثا له ورمزا للعلم والعرفان وأساس الحضارة في كل زمان ومكان، فإن أبا الطاهر بن أبي ركب أبي إلا أن يشخص لنا مغزى ذلك، فقد وصف محبرة أبينوس بحلية ذهب فيها قلم ذهب، وكان القلم وإياها رفيقان لا يريمان، وهل هناك ما هو أشرف وأقدس من القلم الذي أجله الله تعالى في كتابه العزيز فأحله المكان الأرفع (الكامل)¹

جاءتك من عدد العلا زنجية في حلية من حليه تنبخر
سوداء صفراء الحلي كأنها ليل تطرزه نجوم تزهـر
حملت بأصغر من نجار حليها تخفيه أحيانا وحينما يظهر
خرساء إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

ولما كان الشيب والشباب هما العنصرين اللذين يشغلان ذكر الشاعر فإنه كان يرى في الشباب إقدام الحياة والخير والسعادة عليه، وفي الشيب ادبار كل ذلك عنه ونذيرا بالموت والثبور، وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا، ومن ذلك ما أنشده أبو علي الحسن بن علي بن جرير الأستاذ القفصي لنفسه، وهو من بديع القول وأعجب التشبيه (المتقارب)²

إذا الشيخ آنس من نفسه نشاطا فذلك موت خفي
ألم تر أن ذبال السراج يزيد اتقادا إذا ينطفي

فانظر إلى قوة هذه الملاحظة التي تؤديها التجربة والممارسة في الطبيعة البشرية.

ومن بديع قول ابن عصفور في المشيب: (الحفيف)³

ما خضبت المشيب كرها لشيـب

لا وحلية الشيب قصـدي

¹ : الرحلة 16/2.

² : الرحلة 66/2.

³ : الرحلة 90/6.

ومما جاء في وصف مغن قبيح الصوت ما أنشده أبو عبد الله الحميري (الكامل)¹

غنى فصِحتُ تألما لغنائهِ يا للرجال، فظننه استحسانا
فأعاد ما غنى وقال لي استمع هذا الثقيل، فقلت من عنانا

لا شك في أن الحميري استعان بروح ابن الرومي في سخريته ودقة وصفه وإصابته. ولو شئنا إيراد كل الأبيات والقصائد التي هي بصدد الوصف الحسن والتشبيه البارع والاستعارة المناسبة، لأمكن لنا أن نأتي بالشيء الكثير، وقد قال ابن رشيق: "الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"². ولكن الدارس المستقصي، والقارئ المتأنى يتيسر له ما يتعسر على من يتحرى نقل الأهم فحسب، وإلا فإنه يمكن تصنيف ما يعد ذيلًا على كتاب التشبيهات لأبي عبد الله الكتاني أو غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي أو تشبيهات ابن أبي عون.

ولما كان الوصف معتمدا على الاختراع والابتكار في الغالب فإن هذه النماذج التي بين أيدينا وجدت سبيلها إلى القلوب والنفوس وذلك بفضل الصياغة الجديدة لما سبق إليه الشعراء في سالف الأعصار.

10- نظم معاني العلوم

(من النحو والحساب والفلسفة والمنطق وغيرها)

إن تضمين الشعراء معاني بعض العلوم الأخرى في شعرهم كالفقه والحساب والمنطق والنحو ودلالات الحروف واصطلاحات الإجازة، لتدل بوضوح على أن ذلك الشاعر ملم بظروف من تلك العلوم أو أنه يعرف أسرارها ويحذق شيئا منها ثم إن ذلك ليدل على قدرة الشاعر على الاقتتان والإبداع في فنون القول.

¹: الرحلة.

²: العمدة لابن رشيق 204/2.

وقد يأتي الشاعر في ذلك بطرائف وغرائب وحكم نادرة، وقد يأتي فيها بشيء من الإلغاز والتعمية.

فمن ذلك ما قاله أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل في معنى الحرف¹
(الكامل)

من يستقم يحرم ومن هو أعوج يختص بالإسعاف والتمكين
انظر إلى الألف استقام فقاته نجح وفاز به اعوجاج النون

وإن كان في معنى هذين البيتين شيء مما يدل على الحث على الفسوق والخروج عن الجادة، فإن فيهما قدرة عظيمة على التصوير والتقاط بعض مناظر الحياة بعين أمينة.

ومما جاء في الرحلة من المدح في معنى من معاني الحساب قول أبي الفضل التجاني مخاطباً لبعض من آخر عن خطته وقدم في غير مرتبته (الكامل)²

إن أخروك وقدموا من آثروا هذا وهم في نسبة الأضداد
لا تقلقن فإنما تقديمهم تقديم أصفار على أعداد

فما أبدع معنى أبي الفضل الذي طبعته الحركة بين الأعداد والأصفار في الدلالة والتقويم.

ومما قيل في الغزل وفيه معنى نحوي، قول أبي الفضل التجاني (الطويل)³

وكنت أظن الواو واو عذاره يجيء لمعنى العطف فامتنع العطف
وما صح إلا أنها حرف علة لوجدي ولكن في فؤادي هو الحذف

وفي معنى المنطق ما انشده القاضي أبو العباس الغماري لنفسه يمدح تقي الدين ابن دقيق العيد، وخاطب بذلك أباه مجد الدين (الكامل)⁴

¹ : الرحلة 3/7.

² : الرحلة 10/7.

³ : نفسه.

⁴ : الرحلة 60/3.

حييت بالبر التقي ومن يكن برا تقيا مثل ذلك ينتج
إن المقدمتين مهما كانتا صدقا فمثلهما النتيجة تخرج¹

فلا شك أن الغماري يشير إلى العلاقة بين المقدمتين والنتيجة عند المنطقيين.

ومما يشبه ذلك في حسن التشبيه والتعليل قول أبي الحسن التجاني (الخفيف)²

لم أشب لأنني كبرت وإلا فشهودي على الصبا أترابي
غير أن الرسول لما أتاني بالرضا منك بعد طول العتاب
عظمت عندي البشارة حتى كان خلعي عليه برد الشباب

وقد قل من الشعراء من يتمنى المشيب، وندر من يطمح فيهم لذلك وهذا أبو
الفتح ابن دقيق العيد يتمنى الشيب لا شيء إلا ليتمتع بحسني الشباب والمشيب على
خلاف أكثر الشعراء لأن فيهم من كان يمدح الشيب كذلك. وقد قال أبو الفتح³:
(الطويل)

تمنيت أن الشيب عاجل لمتي

وقرب مني في صباي مزاره

لأخذ من عصر الشباب نشاطه وأخذ من عصر المشيب وقاره

ويمكن أن نعد بيتي ابن دقيق العيد من المنصفات في الشعر العربي.

وفي شأن الشيب ما أنشده بهاء الدين بن النحاس لنفسه في شائب (الكامل)⁴

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه فألى م قلبك في هواه يهيم

وفي وصف الكتابة والخطوط وما يتعلق بهما ما أنشده أبو الفضل التجاني

للأديب أبي القاسم عبد الله بن المعلم (الخفيف)⁵

¹ : انظر التعاريف في معيار العلم 131 وكتاب الرد على المنطقيين 361.

² : الرحلة 18/7 وقد كتب في الهامش كلمة (قف ولا تبرح) وذلك لغرامة الوصف.

³ : الرحلة 64/5 والديوان 156 وفوات الوفيات 445/3.

⁴ : انظر بعض ذلك في كتاب التشبيهات 268 وغرانب التنبهات 168.

⁵ : الرحلة 29/3.

خط من شاخ مثل من شاخ فيه

ما اشتكى من زمانة واعوجاج

وارتعاش الـيدين يفعل بالخط

كما تفعل الصبا بالسراج

ومن ذلك ما رواه ابن رشيد قال: انشدني ابن أندارس المتطبب لنفسه، وكتبه لي بخطه في معنى منطقي (الوافر)¹

وكنـت رجوت من زمـني نوالا وان الدهر يسمـح لي بـغـنـم
ولـما كان لا يُبـقي جـل به يعتد ذو عقل وفهم
يئـست من النـتيـجة منه قطعـا لأن الاختلاف دليل عقم

ومما قيل في التنجيم والمنجمين ما أنشده تاج الدين الغرافي قال أنشدنا أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي في كتابه: (الكامل)²

لا تـركـن إلى مقال منجم وِكلَ الأُمُورَ إلى الإله وسلم
واعلم بأنك إن نسبت لكوكب تدبير حادثة فلسـت بمسلم

ومن معاني الفلسفة والمنطق ما أنشده أبو المطرف بن عميرة قال: (الكامل)³

فضـل الجـمال على الكمال بوجهه

والحق لا يخفى على من وسطه

وفي وصف الشعور بلذة مطالعة كتاب جيد لا يمل منه ولا يسأم ما قاله أبو الحسن طاهر بن مقفوز لنفسه في كتاب: جامع بيان العلم وفضله: (الطويل)⁴

كتاب بيان العِلم تأليف شيخنا الإمام ابن عبد البر تحيا به النفس

¹ : الرحلة 113/6.

² : الرحلة 19/3.

³ : الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف بن عميرة 241.

⁴ : الرحلة 19/6 وهو لأبي عمر بن عبد البر النمري، وهو كتاب جليل. مطبوع.

أطالعه في كل حين وكلمنا أردده درسا يلذ لي الدرس
وإنني إذا استوحشتُ في أرض غربة فليس سواه في اغترابي لي أنسُ
فذاك أبي لا تملُّ منه فإنما يقصر عنه جامد ماله حسُّ

ومما أنشده أبو عبد الله بن حيان عن ابن البراء التنوخي عن أبي عبد الله
ابن عمر القرطبي عن أبي القاسم بن فيره عن الحافظ السلفي عن خميس الجوزي لنفسه في
فضل إعارة الكتب (السريع)¹

كتبني لأهل العلم مبذولة أيديهم مثل يدي فيها
متى أرادوها بلا منة عارية فليستعبروها
حاشاي أن أخفيها² عنهم بخلا كما غـيري يخفيها
أعارنا أسيافنا كتبهم وسنة الأشياخ نمضيها³

وقد أنشد هذه الأبيات أيضا أبو القاسم القبتوري لابن رشيد وذلك دون إسناد،
ووقع بعض التغيير في رواية البيت الثاني:

"ينالها مني بلا منة عارية من جاء يرجوها"

وإن من طرق تحمل الحديث الإجازة، وهي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته
أو مؤلفاته، وكان الجمهور يجيزونها، ويرون صحة الرواية بها وهي تكون بعد طول
الملازمة حتى يستأنس الشيخ من قدرة الطالب فيجيزه، وأعلى درجات الإجازة المشافهة
بها، وتأتي بعدها المراسلة وبعدها المكاتبة وفيها أنواع⁴.

وتعد الإجازة في هذا الموضوع مهمة لأنها توضح لنا نوع العلوم المقروءة في فترة
معينة، وتدلنا كذلك على مستوى العلم والعلماء في تلك الفترة، وقد صاغ بعض الشيوخ

¹ : الرحلة 23/2-24.

² : انظرها أيضا في كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص: 175.

³ : ذكر السمعاني في كتاب أدب الاستملاء أخبارا حسنا عن إعارة الكتب والضم بها ص: 175.

⁴ : الالمام للقاضي عياض 68 ومقدمة ابن الصلاح 72.

في شأن ذلك إجازات نثرية لها مكانتها الأدبية والتاريخية، وهناك أيضا بعض الإجازات الشعرية التي لها المكانة المرموقة في هذا المجال.

فمن الإجازات الشعرية التي بين أيدينا ما قرأه ابن رشيد على ضياء الدين عيسى بن يحيى... بن مسعود الأنصاري السبتي بالقاهرة المعزية، فقد أجاز له وكتب خطه غير ما مرة بالإجازة ونصها: ¹(الطويل)

أجزت لمن سمى بها ما يجوز لي

روايته بالشرط في كل مسند

تلفظت نطقا بالإجازة معلنا وكتبه عيسى بن يحيى بن أحمد
ولدت بعام من ثلاثه وعشرة وست مئين هجرة لمحمد
تطوقت قدما بالحجاز وإنني بمصر هو المربى وسبته مولدي

ولم تكن هذه الإجازة خاصة بابن رشيد، فقد استعملها ضياء السبتي أيضا في إجازاته لأبي القاسم التجيبي عندما التقى به وكتبها له بخط يده، وهذا يدلنا على أن كثيرا من نصوص الإجازات لم تكن خاصة بأصحابها وإنما كانت متداولة بين كثير من الطلبة.

ومن الإجازات التي لها أهمية كبرى أن أبا الفضل التجاني التونسي أصحب ابن رشيد، لما عزم على الرحيل إلى وطنه، استدعاء بخطه يلتمس فيه من شيوخ سبته أن يكتبوا له الإجازة وقد صدر رسالته بقطعة ومن أبياتها: ²(الحفيف)

أيها السادة الأبعاد عنا أقبسونا من نوركم بالإجازة
لم يحصل لنا حقيقة علم قربكم فابعثوا إلينا مجازة
وعدتنا آمالنا بلقاكم ولعل الأيام تدني نجازه

¹ : الرحلة 96/3 ودرة الحجال 190/3 مع اختلاف يسير في الرواية وانظرها كذلك في مستفاد الرحلة 91.

² : الرحلة 45/7 وانظر هذه الإجازات أيضا في مجلة المناهل عدد 17 ص: 58 ود أوردها كاملة الأستاذ محمد المنوني نقلا عن الرحلة.

ولما وصل ابن رشيد إلى سبتة عرض ذلك الاستدعاء على جملة من أشياخه وأصحابه وكتب فيه نظماً جميع أدبائهم ومنهم أبو القاسم القبتوري في قوله: (الوافر)¹ ومنها:

ألبي من أهاب لأن يجازا أبا الفضل المعجز أن يجازي
أجازك سيدي خلف بن عبـد العزيز الغافقي بما أجازا
ثم أجازة في ثانية منها:²

أيها السيد الذي طال طولاً فأرانا صدوره أعجازه
خلف ثم نجل عبد العزيز الغافقي المخط هـ ذي الإجازة
ثم ختمها بتاريخ هذه الإجازة والصلاة على النبي وآله.
ومنهم ابن الشاط في قصيدة منها:³

أيها المستجيز هاك الإجازة فاقتبس نورها وراع الوجـازة
خطه قاسم بن عبد الإله بن محمد مستجيزاً مجازه
وجرت عام ستة وثمانين وست من المئين الوجازة
ومنهم أبو الحجاج يوسف الطرطوشي⁴

يا وحيد آياته في المعالي لمجاريه أظهرت إعجازه
كاتب الطرس يوسف بن علي وفي الأنصار بيته ذا احتجازه
قالها عام ستة وثمانين وست من المئين مجازه

ومنهم أبو بكر محمد بن عبيدة الأنصاري الاشيلي نزيل سبتة في قصيدة منها:⁵

¹ : وفيها سبعة عشر بيتاً.

² : فيها ثمانية عشر بيتاً.

³ : الرحلة 47/7 وفيها اثنان وعشرون بيتاً.

⁴ : الرحلة 48/7 وفيها واحد وعشرون بيتاً.

⁵ : الرحلة 48/7 وفيها أربعة عشر بيتاً.

أيها المبتغي الإجازة حدث عن أخيك محمد بالإجازة
بأبي بكر الكنانة إذ قد يبتغيها المجاز من أجازة
وله في عبدة نسب إن ذكر ابن وإن عراه وجازه

وقد سار على هذه الطريقة في ذكر شيوخه مقلدا سابقيه ومنهم مالك بن المرحل
الذي قال على لسان أبي الحسين بن أبي الربيع وذلك في قصيدتين منهما:¹

أكرم الله مستجيزا أتانا منه شعر سامى السماك وجازه
صدرت عنه قطعة سحرتنا أي سحر أحله واستجازه

وقوله:

ما رأينا كطالب للإجازة بروي أرى الورى اعجازه
واصل غاية المدى بجواد أحرز الخصل في الجياد المجازة
إنه ناظم أسن وقد سن من النظم كنهه ومجازه
مالك بن المرحل اختط هذا وهو أولى أن يستجيز مجازه

ومنهم أبو اسحق التلمساني في قصيدة منها:²

أنا سكيت حلبة قد أجاوبا فأجازوا ما استوهبوا من أجازة
أطلعت منه تونس بدر علم حاجزا عن مناظر أحجازه
قاله إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله المري إيجازه

ومنهم أبو عبد الله بن الدراج في قطعة منها:³

حسن در نظمتموه استجازه قد أحل استرقاقنا واستجازه
كما شد للترحل عزمنا منه حلت يد الخطوب حجازه
المسمى محمدا وأبوه عمر بن الدراج نال احتجازه

¹ : الرحلة 48/7 في القصيدة الأولى عشرة أبيات وفي الثانية ستة عشر بيتا.

² : الرحلة 49/7 وفيها خمسة عشر بيتا.

³ : الرحلة 50-49/7.

ومهما كان نوع هذه الإجازات عند تحقيق الاصطلاحات الحديثة فإنها تدل على أنها إجازات شيوخ لهم علم ومعرفة وصيت في الشرق والغرب، لأديب معلوم مشهور بغزارة شعره، والإجادة فيه حتى إن ابن حبيش كان يسميه واصل الغاية، وبهذه الصفة خاطبه القيتوري وابن المرحل، إذا ليست هذه الإجازة لمبهم ولا لمجهول ولا لمعدوم، ولا حتى إجازة عامة ولا معلقة¹ لأن هذه الإجازات كلها غير جائزة في عرف المحدثين، وهذه الإجازة إن لم تكن مشافهة فهي مراسلة أو مكاتبة، وعلى هذا تكون معرفة أولئك المجيزين لأبي الفضل معرفة حققة وصحيحة، وخبرتهم لشعره خبرة ممارسة وإطلاع، ولهذا أطنبوا في وصفه برسوخ قدمه واعترفوا له بالفضل والإجادة، وإذا كان أسلوبهم متشابها فإن كلا منهم نظر إليه نظرة خاصة، إذ إن فيهم من مدح شخصه وعلمه وأفضاله وصيته في العراق ومصر وغيرهما من الآفاق، ثم إن بعض هؤلاء طلب له الإجازة من شيوخي كأبي الحسين بن أبي الربيع ومالك ابن المرحل الذي استجاز له شيوخي كالدجاج والشلوين وابن الفحام وابن بقي وغيرهم، وقد أدرج كل هؤلاء اسمهم في قصائدهم وحددوا سنة الإجازة.

11- الطرائف والملح

لم نشأ أن نغفل جانب الفكاهات والملح والطرائف فيما أوردناه من أدبيات الرحلة، أن أمهات كتب الأدب قد خصتها بأبواب وأولتها اهتماما كبيرا، وقد قال الأصمعي "وبالعلم وصلنا وبالملح لننا"². وقال ابن مسعود رحمه الله: "القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لها طرائف الحكمة"³. وقال ابن الماجشون: "إنني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي إلا قميص واحد، فأدفعه إلى صاحبها وأستكسي الله عز وجل"⁴.

فمن تلك الطرف الواردة في الرحلة ما أخبر به أبو العباس السلمي صاحبه ابن رشيد، أن القاضي أبا القاسم بن البراء كانت بينه وبين، القاضي أبي عبد الله بن الحباز⁵

¹ : المصطلحات من كتاب الخلاصة في أصول الحديث للطبري 106-112.

² : زهر الآداب للحصري 160/1.

³ : نفسه.

⁴ : نفسه.

⁵ : ترجمته في الحلل السندينية للسراج 406/1.

مباعدة وكان ابن البراء حلف أن لا يجلس معه تحت السقف، فكان أبو القاسم هذا رآه
داخلا في مجلس قام وانصرف وهو ينشد:

لنا قاض له خلق اقل دميمها النزق
إذا ما جاء أوحشنا فلعلنه ونفتـرق

وكان ابن الحباز شديد الوقار، وأما ابن البراء فعلى شهرته وجلالته تغيرت
حاله بعد ولايته القضاء، والله يسمح¹. وكان ابن رشيد يعرف عن هذه النوادر شيئا
آخر، ولكن قد يكون فيها شيء من التجاوز الأخلاقي فعدل عنها، ويظهر ذلك في قوله:
حكي لنا عن ابن البراء غير ذلك مما لا يليق ذكره والله أعلم بحالها² ومن ذلك ما
حكاه قطب الدين أبو بكر القسطلاني بمنزله من القاهرة قال أنشدني بمنزله بمكة، شرفها
الله، شيخنا الإمام نجم الدين أبو النعمان بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان وقال
توجهت إلى ابن الخوافي عارض الجيش ببغداد أهنئه ببعض الأعياد وتركت مشاييتي عند
الباب، فهنأته ثم خرجت فلم أجدها ثم توجهت إلى البيت وكتبت إليه (الوافر)³

دخلت إليك يا أمللي بشيرا فلما أن خرجت خرجت بشرا
أعد يائي التي سقطت من اسمي فيائي في الحساب تعد عشرا

ففي هذه الفكاهة حسن البديهة وسرعة الخاطر.

ومن ذلك ما حكاه أبو بكر بن حبيش قال⁴: حضرنا مع أبي علي الرفاء في نزهة
وكان في الحديقة مقاث من الخيار فأكلنا منه في النهار ما قدرنا عليه فلما كان العشي
جمع الجنان جملة منه وضمه في ققف وجعلها في حنية في جانب البيت يريد حملها للبيع
بالغدو، فتناوله الطلبة بطول الليل حتى أتوا عليه فلما كان بالغدو جاء الجنان فوجد
الققف فارعة فقال له الشيخ:

"ولكن لا خيار مع الليالي"

¹: الرحلة 92/6.

²: نفسه.

³: الرحلة 110/3 ومجلة العرب ج 1-2 غشت 1979.

⁴: الرحلة 52/6.

ومن غريب الاتفاق وعجيب الوفاق ما حكى لابن شيد أيضا عن الوزير أبي الحسن سهل بن مالك رحمه الله أن أبا الحسن الرعيني الكاتب الجليل أراد سفرا من غرناطة فخرج معه الوزير أبو الحسن سهل بن مالك مودعا فمر على بعض حدائقه وأنزله ليتغذى هناك، فقدم له خيارا، فلما فرغوا من الأكل استدعى الرعيني دابته ليركب، فتعلق به الوزير أبو الحسن وقال له: إلى أين؟ فقال: لما عرفت لسبيلي من السفر فقال له: ألم تسمع قول الشاعر؟:

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان
وقد أعطيناك الخيار¹.

فأعجب لهذه المحاسن والاتفاق لهذين الناقلين وتواردتهما في التنكيت على بيت واحد في صدره وعجزه.

ومن مثل هذا الاتفاق أن الفقيه أبا القاسم العزفي جلس يوما مع أحد المتصوفة فذكر الفقيه أبو القاسم بعض ملوك زمانه منكرًا عليه فعلا فعله، فقال له ذلك الصوفي: وهل أفسد الدين إلا الملوك، فكأن الفقيه أبا القاسم ظن أنه عرّضَ به فقال له نعم يا فقيه وأخبار سوء ورهبانها.

وحكى أبو بكر بن حبيش قال: حكى لنا شيخنا أبو علي الرفاء رحمه الله أنه خرج هو وأبو الخير صفوان بن إدريس وأبو عبد الله بن مرج الكحل إلى بعض متنزعات مرسية فمروا في طريقهم بمسجد فجلسوا فيه يسيرا فلما هموا بالانفصال كتب أبو الخير في صفحة من صفحات حائطه (مخلع البسيط)²

قدست يا بيت في البيوت ودمت للدين ذا ثبوت
فكتب ابن مرج الكحل تحته:
يعمرك الناس في سجود وفي ركوع وفي قنوت
وكتب تحتها أبو علي الرفاء:

¹: رحلة العياشي 250/2 عن الرحلة.

²: الرحلة.

وإن نبا بالغريب بيت كنت له موضع المبيت

ومن ذلك ما انشده أبو حيان الغرناطي، أن بعض أصحابه الذين كانوا يفدون عليه ويتعلمون بين يديه سايره ليلة في بعض أسواق القاهرة، وكان يلقب بدر الدين، فقال له يا سيدي: هل طلع البدر؟ فأنشده ارتجالاً:¹

سأل البدر هل تبدى أخوه قلت يا بدر لن تطبق طلوعا
كيف يبدو وأنت بالليل باد أو بدران يطلعان جميعا

12- الألغاز

إن أكثر أبيات المعاني من نوع الألغاز التي نجدتها أيضا في كثير من أمهات الكتب، وتسمى أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها². وقد استعملوا ذلك في الإتيان بالعبارة بدل ظاهرها على غير الموصوف بها، ويدل باطنها عليه، وهي من قبيل الملاحن، وتشارك المعنى والأحاجي أيضا من حيث التعمية³. ونحن نورد شيئا مما وقع في الرحلة ليدل ذلك على مشاركتها في جميع فنون الأدب، وقد كانت تلك الألغاز تصنع لاختبار الذهن وإيقاد الذكاء⁴، فمن ذلك ما قاله أبو الحسن التجاني ملغزا في قمر (البسيط)⁵

إني حسبت اسم من أهوى لا لغزه خوف الرقيب بما يحوي من العدد
فكان أوله نصفًا لثالثه وخمس ثالثه ثانيه فأتد
والاسم في نفسه أصل يكون به حساب تاريخ ما تبغيه من أمد
وهو اسم شيء حكى وجه الحبيب سنا

وإن تشاء فهو فعل الوجد بالجلد

¹: الرحلة 75/5.

²: المزهرة للسيوطي 578/1.

³: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي 421/3.

⁴: انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

⁵: الرحلة 19/7.

وبما أن حرف القاف يساوي في العدد مائة والميم أربعين والراء مائتين، فإن
¹اللغز بهذا معروف.

ومن ذلك قول أبي الحسن التجاني ملغزا في سكين (الطويل)²

وما اسم لشيء قد حكى الدهر فعله

فمن شأنه التفريق بالشمل لا الجمع

له صاحب إن خاف في الفعل نبوة

أتاه فتأنيه المسرة والنفع

يباعد إن كان قطع وإنما يواصله إن لم يكن عنده قطع

مصحفه قد صح في الخيل عيبه ولم لا وعن أمثاله خانه الطبع

¹: يعني القمر.

²: الرحلة 19/7.

المبحث الثاني : النشر

إن من يتتبع أجزاء الرحلة باحثاً عن نصوص النشر فإنه يجدها واردة في صور ديباجات قصيرة وذلك في تقديم ابن رشيد لشيوخته أو وصفهم أو مدحهم¹، ومنه ما هو وارد متمثلاً في الرسائل المدججة² أو الإجازات³ أو أسئلة الطلبة وأجوبة العلماء عنها⁴، ومنها ما هو متمثل في القصة⁵.

ومهما تكن تلك النصوص قليلة في مجموعها، وذلك بالنسبة للشعر فإن لها دلالتها وأهميتها من الناحية الأدبية، وفي إبراز جانب مهم من جوانب الرحلة، وذلك في القرن السابع بخاصة وما بعده بعامة.

وأما النشر الفني فلا يتمثل إلا في تلك الرسائل التي كانت متبادلة بين ابن رشيد وبعض شيوخته، وأما ما سوى ذلك فبعد أقل أهمية، وبعد هذا نعرض لذلك بشيء من التفصيل.

لقد أشار ابن الخطيب إلى أن ابن رشيد كان يجود النشر ويتبصر مواقع حسنة⁶، وإذا ألقينا نظرة عامة على الرحلة وجدنا مصداق ذلك، ويتبين لنا حسن تصرفه في فن القول وقدرته على الإتيان بما يجعله في مصاف الكتاب اللامعين.

ولما كان أسلوب عصره يطغى عليه التنميق والزخرف وكثرة السجع والبديع والإغراق في الصنعة والتكلف في التعبير، فإنه لا شك متأثر بعصره في كل حسناته وهناته. ولكنه مع ذلك لم يغرق فيما أغرق فيه العبدري في أغلب صفحات رحلته من التزام المحسنات البديعية، أو فيما التزمه أبو البقاء خالد البلوي في كثير من المواضع كذلك، أو أبو إسحاق النميري في فيض العُباب خاصة.

¹: الرحلة 1/2 و 4/3 و 2/6 و 9/6.

²: الرحلة 90/6 و 25/7 و 29/7.

³: الرحلة 16/2.

⁴: الرحلة 35/7.

⁵: الرحلة 56/7.

⁶: الإحاطة 153/3.

ولا نجد لابن رشيد من النشر الذي تبدو فيه الصنعة والتكلف إلا في رسائله التي كان يتبادلها مع أبي الفضل التجاني وأبي الحسن بن رزين¹. وأما فيما عدا ذلك فإن الأسلوب الذي كتبت به الرحلة أسلوب مرسل لا تكلف فيه ولا تصنع ولا ركون فيه إلى كثرة السجع والبديع، أو العمد إلى التقيد أو الالتزام بذلك، وحتى إذا ورد له شيء من ذلك فإنه لا يتعدى فقرة صغيرة أو متوسطة أو بضع جمل أو في تلك الديباجات القصيرة التي يستعملها في تقديم شيخ من الشيوخ أو وصف أديب أو كاتب، ولكن إذا قارنا هذه المقدمات وتلك الفقر بأسلوبه في الرحلة عامة وجدنا أنها لا تعد شيئاً بالنسبة إلى كبر حجمها.

وبالرغم من أن ابن رشيد كان محتفلاً في صباه بالأدبيات حتى برع فيها قائماً على صناعة العربية ومتضلعا منها، كان لا يميل إلى التصنع كما كان في أمور حياته العامة متواضعا ومتحملاً كلف الخاصة والعامة.

فمن نثره المرسل الذي سار على منواله في أغلب أجزاء الرحلة قوله:²

"وممن لقيناه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ الصالح الفقيه المالكي أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى الفأسي³ منسوباً إلى مدينة فاس أحد قواعد المغرب، لقيناه بمنزله شرقي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقعده الكبر عن التصرف، ورأينا منه شيخاً فاضلاً باراً حسن البشر جميل اللقاء، حاضر الذهن كريم الخلق، قرأت عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري..."

وتظهر هذه الفقرة خالية من السجع والجناس أو غير ذلك من المحسنات البديعية، لأنه كان يلتزم الفكرة قبل كل شيء، ثم إن أكبر همه هو التعريف بالشيخ وذكر الحقائق العلمية عنه وذكر الأخبار والنصوص الأدبية وغيرها والأحاديث النبوية، وأما الصياغة عنده فكانت في الدرجة التالية.

¹: الرحلة 80/6 و27/7.

²: الرحلة 80/5.

³: هكذا ضبطه لنا بخطه الفأسي مهموزاً كأنه فر من الاشتراك: الفأسي - الفارسي.

أما الديباجات التي تظهر فيها سمات النثر الفني فبعضها لا يتجاوز جملاً معدودة وبعضها الآخر وارد في فقر، وكل ذلك في عشرين ديباجة تقريباً منها في وصف ابن حبيش¹ وابن تميم الحميري² وابن الحيمي³ وابن جون المراكشي⁴ وأبي العباس ابن الغماز⁵ وأبي الفضل التجاني⁶ وفي وصف شعر ابن الحيمي وفي وصف السفر⁷ وفي وصف القدوم⁸ ووصف التوجه إلى مدينة معينة وأما سوى ذلك فلا يتجاوز فقرة متوسطة أو صغيرة يأتي بها في سياق الكلام، وإن كانت عارضة ففيها بعض وجوه البلاغة من الجناس أو التصرّيع أو التزديد أو غير ذلك مثل قوله في أبي محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي: "إنه ذو فهم سديد ونظر حديد ورأي مصيب وأخذ من كثير من العلوم بنصيب"⁹.

أو في قوله في أبي بكر بن حبيش: "الشيخ الجليل الأديب الحافل العلامة الناقد المتفنن الحلو الشائل والمنازع العذب المطالع والتخلصات والمقاطع"¹⁰. وفي هذه الديباجات البسيطة لا نجد التزاماً شديداً بالبديع، فقد يسقط ذلك بعد توازن الجمل وتساويها¹¹.

أما أوجه التفنن البلاغي فتظهر كثيراً في الفقرات التي تتعدد فيها الأوصاف وتتجانس فيها التعابير وطرق الأداء مثل قوله: "فوافينا تونس قبل طلوع الشمس، فكنا أول داخل على بابها، أقدمنا الله على ما يسر ويؤنس، وتلقانا هناك الأصحاب لما

¹: الرحلة 1/2.

²: الرحلة 58/2.

³: الرحلة 46/3.

⁴: الرحلة 2/6.

⁵: الرحلة 10/6.

⁶: الرحلة 7-5-4/7.

⁷: الرحلة 1/6.

⁸: الرحلة 9/6.

⁹: الرحلة 28/6.

¹⁰: الرحلة 34/6.

¹¹: وانظر أيضاً وصفه لابن حبيش الرحلة 1/2 ونفح الطيب 46/6.

سمعوا بوصولنا وأبدوا من الابتهاج والسرور ما ابتهجت به النفوس ووجب أن تملأ به الطروس، فأرحنا بها المطي وأقمنا نستقصر طويل الأُس ونستعجل الزمن البطي(ء)، وتكاد مؤانسة الاخوان تنسينا تذكر الأوطان وتسلينا عن الشوق إلى الأهل والولدان والصحب والجيران"¹.

ومن قوله الذي يصف فيه بهاء الدين بن النحاس: "... وقد أثبت له ما تستحليه ندورا وتستحليه بدورا، وتستعظمه شذورا وتستجيده لبات ونحورا"².

ونلاحظ أيضا في هذه الفقرة التزام السجع وكذا الترصيع في قوله: تستحليه ندورا، وتستحليه بدورا هذا زيادة على التجنيس في قوله الندور والبدور.

ومن قوله يصف ابن الخيمي: "وشيخنا ابن الخيمي هذا صدر في أدباء المصريين في عصره، له أشعار عذبة المطالع، حلوة المقاطع تستميل السامع والمطالع، كأنما يُفرغُ منها في أصداف الآذان درا أو تلقى في الأفواه سكرا أو قطرا"³.

وفي هذه الفقرة أيضا سجع وتجنيس وترصيع في المطالع والمقاطع.

وهكذا لو تتبعنا أجزاء الرحلة لوجدنا فيها جملة من الفقرات المتوسطة والقصيرة يتفنن فيها ابن رشيد، ويبيدي فيها ما عن له من فنون القول.

ولكننا لا نستطيع استجلاء حقيقة أسلوبه وقدرته على الافتتان في أنواع المحسنات البديعية إلا في رسائله، إذ نجد في كثير من فقراتها تكلفا وإغراقا في الصنعة. ومن ذلك رسالتان له أجاب بهما عن رسالتي أبي الحسن بن رزين⁴ وأبي الفضل التجاني⁵.

¹: الرحلة 9/6.

²: الرحلة 28/3.

³: الرحلة 46/3.

⁴: الرحلة 80/6.

⁵: الرحلة 25/7.

بين أبي الفضل التجاني وابن رشيد:

فمن تلك الرسائل ما كتب به ابن رشيد لصاحبه أبي الفضل التجاني الذي كان مريضاً، فلما أبل من مرضه وفارقه ملم عرضه جعل أول يوم خرج فيه، الوصول إلى منزل ابن رشيد¹، وحمل معه رسالة بديعة المساق رائعة الاتساق، استهلها بالبسملة والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وأعقب ذلك بأبيات شعرية منها: (الطويل)²

رعى الله من أصحابنا كل فاضل

كريم المساعي كامل الذات والوصف

الآيات الثلاثة

ثم تابع بعد ذلك رسالته البديعة التي يقول فيها:

"... وبعد، ففي كريم علمكم، وحكم الوفا والصفاء حكمكم، أن الود إذا كان سليماً والعهد إذا استوثق إبرامه قديماً، تساوى فيه الظاهر والباطن، وشد عليه يده ومعتقده الغائب، والقاطن، وسقط معه التكلف والتصنع، وصاب به في روض الاخوة التصرف والتمتع، ولم يجد الحاسد سبيلاً، ولا الحاقد، على نقض العهد دليلاً، وودنا بحمد الله ثابت الأركان، مرتفع بالوجوب عن درجة الامكان لا يشوبه قذى ولا يعتريه أذى..."

ويقول فيها: "وقد تداركني الله ... بالطاقة الشافية، وجعل العاقبة في هذا المرض تمام العافية، بعد ما ملني الفراش ومللت من الفراش وأحرقني الحرارة إحراق النار

¹: في أثناء ذلك المرض رأى ابن رشيد فيما يرى النائم كأن التجاني وصل إلى منزله (ابن رشيد) وقال له: خرجت من الحمام وجئت إليك، فبادر ابن الرشيد إلى تثنيه، فأول ابن رشيد أن ذلك هو خروجه من حماه، وأن اللحاف الحاف الله له بالعافية، وعرض ابن رشيد هذه الرؤيا على بعض الأصحاب فأولها بالحمام أي الموت، وفي هذا تصريح، ولكن التجاني استحسن تأويل ابن رشيد: الرحلة 24/7.

²: في هذه الرسالة مائة سطر وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً.

أجنحة الفراش، وكنت أحاكي لانخياشها إلى صورة المحاش¹ وأتلوى من آلامها تلوي الحوص في سعف العشاش².

ومنها: "ختم الله لنا ولكم بالحسنى وجعل حظنا من دنيائنا وأخرانا الحظ الأوفر الأسنى، وجازاكم خيرا عن مقاصدكم وشكركم على جميل أفعالكم في عيادتكم وعوائدكم، ولا برحنا نندارس سور الوداد، ونحافظ على حسن الظن والاعتقاد ما اتصلت حياتنا في عالم الكون والفساد والوجود المبني في الحقيقة على الاعداء لا الإيجاد بعون الله، والسلام الأتم يخصكم، ورحمة الله. كتبها بحال ابلال، وصحة إثر اعتلال، والاعصاب قد اختلجت والأزمة ... انفرجت.

كاتبها محمد بن علي التجاني"

ولما انصرف أبو الفضل عن منزل ابن رشيد، وتعرف الأصحاب ما جرى بينهما، وأمر تلك الرسالة، بادروا إليه وعزموا عليه في إسناد الجواب عن نفسه، فاعتذر ابن رشيد، فما قبلوا، فجأوبه برسالة مطولة منها:³

"بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

رعى الله من يرعى الحقوق لصحبه

ويهدي إليهم شكره عقب العرف⁴

أيتها المفاتحة بالبشرى، الملتحفة بما طال بشرا وطال نشرا، شكرا لما حيت به من شفاء الغليل وإبلال العليل، شكرا، لقد مدحت خيرا ثم حمدت خيرا، فحقيق أن تسمى قطب السرور ودائرة الجبور وطارد الهموم ونجوم الرجوم، فله ما أهداك ومن أهداك،

¹: شواء محاش ومحاش، أو محشئة حتى امتحش إذا أحرق: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت 610.

²: الرحلة 25/7، والعشة: الشجر الرقيق القضبان

النخل الصغيرة الرأس القليلة السعف.

³: الرحلة 25/7، وفيها مائة سطر وطران.

⁴: وقد سبقت هذه الأبيات في ذكر شعر ابن رشيد.

ونلاحظ في هذه الفقرات كثرة التجنيس والترصيع والإشارة إلى الكتب المشهورة في الأدب خاصة.

أظنك قدسية المعالم والمغاني، قسمة الألفاظ والمعاني، وإلا فتجانية الدر تيجانية الدر، غشيت بدرٍ براعته وحليت بدرٍ براعته، فله دُرٌّ ودُرٌّ، لقد لبست أفخر الملابس وحللت صدور المَجَالِس، وسكنت قلب المَجَالِس، وتقلدت قلائد العقيان ورفلت في حلل الاحسان ومحاسن الأعيان، فأنت وسطى عقد أحسابهم وفذلكة عقد حسابهم وخريدة قصرهم وجريدة عصرهم". ويقول فيها مشيرا إلى فضل أبي الفضل التجاني موردا كثيرا من اصطلاحات الحديث وغير ذلك من المحسنات البديعية.

"فما الأقحوان غب سمائه، ولا السوسن متقلدا لآلئ اندائه نهلته من الوسمي كل بكرة حرة وعلته من الولي كل عين ثرة ولا السندس من لفح السمائم ولا عَنَبَ الشَّحْرِ ولا مسك العفر بأعبق من نشري لئنائك ... ولم لا والمسك يروي الطيب عن ريح الصبا من أكؤس الجربال عن أنفاسك والعين تتلقى محاسن أخبارك عن قرتها، والاذن عن حسن نغمتها والكف عن صلة نعمتها والقلب عن خالص محبتها، فجمال المكارم بإيضاحك أوضحت وحسان الأحاديث بنقلك صححت وغوامضها ومبهماتا ببيانك شرحت وبتعقلك لمعانيها من عقالها سرحت، وموقوفها برواتك قد رفع، ومفترقها بدرائتك قد جمع، ومقطوعها بسببك قد وصل، ومشكلها ومتشابهها لبصرك الفصل فصل وفصل، ومراسل سعيدها بسعودك وصعودك رجحت، وريادات ثقاتها وتفردات رواتها بطريقك قبلت فمن المصاهي ومن المعالي، وأسانيد علائك تقسمت بين العوالي والمعالي، فحقيق أن تسمى مالك الصناعتين نظم ونثر، ومصرف البلاغتين إطالة وقصر، ومدرك النهاية عند البداية وواصل الغاية¹ والمخصوص بالعناية، وله أنت من منعم لشكر أخلائه، مقبل بالقبول، مكثر للقليل من حبا أحبابه المساهمين في الحلو والمر والقاسمين في القل والكثرت القائلين بوجوب حكم العيادة الفائزين بالحسنى والزيادة²، ومفضل بالاغضاء عمن تخلف عن قضاء الحقوق، وتخلف بالجنوح إلى العقوق، وأخذ بالعمو عن كدر ذنوبهم اعتمادا على علمه بصفاء قلوبهم".

ويقول فيها:

¹: كان أبو بكر بن حبيش يصف التجاني بذلك.

²: هذه إشارة للآية الكريمة: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة). يونس 26.

"وقد كنت لما عراك منها ما عراك يمي في أرق ويصبح في قلق كل من يراك
ويود لو يعطى أن يتحمل عنك شكواك، حنو الأغصان في غياضها والأزهار في رياضها
ذوت بذواك وذبلت لضناك (البسيط)

فليس من حسن في الخلق يا حسنا إلا تغير في خلق وفي خلق
وكيف لا وجميع الحسن مكتسب ومن حسن ذاك المحيا الباهر الأنق

والآن وقد تداعت بالبشائر أقسام الكلام وأفواه المحابر وأسنة الأقلام، فشفيت
من كلم اللبس وسالت بمسك النفس وجالت على كافور الطرس، وتشتت من الارتياح
المعارف، وتبادرت لحضور الأفراح العوارف، واخضل الزهر وأضاءت الزهر، وسرت
بالمسرات خوافق الأرواح، وسرت بالانتعاش خوافت الأرواح، وتركت في الأشباح بعدما
كادت تحلل فتمازجا تمازج الماء القراح بالرّاح، وسارت التهاني حتى صارت كالمثل
السائر¹ ودارت على قطب دائرة الأصحاب كالفلك الدائر²، فتهادوا البشري عموما
وتهاديتها خصوصا، وتلقوها ظواهر وتلقيتها نصوصا وقبل أشرت بها رؤيا صادقة
واضحة وضوح بدر التمام في غفوة اختلستها عند غفلة السهاد على فراش حشوه شوك
القتاد لبيل التمام، فرأيت كأني ألم بي منك طيف فارتحت له ارتياح الكريم أمه ضيف،
أو المقرر أظله صيف، وسارعت للسؤال عن حاله فعل المحب النائي الديار دنا إليه
على بعد المزار المحبوب بخياله، يخفف ما خبا³ من خباله. وكدت أوقظ من حوله به
فرحا، وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا، فقال: خرجت من المستحم وبالماء البارد طهرت،
وفي أفق منزلك ظهرت فبادرت لتدثيره بلحاف، وألحفته به التحافه برّد العفاف، فأولت
الخروج من المستحم خروجه من حمّاه ورحيلها بلا عود إن شاء الله عن حمّاه.
واللحاف الحاف الله له برّد عافيته، والماء البارد إيجاد برّد حرارته، وتذكرت قول سيد
الأنبياء و طيب الأطباء المخصوص بالصلاة والسلام: الحمى من فيح جهنم فابردوها
بالماء".

¹: وهو كتاب مشهور لابن الأثير. مطبوع.

²: وهو كتاب لابن أبي الحديد في الرد على ابن الأثير. مطبوع مع المثل السائر.

³: كتب في الهامش: خبا: أنقل.

"فأمر الدنيا، كما علمتم، حقير، والكثير منها يسير والحمول فيها أحمد من الظهور، فإن كان ولا بد فالتوسط خير الأمور¹ (المجتث)

ليس الخمول بعار على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي

جعل الله ممن هجر خلالها وقاطع حرامها وواصل حلالها، وحسب الفاضل وحسبه الاقتصاد في أمره والاقتصار على كسر من حلال، ومن له بها في كسرة تقيم صلبه وتصلح العمدة قلبه، أوزعنا الله سبحانه شكر نعمه² وتداركنا بلطفه وكرمه، وأنت أيتها المملوكة لآيادهم المتشرقة بالتوجه لناديهم إذا طلعت بأفق السرة الصيد، فحسبك أن تقضي بالوصيد موقف الخدم على لرأس لا على القدم، وتستأذني ثلاثا عليهم وتتعرفي بالذمم وتتقربي بالخدم إليهم وتقديمهم من السلام أتمه وأعمه وأعطره وأنعمه، وتقبلي بسط ساحتهم وتلثمي بطن راحتهم... فإن أجازوك جزت وحزت الأمل، وفزت، وإن تكن الأخرى، وحاشاهم، فارجعي متأخرة على أدراجك وعودي خائسة في أبراجك، وأعيدي واجب السلام واسألي من ذي الجلال والإكرام أن يؤمن سرهم وألا يخوب سربهم، ويبقيهم بقاء طويلا ولا يجعل بعدها لكوارث الحوادث عليهم سبيلا بمنه.

من مقتبس أنواركم ومقتفي آثاركم محمد بن رشيد".

ونلاحظ أن في هذه الرسالة إطنابا، وأن فيها كثيرا من الجوانب البلاغية، وذلك من حيث الصنعة والتكلف والافتتان، وقد أجاد ابن رشيد كلمتها ووصفها رصفا حسنا وتأليفها تأليفا متناسقا، وفيها سجع كثير وتزاوج الفواصل وتوازن بين الجمل مثل قوله (طال بشرا وطال نشرا) و(شفاء العليل وإبلال الغليل) و(تجانية الدر وتيجانية الدر). هذا زيادة على ما فيها من التجنيس والترصيع ومن ذلك (المفاتيح والمناحفة) و(بشرا ونشرا) و(العليل والغليل) و(النجوم والرجوم) و(الإحسان ومحاسن) و(أحساب وحساب) و(نعمة ونعمة) و(قدسي وقسي) و(العوالي والمعالي) و(اللعاف الحاف الله) و(تقلدت قلائد) و(بشرا وبشرا ونشرا) و(حزت وفزت وجزت). وغير ذلك كثير.

¹: في الخبر: خير الأمور أواسطها.

²: قال تعالى: "قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي" الآية. النمل 19.

ومن تجنيس الاشتراك قوله: (المجالس والمجالس) و(الدر والدر) و(خير وخير) و(الزهر والزهر) و(الدرروالدر) وغير ذلك مثل قوله (العَرَف العُرْف العِرف).

ثم إن فيها اقتباسا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والرسالة في الحقيقة من أولها إلى آخرها لا تخلو من صورة من صور البديع.

أما إذا تأملنا المعنى فإننا نجد أن ابن رشيد كان يدفعه صدق الشعور لما كان يكنه لصديقه أبي الفضل، ولهذا جاءت هذه الرسالة مطبوعة، لأن المعاني فيها تغطي على الصنعة والزخرف، وبالرغم من إطنابها لا تشعر بالاملال لحرارة العاطفة وصدقها. ثم إن هذه الرسالة تغترف معانيها ومعارفها من التراث الإسلامي.

ثم جاوبه أبو الفضل برسالة أخرى حافلة ولأنواع تصرفات الآداب شاملة ومنها¹:

"ما لهذه النسمة الشَّحْرية، أصبنتني صباحا فأحيتني حين حَيَّتني، ولهذه الغمرة السحرية ألهمت النفس صباحا...، وإلا فما لتلك تناسمني خطوطا، ولهذه تنص إشاراتنا علي نصوصا، أستغفر الله من هذه الزلة، وأسأله العصمة من حوادث الغفلة... بل هي تحفة القادم² وشرح المعالم وروضة الأزهار ومشكاة الأنوار ونكتة السحر وروح الشحر وجنى الزهر وسنا الزهر ونثر الدر وبيتيمة الدهر ودرة الغواص والسر المكتوم إلا عن الخواص وسمط الهدى والحديقة المتعاهدة بالوسمي والولي، رسالة أجلت فيها ناظري... فعاينت نور الطرف ونور الظرف وزهر الآداب وثمر الالباب وسر الفصاحة وحدائق البلاغة ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال، فهي مثل الضارب وأمل الراغب ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء وزاد المسافر والفلك الدائر على المثل السائر والطالع السعيد والعقد الفريد والقدح المعلى والأدب المحلى والمجلى قد اشتملت على الجواهر الموشحة والزواهر المفتحة والانوار الضحوية والأقمار الصحوية والنفحات النَجْدِيَّة بل اللمحات الرشيدية... وهي طويلة.

¹: الرحلة 27/7، وهي تتألف من ستة وتسعين سطرا.

²: هذه الإشارة وما بعدها إشارة إلى الكتب المشهورة.

ثم راجعه ابن رشيد برسالة أخرى طويلة يقول فيها¹:

"أهلا وقربا وسهلا ورحبا، وعيشا رغدا وئينا وسعدا، بعذراء الجنان بل بحوراء الجنان، ذات النفحات المسكية بل النسمات المكية، لقد تقلدت بالجواهر السلكية بل الزواهر الفلكية، ورفلت في الحلل الملكية وتحليت بالحللى الملكية، وجررت على المجردة فضول أذيلك، وسفرت فترقعت ذكاء خجلا من حسن دلالك، ونزلت منزلة القلب وتحذت الهلال مكان القلب²، وأحرزت نوري البدر والشمس وأسندت ميت هواي لصدرك فأنشرته من الرسم، وأتلعت جيد الغزالة وظهرت فأخفيت نور الغزالة، واسشعرت الشعيرين وسمكت السماكين وأمسكت تحت أقدامك قوادم النسرين... ومنها:

فالبغاء والفصحاء والشعراء والخطباء وجُمْلَةُ الكُتَّاب وَحَمَلَةُ الآداب أعجزهم فصل خطابك.

ويقول في آخرها:

وسيدي بعلاء فضله يَغُضُّ جفن الانتقاد وينظر إلى كريم الوداد وخالص الاعتقاد فما تَصَدَّيْتُ مقابلا ولا مبارزا، بل أتيت مضطرا عاجزا، وأنى لي بالإجادة وقد ضرب العي بيننا حاجزا. ولقد كان الاولى لي كُتْمُ غيبي وستر عابي، ولكنني اعتمدت على سيدي في ستره وإماتة ذكره بطي نشره أخدمه الله الزمان ووهبه منه الامان، ولا زالت الأقدار جارية باختياره والسعود من أعوانه وأنصاره بِمَنِّهِ والسلام الكريم... من محمد ذكره ومجزل شكره ابن رشيد.

وقد أبان ابن رشيد في هذه الرسالة المسهبة أيضا، عن حسن تفننه وافتنانه واقتداره وسعة ثقافته وطول نفسه وتمكنه من أسرار اللغة العربية ومعاني مفرداتها ومكامن أساليبها الرصينة، وهي على الرغم مما فيها من الإطناب والإسهاب، لا تعدم حلاوة وطلاوة.

¹: الرحلة 29/7 وفيها مائة سطر واثنان وعشرون سطرا.

²: من السوار ما كان قلبا واحدا أو مفتولا من طاق واحد. مختار الصحاح ق.ل.ب.

ثم إن ابن رشيد التزم فيها ما التزمه في الرسالة السابقة من البديع، ولكنه، فيما يظهر، لم يتكلف ذلك التكلف الذي يجعله يتقعر في البحث عن الكلمات المترادفة أو المتجانسة بل يلاحظ أنها كانت تغمره كالماء الفياض، وتنتال عليه انثيال الأرناب في الغياض، ويظهر ذلك مثلاً في قوله:

يا هذه ديني لحفظ الميثاق، وميلي إلى لحظ الوفاق، فقد علمت أن مهديك لديه من أخواتك اليتامى الفرائد والخور المقصورات التي حليها الفرائد الحالية...¹

ونجد لابن رشيد نوعاً آخر من النثر الفني الذي يظهر فيه التعقيد والصنعة والتكلف أكثر مما سبق، وذلك مثل التزامه إبراد حرفين معينين في الجواب عن رسالة أبي الحسن بن رزين² الذي التزم فيها حرفي الراء والباء لشهرتهما بـابن رزين وابن رشيد، وإن ما يدلنا على أنه كان يحذق هذه الصنعة ما ورد في الرحلة³ من خبر تعليم ابنه وتدريبه على الألغاز التي تحتوي على مثل هذا الفن من القول، ولولا ذلك ما وصفه تلميذه الكاتب المتفنن القاضي أبو البركات بن الحاج البلفيقي بأنه كان يجود النثر ويبصر مواقع حسنه⁴.

فمن تلك الرسالة التي كتب بها ابن رزين لابن رشيد قوله: (البسيط)⁵

آثارك ابن رشيد بان مفخرها وسر مأثور أنباء وارشاد
بقيت مشرع آداب ومظهرها شهاب مسترشد بستان مرتاد

اقتضبت أحرقي للجانب الأرفع والجانب الامرع... عريق الأحساب الكريم
الانساب... محرر لباب غرر الآداب... ومحرز البيان... المريع الجنب الزاخر العباب...
وذكر طاب وطار وطبق الأقطار، وصريح إباءك وكرم آباءك وعاطر أنباءك وشرعك لا

¹: الرحلة 31/7.

²: الرحلة 80/6.

³: الرحلة 34/7.

⁴: أزهار الرياض 384/2.

⁵: الرحلة 80/6 وفيها واحد وخمسون سطراً.

عذب المشارع باتباع الاثر النبوي، وترفع مباهاتك رواة البلاغة، والبراعة بمعجب المأثور
والمبتدع والمروري، وتبكيكتك لشعرائهم وكتبتهم المهرة بانطباع مخترعات البديه والروي.

ورواتهم متبعون رجاحة تبينك وتنقيرك... وشعراؤهم ابتزهم رونق الصباحة
استعارتك المبهته روائعها وإبداعك كجبر ولبيد وطرفة وعبيد وابن حُجْر وابن حَجَر
وابن معمر ونصيب الأصغر وابن مطير وتوبة وزهير وابن زهير وابن خراش وأبي رياش
والتوايع والرستمي وابن الومي وقاضر وأبي جعفر بن مناذر وحبيب والحاسر وأصحاب
النوادر... وقطري والمتنبي والسري والمهليبي وعمرو التغليبي ومنصور وأبي منصور وابن
مرداس...

ويقول فيها:

وابن رزين كاتبها شعاره حبك وتوقيرك باطنا وظاهرا... عارفا بواجبات قدرك
ومسببات شكرك غائبا وحاضرا... ومسترشدا بك ومكاثرا ومقتبسا أنوار بيانك.

ويقول في آخرها بعد أن نبه على أنه التزم فيها حرفي الراء والباء:

وراسم البطاقة موقر جانبك العارف بواجبك الكثير بك شاكرك ابن رزين
التجبيبي.

وبعد ذلك جاوبه ابن رشيد برسالة أخرى التزم فيها حرفي النون والياء ويقول
فيها:¹

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وآل محمد

لمن سجاياه حسان رعيها قمن لسيد منعم بالرعي: منتدب للهدي، منتسب للخير
سَمِيدٌ مُنْجِبٌ لِلْعَلِيَّةِ النُّجْبِ، حيث نسمة حجازية النحر² تجيية النسب متساوية النسب
يجي الأنوف طيِّبها ويجي النفوس صَيِّبها، فالند يستمرها والعنبر يستجديها بمنها مولية
الامتنان، عالية المكان، بديهة انتخبها قوي المُنْ³ وهدية انتخبها زكي المُنْ.

¹: الرحلة 81/6 وفيها أربعون سطرا.

²: الأصل والحسب.

³: المنه بضم الميم: القوة.

ويقول فيها:

ونسق حليها بناصعها يتعشق، وصانعها يتشوق منظرها يجلب ومنطقها يعذب،
نورها يفوق ونورها يروق، لصنعاء يعزى صنعها، وللفهري دنا خيرها ونفعها... نظم
يحكي الجُمان ويسبي الجُنَّان،... يتلوه نثر يزري بالثُشرة¹ سياقه، فالتجوم السيارة نطاقة،
يغلب صهوان ويسلب رضوان، وأمّية وابن عطية، ابانة عمادية ومكانة رئاسية وزكّانة
اياسية ونباهة فارسية ونباله فراسية ونجاة تحجيبة ولسانة هذلية فتنت الحاتمي وفندت
التهامي... وعيت الحنساء واستحيت عنان وهي الحسناء، فالدراية منه والرواية عنه، نعم
مغناهما ومظهر معناهما، يبدي فنونا ويربي فتونا، فيصب حسان ويصبو سحبان...
يُسبِلُ العنان فيروي الظمآن... وبيتهج السندس فيري لانوار الرياض تناظر يعجب،
ولاغصان الغياض تعانق يطرب، نظرت ورضيت، ونظمت وزهيت، فمن يباهي (بجاري)
حسنه أو يباري (يضاهي) مزنه، وأي المحاسن، ولديه المحاسن، ويجري منتخبات الجياد
لانتهاء الغاية، فمن يجاري ومن يباري... من يمتطي متون الاعوجية والمنتخبات الارحبية،
شتان وهيئات مقارنة المشيع والجبان والسيء والحسن.

ومنها يخاطب ابن رزين:

يقسم ابن رشيد لاذعنت يراعه... وانتبه ارتياعه وأقامت من رويته فنزفت
ركيته²... فناشدته بحرفي النون والياء... فانتدب إليهما انتدابا يليق بالنباهة العلية
النبلاء..."

وقد راجع ابن رشيد شيخه ابن رزين في وسط ذي القعدة 685 هـ.

ويظهر من خلال هاتين الرسالتين مدى ما وصل إليه النثر الفني في عصر ابن
رشيد وشيخه ابن رزين، وبالرغم مما فيهما من براعة الأسلوب وانتقاء اللفظ وتخيره
وكثرة الإحالات التاريخية والأدبية، والحرص على التقيد والسجع والجناس والازدواج
والتورية والطباق وغير ذلك، فإننا لا نحصل من وراء ذلك على كبير فائدة من حيث

¹: الثُشرة: النسيم.

²: الركبة: البئر.

المعاني والصور البديعة، لأنهما لم يصفيا بعضهما إلا بما عهدناه في تقرّظ العلماء والأصحاب لغيرهم، وذلك من حيث وصف الأخلاق والعلوم.

وفي الرحلة بعض النصوص الثرية، منها الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن مبارك لابن رشيد الذي قال:¹

بعد ذكر بعض المقطعات من نظمه كتب لي بخطه ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
تسلّماً

بم أقابل سيدي حفظ الله كماله، وأواجهه، وبم أخاطبه، وإليه انتهى فصل الخطاب وأشافهه، وفي أي نمط من الافاضل اذكره وبأي نفيسة من الفضائل أشهره، ولو أني أنشدت في أوصافه التي عنها يقصر كل مرام للكلام، وإليها يطول من المفاخر كل كمال وقّام.

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
ويقول فيها:

لم أكن مبدي السها مع القمر ولا مهدي الأصداف إلى الدرر، لحسن المعارف، وهو النافذ اغضاء ولشخص العوارف، وهو الناقد ارضاء، وإن جلبت سقطاً موضوعاً فإني عليه محمول، وإن لم أكن فمطبوعاً، فتغاضيتم عنه المسؤول أبقاكم الله لانواء السماح سماء ولانوار المعارف والعلوم شتاء إنه سميع مجيب. والسلام الأتم الأرج الانم يخص به مقامكم العلي عبد الواحد بن مبارك.

ولا شك في أن كثيراً من خصائص هذه الرسالة قد سبق ذكرها في رسائل ابن رشيد وأبي الفضل التجاني.

¹: الرحلة 62/2.

أ- الإجازة

لقد اشتهر كثير من العلماء بإجازاتهم المعينة والعامّة وتضمنت كتب الحديث والرواية عددا من الإجازات المهمة التي تعد صورة لثقافة العصر وعقله.

فمن الإجازات العامة لابن رشيد، الواردة في الرحلة، قوله:¹

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آل محمد

يتفضل من وقف على هذا المكتوب من العلماء الأفاضل منح الله تعالى حياتهم، ونفع بصلح دعواتهم، وأعاد علينا من عميم بركاتهم بالإذن في حمل جميع ما يحمل، وما أنشأ من تأليف منثور ومنظوم على الشمول والعموم لكاتبه الداعي الله تعالى بتكثيرهم وطول بقائهم وتيسير لقائهم والاقتناس من أنوارهم والاقتداء بكريم آثارهم محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن رشيد الفهري، ولابنه أبي القاسم محمد هداه الله تعالى، وأن يعينوا من ذلك ما أمكنهم، وأن يسندوا حديثا أو مقطوعة من الشعر لهم أو لغيرهم لمكان قوة الاختلاف في الإجازة المطلقة وضعفه في المعينة، وما أمكنهم تعيينه من أشياخهم، وأن يرفعوا في أنسابهم وأنساب أشياخهم وأن يعينوا ما تيسر من موالدهم ووفياتهم جريا على مهيع السيادة التي سلكوا وعنانها ملكوا، والله يشكر فضلهم وينظم يوم المعاد في سلك الاسياد، بالنبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، شملهم والسلام الكريم... ورحمة الله تعالى وبركاته بعهدهم، وجميع من حضرته من طلبة العلم حماهم الله تعالى.

ويظهر أن هذه الاستجازة كتبت قبل الرحلة ثم أثبتتها ابن رشيد في رحلته دون إشارة إلى تاريخ كتابتها أو مكانه، ونستدل على ذلك باقترانها بإجازة أبي محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي الذي أجاب عن هذه الاستجازة بنص مؤرخ بعام اثنين وثمانين وستمائة (682 هـ)، فإذا عرفنا أن ابن رشيد لم يقم برحلته إلا عام 683، وأن كتابة الرحلة وإخراجها لم يتم إلا عام 696 على يد تلميذه عبد المهيمن الحضرمي، أدركنا أن هذا النص مهم جدا من حيث أقدميته.

¹: الرحلة 15/2.

ومما أجاب به أبو محمد الخلاسي على ذلك النص السابق قوله:

"أجزت لهما وفقهما الله وسددهما وأعانهما جميع ما أحمله وأرويه عن الشيوخ الجللة، رحم الله جميعهم ونضر وجوههم من قراءة وسماع ومناولة وإجازة على شرطها المعروف وسننها المألوف، قاله وكتبه عبد الله بن يوسف الخلاسي في يوم الجمعة 29 ذي القعدة عام 682 هـ حامدا الله ومصليا على سيدنا محمد ومسلما تسليما".

وممن أجاب عن ذلك المکتوب أيضا أبو محمد بن هرون في ذلك التاريخ نفسه: ونص ذلك الجواب:¹

الحمد لله حق حمده

"أجزت الفقيه السري الزكي المذكور... ولابنه الطالب النبيه النجيب أعزهما الله ما سألاه حسبا كتابه وأملاه، وأذنت لهما في كل ما ذكرا أن يحمله على الشروط المتعارفة في ذلك، والله ولي التوفيق الهادي إلى سواء الطريق، فلا توفيق إلا توفيقه ولا هدي إلا هداه، قال ذلك وكتبه بخطه العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه عبد الله محمد بن هرون الطائي القرطبي عفا الله عنه وأتاه رحمة من لدنه في آخر شهر ذي الحجة محتتم عام اثنين وثمانين وستمائة (682 هـ). وقال، بمدينة تونس كلاًها الله، والحمد لله حمد الشاكرين الطاهرين الطيبين إلى يوم الدين.."

ومن خلال هه النصوص يتبين لنا أنها لم تلتزم التكلفة أو الصنعة ولم تعتمد إلى البديع والمحسنات اللفظية إلا في الأقل، ولكن يظهر عليها الصبغة العلمية التي لا تهتم إلا بذكر فنون العلم وحقائقه ومصطلحاته وذلك في إيجاز واختصار.

وهناك من الإجازات ما يعين المعلومات التي يميز فيها الشيخ طالبه مثلما فعل أبو محمد بن هرون الطائي القرطبي في إجازته لأبي القاسم بن الشاط² فمما كتب به إليه خبر عن قصيد الشقراطي وقصيدتي امرئ القيس والنابعة والشعر الذي ارتجله أبو بكر

¹: الرحلة 15/2.

²: نفسه.

ابن قسوم وشعر أبي الحسن بن عمر الشاطبي في وصف تمر يسمى حفصة، وما أنشده المقرئ أبو العلي إدريس بن محمد بن موسى الانصاري.

ب - الإجازة بالحوشي من اللغة

وفي صدد الإجازات نورد نصا من نصوص أبو عمرو بن دحية في إجازته لأبي الحسن الغرافي السني، شيخ ابن رشيد بالاسكندرية¹ ونريد بذلك مقصدين: فأما المقصد الاول فنريد به التنبيه على إجازة المغاربة للمشاركة، وأما المقصد الثاني فإثبات ما قيل عن أن ابن دحية هذا كان يتوخي الغريب المستهجن والناابي المستثقل، "حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه"² لأنه "كان يتكلف الاغراب على سماجة، ولعله يقصد إلى المعاياة والتظرف"³، وقد رأى الغبريني كثيرا من رسائله ومحاطباته المغلقة المغلفة⁴.

قال ابن رشيد⁵ وممن سمع عليه أيضا شيخنا أبو الحسن الغرافي، وأجاز له: أبو عمرو بن دحية الكلبي، ونص إجازته له عقب استدعاء أملاه علينا شيخنا أبو الحسن: "أجزت لمن ذكر فوق هذا وفقهم الله وسردهم، وجعل الغرفة نُزُلَهُمْ وحال بينهم وبين المأنوسة، وجعلهم من المخيبتين العاملين بطاعته وأجزت لهم عن إلبة عظمصيفة".
قاله عثمان بن حسن⁶ بن علي بن محمد بن دحية الكلبي.

وقال بعد ذكر أسانيده في الكتب الستة مصححا على ذلك ما نصه:

"ما رقص فيه وذير من الأسانيد صحيح بحمد الله ولي فيه أسانيد أعلى من هذه كومح الطرس عنها"¹. قاله عثمان بن حسن وقال كذلك "وكذلك سماع السداسيات والخماسيات المخرجة لابن عتاب صحح كما عنتم في تاريخه"².

¹: الرحلة 12/3-13.

²: المطرب: ص: ض.

³: المطرب: ص: غ.

⁴: عنوان الدراية 228-229.

⁵: الرحلة 12/3.

⁶: المطرب ص: و: الحسن.

ومما وقف عليه ابن رشيد من كلامه يخط الرئيس أبي عمرو ابن أبي عثمان، وهو من سهله:

"الفقيه الأستاذ التحوي الداناج الفرغم، رزُّ الجن ومَرْعُهَا، أبو العباس بن ميمون الجزائري، وفقه الله ورعاه وأنجح مسعاه، هذا وقت وفاء وذمة، وقد ينوب واحد عن امة، وللدهر انتقال، ولكل حال مقال، عنى وعسى من القوم عندي زرقوا على العشرة فصاعدا ما يكفيهم وكادوا يأكلون الحرب والعلمن، وقد أجاز مالك رحمه الله أن تدفع الصدقة لمن له الدار والخدام، والفرش، وأبو حنيفة يشترط النصاب، والشافعي يشترط القوت. والسلام.

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن في الرحلة إفادات انفردت بها يمكن أن تضاف إلى ما عرف عن تراجم ابن دحية، وذلك للكشف عن الجوانب الغامضة من نثره، وإننا إذ ننقل هذه النصوص بحذر، لا نريد من ذلك الاهتداء إلى فهم غريبها أو التنبيه على أنه قد يكون وقع فيها شيء من التحريف بواسطة النقل أو النسخ وذلك باعتبار أن الجزء الثالث ليس بخط صاحبه، ولكن يكفي في إيرادها ملاحظة فن من فنون القول.

سؤال الطالب شيخه

وتظهر صور النثر أيضا في سؤال الطالب شيخه وجواب أستاذه عليه: فمما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وكتبه له بخطه وأسمعه له بلفظه، سؤال كتب به لشيخه القاضي الإمام أبي الفضل أبي القاسم بن زيتون، ونص ما كتبه مستفتيا قوله:

"ما يقول سيدنا الإمام المقتدى بصلاح سعيه، والمهتدي بصلاح رأيه، جبل العلم وطود الفهم والحلم، معرفة المعارف وإن لم يكن مضمرا إلا في القلوب، ومنية العاري والعارف لفوز طالبيها منه بالمطلوب، شمس الفتيا التي طلعت غربا فأجلت المغرب وجلت عن ساحته بلالائها الغيب، أبا الفضل زاده الله من أفضاله عليه، وأفاض علينا من بحر العلم الذي أجراه على أصغريه، في شاعر تصرف في نظم سلكه كما يتصرف المالك المتمكن من ملكه، فأداه توسعه في فنون الخطابة الشعرية، إلى نظم أبيات مذيلا من

¹: الرحلة 13/3.

²: نفسه.

الكتاب العزيز على آيات شموستها ذات آيات، هل ذلك لهم جائز؟ أم هو في فعله متجاوز؟ أم على خطب التفصيل دائرة التحصيل والرأي الأصيل؟، فإننا رأينا الشعراء قد اختلفت أغراضهم في هذا المنحى وتباينت مقاصدهم في نظم هذا المعنى، فمنهم من يذيل على الآية من غير أن يقصد إلى معناها بتغيير، أو يتناول لفظها بين تقديم أو تأخير، بل يأتي منها بدليل سمعي يهدي به إلى مشروع شرعي أو مرعى مرعي، ومنهم من يلحظ المعنى أتم اللحظ إلا أنه يهدم بعض أركان اللفظ وذلك إما لغفلة عن هذا القدر أو لامر اقتضاه غرض الشعر، وهنا أرشدكم الله سؤال: هل لا يسلم لمن جعل المقصد الاول لهذا أصلاً أصلاً، وهل النزوع لهذا المنزع الثاني أولى أولاً. ومن الشعراء من يترك اللفظ على مبناه، ولكنه يقلب معناه ولا يبالي، أقلبه لمعنى رئيس أو قلبه لمعنى مرؤوس، بل هو في ذلك بحسب ما يعرض ويقتضيه المقصد والغرض، وكثير منهم هذا منحاهم، وأما أهل المسلك الأول فقليل ما هم، وبعضهم يقلب اللفظ والمعنى، وهؤلاء على فرقتين: فرقة للفظ الحظ، وفرقة بالمعنى أعنى، فهذه حفظكم الله منازع القوم... اليوم. فهل عليهم من حرج أم سلكوا هذا المسلك، وهم فيه على عوج، أم تحتاج هذه المسألة إلى برم وتقض، وبعضهم لدى النظر أسلم من بعض، ثم بتقدير ما يكون من الجواب وتقريراتهم أو بعضهم على الخط والصواب، هل يحاسب مجرمة، أو يطالب بقضية من خص ما رأي من منازعهم هذه في تصنيف خاص وأتى بجلها فيه إتيان مستقص قاص ليستدرج بها فهما نعس ويستخرج منها علماً درس، فجعل أصلاً ذكر فيه الشعر بالآية المصدر بها، وأتبعه فصلاً أشبع فيه ما توجه من النكتة الأدبية بسببها،... وانتهى في تفسيرها إلى الغاية ثم كذلك فيما تعلق بالعلوم من نوعي المنشور والمنظوم كله شرع فيه هذا الشروع، ومشى فيه هذا القانون المشروع، فهل عليه في ذلك بأس؟ أو في أمره التباس؟ أو الحق أنه في ذلك طالب إفادة وصاحب سعادة وشاجر خير وزاجر أيمن طير (الطويل)

جوابكم لي موضح هذه الأشياء	وفتياكم في مثلها نعمت الفتيا
فأنتم بأفق العلم نجم هداية	يضيء ويحيى نوءه الفهم بالسقيا
تحلون عقل المشكلات بعقلكم	فيوضح من كل المسائل ما أعيأ

بقيتم لرفع¹ العلم تبدون سره ودمتم لحفض² الجهل تطوونه طيا

ولا زالت الدنيا تحلى بمجدكم فمجدكم قد لاح في جيدها حليا

والسلام الأطيب يقتضي بعاطره أسراركم الملتزمة، ويختص بفاجر أنواركم المقتبسة، محمد بن علي التجاني، ورحمة الله تعالى وبركاته. "ا.هـ.³

وقد أشار ابن رشيد إلى أن ابن زيتون لم يجب سائله عن هذه المسألة، ولعل ذلك، حسب رأيه، لتنزه الشيخ عن النزول، لما فيها من التفاصيل، أو للعدول في السؤال عن طريقة الفقهاء إلى طريقة الأدباء.

ثم استدرك ابن رشيد قائلا: "ومع ذلك فالمسألة داعية إلى الإطالة والإطناب، وقد أشرنا أثناء كلامنا، عند انشادنا، ما خف من هذا النوع، إشارة ترشد إن شاء الله ويهدي بفضل الله، وإن تيسر لنا فراغ، فسنضم بحول الله أطرافها⁴.

وقد أوردت هذا السؤال المطنب كاملا لما فيه من الفوائد الكثيرة، ثم لما فيه من صور النشر الفني الذي كان أبو الفضل التجاني يرفع لواءه، وبما أن نص هذا السؤال يتسم بالطول والإسهاب، فإن فيه بعض عناصر الجواب التي نفهم منها ما قد يتبادر إلى ذهن أبي الفضل وأستاذه ابن زيتون وما يكون أجاب به ابن رشيد عليه وفصله في غير هذا المكان.

ولكن الذي يهمننا في هذا السؤال هو الجانب الادبي والمنحى البلاغي، لأن فيه تفننا وحرصا على التقيد بالبديع والمحسنات اللفظية من تجنيس وتسجيع وغيرهما من التنبيهات المفيدة على اختلاف منازع الأدباء عن طرائق الفقهاء، ولينتنا حصلنا على جواب ابن رشيد وتعليقه على هذه المسألة ليتضح لنا أمر كثير من المسائل التي أثارها أبو الفضل، وهي في اعتقاده مسائل تحتاج إلى تفصيل وتوضيح، لو انبرى لها كذلك الفقيه ابن زيتون فوضحها وكشف اللثام عنها.

¹: في الهامش: لحمل العلم.

²: لوضع الجهل.

³: الرحلة 35/7.

⁴: لم أجد في الرحلة ما يدل على أن ابن رشيد أجاب بشيء عن ذلك.

لا تخلو أمهات كتب الادب من ذكر بعض القصص والحكايات والنوادر والطرف والملح والفكاهات، وسواء كان يقصد بها التأريخ أو التظرف، فإن ذلك صورة للنفس الإنسانية في بساطتها وتعقدها، في سرائها وضرائها، وهي كذلك عنوان عن العقل البشري في مختلف البلدان والأعصار، ولهذا كانت تتباين دلالاتها وتختلف حسب المكان والزمان مقاصدها، وتتبع الظروف السائدة في المجتمع وتصوره تصويراً أميناً.

وفي الرحلة بعض الإشارات التي تفيد ميل الفقهاء والكتّاب والأدباء إلى هذا المنحى، ومما وقع في الرحلة من ذلك ما قرأه ابن رشيد على أبي البركات شعبان الخلاطي الصوفي، وهو جزء فيه من حكايات عبد الملك بن قريب الأصمعي عن العرب وغيرهم وذلك في خمس حكايات¹. ومن ذلك أيضاً: ما سماه ابن رشيد حكاية طريفة ولصوصية طريفة² عن ابن مناذر الشاعر، وقد قرأ ذلك عن ابن عياش. ومن ذلك قصة الزمزية التي ارتوى منها ابن رشيد وأصحابه دون استنطاف ما فيها وذلك في مزدلفة³. وكذا قصة المباحدة بين ابن البراء وابن الحجاز⁴ وقصة الصبيح والمليح العابدين⁵ وقصة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة والحيزان⁶، وقصة المرأة التي تزوجها الشافعي وهي التي كانت من وسطها إلى فوق بدنان بأربع أياد ورأسين⁷ وقصة ابن العربي وفتاة من الروم⁸. ونذكر أن هذه الحكايات والقصص كلها وردت بنثر مرسل وأسلوب عادي لا تكلف فيه ولا تصنع وذلك جرياً على أسلوب ابن رشيد في معظم فقراته. ومن تلك الحكايات ما حكاها الأصمعي قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فحاكَّ محملي أعرابي فشتمته وضربته فاحتملني، فلما صرت إلى بيت الله الحرام رأيت الأعرابي متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول: إن كنت غفرت لي فاغفر لمن شتمني وضربني، فقلت يا أعرابي: ضربناك وشتمناك وتدعو لنا، قال فنظر إلي نظرة ثم أنشأ يقول:

¹: الرحلة 70/3.

²: الرحلة 55/7.

³: 10/5.

⁴: الرحلة 92/6.

⁵: الرحلة 118/3.

⁶: الرحلة 71/6.

⁷: الرحلة 75/3.

⁸: الرحلة 58/6.

لَا يَغْضَبُ الْحُرُّ عَلَى سِفْلَةٍ وَالْحُرُّ لَا يَغْضِبُهُ النَّدْلُ¹
إِذَا لَتَيْمٌ سَبَّنِي جَهْدَهُ أَقُولُ زِدْنِي فَلِي الْفَضْلُ²

وفي هذا المقام لا نغفل أيضا عن الألغاز والنوادر والنكت وخصائص أسلوبها الذي قد يشوبه شيء من التعقيد (انظر مثلا النوادر والحكايات والمناحي البلاغية فيها في مادة الفقه بعد).

¹: الندل: الوسخ، وبعضهم بالمعجمة وهو بالمهملة جيد.
²: انظر الحكايات في الرحلة 70/3.

المبحث الثالث : البلاغة والنقد

لقد اتسم القرن السابع الهجري باتساع الشروح والهوامش والتقارير في علوم البلاغة، إذ كان من بين الكتب التي تضمنت أسرار هذا الفن "منهاج البلغاء لحازم القرطاجني" والروض المربع في صناعة البديع" في علم البيان لابن البناء العددي المراكشي، و"المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي" و"حسن التوسل لشهاب الدين الحلبي" و"تلخيص المفتاح والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني".

وإذا عرفنا أن حازما القرطاجني وابن البناء المراكشي وأبا الثناء الحلبي كانوا ممن لهم علاقة وطيدة بابن رشيد، فلا شك أن أثر هؤلاء ظاهر في أسلوبه وطريقة فهمه للنصوص الأدبية وتحليلها¹ فأما أثر القرطاجني فيظهر فيه أكثر من غيره، لأن ابن رشيد كان يشرح كتبه ويستشهد بأقواله ويعتبرها ويعتمدها². بل يرجع إليه الفضل في سعة أفاقه العلمي والفهم الدقيق لأسرار البلاغة حتى ألف بعض كتبه في هذا الفن ككتاب إحكام التأسيس، وإيراد المرتع المربع، وحكم الاستعارة. ثم إن ابن رشيد كان يتناول في الرحلة كثيرا من المصطلحات العروضية والبلاغية والنقدية التي كان يستخدمها حازم خاصة³ والمعاصرون له عامة كالخطيب القزويني⁴ وغيره⁵.

أ- ابن رشيد والبلاغة

فمن آراء ابن رشيد في البلاغة⁶ عيبه على الشعراء عدم فهمهم لمعنى التورية⁷، وذلك بسبب انتشار ذلك اللون من الشعر الذي تكثر فيه الألغاز والمعميات، ويشيع فيه العبث باستخدام اصطلاحات النحو والتاريخ والمنطق والحساب والفقه.

¹: الرحلة 26/2 و 40/6 (ابن رشيد وابن البناء وحازم) وانظر ترجمة الحلبي فيمن ترجم لهم بدمشق.

²: الرحلة 90/3 (وضع الحروف في الكلام).

³: منهاج البلغاء: التخييل 402 والاشتراك 150 والاستعارة 87 وغيرها.

⁴: الإيضاح للقزويني، وشرح التلخيص له.

⁵: تحرير التحبير لابن الأصبع: الاستعارة 97 والكناية 143 والمغالطة 574 والمنزوع البديع: جنس 2 التخييل.

جنس: 4: السبب والمسبب. جنس 10: الكناية. والاشتراك.

⁶: الرحلة 36/7.

⁷: شرح التلخيص 167 وتسمى الإيهام أيضا. وفي الإيضاح 499: التورية أو الإيهام. والعمدة باب الإشارة 311/1، والفوائد المشوق وهو مقدمة ابن النقيب 136 والصناعتين للعسكري: التورية والكناية.

فقد أنشده أبو الفضل التجاني قال: أنشدنا شيخنا أبو الحسن حازم رحمه الله
لنفسه املاء عليه من حفظه بيت الكتاب من تونس وقد سأله شيئا من نظمه، تكون فيه
إشارة لشيء من علم النحو¹. (الوافر)

صلية أو كليه لما يلاقي ولا تتكلفي خدع المآقي
ودونك فانظري طمحان عزمي إلى أعلى المراتب والمراقي
بأعمال حروفا مضمرات نواصب في الهجير لما تلاقي
في غيرها من أبيات²

فعلق ابن رشيد على هذه الأبيات مبينا ما فيها من تورية وما فيها من عيوب
فقال:

"وهذه التوريات في غاية من الانطباع، ولكن عرض له في الكلام بقوله (في
الهجير): [انصداع]، لأن المقصود من التورية ألا يكون في الكلام لفظ يعين المقصود إلى
الوجه الواحد³، وقوله في الهجير عين أنه يعني النوق التي كنى عنها بالحروف المضمرات،
وكثيرا ما وقع هذا الصدع لجماعة من الشعراء⁴، ولم أر من تفطن له ولا نبه عليه ولا
أرشد إليه، فاقدرُوا أيها الطلبة المنصفون فدر هذه الفائدة".

فابن رشيد، كما رأينا في هذا النص، يجزم أنه كان السباق لاكتشاف هذا العيب
البلاغي في كلام الشعراء، ولا شك في أن هذه المسألة كانت تشغل باله كما شغلت بال
الكثير من البلاغيين، فمنهم من عرف التورية تعريفا مستقلا ومنهم من عرفها مع الكناية،
ومنهم من كانت في مقدمة اهتماماته حتى جعلها من أوليات المفاهيم البلاغية كابن
الاصبع المصري (توفي 654هـ) الذي قال:

¹: تاريخ النقد. لز غلول سلام 33/2 و336/2.

²: الرحلة 36/7 وقصائد ومقطعات 173 وماء الموائد وهي رحلة العياشي 254/2 عن ابن رشيد.

³: الفوائد المشوق: التورية هي أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ص 136.

⁴: العمدة 311/1: التورية في أشعار العرب إنما هي كناية وانظر الصناعتين 381 وتاريخ النقد العربي 296/2.

" إذا وصلت إلى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت إلى الغاية القصوى"¹، وقال الصلاح الصفدي: "إن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الإنسان من العين".²

ألم ينبه أحد من علماء البلاغة قبل ابن رشيد على هذا العيب الذي سماه صدعا، وهل نحن أمام مصطلح بلاغي جديد؟ لعل ابن رشيد ينبهنا إلى ذلك، ولهذا كان يخاطب الطلبة بقوله السابق.

ومما يدل على أنه كان يعمل فكره في المسائل البلاغية وغيرها ويشغل باله بما له اتصال بها، أنه كان يسائل شيوخه وأصحابه كلما وقف أمام أحد معضلاتها، فقد دخل يوما على صاحبه أبي عبد الله ابن القوبع³ وهو (أي ابن رشيد) يفكر في مسألة [بيانية]⁴ مما يتعلق بالقوافي، وقد عرض له فيها اشكال، وكان يفاضه بما يعرض له من ذلك فيتضح بالذاكرة مشكله، وينحل مغلقه،⁵ فقال له ابن رشيد: "قيل إن التجنيس الكامل ليس مما يحسن، إذ لو كان مما يحسن ويؤثر لكان في شعر العرب عموما في الحشو وخصوصا في القوافي التي هي، كما قيل، حوافز الشعر، وكانوا يقصدون إجادتها ويوثرون ما يحسن أن يؤثر عنهم، وليس يوجد منه في كلام فحول الشعراء من العرب، بل ولا من أتباعهم، إلا الندرة، وذلك شاهد على أنهم لا يوثرونه، وإنه عندهم مفضل في الجواب".

ولما عرض هذا السؤال على صاحبه ابن القوبع، ظهر له ببادي الرأي أنه وارد، فطالب نفسه بالتقصي عنه، فتيسترت عنه أجوبة فعرضها عليه واستحسنها.

وابن رشيد لم يورد شيئا عن هذه الأجوبة التي تفيدنا، ولا شك، في كثير من المسائل وتكون ذخيرة مهمة نضيفها إلى كتب النقد القديمة والحديثة، ولكن هناك كثير من النقد والبلاغيين تعرضوا لمسألة التجنيس وأقسامه كابن المعتز (توفي 296هـ)⁶

¹: تحرير التحرير 268 والفوائد المشوق 136 وتاريخ النقد العربي 347/2، 356.

²: تاريخ النقد العربي 370/2 وانظر حسن التوصل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي شيخ ابن رشيد في دمشق: وأجمعوا على أن للكناية مزية على التصريح 146.

³: انظر ترجمته فيمن لقيهم بتونس.

⁴: كذا ورد في الرحلة.

⁵: الرحلة 617.

⁶: كتاب البديع 25.

وقدامة ابن جعفر (ت 327هـ)¹، والقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)² وأبي هلال العسكري (ت بعد 400)، الذي أورد ما وقع منه في أشعار المتقدمين والمحدثين³ وابن رشيقي (ت 456هـ)⁴ وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)⁵ والقاضي عياض (ت 544هـ)⁶ وضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ)⁷ الذي اعتبره غرة ساذجة في وجه الكلام، وأبو القاسم السجلماسي⁸ والحضيبي القزويني (ت 739هـ)⁹ ويحيى بن حمزة العلوي البمني (ت 749هـ)¹⁰ الذي أشار إلى أنه أكثر منه أبو تمام.

وقد ناقش ابن رشيد صاحبه ابن القويع في تجنيس الاشتقاق وتجنيس الاشتراك، وكذا التضمين¹¹ وغير ذلك، ورأى أنه يحسن تجنيس الاشتقاق ولا يحسن تجنيس الاشتراك. ومما تنبه له ابن رشيد أيضا مسألة التصغير وولع الشعراء به وإكثارهم منه، ولكن يندر ما يستحسن من ذلك في أشعارهم.

ففي يوم الأربعاء ضحوة الثالث من ذي الحجة وإني المكان المعروف بخليص¹² فقال منشدا (الرملة)¹³

أهل ودي لا تدينوا بالصدود بزماء كان في وادي زرود
وخليص إذ وردنا خلصه فرعى الله أويقات الورود

ثم علق على ذلك بقوله: "وهذا البيت الأخير اتفقت فيه موافقة حسنة في التصغير كرعت في مورد من الحسن لا تجلى عنه، وكذلك فإن الشعراء أكثروا من التصغير في محال، إما لصورة وزن أو لقصد ضعيف.

¹: نقد الشعر 162.

²: الوساطة بين المتنبى وخصومه 41-43.

³: الصناعتين 334، 337، 344.

⁴: العمدة 321/1.

⁵: أسرار البلاغة 11.

⁶: بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد 192.

⁷: المثل السائر 342/1.

⁸: المنزاع البديع، جنس 10 فصل 1 قسم 1.

⁹: شرح التلخيص في علوم البلاغة 184 والإيضاح في علوم البلاغة 535.

¹⁰: كتاب الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 355/2.

¹¹: العمدة 172/1 والإيضاح 580.

¹²: خليص: حصن بين مكة والمدينة، معجم البلدان لياقوت 387/2.

¹³: الرحلة 15/5.

وقرأ ابن رشيد بخط أبي الحسن حازم أن أبا الطيب المتنبي كان مولعا بالتصغير¹
ولكنه لم يوفق من ذلك إلا في قوله (البسيط)²

ظلمت بين أصيحابي أكفكفه وظل يسفح بين العذر والعذل
ومما كان يستحسنه أبو حازم أيضا قول الشريف الرضي (البسيط)³
يولع الطل بردينا وقد نسجت رويحة الفجر بين الضال والسلم
وقوله: (السريع)⁴

زال وأبقى عند وراثه خديم مال عرفته الحقوق
ومن مستحسن ذلك قول الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي
رحمه الله (الطويل)

بلا دي النى ريشت قويدمتي بها فريخا وآوتني مزارتها وكرا
فحسن تصغير القادمة لمكان تصغير فرخ، فناسب ذلك التصغير.
ومن التصغير الذي له طلاوة وحسن موقع قول أبي العلاء في عدل عيسى
الكاتب (الطويل)

إذا لاح من برق العقيق وميضه

فدق على ملح العيون الشوائم

فحسن تصغير الومضة لما وصفها بالدقة والخفاء.

ومن المستحسن قول عمر بن أبي ربيعة (الطويل)⁵

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سمر

¹: انظر أيضا رسالة الغفران للمعري، وولع المتنبي بالتصغير ص: 414.

²: الديوان 198/3 في مدح سيف الدولة والاعتذار إليه.

³: الديوان 723/2: الضال: الصدر البري والسلم من شجر العضاء.

⁴: الديوان 567/2 (زال وأبقى عند أعقابيه).

⁵: الديوان 123.

فحسن تصغير القمر هنا، لانه قد دل، باخباره أنه غاب عند ترويح الرعيان ونوم
السمار، على أنه كان هلالا.

ومما يستحسن منه قول أبي نصر بن نباتة (الطويل)

ففي الهضبة الحمراء إن كنت ساريا

أغير يأوي في صروح الشواهد

وحسبك قول النابغة: ¹(الطويل)

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضُئِيلَةٌ من الرقش في أنيابها السم ناعم

وذلك لأن الحية توصف بالضؤول والدقة.

ثم إن ابن رشيد كان كثيرا ما يتدخل لحسم النزاع بين المتناظرين، وذلك كلما
شبت معركة خلافية في مسألة من المسائل الأدبية أو اللغوية أو البلاغية أو غيرها، ومن
ذلك ² ما أخبره به شيخه أبو محمد عبد الكريم الأنصاري الشافعي إمام أئمة البيان في
مصر، لما التقى بالعلم اللورقي، وإعلامه بما جري في أحد المجالس العلمية من وجوه
اعراب قوله تعالى: "ولا ينبئك مثل خبير" ³.

وهذه المسألة تتعلق بمسائل البيان والبلاغة والنحو.

ولما كالم أبو محمد الشافعي الإمام اللورقي قال له: لا يصح حمل الآية الكريمة
على ظاهرها لئلا يلزم منه أحد أمرين: إما نفي التنبئة وإما نصب مثل ⁴ بتقدير: ولا
ينبئك أحد مثل تنبئة الخبير.

فقال أبو محمد الشافعي: إن التقدير والمعنى: لا مثل المخبر فينبئك هذه التنبئة.

وإنها على المعروف من كلام العرب كقول الشاعر: (الطويل)

على لاحب لا يهتدي بمناره ¹ أي لا منار له فيها.

¹: الديوان 33.

²: الرحلة 66/5-67.

³: فاطر 14.

⁴: تفسير ابن كثير 576/5 والقرطبي (الجامع) 336/14: برقع مثل.

ثم أتى بعد ذلك ابن رشيد ليعلق ويفصل ما أجمله الشيخ في تحرير وتقرير طويلين، ومجمل رأيه أنه إذا قال القائل: "ينبئك مثل زيد" ثم أدخل حرف النفي على ينبئك انتفى هذا الموجب سواء بقيت مثل على ظاهرها أم أردنا بها ما يراد بقولهم مثلك يفعل كذا أي أنت تفعل كذا، ومعلوم أن الآية لم يرد بها نفي التنبئة، ولو أريد بها: لا ينبئك أحد مثل ينبئك الخبير، لزم إظهار الفاعل ونصب مثل، لأن هذا مما أقيم فيه المسبب مقام السبب، فنفى المسبب والمراد نفي السبب² وهو وجود مثل لهذا الخبير لأن حاصل المعنى من العبارة الكريمة: يا محمد، لا تنبئة موجودة من أحد كهذه التنبئة، لانتفاء مثل خبير أنبأك به.

ولكي يؤيد ابن رشيد رأيه أتبعه بما يوجد في القرآن الكريم وكلام العرب من ذلك.

ومنه مثل قوله تعالى: "وما أوتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله"³، وتقديره فلا يربو أجره كربو الصدقات المقبولات، ولهذا نفى فرعه لانتفاء أصله. ونحوه قوله تعالى: "ولم يكن له ولي من الذل"⁴ أي من خوف الذل، فنفى اتخاذ الولي لانتفاء سببه وهو خوف الذل، وإن اتخذ الولي فرع المخافة من الذل وسبب منها. ومن ذلك قول امرئ القيس: "على لاحب لا يهتدى بمناره".

وهذا يحتمل عند ابن رشيد وجهين، أحدهما أن يكون مما نفى فيه المسبب والمراد نفي سببه، أي لا منار له فيهتدى به، أما الثاني فيحتمل أن يكون أراد نفي الجدوى وهي الهداية بعدم جدوى هذا المنار وهي الهداية به، وإن كان موجودا فكأنه معدوم، ومنه قوله تعالى: "فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم"⁵، فقد نفى الايمان بعد ثبوتها لانتفاء ثمرتها وهي الوفاء بها.

¹: ديوان امرئ القيس 89 شرح السندوبي وانظر ما كتبه الزركشي في البرهان 393/3 (قواعد في النفي و 395 نفي الشيء رأساً).

²: انظر مسألة قيام السبب مقام المسبب وإطلاقه عليه في البرهان في علوم القرآن 259/2 والفوائد المشوق 18/16 والإيضاح للقرظيني 401 والمنزع البديع جنس 4 قسم 2.

³: الروم 39.

⁴: الإسراء 111.

⁵: التوبة 12.

وبعد أن جاء ابن رشيد بهذه الفرائد البلاغية التي لها علاقة بعلوم القرآن والنحو، وعرض وجوهها المختلفة نبهنا إلى أن شيخه أبا الحسن حازم كان يسمي هذا النوع: النفي الفرضي¹ وهو أن يراد نفي الشيء فتننفي جدواه أو ما يخصه إذا قدر وجوده فرضاً، ويقصد بذلك التأكيد فيه، ويصدق هذا أيضاً على قول امرئ القيس، لأن المقصود منه أنه لا منار فيه يهتدى به، ولو فرض فيه منار أيضاً لم يهتد فيها بالمنار فتقطع عن سالكه رؤيته، أو لانه من كثرة الآل والسراب والقتام بحيث لو قدر فيه ثبوت منار لم يهتد به أيضاً لانطماسه فيها.

ورأى ابن رشيد أن نفي الافتراض وارد كثيراً في القرآن الكريم وفي الشعر العربي، ومن ذلك قوله تعالى: "ولو سمعوا ما استجابوا"² ألم تر أنهم لا يستجيبون بحال ولو قدرت سمعهم. ومن نفي الافتراض أيضاً قول زهير (الطويل)³

بأرض خلاء لا يشد وصيدها علي ومعروفي بها غير ممكن
أي لا وصيد بها يشد، ولو قدر فيها ثبوت وصيد لم يكن هناك من يشده
لنفارها من الأنيس.

ومن كثرة ما يستطيع ابن رشيد أن يأتي في هذا الباب يقول: والكلام على هذا وأمثاله يتسع مجاله ويقل رجاله، والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا بمنه وفضله، ويظهر هنا اعتداد ابن رشيد بنفسه، والتلميح إلى أنه السباق إلى بعض النكت الفريدة والجواهر المكنونة في البيان العربي.

ومن المسائل التي ناقشها ابن رشيد أيضاً مسألة المجاز⁴ وذلك في قوله: أي المجازين أرجح: هل إطلاق السبب على المسبب أو العكس؟ وهو يرى أن إطلاق السبب على المسبب أقوى، لأن السبب الخاص يشعر بخاص، والمسبب الخاص لا يشعر إلا

¹: كان ابن رشيد متأثراً كثيراً بما رواه صاحب العمدة عن قول زهير وقول الهذلي العمدة 80/2-81 وانظر أيضاً ما أخذه أبو البقاء الرندي على ابن رشيد في هذا المجال. تاريخ النقد الأندلسي رضوان الداية 460 وانظر الفوائد المشوق (النفي والإثبات): 182، 183، 184 والبرهان 395/3.

²: فاطر 14.

³: الديوان ص

⁴: الرحلة 15/6.

بسبب عام، ألا ترى أنك إذا قلت: أكلت كثيرا، أشعر عادة بالشبع، وإذا قلت: شبع، أشعر بمأكول ما من غير خصوص.

وقد أتى بتمثيل لذلك بقوله: فمن التجوز بلفظ السبب عن المسبب قوله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم¹. فقد سمي عقوبة الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء²، ومثله قوله تعالى: "فلا عدوان إلا على الظالمين"³، في تجوزه العدوان بمكافأة الظالمين على عدوانهم وقوله تعالى: "وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به"⁴.

وقوله بمثل ما عوقبتهم به من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله: فعاقبوا: حقيقة اكتنفها مجازان، ويسمى هذا النوع عند البلغاء تشفيح الحقيقة بالمجاز. وكذا قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن خلال ما سبق يظهر أن ابن رشيد كان متضلعا من علوم التفسير والبيان والبلاغة والمسائل الأدبية بعامة، وأنه كان يورد كثيرا من الشواهد الشعرية ويذكر مناسباتها، ونستنتج أيضا أنه كان حافظا لكثير من عيون الشعر العربي، وغائضا على معانيها العميقة، ولولا ذلك ما استطاع أن يذكر ذلك الجمل الكثير من الآيات القرآنية والآيات الشعرية في موضوع واحد ومعنى محدد، وإنما نجد تلك الطريقة عند ابن بسام صاحب الذخيرة الذي يورد كثيرا من النصوص المهمة في معرض واحد.

ومن هنا نفهم أن ابن رشيد كان من أولئك الرجال القليلين في هذا الميدان ومن الأفاذا الذين يدفعون بأنفسهم إلى مثل هذه المضائق.

¹: البقرة 194.

²: الفوائد المشوق 16 والبرهان 260/2 والإيضاح للقرطبي 400.

³: البقرة 193.

⁴: النحل 126.

ب - بعض آراء ابن رشيد وأحكامه النقدية

لأجل تكوين فكرة عامة عن حركة النقد في الغرب الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري، لابد من إلقاء نظرة عامة على آراء الشاعر أبي الطيب الرندي البلاغية والنقدية في كتابه الوافي¹، وكذا كتاب أبي الحسن حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وابن جزى وآرائه البلاغية في كتاب التسهيل، وابن الأحمر في كتابيه نثر الجمان وفرائد النثر.

وقد كان ابن رشيد واسطة ذلك العقد المنظوم، لأنه عاصر الرندي وتلمذ للقرطاجني، وتلمذ عليه ابن جزى وأخذ عن بعض تلاميذه ابن الأحمر².

وبما أن ابن رشيد كان يحفظ كثيرا من الشعر القديم والمحدث ويتذوقه ويعرف معانيه ويفهم أسرار البلاغية والبيان، ويغوص على مكنون درره، ويحل معماه وغامضه، ويملك أصوله القديمة والحديثة - فقد كان يفتح الله عليه، كما يقول، ببعض ما لم يسبق إليه³، وذلك بعد قدح زناد فكره فيه، فقد سأل شيخه أبو الحسن بن رزين يوما في منزله (ابن رشيد) بتونس وقد تفاوضا في أنواع من الآداب⁴: "ما معنى قول أبي العباس التطيلي، رحمه الله:

أعد نظرا في روضتي ذلك الخد

فإني أخاف الياسمين على الورد⁵

فقال ابن رزين: سألت عنه أبا عبد الله الآبار، رحمه الله، فلم يأت بما يُرضي، واستشكله، وقال: إن هؤلاء العمي يغوصون على معان بعيدة، أو نحو هذا⁶. ثم سأل ابن رزين عما إذا كان عنده في هذا شيء، فقال ابن رشيد على البديه:

¹: النقد الأدبي في الأندلس 433.

²: انظر رواية الرعيني السراج والفشتالي ورواية ابن الأحمر عنهما، فرائد الجمان 190.

³: الرحلة 64/7.

⁴: الرحلة 82/6.

⁵: الديوان 33، ولم يتعرض فيه لشرح هذا البيت.

⁶: انظر الإشارة إلى تعقيد شعره في المغرب 451/2 وخريدة القصر 567/2.

"إن المحبوب إذا نظر إليه ربما احمر خده من الخجل، فإذا أغفل عنه نصع احمرار ذلك الخجل فعاد البياض المشبه بالياسمين فغلب على حمرة الخجل المشبهة بالورد، فأمر الشاعر بإعادة النظر إليه خيفة أن يغلب الياسمين على الورد".

وهذا - حسب رأي ابن رشيد - معنى بديع رفيع، ولعله لم يسبق إليه ولا زوحم عليه، ولهذا قبله الشيخ ابن رزبن واستحسنه.

فحكم ابن رشيد على شاعرية التطيلي لم يَعدُ الحقيقة النقدية المعروفة في نظر من كتب عنه، فهو شاعر له أدب بارع، ونظر في الغوامض وفهم لا يجاري، وذهن لا يباري ونظم كالسحر الحلال، وذهن يكشف الغامض الذي يخفى، هكذا قال عنه ابن سعيد¹ وابن العماد الاصفهاني² وابن بسام³ وغيرهم. وتتجلى لنا رهاقة حس ابن رشيد وسلامة ذوقه الأدبي في ما جرى بينه وبين أبي بكر بن حبيش الأديب الشاعر الناقد، وذلك يوم الخميس 7 جمادى الآخرة 685هـ⁴ إذ إنه لما انفرد بمجالسته استفسر منه قول شيء من الشعر الذي يصف فيه قصر الطريق إلى الوجهة الكريمة لما حصل له الملل، واعتراه شيء من الكسل وطول الادلاج والسرى، فأنشد ابن رشيد بيتا كان يحفظه وهو:

وإذا أتيتك زائرا متشوقا قصر الطريق وطال عند رجوعي

ثم رغب منه ابن رشيد أن يذيل له عليه شيئا يستريح إليه فأنعم بذلك واختار أن يغير عجز البيت ليكون (وفي الرجوع يطول) وكأنه رأى من قوله: قصر وطال، لا يخلو عند قرع السمع من تنافر⁵ وأتى بدليل ذلك من قوله تعالى: "هو الاول والآخر والظاهر والباطن"⁶ بواو العطف بخلاف قوله تعالى: "النائبون العابدون الحامدون السائحون

¹: المغرب في حلى المغرب 451/2.

²: الخريدة 567/2.

³: الذخيرة ق 2 م 728/2.

⁴: الرحلة 45/6.

⁵: ولعل ابن رشيد تأثر هنا برأي شيخه حازم في آرائه: كتاب المناهج الأدبية 47 أ: تماثل المقاطع في الاسجاع والقوافي وانظر القزويني في كتابه الإيضاح 72، 75 والمزهر للسيوطي 193/1.

⁶: الحديد 57.

الراكعون الساجدون"¹ دون واو التلازم لعدم التنافر، أو قوله تعالى: "والناهون عن المنكر". ثم وجاء "والحافظون لحدود الله"²، مع ما بعده لانتقضاء الكلام المتبع. وبعد أن أورد ابن رشيد ذلك علق عليه بقوله: وهذه أسرار لم أر من أظهرها والله أسأل المزيد من فضله وطوله³.

وكان ابن رشيد يهتز للشعر الجميل ويضطرب له، إذ لما سمع القصيدة التي أنشدها عليه أبو بكر بن حبيش (البسيط)⁴

يا سيد الأنبياء المقتدى بهم والأنبياء يقينا سادة الناس
ومنها:

ليس المحب صدوقا في محبته إن لم يميز بها عن سائر الناس
علق عليها ابن رشيد بنقد موجز، ولكنه يحمل معنى عميقا فقال:
"وإن قيل في كل قصيد بيت، ففي كل بيت من هذا قصيد".

ولما أملى عليه الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المري، شعر السراج عمر الوراق المصري في جده وهزله، الذي يقول فيه وقد ضمنه بعض معاني الفقه: (الطويل)⁵

يا نازح الطيف مر نومي يعاودنسي

فقد بكيت لفقد النازحين دما

أوجبت غسلا على عيني بأدمعها

وكيف وهي التي لم تبلغ الحلم

¹: التوبة 112.

²: التوبة 113.

³: انظر كتاب الجامع للقرطبي بحثا عن هذه الواو 272/4 و382/10 وانظر في كتاب البرهان: واو الثمانية 438/4 وكتاب الطراز للعلوي 33/2 وما بعدها.

⁴: الرحلة 41/6-42.

⁵: الرحلة 74/5 وانظر ترجمته في فوات الوفيات 140/3 ترجمة 379.

وقوله:¹

سألتهم وقد زمو المطايا² ققوا نفسا فساروا حيث شاءوا

ولا عطفوا³ علي وهم غصون ولا انبعثوا⁴ إلي وهم ظباء

فقال ابن رشيد: وهذا من النظم البديع والنسج الرقيق⁵.

ومن حسن إدراكه لمبنى الشعر ومعناه أنه لما لقي بثغر الاسكندرية جمال الدين الجابي البزاز سمع منه شعرا يخاطب به شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان ومنه⁶:

عرج بباب المنحنى وقبابه واسأل أهيل الحي عن أعرابه

وانشد فؤاد متيم قلق الحشا يشكو الجفا والبعد عن أحبابه

ويقول فيها:

من رام مدحك فهو عنه عاجز ماذا يقول وأنت فوق جوابه

فعلق عليها ابن رشيد بقوله:

"انتهت القصيدة وهي وإن كان في بعض أبياتها لطافة وحلاوة وعلى بعضها طلاوة فهي عديمة التلاؤم غير متناسقة الأبيات.

فابن رشيد ينظر هنا إلى مسألة النظم وحسن التأليف وما يخالف ذلك من رداءة الرصف والتركيب⁷، فقد تنبه إلى العلاقة المكيّنة بين اللطافة⁸ والحلاوة⁹ والطلاوة¹⁰ والتلاؤم¹¹ والتناسق¹ في أبيات القصيدة، فهذه العناصر لا تجتمع إلا في الشعر الجيد، وبما

¹: انظر عنها فوات الوفيات 144/3.

²: حثوا المطايا.

³: وما عصفوا.

⁴: وما التفتوا.

⁵: وقد قال عنه صاحب الفوات أنه كان حسن التخيل جيد المقاصد صحيح المعاني عذب التركيب قاعد التورية والاستخدام، عارفاً بالبديع وأنواعه فوات 140/3.

⁶: الرحلة 80/5.

⁷: الصناعتين 167.

⁸: قواعد الشعر لثعلب 53 ومنهاج البلغاء 365، 371.

⁹: العمدة 125/1.

¹⁰: العمدة 124/1.

¹¹: منهاج البلغاء 365 والصبغ البديعي 287.

وبما أنها فقدت ركنا من أهم الأركان وهو التناسق والتلاؤم، فإنها صارت غير متلاحمة الأجزاء، غير مسبوكة سبكا واحدا². ولا شك في أن ابن رشيد قد تأثر في هذا بأبي الحسن حازم القرطاجني وآرائه وطريقته في قضية اللفظ وإحكام تأليفه وتناسب أوضاعه في الأبيات³ وكذا قضية حسن الكلام وحسن نظمه، وذلك ليس في الألفاظ فحسب بل في تركيب القصيدة كلها وبنائها ووحدتها الفنية⁴، وبهذا فهو ينظر أيضا إلى ما انتبه إليه النقاد الذين سبقوه كابن طباطبا العلوي⁵ وأبي العباس ثعلب⁶.

ثم إن ابن رشيد قد صور لنا صدى ما آلت إليه العلوم البلاغية والنقدية في عصره عموما وفي الفترة التي كان يقوم فيها برحلته خاصة، إذ كان الشعر كاسدا آنذاك والشعراء منصرفين نحو فنون الزجل، والأدباء منكين على الشكل والزخرفة دون المضمون، وذلك تأثرا بالظروف القلقة التي كان يعيشها العالم الإسلامي، ونتيجة للحروب الصليبية في المشرق والهجمات والغزو الأوروبي للمشرق والمغرب في شواطئه وثورته ومدنه الكبرى، ويتجلى ذلك في قول ابن رشيد، مصورا ما آلت إليه العلوم البلاغية: "وهذا الشأن بالاسكندرية ضعيف ولم يبق بها بعد ناصر الدين بن المنير رحمه الله من يعتبر"⁷.

ولما كان حازم القرطاجني يرى أن الاعتبار في الشعر إنما هو للتخييل في أي مادة اتفق، لأن صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة وموضوعها الألفاظ وما تدل عليه⁸، فإن ابن رشيد يدرك أيضا قيمة هذا العنصر وأثره في الشعر الجيد، فقد أنشده صاحبه محمد بن أحمد بن حيان الشاطبي قال: أنشدنا الكاتب الأوحى حبر البلغاء وجر الأدب أبو المطرف أحمد بن أبي محمد عبد الله ابن محمد بن الحسين لنفسه من أبيات:

¹: منهاج البلغاء 99 والصبغ البديعي 286، 433 والنقد الأدبي في المغرب 288.

²: العمدة 275/1.

³: المناهج الأدبية 49 ب.

⁴: منهاج البلغاء 277 وانظر توضيح ذلك أيضا في كتاب البرهان: النوع الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح، والإشارة في ذلك إلى فضل حازم القرطاجني 311/1.

⁵: عيار الشعر (تأليف الشعر) 124.

⁶: قواعد الشعر 53.

⁷: الرحلة 80/5، وابن المنير (620هـ - 683هـ) عالم فاضل مفتن له اليد الطولى في الأدب والفنون. فوات الوفيات 149/1 ترجمة 55.

⁸: منهاج البلغاء 62 و402 والمناهج الأدبية 29 ب وكتاب الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص: 80.

أما أن يمل نداه لكن على آمالنا خفنا الملا

فعقب عليها ابن رشيد بقوله:

"هذا من الطراز العالي... وما أحسن هذا التخيل..."

ولقد أخرج حازم القرطاجني قضية الصدق والكذب من طبيعة الشعر جملة، ولكنه ركز على أهمية التخيل، ومدى موقع هذا الشعر من المتلقي وتأثيره في انفعالاته¹. ولا شك في أن أثر قول أبي المطرف ابن الحسين ابن رشيد كان كذلك، وقال ابن حمزة العلوي بأن هذا النوع من علم البديع من مرامي سهام البلاغة المسددة².

ومما استحسنته ابن رشيد أيضا شعر أبي بكر بن رفاعة، وهو جد شيخه أبي بكر ابن يربوع، وقد كتب به إلى الوزير أبي عمر ابن أبي محمد رئيس مدينة شريش لما بعث إليه بعض الجبن ويقول فيه، بعد أن ضمنه شيئا من معاني القرآن: (السريع)³

قد أقسم الجبن على حرد لا ينثني عن صحبة الزيد

وغلظ الزيد يمينا لما يحل عقدا من يد الشهد

واختصموا في حكم أيمانهم وغلبوا الأوحـد في المجد

فوجه الدرـمك يقضي بالـجمع في مائدة الحمد

أكرم به من حاكم فاضل قد أوتي الحكمة في المهد

فعلق على ذلك يقوله: "وهذا من السهل البديع والممتنع الرفيع.

وابن رشيد ينبهنا هنا إلى الفرق الصحيح بين المصنوع والمطبوع والسمح المنقاد والعصي المستكره⁴، وذلك في سهولة ألفاظه وعذوبة معانيه⁵. وقد قال أبو هلال العسكري

1: الصورة الفنية في التراث النقدي 95.

2: كتاب الطراز 2/3.

3: الرحلة 89/6، ورحلة العياشي 253/2 ويلاحظ اختلاف بين النصين في تقديم بعض الأبيات وتأخيرها.

4: الوساطة 25.

5: الفوائد المشوق 223.

عن الشعر الحسن المعنى: "السهل اللفظ العذب المستمع، القليل النظير، العزيز الشبيه، المطمع، الممتنع البعيد مع قربه الصعب في سهولته¹.

ومما يدلنا أيضا على طول باع ابن رشيد في النقد والبصر بأسرار البلاغة ما أبانه من أحكام نقدية لما سمع قصيد ابن الخيمي: البائية، ومطلعه: (البسيط)²

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب

إليك آل التقصي وانتهى الطلب³

ويقول فيها:

ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي وجدي وحزني وهو مختضب
ولست اعجب من جسمي وصحته في حبه إنما سقمي هو العجب
يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وقد قال في نقد هذه القصيدة:

"نبئت أن شيخنا أبا عبد الله بن الخيمي اتفق له في هذه القصيدة ما يستظرف حتى لقد صار قوله أثناء هذه القصيدة:

(لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

مثلاً عند المصريين سائراً⁴ وعلى عذبات ألسنتهم لعذوبته دائراً⁵، ومما أبدع فيه ابن الخيمي في هذه القصيدة قوله:

ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي

وجدي وحزني وهو مختضب

¹: الصناعتين 67.

²: الرحلة 47/3.

³: انظر هذه القصيدة وما اتفق فيها من قصة عجيبة مع النجم الإسرائيلي وتحاكمه مع ابن الخيمي إلى ابن الفارض: ابن خلكان 106/2 وفوات الوفيات 383/3 و413/4 والمنهل الصافي لابن تغري بردي وفيات 685 والنجوم الزاهرة 339/7 ودرة الحجال 6/2 ترجمة 450 والكشكول للعالمي 109/2.

⁴: إشارة إلى الكتابين المشهورين: الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد الذي رده على المثل السائر لابن الأثير.

⁵: نفسه.

فأتى بالبدع في تكذيبه¹ للدع في دعوى المقاسمة، ولولا اشتراك الوصف الذي يتخيل فيما تخيل لما تعلقت له به مخاصمة، إذ الاختضاب بالحمرة من صفة المسرور لا من صفة المحزون ثم قال أيضا: وإن كان إنما أريد بالاختضاب حمرة الدمع بامتزاجها بالدم، على أن لفظ: محتضب ليس فيه ما يدل على أنه بالحمرة لولا قرينة ذكر الدمع مع الحزن وما علم من أن اختضابه معه إنما يكون بالدم، فجرى ذلك على الحالة المعروفة عنه، فباشتراك الصفة تمكن مراده حتى صير ما جاء به المدعي دليلا على صدقه دليلا على كذبه، فأعجب لهذا التحيل في التخييل²، ويسمى هذا النوع الاغراب والتعجيب³، وينظر هذا البيت إلى قول أبي الطيب المتنبي (الحفيف):⁴

تدعي ما ادعيت من ألم الشوق ق إليها والشوق حيث النحول
وينظر إلى قول ابن عبد الظاهر الكاتب المصري (الحفيف)⁵

نسب الناس للحمامة حزنا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيـد وغنت وما الحزين كذلك

إلا أن أبا الطيب تمت له الدعوى على خصمه بأنه كذب مدعي الشوق مع وجود السمن وعدم النحول ظاهر، وليس مع الخصم ما يدفع به ذلك من تفسير المجمل وبيان ما أراد من المحمل. إلا أن في بيت شيخنا ابن الخيمي زيادة فضل على بيت المتنبي بالتخييل والمغالطة⁶ بالوصف المشترك⁷، وكلا البيتين فيهما تكذيب للدعوى فيدخلان مدخلا خفيا في باب الاردا⁸، لأن مراده في البيت الاول أن يقول: ادعى المقاسمة وهو كاذب، فعدل عن التصريح بالتكذيب⁹ إلى رديف دل عليه، وكذلك المراد في قول أبي الطيب:

¹: انظر الكذب والتمويه في كتاب المناهج الأدبية (لحازم القرطاجني) 23 أ. ضمن كتاب: إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين.

²: منهاج البلغاء 402 والمناهج الأدبية 33 أ.

³: منهاج البلغاء 371 والمناهج 33 ب.

⁴: الديوان 267/3 مع بعض الاختلاف في الرواية.

⁵: انظر ترجمته في الفوات 179/2 ترجمة 222 والبيتان 185/2.

⁶: انظر (المغالطات المعنوية): الصبغ البديعي 271 وتحرير التحرير 574 والفوائد المشوق 122.

⁷: انظر عن ذلك منهاج البلغاء 150 وتحرير التحرير (المشكلة) 393 والإيضاح (المشكلة) 493 والطارز 63/3.

والمنزاع البديع جنس 10.

⁸: نقد الشعر لقدامية 179.

⁹: المناهج 27 ب.

تدعي ألم الشوق... البيت، وهي كاذبة لأنها غير ناحلة فلو صدقت لكانت حالية بأخص
أوصاف المحبين وهو النحول، وذلك غاية في الأدب والظرف، وقد أشار بعض الظرفاء
إلى التخلص من إقامة الحجة، مخيلا أنه سلك في الجواب واضح الحجة فقال: (الطويل)

وقائلة ما بال جسمك ناعما وعهدي بأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبي لم يـيحـجـسـمـي فـجـسـمـي بالهوى ليس يعلم

ولما أنشد أبو بكر بن حبيش لابن رشيد شيئا من شعر أبي علي الرفاء ومنه:
(الطويل)

لقد ظلموا لا أنصف الله منهم وما أن ظلمناهم وقد أنصفوا منا

عقب عليها ابن رشيد بقوله: هذه الأبيات كأنها تحاكي أنفاس البهاء زهير.
ولعل ذلك لما يجمع بين الشاعرين من الرقة والظرافة والجري على الفطرة والبساطة
واللطافة.

ومما ورد لابن رشيد من الآراء النقدية¹ ما رد به على صاحبه أبي عبد الله ابن
عبد الملك صاحب كتاب الذيل التكملة، الذي نقد أبا الحكم مالك بن المرحل السبتي
عندما أنشد قصيدته الطائية:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط وشوقك أم سقط وجسمك أم خط²

فقد تعقبها ابن عبد الملك وأتبعها بالاعتراض جريا على عادته، ومما أخذه
عليه سوء استعمال كلمة [أم] وتكرير المعنى ومسائل أخرى في العروض والبلاغة، ومن
ذلك قلب معنى مأخوذ من شعر المعري، ومقارنة بعض وجوه التشبيه بينه وبين ابن المعتز،
وأخذ عليه كذلك تقصيره فيما يجب فيه التعظيم والإجلال كالنعل الكريمة النبوية.

فرد عليه ابن رشيد بقوله:

¹: فتح المتعال باب 3.
²: انظر الذيل والتكملة سفر 1 قسم 1 ص: 331-334.

وهذه الاعتراضات كلها ساقطة ولكن ليس لها لاقطة، فأما الأول وهو قوله منها: استعمال أم مكان أو¹ في قوله أم خط، فتلك شكاة ظاهرة عند عذرهما، فإن ناظمه إنما قاله بأو، وكذلك أنشد لنا، وإنما ابن عبد الملك كتبه بأم خطه... وهكذا تعقبه في جميع اعتراضاته منها تكرير اللفظ كالسمط والسقط، واتهمه بأن ذلك ضيق العطن، وقال إن هذه طريقة مسلوكة مألوفة، وسبيل في الفصاحة معروفة، وإنما يكره ذلك أن تكون في القافية، ولاسيما وتكريره لسبط إنما هو بعد تسعة أبيات، وإذا وقع هذا وبينهما هذا العدد لا يعد أيضا، مع أنه في الصدر استعمل منه مع سقط الترصيع دون أن يكون واحدا منهما في مصراع، فيقال المصراع قد شبه العجز، وهذا شيء ما تحاماه متسع عطن. ولا قدح فيه أحد ولا طعن من طعن أو قطن، ومع هذا فاستعمالها في البيت الأول المصراع في الثاني المعارض عنده ليس على حد واحد بل هما مصراعان في مطلبين من الكلام مختلفين والخلاف بين أهل البيان أن هذا من أنواع الافتتان. ومما يعد من الفاضل لا من المفضول فإنه استعمل في البيت الأول من باب تجاهل المعارف، ثم أضاف مفصلا وموضحا فاستيقظ أيها النائم إن وافقت المعارض فقد أدلج الناس، وأما الثالث وهو استعمال البسط في القافية مكان التبسط الذي في صدر البيت فهذا أيضا واه وحضيض هاو... وأين أنت من قوله تعالى: "والله أنبتكم من الأرض نباتا"² ثم مع هذا اعتبر معنى البيت اتجه فيه مقصد آخر، وهو أنه لما تبسط في لذاته وذنوبه صح له بحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن لقي البسط ولم يلق القبض انعاما عليه من الله تعالى كما قال بعض الراجين من المذنبين المعترفين (الوافر)

تبسطنا على اللذات لما رأينا العفو من ثمن الذنوب

وهو معنى حسن يسقط اعتراض هذا المعارض. وأما الرابع وهو إلى قال إنه أقربها، وهو التضمن، فقد وقع الجواب عنه...

وهكذا تعقب ابن رشيد صاحبه ابن عبد الملك المراكشي، في كل صغيرة وكبيرة مستعملا كل ما له من ذوق ومعرفة ومحفوظ في القرآن الكريم وكلام العرب.

¹: بركة الغواص: انظر الفرق بين أم وأو ص: 265-266.

²: سورة نوح 17.

ومما ورد من هذه التعقيبات قوله:

... ومعاني الشعر إنما هي أنوار وأزهار تختطف أو تقتطف. ولما انشد ابن عبد الملك قصيدة لابن المرحل الذي يقول فيها: (الطويل)¹

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ونم خد الطرس بالنفس راقمه
نبي له فضل على الناس كلهم مفاخره مشهورة ومكارمه

قال: وفي هذه القصيدة على ما بها من إجادة تعقب من وجوه منها التضمين وهو من عيوب الشعر. ثم أخذ عليه غير ذلك تتعلق بالضمير وغيره.
فرد عليه ابن رشيد بقوله:

هذا ما قاله صاحبنا جريا على عادته، عفا الله عنه، من انتقاص الافاضل واعتساف المجاهل وترك الصافي الزلال وورود الكدر والعكر من المناهل وكل ما قاله فاسد، وبالرد والنقد عليه عائد.

أما التضمين الذي ادعى أنه عيب فليس بهذا وإنما العيب الذي ترجم له أهل القوافي، وهو ما كان بين القافية وصدر البيت الذي يليها.. وأما التضمين الذي فعله الشيخ فسييل مفيدة وطريق مستحسنة عند العرب والمولدين المتقدمين منهم والمتأخرين، إنما أوقعه في ذلك عدم معرفته باللفظ المشكك والمشارك.

وأما ما ادعاه من الإيطاء فغلط وقر في سمعه أو في خطه عند كتبه، ووضع، وإنما قاله الناظم في البيت السادس... وهو الذي ألزم به النقد هذا الناقد المتعسف.
ومن الملاحظات البلاغية أيضا ما عقب به ابن رشيد على شعر وقعت في أحد أبياته تشبيهات عشر، وذلك نادر².

ويتحصل لنا مما تقدم أنه بالرغم من قلة الاحكام النقدية الواردة في رحلة ابن رشيد وقلة المطلحات البلاغية، يبدو ذا باع في هذا المجال، لأنه كان معتدا بأحكامه النقدية التي يغلب عليها الذوق الفني، ويقل فيها التحليل والتعليل، ويتميز بعضها

¹: الذيل والتكملة سفر 1 قسم 1-331 وفتح المتعال باب 3.

²: انظر ترجمة 162 من هذا البحث.

بالتعميم، ومع ذلك فإن هذه النماذج على قلتها تعكس نظراته النقدية، وتفيدنا شيئا عن مشاركته في هذا المجال، ومن خلالها نلاحظ أيضا وقوفه أحيانا موقف الدفاع كما هو حاله مع ابن المرحل وكذا الإدلاء بدلوه في بعض الخصومات التي عرفها عصره. ولا شك في أنه لو عثرنا على كتبه الأدبية والبلاغية لاستفدنا كثيرا منها، ولكن ذلك أيضا متمما لما عرفناه عند حازم القرطاجني وغيره من أصحابه كابن البناء والقاسم بن الشاط وأبي بكر القلوسي وغيرهم.

جـ- أهم المصطلحات

- البلاغة والنقدية الواردة في رحلة ابن رشيد

وهذا مجمل بأهم المصطلحات البلاغية والنقدية، وقد أوردتها مرتبة ترتيب المعجم مشيراً إلى الأجزاء والصفحات الموجودة فيها، وحددت شيئاً عن الموضوع الذي وردت من أجله، وقد توخيت بإيرادها إعطاء فكرة عامة عن المفاهيم البلاغية والنقدية في عصر ابن رشيد خاصة.

- أ -

الابداع	الرحلة	48/3	في شعر ابن الخيمي
الاستعارة	"	40/6	هل الشعر يتضمن من محاسن
			البيان ما لا يكاد يوجد إلا فيه ولا
			يؤخذ إلا من محاسن الاستعارة في
			القرآن والحديث وكلام الأئمة وفي
			الشعر.
الإشارة اللطيفة	"	73/5	شعر أبي عبد الله الأنصاري المري
الاشتراك	"	68/3	مناقشة في الدرر.
الاضمار	"	13/6	في كتاب أمثلة التعارضات للفخر
			ابن الخطيب.
الإطالة والإطناب	"	7/6 و 8/5 و 37/6	في شعر أبي يعقوب بن السماط.
الاغراب	"	48/3	في شعر ابن الخيمي.
الاقتباس	"	80/6	في رسالة أبي الحسن بن رزين.
الالتفات من	"	39-38/6	في مناقشة الاستعارة.
الكناية إلى المخاطبة			

- ب -

البدیع	الرحلة	43/6 و 73/5	البدیع المحتوي على صنائع وبدائع من بعضها التجنیس والترصیع في نثر ابن حبيش، والبدیع الحالي بالمقابلة والترصیع في شعر المربي.
الكلام البدیع	"	771/6	في التجنیس، عند ابن القويح.
سحر البيان	"	7/2	في شعر أبي عبد الله بن الحكيم.
علم البيان	"	33/7	في مقدمة كتاب أبي العباس ابن الحاج النحوي الحافلة بعلم البيان.
محاسن البيان	"	18/6	في الاستعارة.
في الشعر			
المسألة البيانية	"	117/6	مناقشة بين ابن رشيد وابن القويح.
التي تتعلق بالقوافي			
بيت القصید	"	42/6	في شعر أبي بكر بن حبيش

- ت -

التتميم	"	43/6	
التجنيس	"	43/6 و 80/6 و 117/6	في كتابة ابن حبيش
تجنيس الاشتراك	"	18/6	مناقشة ابن القويح
تجنيس الاشتقاق	"	18/6	" " "
التجنيس الكامل	"	117/6	

التجنيس المستوفى	الرحلة	88/6	انشاد ابن رأس الحجلة
طريقة التجنيس	"	10/3	شعر يوسف القماح
التخصيص	"	13/6	أورده الفخر بن الخطيب في كتابه أمثلة التعارضات (المجاز والاضمار والتخصيص)
التخيل الحسن	"	27/2	شعر أبي المطرف أحمد بن الحسين
التحليل في التخيل	"	48/3	في شعر ابن الخيمي والغزالي
التخيل والمغالطة بالوصف المشترك	"	48/3	في شعر أبي المطرف أحمد بن الحسين
الإشارة إلى التخلص من إقامة الحجة	"	48/3	مكرر في شعر ابن الخيمي والغزالي
الترصيع	"	43/5	في شعر ابن حبيش
	و	80/6	
التشبيه البديع	"	75/6	في شعر ابن الرومي
تشبيه ذات شيء بشيء لوجود شبه جامع بينهما	"	13/5	في شعر ابن رزبن
التشبيه بين الحال والحال	"	13/5	في شعر ابن الرومي
المجاز التشبيهي	"	68/3	مناقشة في الدرع
ذكر المشبه دون ذكر المشبه به	"	14/6	
تشفيق الحقيقة بالمجاز	"	36/7	في بحث السبب والمسبب
التصريح	"	48/3	مكرر

التضمين اللفظي	"	117/3	مناقشة ابن رشيد وابن القوبع مسألة
	"	و 118/3	التجنيس
	"	و 73/6	
التطبع بأنواع الكلام	"	16/2	عند أبي بكر بن جابر الانصاري
	"		المعروف بالسقطي
التعجيب	"	48/3	في شعر ابن الخيمي
التعريض الخفي	"	71/5	في شعر ناصر الدين المنيأوي
التكذيب	"	48/3	العدول عن التصريح بالتكذيب إلى
	"	مكرر	رديف يدل عليه) في شعر ابن الخيمي
التكلف	"	15/7	(السلامة من كلف التكلف في شعر
	"		أبي الفضل التجاني
التلاؤم في أجزاء القصيدة	"	80/5	عدم التلاؤم في شعر جمال الدين
	"		محمد البزاز
تناسق الأبيات	"	80/5	في شعر جمال الدين البزاز
التنافر	"	45/6	نقد ابن حبيش لبعض الشعر
التورية البديعة والرائعة	"	73/5	
التورية والانطباع	"	36/7	توريات حازم القرطاجني
طرق التورية المستغربة الرحلة	"	73/5	

— ج —

ما يجوز وما لا يجوز للشاعر	الرحلة	36/7	إن لودعية الادب ربما دعت صاحبها إلى ما لا يجوز، (ابن رشيد عن أبي الفضل التجاني)
الجزالة والحلاوة	"	81/6	مقارنة بين جزالة حازم وحلاوة ابن حبيش
الجودة	"	74/5	النثر الجيد لأبي عثمان الاكوبي

— ح —

الحقيقة والمجاز	"	15/6	التجوز في اطلاق السبب على المسبب
الحلاوة	"	80/5	في شعر البزاز وابن حبيش
		و 40/6	
		و 81/6	

— ر —

الرونق والماء والصفاء	الرحلة	40/6	في شعر ابن حبيش
-----------------------	--------	------	-----------------

— س —

السبب والمسبب	الرحلة	15/6	تشفيح الحقيقة بالمجاز
السهل الممتنع	"	و 4/7	(السهل البديع والممتنع الرفيع في شعر أبي بكر بن رفاعة)
		89/6	

— ش —

شرف الصنعة	الرحلة	73/5	شعر المريبي
شعره دون فصاحته	"	11/3	أبو العباس أحمد بن منصور الجذامي

— ص —

الصنعة وشرفها	الرحلة	73/5	شعر المريبي
الصناعة اللفظية	"	40/6	شعر ابن حبيش
الصفاء والماء والرونق	"	40/6	في شعر ابن حبيش

— ض —

الضعف والسهولة	الرحلة	40/6	شعر أبي عبد الله الأنصاري ضعيف ولكنه سهل
----------------	--------	------	--

— ط —

الطراز العالي	الرحلة	27/2	شعر ابي المطرف بن الحسين
العبارة الطريفة	"	73/5	شعر المريبي
الطلاوة وحسن الموقع	"	15/5 و5/80	في شعر المعري والبزاز وفي مناقشة التصغير

— ظ —

الأدب والظرف	الرحلة	48/3	شعر ابن الخيمي مكرر
--------------	--------	------	------------------------

— ع —

عذوبة المطالع	الرحلة 46/3	شعر ابن الحيمي
العيب	40/6 "	المجيد من الكبرياء من حُسِبَت عيوبه في شعر أبي بكر بن حبيش

— ف —

النفي الفرضي	الرحلة 67/5	عند حازم القرطاجني في مناقشة السبب والمسبب
--------------	-------------	---

— ق —

في كل قصيد بيت وفي كل بيت قصيد	الرحلة 42/6	شعر ابن حبيش
--------------------------------------	-------------	--------------

— ك —

الكناية	الرحلة 39/6	الاتفاف من الكناية إلى المخاطبة في القرآن الكريم
---------	-------------	---

— ل —

اللطافة	الرحلة 80/5	في شعر البراز
اللفظ والمعنى	34/6 "	في تعليم ابن رشيد ابنه والتذييل على القرآن و36/7 الكريم بالشعر

الماء	الرحلة 40/6	في شعر ابن حبيش
المجاز	" 13/6	
	و 44/5	
	مكرر	
المجاز التشبيهي	" 68/3	مناقشة الدرع والاشترك فيها
تشفيح الحقيقة	" 15/6	في مناقشة السبب والمسبب
بالمجاز		
تعارض المجاز	" 14/6	في مناقشة السبب والمسبب
المعنى واللفظ	" 34/6	سرعة الحفظ وتام المعنى والعلاقة بينهما. في تعليم ابن رشيد ابنه مجموعة من الاحاجي والالغاز
قلب اللفظ والمعنى	" 36/7	التذييل على القرآن الكريم بالشعر
المغالطة	" 48/3	في شعر ابن الخيمي والغزالي
المقابلة والموازنة في	" 40/6	في شعر أبي بكر بن حبيش
المصراع		
المقطع الحلو	" 46/3	في شعر ابن الخيمي

جودة النظم	الرحلة 71/5	في شعر ناصر الدين المنياوي
وخفاء التعريض		
فيه		
النظم البارع	" 7/6	في شعر ابن السماط

النظم البديع " 74/5 في شعر السراج عمر الوراق
والنسج الرفيع
النفي الفرضي " 67/5 عند حازم القرطاجني

— و —

الوصف المشترك الرحلة 48/3 في شعر الخيمي والغزالي
حسن الموقع " 15/5 في مناقشة التصغير
والطلاوة

وينبغي هنا أن نذكر هنا كذلك تلك المصطلحات الواردة في أجزاء الرحلة غير الموجودة، إذ إننا لو ألقينا نظرة على ما أثبتته أبو العباس المقري في فتح المتعال¹، وما ذكره ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة، ينتج لنا من خلال ذلك بعض المصطلحات النقدية والبلاغية الأخرى ومنها (مرتبة على حروف المعجم):

الاقتنان، الانصاف في النقد — مذهب أهل البيان — تجاهل
العارف — الترصيع — التشبيه — التصريع — التعسف في النقد: التكلف
— الفصاحة — طريقة العرب المتقدمين — نقل اللفظ وقلب المعنى — اللفظ
المشكك والمشارك — مذهب ابن المعتز — المعنى البديع — المعنى الحسن
والسائغ — تكرير المعنى — نقل المعنى نقلاً بديعاً — طريقة المولدين
المتأخرين.

¹ : انظر باب 3.

المبحث الرابع : النحو

كان ابن رشيد يعتبر النحو علما شريفا يرفع العارف به ويذل الجاهل له، ذلك ما رآه عند ذكر شيخه الصالح المبارك أبي عبد الله محمد بن ابراهيم القيسي السلاوي الرحالة الذي اختص بخدمة الشيخ أبي الحسن الحرالي، وهو بالرغم من أنه كان قد استملى كثيرا من كتبه وحفظ جملة من كراماته وشاهد منها، كان لا يقيم الاعراب حق اقامته، فذل ذلك به.¹ وهذا يذكرنا بذلك الصراع الذي كان قائما بين أنصار النحو الذين يرون ضرورته في اتقانه وتعلمه لصيانة اللسان من الخطأ، وبين المتساهلين في أمره والتقييد بقواعد الاعراب² وقد قال أبو الطيب النحوي: إن أحوج إلى التعليم الاعراب، والذي لا يقيم ذلك فهو ضال.³

ولهذا لم يهمل ابن رشيد هذا العلم المهم في رحلته، فقد عرض لذكر بعض النحويين، وناقش شيئا من المسائل التي تتعلق بالنحو والصرف، واهتم كثيرا بالسند الذي يصله بأكبر النحويين القدامى كسيبويه، وكتابه الذي يعد مفخرة من المفاخر التي اعتمدها هو وكثير من شيوخه في علم النحو ونخص بالذكر منهم أبا الحسين بن أبي الربيع وأبا جعفر الفهري اللبلي وابن النحاس الحلبي.

ونحن ندرك مقام ابن رشيد في هذا العلم، من خلال ما وصفه به بعض شيوخه، وأصحابه من بعض الإشارات الواردة في الرحلة وكل ذلك يعطينا صورة جلية عن نبوغه وعلو كعبه في هذا الفن.

فقد وصفه أبو اسحاق بن حبي القرموني بالسيد الجليل والصاحب الخليل الذي برز في نحوه على الخليل⁴ . وقال عنه ابن الطواح: إن نحوه يميل لنحو شيخه ابن أبي الربيع⁵ . ثم إن ابن رشيد كان قد استندرك على أبي العباس الكتاني، وكان جماعة لكتب ابن عصفور، إذ ذكر بعض الكتب التي أغفلها، وهي تعد من أجلها⁶ . ونستنتج

¹ : الرحلة 41/2

² : النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفاي ومعاصريه ص: 178.

³ : مراتب النحويين 23.

⁴ : الرحلة 104/6 .

⁵ : سبك المقال 90.

⁶ : الرحلة 92/6 وترجمة 67.

من ذلك أن ابن رشيد كان كذلك جمّاعة لكتب النحو ونفائسه، ثم إنه كان ذا مذهب معين معروف به عند علماء الأدب واللغة والنحو.

ابن رشيد وكتاب سيبويه

لما كان الأندلسيون يأخذون من النحو البصري¹ ممثلاً في كتاب سيبويه، ويأخذون من النحو الكوفي ممثلاً في كتاب الكسائي، ومن نحو البغداديين ممثلاً في أبي علي القالي، فإن النحو عندهم كان في نهاية من علو الطبقة².

وممن شرح كتاب سيبويه من شيوخ ابن رشيد وأصحابه: أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي وأبو الحسن علي بن الضائع الكتامي وأبو جعفر الفهري اللبلي وأبو عبد الله بن حيان الغرناطي. ولما كان للشلوبين، تلميذ السهيلي والجزولي، تعليق على كتاب سيبويه، فإن من تأثر به من شيوخ ابن رشيد أبو الحسين بن أبي الربيع الذي كان من أوثق التلاميذ صلة به³ وكذلك ابن الضائع الكتامي الحضار، ثم إن الشلوبين هذا كان يقف تارة مع سيبويه والبصريين، وتارة مع النحويين الآخرين من موطنه وغير موطنه⁴ ولهذا كله نجد أن ابن رشيد كانت تصب فيه رواقد النحو البصري والكوفي معاً، ونتيجة لهذه المؤثرات كلها ظهر الدافع القوي إلى شرح ابن رشيد لكتاب سيبويه أسوة بالشيوخ السابقين⁵. ثم إننا نلاحظ أن له في الرحلة أسانيد متصلة في ذلك ونذكر طرقاً منها فيما يلي:

1- سند ابن رشيد في كتاب سيبويه⁶

قال ابن رشيد⁷: أنبأنا بجميع كتاب سيبويه إذنا معينا فيه الشيخ الامام:

بهاء الدين بن النحاس الحلبي يوم الخميس 25 رجب 684 هـ.

¹ : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم مكرم ص 164.

² : نفسه ص 163.

³ : المدارس النحوية لشوقي ضيف 317 وانظر ترجمة من لقيه بسببته و ترجمة 8.

⁴ : المدارس النحوية 302.

⁵ : كشف الظنون 1426-1428.

⁶ : الرحلة 28/3.

⁷ : نص ابن رشيد في رحلته على أن كتاب سيبويه من كتب النحو واللغة والادب والشعر.

عن علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد اللورقي الاندلسي في مجالس آخرها يوم
الثلاثاء 3 رجب 655 هـ بدمشق

عن تاج الدين أبي اليمن الكندي

عن عبد الله بن علي بن أحمد سبط أبي منصور الحياط ما بين سنة 633 هـ و635 هـ،
بقراءة أبي سعيد الانباري.

عن أبي الكرم المبارك بن فاخر سنة 495 هـ.

عن أبي القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان سنة 455 هـ.

عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن شاهوويه النحوي.

عن المبارك بن فاخر قراءة عليه سنة 455
هـ في رمضان، وعلي بن أبي الحسن
الزعفراني بالبصرة.

عن أبي القاسم علي بن عبيد الله
الدقيقي سنة 411 هـ و412 هـ

عن أبي علي الفارسي

عن أبي الحسن علي بن عيسى
الرماني النحوي

عن أبي بكر بن السراج

عن أبي العباس محمد بن يزيد الميرد

عن أبي عمر صالح بن اسحق الجرمي، وأبي بكر بن محمد المازني

عن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش

عن سيبويه.

— 2 — ابن رشيد¹

أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (أحد مشاهير أصحاب أبي علي الشلوين
أبو علي الشلوين (باشيلية أعادها الله)
الحافظ ابن الجد

ابن الاخضر (سماعا ثم ذكر سنده المعلوم

— 3 — ابن رشيد²

عن أبي جعفر الفهري اللبلي
عن أبي الحسن بن الدباج (باشيلية)
عن أبي بكر بن أبي ركب
أبو بكر بن حرب

أبو القاسم بن الرباك — وأبو الحسن علي بن مُسَلِّم النحوي

نا . عبد الله بن أبي العافية

نا . ابن الاخضر

الاعلم

ابن رشيد³

عن أبي جعفر اللبلي (قال وسمعت بعضه وأجاز لي سائر بسبته)
أبو القاسم بن رحمون (قراءة)

¹ : الرحلة 30/2.

² : نفسه.

³ : نفسه.

عن أبي الحسن بن خروف

عن أبي بكر بن طاهر

— 4 — ابن رشيد¹

أبو جعفر اللبلي (قال وقرأت بحروسة مصر من أول الكتاب إلى أبواب ما لا ينصرف، وأجازني سائره.)

ناصر الدين أبو الفتوح ناصر بن ناهض المعروف بالحصري

عن أبي محمد عبد الله بن بري النحوي المقدسي (إمام النحاة بسنده المذكور في برنامجه)

— 5 — ابن رشيد²

عن أبي جعفر اللبلي (قال وقرأت جميعه من أوله إلى آخره بدمشق

على علم الدين بن القاسم اللورقي، قراءة بدمشق

على تاج الدين أبي اليمن الكندي (قال سمعته مرتين)

على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد الحياط (قال سمعته قراءة سنة 535 هـ)

على أبي الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سنة 495 هـ

على ابن شاهويه النحوي

على أبي الحسن الزعفراني

على الفارسي

على أبي القاسم عبد الواحد

ابن برهان النحوي سنة 425 هـ

¹ : الرحلة 30/2.

² : الرحلة 30/2.

على أبي القاسم الدقيقي سنة 421 هـ

على أبي الحسن الرماني

على أبي بكر محمد بن السري السراج

على أبي العباس الميرد

على أبي عمر صالح بن اسحق الجرمي وعلى أبي عثمان بكر بن محمد المازني

على أبي الحسن الاخفش

على سيبويه

الحديث المسلسل بالنحاة والأدباء

كان ابن رشيد يحرص على ايراد بعض النوادر في رحلته، ولهذا ذكر السيوطي¹ أنه وقف على الرحلة بمكة وعلق منها فوائد واستفاد منها الحديث المسلسل بالنحاة. وأما الحديث فهو:²

سيد أ د م الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريجان أهل الجنة الفاغية. والفاغية الحناء. وأما السند فقد أورده على هذا النحو:

1- ابن رشيد في 7 جمادى الاخرى 686 هـ

2- عن أبي عبد الله بن عياش الانصاري الخزرجي القرطبي

¹ طبقات الحفاظ ص 525 ترجمة 1154.

² الرحلة 54/7 (مسلسل بالأدباء).

- 3- عن أبي القاسم بن الطيلسان
 - 4- عن أبي جعفر بن يحيى الأديب (بمسجد بدر بقرطبة)
 - 5- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي الأديب
 - 6- عن أبي مروان عبد الملك بن سراج الأديب
 - 7- عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن الأفليلي
 - 8- عن أبيه
 - 9- عن قاسم بن أصبغ
 - 10- عن أبي محمد عبد الله بن قتيبة
 - 11- عن أحمد بن الحليل
 - 12- عن الأصمعي
 - 13- عن أبي هلال الراسي
 - 14- عن عبد الله بن بريدة
 - 15- عن أبيه بريدة الأسلمي
- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيد آدم الدنيا...¹

بعض المناقشات النحوية

واضع علم النحو

من الفوائد التي رواها ابن رشيد عن شيخه أبي عبد الله بن عياش مسألة وضع علم النحو² وهي على ما فيها من الخلاف تضارب الآراء قد وردت في كتب كثيرة إشارات إلى أن واضع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي، ثم إنها كانت تورّد بعض

¹ : نبه ابن رشيد على أن رجال هذا الحديث كلهم أدباء إلا شيخه ابن عياش، وكتب في الهامش إشارة تدل على أنهم كلهم من الأصمعي أدباء.

² : الرحلة 55/7.

الآراء المخالفة لذلك الرأي، ومن أصحاب تلك الكتب ابن النديم¹ وأبو أحمد العسكري² والفارسي³ وأبو الطيب اللغوي⁴ والسيوطي⁵ وسعيد الأفغاني⁶ والدكتور فتحي الدجني⁷.

وابن رشيد لم يعقب على رواية أستاذه ابن عياش الذي ذكر له سنيين أولهما مرفوع إلى ابن أبي النجود، وثانيهما مرفوع إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى، وفي كل منهما: أن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي⁸ وأما سلسلة السنيين فهي كالتالي:

روى ابن رشيد⁹ عن ابن عياش عن أبي القاسم بن الطيلسان عن أبي جعفر النحوي عن ابن سمحون النحوي عن ابن عتاب عن أبي عمر النمرى عن أبي الفتح ابراهيم بن سَيْبَخْت الكاتب عن ابن الانباري عن عمر بن شبة عن حيان بن بشر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي.

ومما رواه ابن رشيد¹⁰ أيضاً عن أبي عبد الله بن عياش، وبالإسناد المتقدم إلى عمر بن شبة قال حدثني التّوزي¹¹ قال سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى¹² يقول أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الاقرن ثم عنبة الفيل¹³ ثم عبد الله بن أسحق¹⁴ وقال ووضع عيسى بن عمر¹ في النحو كتابين سمي أحدهما الجامع والآخر المكمل فقال الخليل بن أحمد².

¹ : الفهرست 65-66.

² : المصون في النحو 118.

³ : الايضاح في علل النحو 89.

⁴ : مراتب النحويين 24-25.

⁵ : المزهر 397/2-398.

⁶ : في أصول النحو 161.

⁷ : أبو الأسود الدؤلي 160.

⁸ : كتب في الرحلة على الهامش: قف على ذكر من وضع النحو أولاً على ما فيه من الاختلاف.

⁹ : الرحلة 55/7.

¹⁰ : الرحلة 56/7.

¹¹ : مراتب النحويين 122.

¹² : نفسه 77-78.

¹³ : نفسه 30.

¹⁴ : نفسه 31-32.

بطل النحو جميعا كله³ °°° غير ما أحدث عيسى بن عمر⁴
ذاك اكمال وهذا جامع °°° فهما⁵ للناس شمس وقمر

وبهذا نستطيع أن نقول إن ابن رشيد لم يضيف شيئا إلى ذلك الخلاف الذي كان
واقعا في مسألة وضع النحو، ولم يدل برأيه فيه، إلا أن في هذا النص بعض الفوائد التي
نستخلصها، وهي أن في السند الأول سلسلة من الرواة الذين يضاف عددهم إلى ما
عرفناه من مساهمة النحاة المغاربة والأندلسيين إلى جهود النحو العربي، وهي جهود لا
ينكرها التاريخ.

مناقشة في الحرف ومعناه

لما حضر ابن رشيد مجلسا من مجالس أبي المعالي محمد بن محمود الأصبھاني،
إمام وقته في النظريات والخلافات... جرى الكلام بين يديه في قولهم "الحرف ما دل
على معنى في غيره، أو الحرف لا يستقل بالمفهومية"⁶. فقال ما معناه: إن مرادهم بذلك
أن الحرف لا يدل على معنى المفرد إذا لم يذكر متعلقه⁷ وعندما سمع ابن رشيد منه ذلك،
أبدى معارضته، فضايقه في المناقشة، وكأنه لم يقتنع بما ذهب إليه أبو المعالي، وبالرغم من
أنه ليس بين أيدينا نص تلك المضايقة وتفصيلها يرجح أن يكون ابن رشيد عرض على
الأصبھاني ذلك الرأي الذي يخالف رأي ابن الحاجب وجميع النحاة فلقد أتى بهاء الدين

¹: نفسه 43.

²: انظر الابيات في كتاب مراتب النحويين 46-47 مع الملاحظة أن هناك اختلافا في رواية نص الأبيات.

³: مراتب النحويين 46-47: بطل النحو الذي جمعت.

⁴: نفسه: غير ما ألف عيسى بن عمر.

⁵: نفسه: وهما.

⁶: الرحلة 86/3.

⁷: هناك كتب كثيرة ذكرت أن الحرف يدل على معنى في غيره ومنها الكافية في النحو 7/1 والمقرب لابن عصفور

45/1 وشرح شذور الذهب 13 وشرح المفصل لابن يعيش 2/8 وشرح ابن عقيل 15/1 والإيضاح للفارسي 59

(الحرف لا يستغني عن جملة يقوم بها) الاحكام للآمدي 85/1. التقسيم الثلاثي للكلمة للدكتور الحلواني 5 والمورد م9

ع 1980 (بين منطق أرسطو والنحو العربي).

أما سيبويه فيقول في كتابه: وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فهو الحرف.

ابن النحاس بما خالف به جميع النحاة بقوله "إن الحروف يدل على معنى في نفسه" وهذا خرق لذلك الاجماع¹.

وقد ذكر ذلك بعد أن علق على المقرب لابن عصفور² ولا شك في أن ابن رشيد كان على علم بهذا الخرق، لأن ابن النحاس كان ممن أثر في اتجاه تلميذه ابن رشيد عندما اتصل به في القاهرة وحضر مجالسه العلمية³ بل يمكن أن ننظر في هذه المسألة إلى أبعد من ذلك، وهو أن ابن النحاس تأثر في هذا الرأي بأستاذ النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي السبتي، وذلك في كتابه القوانين⁴، فقد قال فيه: "وأما الحرف فكل ما جاء لمعنى في غيره ولا يمكن وصفه أن يسند ولا يسند إليه، ويأتي الحرف لمعنى في الاسم ومعنى في الفعل ورباطا بين اسمين ورباطا بين فعلين ورباطا بين اسم وفعل ورباطا بين جملتين وداخلا في التركيب، وزائدا وملغى". ويمكن أن نقول إن ابن رشيد كان متأثرا أيضا في هذا الرأي بابن أبي الربيع مباشرة لما كان طالبا عنده في سبتة.

ويظهر من تعريف ابن أبي الربيع أيضا أنه يحمل معنى ما عرف به سيبويه الحرف. ونلاحظ في كلا التعريفين احتياطا بما قد يثار من مثل هذه المناقشات والخلافات، وذلك ظاهر في قول سيبويه "جاء لمعنى" ووقف عند هذا الحد. بينما زاد ابن أبي الربيع تفصيلا وشرحاً، ونظر إلى الحرف في معناه المستقل وفي معناه في التركيب كما هو ملاحظ في شمولية تعريفه.

ولما سمع الاصفهاني رأي ابن رشيد فسح على نفسه بأن قال: "وهذا راجع إلى النقل عما فهم عن العرب، وقد نقله ابن الحاجب وهو معتمد فليعتمد"⁵.

وبعد هذا سكت ابن رشيد تأدبا، ولم يقنعه جوابه، وظن أن الشيخ قصد دفعه عن المكالمة، على أنه كان جميل البر حفيه وحفيله ولكن تبين له بعد ذلك أن الشيخ لم يقصد إلى ذلك.

¹: همع الهوامع 4/1.

²: كتاب المقرب 46.

³: انظر ترجمته فيمن لقيهم بمصر.

⁴: كتاب القوانين النحوية رقم 512 مخط القرويين. وانظر كتاب الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي فصل 1 ص 20 وما بعدها.

⁵: الرحلة 88/3.

ويظهر أن ابن رشيد لا يؤيد التقليد الحرفي للعلماء السابقين وإن كانوا معتمدين مثل ابن الحاجب¹ وإنما يتحاكم في ذلك إلى العقل والبرهان، ولا يرجع فيه لا إلى اجماع ولا إلى سابق سند ولا قديم ملة، وإن اجماع النحويين لا يكون حجة، لأن كل واحد منهم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع².

وقد اعتمد ابن رشيد على رأي الامام شرف الدين التلمساني بأن قال: "إن معنى المفهومية الافراد، فإن التقسيم في المفرد، وهذه الألفاظ وإن افتقرت إلى الاضافة فليس ذلك إلا في فهم معناها الترتيبي التقييدي." وذلك بعد أن أورد بعض الأسماء التي لا يفهم معناها دون متعلقاتها نحو كل وبعض وتحت وفوق وغير.

ومع ذلك فقد رأى ابن رشيد أن ابن الحاجب أقر باستشكال حد الحرف فقال بما في الوافية بنظم الكافية:

فإن يكن معناه لا في نفسه °°° فالحرف وهو مشكل في نفسه

ورأى ابن رشيد أن حاصل تحديدهم الحرف يقتضي أنهم يدعون على العرب أنها لم تضع حروف المعاني قبل الاستعمال ثم استعملتها كما قد يظن في الأسماء والأفعال أو أكثرها، بل وضعت الحرف مقرونا بالاستعمال، ولغرض الدعوى عدلوا عن التصريح بهذا القدر³

ويرى أن تحديد معنى الحرف قد عجز عنه أكابر علماء المعاني كحازم القرطاجني فيقول: "وبشبه أن يكون بحر البلغاء وحير الأدباء أبو الحسن حازم رحمه الله أراد الإشارة إلى هذا المعنى إذ قال: إن وضع الحروف في الكلام كالرباطات⁴ في الجسد التي تجمع العضل إلى العظم. هذا أو نحوه، ولعسره لم يزد الإمام أبو بشر في

¹ : ابن خلكان 248/3: خالف ابن الحاجب النحاة في مواضع، وأورد عليهم اشكالات والزامات تبعد الاجابة عنها.

² : الخصائص لابن جني 326/2.

³ : نفسه: باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني 215/1.

⁴ : شرح شذور الذهب: الذات أي الاسم، الحدث أي الفعل، الرابطة أي الحرف.

الكتاب على أن قال بعد تعيين الاسم بالمثال والفعل بالحد، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها¹.

ونستنتج من تلك المناقشة التي جرت بين ابن رشيد وبين الاصفهاني أن ابن رشيد كان قوي العارضة في النحو، وإن لم يكن من أولئك الذين يقولون بما قال الأولون دون إبداء الرأي فيه لتصويبه، أو للاستقلال بالنظر، وليس بين أيدينا شرحه لكتاب سيبويه ليتجلى لنا الأمر أكثر، لأن غاية ما يوجد في هذا النص هو نفسه الذي في كتاب سيبويه.

ثم إن ابن رشيد كان يمزج بين طريقة النحويين والاصوليين، وذلك في استعمال بعض مصطلحاتهم كالمفهومية² مثلاً.

استعمال "أرأيت" مع "أي" الاستفهامية

ومن تلك المسائل³ ما أنشده أبو عبد الله بن هشام السبتي اللخمي⁴، من الاستدلال على جواز ما أنكره سيبويه بأن "أرأيت" لا تلي الاستفهام⁵ قال أنشده الفارسي في تذكرته ولم يجز فيه إلا الرفع:

أرأيت أي سوائف عرضت لنا قطعن أكبادا لنا وقلوباً

قال ومثل هذا بيت حبيب⁶

أرأيت أي سوائف وخود عنت لنا بين اللوى وزرود⁷

¹ : نقل ابن رشيد عن سيبويه بنصه 12/1.

² : الاحكام في أصول الاحكام الأمدي 375/2.

³ : الرحلة 96/6.

⁴ : هو محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي الاندلسي توفي سنة 570 هـ وقد قال ابن الطواح إن نحو ابن رشيد بعيد

عن فك معمي الامامين ابن عصفور وابن هشام هذا. سبك المقال 90.

⁵ : انظر في هذا الشأن أيضا البرهان في علوم القرآن 154/4.

⁶ : الديوان 384/1 القصيدة 37 وهي في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد.

⁷ : نلاحظ أن محقق الديوان لم يضبط الشاهد (أي)، وإنما كتب الشدة فوق الباء فقط: وأظن أنه أراد بذلك الخروج من الخلاف.

قال ولا يجوز أن تكون في البيتين موصولة من حيث اضافتها إلى النكرة والموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة كقوله تعالى: "أيهم أشد" ².

وإنما امتنعت اضافتها إلى النكرة من حيث إنها توجب تنكير الاسم باضافته إليه، والصلة توضحها وتعرفها، فيؤدي إلى أن يكون الاسم نكر معرفة في حالة واحدة وهذا مما لا يكون.

ولم يعقب ابن رشيد على هذه المسألة بشيء، ويحتمل أن يكون رأيه مراقفا لما أورده ابن هشام السبتي. وإذا تتبعنا آراء غير أولئك من النحويين، كابن هشام صاحب المغني، والسيوطي، وجدنا الأول يرى أن "أي" الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة. وقد استند في ذلك إلى رأي أبي عني في تذكرته كما رأينا سابقا، ثم إنه أتى بشاهد وهو بيت أبي تمام السابق الذكر، وقال لا تكون فيه "أي" موصولة لاضافتها إلى نكرة ³ وأما السيوطي فيرى أن أي الموصولة يشترط فيها أن تضاف إلى معرفة لفظا أو نية، بينما أجاب بعضهم اضافتها إلى النكرة، ومنع الجمهور ذلك، لأنها حينئذ نكرة: والموصولات معارف، فلا تكون معرفة ونكرة في آن ⁴.

فعل الأمر المؤكد

ومن تلك المناقشات ⁵ أيضا ما رآه ابن رشيد معلقا بخطه من الفوائد المستفادة من قبل أبي الحسن بن عصفور، مما أخذه عن قول بعض أصحابه التونسيين، فقد أنشد ابن عصفور مستدلا على أن أصل فعل الامر المؤكد بإحدى النونين بناء آخره على حركة، وإنه لم يكن ساكنا ثم تحرك لالتقاء الساكنين مثل قول الشاعر:

قلا تلقيا ضيما مخافة بيتة °°° وموتن بها حرا وجلدك أملس

¹ : الديوان: فزروء.

² : قال تعالى: "ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا" مريم 69. انظر مسألة اشكال اعرابها، وخطاً سيبيويه في ذلك وأقوال النحاة فيها: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 133/11-135 وانظر أيضا في اعرابها كتاب اللباب في النحو لعبد الوهاب الصابوني ص: 62.

³ : المغني 83/1.

⁴ : همع الهوامع 74/1.

⁵ : الرحلة 96/6.

قال فلو كانت حركة التقاء الساكنين لما رددت المحذوف، ولكنك تقول (وَمُتَن) كما تقول (خَفِ القوم) فلا ترد المحذوف.

ويظهر من خلال هذه المناقشة أن حرف العلة الذي لم يحذف في (موتن) يدل وجوده على أن الحركة في التاء ليست حركة طارئة، لأنها جاءت لتحريك الساكن، وإنما كانت حركة بناء حملا على بناء فعل المضارع بالفتح حين يتصل به نون التوكيد، ويمكن القول إن هذه المسألة ينبغي اضافتها إلى ما كتبه ابن عصفور في كتابه المقرب عن نوني التوكيد¹.

ومما وجده ابن رشيد أيضا متصلا بتلك الفوائد: قال: "فأما خطاها كما أكتب"² فتثنية خطأ، وتقديره خطاها كما قال الآخر:

ومتـــــــــــــــــنان خطـــــــــــــــــاتان ـــــــــــــــــ كزحـــــــــــــــــلوف من الهـــــــــــــــــضب³

قاعدة النسب إلى بني حنيفة، وأبي حنيفة.

ومن التنبيهات⁴ التي نبه عليها ابن رشيد ولم يعلق عليها برأيه، ما قاله الامام أبو عمرو بن الصلاح في النسب إلى بني حنيفة وإلى مذهب أبي حنيفة، قال وكان محمد بن طاهر المقدسي وكثير من أهل الحديث وغيرهم يفرقون بينهما فيقولون في

¹ : انظر المقرب لابن عصفور (باب نوني التوكيد الشديدة والخفيفة 73/2) والكتاب بتحقيق الجوالي والجبوري وانظر أيضا شرح شافعية ابن الحاجب 227/2-231 ط بيروت 1975.

² : انظر شرح شافعية ابن الحاجب 156/4-157 الشاهد 83.

لها متـــــــــــــــــنان خطـــــــــــــــــاتا كما ـــــــــــــــــ أكتب على ساعديه النمر

وهو لامرئ القيس، انظر الديوان 98 شرح السندوبي ولم يتعرض الشارح لهذا البيت لا من الناحية الأدبية ولا من الناحية الصرفية.

³ : شرح شافعية ابن الحاجب 156/4-159، وهو قول أبي دؤاد الأيادي وانظر كذلك نفس المرجع 230/2. وكذلك الممتع في التصريف لابن عصفور تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة 525/2، وفيه: أراد خطاها، وقد يجوز أن يكون تثنية خطأ، وخطا: ارتفع وتحرك.

⁴ : الرحلة 21/3.

المذهب (حنيفي) بالياء وفي بني حنيفة حنفي. وقال ابن الصلاح لم أجد ذلك من أحد النحويين إلا عن أبي بكر الانباري الامام، قاله في كتابه الكافي. ولمحمد بن طاهر في هذا القسم كتاب الانساب المتفقة.

لم يعلق ابن رشيد على هذا الكلام، وأغلب الظن أنه يقر هذا الرأي¹. وقد أورد هذا التنبيه عندما وقف في مقبرة وعلة على قبور ثلاثة من أئمة المذاهب الثلاثة وهم: أبو الخطاب الشافعي، وأبو بكر الطرطوشي المالكي، وأبو محمد بن ابراهيم الحنفي².

مناقشة في الدرع

ومن أثر البلاغة في التفكير اللغوي وما يتصل بذلك من معاني النحو عند ابن رشيد ما أورده في مسألة الدرع³، فقد ذهب بعض الاقدمين إلى تأنيثها كابن عبد البر وثعلب، وذهب بعضهم إلى تذكيرها وتأنيثها كالزبيدي في مختصر العين⁴. ومما ناقشه من تلك الآراء رأي ابن هشام السبتي في شرح الفصيح الذي يقول فيه:

"وكان بعض أشياخنا يقول: إنما ذكر درع المرأة وأنت درع الرجل لأن المرأة لباس الرجل وهي أنثى، فوجب أن تكون درعه مؤنثة، والرجل لباس المرأة وهو ذكر فوجب أن تكون مذكرة، وكان يحتاج على ذلك بقوله تعالى: "هن لباس لكم وأنتن لباس لهن"⁵

وقد علق ابن رشيد على هذه الآراء بقوله: الاحتجاج بهذا ضعيف، واطلاق الدرع على درع الحديد ودرع المرأة مقول بالاشتراك حقيقة فيهما، ووصف الله تعالى للنساء والرجال باللباس من بعضهم لبعض مجاز تشبيهي، فكيف يجعل أصلا في اطلاق الحقيقة؟⁶

¹ : قال ابن يعيش: تحذف الياء والواو من كل فعيلة وفعولة فيقال فيها: فعلي نحو قولك حنفي وشنني. شرح المفصل 146/5.

² : ومما يؤيد هذا الرأي أيضا ما وجده ابن رشيد في مختصر مشيخة المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي الأندلسي نزيل تلمسان، فقد ورد في هذه المشيخة اسم الزاهد أبي بكر محمد بن ابراهيم بن الحسن الرازي المعروف بالحنيفي المتفقة على مذهب أبي حنيفة، وله كرامات مشهورة. الرحلة 20/3 وانظر أيضا في هذا شرح شافية ابن الحاجب 20/2، ولم ينبه ابن عصفور على هذا في هذا الباب، انظر المقرب 68/2.

³ : الرحلة 68/3.

⁴ : مختصر العين 147/1 تقديم وتحقيق الدكتور نور حامد الشاذلي. عالم الكتب ط 1996.

⁵ : البقرة 186.

⁶ : في كتاب الشمانل المحمدية 326 الدرع مؤنثة وفي مقاييس اللغة: درع مؤنثة، وفي مختار الصحاح الدرع الحديد مؤنثة، وقال أبو عبيدة يذكر ويؤنث، ودرع المرأة قميصها وهو مذكر. وفي كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض: درع

وصفوة القول إن علماء المغرب والأندلس بعامة وعلماء سبتة بخاصة قد برزوا في كثير من المسائل ونخص بالذكر منها هنا ما يتصل بالادب واللغة والنحو، ولهذا أقترح جمع آراء أبي الحسين بن أبي الربيع في كتابيه القوانين والكافي اللذين يظهر فيهما شيء من الاستقلال بالرأي، وكذا آراء ابن هشام السبتي ومعمياته، كما يرى ابن الطواح في ترجمته لابن رشيد، وما ذهب إليه ابن حيان النحوي الذي درس على ابن أبي الربيع، والذي نجد له آراء نحوية كثيرة في كتابه تفسير البحر المحيط والبحر الماد، وقد خصته الدكتور خديجة الحديثي بدراسة مهمة في كتابها: أبو حيان النحوي. ويضاف إلى ذلك هذا النزر اليسير من مناقشات ابن رشيد وغير ذلك، وبذلك نستطيع أن نلاحظ شيئا من السمات المعينة من الاجتهاد والإبداع.

المرأة قميصها مذكر، وقيل مؤنث أيضا، ودرع الحديد أيضا مؤنثة وقيل مذكر أيضا. وفي المصباح المنير 192/1 درع الحديد مؤنثة في الأكثر، ودرع المرأة قميصها مذكر.

المبحث الخامس

العروض

لما التقى ابن رشيد بأبي عثمان سعيد بن جون المراكشي¹، بالمركب، على متن بحر الاسكندرية، وتعرف كل منهما بالآخر، جرى بينهما حديث جر إلى إثارة مسائل تتعلق بالادب: شعره ونثره، وعلم القافية والعروض، وكان مما قاله ابن رشيد: إن أبا عبد الله ابن عبد الملك المراكشي، صاحب الذيل والتكملة، ذكر له بسببته أن بعض الادباء صنع نظماً عجيباً في العروض يتضمن جميع أعاريضه وضروبه، وأنه ذكر له صدره من حفظه، ولكنه لم يمكنه منه، فبادر أبو عثمان المراكشي قائلاً إن القصيد عنده، فاجتنبها ابن رشيد فرصة لاجل الاستفادة من هذه المذاكرة الممتعة والمحاضرة المثمرة، وأشار ابن جون إلى أن هذه الأبيات لأبي الحسن البسطي² رحمه الله وقد أنشأها ليعرف بها أعاريض الاشعار وضروبها ومطلعه:

طويل علي الليل إذ بت كالنأ³ °°° جنوح الدجى والليل ينقاد للجنح⁴

¹ : الرحلة 2/6 وانظر ترجمة 122.

² : انظر مقالا مهما للأستاذ سعيد أعراب، بعنوان أبو الجيش الانصاري وكتابه علل الاعاريض. وذلك في مجلة دعوة الحق ع3 س12، 1388-1960 ص37 وهو القسم الاول وكذلك مجلة دعوة الحق ع5 س12، 1389-1960 ص71 وهو القسم الثاني.

وانظر مقالا آخر مهما للأستاذ عبد الله كنون بعنوان: عروض أبي الجيش وذلك في مجلة (المورد) العراقية مجلد 8 عدد 3 سنة 1979 ص155، وانظر في نفس المجلة تحقيقاً في اسم منشئ ذلك النظم، وفي تلك المجلات تفصيل القول في ذلك النظم ومقارنة حسنة بالخزرجية.

³ : كالي، من كلاً يكلاً، حارس.

⁴ : ويكتب هذا النموذج على هذا الشكل:

(طويل) علي الليل إذ بت كالـ (ء) ا °°° (ج) نوح الدجا والليل ينقاد للجنـ (ح)

وهو يشير إلى أن أول لفظة في كل بيت تعني لقب البحر، وأن آخر العروض حرف من حروف أب.ج.د، ويعني بها عدة العروض، وأن أول الشطر الثاني يعني عدد الضرب، ثم جعل روي البيت يشير إلى عدد الاجزاء، وهذا مثال لباقي الأبيات الخاصة ببحر الطويل:

طويل علي الليل إذ بت كالنأ °°° جنوح الدجا والنجم قد حان مذهبـ (ب)

طويل علي الليل إذ بت هائما °°° وأيقنت أن العزل افك مداـ (ج)

فالطويل يعني به لقب البحر، والهمزة بأخر العروض عدة العروض، لأن عروض الطويل واحدة مقبوضة، وأول حرف من الشطر الثاني عدد الأضرب وهي ثلاثة: الصحيح والمقبوض والمحذوف، وروي البيت (ج) عدد الاجزاء وهي ثمانية (فعلون مفاعيلن فعلون مفاعيلن) مرتين ثم يخرج من كل بيت فروع الاصل، فالباء من مذهب تشير إلى أن

وقد أتى ابن رشيد بهذا القصيد الذي يتكون من ستة عشر بيتا وما يتفرع منه من الأبيات، ومقدار ذلك ثمانية وأربعون بيتا فرعا، ثم أشار إلى أنه أثبت ذلك القصيد في موضع آخر غير الرحلة¹، ولكنه مع ذلك صنع له مقدمة مختصرة أوردتها في الرحلة، وهي تتضمن ألقاب الزحاف والعلل وشيئا من التعريفات الأولية.

ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلاثة أقسام وهي:

1- ذكر ابن رشيد أبيات أبي الحسن البسطي، وما استدركه صاحبه: أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي² وأبو بكر القلوسى³ على الناظم أبي الحسن الذي لم يذكر لعروض السريع إلا ستة أضرب على مذهب أبي الحسن الاخفش وأبي اسحق الزجاج، وأما الخليل فلها عنده سبعة أضرب، ولهذا سأل ابن رشيد صاحبيه أن يتمما ما نقص فأجاباه لذلك.

2- ذكره لتلك المقدمة الوجيزة التي تشتمل على ألقاب الزحاف والعلل وأقسام ذلك، وكذا ذكر ما سلم من الزحاف وما سلم من العلة وغير ذلك مما كمل أجزاء تفعيله، وذكر التام والمتمم.

3- ثم انتقل في الاخير، تكميلا للفائدة، إلى تفسير ما تركب منه الشعر من أجزاء التفعيل (كذا)، وما اشتملت عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض وضروب وغير ذلك من المسائل الأولية.

ويظهر أن ابن رشيد لم يكن راغبا في ايراد ما يتعلق بهذه المسائل أي ذكر ما يتركب منه الشعر، وما يشتمل عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض لولا أن بعض الفضلاء من أصحابه سأل منه ذلك لما وقف على تلك الابيات السالفة الذكر وهذه المقدمة من تأليفه ولهذا أتى بها في الأخير، مع أنه ينبغي ذكرها في المقدمة.

الضرب المقبوض يأتي في المرتبة الثانية بعد الصحيح، والجيم في (مداج) يشير إلى أن الضرب المحذوف يجيء في المرتبة الثالثة.

وانظر التفصيل في أعداد المجلات السابقة الذكر.

¹ وهذا يدل على أن ابن رشيد قد خص هذا الفن بتأليف مستقل، وهذا أيضا يضاف إلى كتبه الكثيرة التي فقد جلها.

² انظر ترجمة 18.

³ انظر ترجمة 23.

وفي تلخيص تلك المسائل العروضية التي أتى بها ابن رشيد في رحلته، عكس منهجه فيه، فأبتدئ أولاً بذكر المسائل الاولية ثم أتحدث ثانياً عن المقدمة التي تشتمل على الزحاف والعلل، ثم أذكر بعض المسائل العامة في البحور أخيراً.

وأنبه، هنا، على أنني سأقوم بمقارنة شيء من ذلك بما قاله بعض السابقين إلى هذا الميدان، وذلك ليرى فيه أثر ابن رشيد، وليبين ما اتفق أو اختلف فيه عنهم، وحتى نستطيع أن نعرف شيئاً عن علم العروض في عصر ابن رشيد بخاصة ومدى ما كان يولى هذا العلم من الاهتمام بعامة، وكل ذلك باختصار وإيجاز.

تفسير ما يتركب منه الشعر

وذلك من أجزاء التفعيل وما اشتمل عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض وضروب:

كان ابن رشيد يناقش في هذه المسألة وجه العلاقة فيما بين بيت الشعر وبيت الشعر من الحقائق اللغوية والعرفية. وقد قال أبو العلاء المعري:

والحسن يظهر في شيئين رونقه °°° بيت من الشعر أو بيت من الشعر

السبب والوتد والفاصلة

ثم ناقش اصطلاحات الاسباب والأوتاد والفاصلة، واستنتج أن هذه الاسماء حقائق في بيت الشعر، وهي في بيت الشعر مجازات ثم انتقل إلى تفصيل القول فيما يتركب منه بيت الشعر، فبين نوعي كل من السبب والوتد والفاصلة.

وينبغي التنبيه هنا على أن ابن رشيد يرى أنه لا فائدة لحد الفاصلة الكبرى، لأن بعضهم أبى حد الفاصلة الصغرى فكيف الكبرى.¹

¹ يرى الزمخشري أنه إذا اقترن السببان متقدما الثقل منهما على الخفيف سمي ذلك فاصلة صغرى، وإذا اقترن السببان الثقل والوتد المجموع سمي ذلك الفاصلة الكبرى، ومنهم من سمي الاولى فاصلة (بالصاد المهملة) والثانية فاصلة (بالضاد المعجمة)، القسطاس 27. ولاحظ اقتران السببين والوتدين في هامش كتاب القسطاس ص 27 وكذا عدم الإشارة

ومن هذه الثلاثة، أي السبب والوئد والفاصلة، تتركب أجزاء التفعيل التي منها تتركب الأبيات، وأجزاء التفعيل ثمانية لفظا (نطقا)¹ وعشرة خطا، ثلاثة² منها خماسية وسبعة سباعية، ومن عددها ثمانية وقع في شرط الاشتراك في الخط، والاحكام اللاحقة لكل منهما تفرق.

أجزاء التفعيل

وأما أجزاء التفعيل فهي: فعولن- فاعلن- مفاعيلن - فعولاتن³ - مفاعلتن - مفعولا⁴ وهو أولى من قولهم مفعولات - مستفعلن (مجموع)- مستفع لن (مفروق) - فاعلاتن (مجموع) - فاع لاتن (مفروق).

وقد سمع ابن رشيد أستاذه أبا الحسن بن الحضار⁵ رحمه الله تعالى يقول: "نعرف مواضع المفروق⁶ من دائرة، بأنه يكون أبدا في التفعيل المنفرد في الانصاف."

الفصل والغاية⁷

ثم تحدث عن العروض والضرب في أمورها العامة فيقول: إن العروض مؤنثة تكون آخر جزء من الصدر، وتسمى إن لزمت نقصا أو سلامة فصلا، أما الضرب فهو مذكر وهو آخر جزء من العجز، ويسمى إن لزم نقصا أو سلامة غاية. وإنما قال في الأمر العام احترازا من المشطور إلا أنه إما ذو عروض لا ضرب له أو ذو ضرب لا عروض له.

إلى الفاصلتين، وانظر القول بأن ما يسمونه الفاصلة الفاصلة تركيب لا حاجة إليه القسطاس 29-30، وإن ما يؤيد رأي ابن رشيد في عدم حد الفاصلتين ما أثبتته ابن السراج الشنتريني في كتابه المعيار ص17، وقد عرف السبب والوئد وترك الفاصلة، لأنها تنشأ عن اجتماعهما بوضع مخصوص. لم يوردها الا عرضا في مكان آخر من كتابه.

¹ : كتب في هامش الرحلة: (ومنها فعولاتن).

² : الوافي 31 والمعيار 18: اثنان منهما خماسيان وستة سباعية وانظر كذلك القسطاس 27-28.

³ : أورد الزمخشري تفعيل: (متفاعلن): القسطاس 30، ولم يوردها ابن رشيد، ولكن عوض بها فعولاتن وانظر القسطاس ص44 ما يرد إلى مفعول. وانظر في هذا أيضا كتاب الوافي للخطيب التبريزي ص31 وكذا المعيار: ص18 ويتقسمه يشبه إلى حد ما تقسيم ابن رشيد، إلا أن أصول الاجزاء المترتبة عنده أحد عشر، واحدها غير مستعمل وهو (فاعلاتن)، وبهذا بصير القدر عنده عشرة. وانظر شرح تحفة الخليل ص10، ولا حظ بعض الاختلاف في (متفاعلن) وغيرها.

⁴ : ذكر الزمخشري هذا القسم من بين فروع (مفعولات)، وهي أحد عشر فرعا، انظر الفرع السابع: المكسوف وهو أن تحذف آخر متحرك وتده المفروق فيبقى (مفعولا) ويورد إلى مفعولن. القسطاس 44-45.

⁵ : انظر ترجمة 9.

⁶ : وذلك في فاع لاتن ومستفع لن.

⁷ : انظر هذين الاصطلاحين أيضا في الوافي 202-203.

الزحاف والعلل

ومما أنشأه ابن رشيد مقدمة وجيزة صنعها لتلك الابيات السابقة الذكر، وهي تشتمل على تبين ألقاب الزحاف والعلل الشعرية، وذلك في ايجاز وافصاح، ولما أجرى الكلام على الزحاف المنفرد والمزدوج تعرض في خلال ذلك إلى مسألة الخلاف في "التشعيث" أهو زحف أم علة؟¹

وفي أثناء الحديث عن الزحاف المنفرد وأنواعه الخمسة (الأولى، والثاني، والرابع، والخامس، والسابع) كان ابن رشيد يعرف بألقاب الزحاف وينبه على الخلاف الذي وقع في ذلك بين العروضيين، ولكنه لم يكن يكتفي بإيراد ذلك فحسب، بل كان يدلي برأيه أحيانا، ويرجح قولاً على قول، وهذا يفسر لنا اعتداده بنفسه، وتمكنه من هذا العلم، ويظهر ذلك من خلال قوله في الكلام على ألقاب الزحاف المنفرد الاثني عشر:²

"فالأولى³ له ثلاثة ألقاب كلها في الوند في أول حرف من الضرب في الأكثر أو في أول حرف من العجز في الأقل، وفيه خلاف أهو زحف أم علة؟ والصحيح أن يكون زحفا يقوم لزومه، ففي فعولن يلقب بالثلث⁴ وفي مفاعيلن بالخرم⁵ بالراء، وفي مفاعلن بالعَصَب⁶، واسم الخرم بالراء المهملة جامع لأنواعه والخرم "بالزاي المعجمة"¹ ضده،

¹ : انظر الخلاف الكثير في التشعيث : كتاب القسطاس ص38، والتشعيث الواقع في الخفيف ص 116 وكتاب الوافي للتريزي ص 158-159، وص 209 وفيه أن التشعيث لا يكون إلا في الخفيف والمجث وكتاب المعيار ص28 وفيه أن التشعيث من الزحاف وهو قطع الوند المتوسط، وليس باللائم، وقال: وذكرناه مع اللازم لأنه أشبه بالعلل منه بالزحاف لكونه في وند، ولا يكون إلا في الخفيف.

وانظر كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، ولاحظ الاختلاف في كيفية وقوع التشعيث ص264. وانظر ميزان الذهب ص15: أن التشعيث من علل النقص. وفي كتاب شرح تحفة الخليل في العروض والقافية لعبد الحميد الرازي: أن التشعيث من علل النقص انظر ص52.

وفي كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب 196/1: أن التشعيث يقع في آخر الخفيف فلا يضيره، ولو وقع في بحر غيره ولاضطرب جدا. وفي شرح تحفة الخليل أيضا أنه من علل النقص ويكون في الخفيف والمجث انظر ص52.

² : في المعيار ص26: أن ألقاب الزحاف ثمانية، ولاحظ الفروق بينه وبين ابن رشيد، لأن الشنتريني ابتداء بالثاني، أما ابن رشيد فقد ابتداء بالأولى.

³ : ذكر صاحب المعيار الثاني ولم يتحدث عن الأولى.

⁴ : القسطاس: ص31 و35: التلم أن تخرم سالما، انظر الوافي: التلم هو خرم فعولن، والخرم حذف أول المتحرك من الوند المجموع في أول البيت، انظر المعيار 27.

⁵ : العمدة لابن رشيق 140/1. الترم ذهاب أول حركة من وند الجزء الاول من البيت. وانظر القسطاس 35 هو أن تخرم سالما في مفاعيلن فيصير عيلن فيرد إلى مفعولين.

⁶ : القسطاس 40: العصب أن تخرم سالما في مفاعلتن فيصير فاعلتن ويرد إلى مفتعلن.

وفي محليه أعني في الصدر والعجز، وعلى حاله معا، وهو زيادة حرف أو زيادة كلمة، وقال بعضهم لا يكون أزيد من أربعة أحرف²، وليس من ألقاب الزحاف، لان الزحاف إنما هو فيما تضمنته الاجزاء الموزونة، وإنما ذكر هنا من حيث الضدية بحكم التبع لاجل مقابله، وقياسه أجزم كما قالوا أخرم".

ثم تلمذ ابن رشيد في عرض الثنائي وألقابه الثلاثة من الحين والاضمار والوقص. وكذا الرباعي ولقبه³: الطي والتشعيث. والخماسي بألقابه الثلاثة وهي القبض والعصب والعقل، والسباعي بلقبه المنفرد وهو الكف.

وكان يعرف كل ذلك وبنه على ما يحذف ويسكن منها، وقد نبه على أن هذه الألقاب الاثني عشر كلها لا تكون إلا في ثاني الاسباب عدا الاولي والتشعيث من الرباعي.

وبعد ذلك انتقل إلى الزحاف المزدوج وألقابه العشرة وهي: الحبل والحزل⁴ والشكل والثرم⁵ والشتت والحرب والقصم والجمم والعقص، والعقص عند ابن رشيد: اجتماع العصب والعقص⁶

وعندما انتهى من التغير غير اللازم، وهو الزحاف تكلم على التغير اللازم وهو العلة، فقسمها إلى قسمين: علة النقص وعلة الزيادة، وحل هذه العلة من الاعاريض والضرب.

فأما علل النقص فاثنا عشر لقبا وهي: الوقف والكشف، والحذف والقطف والقصر والقطع والبت والحذ⁷ والصلم والشط¹ والجزء² والنهك³.

¹: القسطاس 35: الخزم أن تخرم سالما في مفاعيلين، فيصير فاعيلين فيرد إلى مفعولين. انظر الواقي 205: الخزم زيادة في أول البيت لا يعتد بها في التقطيع.

²: انظر هذه الزيادات والأمثلة عليها في الواقي ص 209-210.

³: المعيار له لقب واحد وهو الطي، ولعل ذلك بسبب الخلاف الواقع في التشعيث أهو زحف أم علة.

⁴: ونبه ابن رشيد على أنه يسمى أيضا بالجزل بالجمم والزاي المعجمتين، وهو اجتماع الاضمار والطي. انظر القسطاس 42: وهو اسقاط الرابع بعد اسكان الثاني. وفي كتاب المعيار 26: لا يكون إلا في الكامل.

⁵: وهو اجتماع القبض والثلثم، ويكون في الطويل والمتقارب. انظر القسطاس 32 والمعيار 27.

⁶: العقص أن تخرم منقوصا انظر القسطاس 41، والمعيار 28 أجاز الاخفش هذا الضرب من النقصان في أول الشطر الثاني من البيت، والخليل يمنع ذلك.

⁷: الحذف، والحذف أبلغ من القطع، القسطاس 43، والمعيار 28: الحذف.

ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر ما اختلفوا فيه أزحف هو أم علة؟ وذلك كالمراقبة⁴ والمعاقبة⁵ والاعتماد⁶.

وبعد ذلك تكلم على علل الزيادة وهي ثلاثة ألقاب: الاذالة⁷ والترفيل⁸ والتسبيغ⁹ وحلها كذلك من الاعاريض والضرب.

وأخيرا عقد فصلا في التعريف بما سلم من الزحاف والعلل فتجمع له من خلال ذلك تسعة ألقاب¹⁰ وهي السالم والصحيح والمعتل¹¹ والبريء والموفور والمعري والوافي والتام والمتمم¹².

ونبه هنا على أن ابن رشيد، بعد أن ذكر قصيدة أبي الحسن البسطي وعرف بها، وكتب ما يتفرع منها من الأبيات الأخرى، أشار إلى أن الناظم لم يذكر لعروض السريع

¹: أشار السراج الشنتريني إلى أنهم تسامحوا في خمسة ألقاب استعاروها للاعاريض والضروب، وهي في الحقيقة ألقاب الأبيات، وهي التام والوافي والمجزوء والمشطور والمنهوك. انظر المعيار 30 والوافي 208، وفي شرح تحفة الخليل أن هذه الألقاب ألقاب الأبيات.

وجعل الشنتريني علل النقص عشرة ألقاب وأشار إلى أن أبعد ما تسامحوا فيه من الألقاب، التي استعاروها للاعاريض وهي الجزء والسطر والنهك، وأضاف التشعيث الذي ذكرناه سابقا بأن ابن رشيد أورده في الكلام على الزحاف المنفرد ونص على أن فيه خلافاً هو زحف أم علة، انظر المعيار 28. ونلاحظ أن الزمخشري لم يذكر من هذه الألقاب سوى سبعة ألقاب وهي الحذف والقطف والقصر والقطع والبتر والحذف والصل ثم كرر بعضها وهي الحذف والمخبون والقصر المخبون والحذف المضمر ليكون مجموع ذلك أحد عشر لقباً انظر القسطاس 33-34-35-37-40-43-45.

²: نفسه.

³: نفسه.

⁴: العقد الفريد لابن عبد ربه 436/429/5: التعاقب في المديد والرمل والخفيف والمجتث، والمراقبة في المضارع والمقتضب، وانظر العمدة لابن رشيق 149/1 أنها من زحاف الحشو.

⁵: نفسه.

⁶: الاعتماد قبض فعولن الذي قبل الضرب في محذوف الطويل: الرحلة 5/6 وشرح تحفة الخليل ص 89، وفي المعيار أن المعاقبة والمراقبة والمكانفة من ألقاب الزحاف، انظر الوافي ص 209 و209.

⁷: انظر أنواعها الستة في القسطاس: 35 و43 وهي المذال المعري والمخبون والمطوي والمخبول والمضمر والموقوس والمخزول، وتكون في متفاعلن ومستعلن.

⁸: وهو ما زيد على اعتداله سبب خفيف: الوافي 208 والمعيار 25: زيادة سبب الخفيف على ما في آخره وتد مجموع ولا يكون إلا في الكامل.

⁹: التسبيغ في السبب كالأذالة في الوند: صار فاعلاتن، فرد إلى فاعليان. القسطاس 38 انظر المعيار 25 لا يكون إلا في الرمل.

ولاحظ تعريف ابن رشيد لهذه الألقاب: الاذالة زيادة حرف ساكن في آخر وتد مجموع والترفيل زيادة سبب خفيف في آخر وتد مجموع والتسبيغ زيادة حرف ساكن في آخر سبب خفيف.

¹⁰: وهي عند الشنتريني سبعة ألقاب وهي: الصحيح والموفور والمعري والوافي والتام والسالم وقابل ابن رشيد في مصطلح البريء بقوله: المعري، ولم يأت بالمعتل ولا المتمم. المعيار 29-30.

¹¹: قال ابن رشيد إن ما كان جزؤه مخالفاً لاجزاء حشوه بزحاف أو سلامة سمي معتلاً.

¹²: وقال ابن رشيد أيضاً إن ما زيد فيه على اعتدال النسبة جزآن هو المتمم، ومن الخزم الذي زاده عليه كفاعلاتن في الضرب الأول من الرمل يسمى متمماً.

إلا ستة أضرب على مذهب أبي الحسن الاخفش وأبي اسحق الزجاج، أما الخليل فلها عنده سبعة أضرب¹، وكان قد سأل صاحبه أبا بكر القلوسى أن يتم ما نقصه وهو الضرب الثاني الاصلم² من العروض الثانية، فاستأنف نظم البيت كله بتفاريعه، فكتبه له بخطه وأنشده له وأوله:

أيا سريع الهجر كن مبعدا °°° زمان هجر فهو للصبر زاو

وكان أبو الحسن البسطي قد أنشد قبل:

أسرعت في آثارهم جاهدا °°° وآخيت صبرا يستميل المناوي

ثم بعد مدة، وقف على أبيات أبي الحسن البسطي هذه صاحب ابن رشيد الكاتب الفقيه وتلميذه النبيه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، فسأله ابن رشيد أن ينظم ما نقص الناظم على مذهب الخليل إذ هو الاصح واللاحق بالترتيب على الجملة والتفصيل وذلك في نظر ابن رشيد، وأشار عليه أن يبقى بيت الناظم على أصله وما أمكنه من تفاريعه فأتى الحضرمي من ذلك بالبديع وكتب له ذلك بخطه وأنشده له ومنه:

أسرعت في آثارهم جاهدا °°° زاولت صبرا يستميل المناوي

وبعد ذكر هذه المقدمة لا تغفل ما كان ابن رشيد ينقده على صاحبه ابن عبد الملك المراكشي في أخذه على مالك بن المرحل من المسائل البلاغية والعروضية³ وذلك كالإطاء⁴ والتضمين⁵ وغير ذلك من عيوب القافية.

¹ العقد الفريد 464/5: للسريع أربعة أعاريض وسبعة أضرب.
وانظر الوافي 137: له أربع أعاريض وستة أضرب، والمعار 73، وميزان الذهب: له عروضتان مشهورتان وخمسة أضرب انظر صفحة 74 وفي شرح تحفة الخليل 225 أن له أربع أعاريض وستة أضرب.
² العقد الفريد 465/5 وانظر القسطاس 109 والإشارة إلى أن الخليل لم يثبت هذا الضرب الثاني، والصلح ما سقط وتده المفروق: الوافي ص 209.
³ فتح المتعال باب 3 والذيل والتكملة ص 1 اق 1 ص 331 وما بعدها.
⁴ العقد الفريد 508/5 وكتاب القوافي لأبي يعلى عبد الباقي التتوخي 125.
⁵ العقد الفريد 508 وكتاب القوافي 134.

خلاصة

ومن خلال ما قدمنا من مسائل العروض، نستنتج بعض الملاحظات الأساسية وهي:

- ظهور شخصية ابن رشيد المشاركة من خلال هذه المقدمة المختصرة.
- وأنه كان يسير في العروض على مذهب الخليل، إذ كان مرجعه إليه ومعتمده عليه.
- ملاحظة بعض الاختلاف بين ما عند ابن رشيد وبين ما كان لبعض العروضيين المشهورين، وذلك من حيث إيراد بعض الاصطلاحات العروضية ومن حيث الزيادة عليهم فيها حيناً، والنقصان عنهم فيها حيناً آخر.
- ثم إن هذه المقدمة القصيرة قد أتاحت لنا أن نعرف شيئاً عن مذاهب العروضيين المختلفة بعامّة، ومذهب المغاربة والأندلسيين بخاصّة، لأننا لا نذكر هذه الفترة دون الالتفات إلى أثر أبي الحسن الحضار الكتامي البارع في العروض والنحو وغير ذلك، وإلى أبي العباس بن البناء المراكشي المتضلع من العروض والنقد والعدد وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية، وإلى أبي بكر القلوسى العروضى الأديب، وإلى عبد المهيمن الحضرمي الذي أخذ بسهم وافر في جميع العلوم، ونبه هنا على أن هؤلاء كلهم كانوا ذوي صلة وطيدة بابن رشيد.
- وتبعاً لذلك نستخلص الجو العام الذي كانت تعيشه سبّعة المدينة العلمية الكبرى، ودورها الرئيس بين العواصم الكبرى في العالم الاسلامي.
- ولو عثرنا على هذه المقدمة من العروض في مصدر آخر لابن رشيد لافادنا شيئاً آخر عن بعض التفصيلات المهمة التي، ولا شك، ستكون مضاهية للكتب المصادر المعتمدة في هذا الشأن.
- وإنني أقترح أخيراً أن تحقق هذه المقدمة وتدرس دراسة مستقلة لاستجلاء ما فيها من الفوائد الأخرى، وعرض ما قد يتعذر فيها على من يريد التلخيص والاختصار.

القسم الرابع

العلوم الشرعية وغيرها

مما ورد في رحلة ابن رشيد

وفي ذلك مباحث :

- المبحث الأول : القرآن الكريم : تفسير وبيان
- المبحث الثاني : الحديث النبوي الشريف
- المبحث الثالث : الفقه
- المبحث الرابع : الأصول
- المبحث الخامس : العقيدة والتصوف
- المبحث السادس : علم الطب

المبحث الأول
القرآن الكريم
تفسيره وبيانه

لقد قامت أغلب العلوم التي اشتغل بها معظم العلماء المسلمين عبر العصور، في سبيل خدمة القرآن الكريم، ولهذا كانوا يستعينون في تفسيره بعلوم كثيرة منها : الأدب واللغة، وذلك لأجل بيان مناحي الإعجاز فيه وكشف أسرارها، ومن هذا الوجه تبرز أهمية القرآن الكريم الذي يمثل القاعدة المشتركة للثقافة الإسلامية بعامة والدراسات الأدبية بخاصة.

وقد تعددت مناهج التفسير واتجاهاته، واختلف المفسرون من قديم في مسألة تفسير القرآن الكريم بالرأي أو بالمأثور¹ وعرف عصر ابن رشيد مفسرين ملحوظين كالفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي (توفي 671هـ) وهو صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، وقد تعرض في تفسيره لذكر أسباب النزول والقراءات والأعراب وتبيان الغريب من ألفاظ القرآن الكريم² والاحتكام إلى اللغة والاستشهاد بأشعار العرب وغير ذلك³، وكان القرطبي يتورع عن تفسير القرآن بالرأي⁴ وكان ابن رشيد، أيضا معاصرا لبعض المفسرين الأعلام الذين كانوا يرون التفسير بالرأي الجائز كناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البياضوي الشافعي (توفي سنة 635هـ أو 691هـ)⁵ (وأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (توفي 701هـ)⁶، وأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل السيجي المعروف بالحاازن (678-741هـ)⁷، وصاحب ابن رشيد أبي حيان النحوي الغرناطي (توفي 745هـ)⁸ الذي كان يتكلم في تفسيره البحر المحيط على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الصحيحة والشاذة، ويهتم كذلك بالناحية البلاغية والبيانية في القرآن، وكذلك المسائل الفقهية والأحكام وغير ذلك وأما النحو والإعراب فهو جهينته فيه.

¹ : انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ط 2 1972 ص 55 ، ومجموع فتاوى ابن تيمية 344/13-345 وانظر أيضا كتاب التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور ط 2 1972 ص 23 ، وكتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ط 2 1976 ج 1 ب 277.
² : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 3/1.
³ : الجامع لأحكام القرآن 34/1 وكشف القنون 433/1 وكتاب التفسير والمفسرون للذهبي 459/2.
⁴ : الجامع 31/1.
⁵ : طبقات الشافعية الكبرى 157/8 ترجمة 1153 والتفسير والمفسرون 296/1.
⁶ : هدية العارفين 464/1 والتفسير والمفسرون 304/1.
⁷ : شذرات الذهب 131/6 والدرر الكامنة 97/3 والتفسير والمفسرون 318/1.
⁸ : وقد سبقت ترجمته في صفحة 346 ترجمة 173 من هذا البحث وانظر أيضا تفسير البحر المحيط 4/1 والتفسير والمفسرون 317/1.

وبما أننا لا نعرف لابن رشيد كتابا مستقلا بالتفسير ، فإنه يظهر لنا من خلال منهجه في مناقشة بعض الآيات الكريم بأنه كان يستعين بعلوم اللغة والنحو والبلاغة والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وغير ذلك مما يعتد به أهل الرأي، وذلك أسوة بصاحبه أبي حيان الغرناطي، ولكنه مع ذلك لم يكن يفسر القرآن بمجرد الرأي لأن ذلك حرام¹ وفي هذه المناسبة نذكر قضية مهمة جدا وهي ابتعاد المغاربة عموما عن المناقشات العقلية التي تخرج بالقرآن الكريم عن وظيفته، وهذه سمة مشتركة في تفاسير المغاربة وجوئهم عموما، وأحسن مثال عل ذلك أن تفسير ابن عطية خير من تفسير الزخشري وأصح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع².

أما الآيات الكريمة الواردة في الرحلة فقد جاءت في مناسبات ذكر حديث معين أو في سياق قصة أو خبر أو في صدد مناقشة أدبية وبلاغية أو لغوية، ثم إن ابن رشيد لم يوردها قاصدا المعنى الخاص باصطلاح التفسير، وذلك بذكر سبب نزولها وتعيين مكيتها ومدنيها وحكمها ومتشابهها أو ناسخا أو منسوخا إلى غير ذلك مما يقصده المفسرون، ولكن قد يذكر بالضرورة شيئا من ذلك مع ما قيل فيها من البيان أو الأحكام، لأن في هذه الآيات ما له اتصال وثيق بالحديث النبوي الشريف، وما له اتصال بغير ذلك وفيها، كما يقول ابن قيم الجوزية، ما لا بد في فهمه إلى لطافة ذهن ورق طبع ولا يتأتى مع غلظ القلوب والرضا بأوائل مسائل النحو والتصرف دون تأملها وتدبرها³ وكذا النظر إلى لغتها الباهرة وما فيها من الأسرار التي تدق على أكثر العقول⁴.

وسأذكر بعض الآيات المذكور في الرحلة وشيئا مما قيل عنها في بعض مصادر التفسير وغيرها، وذلك بعد ترتيبها حسب ورودها في المصحف الشريف مبتدئا بسورة البقرة، إلى غيرها من السور، ثم أذكر بعد ذلك شيئا عما أراه يمثل طريقة ابن رشيد في التفسير إذا تبين لي شيء من ذلك، وأذكر بعض الصادر والمراجع التي نبهت على شيء من الفوائد التي تتصل بهذه الآيات، وأنه هنا على أنني قد وجدت في الرحلة ما يزيد على مائة مسألة من مسائل القرآن : تسعون منها تقريبا فيما يخص الآيات الكريمة،

¹ : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية 105

² : مقدمة في أصول التفسير 90 ومجموع فتاوي ابن تيمية 388/13 وانظر أيضا التفسير ورجاله 89-93 والتفسير والمفسرون 240/1

³ : جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص 88. وانظر مثل هذا المعنى أيضا في كتاب دراسات في التفسير للدكتور مصطفى زيد ص 24

⁴ : المرجع السابق

وعشرة منها في ما يتعلق بالقراءات والتلاوة والتصحيف والمصحف العثماني وغير ذلك، وسأقتصر في بحثي هذا على عشرين مسألة من تلك المسائل، وسأبحث فيها ما يقرب من أربعين: ما بين سورة وآية.

وأترك غيرها لاعتبار أن ما أوردته يعالج بعض المسائل المهمة في مجال الثقافة الإسلامية، أما غير ذلك فقد جاء في الرحلة عرضاً في سياق موضوعاتها ومعارفها وفيما يلي ذكر لتلك المسائل :

1- لما اتصل ابن رشيد بأبي محمد الخلاسي قرأ عليه المقدمة المحتسبة بتوصية ذوي الحرق المنتسبة وذلك بسماعها على جامعها أبي بكر بن مسدي الذي ألبس الخلاسي طاقية على رأسه، وألبسها الخلاسي كذلك تلميذه ابن رشيد. وقد ذكر ابن مسدي في تلك المقدمة بعض شيوخه الذين يعول عليهم في طريق الخدمة المباركة، وذكر خلالها بعض الآيات القرآنية الكريمة التي يدور معناها - حسب موضوع المقدمة من حفظ العهد للشيوخ - حول الوفاء واتباع الهداية والعمل بالحسنى وترك الشبهات قولاً وفعلًا واتباع السلف الصالح. وأما الآيات فهي¹ "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون"² "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم"³، "وبعهد الله أوفوا"⁴ "واتقون يا أولي الألباب"⁵، "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"⁶، إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره"⁷، - "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه"⁸ "ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"⁹.

¹ : الرحلة 2/ 55 وكذا مقدمة السنن الأبين 36

² : النحل 91 (انظر المصحف الشريف طبع بإذن مشيخة الأزهر تحت رقم 1085 بتاريخ 1961/8/8 مكتبة وسط المشهد الحسيني).

³ : البقرة 39: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون).

⁴ : الأنعام 153: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لأنكف نفساً ولاوسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون).

⁵ : البقرة من آية 196: (الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب).

⁶ : آل عمران 31

⁷ : الأنعام 68 وتمام الآية: (وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)

⁸ : آل عمران من الآية 7: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ...) الآية.

⁹ : الأنعام من سورة 154: (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

ويظهر من خلال إيراد هذه الآيات الكريمة اعتماد المشايخ على القرآن الكريم في ترسيخ آداب الطريقة، وهذا كان سمة غالبية على تصوف المغاربة الذين نجوا من الإغراق والغلو والأخذ عن بعض المبتدعة كما وقع لبعض المشاركة.

2- وجاءت الآية¹ الكريمة: "قد علم كل أناس مشربهم"² في معرض مناقشة مسألة من المسائل التي تتعلق بالتصوف، وهي السماع، فقد ذكر ابن رشيد أنه سمع من شيخه أبي عبد الله السلاوي بعض الكرامات التي شهد بها وسمعتها من شيخه أبي الحسن الحرالي بعد أن جمع له في ذلك جزءاً، وحضر معه سماعاً ببيت المقدس، وكان هناك فقراء أعاجم يزمزمون بلغة العجم فأصاب الشيخ وجد وحال فعجب السلاوي منه وقال في نفسه: سبحان الله: أي شيء يتفهم له من سماعهم بمجرد الغنة لا غير، وما استقر الخاطر في نفسه حتى قال الشيخ: السماع راح تشربه الأرواح بأفواه الآذان في أكؤس النغم، وليس يتوقف على عربي ولا عجمي، سمع العبد من حيث سمع: وقد علم كل أناس مشربهم.

وأصل القصة في القرآن الكريم، فقد أشار القرطبي إلى معنى هذه الآية بقوله: إن لكل سبط في بني إسرائيل عينا قد عرفها لا يشرب من غيرها³. وتحدث الغزالي في الأحياء عن اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه وبيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه⁴، ثم بين دليلاً على إباحته⁵، وأشار إلى أن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، وقد طويت فيها جواهر كما طويت النار في الحديد وأخفيت كما أخفي الماء تحت التراب والمدر، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بفوادة السماع⁶، ورأى السهر وردي أن السماع جائز بشروط تنزيهه عن المكاهة⁷، فالموارد ترد فتصادف شكلاً أو موقفاً، فأى وارد صادف شكلاً مازجه وأي وارد صادف موافقاً ساكنه، وهذه كلها مواجد أهل السماع⁸. وقال ابن الخطيب: إن السماع من أكبر مصائد

¹ : الرحلة 43/2

² : البقرة 59

³ : الجامع للقرطبي 421/1

⁴ : إحياء علوم الدين 1121/6

⁵ : نفسه 1125/6

⁶ : نفسه 1120/6

⁷ : عوارف المعارف 191

⁸ : نفسه 196

النفوس والدواعي إلى رقتها¹ ثم إن قضية السماع شغلت كثيرا من العلماء قديما وحديثا فمنهم من منعها ومنهم من أباحه، وقد تعرض لها الإمام أحمد زروق في كتابه النفيس: قواعد التصوف وفصلها في ذلك الكتاب تفصيلا حسنا².

ووقوف ابن رشيد عند قصة الأعاجم والاستشهاد عليها بالآية الكريمة: قد علم كل أناس مشربهم، يثير سؤالاً وهو: ما هو رأي ابن رشيد في التفسير الأشاري³ وتقصد بذلك التأويل والتفسيرات الاشارية للآيات القرآنية التي يفتح الله بها غل عقول أهل الحقيقة من المتصوفة ونحن نعرف من خلال تراجم ابن رشيد أنه كان لا يتناول ولكن إيراده لهذه الأخبار وعدم التعليق عليها يدل على أنه كان يساير بعض مشايخه في نزعهم التصوفية، ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نتهمه بأنه كان من أهل التفسير الباطني.

3- المداراة في القرآن :

جاء هذا الموضوع⁴ في الرحلة ليعطي الدليل على أنه ما من حديث عن النبي (ص) إلا وأصله في القرآن الكريم، وقد أخبر أبو بكر بن حبيش تلميذه ابن رشيد في رواية عن سفيان بن عيينة عن النبي (ص) قال: رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس، ثم خلاص بعد ذلك إلى الآيات الكريمة التي تضمن هذا المعنى وهي قول الله عز وجل:

واهجرهم هجرا جميلا⁵. وقال ابن حبيش: فهل الجميل إلا المداراة، وقال الحسن بن عبد الله العسكري: في كتاب الله عز وجل ما هو في معنى المداراة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"⁶ وقوله تعالى: "قولوا للناس حسنا"⁷ وقوله: "ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور"⁸.

¹ : روضة التعريف بالحب الشريف 368

² : القواعد لأحمد زروق : قاعدة 122، 123 ص 76-77-78

³ : كشف الظنون 432/1 وانظر أيضا كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 328-327/1

⁴ : الرحلة 38/6

⁵ : المزمل من الآية 9 : (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) .

⁶ : فصلت من الآية 33 : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن) الآية

⁷ : البقرة من الآية 82 : (وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالله دين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)

⁸ : الشورى 40

وقد فسر القرطبي الآية الأولى (واهجروهم... الآية) بقوله: وقال أبو الدرداء: إننا لنُكشَرَ في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقلبيهم أو لتلعنهم¹. ويرى الزمخشري في المداراة والهجر الجميل: المجانية بالقلب والهوى والمخالفة مع حسن المحالفة. أو إنها الأغضاء وترك المكافأة².

وساط القول في المداراة أنها غير المداينة التي هي إعطاء الدين من أجل الدنيا بخلاف المداراة التي هي إعطاء الدنيا من أجل الدين.

4- وجاءت الآية³ "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"⁴ في مناقشة لغوية تتعلق بتذكير كلمة درع أو تأنيثها، وقد أورد ابن رشيد روايات سابقية كأبي عمر بن عبد البر الذي كان يرى تأنيثها، وذكر قصة درع النبي (ص) الموهنة عند اليهودي ورؤيا بعض الصحابة في النوم أخذ هذه الدرع ويبيعها وتفريق ثمنها في المساكين.

ورد ابن رشيد على أبي عمر بن عبد البر أن المشهور في درع الحديد التأنيث، ويجوز فيها التذكير، فاستشهد لذلك بقول رؤية :

مقلصا بالدرع ذي التغضض

وأما درع المرأة فيذكر على المشهور⁵.

(واتفقوا يا أولي الألباب لعلكم تفلحون) البقرة 196 مر ذكرها في عدد 1.

5- " ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " ⁶.

جاءت هذه الآية⁷ بمناسبة ذكر القصة الواردة في الحديث النبوي عن ذلك الرجل الذي عاده النبي (ص)، وكان قد صار مثل الفرخ المنتوف، وقد قال له النبي (ص) : هل كنت تدعو الله أو تسأله ؟ قال نعم، قلت اللهم ما أنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال له رسول الله (ص): ألا قلت : ربنا آتتنا في الدنيا حسنة... الآية.

¹ : الجامع للقرطبي 45/19

² : الكشف 177 وانظر توسط في المداراة والحلم عيون الأخبار لابن قتيبة 329/1

³ : البقرة 187

⁴ : الرحلة 68/3

⁵ : مقاييس اللغة : درع مأنثة ، المصباح المنير درع المرأة قميصها مذكر

⁶ : البقرة من الآية 196

⁷ : الرحلة 37/2

فهذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة¹.

" فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه " آل عمران 7 .
وقد ذكرها في عدد 1.

*"إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" آل عمران 31
مر ذكرها في عدد 1.

6- وورد قوله تعالى² "حسبنا الله ونعم الوكيل"³ في خبر أبي جعفر أحمد بن محمد بن هارون الأسواني قال : نا أبو بشر الدولابي قال : قال الزبير بن بكار وأخبرني مطرف قال : قلت لمالك بن أنس : لم نقشت في خاتمك : حسبي الله ونعم الوكيل . من بين ما ينقش الناس . فقال : إني سمعت الله عز وجل قال : "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم." قال مطرف : فمحوه نقش خاتمي ونقشته : حسبي الله ونعم الوكيل.

وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله (ص) قال : إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل⁴.

7- وفي صدد ورود قول ميمون بن مهران⁵:

ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر جاء ثلاث آيات قرآنية كان القصد منها تبيان صحة نص ذلك القول وتعزيز حجته بها ومطابقة معناه لما في القرآن الكريم، فقد أخبر سفيان عن ابن راشد أنه سمع ميمون بن مهران يقول : ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر :
- الأمانة تؤديها إلى البر والفاجر: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها"¹

¹ : الجامع للقرطبي 433/2 وانظر أيضا فهرست الحديث (الحديث 56) من هذا البحث وعيون الأثر 276/2

² : الرحلة 106/3

³ : آل عمران 173-174

⁴ : ابن كثير 163/2 وانظر ما يتعلق بالخاتم ولبسه وفصه والناسخ والمنسوخ فيه : مسند ابن عمر 77-78 و الشمانل للترمذي 48 وزاد المعاد 35/1 والاعتبار للحازمي 231 و عيون الأخبار 302/1 والحاوي للفتاوي 75/1 والقول المحتم في لبس الخاتم للأستاذ عبد الله الجراري ص 15.

⁵ : الرحلة 23/3

- والعهد نفي به للبر والفاجر: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً"².

- والرحم نصلها برة كانت أم فاجرة: " وآت ذا القربى حقه"³.

أما الآية الأولى فهي من أمهات الأحكام لأنها تضمنت جميع الدين والشرع⁴، فقد قال عمر بن الخطاب (رضه): لما خرج رسول الله (ص) لفتح مكة: فداه أبي وأمي ما سمعه يتلوها قبل فتح مكة⁵.

وأما الآية: الثانية فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه⁶.

وأما الآية الثالث فإن الحق فيها ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه⁷، إذ لما ذكر الله تعالى البر بالوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام، وقد جاء في الحديث الشريف: أمك وأباك ثم أدناك فأدناك، وفي رواية ثم الأقرب فالأقرب⁸.

ولعل في قول ميمون ثلاثة يؤدين ... الخ نوعاً من التفسير ثم إن القارئ يتصور أن ذلك متوجه إلى المؤمنين من الأهل والمعاهدين والأبوين، ولكن هذا الخصوص يراد منه العموم.

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء 57 انظر العدد 7 قبله.

8- ووردت الآية⁹(اليوم أكملت لكم دينكم ...) ¹⁰ الآية في معرض ذكر قصة جرت بين عمر بن الخطاب (رض) ورجل من اليهود، فقد سأل اليهودي عمر (رض) قال: لم يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك

1 : النساء 57

2 : الإسراء 34

3 : الإسراء 26

4 : الجامع 255/5

5 : ابن كثير 322/2

6 : الجامع 332/1 وانظر البر بالوالدين عمدة القاري 82/22

7 : الجامع 247/10

8 : ابن كثير 310/4

9 : الرحلة 101/3

10 : المائدة 4 : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فإن الله غفور رحيم.

اليوم عيداً، فقال عمر: أي آية ؟ فقال: اليوم أكملت لكم دينكم ... آية، فقال عمر (رض) : قد عرفنا¹ ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه: نزلت على رسول الله (ص) بعرفات يوم الجمعة.

وذكر القرطبي أنها نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول الله (ص) واقف بعرفة على ناقته العضباء، فكاد عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت².

وقد أدرك ابن القيم المعاني اللطيفة لهذه الآية وميز فروقا دقيقة بين الكمال والتمام فيها، إذ إنه نسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة³. وفيه بحث نفيس

9- وجاءت الآية⁴: "يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه ورسوله بالغيب"⁵. بصدد ذكر غريبة وقعت لابن رشيد لما صحبه في الطريق من المدينة المنورة إلى البيت الحرام أحد الشيوخ من شرفاء المدينة، فلما وافيا رابغا رأى ابن رشيد عجبا من تخلل الوحش: الغزال والأرنب بين الجمال والرحال بحيث يناله الناس بأيديهم، والناس ينادون حرام حرام، وهكذا جرت عادة الحاج في وقت الإحرام، فإذا عادوا محلين لم يجدوا شيئا، ولما عاد ابن رشيد بأن له من معنى الآية ما لم يكن عنده بالمشاهدة⁶.

ويبدو من خلال هذه القصة أن الوحوش قد ألفت مسالمة الحاج إذا رآته على هيئة هي هيئة المحرم، فإذا رآته على غير تلك الحال فرعت منه ونفرت، وهذا له نظير قوي من القرآن الكريم وهو قصة أصحاب السبت إذ كانوا إذا سبتوا ظهرت حيتانهم شرعا على وجه البحر لما أنست من عدم اصطيادهم إياها، فإذا لم يسبتوا اختفت الحيتان، فاحتالوا عليها بأن حفروا لها الحفر لتقع فيها إذا مد البحر يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، ويظهر ذلك في قوله تعالى: "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ

¹ : الجامع 61/6 (إني لا أعلم اليوم) وعمدة القاري 98/18

² : الجامع 61/6 وابن كثير 491/2 (أقوال مختلفة)

³ : التفسير القيم 280

⁴ : الرحلة 16/5

⁵ : المائدة 84

⁶ : بين القرطبي اختلاف العلماء فيبين المخاطب بهذه الآية : الجامع 300/6. وانظر أيضا ابن كثير 647/2 (نزلت هذه الآية في عمرة الحديبية)

يعدون في السبت إذ تأتيهم حينانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون"¹.

10- وأورد ابن رشيد² هذه الآية : "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"³ لإشكال ظاهرها وارتباطها بالحديث النبوي الشريف : "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه"⁴.

وقد أشار ابن العربي في أحكامه إلى ما في هذه الآية من الغرابة ومن الأحكام، ومن ذلك أنه نسخ آخرها أولها وتلك غريبة في القرآن ليس لها أخت في كتاب الله⁵. وذكر القرطبي أنه ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية، فالناسخ منها إذا اهتديتم، والهدي هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁶ وقال ابن كثير : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه⁷. ولعل ابن رشيد إنما ذكر هذه الآية لكونها من الغريب الذي لا يهتدي إلى فهمه أكثر الناس، وقد ذكر أن أبا بكر (رض) نبه على تفسيرها في أول خطبة خطبها بعد بيعته وقال: أبو القاسم هبة الله بن سلامة (توفي 410هـ) قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا..." الآية فهذا منسوخ وباقيها محكم، وقال أبو عبد الله بن سلامة وهو أبو أبي القاسم: ليس في كتاب الله آية جمعت الناسخ والمنسوخ إلا هذه الآية، والناسخ منها إذا اهتديتم، والهدي ها هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁸.

*"إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره". الأنعام 68

انظر الرقم المسلسل عدد 1.

¹ : الأعراف 163

² : الرحلة 91/3

³ : المائدة 105

⁴ : الجامع 343/6 (بعذاب من عنده)

⁵ : أحكام القرآن 709/2

⁶ : الجامع 345/6

⁷ : ابن كثير 267/2

⁸ : الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ط 1387 1967 مصر ص 42 وانظر أيضا مجموع فتاوى ابن تيمية 479/14-484 ودراسات في التفسير للدكتور مصطفى زيد ص 18 والحديث عدد 89 من هذا البحث.

11- وجاءت الآيتان¹ (وهذا كتاب أنزلناه مبارك ...) الآية² و(ونزلنا من السماء ماء مباركا ...) الآية³.

بمناسبة فوز ابن رشيد وصاحبه أبي عبد الله بن الحكيم بمزية المزار وحظ الجوار بالحرم الشريف في الوقت الذي كان فيه المطر وابلا، وميزاب الرحمة يععب عبا، ولهذا أفاده ابن الحكيم بأن بعض شيوخه قال: تستحب تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر، وذلك لما يرتجى من اجتماع البركات⁴، وأصل هذا حديث الدعاء إلى الله عند نزول المطر لأنه حديث عهد بالرحمان⁵.

* "وبعهد الله أوفوا" الأنعام 153.

انظر الرقم المسلسل 1.

* "ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" الأنعام 154 .

انظر الرقم المسلسل 1.

12- الريح والرياح :

وردت هاتان الكلمتان⁶ في الحديث النبوي الشريف "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا"، فقد كان صلى الله عليه وسلم، كلما هبت الريح يجثو على ركبتيه ويقول ذلك. ولعل الغرض من ذلك الاشتقاق اللغوي هو لفت انتباهنا إلى الفروق الأساسية

¹ : الرحلة 16/5

² : الأنعام 93 "وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون".

³ : سورة ق 8 "ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد"

⁴ : أحكام القرآن : من السماء أي من السحاب ماء مباركا أي كثير البركة 6/1

⁵ : صحيح مسلم بشرح النووي 185/6 196 قال أنس أصابنا ونحن مع رسول الله (ص) مطر، قال فحسر رسول الله (ص) ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله : لم صنعت هذا فقال لأنه حديث عهد بربه تعالى

⁶ : الرحلة 73/3.

والدقيقة بين معنييهما، فقد ورد في الرحلة أربع آيات اثنتان منها فيهما كلمة الريح وهما: " أرسلنا عليهم ريحا صرصرا"¹.

"و" في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم"².

أما الآيتان الآخرتان ففيهما كلمة : الريح وهما "وأرسلنا الرياح لواقح"³ "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات"⁴.

وقد أشار ابن خالويه إلى أن أمهات الريح أربعة وهي : الشمال للروح والنسيم عند العرب، والجنوب للأمطار والأنواء، والصبا للقاح الأشجار، والدبور للبلاء والعذاب، ثم استشهد بالحديث السابق ذكره⁵.

وأما القرطبي فيقول إن قراءة العامة، الرياح، بالجمع وقراء حمزة بالتوحيد، لأن معنى الريح الجمع أيضا، وإن كان لفظها لفظ الواحد⁶.

ولكننا إذا استقرأنا الآيات الواردة فيها هاتان الكلمتان وجدنا ما يؤيد قول القرطبي، وإن كان ذلك لا يرد رأي سابقه إذا اعتبرنا وجه التغليب والكثرة.

فقد وردت في القرآن ربح: ربح طيبة⁷، وريح يوسف⁸، و: فسخرنا له الريح⁹، ونلاحظ كذلك : تذروه الرياح¹⁰، وبهذا نجد بأن الآيات التي وردت فيها كلمة ربح يبلغ عددها ثمانية عشر، وأن عدد الآيات التي فيها رياح أحد عشر. وهي تؤيد ما ذهب إليه الشراح في الأغلب، من أن الريح تستعمل للشر والريح للخير¹¹.

¹ : فصلت 15 : " فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون "

² : الذاريات 41

³ : الحجر 22

⁴ : الروم 45 " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته لتجزي الفلك بأمره وليبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "

⁵ : الحجة في القراءات السبع 26

⁶ : القرطبي 44/14

⁷ : يونس 22

⁸ : يوسف 94

⁹ : سورة ص 36

¹⁰ : الكهف 46

¹¹ : انظر قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه الدامغاني ط 1970 ص 214 الريح : الشدة فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني شدتكم والريح العذاب.

* "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً" النحل 91

انظر العدد المسلسل 1.

* "وأت ذا القربى حقه" الإسراء 26.

انظر العدد المسلسل 7.

* "وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولاً" الإسراء 34.

انظر العدد المسلسل 7.

13- "قد أفلح المؤمنون... والآيات العشر.

وردت هذه الآيات¹ في معرض كيفية نزول الوحي على النبي (ص)، فقد قال عمر ابن الخطاب (رض) : كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدو النحل²، فأنزل عليه يوماً، فسكتنا³ عنه ساعة فسري عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا، ثم قال : قد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: "قد أفلح المومنون... " حتى ختم عشر آيات⁴.

* "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات" . الروم 45 .

انظر العدد المسلسل 12.

14- وردت الآيتان⁵: "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية"⁶ و"إن الله لا يحب كل مختال فخور"⁷، في صدد ذكر مسموعات الشيخ التقي عبيد، شيخ ابن رشيدي في مصر، ومن هذه المسموعات كتاب الأربعين المخرجة

¹ : الرحلة 27/3

² : الجامع للقرطبي 102/16 كدوي النحل

³ : الجامع : فمكتنا عنه ساعة

⁴ : انظر أيضا أحكام ابن العربي : الحديث والآية 1307/3 وانظر أيضا الحديث في هذا البحث عدد 190 بعد.

⁵ : الرحلة 67/3

⁶ : الحجرات 2

⁷ : لقمان 15

للمحافظ الأصهبهاني، وقد جاء في ذلك الكتاب قصة حدثت بها بنت ثابت بن قيس بن شماس قالت: لما أنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...) الآية، دخل أبي بيته وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي ففقدته رسول الله (ص) فأرسل إليه فسأله فقال: أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون حبط عملي، فقال له رسول الله (ص): لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير، قالت ثم أنزل الله تعالى: إن الله لا يحب كل مختال فخور، وتطول القصة بذكر إرسال الرسول (ص) إليه بعد إغلاق بابه عليه وبكائه، وخبر خروجه مع خالد بن الوليد يوم اليمامة إلى مسيلمة¹، فلما لقوا العدو انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع النبي (ص)، فحفر كل واحد منهما حفرة وثبتا فيها حتى قتلا².

وقد ذكر ابن كثير أن هذه الآية نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما³ واستنبط القرطبي من هذه القصة ست مسائل منها أن معنى الآية هو الأمر بتعظيم رسول الله (ص) وتوقيره وخفض الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم⁴.

* "إن الله لا يحب كل مختال فخور" لقمان 18

انظر العدد المسلسل 14.

* "وأرسلنا عليهم ريحا صرصرا" فصلت 15.

* "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"

فصلت 33.

انظر العدد المسلسل 3.

* "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية

الحجرات 2.

انظر العدد المسلسل 14.

* "وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. ق. 9

¹ : الإصابة لابن حجر العسقلاني 413/1

² : انظر قصة انكشاف الناس يوم اليمامة في ترجمة ثابت - الإصابة 195/1.

³ : ابن كثير 367/6

⁴ : انظر القرطبي : 305/16

انظر العدد المسلسل 10.

*"وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم" الذاريات 41.

انظر العدد المسلسل 11.

15-"أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"

جاءت هذه الآية¹ في سياق قصة تتضمن استنكار سماع الحديث من الضعفاء، وفي هذا الصدد علق ابن رشيد على أكثر الأحاديث التي أوردها ابن بشكوال، والمخرجة لأبي محمد بن عتاب، بأنها ضعيفة بحيث لا يعرج عليها، وإن صح بعضها فمن طرق آخر، وأشار إلى أنه كثيرا ما يلهج الناس بالعوالي وهي في الحقيقة نوازل، وإنما يحمّد العلو مع نظافة الإسناد، وإلا فالنزول فهو المحمود، فمما روي عن ابن بشكوال قال: كتب إلينا القاضي أبو علي الصدي في بخطه قال: سمعت أبا محمد التميمي ببغداد في سند لا أذكره الآن: أن أبا القاسم البغوي حدث يوما قال: حدثني طالوت بن عباد² قال حدثني فضال بن جبير³ عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل من أهل خراسان فقال له: أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون⁴. وقد ذكر القرطبي أن في هذه الآية استفهاما معناه التوبيخ والتقريع⁵، وقال ابن كثير إن الزبانية تقول ذلك لأصحاب جهنم تقريعا وتوبيخا⁶.

ويمكن التفصيل والإفادة من هذه القضية في علوم الحديث، والقول بأن هذا يعكس منهج علماء المغرب عموما في التشدد في قبول الحديث الضعيف ثم إننا نلاحظ في ذلك أن إيراد هذه الآية فيه نوع من الاستخدام⁷.

¹ : الرحلة 14/3

² : ضعفه ابن الجوزي ، وقال الذهبي: ما علمت أحدا ضعفه . المغني في الضعفاء 314/1

³ : أحاديثه غير محفوظة، وقال الكتاني : ضعيف الحديث . المغني 510/2.

⁴ : الطور 15

⁵ : القرطبي 64/17

⁶ : ابن كثير 431/6

⁷ : انظر كتاب توضيح الأفكار للمعاني تنقيح الانتظار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة 1142 ط 1366 مصر ج 1 ص 200 وما بعدها : مناقشات مفيدة عن الضعف والضعفاء وترجمة ابن رشيد وانتقاده وتفصيل في ذلك.

16- ووردت¹ الآية الكريمة: "ن والقلم وما يسطرون"² بمناسبة ذكر قصة سمعها

ابن رشيد عن تاج الدين الغرافي السني وأملاها عليه، ومفادها أن والد الغرافي أخبره أبو المظفر السمعاني عن أبي نصر الطرازي المعروف بهاجر عن الحافظ البغدادي عن الصوري قال: سمعت رجاء بن محمد قال: كنا عند الدارقطني يوماً والقارئ يقرأ عليه وهو يصلي نافلة، فمر حديث فيه ذكر نسير بن ذعلوق، فقال القارئ يسير، فقال الدارقطني سبحان الله، فقال الدارقطني بسير، فأراد الدارقطني تنبيهه إلى خطئه ثانية فقال سبحان الله، فقال القارئ بشير، ولما استمر القارئ على الخطأ قال الدارقطني قارئاً الآية: ن والقلم وما يسطرون. ثم فهم القارئ، فقال: نسير بن ذعلوق³، ثم استمر القارئ في قراءته.

وبعد قراءة هذه القصة يتبادر إلى ذهننا سؤالان فأما الأول فهو كيف انشغل الدارقطني أثناء الصلاة، وهو بين يدي الله تعالى، بتصحيح الخطأ الذي وقع فيه القارئ، ألا يستطيع الدارقطني تصحيح الخطأ بعد الصلاة؟، وبما أن هذا العالم كان مشتهراً في مقام السنة والفقه، فإنه يرجح أن يكون له سند في ذلك، وأما السؤال الثاني فهو: كيف صحح الدارقطني ذلك الخطأ أي أنه نبه القارئ ثلاث مرات ونطق بكلمة سبحان الله، ثم قرأ الآية التي يفهم منها تصحيح الخطأ ولقد ساق المرتضى في كتابه البحر الزخار بعض ما يجاب به عن بعض المسائل التي تختلف من حيث النوع عن هذه المسألة وذلك في قوله: من نابه شيء في الصلاة فليقل سبحان الله⁴. ولكن هذه المسألة تظل في أصلها غريبة ومشكلة.

وخلاصة القول في هذا أن احترام الدارقطني للحديث النبوي الشريف وإجلاله وقدره العظيم للصحابة رضي الله عنهم، هما اللذان دفعاه إلى مثل هذا التقويم في مثل ذلك الموقف.

* "واهجرهم هجرا جميلا" المزمّل 9.

انظر العدد المسلسل 3.

¹ : الرحلة 11/3

² : القلم 1

³ : نسير بن ذعلوق تابعي : التاريخ الكبير للبخاري 138/8 : أبو طعمة الكوفي مولى بني ثور، سمع ابن عمر . وانظر المشتهر في الرجال 82/1.

⁴ : كتاب البحر الزخار للمرتضى وبهامشه كتاب جواهر الأخبار والآثار للصعيدى 290/2.

17- ووردت الآية¹ " والمرسلات عرفاً² " لتوضيح مسألة فقهية مفادها أن أم الفضل (أم ابن عباس) سمعت النبي (ص) يقرأ في صلاة المغرب: " والمرسلات عرفاً³ ". وقد جاء في أحكام ابن العربي أنه ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: والمرسلات عرفاً، فقالت يا بني: لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله (ص) يقرأ بها في المغرب، ثم ما صلى لنا حتى قبضه⁴.

ونلاحظ في هذا المقال استشهاداً فقهياً بآية قرآنية، وهذه إما محاولة اجتهادية بحكم إنه يمكن أن تستنبط الأحكام الفقهية من السنة والقرآن مباشرة، وإما أن الأمر مجرد تدعيم لمسألة فقهية.

18- ووردت الآية⁵ " وفاكهة وأبا " ⁶ لغرض التفسير، فقد أخبر يحيى بن محمد عن إسماعيل بن اسحق عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال: كنا مع عمر (رض) وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، فسأل عن هذه الآية (وفاكهة وأبا) ما الأب؟ ثم قال صه، قد نهينا عن التكلف، ثم قال يا عمر: إن هذا لمن التكلف ما عليك ألا تدري ما الأب.

وكانت هذه المسألة من سماعات أبي الحسن الغرافي. وقد أورد القرطبي في أحكامه هذه الرواية مع اختلاف يسير في النص، ومن ذلك أن عمر (رضه) رفع عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما يبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه⁷. وذكر ابن كثير أن الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم⁸، وقال ابن قتيبة أن الأب هو

¹ : الرحلة 32/3

² : سورة المرسلات 1

³ : مسند الشافعي 215

⁴ : أحكام القرآن 1903/4 : وقد ذكر ابن العربي أنه قرأ (ص) بالطور في المغرب، وفي الصحيحين أنه كان يقرأ في المغرب بطولى الصوليين . وانظر أيضا ابن كثير 168/7 ومسلم بشرح النووي 180/4.

⁵ : الرحلة 19/3 مكرر

⁶ : عيس 31

⁷ : الجامع لأحكام القرآن 223/19

⁸ : ابن كثير 216/7 والمصباح المنير 1/1

المرعى¹. وقال ابن حيان: الأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم ويتنجد² وقال السيوطي: إن الأب هو الحشيش بلغة أهل المغرب³.

19- وجاءت الآيتان⁴ "فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا"⁵ لذكر سبب نزولهما، وقد أخبر أحمد بن اسحق عن أبي العباس بن يعيش عن ابن غيلان عن ابن حماد عن ابن شريح عن أنيس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على صخر في حائط فقال النبي (ص): لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى دخل عليه فأخرجه، فأنزل الله تعالى: (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا).

وقد قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، ولن يغلب عسر يسرين⁶ وقال ابن حيان: الظاهر أن التكرار للتوكيد، وقيل تكرر اليسر باعتبار المحل، فيسر في الدنيا ويسر في الآخرة، وقيل: مع كل عسر يسران، من حيث إن العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالأول غير الثاني⁷.

20- "قل هو الله أحد" والمعوذتان.

ووقعت الإشارة على هذه السور⁸ في قصة أوردها صفي الدين المراغي بالسند المرفوع إلى معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة مظلمة شديدة نطلب رسول الله (ص) ليصلي بنا، قال فأدركته، فقال: قل، فلم أقل شيئا، ثم قال: قل، فلم أقل شيئا، قال: قل، قلت يا رسول الله وما أقول؟ ثم قال: (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تسمي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء.

وقد قال النبي (ص): أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين⁹.

وتحدث القرطبي عن فضل هذه السور وما فيهما من الأحكام¹⁰.

¹ : تفسير غريب القرآن 515

² : البحر المحيط 428/8

³ : المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب بتحقيق الدكتور التهامي الراجي ص 66

⁴ : الرحلة 99/3

⁵ : سورة الشرح 6-5

⁶ : الجامع لأحكام القرآن 107/20 وابن كثير 320/7

⁷ : تفسير البحر المحيط 489/8

⁸ : الرحلة 52/3

⁹ : فضائل القرآن لأحمد بن شعيب النسائي ط 1 1400 ص 83

¹⁰ : القرطبي 247/20

وقال ابن القيم : إن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة بالله من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل¹.

ونلاحظ في هذا الشرح أن هناك استشهاداً بالأحاديث الواردة في فضائل السور، وهذا موضوع شائك، إذ إن المحدثين طالما نهبوا على كثرة ما في أحاديث الفضائل من الضعف، لكن يبدو أن ابن رشيد كان قد اطمأن إلى صحة هذا الحديث².

وبعد ذكر هذه الآيات أورد شيئاً مما يتصل بفضائل القرآن، ويتمثل ذلك في هذه المسألة :.

21- قراءة القرآن على سبعة أحرف: ³.

أولى كثير من المفسرين والقراء اهتماماً خاصاً بأحرف القرآن الكريم، واختلفوا في معانيها وماهيتها⁴، فذهب فريق من العلماء إلى أن الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها كالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة⁵، وقد جاء في الرحلة أن بهاء الدين بن النحاس أخبر ابن رشيد بسند مرفوع إلى أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال: قرأ رجل آية وقرأها على غير قراءته، فانطلقت به إلى النبي (ص) فقلت يا رسول الله اقرئني آية كذا وكذا فقال نعم، ثم قال إن جبريل وميكائيل أتياني فجلس جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل استزده ن فقال زدني، فقال اقرأه على حرفين، فقال ميكائيل استزده، فقال زدني، فقال اقرأه على ثلاثة أحرف، وفي كل ذلك يقول جبريل اقرأه وميكائيل يقول استزده حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأه على سبعة أحرف كل شاف كاف.

وحكى ابن عبد البر عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة⁶. ويرى بعض المحدثين أن المقصود بالأحرف

¹ : التفسير القيم 599

² : تدريب الراوي 290/1

³ : الرحلة 24/3

⁴ : النشر 23/1 و البرهان 211/1

⁵ : المحرر الوجيز لابن عطية 21/1

⁶ : التمهيد لابن عبد البر 278/4 والبرهان 214/1

السبعة ليس الفوارق الناجمة عن استخدام ألفاظ بعينها وإنما هو تلك الفوارق النطقية التي تميز بين قبيلة وقبيلة¹.

ومهما يكن أمر هذا الاختلاف، فإن القدماء قد أفاضوا في بحث تلك المسألة وتوصلوا إلى استنتاج فوائد مهمة في ذلك².

وبعد ذكر أهم الآيات القرآنية التي وردت في الرحلة في شأن معالجة بعض المسائل في التفسير أو علوم القرآن أو قضية من قضايا البلاغة أو اللغة أو غير ذلك، أورد هذا الفهرس المختصر لمعظم تلك الآيات ذاكرة نصها ورقمها في المصحف الشريف وشيئا عن موضوعها ومكان وجودها في الرحلة، وأنه كذلك على ما إذا كان قد ورد لها ذكر في هذه الآيات المدروسة (قبله)، والتي تحمل العدد المسلسل من 1 إلى 20، وأشير كذلك إلى أن هذه الآيات مفهومة تنازليا أي من سورة الفاتحة إلى البقرة إلى غيرها من السور.

وإني لم أرد تفصيل المعارف في هذه الفهرسة بسبب أنني قد أشرت إلى بعض ما فيها من المعاني والأسرار في أماكن أخرى من الرحلة مثل دراسة الأدب بلاغته ونقده، ودراسة الحديث والتصوف وغير ذلك، وستجد في هذه الفهرسة رقم السورة واسمها ورقم الآية ومرجعها في الرحلة أو رتبته في الآيات المدروسة قبل.

رقم السورة	رقم الآية	الآية وموضوعها ومرجعها في الرحلة وغيرها
الفاتحة 1	1	(بسم الله الرحمن الرحيم). وردت في مسألة قراءتها في الفريضة والنافلة في مذهب المالكية والشافعية، وقد شرحها ابن دقيق العيد وفصلها وناقشه فيها ابن رشيد. الرحلة 58/3
الفاتحة 1	1	(الحمد لله رب العالمين) قراءتها في الوتر 52/2
		(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا

¹ : أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ص 9

² : انظر فضائل القرآن ص 54 ، 55 وكشف الظنون 429/1 وانظر في هذا أيضا بعض المصادر والمراجع في الحديث عدد 77 من هذا البحث (بعد)

البقرة 2	39	بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون). وردت في شأن الوفاء بالعهد والعمل والطاعة أمرا ونهيا. 55/5 وانظر العدد المسلسل 1.
البقرة 2	59	(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم ...) الآية. وردت في الكلام على السماع. 44/2 والعدد المسلسل 2.
البقرة 2	82	(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ...) الآية . وردت في الكلام عن المداراة 38/6 والعدد المسلسل 3.
البقرة 2	155	(الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) وردت بمناسبة ذكر ما أصاب مدينة المهديّة من خراب ثم إنها لخلائها لم يكن بها ما يملاً صفا ثالثا في الجامع يوم الجمعة. 7/6
البقرة 2	178	(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون.) وردت في الكلام على الاستعارة 39/6
البقرة 2	186	(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ...) الآية. وردت في مسألة لغوية وهي تذكير الدرع وتأنيتها. 68 والعدد المسلسل 4
		(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا

البقرة 2	192	عدوان (إلا على الظالمين). جاء ذكرها في تفصيل القول في السبب والمسبب أي التجوز بلفظ السبب عن المسبب. 15/6
البقرة 2	193	(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين). وردت في التجوز بلفظ السبب عن المسبب. 15/6
البقرة 2	196	(واتقون يا أولي الألباب). وردت في الوفاء واتباع الهداية. والعدد المسلسل 1.
البقرة 2	199	(ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وهذه الآية من جوامع الدعاء. والعدد المسلسل 5.
آل عمران 3	7	(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، يقولون آمنا به، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) وردت هذه الآية في غرض الوفاء بالعهد والعمل والطاعة أمرا ونهيا. 55/2 والعدد المسلسل 1.
آل عمران 3	8	(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك، رحمة إنك أنت الوهاب). وردت هذه الآية في مسألة قراءة أبي بكر (رض) إياها في صلاة المغرب. 12-11/5
آل عمران 3	31	(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وردت هذه الآية في ذكر الوفاء بالعهد

55/2	والعمل والطاعة أمرا ونهيا .		
173	آل عمران 3 (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل). وردت في مسألة 106/3 ما يتقش به في الخاتم. والعدد المسلسل 6.		
57	النساء 4 (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا). وردت هذه الآية في مسألة: ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر. والعدد المسلسل 56.		
4	المائدة 5 (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ..) الآية . وردت هذه الآية في قصة عمر رضي الله عنه مع اليهودي. والعدد المسلسل 8.		
94	المائدة 5 (يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيث). وردت هذه الآية بمناسبة ظهور الوحش في الحرم الشريف عند الإحرام واختفائه عند الإحلال. والعدد المسلسل 9.		
102	المائدة 5 (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون). وردت الآية في معرض الوفاء بالعهد والطاعة أمرا ونهيا. 55/2		
107	المائدة 5 (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون). وردت الآية بمناسبة ذكر الحديث إن الناس إذا رأوا الظالم ..		

91/3	الحديث. والعدد المسلسل 10.		
68	6	الأنعام	(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين). وردت الآية في معرض الوفاء بالعهد والطاعة الخ. 55/2 والعدد المسلسل 1.
53	6	الأنعام	(وهذا كتاب أنزلناه مبارك ...) الآية، وردت الآية في صدد دعاء الله عند نزول المطر. 16/5 والعدد المسلسل 11.
153	6	الأنعام	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ...) الآية. وردت الآية بصدد الوفاء بالعهد الخ. 55/2 والعدد المسلسل 1.
154	6	الأنعام	(وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عنى سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون). وردت الآية في الوفاء بالعهد الخ. 55 /2 والعدد المسلسل 1.
56	7	الأعراف	(وهو الذي يرسل الرياح نثرا بين يدي رحمته.) الآية وردت الآية في مناقشة معنى الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12.
101	9	التوبة	(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ...) الآية. جاءت الآية في سند مرفوع إلى ابن سيرين أنه قال: السابقون الأولون هم الذين صلوا القبليتين. 18/6
113	9	التوبة	(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله

		وبشر المؤمنين). وردت الآية في مناقشة حكم واو العطف ومسألة عدم التنافر. 45/6
يونس 10	22	(هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ...) الآية. وردت هذه الآية بمناسبة ذكر الالتفات من الكناية إلى المخاطبة . 39/6
يونس 10	26	(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الآية. وردت الآية في مناقشة مسألة النظر إلى الله تعالى ورؤيته. 41/3
إبراهيم 14	23	(وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص). وردت الآية في ذكر مسألة الالتفات من الكناية إلى المخاطبة. 39/8
الحجر 15	22	(وأرسلنا الرياح لواقح ...) الآية. وردت الآية في مناقشة الريح والرياح. والعدد المسلسل 12 73/3
النحل 16	61	(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ...) الآية. وردت هذه الآية لتوضيح مسألة حذف كلمة من الآية، ومرجوع ذلك إلى الاعتماد على فهم السامع. 9/5
النحل 16	91	(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ...) الآية. وردت الآية في ذكر الوفاء بالعهد. والعدد المسلسل 1 55/5
النحل 16	126	(وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صيرتم لهو خير للصابرين). وردت الآية في ذكر السبب والمسبب. 15/6

الإسراء 17	24	(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا). وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
الإسراء 17	26	(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) وردت الآية في ذكر مسألة: ثلاثة يؤدين من البر والفاجر. 32/3 والعدد المسلسل 7.
الإسراء 17	34	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا) وردت الآية في ذكر مسألة ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر. 32/3 والعدد المسلسل 7
الإسراء 17	110	(وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبرا) وردت الآية في مناقشة النفي الفرضي 67/5
مريم 19	3	(قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ..) الآية. 38/6 وردت في ذكر الاستعارة.
طه 20	60	(قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افتري) وردت الآية في مسألة رد إعجاز الكلام على صدوره. 39/6
طه 20		قال أبو جعفر اللبلي في ذكر مقروءاته: الباهج في القراءات لأبي عبد الله بن مزاحم: تلوت به القرآن من أوله على آخره ختمات كثيرة بجميع القراءات السبع ما عدا أحرف الكسائي، فإنني لم أقرأ به إلا سورة طه، فقط على أبي اسحق إبراهيم بن محمد الأعلم. 28/2
الأنبياء 21	37	(خلق الإنسان من عجل، سأريكم آياتي فلا تستعجلون) جاءت

		الآية في سياق الحديث في أن النفوس جبلت على حب الحياة. 25/7
الحج 22	53	(ولا يزال الذين كفروا في مربة منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
المؤمنون 23	10-1	(بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون) إلى قوله تعالى: (أولئك هم الوارثون) وردت الآيات في الحديث الشريف أن من أقامهن دخل الجنة. 52 7/3 والعدد المسلسل 13
الشعراء 26	89-38	(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وردت الآية في سياق ذكر نظم أبي عبد الله بن أبي الحصال في معراج المناقب. 41/6
النمل 27	46	(قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وردت الآية في ذكر التجنيس 39/6
الروم 30	38	(وما آتيتم من ربا لتركبوا في أموال الناس فلا يربو عند الله.) الآية. وردت الآية في ذكر ما أقيم فيه السبب مقام المسبب. 67/5
الروم 30	42	(فأقم وجهك للدين القيم ..) الآية. وردت الآية في مسألة التجنيس. 39/6
الروم 30	45	(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) وردت الآية في مناقشة الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12.
لقمان 31	17	(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) وردت الآية في مسألة لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي. 67/3

فاطر 35	14	(إن تدعوهم لا يسمعو دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وردت الآية في تفصيل الكلام على مسألة النفي الفرضي، وإعراب: (ولا ينبئك مثل خبير) والنفي الفرضي من الاصطلاحات البلاغية النادرة التي وصلت إلينا عن حازم عن طريق تلامذته 67/5
فاطر 35	16	(إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وردت الآية في مسألة الالتفات من الكناية إلى المخاطبة. 39/3
فاطر 35	28	(إنما يخشى الله من عباده العلماء) وردت الآية بمناسبة ذكر الشاذ من القراءات. 14/6
يسن 36	36	(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
يسن 36	38-1	سورة يسن، من أولها إلى آية: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) جاءت هذه الآيات في معرض ذكر الرؤيا الصادقة. 55-54/5
الزمر 39	17	(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) جاءت الآية في شأن الوفاء بالعهد الخ. 55/2
فصلت 41	15	(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات ..) الآية. وردت في مناقشة الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12.
فصلت 41	33	(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وردت الآية في ذكر الإدارة 38/6 العدد المسلسل 3.

فصلت 41	45	(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) وردت الآية في ذكر قاعدة مهمة في المبالغة: الظالم والظلام، والحكم في ذلك. 14/6
الشورى 42	21	(ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) جاءت الآية في سياق كلام ابن رشيد على ما رواه من شيخه أبي بكر بن حبيش. 43/6
الشورى 42	40	(ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) وردت الآية في الكلام على الإدارة. 38/6
الفتح 48	2-1	(بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) وردت الآية في ذكر عبادة التكليف التي يطبقها القلب والجوارح، وعبادة الشكر التي إنما يقوم بالمستطاع منها القلب، وأما الجوارح فتتفسخ دونها. 65/7
الحجرات 49	2	(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي.) الآية. وردت الآية في قصة ثابت بن قيس بن شماس. 67/3 والعدد المسلسل 14.
ق 50		جاءت في خبر أن ابن عمر قرأ في المغرب سورة ق. 32 والعدد المسلسل 10.
الذاريات 51	41	(وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) جاءت الآية في مناقشة الريح والرياح. 73/3

		والعدد المسلسل 11.
الطور 52	13	(أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) وردت الآية بمناسبة ذكر الأحداث الضعيفة. 14/3 والعدد المسلسل 15.
الحديد 57	3	(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) جاءت الآية في ذكر استعمال الواو في العطف ومسألة تنافر الحروف، وهي من المسائل الدقيقة. 45/6
ط 69	1	(بسم الله الرحمان الرحيم ن والقلم وما يسطرون) وردت الآية في قصة للدارقطني والقارئ الذي كان يقرأ وهو يصلي النافلة. 11/3 والعدد المسلسل 16.
المزمل 73	9	(واصبر على ما يقولون، واهجرهم هجرا جميلا) وردت الآية في ذكر المداراة. 38/6 والعدد المسلسل 3.
الانسان 76	30	(وما تشاءون إلا أن يشاء الله، إن الله كان عليما حكيما) وردت هذه الآية في سياق كلام لابن رشيد ملخصه أنه لم يقدر له تحصيل كتاب الحلل المضمخة لصاحبه أبي الفضل. 5/7
المرسلات 77	1	(والمرسلات عرفا) ورد أن النبي (ص) كان يقرأها في صلاة المغرب. 32/3 والعدد المسلسل 17
النازعات 79	40-39	(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وردت الآية في ذكر الوفاء بالعهد الخ. 55/2
عبس 80	31	(وفاكهة وأبا) وردت الآية في البحث عن معنى الأب.

19/3 مكرر		
والعدد المسلسل 18.		
(يسْقَوْنَ من رحيق مختوم ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه من تسنيم) جاءت الآيات في سياق نظم ابن أبي الخصال معراج المناقب.	26-25-27	المطففين 88
41/6		
(وأما بنعمة ربك فحدث) وردت الآية في قصة أبي بكر بن حبيش وبعض الطلبة الذين كانوا يفيضون في استحسان شعره.	11	الضحى 93
40/6		
(فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وردت الآية بمناسبة ذكر الحديث النبوي : لو جاء العسر فدخل هذا الجحر ... الحديث.	6-5	الشرح 94
99/2		
(إنا أنزلناه في ليلة القدر) جاءت الآية لتوضح أنه إذا وقع حذف في القرآن فإنما يعتمد في ذلك على فهم السامع.	1	القدر 97
9/5		
وهذا يشبه قوله تعالى (ما تركنا عليها من دابة) وكذا الحديث النبوي كنا نصلي مع رسول الله (ص) المغرب إذا توارت بالحجاب، يعني الشمس.		
(قل هو الله أحد) السورة. جاء ذكرها بمناسبة ذكر قراءتها في الوتر، وقراءتها حين تمسي وحين تصبح.	الإخلاص	الإخلاص 112
52/3 و 52/2		
والعدد المسلسل 20.		
جاء ذكرها في قراءتها في الوتر، وقراءتها حين تصبح وحين تمسي.	الفلق	الفلق 113
52/3 و 52/2		
والعدد المسلسل 20.		
(قل أعوذ برب الناس) السورة ورد ذكر قراءتها في الوتر وحين تمسي وحين تصبح.	الناس	الناس 114
52/3 و 52/2		
والعدد المسلسل 20.		

وورد في الرحلة بعض مسائل تتعلق بالقرآن وتفسيره وعلومه وفوائده ونذكر من ذلك:

أحرف القرآن سبعة أحرف. (الرحلة 24/3)

أحرف الكسائي 28/2 (الرحلة 28/2)

حرف نافع (الرحلة 45/2)

القراءات السبع، جمعا وأفرادا (28، 2/2 و 65/6)

محاسن البيان: جاء في سند مرفوع إلى أبي بكر بن دريد قال: قلت لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني: إن الشعر يتضمن من محاسن البيان مالا يكاد يوجد إلا فيه، ولا يؤخذ إلا منه، فقال: لا أعلم شيئا مما تومئ إليه إلا وقد اشتمل القرآن عليه، ووجد في كلام الرسول (ص) مثله، وجاء في فقر الصحابة عدله وإلأم؟ تشير فقلت: الاستعارة. ثم فصل القول في ذلك

38/6

16/5

تستحب قراءة القرآن في الطواف عند نزول المطر .

الأسطوانة التي عند المصحف: كان الرسول (ص) يتحرى الصلاة عندها قال ابن رشيد موضع هذه الأسطوانة اليوم معروف وعندها المصحف، وقد ألزق بالسارية خزانة يوضع فيها المصحف، وموضع مصلى الإمام اليوم محدود يقولون هو موضع مصلى النبي (ص)، وظاهر الحال أن موضع سجوده (ص) هو موضع الخزانة التي فيها المصحف وموضع قعوده (ص) في جلسات صلاته هو موضع سجود الإمام اليوم وهو في وسط المسجد بين القبر والمنبر.

8/5

وادي محسر : قيل وادي محسر لأن فيل أصحاب الفيل حسر في ذلك الوادي أي أعيا.

20/5

وجاء خبر عن أبي محمد عبد الله الطبري الشريشي أنه كان ممن سهلت عليه تلاوة القرآن مع حسن الإيراد، يأتي منه الكثير في الزمن اليسير

17/2

وورد نص سؤال كتب به أبو الفضل التجاني لشيخه أبي القاسم ابن زيتون، ومضمن ذلك: ما يقول ابن زيتون في شاعر يذيل من الكتاب العزيز: هل ذلك له جائز أو هو متجاوز ... السؤال. ولكن ابن زيتون لم يجب عنه.

35/7

ويظهر لنا من خلال بسط القول في هذه المسائل أن الكلام على القرآن الكريم يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم وهي التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف وأصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والبيان، فأما التفسير فهو المقصود بنفسه، وسائر الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به تتفرع منه، هذا ما نبه عليه محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي تلميذ ابن رشيد، وإننا لا نستبعد أن يكون ابن جزي هذا قد تأثر باتجاه أستاذه وطريقته وأسلوبه ومنهجه ومعارفه وثقافته بعامه¹.

¹ : أنظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي 6/1 وأنظر ترجمته في هذا البحث ص 173 ترجمة 31.

المبحث الثاني
الحديث النبوي
الشريف

الحديث النبوي

أ- مقدمة :

إذا قمنا بتقويم عام لمعارف الرحلة وجدنا أن الحديث النبوي يأتي في المرتبة الثانية بعد الأدبيات، ويظهر من خلال توزيعه على الأجزاء الخمسة الموجودة نوع الفكر الذي كان يهيمن على العواصم الثقافية شرقا وغربا في أواخر القرن السابع الهجري ونلاحظ من خلال ذلك أيضا أن علماء الغرب الإسلامي كانوا يهتمون بالدراسات الأدبية شعرها ونثرها ونقدها وبلاغتها ولغتها أكثر من غيرها، بينما كانت الدراسات الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والتصوف والعقيدة تهيمن على ثقافة المشرق وفكره، ولكن هذا لا يجعلنا نعتقد أن اللون الغالب كان سببا في عدم التوازن في الثقافة العامة، بل إن العلوم الإسلامية والآداب كانت شاملة وعامة جميع أقطار العالم الإسلامي، ولهذا نجد كثيرا من المحدثين يقولون شعرا ذا مستوى رفيع، ثم إنهم كانوا يحفظونه ويروونه ويكتبون رسائل لها قيمة أدبية ذات شأن معتبر، وإنهم كانوا يبدون أحيانا نظرات مهمة في النقد والبلاغة. ويقال مثل هذا في أولئك الأدباء الذين خلدوا تراثا مهما في التصوف وروايات كثيرة في الحديث والفقه وغيرها. ولكن واقع معارف الرحلة يدفعنا إلى هذا التساؤل: وهو : لماذا كانت الأجزاء الخاصة بالمشرق تحفل بالحديث والأجزاء الخاصة بالمغرب تزخر بالمسائل الأدبية؟ وهل ذلك ناتج عن توجيه قصد إليه ابن رشيد قصدا وذلك باختيار الشيوخ الذين أراد الأخذ عنهم، أو إن المدارس والمساجد لم تعرف إلا هذا اللون أو ذاك من العلوم في تلك الأقطار التي زارها ابن رشيد؟ وإنما إذ لا نستبعد الاحتمالين معا وينبغي أن ننبه على أن إهمال جانب ما لم يقع أبدا في تلك البلدان التي كانت ثقافتها متكاملة متواصلة، بل يبدو لي أن طلب علو الرواية في الحديث هو الذي دفع ابن رشيد إلى أن يخص الجانب الأكبر منه بالأجزاء الخاصة بالمشرق، وذلك في مصر ودمشق والحرمين، وكانت كلها تحتضن أولئك المحدثين المشهورين الذين كانوا يتمتعون بجانب عظيم من الحفظ والضبط والإتقان وعلو السند، ورغم ذلك لا تخلو هذه الأجزاء من أدبيات أبي اليمان بن عساكر وابن الخيمي وأبي بكر القسطلاني وبهاء الدين بن النحاس وابن الفارض وأبي حيان الغرناطي وابن دقيق العيد وغيرهم، وهذا كله يعطي الرحلة سمة التوازن والتكامل بين هذين العلمين المهمين

(الحديث والأدب) اللذين استأثرا بالتفكير العربي منذ عهد بعيد. ويمكن أن نلاحظ أن هذه السمة قد تميزت بها رحلة ابن رشيد¹.

ب- إحصاء تقريبي للحديث الوارد في الرحلة :

إذا كان عدد شيوخ ابن رشيد الذين عرفوا بصفة "المحدث" يبلغ سبعين شيخاً تقريباً (70 شيخاً) فإن أهمهم من حيث سعة الترجمة وإيراد أكبر عدد من الأحاديث والمناقشات المتصلة بالجرح والتعديل هم :

- تاج الدين الغرافي السني الذي ورد في ترجمته واحد وعشرون حديثاً وثمان مسائل في الجرح والتعديل².

- عبد الرحيم بن خطيب المِزَّة وقد ورد في ترجمته واحد وعشرون حديثاً ومسألتيان في الجرح والتعديل³.

- أبو صادق القرشي : عشرون حديثاً⁴.

- عبد العزيز الحراني : سبعة عشر حديثاً⁵.

- خليل المراغي : سبعة عشر حديثاً⁶.

- بهاء الدين النحاس : سبعة عشر حديثاً وخمس مسائل⁷.

- جمال الدين بن الظاهري : ستة عشر حديثاً وغير ذلك من مسائل العقيدة والتصوف⁸.

- موسى القمجي : اثنا عشر حديثاً⁹.

¹ : سأذكر في آخر دراسة الرحلة مقارنة بين بعض الرحلات التي تشابهت في مضمونها ومنهجها.

² : الرحلة 10/3

³ : الرحلة 72/3

⁴ : الرحلة 63/5 و 71/3

⁵ : الرحلة 114/3

⁶ : الرحلة 46/3 مكرر

⁷ : الرحلة 23/3

⁸ : الرحلة 59/5 و 97/3

⁹ : الرحلة 35/2

- أبو محمد الخلاسي: ثمانية أحاديث، وغير ذلك مما يتصل بالتصوف.¹

وباستقراء الأجزاء الموجودة، نستنتج أن الأجزاء الخاصة بالمغرب (اعني بذلك الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وبلاد الجريد) - احتوت عددا قليلا من الأحاديث والأسانيد ومسائل الجرح والتعديل، إذ لا يوجد في الجزء الثاني مثلا سوى ثلاثين حديثا تقريبا، وفي الجزء السادس ثلاثون حديثا فحسب، وفي السابع أربعة أحاديث فقط. وباعتبار الأوراق الضائعة والمخرومة فإن تلك الأرقام تكاد تكون قريبة من الصحة، وبهذا يكون مجموع الأحاديث في الأجزاء الثلاثة التي يبلغ عدد صفحاتها كلها إحدى وخمسمائة: ما يقرب من بضعة وستين حديثا فحسب (64 حديثا).

بينما الجزآن الخاصان بالمشرق (وأعني بذلك مصر والشام والحرمين) - وهما الجزآن الثالث والخامس، واللذان يبلغ عدد صفحاتهما ثلاث عشرة وأربعمائة صفحة - يحتويان على ثمانين ومائتي حديث تقريبا. أما مسائل الجرح والتعديل والمناقشات المفيدة في ذلك فتكاد تنعدم في الأجزاء الأولى، بينما نجد الأجزاء الأخيرة تحتوي على أزيد من ثلاثين مسألة تتصل بالتعديل والتجريح، وفي الجزء الثالث وحده ستة وعشرون مناقشة من ذلك. ولو كان الجزء الرابع بين أيدينا (وهو خاص بالشام) لكان ذلك العدد أكثر، لأن الشام كانت وقتئذ حافلة بالمحدثين، ثم إن اللون الغالب على الذين ثبت أن ابن رشيد التقى بهم فيه، كان يتصل بالعلوم الإسلامية من الفقه والتصوف والزهد والحديث. وبهذا يكون مجموع الأحاديث الواردة في الأجزاء الخمسة يقرب من خمسين وثلاثمائة حديث، وضمناها الأحاديث المكررة والمتشابهة في نصها، وأما تلك الأحاديث المكررة فمثل:²

حديث: من كذب علي ... (خمس مرات). وحديث يا أبا عمير ... (ثلاث مرات). وحديث الراحمون ... (ست مرات). وحديث الوضوء يوم الجمعة ... (ثلاث مرات). وحديث نهيه عن لحم الحمر الأهلية ... (ثلاث مرات) وحديث اقرؤوها على موتاكم ...، يعني يس (مرتين) وحديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان ... (مرتين). وحديث إذا توضأ العبد خرجت خطاياه ... (مرتين) وحديث تحية المسجد وكذا الأمر: (أي مرتين) في كل من الأحاديث: تحية المسجد، وصلاة المغرب، وبول

¹ : الرحلة 46/2

² : سنجد نص هذه الأحاديث كاملا في فهرسة خاصة، وإذا أريد البحث عنها في الكشاف المعد لذلك : يجردها ويبحث عنه فمثلا الصابر على دينه في صبر والعائد في هبته في الهبة وزكاة الفطر في الزكاة وهكذا.

الأعرابي في المسجد، ومسلسل أطعمنا، والصابر على دينه، والعائد في هبته، وزكاة الفطر، ومن تشبع بما لم ينل، وإن خير ما ركبت إليه الرواحل، وما بين بيتي ومنبري وإغما الأعمال بالنيات، والولاء لمن أعتق، وغفار غفر الله لها، واللهم إني أسألك العافية، وأصبحنا وأصبح الملك، وما أذن الله لشيء : أي حديث التغيي بالقرآن.

ت- أهم مصادر الحديث الوارد في الرحلة :

أما أهم مصادر تلك الأحاديث : فيمكن حصرها في الكتب الآتية، وهي مرتبة حسب أهميتها بالنسبة إلى توارده أكثر الأحاديث منها في أجزاء الرحلة¹ وسأذكرها مع عدد الأحاديث التي نقلها الرواة منه.

- صحيح البخاري (وكذا ما أورده من الثلاثيات وكتاب التاريخ: (ثلاثة وثلاثون حديث)².

- مسند عبد بن حميد (أربعة وعشرون حديثاً)³.

- الغيلانيات : وهي من عوالي البغداديين (سبعة عشر حديثاً).

- الأربعون البلدانية للسلفي (اثنا عشر حديثاً).

- الخلعيات : (عشرة أحاديث).

- الرعاية للمحاسبي (عشرة أحاديث).

- رجال الصحيحين للمقدسي وهو أبو الفضل محمد بن طاهر (عشرة أحاديث).

- سنن الترمذي⁴ (تسعة أحاديث).

- المائة الشريحية لأبي عبد الله بن شريح (تسعة أحاديث).

¹ : وقد اثبت في فهرسة الكتب أماكن وجودها، وليرجع عليه.

² : ونلاحظ هنا أن الأخذ من البخاري كان أوفر حظاً من الأخذ عن مسلم، مع أن المغاربة كانوا يأخذون عن مسلم ويشرحون صحيحه وقد جاء في ألفية العراقي الحافظ :

أول من صنف في الصحيح محمد وخص بالترجيح

ومسلم بعد وبعض الغرب مع أبي علي فضلو ذا لو نفع

وحاصل كلامه أن تفضيل البخاري على مسلم هو الشائع إلا أن أبا علي النيسابوري والمغاربة ذهبوا إلى تفضيل مسلم لاعتبارات منهجية وإلا فإن كتاب البخاري أصح الصحيحين. أنظر 39/1

³ : نفس المرجع السابق

⁴ : نفس المرجع السابق

- صحيح مسلم (وكذا كتابه التمييز) (تسعة أحاديث).
- الأمثال لأبي أحمد العسكري وقد قال ابن رشيد أن هذا الكتاب احسن الكتب المصنفة في بابه (ثمانية أحاديث).
- مسند الشافعي (ثمانية أحاديث).
- القطيعيات (سبعة أحاديث).
- التاريخ لأبي نعيم الأصبهاني (سبعة أحاديث).
- جزء ابن العوالي (ستة أحاديث).
- جزء ابن زنبور أبي صالح محمد بن أبي الأزهر (خمسة أحاديث).
- جزء ديزيل (خمسة أحاديث).
- جزء ابن مطيع (خمسة أحاديث).
- سنن النسائي¹ (خمسة أحاديث).
- الثقفيات (أربعة أحاديث).
- حديث ابن حرب الطائي (أربعة أحاديث).
- حديث بشر بن مطر (أربعة أحاديث).
- جزء أبي عبد الله الأنصاري (أربعة أحاديث).
- موطأ مالك (أربعة أحاديث). وقد ورد اسم مالك في أكثر من خمسة عشر موضعاً، ولكن لم يأت منه في صدد الحديث إلا في أربعة أماكن.²
- جزء الملخص (أربعة أحاديث) (وهو أبو طاهر الملخص).
- سداسيات وخماسيات ابن عتاب (ثلاثة أحاديث).
- جزء أبي يعلى الخليلي (ثلاثة أحاديث).

¹ : لاحظ أيضاً أن كتب السنة المشهورة أقل حظاً في الورد.

² : وهذا أيضاً يثير الانتباه، لأن موطأ مالك كان من أهم الكتب التي يرجع إليها ويقبل عليها في المغرب خاصة. انظر مثلاً شروحه الكثيرة وأهمها لأبي عمر النصري.

- سنن ابن ماجه (ثلاثة أحاديث)¹.

- مسلسلات ابن العربي (حديثان).

- المجالس السللماسية لأبي طاهر السلفي (حديثان)².

- حديث أبي الجهم الباهلي (حديثان)

ووردت أحاديث وأسانيد قليلة لكتب أخرى أي انه ورد في كل منها حديث واحد فقط. ومن تلك الكتب: كتاب الأربعين الزاهرة لابن مقير - وحديث ابن مسلم البصري - ومعجم الطبراني - وجزء أبي بكر الخطيب البغدادي - والمجالس العونية - وسنن أبي داود - ومسند ابن حنبل الذي لا توافق أسانيده الأسانيد المغربية، وهي رواية أبي الحسن، وقد فصل ابن رشيد محتواه في الرحلة - وكتاب الأربعين السبعيات للفشيري - وثلاثيات الدارمي - وجزء أبي صادق القرشي - والاقتراح في بيان الاصطلاح لأبي الفتح الفشيري وهو جزء مفيد تضمن كثيرا من أصول علم الحديث - والإرشاد لأبي يعلى الخليلي وقد ذكر فيه المحدثين والعلماء على ترتيب البلاد - وفوائد ابن العالي - وجزء أبي جعفر المكي - والاستيعاب - وتحفة عيد الأضحى لزاهر الشحامي - وجزء ابن الجميزي - ومعجم الصديقي - وجزء من أمالي ابن ميلة - وجزء الأصم - وجزء أبي نصر المقدسي - وجزء ابن زريق المخزومي - وجزء ابن عرفة من سماعات ابن كليب - والدلائل للسرقسطي - وحديث ابن شاذان - والتمهيد لابن عبد البر، ونلاحظ في هذا الصدد على قلة ما ورد من التمهيد من الأحاديث مثلما ذكرنا عن موطأ بن مالك - والجامع للرعيني - والأطراف لابن عساكر - والأكمال للقاضي عياض (انظر ما لاحظناه على كتاب البخاري ومسلم) - وكتاب الأربعين لابن مسدي - والمفيد في الثماني الأسانيد - وجزء أبي إسماعيل الأنصاري المعروف في وقته بشيخ الإسلام.

ث- ذكر شيء من الأسانيد وصور التحمل :

أما ما يتصل بالسند فإن طرقه وسلسلاته متعددة في الرحلة، ولا يمكن إيرادها جميعا، وإلا أوردنا بعض أجزاء الرحلة بحذا فيرها، ولكن الذي ينبغي أن نعرفه هو حرص ابن رشيد على أن يكون أغلب تلك الأسانيد متصلا بينه وبين النبي صلى الله

¹ : انظر ما لوحظ في هامش 1

² : الكتاب مطبوع : قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان دار الأصمعي للنشر ط 1414 1994

عليه وسلم، فهو لا ينسى في أكثر الأحيان أن يذكر التاريخ وكيفية التحمل من السماع والقراءة والمناولة والحضور والإجازة، ففي هذا الحديث مثلاً: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".

نجد أن سلسلة الرواية فيه على هذه الشاكلة:

- ابن رشيد سنة 684 هـ
- عن أبي عبد الله الخراساني التلمساني
- عن بهاء الدين بن هبة الله الجميزي (سماعا)
- عن شهدة البغدادية (قراءة عليه وهو يسمع)
- عن أبي عبد الله بن البصري (قراءة)
- عن أبي محمد السكري
- عن أبي علي إسماعيل الصفار
- (وكان يقرأ عليه وهو يسمع)
- عن أبي نصر البزاز
- عن سفيان بن عيينة
- عن عمرو
- عن نافع
- عن جبير
- عن ابن شريح الخزاعي قال :

قال رسول الله (ص) الحديث ...

ونلاحظ أن ابن رشيد كان يؤكد صفة الرواية، وهذا يدل على أن مذهبه في الأخذ عن الشيوخ يعتمد القراءة أو السماع في الدرجة الأولى، لأنهما أفضل طرق

السمع¹. وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس قالا: قراءتك على العالم كقراءته عليك، وهذا مذهب البخاري².

وفي حديث ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به نجد طريقة التحمل على هذه الشاكلة:

ابن رشيد³ (كان يقرأ عليه، أي على ابن درادة) بمسجد القاهرة بمقربة من القيسارية وهو يسمع وذلك في جزء من أمالي ابن ميله، والقارئ هو ابن سامة الدمشقي صاحبه. عن جمال الدين أبي عبد الله بن درادة قيل له أخبركم أبو محمد عبد الوهاب ابن ظافر بن علي بن رواج (قراءة عليه وأنت تسمع، فأقر به) وكان سماعه عليه في 25 محرم 647 هـ بالقاهرة.

قال أنا أبو طاهر السلفي قراءة عليه وأنا اسمع في شعبان 574 هـ.

قال أنا أبو مسعود محمد السوذر جاني في ربيع الأول 493 هـ.

نا أبو الحسن علي بن محمد بن ميله، املاء، في ذي الحجة 410 هـ.

نا أبو عمر أحمد بن محمد بن إبراهيم

نا أبو حاتم

نا محمد بن عبد الله الأنصاري

حدثني محمد بن عمرو

عن أبي سلمة

عن أبي هريرة قال

قال رسول الله (ص): الحديث.

¹: الرحلة 95/3

²: الالمام للقاضي عياض 69-71-79 وشرحاً ألفية العراقي 23/2، 29.

³: الرحلة والقاضي عياض في الالمام 69.

ونلاحظ هنا زيادة على ما سبق: توكيد بعض الصفات الأخرى مثل قوله: (قيل له أخبركم) و (فأقرب به)، و(املاء)، وغير ذلك، هذا علما بأن الإملاء والسماع هما المتواتران في هذا السند.

واعتبارا لاختلاف هذه الأسانيد وعدم وجود رابط أساسي لها وذلك من حيث عدم تكرار نوع معين من الشخصيات في الإسناد، فإننا نقتصر على هذين الإسنادين السابقين، ونعزز ذلك بشجرة أخرى مبسطة ليتضح فيها ذلك الاختلاف والتنوع ثم الاتفاق في بعض رواة الحديث الواحد إذا ورد مكررا، فإذا أخذنا مثلا حديث (الراحمون): وجدنا أن سلسلة الإسناد فيه على الصورة الآتية:

"الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"
الرحلة 71/3.

رسول الله (ص)

مولى عبد الله بن عمرو

عمرو بن دينار

سفيان بن عيينة

عبد الرحمان العبدى

أحمد بن يحيى

أبو طاهر بن محمش

حمزة المهلبى

أحمد المؤذن بنيسابور

عبد الله السجزي بمكة

علي الزعفراني بأصبهان

أبو محمد السراج ببغداد

أبو الحسن بن طريف

الحافظ السلفى

عبد الصمد الغضائرى

أبو صادق القرشي بالقاهرة سنة 684 هـ

ابن رشيد

وذلك بإضافة هذا أول حديث سمعته من ... إلى كل راو.

-2- (الرحلة 60/5).

رسول الله (ص)

عبد الله بن عمرو

مولى عبد الله بن عمرو

عمرو بن دينار

سفيان بن عيينة

عبد الرحمان العبدى

أحمد البزاز

أبو طاهر بن حمش

أحمد النيسابوري

أبو القاسم الشحامى الإمام أبو الوفاء محمد

أبو عبد الله الرجوانى ببغداد عبد الرزاق القومسانى

أبو النعمان التنيرى سنة 639 عبد الرحمان الأبهري سنة 12

بالمسجد الحرام فى 18 ذى الحجة

القطب القسطلانى

ابن رشيد بمدرسة الحديث الكرمية

بالقاهرة فى 6 صفر 685 هـ

وذلك بإضافة هذا أول حديث سمعته من ... إلى كل راو

-3- (الرحلة 25/5، 27).

رسول الله (ص)

عبد الله بن عمرو

عمرو بن دينار
سفيان بن عيينة
عبد الرحمان العبدى
أبو طاهر بن حمش
أحمد بن عبد الملك النيسابورى
أبو القاسم الشحامى
عمه مؤرخ الشام أبو القاسم
أبو الركات الحسن : فى 22 رمضان 596 هـ
عبد الوهاب بن عساكر، (لما قدم حاجا)
العسقلانيان أبو عبد الله وعلم الدين
ابن رشيد.

4-(الرحلة 59/5)

النبى (ص)
عبد الله بن عمرو
مولى عمرو
سفيان بن عيينة
أبو حامد البزاز
أبو نصر السجزي (بمكة)
أبو محمد السراج اللغوي (بيغداد)
أبو طاهر السلفي
ابن الجميزي (بمكة أو مصر أو القاهرة)

(الشك من ابن رشيد)

جمال الدين بن الظاهري

ابن رشيد (بعد قفوله من الحج)

هكذا كان الحديث الواحد يرد إلى ابن رشيد بطرقه المتعددة وفي إسناده مكيون وبغداديون ونيسابوريون ومصريون وحجازيون وغيرهم.

ج- موضوعات الحديث الوارد في الرحلة :

أما معاني الحديث العامة الواردة في الرحلة فيمكن تصنيفها كما يأتي، وذلك حسب كثرة ورودها في الرحلة:

1- المعاملات وهي فيما يتعلق بالبر بالوالدين وصلة الرحم وإصلاح ذات البين والمداراة والحث على الصدق والخلق الحسن وترك الكذب ومجانبة الهجر والبغضاء والظلم والعدو ومقت النفس) ثلاثة وستون حديثا تقريبا .

2- ما يتعلق بالصلاة (ثمانية وثلاثون حديثا تقريبا)

3- العلم والعمل والنية وطلب الرزق (سبعة وعشرون حديثا)

4- طاعة الله وعبادته وعدم الشرك به (ستة وعشرون حديثا)

5- الدعاء (ستة وعشرون حديثا)

6- البيوع (تسعة عشر حديثا)

7- الجهاد والمرابطة وما يتصل بذلك من الحرب وحمل السلاح والغنائم (ثمانية عشر حديثا).

8- الحج (سبع عشر حديثا)

9- الميراث (اثنا عشر حديثا)

10- القيامة والساعة (أحد عشر حديثا)

11- القرآن الكريم (تسعة أحاديث)

12- الطهارة والوضوء والغسل (ثمانية أحاديث)

- 13- الأضحية والذبح (ثمانية أحاديث)
 - 14- أحاديث خاصة به صلى الله عليه وسلم في خَلْقِهِ وُخْلُقِهِ (ثمانية أحاديث)
 - 15- الزكاة والصدقة والهبة (سبعة أحاديث)
 - 16- في المسجد والمنبر (ستة أحاديث)
 - 17- في الأطعمة (ستة أحاديث)
 - 18- في الطب النبوي (خمسة أحاديث)
 - 19- في الحديث النبوي الشريف (خمسة أحاديث)
 - 20- في المال (ثلاثة أحاديث)
 - 21- في عاشوراء (ثلاثة أحاديث)
 - 22- في القصاص والحدود (حديثان)
 - 23- في الرقية والاسترقاء (حديثان)
 - 24- في العورة (حديثان)
 - 25- في العظة والاعتبار (حديثان)
 - 26- في القناعة (حديث واحد)
 - 27- في الوحي (حديث واحد)
- أما باقي الأحاديث فيدور معناها حول معان مختلفة منها الحمى والرفق بالحيوان والشبهات والطيرة والقبور والجوع والشبع والصبر على الدين والخطأ والنسيان والمذهب وغير ذلك. وعندما نطلع على فهرس تلك الأحاديث، بعد، سيتضح ذلك لنا أكثر.

مصطلح الحديث

وبعد هذا ستعزز¹ تلك الأحاديث بما ورد في الرحلة من مصطلح الحديث في غضون الإفادات وسلسلات السند وفي مناقشات الجرح والتعديل، وذلك لمعرفة أهم

¹ : انظر التوضيح بعد.

المصطلحات التي كان يستعملها المحدثون، ولنستطيع أيضا أن نتعرف قيمة الرحلة التي تعد مصدرا مهما للحديث ورجاله ولمعرفة ما فيها من مناقشات مفيدة في التصويب والتحقيق والضبط. ونجد مع هذه المصطلحات رقما يدل على مكان وجودها في الرحلة والإشارة إلى بعض أماكن وجودها في أهم الكتب التي عرفت مصطلح الحديث ككتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري والألماع للقاضي عياض ومقدمة ابن الصلاح. وشرف أصحاب الحديث لأبي بكر ابن الخطيب وكتاب الاعتبار للحازمي وكلها كانت مصادر مهمة لابن رشيد، وننبه كذلك على كتب أخرى مثل الخلاصة للطبري وتدريب الراوي للسيوطي والباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة وإرشاد الفحول للشوكاني والتذكرة للحافظ العراقي (ويسمى أيضا التبصرة، ومعه شرحاه).

فهرس الأحاديث الواردة في الرحلة

لقد جمعت الأحاديث التي عثرت عليها في الرحلة ثم رتبته حسب حروف المعجم وجعلت لكل حديث رقما يعرف به عند الرجوع إلى كشف المعاني الذي نبهت عليه والذي سأورده بعد، ثم أشرت عند إيراد كل حديث إلى مكان وجوده في أجزاء الرحلة، وأتيت بعد ذلك بسند ابن رشيد فيه أو شيء من ذلك السند وكان ذلك في معظم الأحاديث¹، وبعد أن رجعت إليها، وكان مما استعنت به كتاب المعجم المفهرس لونسك، ومفتاح الصحيحين للحافظ محمد الشريف التوقادي وبهما كنت أهتدي للرجوع إلى بعض الكتب المشهورة ككتاب الموطأ وكتاب البخاري وصحيح مسلم بشرح النووي وسنن الترمذي وابن ماجة والنسائي وأبي داود ومسنند احمد بن حنبل وغيرها من الكتب المعتمدة كالمستدرک للحاكم والتمهيد لابن عبد البر وتنوير الحوالك للسيوطي وفتح الباري لابن حجر وعمدة القاري للعيني وكتاب الاعتبار للحازمي وغير ذلك من المعاجم التي شرحت غريب الحديث وفسرت المختلف فيه كالفائق في غريب الحديث للزمخشري وغريب الحديث للهروي وغريب الحديث لابن قتيبة وتأويل مختلف الحديث له ومشارك الأنوار للقاضي عياض وكتاب النهاية لابن الأثير وغير ذلك مما ستجده في مكان المصادر والمراجع من هذه الأحاديث (وقد توخيت فيها حذف السند في المطبوع، وهو ثابت في المرقون لمن تطلبه).

1- آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك.

المراجع: الرحلة 124/3 مسلم (إيمان) 333، صحيح مسلم بشرح النووي (الشفاعة) 73/3.

2- ارتقى رسول الله (ص) المنبر فقال: آمين، ثم ارتقى ثانية فقال آمين، ثم استوى عليه فقال آمين، فقال أصحابه: على ما أمنت يا رسول؟ فقال أتانى جبريل عليه

¹ : هذا السند موجود في النسخة المرقونة، وقد رأيت حذف في هذا المطبوع بحكم الاختصار، ومن أراد فليطلبه في المرقون بكلية الآداب بفاس وغيرها كالمجلس العلمي بوجدة ونسخ الذين ناقشوا هذه الرسالة.

السلام فقال: يا محمد: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين، ثم قال رغم أنف امرئ أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلا الجنة، فقلت آمين، ثم قال : رغم أنف امرئ أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فقلت آمين.

الرحلة 33/3 الترمذي (الدعوات) 100، صحيح مسلم بشرح النووي رغم أنف رغم أنف رغم أنف ... الحديث 106-16 ابن حنبل 354/3.

3- حانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله (ص) بوضوء، فوضع في ذلك الماء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم.

الرحلة 72/3، البخاري مناقب 25، مسلم فضائل 6، الترمذي مناقب 6، ابن حنبل 147/3، 170، 215، 289، مسند الشافعي 15-16، الشفا 179، باب 4 وانظر كذلك عيون الأثر لابن سيد الناس 288 ولمع الأدلة للجويني 112 واصل الدين لابن عبد القاهر التميمي البغدادي 182. مسلم بشرح النووي 80/15 والخصائص الكبرى للسيوطي 43/1.

4- أتى النبي (ص) عبد الله بن أبي بعدما دفن فأخرجه فنفت فيه من ريقه والبسه قميصه.

الرحلة 22/6 البخاري جناز 22-23-77-78 لباس 8 مسلم مناقبين 2 النسائي جناز 40 وانظر كذلك الاعتبار في النسخ والمنسوخ 132-133.

5- أبسط رداءك: عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قلت يا رسول الله إني أسمع عنك حديثا كثيرا أنساه قال: أبسط رداءك فبسطته، فغرف بيديه ثم قال ضمه فضمته فما نسيت شيئا بعد.

قال ابن رشيد أن هذا الحديث من نسخة كريمة المروزية.

الرحلة 86/3

6- لما قتل علي أصحاب الألوية، ابصر رسول الله (ص) جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرق جماعتهم وقتل هشام بن أمية المخزومي، ثم ابصر النبي (ص) جماعة وجمعا من مشركي قريش فقال لعلي : أحمل عليهم فحمل

عليهم وفرق جماعتهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر جماعة أو جمعا من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شبيبة بن مالك أحمد بن عامر بن لؤي، فأتى جبريل إلى النبي (ص) فقال: إن هذه المؤاساة. فقال: إنه مني وأنا منه فقال جبريل: وأنا منكم، وسمع صوت ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

من كتاب أبي عبد الله التنجيب.

الرحلة 73/6.

7- أثر النبي (ص) رجلا من أسلم أن أذن في الناس: من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم عاشوراء.

الرحلة 59/5 فتح الباري 244/4 ابن حنبل 359/6-360.

8- قال يعلى بن الأشدق، قال : سمعت النابغة يقول : أنشدت النبي (ص).

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت الجنة، قال : أجل إن شاء الله ثم قلت:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواد تحمي صفوه أن يكـدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلـيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي (ص) : أجدت، لا يفضض الله فاك، مرتين.

الرحلة 84/3، جمهرة أشعار العرب 785/2، والشعر والشعراء 208/1

9- عن البراء بن عازب قال: خرج رسول الله (ص) وأصحابه فأحرمنا بالحج، قال فلما قدمنا مكة قال: اجعلوا حجكم عمرة. قال فقال الناس: يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة، فقال رسول الله (ص): انظروا والذي آمركم به فافعلوا، قال فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضبان، فرأت الغضب في وجهه فقالت: من أغضبك أغضبه الله، قال: ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع.

الرحلة 122/3.

10- أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما.

الرحلة 14/3 الترمذي 243/3.

وفي هذا الحديث جرح وتعديل لأبي الدنيا.

11- أحبو الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحب الله وأحبو أهل بيتي لحبي هذا.

الرحلة 74/3

12- احتجم رسول الله (ص) وهو محرم من وجع كان برأسه.

الرحلة 19/3 عمدة القاري 241/21 التمهيد لابن عبد البر 224/2 صحيح مسلم بشرح النووي 192/14-193، (جاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد). وانظر مسلم بشرح النووي 123/8.

13- جرح رجل على عهد النبي (ص) فقال أدعوا له الطبيب فقال يا رسول الله: هل يغني الطبيب من شيء فقال ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء.

الرحلة 32/3 البخاري 148/7 عمدة القاري 229/21-230.

14- إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت في ليلتك مت على الفطرة.

الرحلة 44/3 البخاري (وضوء 75) فتح الباري 108/11 عمدة القاري 187/3 و 284/22 (باب فضل من بات على الوضوء) صحيح مسلم بشرح النووي 32/17.

15- إذا اشتكت فضع يدك حيث تشتهي ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد وترا.

الحديث من مسلسلات الترمذي الرحلة 45/44/3 التمهيد لابن عبد البر 275/6 تنوير الحوالك 229/2.

16- عن ابن أبي أوفى قال : رأينا رسول الله (ص) إذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله وحده لا شريك له. اللهم اجعل هذا النهار أوله صلاحاً ووسطه فلاحاً وآخره نجاحاً، وأسألك خير الدنيا وخير الآخرة.

جرح وتعديل : فائد ابن أبي أوفى.

الرحلة 101/3 و 25/3 مسند عبد بن حميد.

17- إذا أعرض الله عن العبد أورثه الإنكار على أهل الديانات.

جرح وتعديل: أبو الدنيا.

الرحلة 14/3 سداسيات وخماسيات ابن عتاب.

18- إذا توضأ العبد فمضمض واستنشق خرجت خطايا من فيه وخرجت خطايا من أنفه، وإذا غسل وجهه خرجت خطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا غسل يده خرجت خطايا من يده حتى تخرج من أظفاره، فإذا مسح برأسه خرجت خطايا من رأسه.

جرح وتعديل : الصناجي.

الرحلة 10/5 النسائي (طهارة) 84/55 الموطأ (طهارة) 30 التمهيد 30/4-31 ابن حنبل 346-345/4 داود (طهارة) 56 مسند الشافعي 16 صحيح ابن خزيمة 5/1.

19- إذا جاء أحدكم إلى الصلاة فلا يسعى، ولكن يمشي وعليه السكينة والوقار وليصل ما أدركه وليقض ما سبقه.

الرحلة 10/5 البخاري 161/1 عمدة القاري 149/5 و 154/6 و 206/6 داود صلاة 54.

20- إذا دخل أهل الجنة وأهل النار ناداهم مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله عز وجل موعداً لم تروه، قالوا وما هو، ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة،

وينجيننا من النار، قال فيكشف الحجاب عز وجل فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليه من النظر إليه، ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.

مسلم بشرح النووي 186/17.

الرحلة 41/3 وانظر هذا الحديث في تفسير الجامع للقرطبي 330/8
تفسير (سورة يونس 26) وانظر شيئا من معناه في مسند ابن عمر 26، 92 عمدة
القاري 205/18.

21- إذا دخل العشر و أراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظافره.

الرحلة 29/5 النسائي (ضحايا 1) الدارمي (أصاحي 3)

22-23- إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا.

ابن رشيد - زينب البغدادي - أبوها عبد اللطيف - عبد الحق بن يوسف، عبد
الله بن النقر.

الرحلة 80/3 جزء من حديث ابن ديزيل.

24- عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله (ص) إذا سلم من صلاته قال:
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

جرح وتعديل: أبو هارون العبيدي = عمارة بن جوين.

الرحلة 26/3 مسند عبد بن حميد.

25- إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن.

الرحلة 55/3 فتح الباري 90/2 عمدة القاري 117/5 ابن حنبل 124/6.
ومسلم بشرح النووي 85/4.

26- إذا طلع النجم يعني الثريا رفعت العاهة عن الثمار.

الرحلة 93/3 الأربعين البلدانية للسلفي.

27- عن أبي هريرة قال كان رسول الله (ص) إذا عطس خمر وجهه.

الرحلة 73/3 المستدرک للحاکم 293/4 الترمذی 180/4

28- إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت.

الرحلة 12/3 و 82/3 عمدة القاري 239/6 ابن حنبل 474/2 الترمذی 12/2 وانظر بحثاً مفيداً عن هذا الحديث في ترجمة ابن رشيد في الإعلام للمراكشي 345/4 ومسلم بشرح النووي 137/6.

29- إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقل هذا فداؤك من النار.

الرحلة 99/8 ابن ماجه (زهـد34) ابن حنبل 402/4.

30- إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحنن ليكفرها عنه.

الرحلة 99/3 ابن حنبل 157/6.

31- عن علي بن أبي طالب قال علمني رسول الله (ص) إذا نزل بي كرب أن أقول لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين.

الرحلة 43/3 ابن حنبل 91/1-94.

32- أربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلين في صلاة السحر، قال عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) وليس من شيء إلا وهو يسبح تلك الساعة.
جرح وتعديل : يحيى البكاء.

الرحلة 102/3 الترمذی 265/1 تفسير سورة 15.

33- عن زيد بن ثابت أن النبي (ص) أرخص لصاحب العرية أن يبيعها بخرصها.

الرحلة 92/3 البخاري بيوع 83 مساقاة 17 الموطأ بيوع 14 مسلم بيوع 325/2-30-63 النسائي بيوع 34 ابن ماجه تجارات 55 ترمذی 289/2 التمهيد 325/2

تنوير الحوالك 51/2 ابن حنبل 360-337-5-3/3 186-182-181-5-2/4 عمدة القاري 11/ 301 و 299 مسلم بشرح النووي 184-188/10.

34- عن أم سلمة أن رسول الله (ص) رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة.

الرحلة 26/5 البخاري طب 35 مسلم سلام 59 صحيح مسلم بشرح النووي 185-184/14 عمدة القاري 21/265 التمهيد 5/275 تنوير الحوالك 2/228-229 الاعتبار للحازمي 238 غريب الحديث للهروي 3/185 (السفعة تغير اللون).

35- عن أنس أن النبي (ص) استغفر للصف الأول ثلاثا وللصف الثاني مرتين. الرحلة 99/3 عمدة القاري 5/256 و 5/124 ترمذي 1/143 ابن ماجه باب 51 ص 316 احاديث 996-999 والحديث من كتاب التاريخ لأبي نعيم الأصبهاني. ومسلم بشرح النووي 4/157-158.

36- عن جابر قال : دخل رجل يوم الجمعة المسجد والنبي (ص) يخطب فقال له: أصليت؟ قال : لا ، قال : فصل ركعتين.

الرحلة 72/3 و 6/3 عمدة القاري 4/200 (تحية المسجد) صحيح مسلم بشرح النووي 225.

37- عن أنس أن النبي (ص) أعطى من غنائم حنين مائة من الإبل والأقرع بن حابس مائة من الإبل، فقال ناس من الأنصار يعطي نبي الله (ص) غنائمنا ناسا تقطر سيوفهم من دمائنا؟

الرحلة 41/2 ابن حنبل 3/160 و 201 والحديث من المصافحة لأبي بكر بن العربي، ومسلم بشرح النووي 7/150، 156، 157.

38- الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

الرحلة 116/3 عمدة القاري 1/16 و 3/316 ومسلم بشرح النووي 54-53/1.

39- من دعائه (ص): أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علي أحد من خلقك.

الرحلة 118/6 المستدرک 519/1 والحديث فيه طول، ابن ماجة دعاء 18 أدب 3 الترمذي دعوات 36 نسائي استعاذة 30-65 ابن حنبل 306-318-322.

40- قال عليه السلام : اغسل ذكرک واتشبيک وانضح.

الرحلة 33/6 غريب الحديث لابن قتيبة 2/602 : النضح من النضح من أصابه نضح من البول فعليه أن ينضخه بالماء وليس عليه أن يغسله والنضح دون النضح فإن أصابه نضح وجب عليه غسله.

41- عن أنس قال: أقبل علينا رسول الله (ص) بوجهه حين قام إلى الصلاة قبل أن يكبر فقال: أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري.

الرحلة 19/3 عمدة القاري 5/254-255-260 ترمذي 143/1 النسائي إمامة 36-47 ابن حنبل 8/68 ابن ماجة باب 50 ص 317 أحاديث 992-995 التمهيد 6/392. ومسلم بشرح النووي 4/157.

42- أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من خلف ظهري.

انظر الحديث السابق.

43- قال عليه السلام: أفلا أكون عبدا شكورا. كان رسول الله (ص) يصلي حتى ترم قدماه فقيل له: أتفعل وقد جاءك أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: الحديث.

البخاري تفسير سورة 48، تهجد 6 عمدة القاري 19/177 الترمذي صلاة 187 النسائي قيام الليل 17 ابن ماجة إقامة 308 ابن حنبل 4/351-555، 6/115 وانظر الشمائل المحمدية: الأحاديث 258-256-260 ص 139-140 والسقاء للقاضي عياض 167.

44- عن حذيفة قال : قال النبي (ص) اقتدوا بالذین من بعدي أبي بكر وعمر.

الرحلة 69/3 ترمذي مناقب 16-37 ابن حنبل 5/362-385-399-462

45- اقتلوا الحيات وذا الطفيتين وإلا فإنهما يلتزمان البصر ويسقطان الحبل.
وكان ابن عمر يقتل كل حية فرآه أبو لبابة وهو يطارد حية فقال إنه قد نهى عن ذوات
البيوت.

الرحلة 106/3 الترمذي 21/3 ابن حنبل 143/6 تنوير الحوالك 246/2
ومسلم بشرح النووي 227/14 والفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي 20.

46- عن معقل بن يسار أن النبي (ص) قال : اقرأوها على موتاكم يعني يس.

الرحلة 78/3 و7/5 تفسير ابن كثير 60/1 والحديث من جزء ابن العوالي.

47- عن أسيد بن حضير أنه قال: يا رسول الله بينما أنا أقرأ سورة البقرة إذ
سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله (ص): اقرأ يا أبا
عتيك، فالتفت فإذا مثل المصاييح مدلاة من السماء إلى الأرض ورسول الله (ص) يقول
اقرأ يا أبا عتيك فقال يا رسول الله ما استطعت أن أمضي فقال رسول الله (ص): تلك
الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب.

الرحلة 116/3 تفسير ابن كثير 60/1 تفسير القرطبي 3/15

48- أكثروا ذكر هادم اللذات، قال وما هادم اللذات قال الصوت.

49- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى، قال
صلاح ذات البين. وفساد ذات البين الحالقة.

الرحلة 40/3 أبو داود (أدب 50) الترمذي 222/3 ابن حنبل 165/1
167-، 445/6 التمهيد 117/6.

50- ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ثلاثاً، ألا يوشك رجل شبعان على
أريكنه أي سريره يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم
فيه من حرام فحرموه.

الرحلة 87/3 ابن حنبل 131/4-132 188/6 التمهيد 221/4.

51- عن علي (رض) قال: قال لي النبي (ص): ألا أعلمك كلمات إذا قلتها غفر لك مع أنك مغفور لك : لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين.

الرحلة 42/3، والحديث من الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي أحد عشر مسموعة لشيخ ابن رشيد عبد الرحيم المزي. الفتاوى لابن حجر الهيتمي 73.

52- الاستغفار نجاء

الرحلة 12/2 المستدرك 118/2.

53- التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

الرحلة 60/5 والحديث من جزء أم الفضل بيبي

54- عن حميد عن أنس قال: سار رسول الله (ص) إلى خير وانتهى إليها ليلاً وصلى الفجر ثم ركب وركب المسلمون وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي تمس قدم رسول الله (ص) وخرج أهل خير ...، فلما رأوا النبي (ص) والمسلمين رجعوا هرباً وقالوا محمد والله محمد والحميس، فقال رسول الله (ص) الله أكبر خربت خير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

الرحلة 37/2 البخاري (الجهاد) عمدة القاري 265/6 (الإغارة في الحرب) وعمدة القاري 214/14 التمهيد 215/2 تنوير الحوالك 311/1. ومسلم بشرح النووي 219/9، 224، و164/12، 165.

55- إن النبي (ص) عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف، فقال: هل كنت تدعو الله أو تسأله ؟ قال : كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، قال سبحان الله، لا تستطيعه أو لا تطيقه، إلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الرحلة 37/2 عمدة القاري 15/23.

56- اللهم اجعل واسع رزقك علي عند كبر سني.

57- اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا.

وقال ابن عباس في كتاب الله : أرسلها عليهم ريحا صرصرا، فأرسلنا عليهم الريح العقيم، فأرسلنا الرياح لواقح، وأرسلنا الرياح مبشرات.

الرحلة 73/3 وانظر معنا في المستدرك 285/4

58- اللهم إني أسألك صحة في إيماني، وإيمانا في حسن خلق، ونجاحا وتبعة فلا حارحة منك وعافية فمغفرة منك ورضوانا.

الرحلة 118/6 ابن حنبل 321/3. النسائي.

59- اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة.

الرحلة 118/6 ابن ماجه دعاء 5

60- اللهم إني أسألك علما نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع.

قال جابر: سمعت النبي (ص) يدعو بهذا الحديث فأسرعت إلى أهلي فقلت إني سمعت رسول الله (ص) يدعو بهؤلاء الكلمات فادعوا بهن.

الرحلة 76/5 ابن ماجه اقامة 32 التمهيد 482/6.

61- اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة.

قيل المعافاة أن يعافى العبد من شر الخلق ويعافيه من شره.

الرحلة 118/6 المستدرك 517/1 داود أدب 101 ابن ماجه دعاء 14 مناسك 32 ابن حنبل 35/3.

62- اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.

الرحلة 118/6 مسلم ذكر 86 داود وتر 32 ومسلم بشرح النووي 54/17.

63- اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب والخور بعد الكور، ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

الرحلة 101/3 مسلم حج 426 ترمذي 160/5-161 النسائي استئذان
42/41 ابن مسدي استئذان ابن ماجة دعاء ابن حنبل 82/5 غريب الحديث للهروي
220/1 ومسلم بشرح النووي 111/9.

64- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقال
يا أبا ذر إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان، فلما صليت قلت يا نبي الله : أي العمل
أفضل قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله، قلت : أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال : أحسنهم
خلقا. قلت: فأي الهجرة أفضل؟ قال : من هجر السيئات. قلت : فأي الصلاة أفضل؟
قال: طول القنوت. قلت فأي الصدقة أفضل؟ قال : جهد مقل يمشي به إلى فقير. قلت
فأَي الجهاد أفضل؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه. قلت يانبي الله كم كتاب أنزل
الله ؟ قال ب: مائة كتاب وأربعة كتب. قلت... الحديث.

الرحلة 38-37/6 ترمذي 250-249/1 (طول القنوت) غريب الهروي 133/3
(طول القنوت).

65- عن أنس قال : بينما رسول الله (ص) ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال :
أيها الناس إنني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا برفع رؤوسكم، فإني
أراكم عن أمامي ومن خلفي وأيم الذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم
قليلًا ولبكيتم كثيرا. قالوا يا رسول الله ما رأيتم ؟ قال رأيتم الجنة والنار.

الرحلة 124/3 البخاري كسوف 2 تفسير سورة 5. 12 نكاح 107 رفاق 37
إيمان 3 صلاة 112 كسوف 1 فضائل 034 نسائي سهو 102 كسوف 11.23 ترمذي
زهد 8 ابن ماجة زهد 10 والحديث من جزء ابن عرفة.

66- اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا
واخلفنا في أهلنا. اللهم إنني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد
الكور ومن دعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.
انظر الحديث 66.

الرحلة 25/3 و 45/3 و 101/3.

67- ورد هذا الحديث أيضا بأسلوب آخر (انظر المراجع أعلاه)

68- اللهم بارك لأمتي في بكورها.

كان النبي (ص) إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار.

الرحلة 5/3 الترمذي بيوع 6 ابن ماجة تجارات 41 ابن حنبل 154/1 155،
156 416/3 417، 432 384/4 380، 381. وكتاب معرفة علم الحديث 252.

69- كان النبي إذا حز به أمر قال : اللهم خر لي واخر لي.

الرحلة 70/5 والحديث من الجزء العاشر من الخلعيات.

70- اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ولك الحمد ولك الشكر.

الرحلة 70/5 الحديث من الخلعيات

71- اقتلوا الحيات وذا الطفيتين وإلا فإنهما يلتصقان البصر ويسقطان الحبل.

وكان ابن عمر يقتل كل حية فرآه أبو لبابة أو زيد وهو يطارد حية فقال إنه قد نهى عن ذوات البيوت.

الرحلة 106/3 البخاري بدء الخلق 14 مسلم سلام 128، 137 داود أدب
162 ترمذي صيد 15 ابن ماجة طب 42 ابن حنبل 9/2، 121 452/3 453 عمدة
القاري 185/15 تنوير الحوالك 246/2 منتخب العمال بهامش مسند ابن حنبل
143/5. ومسلم بشرح النووي 227/14.

72- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال : لم يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تفرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: قال : أي آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه : نزلت على رسول الله (ص) بعرفات يوم الجمعة.

الرحلة 101/3 54/5 مثلث عمدة القاري 262/1 والقرطبي : تفسير آية 3 من المائدة.

73- أنا أول شفيع يوم القيامة وإن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد.

الرحلة 122/3 والحديث من جزء ابن عرفة. ومسلم بشرح النووي 73/3

74- عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا يقول : استأذنت على النبي (ص) فقال: من هذا ؟ فقلت : أنا. قال : أنا، أنا، كأنه كرهه.

الرحلة 98/3 تفسير ابن كثير : سورة النور الآيتان 28 و29 البخاري 220/1 عمدة القاري 244/22 (كأنه كرهها) التمهيد 205/3.

ومسلم بشرح النووي 135/14.

75- عن الزهري عن السائب بن يزيد : أن الأذآن كان أوله الجمعة حين يجلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر، فلما كانت خلافة عثمان كثر الناس أمر عثمان بأذان ثان فأذن به فثبت الأمر على ذلك. وكان عطاء ينكر أن يكون أخذ به عثمان. ويقول أخذ به معاوية. والله أعلم.

الرحلة 73/3 صحيح ابن خزيمة 184/1 (تشفيح الأذان ووتر الإقامة وانظر ما أخذ على ابن رشيد عندما قام يخطب يوم الجمعة، وذلك في ترجمته.

76- عن عائشة وأم سلمة أن النبي (ص) دخل عليهما وهو يبكي، قلنا فسألناه عن ذلك فقال : إن جبريل أخبرني أن ابني الحسين يقتل ويده تربة حمراء، فقال هذه تربة تلك الأرض.

الرحلة 97/3 وانظر معناه في الترمذي 323/5 والحديث من جزء السلفي ومن منتخب من ارشاد أبي يعلي الخليلي. والخصائص الكبرى للسيوطي 440/2.

77- عن أبي بن كعب قال : قرأ رجل آية وقرأتها على غير قراءته فقلت من أقرأك هذا؟ قال أقرأنيها رسول الله (ص) فانطلقت به إلى النبي (ص) فقلت يا رسول الله أقرئني آية كذا وكذا فقال نعم، فقال الرجل أقرئني آية كذا وكذا فقال نعم، ثم قال إن جبريل وميكائيل أتياني فجلس جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل يا محمد اقرأ القرآن على حرف... الحديث.

(إلى أن قرأه على سبعة أحرف وقال كل شاف كاف)

الرحلة 91/3 البخاري (فضائل القرآن 5) بدء الخلق 6 عمدة القاري
21-20/20 البرهان 211/1 مباحث في علوم القرآن 105 التمهيد 278/4 ابن حنبل
264/1، 269، 313. والحديث من موافقات عبد. انظر معرفة علوم 251 ومسلم بشرح
النووي 101/6. وفضائل القرآن 120

78- إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق.

الرحلة 6/5 التمهيد 17/6 ابن حنبل 336/3-350 الترمذي 204/1

79- إن رجلا رزقه الله مالا زاهرا.

الرحلة 25/6 غريب الهروي 156/1 (زهر احتفظ به ولم يضيعه) والحديث من
الإلزامات للدارقطني.

80- عن حذيفة عن النبي (ص) أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت
تعمل، فأما ذكر وإما ذكر فقال إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر إلى المعسر وأتجوز
في السكة أو في النقد. فغفر له.

مسلم بشرح النووي 224/10-225.

الرحلة 65/3 و60/3 المستدرك 28/2 عمدة القاري 128/11 ابن ماجه
صدقات 39.

81- إن الشمس تطلع من قرن الشيطان ، فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت
فارقها.

الرحلة 12-11/5 البخاري الخلق 11 مسلم مسافرون 200، 294 مساجد
173 داود تطوع 10 النسائي مواقت 35، 40 ابن ماجه 148 الموطأ قرآن 44-45
ابن حنبل 13/3، 10، 34، 40 التمهيد 6-1/4

82- عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : إن الغادر ينصب له لواء يوم
القيامة. ألا هذه غدره فلان.

الرحلة 16/3 البخاري جزية 22 أدب 99 فتن 21. مسلم جهاد 10/8، 17
داود جهاد 150. ترمذي سير 28 فتن 26. ابن حنبل 411/1، 417، 16/2، 20
18-7/3 غريب الهروي 302/3. ومسلم بشرح النووي 43/12.

83- إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم.

عن زكرياء بن عبد الرحمن البصري قال : سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا
عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي (ص) (الحديث) وفي المجلس معنا رجل
من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال : والله لا فطرن غدا نعلي فأطأ بها أجنحة
الملائكة، قال ففعل ومشى في النعلين فجيت رجلاه جميعا ووقعت في رجله جميعا
الأكلة.

الرحلة 40/2 ابن ماجه باب 17 الحديث 226.

84- إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

الرحلة 18/2 وانظر حديث (وأمر بالقصاص) أي قصة الربيع بنت النضر :
حديث 326.

85- عن ابن أبي الزناد حدثه آل جرهد عن جرهد أن النبي (ص) أبصره في
المسجد وعليه بردة وقد انكشف فخذه فقال : إن الفخذ من العورة.

الرحلة 68/3 عمدة القاري 80/4 التمهيد 380/6 الترمذي أدب 107/4
ابن حنبل 375/1 و200/5، 470. والحديث من حديث ابن حرب.

86- إن الله لا يقبض العلم.

الرحلة 83/3 عمدة القاري (كتاب العلم) 130/2 والحديث من الأربعين
البلدانية للسلفي. ومسلم بشرح النووي 223/16 والروض الباسم 38/1.

87- إن الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله.

الرحلة 32/3 البخاري مواقيت 14 مناقب 25. عمدة القاري 33/5 صحيح
ابن خزيمة 171/1 مسلم مساجد 20 الترمذي مواقيت 14 النسائي صلاة مواقيت 9
ابن ماجه صلاة 6 ابن مسدي صلاة 27 الموطأ الوقوت 87 ابن حنبل 13/2، 8، 420/5

وغريب الهروي 306/1 : (وتر أهله وماله أن يجني الرجل على الرجل جناية يقتل له قتيلا أو يذهب بماله وأهله) ومسلم بشرح النووي 125/4. وانظر اعرابه في أمالي السهيلي.

88- إن لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة.

الرحلة 49/5 والحديث من كتاب الأربعين لأبي سعد النيسابوري.

89- إن لله عز وجل مائة رحمة، جعل منها رحمة في الدنيا يتراحمون بها، وعنده تسعة وتسعون رحمة، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعة وتسعين رحمة، ثم عاد بهن إلى خلقه.

الرحلة 19/3 مكرر البخاري أدب 10 مسلم توبة 17-18 ترمذي دعوات 30 ابن ماجه زهد 35.

90- عن البراء بن عازب قال : خرج رسول الله (ص) وأصحابه فأحرمنا بالحج، قال فلما قدمنا مكة قال اجعلوا حجكم عمرة. قال فقال الناس يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ؟ فقال رسول الله (ص) : انظروا والذي آمركم به فافعلوا. قال فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضبانة فرأت الغضب في وجهه، فقالت من أغضبك أغضبه الله ؟ قال ومالي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع.

الرحلة 122/3 المستدرک 448/1 ومسلم بشرح النووي 165/8

91- عن عامر بن سعد بن أبو وطاس أن أباه أخبره أنه مرض عام الفتح مرضا أشفى منه على الموت، فأتاه النبي (ص) يعوده وهو بمكة، قال يا رسول الله إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي فأصدق بثلي مالي. قال لا، قال فبالشطر، قال : لا، قال فبالثلث، قال فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس.

الرحلة 52/3 البخاري فرائض 6 مسلم 83/11 (باب الوصية) ترمذي وصايا 1 ابن ماجه وصايا 5 موطأ وصية 4.

92- عن الزهري عن سهل بن سعد ومعه يقول : اطلعت من جحر من حجرة النبي (ص) ومع النبي (ص) مدري يحك به رأسه فقال النبي (ص) لو أعلم أنك تنظرني لطلعت به في عينك، إنما جعل استئذانا لا من أجل النظر.

الرحلة 78/5 البخاري استئذان 11 ترمذي استئذان 17 نسائي قسامة 47 دارمي ديات 23 ابن حنبل 330/5، 335. ومسلم بشرح النووي 136/14.

93- عن جرير بن عبد الله كنا عند رسول الله (ص) فقال : إنكم سترون ربكم لا تضامون في رؤيته كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر، فمن استطاع منكم أن لا يغلب عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فليفع.

الرحلة 78/5 وانظر معناه في عمدة القاري 180/18 تفسير سورة ق وكتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص204 (الجمع بن حديث : ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته وقوله تعالى : "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار".

مسلم بشرح النووي 17/3 و134/5.

94- قال رسول الله (ص) للأنصار : إنكم لتكثرثون عند الفزع وتقلون عند الطمع.

وقد أورد ابن رشيد هذا الحديث في مناقشة الاستعارة.

الرحلة 39/6 البخاري 39/5 عمدة القاري 150/1.

95- إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى (كذا)، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

الرحلة 116/6 و63/7 البخاري 21/1 عمدة القاري 316/1

96- إن الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم.

وقد سبق ذكره، حديث 83.

الرحلة 48/2.

97- عن عائشة أنها أرادت أن تشتري جارية فتعتقها فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال : لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن أعتق.

الرحلة 60/5 التمهيد 482/6 مسند الشافعي 204 فتح الباري 410/9 عمدة القاري (الفرائض) الدارمي فرائض 46 ترمذي 286

98- عن عبد الله بن عمرو أن النبي (ص) مر بمجلسين أحدهما المجلسين يدعو إلى الله ... والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه، فقال كلا المجلسين خير، وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، فهم أفضل، وهؤلاء يدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وإنما بعثت معلما ثم جلس معهم.

الرحلة 57/7 ابن ماجة مقدمة 17 (فجلس معهم)

99- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : إنكم تقرؤون هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتديتم) (المائدة 105). وإني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب.

الرحلة 91/3 داود ملاحم 17 ترمذي فتن 9 وتفسير سورة 5. 17 ابن حنبل 7/1.

100- عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله (ص) إني أحبكم. فقال : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

الرحلة 22/2 ترمذي دعوات 113 ابن حنبل 311/3-477.

101- كان من دعائه (ص) : إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الرحلة 110/6 مسلم صلاة 322 داود صلاة 145 ترمذي دعوات 75، 112 النسائي طهارة 118 وقيام الليل 51 ابن ماجة دعاء 3 وإقامة 117 ابن حنبل 86/1، 116، 150 و56/6، 201. معرفة علوم الحديث 216

102- عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

الرحلة 35/3 ترمذي مناقب 31 والحديث من المعجم الصغير للطبراني.

103- كان من دعائه (ص) : إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ألا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

الرحلة 116/6 البخاري آذان 149 توحيد 8 دعوات 16 مسلم ذكر 47، 46 حدود 23 ابن ماجه دعاء 3 ترمذي دعوات 86 النسائي سهو 53 ابن حنبل 4/1، 7.

104- إني أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحي به الكفر وأنا الحاشر الذي أحشر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي.

الرحلة 37/2، 40 التمهيد 241/4 و 53/5-55 وصحيح مسلم بشرح النووي 104/15 وصحيح مسلم بشرح النووي 104/15 والشفاء 158، 160.

إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكنم به...

105- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) : أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفا.

الرحلة 22/3 والحديث من الفوائد المدنية لابن شريح.

106- إن عمر رضي الله عنه لما سئل عن الوتر : أو اجب هو أم لا ؟ قال : أوتر رسول الله (ص) وأوتر المسلمون. فأعيد عليه القول فأعاد الجواب.

قال ابن رشد والسؤال عوني وما يجاب عنه ضعيف.

الرحلة 34/6 ابن ماجه إقامة 124 ابن حنبل 167/6 ترمذي 261/1

107- أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

جرح وتعديل : طالوت، وفضال بن جبير.

الرحلة 13/3 مسلم ايمان 349 فتن 39، 40 داود ملاحم 11، 12 ترمذي فتن 21 وتفسير سورة 6 : 8، 9 ابن ماجه فتن 35 ابن حنبل 364/3. ومسلم بشرح النووي 184/2 و 28/10، 77 والفائق 375/1.

108- أول من صنع له الحقام سليمان بن داود عليهما السلام، فلما وجد حره قال : أوه من عذاب الله أوه أوه من قبل أن لا يكون أوه.

الرحلة 56/3 والحديث من الأربعين البلدية للسلفي.

109- عن أنس بن مالك قال : لقد دعوت رسول الله (ص) على وليمة ليس فيها خبز ولا لحم، قال فقلت يا أبا حمزة ماذا أكلوا قال : أتي بنطاع ثم أتي بتمر وسمن فأكلوا، أو ليس التمر من رسول الله (ص) كثير.

الرحلة 42/3 عمدة القاري 36/21 (أمر بالانطاع فبسطت فألقي عليها التمر...) ومسلم- نووي 225/1 ومشارف 11/2

110- عن عمر رضي الله عنه. أنه استأذن النبي (ص) في العمرة فقال : أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا.

الرحلة 44/3 ترمذي دعوات 109 ابن ماجه مناسك 5 ابن حنبل 20/1 50/2

111- عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله (ص) قال : أيرقد أحدنا وهو جنب قال : نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد.

الرحلة 57/3 المستدرک 152-162/1 البخاري غسل 23 مسلم طهارة 97 داود طهارة 87 ترمذي صوم 62 نسائي طهارة 138 ابن ماجه طهارة 60 دارمي وضوء 73 موطأ طهارة 70- ابن حنبل 35/1 17/2 36/6 91، 92. ومسلم بشرح النووي 3/216.

112- عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله (ص) قال : أينام أحدنا وهو جنب قال نعم ويتوضأ.

الرحلة 57/3 وكتاب معرفة علوم الحديث 251

113- عن أنس بن مالك قال : قدم النبي (ص) المدينة وأنا ابن عشر ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحشني على خدمته، فدخل علينا دارنا، فحلبنا له من شاة داجن وسقيناه من ماء بئر في الدار، وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه، وعمر ناحية، فشرب فقال عمر أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن.

قال ابن رشد : هكذا وقع في هذا الحديث : وسقيناه، وإنما صوابه عندي : وشبناه أي خلطناه، فصحف.

الرحلة 36/3 البخاري 143/7 (باب شرب اللبن) في كتاب الأشربة، فتح الباري 86/10 عمدة القاري 195/21 مسلم بشرح النووي 200/13 التمهيد 351/6. ومسلم-نوي 200/13.

114- عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله (ص) : أئمنع أحدكم أن يكبر في دبر كل صلاة عشرا ويسبح عشرا ويحمد عشرا، وذلك في خمس صلوات خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أوى إلى فراشه كبر أربعاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وسبح ثلاثاً وثلاثين ثقلاً مائة باللسان وألفاً في الميزان. قال ثم قال : فأياكم يعمل في يومه وليلته ألفين وخمسمائة سيئة.

الرحلة 123/3 والحديث من جزء ابن عرفة.

115- أيها الناس : إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا برفع رؤسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي، وأيم الذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قالوا يا رسول الله : وما رأيت ؟ قال رأيت الجنة والنار.

الرحلة 121/3 - وقد سبق ذكره. (الحديثان 41 و42).

ب -

116- كان ابن عمر في دار خالد بن الوليد فرأى رجلاً يجر إزاره فقال : من أنت ؟ قال : من بني ليث، فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : بأذني هاتين، قال أحسبه قال : أخذ بأذنيه، يقول من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة لم ينظر الله إليه.

الرحلة 65/3 مسلم بشرح النووي 60/1 ترمذي 137/3 التمهيد 246/3

117- 118- عن ابن عمر رضي الله عنه روى أن النبي (ص) لما دخل المسجد بدأ بالحجر فاستلمه، فاضت عيناه من البكاء، وروى أن النبي (ص) لما دخل المسجد استقبل الحجر واستلمه.

أبو نصر الصباغ البغدادي-...جابر- النبي (ص)

الرحلة 22/5 مسلم حج 150 جهاد 84 داود مناسك 44 ترمذي حج 33
تفسير سورة 3. 114 نسائي مناسك 149- 163- 172 ابن حنبل 304/1، 314
14/3، 15، 538 و320/3، 394.

119- بدلاء أمتي أربعون : اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، وكلما
مات واحد أبدل الله مكانه آخر، إذا جاء الأمر قبضوا.

الرحلة 48/3 مكرر ابن حنبل 112/1 والفائق 87/1

120- البركة في ثلاث : الجماعة والشريد والسحور.

الرحلة 81/3 عمدة القاري 54/21 (فضل الشريد على سائر الطعام) ترمذي
179/3 ابن حنبل 283/3. والحديث من جزء ابن ديزيل. (برق) ... الحديث : انظر
حديث 197.

121- عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) سرية إلى نجد فبلغ سهما نهم
أثنى عشر بعيرا، ونفلنا النبي (ص) بعيرا بعيرا.

الرحلة 6/3 عمدة القاري 312/17 مسلم بشرح النووي 54/12 وانظر الخبر
أيضا في عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري 161/2 (سرية أبي قتادة بن ربعي إلى
خضرة وهي أرض محارب) والحديث من المجالس السلماسية.

122- بورك لأمتي في بكورها.

الرحلة 6/3 قال صاحب الاستيعاب : لا أعلم لصخر الغامدي غير حديث
بورك لأمتي في بكورها وهو لفظ رواه جماعة عن النبي (ص). وانظر حديث صخر
الغامدي : فتح الباري 431/3 وإنظر الإصابة في ترجمة صخر الغامدي : حديث اللهم
بارك لامتي في بكورها. 181/2.

ت-

123- عن عقبة بن عامر الجهني يقول : رأيت رسول الله (ص) يقول : تدنوا
الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى
نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ إلى العجز، ومنهم من يبلغ
إلى الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه،

وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله يشير هكذا، ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده إشارة.

الرحلة 63/5 مسلم 298/2 والحديث من الأربعين المروية بالأسانيد المصرية لأبي صادق القرشي.

124- تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة.

انظر حديث (اقرأ يا أبا عتيك)

125- عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن قرى الضيف قالوا يا رسول الله وما قرى الضيف ؟ قال ثلاث فما فوقهن صدقة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا.

الرحلة 69/6 عمدة القاري 165/20 - 166 (إنما المرأة كالضلع) مسلم بشرح النووي 58-56/10 و20/2 المستدرک 164/4 التمهيد 67/5

126- ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل : رجل خرج غازيا في سبيل الله الرحلة 38/3 والحديث من مسند ابن حنبل الذي لا يوافق تبويه النسخ المغربية. مشارق الأنوار 140/1 في (حديث 120).

ج-

127- جالس الكبراء وسائل العلماء وخالط الحكماء.

الرحلة 69/3 والحديث من جزء أبي يعلي.

128- عن العباس بن عبد المطلب قال : دخلت على رسول الله (ص) فرأيتنه يأكل الجبن والجوز، فقلت يا نبي الله : جبن وجوز ؟ قال : نعم، الجبن داء والجوز داء، فإذا اجتمعا صاروا دواء بإذن الله.

قال أبو بكر بن مسدي هذا حديث غريب، لا نعلمه إلا بهذا الإسناد، وقد روينا بالسماع... إلى يحيى بن أكتم، ورفع السلسلة يحيى إلى أبي جعفر المنصور وعَنَّنَ باقيها. والله أعلم.

الرحلة 51/2 (هذا حديث مسلسل) كتاب الموضوعات لأبي الفرج بن الجوزي
295/1 كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي 219/2.

129- حديث أنس في صلاة النبي (ص) في منزلة له، وتحتها من جذوع حين سقط عن فرس فجَحَشَتْ ساقه أو كتفه.

الرحلة 94/3 البخاري أذان 51، 52، 128 صلاة 16 تقصير 17 عمدة
القاري 218/5 (جَحَشَ شقه الأيمن) مسلم بشرح النووي 131/4، 132 التمهيد 130/6
داود صلاة 68 ترمذي صلاة 150 نسائي إمة 40 ابن ماجه إقامة 144 دارمي صلاة
44 الموطأ. جماعة 16 ابن حنبل 110/3، 162 غريب الهروي 140/ جَحَشَ :
خدش. مشارق الأنوار 140/1

130- جَحَشَ شقه الأيمن.

انظر المصادر أعلاه في حديث 129.

131- جرح العجماء جبار، والبتَر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس.
قال مالك : وتفسير جبار أنه لا دية فيه.

الرحلة 24/6 البخاري زكاة 66 مساقاة 3 حدود 45 مسلم بشرح النووي 11/
226 نسائي. زكاة 38 الموطأ. عقود 12 ابن حنبل 220/3 فتح الباري 2544/12،
256 ابن ماجه باب 27 ص 391 أحاديث 2673- 2676 ترمذي 418/2 غريب
الهروي : الركاز : المعادن كلها 284/2، والجبار الهدر، إنما جعل جرح العجماء هدرا
إذا كانت منفصلة ليس لها قائد ولا سائق ولا راكب 282/1

132- عن أنس قال : كان النبي (ص) إذا اجتهد لأحد في الدعاء قال : جعل
الله عليكم صلاة أبرار يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمة ولا فجَّار.

قال ابن رشيد - رواه مسلم في كتابه عن عبد بن حميد عن مسلم بن إبراهيم -
حماد بن سلمة - ثابت - أنس - الحديث.

وقال ورفع هذا الحديث إلى النبي (ص) خطأ، والصحيح ما روى موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة :

موسى بن اسماعيل - حماد بن سلمة - ثابت - أنس قال : كان أحدهم... الحديث.

الرحلة 92/3.

133- جعل حبل المشاة بين يديه.

الرحلة 17/5 ابن ماجة مناسك 84 الدارمي مناسك 34 أخبار مكة للزرقي 109/2.

134- ورد في الرحلة خبر عن تبوك، واقتداء الناس بالنبي (ص) في تعبئة الجيش والإقامة بها، وحديث : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا، وأنه (ص) : جمع فيها بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفيه تحقيق ابن رشيد أن اسم تبوك واقع عليها قبل قدوم النبي (ص) عليها.
الرحلة 3/5 مسلم بشرح النووي 218/5 التمهيد 340/2، 353 مسند الشافعي 307. والخصائص الكبرى 100/1.

135- الجمعة واجبة إلا على امرأة أو صبي أو عبد أو مسافر أو مريض.

الرحلة 95/3 عمدة القاري 164/5 والحديث من جزء ابن سنان القزاز.

136- جموا قواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء.

وقد أورد ابن رشد هذا الحديث في ذكر الاستعارة في القرآن والحديث والشعر.

ابن رشيد - ابن حبيش.

الرحلة 38/6 مسلم أشربة 98 (...وصبيانكم) مسلم بشرح النووي 184/13 داود جهاد 76 نسائي مواقت 45 ابن حنبل 12/2 و 312/3، 362، 380، 395، غريب الهروي : الفواشي فاشية : كل شيء منتشر من المال مثل الغنم السائمة والإبل وغيرها 241/1.

ح-

137- الحجر الذي بجهة باب النبي (ص) أمام دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بارزا هناك عن الحائط قليلا : فقد أخبر أبو حفص الميانشي قال : أخبرني كل شيخ لقينته بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلم النبي (ص).

الرحلة 25/5 مسلم بشرح النووي 36/15 سيرة ابن هشام 216/1 الروض الأنف للسيهلي 266/1.

138- حديث الطفل الذي بال في حجره عليه السلام فنضجه ولم يغسله وغسل عمر رضي الله عنه ما رآه من الاحتلام في ثوبه ونضج ما لم يره.

الرحلة 33/6 عمدة القاري 129/3 - 134 صحيح مسلم بشرح النووي 194/3 و 201/14 التمهيد 265/1 الترمذي 35/1 - 40 و 60/2.

139- حرم رسول الله (ص) أشياء يوم خير ثم قال : يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإن ما حرم الرسول (ص) مثل ما حرم الله.

الرحلة 87/3 ابن ماجه. مقدمة 3 ترمذي علم 10 الدارمي مقدمة 30.

140- حرم رسول الله (ص) أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام قالت عائشة : ما فعل ذلك إلا في عام جاع فيه الناس، فأراد أن يطعم الغني الفقير وقالت : ولقد كنا نرفع الكراع خمس عشرة ليلة، وقال أبو عابس عبد الرحمن فما كان يضطركم إلى ذلك ؟ فضحكت عائشة وقالت : ما شبع آل محمد (ص) من خبز مأدوم ثلاث ليال حتى لحق بالله عز وجل.

الرحلة 73/3 البخاري أطعمة 27، 37 مسلم بشرح النووي 130/13 المستدرک 221/4 ترمذي. أضاحي 14 ابن ماجه أطعمة 30 ابن حنبل 128/6، 136 والفائق 1/ (الادام اصلاح الطعام)

141- قال عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار.

أورد ابن رشيد هذا الحديث بمناسبة مرض أبي الفضل التجاني.

الرحلة 26/7 التمهيد 350/6، 360

142- الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء.

ذكر ابن رشيد أيضا هذا الحديث بمناسبة مرض صاحبه أبي الفضل.

الرحلة 27/7 عمدة القاري 254/21 صحيح مسلم بشرح النووي 105/14
تنوير الحوالك 230/2.

143- الحيات ما سالمنا هن منذ حربنا هن، فمن ترك منهن شيئا من خيفتهن
فليس منا.

الرحلة 42/3 ابن حنبل 143/6.

خ-

144- خمس من قتلهن وهو حرام فلا جناح عليه ، وهن العقرب والفأرة
والكلب العقور والغراب والحدأة.

الرحلة 16/3 البخاري بدء الخلق 16 فتح الباري 355/6 عمدة القاري 15/
196 مسلم حج 72، 76، 77، 78 مسلم بشرح النووي 113/8 داود مناسك 39
النسائي مناسك 82، 86، 88 ابن ماجه. مناسك 81 الدارمي مناسك 18 الموطأ حج
88، 89 ابن حنبل 8/3، 32، 37، 48، 50، 54، 65، 77، غريب الهروي 168/2

145- خير الناس رجل يحبك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هَيْعَةً طار
إليها.

الرحلة 38/6 مسلم إمارة 125 ابن ماجه فتن 13 ابن حنبل 443/2 غريب
الهروي 6/1 : والهيعة الصوت الذي تفرع منه وتخافه والفائق 121/4 ومشارك 275/2
ورد هذا الحديث في صدد ذكر الاستعارة.

د-

146- دب إليكم داء الأمم قبلكم : البغضاء والحسد، وهي الحالقة، حالقة
الدين لا حالقة الشعر.

ورد ذكر هذا الحديث في الاستعارة.

الرحلة 35/6 ابن حنبل بغض 165/1، 167 التمهيد 120/6-121

147- دخل النبي (ص) يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء.

قال ابن رشيد لا نعلم في شيء من الحديث أنه (ص) اعتم بعمامة بيضاء مع حض الناس على البياض، ولم نر لأحد من أهل العلم تنبيهها على هذا وذلك فيما نرى، والله أعلم ثم قال : إنه (ص) كان يكثر دهن رأسه بالطيب، فلو اعتم بالبياض تغير لكثرة الطيب، فلذلك عدل عن البياض إلى السوداء.

الرحلة 54/5 ترمذي 133/3 مسلم بشرح النووي 133/9 الشرائع المحمدية ص 56 الحديثان 109، 110 التمهيد 172/6 وانظر أيضا هذه المسألة في كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي 76/1.

148- الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو فيستجاب من دعائه.

الرحلة 7/3 ترمذي 302/1 والحديث من كتاب القرية لابن بشكوال وفتاوي ابن حجر الهيتمي 14.

149- ...سمعنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : دعاني رسول الله (ص) فأطعمني وسقاني بالأسودين التمر والماء.

ورد هذا المسلسل (أطعمني وسقاني بالأسودين التمر والماء) في ترجمة أبي محمد الخلاسي و ترجمة القسطلاني.

الرحلة 61/5 و 48/2 و 49 مكرر

150- دع ما يربيك إلى مالا يربيك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة.

الرحلة 99/3 عمدة القاري 166/11 الأربعين حديثا النووية : حديث 11 ص 27 والحديث من كتاب التاريخ لأبي نعيم والروض الباسم 95/2.

151- عن معاوية بن الحكم أنه سأل رسول الله (ص) عن الطيرة فقال : ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم، وسأله عن الكهان فقال : لا تأتوهم.

الرحلة 1/3 مكرر، وانظر عن الطيرة : المستدرك 18 والبخاري 174/7 ومسلم بشرح النووي 213/14 والتمهيد 125/6 ترمذي 184/3، 243

152- عن زيد بن ثابت عن أم العلاء، وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله (ص) : قالت : طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى حين أفرغت الأنصار على سكنى المهاجرين، فاشتكى فمرضناه حتى توفي ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله (ص) فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ... قال وما يدريك، قلت : لا أدري والله، قال أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم، قالت أم العلاء : فوا الله لا أركي أحدا بعده قالت : ورأيت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله (ص) فذكرت ذلك له فقال : ذاك عمله يجري له.

الرحلة 5/2 عمدة القاري 155/24.

153- عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ذكر يوم الجمعة فقال : فيه ساعة لا يوافقها إنسان مسلم وهو قائم يصلي يسأل شيئا إلا أعطاه إياه، وأشار النبي (ص) بيده يقللها.

الرحلة 12/3 البخاري جمعة 37 دعوات 62 مسلم جمعة 13 مسلم بشرح النووي 131/6 عمدة القاري 21/23 و 241/6 داود صلاة 1 ترمذي جمعة 6 نسائي جمعة 14 ابن ماجه إقامة 88 الدارمي صلاة 304 ابن حنبل 230/3، 255 و 450/5. 453

-ر-

154- الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء.

وفي ذلك أسانيد أخرى تنظر في المراجع أسفله.

الرحلة 71/3 و 96/3 و 25/5 و 27/5 و 59/5 و 60/5 داود أدب 58 ترمذي بر 16.

155- رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس. وقد ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 30/6 عمدة القاري 170/22

156- في حديث أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه، ثم أذكروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوا الله لئن قدر الله عليه ليعذبته عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فأمر الله البر فجمع ما فيه ثم أمر البحر فجمع ما فيه ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم قال فغفر له.

وقد أشار ابن رشيد إلى ما فيه من الإشكال من أن الغفران شرطه الموت على الإسلام وقد شرح ذلك وناقشه.

الرحلة 24/6 البخاري توحيد 35 مسلم توبة 34 مسلم بشرح النووي 70/17
عمدة القاري 162/25 تنوير الحوالك 186/1 كتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فورك
136. والفائق 68/2.

157- عن علي رضي الله عنه أن العباس سأل النبي (ص) عن تعجيل صدقته قبل محلها فرخص له.

الرحلة 41/3

158- رفع عن أمتي الخطأ والنسيان.

الرحلة 13/6 عمدة القاري 88/13 (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم) مسلم بشرح النووي 147/2 الأربعين حديثا النووية حديث 30 ص 67 ابن ماجة طلاق 16. 20 : إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان التمهيد 89/5. والخصائص الكبرى 200.

159- عن جابر أن رسول الله (ص) ركب إلى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة.

الرحلة 17/5 مسلم بشرح النووي 173/8 داود مناسك 56 ابن ماجة منسك
84 دارمي مناسك 34.

160- عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) ركب فرسا فصرع عنه فجحش شقه الأيمن وصلى صلاة من الصلوات وهو قاعد، وصلينا وراءه قعودا، فلما انصرف قال إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائما فصلوا قياما، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع

فارفعوا، وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا :ربنا ولك الحمد، وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون.

الرحلة 28/6 البخاري تقصير 17 عمدة القاري 213/5 و81/6 وانظر بعض هذا الحديث قبل : عدد 128، 130.

161- عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله (ص) في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم.

الرحلة 72/3 البخاري صوم 37 الموطأ صيام 23 تنوير الحوالك 216/1 مسلم صيام 94، 96، 98، 99 مسلم بشرح النووي 234/7 داود صوم 42 نسائي صيام 59 ابن حنبل 12/3، 45، 50، 74 وانظر كذلك فتح الباري الجزء 4 والتمهيد 169/2.

162- في حديث هشيم : سمعت رسول الله (ص) مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف : سبحان ربك ... الحديث.

الرحلة 25/3 البخاري إيمان 19، توحيد 58 مسلم صلاة 320، مسافرين 203 داود أدب 103 ترمذي مواقت 79 دعوات 39 نسائي افتتاح 79 الموطأ قرآن 21 ابن حنبل 170/2، 440/3، 57/4، 6/5 و35/6 وغير ذلك كثير.

163- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : سبعة يظلمهم الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل إذا ذكر الله عز وجل اسمه فاضت عيناه، ورجل دعتة ذات حسب وجمال فقال : إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

الرحلة 98/3 البخاري أذان 36 زكاة 13، 16 حدود 19 مسلم زكاة 91 ترمذي زهد 53 نسائي قضاء 3 الموطأ صفر 14 التمهيد 279/2 عمدة القاري 176/5 والحديث من المائة المجموعة من مسموعات أبي محمد عبد الرحمن بن شريح ومعرفة علوم الحديث 251.

164- سيد آدم الدنيا والآخرة اللحم وسيد ربحان أهل الجنة الفاغية.

ابن رشيد - أبو عبد الله بن هارون - ابن الطيلسان - السند السابق.
ونلاحظ أن سند هذا الحديث مكون من رجال كلهم أدباء إلا ابن عياش.
الرحلة 54/7 التمهيد 36/3 ابن حنبل 153/3 (إن النبي (ص) كان يعجبه
الفاغية) والفائق 382/3
والفاغية : الحناء.

ص-

165- سئل سهل بن سعد الساعدي عن منبر رسول الله (ص) قال : ما بقي
أحد أعلم به مني، وهو من أثل الغابة، ولقد رأيت رسول الله (ص) صعد عليه فاستقبل
القبلة ثم قرأ ثم ركع ثم نزل القهقري ثم سجد.

الرحلة 93/3، 94 مسلم بشرح النووي 35/5.

166- إن النبي (ص) صلى على المنبر (الحديث).

هذا الحديث يبين مقدار ما يكون بين المصلي وسترته. (انظر حديث كان بينه
صلى الله عليه وسلم وبين الجدار قدر ممر الشاة الحديث عدد 192).

167- صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

الرحلة 72/3 البخاري أذان 30 مسلم مساجد 248 نسائي إقامة 42 موطأ
جماعة 1 ابن حنبل 65/2، 112 وغير ذلك 55/3 و48/6 المستدرک 277 عمدة
القاري 150 التمهيد 218/4 و316/6.

168- قال رسول الله (ص) : صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا
مسجد الكعبة.

والضمير في فيه يعود على المسجد النبوي الشريف.

الرحلة 6/5 البخاري مسجد مكة 1 مسلم حج 505. 510 ترمذي مواقيت
130 مناقب 67 النسائي مساجد 4، 7 مناسك 164 ابن ماجه إقامة 195، 198
الموطأ قبلة ابن حنبل 5/4 التمهيد 17/6 مسلم بشرح النووي 163/9.

169- عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة سنة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويظهركم تطهيراً.

الرحلة 51/3 الترمذي مناقب 60 ابن حنبل 331/1 و250/3، 260 292/6، 298، 304.

170- من حديث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أن رسول الله (ص) صلى في مسجد ينبع.

جاء هذا الحديث في الرحلة عند الكلام على : ينبع والينبوع.
الرحلة 57/5.

171- عن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله (ص) الظهر بالمدينة أربعاً وصليت العصر معه بذي الحليفة ركعتين.

الرحلة 72/3 ترمذي صلاة 34 وجمعة 43 والحديث من عوالي مسند الشافعي.

172- الصوم جنة

الرحلة 32/6 البخاري صوم 3 توحيد 35 مسلم صيام 162، 163 داود صوم 35 ترمذي إيمان 8 جمعة 75 النسائي صيام 43 ابن ماجه صيام 42، 43 زهد 33 فتن 12 ابن مسدي صوم 37، 50 الموطأ صيام 57 ابن حنبل 321/3 23/4 231/5 والحديث من المجالس العونية انتقاء أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله الشيبيني.

ض-

173- عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ص) ضحى بكبشين أملحين.

الرحلة 72/3 البخاري حج 27، 117، 118 أضاحي 7، 8، 13، 14 توحيد 13 مسلم أضاحي 17، 18 مسلم بشرح النووي 120/13 عمدة القاري 305/6 داود أضاحي 4 ترمذي أضاحي 2، 3 نسائي عقيقة 4 ضحايا 14، 28، 29، 31 ابن ماجه

أضاحي 1، 4 دارمي أضاحي 1، 6 ابن حنبل 148/1، 150 و3/، 101 وغير ذلك
196/5 والفائق 362/3.

ط-

174- طبقات أمتي خمس طبقات، كل طبقة منها أربعون سنة فطبقتي وطبقة
أصحابي أهل العلم والإيمان، والذين يلونهم إلى الثمانين وأهل البر والتقوي والذين
يلونهم إلى العشرين وأهل التراحم والتواصل والذين يلونهم إلى الستين ومائة أهل
التقاطع والتدابير والذين يلونهم إلى المائتين أهل الهرج والحروب.

الرحلة 52/5 ابن ماجه فتن 28 غريب الهروي 77/4 (الخرج : الاختلاط
والقتل).

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

175- سأل أبو ذر رضي الله عنه النبي (ص) قال : أي الصلاة أفضل ؟ قال :
طول القنوت.

الرحلة 37/6 مسلم مسافرين 164، 165 ترمذي صلاة 167 نسائي زكاة 48
ابن ماجه إقامة 200 ابن حنبل 302/3، 381، 412.

ظ-

176- الظلم ظلّمت يوم القيامة.

ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 39/6 البخاري 168/3 المستدرک 11/1 عمدة القاري 292/12
الترمذي 83.

ع-

177- العلماء ورثة الأنبياء.

الرحلة 38/6 عمدة القاري 39/2 والحديث من كتاب الوصية لسالك طريق
الصوفية لأبي الحسن الحرالي.

غ-

178- غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله.

الرحلة 16/3 و 118/6 البخاري الاستسقاء 33/2 و 220/4 عمدة القاري
31/16 فتح الباري 542/6 المستدرک 81/4 مسلم بشرح النووي 31/16، 73-72
والحديث من جزء أبي صالح ابن زبور، وقد أورده ابن رشيد بمناسبة ذكر التجنيس
والاشتقاق والاشتراك.

ف-

179- عن عبد الله بن أبي أوفى قال : والله إنا لَجُلُوسٌ عند رسول الله (ص)
إذ جاء أعرابي فقال : يا رسول الله : أهلكني الشبق والجوع، فقال رسول الله (ص) :
يا أعرابي الشبق والجوع قال هو ذاك، قال فاذهب بأول امرأة تلقاها ليس لها زوج فهي
امراتك. قال الأعرابي : فدخلت نخل بني النجار فإذا جارية تحترف في زنبيل فقلت لها :
يا ذات الزنبيل، هل لك زوج قالت : لا، قلت انزلي فقد زوجنيك رسول الله (ص)، قال
فنزلت فانطلقت معها إلى منزلها فقالت لأبيها : إن هذا الأعرابي أتانا وأنا أحترف في
الزنبيل، فسألني هل لك زوج فقلت : لا، فقال انزلي فقد زوجنيك رسول الله (ص)
فخرج أبو الجارية إلى الأعرابي فقال له الأعرابي : ما ذات الزنبيل منك ؟ قال : ابنتي،
قال هل لها زوج قال لا، قال : فقد زوجنيها رسول الله، فانطلق والجارية وأبو الجارية
إلى رسول الله (ص) فأخبره فقال له رسول الله (ص) : هل لها زوج قال : لا قال :
اذهب فأحسن جهازها ثم ابعث بها إليه، فانطلق أبو الجارية فجهز ابنته وأحسن القيام
عليها ثم بعث معها بتمر ولبن فجاءت إلى بيت الأعرابي، وانصرف الأعرابي إلى بيته
فرأى جارية مصنعة ورأى تمرا ولبنا فقام إلى الصلاة، فلما طلع الفجر غدا إلى رسول
الله (ص) فأخبره، وغدا أبو الجارية على ابنته فقالت : ما قربنا ولا قرب تمرنا ولا لبننا،
قال فانطلق أبو الجارية إلى رسول الله (ص) فأخبره فدعا الأعرابي، فقال يا أعرابي ما
منعك من أن يكون ألمت بأهلك قال يا رسول الله انصرفت من عندك ودخلت المنزل
فإذا جارية مصنعة ورأيت تمرا ولبنا فكان يجب لله علي أن أحبي ليلتي إلى الصبح فقال
يا أعرابي اذهب فألم بأهلك.

جرح وتعديل : عبد الرحمن (عبد الرحيم بن هارون) فائد بن أبي أوفى.

الرحلة 25/3 والحديث من مسند عبد بن حميد.

180- عن قتادة عن أنس قال : كان فرع بالمدينة فاستعار النبي (ص) فرسا لنا يقال له مندوب، فركب فلما رجع قال : ما رأينا من شيء إنا وجدناه لبحرا.
الرحلة 117/3 عمدة القاري 130/13 (... فرسا أبي طلحة يقال له المندوب...) مسلم بشرح النووي 67/15، 68.

181- عن أنس أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها فأتوا النبي (ص) فأمر بالقصاص.

انظر حديث 320 من هذا البحث : قصة الربيع والأمر بالقصاص.
الرحلة 47/3 مسلم بشرح النووي 162/11-163 والحديث من ثلاثيات البخاري.

182- كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال : فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم.

الرحلة 34/5 البخاري 181/2 عمدة القاري 277/8 (... ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا، قال جبريل لحازن السماء الدنيا : افتح قال : من هذا ؟ قال جبريل) التمهيد 132/4 صحيح مسلم بشرح النووي 216/2 والخصائص الكبرى 150/1.

183- عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) فرض زكاة الفطر على الناس من رمضان صاعا من تمر وصاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكرا وأنثى من المسلمين.

الرحلة 60/3 و 11/6 البخاري 154 عمدة القاري 233/3 مسلم بشرح النووي 58/7 داود زكاة ترمذي زكاة نسائي عيدين 23 زكاة 30، 34 ابن ماجة زكاة 31 ابن مسدي زكاة 37 الموطأ زكاة ابن حنبل 351/1 و 55/2

184- الفطرة خمس : الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب تقليم الأظفار وتنظيف الإبط.

الرحلة 64/5 البخاري لباس 51، 63 عمدة القاري 44/22-45 و 271/22 مسلم طهارة 40، 50 صحيح مسلم بشرح النووي 146/3 مسند ابن عمر 80 داود

ترجل 16 ترمذي 183/4 نسائي طهارة 8، 10 زينة 55/1 ابن ماجة طهارة باب 8
حديث 992 ص 107 الموطأ صفة النبي 3 ابن حنبل 220/2 وغيره غريب الهروي 36
ق-

185- عن أبي هريرة أن النبي (ص) قضى باليمين مع الشاهد.

الرحلة 12/3 مسلم أقضية 3 داود أقضية 21 ترمذي 399/2 ابن ماجة باب
31 ص 793 أحاديث 2368-2373 موطأ أقضية 5، 6، 7 ابن حنبل 315/1 /3
305 تمهيد 134/2. ومعرفة علو الحديث 252.

186- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال : خرجنا في ليلة مطيرة
مظلمة شديدة نطلب رسول الله (ص) ليصلي بنا، قال فأدركته فقال : قل، فلم أقل شيئا،
ثم قال : قل، فلم أقل شيئا، قال قلت يا رسول الله، وما أقول. قال قل هو الله أحد
والمعوذتين حين تسمي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شر.

الرحلة 27/3 ترمذي 266/3 وانظر شيئا من معناه في عمدة القاري
35-34/20.

جرح وتعديل معاذ بن عبد الله بن خبيب.

ك-

187- عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) أجمل الناس وجها
وأجودهم كفا وأشجعهم قلبا وأسمحهم، وفزع أهل المدينة فخرج على فرس لأبي طلحة
عريا وقال : لم تُراعُوا لم تُراعُوا ثم قال : إني وجدته لبحراً.

الرحلة 17/3 البخاري جهاد 82، 117 مسلم فضائل 48 ترمذي جهاد 15
ابن حنبل 147/3، 185، 261 التمهيد 136/6 (ثم رجع وهو يقول : لن تراعوا لن
تراعوا... إنا وجدناه لبحرا).

188- عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : المتبايعان كل واحد منهما
بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار.

قال الشافعي : فابن عمر الذي سمعه من النبي (ص) كان إذا ابتاع الشيء يعجبه أَنْ يَجِبَ لَهُ، فَأَرَقَ صَاحِبَهُ فَمَشَى قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعَ.

الرحلة 73-72/3 عمدة القاري 225/11، 221 المستدرک 16/2 تنوير الحوالک 79/2 ترمذی 356/2 مسند الشافعي 219، والحديث من مسند الشافعي.

189- عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان بالمدينة مقعد فقال لأهله: ضعوني على طريق رسول الله (ص) إلى مسجده، قال : فوضع على طريق رسول الله (ص)، قال فكان رسول الله (ص) إذا اختلف إلى المسجد يسلم على المقعد فجاء أهل المقعد ليردوه إلى أهله فقال : والله لا أبرح هذا المكان ما عاش رسول الله (ص) فابنوا لي خصا، قال فبنوا له خصا، فكان المقعد فيه كلما مر رسول الله (ص) إلى المسجد دخل الحص وسلم، وكلما أصاب رسول الله (ص) طرفة من طعام بعث به إلى المقعد، قال فبينما نحن مع رسول الله (ص) إذ أتاه آت فتعى له المقعد فنهض رسول الله (ص) ونهضنا معه حتى إذا دنا من الحص فإذا جبريل عليه السلام قاعد عند رأس المقعد، فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله أما إنك لو لم تأتتنا لكفيناك أمره، فأما إذا جئت فأنت أولى به، فقال رسول الله (ص) : فغسله بيده وكفنه وصلى عليه وأدخله القبر.

جرح وتعديل : جابر هو محمد بن عبد الملك، وجرح وتعديل : فائد ابن أبي أوفى.

الرحلة 25/3 والحديث من مسند عبد بن حميد.

190- عن عمر بن الخطاب قال : كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوما فسكتنا ساعة فسرّي عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا، ثم قال : قد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون ...) حتى ختم عشر آيات.

الرحلة 52/3 و 27/3 (كدوي النحل) البخاري ، عمدة القاري 36/1 (حديث كيف يأتيك الوحي) مسلم حج 6، 8 داود جهاد 19 النسائي حج 39 ابن حنبل 312/1 و 165/4.

191- قال علي بن عبد الله وهو ابن المديني : سألتني أحمد ابن حنبل عن هذا الحديث : سئل سهل بن سعد الساعدي عن منبر رسول الله (ص) فقال : ما بقي أحد أعلم به مني وهو من أثل الغابة، ولقد رأيت رسول الله (ص) صعد فاستقبل القبلة ثم قرأ ثم ركع ثم نزل القهقري ثم سجد.

قال فلما أردت أن النبي (ص) كان أعلى من الناس، فلا بأس أن يكون الإمام أعلى من الناس.

الرحلة 94/3 البخاري صلاة 18 ابن ماجه 199 إقامة ابن حنبل 32/5

192- كان بين مصلى رسول الله (ص) وبين الجدار ممر الشاة.

193- كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة أن تجوزها.

وقد ذكر هذان الحديثان في الرحلة في معرض مسألة الإغماض في تراجم كتاب البخاري.

الرحلة 94/3 البخاري صلاة 91، 97 حج 53 عمدة القاري 280/4 مسلم صلاة 362 صحيح مسلم بشرح النووي 225/4 ابن حنبل 13/6.

194- كان خاتم رسول الله (ص) من ورق وكان فسه حبشياً.

الرحلة 26/6 البخاري 201/7 عمدة القاري 34/12 مسلم لباس 62 ترمذي 140/3 ابن ماجه لباس 39، 40 النسائي زينة 47 ترمذي لباس 14 داود خاتم 1 ابن حنبل 225/3.

195- كان سلاح رسول الله (ص) ذا الفقار، وكان سيف أصابه يوم بدر.

وفي صدد ذكر هذا الحديث ذكر مآثر أسيافه (ص)، وكانت ثمانية أحدها ورثه النبي (ص) عن أبيه، وأعطاه سعد بن عباد سيفاً فقال له العُضْبُ، وأصاب من سلاح بني قينقاع سيفاً اسمه الصمصامة، وكان له البتار واللحيف والمخزم والرسوب وذو الفقار.

وذكر ابن سيد الناس اليعمري أن السيف الذي ورثه من أبيه اسمه مأثور وأنه كان عنده أيضاً سيف اسمه القضييب.

الرحلة 73/6 عيون الأثر لابن سيد الناس 318/2.

196- عن ابن عباس قال كان للنبي (ص) سيف محلى قائمه من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة، وكان يسمى ذا الفقار.

الرحلة 73/6.

197- بزق رسول الله (ص) في ثوبه وحك بعضه ببعض .

الرحلة 51/5 سنن أبي داود 106/1 حديث 339

198- عن معاذ بن جبل أخبر : أنهم خرجوا مع رسول الله (ص) إلى تبوك، فكان رسول الله (ص) يجمع بين الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا ثم قال : إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك.

الرحلة 3/5 مسند الشافعي 387 وانظر جمع المغرب والعشاء مسند عبد الله ابن عمر ص 60.

199- كان الطواف بالكعبة على الشمال، والسنة في العبادات التيمن. وكان رسول الله (ص) يحب التيمن في شأنه كله.

الرحلة 54/5 مكرر البخاري وضوء 35 لباس 73 أطعمة 5.

200- عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حن الجذع.

الرحلة 92/3 البخاري مناقب 25 عمدة القاري 127/16 ابن ماجة إقامة 199 دارمي مقدمة 6 صلاة 202 والروض الباسم 54/2 وفتاوي ابن حجر الهيتمي 272

201- عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يستلم الركن اليماني والأسود في كل طرفه، ولا يستلم الركنين الذين يليان الحجر.

الرحلة 23/5 البخاري 185/2 عمدة القاري 240/9، 258 مسلم بشرح النووي 14/9 ابن حنبل 3/1، 114 مسلم حج 344 أخبار مكة للزرقي 335، 336 ذكر هذا الحديث أبو نصر الصباغ في كتابه الشامل.

202- عن عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله (ص) يسلم عن يمينه ويساره حتى يرى بياض خديه، وكان يقول السلام عليكم ورحمة الله، عن يمينه ثم يعيد عن يساره.

الرحلة 83/3 مسند الشافعي 43 (يرى خداه) مسلم بشرح النووي 82/5 داود صلاة 164، 168، 180 نسائي تطبيق 83 سهو 68، 70، 71 ابن ماجه إقامة 38 ابن مسدي صلاة 87 ابن حنبل 172/1، 181، 386 وغير ذلك، و193/4 والحديث من فوائد ابن بشران.

203- عن أسامة بن زيد أنه سئل عن سير رسول الله (ص) في حجة الوداع، فقال كان يسير العنق، فإذا رأى فجوة نص. والنص فوق العنق.
الرحلة 106/3 ابن ماجه مناسك 58. والفائق 382/3.

204- عن أنس بن مالك يقول : كان رسول الله (ص) يصلي الجمعة إذا زالت الشمس.

الرحلة 22/3 والحديث من الفوائد المدنية لابن شريح

205- قدم عمر رضي الله عنه على عبد الله بن السعدي، أو لقيه فقال : ألم أخبرك بأنك تلي أعمالاً من أعمال المسلمين لا تأخذ عليها شيئاً، فقال : أجل إني أعف عن ذلك، قال ولم، قال : لي أفراس وأعبد وأريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين، قال لا تفعل، فإن رسول الله (ص) كان يعطي العطاء فأقول أعط من هو أحوج إليه مني، وأنه أعطاني عطاء مرة ومالا فقلت أعطه من هو أحوج إليه فقال لي : ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذ فتموله أو تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك.

الرحلة 32/3 مسلم بشرح النووي 136/7 والحديث من حديث بشر بن مطر.

206- عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : أشهد على أبي يحدثي أن رسول الله (ص) كان يقول القول ثم يلبث أحياناً ثم ينسخه كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً.

الرحلة 87/3 مسلم حيض 82 وانظر هذا الحديث في كتاب الاعتبار للحازمي
ص 25 (ثم ينسخه بقول آخر...)

207- إنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن رأسه بالطيب.

وقد علق ابن رشيد على هذا الحديث بقوله : لو اعتم (ص) بالبياض تغير لكثرة
الطيب، فلذلك عدل عن البيضاء إلى السوداء.

انظر سند (دخوله (ص) يوم فتح مكة إليها في حرف الدال)

الرحلة 54/5 وانظر الحاوي للفتاوي وتفصيل القول في هذه المسألة 76/1

208- سئل أبو عبد الرحمن يعني النسائي عن اللحن : أيوجد في الحديث ؟
فقال : إن كان شيئاً تقوله العرب، وإن كان في غير لغة قريش فلا يعتبر، لأن النبي
(ص) كان يكلم الناس بلسانهم، وإن كان مالا يوجد من كلام العرب فرسول الله (ص)
لا يلحن.

الرحلة 28/6.

209- عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) ينفث على نفسه بالمعوذات، قال
فسألت الزهري كيف كان ينفث على نفسه فقال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما
وجهه، قالت فلما ثقل جعلت أنفث عليه بهن فأمسحه بيد نفسه.

الرحلة 27/3 البخاري طب 39 دعوات 11 مسلم بشرح النووي 102/14 ابن
ماجة دعاء 15 والحديث من مسند عبد بن حميد.

210- عن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك وهما عائدان من
منى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله (ص) قال : كان يهل
المهل منا فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر منا فلا ينكر عليه.

الرحلة 72/3 البخاري حج 86 مسلم حج 274 مسلم بشرح النووي 30/9
الموطأ حج 43 ابن حنبل 110/3، 240 مسند الشافعي 229.

211- عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بمحمد
الله أقطع.

ابن رشيد- ابن عساكر- جده ابن هبة الله- أبو القاسم بن هبة الله- اسماعيل بن أبي صالح- والده أبو صالح المؤذن- علي بن محمد الحافظ- محمد بن يعقوب الأصم- محمد بن عوف- أبو المغيرة... الزهري- أبو سلمة- أبو هريرة- النبي (ص).

الرحلة 48/5 ابن ماجة نكاح 10 ابن حنبل 359/2 والحديث من كتاب الأربعين لأبي سعد بن أبي صالح.

212- كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم.

الرحلة 7/3 وانظر حديث ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب وحديث الدعاء كله محجوب... وهذا الحديث من كتاب القرية لابن بشكوال.

213- عن عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله (ص) كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز.

الرحلة 29/5 مسلم قدر 18 موطأ قدر 4 ابن حنبل 11/2 مسلم بشرح النووي 204/16 تنوير الحوالك 208/2 غريب الحديث للهروي 456/1 (كيس : كايست أكيس منه : أي القدرة والحديث من موطأ مالك).

214- كل ميت يختم على عمله إلا المراتب في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر.

الرحلة 64/5 داود جهاد 15 ترمذي فضائل الجهاد 2 دارمي جهاد 32 ابن حنبل 146/4 و20/6 والحديث من كتاب الأربعين المروية بالأسانيد المصرية.

215- الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين

الرحلة 3/3 البخاري سورة 3، 4، 7 طب 30 مسلم أشربه 158، 159 فتح الباري 163/10 عمدة القاري 240/18 مسلم بشرح النووي 3/14 التمهيد 274/5 الترمذي طب 22 و270/3 ابن ماجة طب 8 ابن حنبل 187/1 و1/2، 30، 305 و3/40 وغريب الهروي 173/2. ومعركة علوم 253.

216- قالت عائشة رضي الله عنها : كنت أرى رسم المسك في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم.

الرحلة 103/3 عمدة القاري 74/4 مسلم بشرح النووي 100/8، 102
(وبيض الطيب ...) والحديث من جزء أبي العباس الأصم.

217- عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل معه (ص) من الإناء الواحد.

الرحلة 3/3 البخاري 72/1 عمدة القاري 208/3 مسلم بشرح النووي 206/3
و5/4 نسائي طهارة 145 وغسل 8.

218- عن جابر بن عبد الله قال : كنا إذا هبطنا سبحنا وإذا علونا كبرنا.

الرحلة 22/2 البخاري جهاد 132، 133 داود جهاد 73 دارمي استئذان 43
ابن حنبل 333/3.

219- عن سلمة بن الأكوع قال : كنا نصلي مع النبي (ص) المغرب إذا توارت بالحجاب.

الرحلة 57/6 و8/5-9 البخاري مواقت 18 مسلم مساجد 216 مسلم بشرح
النووي 136/6 ابن ماجه صلاة 7 ابن حنبل 54/4 ترمذي مواقيت 8 عمدة القاري
61/18. والحديث من ثلاثيات البخاري.

220- حديث الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف.

وذلك في قصة عبد الله بن أبي والصلاة على المنافقين.

الرحلة 22/6 البخاري جنائز 33 فتح الباري الجنائز 138/3 عمدة القاري 8/
53 مسلم بشرح النووي 167/15 والحديث من أصل أبي ذر الهروي.

ل-

221- عن قيس عن أبيه قال : سألت رجل النبي (ص) وأنا أسمع عن الرجل
يمس ذكره وهو في الصلاة أيتوضأ ؟ قال : لا إنما هو كبعض جسده.

الرحلة 19/3 مكرر. وفي صحيح ابن خزيمة 22/1، 38 استحباب الوضوء من
مس الذكر ومعرفة علوم 253

222- عن معاوية بن الحكم أنه سأل رسول الله (ص) عن الكهان فقال لا تأتوهم.

الرحلة 19/3 مكرر مسلم بشرح النووي 223/14.

223- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن أباه أخبره أنه مرض عام الفتح مرضا أشفى منه على الموت، فأتاه النبي (ص) يعوده وهو بمكة فقال يا رسول الله : إن لي مالا كثيرا وليس يرثني إلا ابنتي فأصدق بثلاثي مالي قال : لا، قال : فبالشر قال : لا، قال : فبالثلث، قال فالثلث، والثلث كثير، إنك إن تترك وراثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس.

الرحلة 52/3 والفائق 244/2 ومشارك 346/1

224- أخبرنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن نافع عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال : لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبا بناجز.

الرحلة 70/5 البخاري 97/3 فتح الباري 379/4 عمدة القاري 293/11
297 مسلم بشرح النووي 9/11 التمهيد 283/6، 287-288. (تشفوا : تفضلوا)

225- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : كنا مع النبي (ص) في سفر، قال فنزلنا منزلا فيه قرية غل فأحرقناها، فقال لنا رسول الله (ص) : لا تعذبوا بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا ربه، ومررنا بالشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما، قال فجاءت الحمرة إلى النبي (ص) وهي تعرض، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ قال فقلنا : نحن، قال : ردوهما، فرددناهما إلى موضعهما.

الرحلة 4 /3 التمهيد 317/5 فتح الباري 149/6 (لا تعذب بعذاب الله) داود
جهد 112 وانظر تحريم قتل النمل في صحيح مسلم بشرح النووي 238/14 239 سنن
الدارقطني (لا تعذبوا بعذاب الله) ج3 ص 108 حديث 90.

226- عن أبي هريرة يقول : سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء.

الرحلة 122/3 ابن حنبل 442/2 غريب الهروي 225/4 : جماء إذا لم تكن ذات قرن والحديث من جزء ابن عرفة والفائق 234/1.

227- عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : قال النبي (ص) : لا حد إلا في إثنين : رجل أتاها الله عز وجل القرآن فهو يقوم به أثناء الليل وأثناء النهار، ورجل أتاها الله مالا فهو ينفقه أثناء الليل وأثناء النهار.

الرحلة 69-68/3 المستدرک 348/4 والحديث من جزء ابن حرب الطائي.

228- عن أنس قال : (مرة رفعه ومرة لم يرفعه)

لا شفعة لنصراني.

الرحلة 85/3 والحديث من جزء محمد بن سنان.

229- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله (ص) قال : لا قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بإضافة السنة.

الرحلة 104/3 والحديث من جزء أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي.

230- عن أنس بن مالك قال : لما وجد رسول الله (ص) من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة : واكرب أباه، فقال النبي (ص) : لا كرب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحدا، الموافاة يوم القيامة.

الرحلة 111/3 البخاري مغازي 83 ابن ماجة جنائز 65 ابن حنبل 141/3 الشمائل المحمدية (واكرياه...) حديث 379 ص 211 عمدة القاري 74/18 واكرب أباه... ليس على أبيك كرب بعد اليوم.

لا تحل الصدقة لغني.

231- عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : لاهجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام، وقال ثلاث ليال.

الرحلة 33/3 ابن حنبل 68/2 والحديث من جزء محمد الانصاري.

232- عن عبد الله بن عباس قال : دخلت أنا وخالد بن الوليد ابن المغيرة مع رسول الله (ص) بيت ميمونة بنت الحارث فأتى بضرب محنوذ، فأهوى إليه رسول الله (ص)

بيده فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله (ص) بما يريد أن يأكل، فرفع رسول الله (ص) يده، قال فقلت : أحرام هو يا رسول الله ؟ قال : لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي. قال خالد بن الوليد : فاجترته فأكلته، ورسول الله (ص) ينظر.

الرحلة 41/2 البخاري أطعمة 10 فتح الباري 662/8 عمدة القاري 136/21
مسلم بشرح النووي 88-87/13 ترمذي 161/3 ابن حنبل 188/6 التمهيد 156/1.

233- لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا أو يعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

الرحلة 34/6 عمدة القاري 265/13 و141/22 ابن حنبل 68/2 التمهيد 6/127
مسلم بشرح النووي 117/16.

234- لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار.

الرحلة 6/5 عمدة القاري 223/14 مسلم بشرح النووي 50/16 ومعرفة علوم
216.

235- لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر.

الرحلة 41/3 البخاري 184/8 المستدرك 346-345/4 (لا يرث المسلم...) مسند الشافعي 235 عمدة القاري 260/23 (لا يرث المسلم...) التمهيد 69/3، 5/320
سنن الدار قطني 69/4، 74 (لا يرث الكافر...) (لا يرث المسلم النصراني).

236- لا يرد الله ما بين الآذان والإقامة.

الرحلة 70/6 ترمذي صلاة 44 أو 137/1 ابن حنبل 118/3، 155 ومعرفة
علوم 253.

237- لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر.

الرحلة 72/3 عمدة القاري 67-66/11 صحيح مسلم بشرح النووي 207/5-
210 ترمذي 103/2.

238- لا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر.

الرحلة 29-28/6 البخاري 51/3 عمدة القاري 202/22 المستدرک 453/2
مسلم بشرح النووي 3-2/15 مشكل الحديث لأبي بكر بن فورك 123 تأويل مختلف
الحديث لابن قتيبة 222.

239- عن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تشتري جارية تعتقها فقال أهلها
نبيعكها على أن ولاءها لنا، فذكرت عائشة لرسول الله (ص) فقال : لا يمنعك ذلك، فإن
الولاء لمن أعتق.

الرحلة 39/3 و 60/5 البخاري صلاة 7***30 أطعمة 31 الخ. فتح الباري 9
410/ مسند الشافعي 204 مسلم عتق 5، 6 الخ مسلم بشرح النووي 139/10 داود
فرائض 12 ترمذي فرائض 20 نسائي زكاة 99 طلاق 29 ابن ماجه طلاق 29 دارمي
طلاق 15 الموطأ طلاق 25 ابن حنبل 281/1 و 28/2 و 33/6، والحديث من مسند ابن
حنبل.

240- عن أم حبيبة زوج النبي (ص) قالت : يا رسول الله : المرأة يكون لها
زوجان في الدنيا ثم يموتان جميعا فيجتمعان في الجنة لأيهما تكون ؟ للأول أم للآخر ؟
قال : لأحسنهما خلقا، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة.

الرحلة 35/3 والحديث من جزء منتقى من حديث أبي بكر بن سليمان وروضة
المحبين لابن قيم الجوزية ص 1973 ص 242.

241- قالت بنت ثابت بن قيس بن شماس : لما أنزل الله تعالى : "يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي" الآية، دخل أبي بيته وأغلق عليه بابه
وظفق يبكي، ففقده رسول الله (ص) فأرسل إليه فسأله ما خبره فقال : أنا رجل شديد
الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير.

الرحلة 67/3 البخاري مناقب 25 عمدة القاري 145/16 والحديث من
الأربعين للثقيفي الخصائص الكبرى 272/2.

242- لعن الله الواصلة والمستوصلة.

قال ابن رشيد : هكذا وقع هذا الحديث : عن أسماء بنت أبي بكر أن أسماء
جاءت إلى رسول الله (ص) فقالت أسماء : قال رسول الله الحديث.

وقوله فيه أن أسماء جاءت إلى رسول الله (ص)، والمعروف فيه أن امرأة جاءت، وإنما أسماء راوية القصة لا صاحبة السؤال، والله أعلم.

الرحلة 103/3 البخاري لباس 83 مسلم لباس 115 صحيح مسلم بشرح النووي 103-102/14 داود ترجل 5 ترمذي لباس 193/4 نسائي زينة 22 ابن ماجه نكاح 52 ابن حنبل 21/2 و 25/5 و 111/6 وغير ذلك.

243- لقد بأي هذا ذعرا.

(انظر حديث وبل أمه مسعر حرب) بعد (حديث 323) الرحلة 33/3

244- لكل نبي حوارى وحوارى الزبير

الرحلة 43/3 البخاري جهاد 40 عمدة القاري 223/16 مسلم بشرح النووي 188/15 ابن ماجه مقدمة 11 ابن حنبل 89/1 و 307/3 ترمذي 510/5 الإصابة 546/1 ومشاركى 215/1 (حور)

245- لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

الرحلة 34/ وعمدة القاري 276/22

246- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (ص) لما جاء مكة دخلها من أعلاها وخرج من أسفلها.

الرحلة 34/3 مسلم بشرح النووي (دخل مكة من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى) والحكم في ذلك 3-4 فتح الباري 436/3 ترمذي 172/2 والحديث من الأجزاء الخمسة من الفوائد المنتخبة لأبي بكر بن الخطيب.

247- عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي قال : لما خر رسول الله (ص) بُدْنَةً، فنحر ثلاثين بيده وأمرني فنحرت سائرهما.

الرحلة 38/3 ابن حنبل 260/1 مسلم بشرح النووي 67/9 ترمذي 194/2 تنوير الحوالك 321/1 غريب الحديث لابن قتيبة 219/1 : البدنة الناقة سميت بدنة بالعظم إما لسمنها وإما لسنها لأنه لا يجوز أن يساق منها الصغار.

248- لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا.

الرحلة 66/5 المستدرك 318/4 ابن ماجة زهد 14.

249- لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.

الرحلة 40/2 البخاري كسوف 3 رقاق 37 صلاة 112 فتح الباري 318/11 عمدة القاري 77/23 النسائي سهو 102 مسلم 150/4 ترمذي زهد 333/3 موطأ كسوف ابن حنبل 357/3 والحديث من حديث أنس.

250- لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى دخل عليه فأخرجه.

عن أنس قال : كان رسول الله (ص) جالسا على حجر في حائط فقال النبي (ص) الحديث... فأنزل الله تعالى : "فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا".

الرحلة 99/3 عمدة القاري 301/10 الجامع للقرطبي 107/10 البحر المحيط لابن حيان 488/8.

251- ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة.

الرحلة 28/6 مسلم زكاة 9 مسلم بشرح النووي 55/7 داود زكاة 11 نسائي زكاة 16 ابن ماجة زكاة 15 دارمي زكاة 10 موطأ زكاة 37 ابن حنبل 243/3 وغيرها تنوير الحوالك 206/1 والحديث من ملخص القابسي.

252- ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالعائد في قبته.

الرحلة 37/6 و 76/3 فتح الباري 187/5 عمدة القاري 125/13 و 121/24 ترمذي 299/3 مسلم بشرح النووي 64/11 التمهيد 261/3.

م -

253- ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به.

الرحلة 96/3 و 100/3 البخاري توحيد 32 عمدة القاري 154/25 وانظر معناه ص 193 مسلم 75/2 مسافرون 332 داود وتر 75/2 حديث 1473 داود وتر

20 ترمذي ثواب القرآن 17 نسائي افتتاح 83 ابن مسدي صلاة 171 ابن حنبل 3/271، ومعرفة علوم 253 وفضائل القرآن 95،96.

254- ما بين بيتي وقبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي.

الرحلة 6/5 و14/5 فتح الباري 63/3 مسلم بشرح النووي *161/ ابن حنبل 336/2 و389/3 تمهيد 285/2، 291 والحديث من ثلاثيات البخاري.

255- ما دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على محمد وعلى آله، فإذا صلى على النبي (ص) إخرق الحجاب واستجيب الدعاء.

الرحلة 7/3 و98/3 والكتاب من المائة الشريحية، وانظر بعض فوائد هذا الحديث في كتاب جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية وفي ص 13 منه خاصة وكتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ السخاوي ط 2 1397 المدينة المنورة، ص 223-224 خاصة.

256- عن محمد بن كليب أن رسول الله (ص) جاء في غزوة تبوك وهم يبوكون، حسبها بفرح فقال : ما زلت تبوكونها بعد.

ومعنة تبوكون : تدخلون فيه السم وتحركونه ليخرج ماؤه (من معجم البكري).

الرحلة 3/5 عمدة القاري 44-45 (باب غزوة تبوك) والفائقة 132/1 135.

257- ما شبع آل محمد (ص) من خبز مأدوم ثلاث ليال حتى لحق بالله عز وجل.

انظر سند (حرم رسول الله (ص) أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام)

الرحلة 79/3.

258- ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

الرحلة 7/5 مسلم بشرح النووي 149/15 ابن حنبل 1/4 والحديث من جزء أبي الحسين بن العالي.

259- ما في أيام أحب إليه العمل فيها أو أفضل من أيام العشر، يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله، قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ثم لم يرجع من ذلك بشيء.

الرحلة 25/5 البخاري توحيد ابن حنبل 234/1 ترمذي صوم 51 ابن ماجه صيام 30 داود 2 ص 325 حديث 2438.

260- مالك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت أو لبست فأبليت وأعطيت، فأَمْضَيْتَ وما بقي فهو لك.

الرحلة 78/3 ترمذي زهد 31 تفسير سورة 102 ابن حنبل 24/4، 26

261- ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد (ص)، فإن فعل اُخْرَقَ ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإن لم يفعل رجع ذلك الدعاء.

الرحلة 7/3

262- ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان لديه صدقة.

الرحلة 57/6 البخاري أدب 27 حرث 1 مسلم مساقاة 7 مسلم بشرح النووي 215/10 ترمذي أحكام 40 ابن حنبل 147/3 و420/6.

263- المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يفترقا.

الرحلة 72/3 البخاري 83/3 فتح الباري 328/4 عمدة القاري 227/11 مسلم بيوع 5، 4 ابن ماجه تجارات 17.

264- مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثّل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة زاوية من زواياه، فجعل من مر به من الناس ينظرون إليه ويتعجبون منه ويقولون: هلا وضع هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيّين صلى الله عليه وسلم.

الرحلة 16/3 البخاري مناقب 18 مسلم فضائل 21 ابن حنبل 312/2 عمدة القاري 98/16 والشفاء 168.

265- قال النبي (ص) لوفد جذام: مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى.

وقد ذكر ابن رشيد هذا الحديث بعد السفر من الحرمين وذكر ما لاقاه من العناء هو وركبه وقد وجد هذا الحديث بخط أبي عبد الله بن أبي الخصال.

الرحلة 58/5 مكرر.

266- أنه (ص) مر بشاة ميتة لمولاة ميمونة فقال ألا تأخذوا إهابها، فانتفعوا به، قالوا : يا رسول الله إنها ميتة، قال إنما حرم أكلها.

الرحلة 36/2 و 36/2 التمهيد 154/4 و 176 و 180 عمدة القاري 133/21 (هلا استمتعتم بإهابها) مسلم بشرح النووي 51/4-52 تأويل مختلف الحديث 174 (ألا انتفعوا بإهابها) (لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) والتوفيق بين الحديثين.

267- عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه قال : رأيت النبي (ص) مستلقيا في المسجد رافعا إحدى رجليه على الأخرى.

الرحلة 27/3 عمدة القاري 80/22 مسلم بشرح النووي 77/14 الشرائع المحمدية حديث 120 ص 62 ترمذي 194/4.

268- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.

الرحلة 21/6 البخاري مظالم 3 عمدة القاري 288/12 مسلم بر 58، 72 ذكر 28 مسلم بشرح النووي 120/16 داود أدب 38 ترمذي حدود 3 بر 19 قرآن 10 ابن ماجه مقدمة 17 ابن حنبل 91/2، 252 وغيرها.

269- الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها (أو نحو ذلك).

الرحلة 28/5 ابن ماجه ج 2 ص 987 باب 35 حديث 2962 أخبار مكة للزرقي 347/1.

270- من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه.

الرحلة 46/3 البخاري بيوع 51 مسلم بيوع 29... داود بيوع 65 ترمذي 2/2
379 نسائي بيوع 55 ابن ماجة تجارات 37 دارمي بيوع 35 موطأ بيوع 40 ابن حنبل
270/1 و22/2 و392/3.

271- من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه.

الرحلة 55/2 البخاري إيمان 30 عمدة القاري 285/1 مسلم مساقاة 107 داود
بيوع 3 ترمذي بيوع 1 ابن حنبل 279/4 والحديث من المقدمة المحتسبة لابن مسدي.

272- من اتقى الله عز وجل كل لسانه ولم يشف غيظه

الرحلة 56/3 والحديث من مسند الدارمي.

273- من أحب أن يمد الله في عمره ويزيد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه.

الرحلة 40/2

274- من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة.

الرحلة 117/3 بخاري مواقيت 29 مسلم مساجد 161 داود صلاة 153 ترمذي
صلاة 23، جمعة 35 نسائي مواقيت 11 جمعة 41 دارمي صلاة 22 موطأ جمعة 13
ابن حنبل 341/2 وغيرها.

275- من أدرك ليلة عرفة التي بعد يوم عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك

الحج.

الرحلة 54/5 البخاري 199/2 والحديث من جزء أبي العالي.

276- من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار.

الرحلة 99/3 البخاري 189/3 عمدة القاري 76/13 داود عتاق 13 مسلم
عتق 33 ترمذي ندور 14 ابن حنبل 447/2 و480/3 و4/4*** و29/5.

277- من أوتي معروفا فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره فإن ذكره فقد شكره،

ومن تشيع بما لم ينل فهو كلابس ثوبي زور.

الرحلة 34/6 ابن حنبل 96/6 فتح الباري 317/8 مسلم بشرح النووي 14/
110 داود أدب 83 (من تشيع بما لم يعط) ترمذي 255/3 غريب الهروي 253/2.
والحديث من كتاب الأمثال لأبي أحمد العسكري.

278- من تعر من الليل، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا
حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي، أو دعاء، واستجيب له فإن تَوْضُأً قبلت
صلاته.

الرحلة 40/3 مسند عبد الله بن عمر الحديث رقم 23 : (إن النبي (ص) كان
لا يتعار ساعة من الليل، أي يهب من نومه، والتعار السهر والتقلب على الفراش ليلاً،
ولا يكون إلا يقظة مع كلام يرفع به صوته عند انتباهه) وتعار : تغطى عمدة القاري 7/
212 داود 314/4.

279- من تَوْضُأً يوم الجمعة فَبِهَا ونعمت (وزيد فيه ذكر السواك والطيب)
الرحلة 120/3 و 124/3 البخاري أذان 161 جمعة 2 شهادات 13 مسلم
جمعة 4 صحيح مسلم بشرح النووي 130/6 ترمذي 305/1 و 4-3/2 داود طهارة
128 نسائي جمعة 2، 6، 8 موطأ جمعة 3 دارمي صلاة 100 ابن حنبل 6/3 ومسلم
بشرح النووي أيضا 99/3، 142.

280- من تَوْضُأً يوم الجمعة فَبِهَا ونعمت ومن غسل فبالغسل أفضل.
الرحلة 124/3 ترمذي 4-3/2 عمدة القاري 160/6. معرفة علوم 251
281- من حج بمال حرام فقال لبيك اللهم لبيك قال الله عز وجل له : لبيك
ولا سعديك وحجك مردود عليك.

الرحلة 114/3 والحديث من مجلسي ابن مطيع.

282- من حمل علينا بالسلاح فليس منا.

الرحلى 106/3 مسند عبد الله بن عمر بالحديث 63 البخاري فتن 7 ديات 3
مسلم إيمان 161 فتن 16. مسلم بشرح النووي 107/2-108 نسائي تحريم 26 ترمذي

حدود 26 ابن ماجة فتن 11 دارمي سير 76 ابن حنبل 3/2 وغير ذلك عمدة القاري 37/24، 186.

283- من زار قبري وجبت له شفاعتي.

الرحلة 8/5 السنن الكبرى للبيهقي 245/5 (باب زيارة قبر النبي (ص) وانظر أيضا كتاب : شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي الشافعي ط 2 *** ص2.

284- من سره أن يبسط عليه رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه.

الرحلة 61/3 عمدة القاري (أن يبسط له في رزقه) : 180/11 و 2-91/22 وانظر معناه في المستدرک 89/1 و 157/4 مسلم بشرح النووي 114/16

285- عن أبي بردة عن أبي موسى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الرحلة 43/3 و 37/6 البخاري 1 / 2 عمدة القاري 134/1 مسلم بشرح النووي 12/2 ترمذي 128/4 ومعرفة علوم 250.

286- من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة.

الرحلة 81/3 و 78/5 التمهيد (أفضل الذكر) 43/6 والحديث من جزء ابن ديزيل.

287- من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وأن محمداً رسول الله دخل الجنة.

الرحلة 78/5.

288- عن ابن عبد صاحب رسول الله (ص) يقول : أمرنا رسول الله (ص) بالقتال، قام فرمى رجل منهم العدو، قال فقال رسول الله (ص) : من صاحب السهم فقد أوجب : إذا عمل حسنة تجب له بها الحسنة الفائقة 43/4.

الرحلة 18/3 والحديث من فوائد أبي أمر المخلص.

289- من صلى علي من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات.

الرحلة 75/6 والحديث منقول مما ختم به معجم أصحاب أبي علي الصديقي.

290- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقلت يا نبي الله : أي الجهاد أفضل ؟ قال : من عثر جواده وأهريق دمه.

وقد ذكر هذا الحديث في معرض الكلام على الاستعارة الرحلة 37/6-38 والحديث من الامثال لأبي أحمد العسكري.

291- من قال سبحان الله وحمده مائة مرة حطت خطاياہ وإن كانت أكثر من زيد البحر.

الرحلة 45/3 البخاري دعوات 65 مسلم ذكر 28 داود تسييح 34 وتطوع 12 ترمذي وتر 15 دعوات 17 نسائي سهو 86 ابن ماجه أدب 56 ابن حنبل 158/2 و 10/3 و 173/5.

292- من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 45/2 و 57/6 المستدرک 1/1** و 146/2.

293- من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك.

الرحلة 45/3 البخاري بدء الخلف 11 دعوات 65 عمدة القاري (باب فضل التهليل 22/23) وانظر شيئاً من معناه في 294/22 مسلم ذكر 37 ترمذي دعوات 50 ابن ماجه دعاء 14 موطأ قرآن 20 ابن حنبل 304/3 و 227/4.

294- من كان له ذبح يذبحه، فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحى.

الرحلة 20/5 مسلم أضاحي 42 مسلم بشرح النووي 138/13 داود أضاحي
3 ترمذي أضاحي 22 نسائي ضحيا 1 ابن ماجة أضاحي 11.

295- من كان يومن بالله ورسوله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يومن
بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو
يصمت.

الرحلة 95/3 ز 60/6 البخاري 39/8 عمدة القاري 110/22 مسلم بشرح
النووي 3/12 و 18/2. أبو داود أطعمة 5 ترمذي بر 43 ابن ماجة أدب 5 دارمي
أطعمة 11 موطأ صفة النبي 22 ابن حنبل 174/3 و 412/5 و 69/* وغير ذلك
أنظر : ليسكت 56/6

296- من كتب على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة
فقيها عالما.

وقد جاء هذا الحديث بمناسبة ذكر كلام جرى بين الفقهاء في المدرسة النظامية
وذلك في مناقشة مسألة : ما يقول الإمام أبو الحسن علي الكياء في رجل وصى بثلاث ماله
للعلماء والفقهاء ؟ وهل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أولا ؟ فكتب تحت
السؤال : نعم كيف لا وقد قال النبي (ص) : الحديث.

الرحلة 54/3 والحديث من مسند الدارمي.

297- من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 14/3 البخاري علم 38 جنائز 33 أنبياء 50 أدب 108 مسلم زهد
72 داود علم 4 ترمذي 114/4 و 298/5 ابن ماجة مقدمة 4 دارمي مقدمة 25
ابن حنبل 47/2 لا و 13/3 و 47/4 و 245/5 وغير ذلك كثير التمهيد 40/1، 47
و 167/5 عمدة القاري 152/2، 157 مسند الشافعي 239. ومعرفة علوم 252.

298- عن الأعمش قال : سمعت أبا وائل عن عبد الله عن النبي (ص) قال
كلمة وأقول أخرى، قال رسول الله (ص) : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة،
وأقول من مات وهو يشرك بالله دخل النار.

الرحلة 31/3 البخاري علم 49 جناز 1 رقاق 13 استئذان 30 مسلم إيمان
150 مسلم بشرح النووي 76/7 ترمذي إيمان ** نسائي صلاة 1 جهاد 18 ابن ماجه
ديات 1 وأذان 58 وزهد 37 ابن حنبل 347/1 و170/2 و79/3 و148/4 و5/
145 و24/6 غير ذلك كثير.

299- من مقت نفسه آمنه الله عز وجل من مقتته.

وقد ورد ذكر هذا الحديث في معرض الكلام على الاستعارة.

الرحلة 40/8

300- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته ...
فقلت فأبي الهجرة أفضل ؟ قال : من هجر السيئات.

ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 37/6.

301- من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سنته كلها.

الرحلة 81/3 والحديث من جزء ابن ديزيل.

302- عن مجاهد قال : دخل رجل المسجد ورسول الله (ص) جالس فقال : من
يعرف هذا ؟ فقال : رجل أنا اعرف وجهه، ولا أدري أسمه قال ليست تلك بمعرفة.

الرحلة 69/3.

303- من يقل ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 45/2 و57/6 البخاري 38/1 عمدة القاري 150/2 المستدرک 103/1
و146/2 مسند الشافعي 239.

ن-

304- عن جابر بن عبد الله قال : خرنا مع رسول الله (ص) عام الحديبية
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.

الرحلة 29/5 مسلم حج 138 داود أضاحي 6 ترمذي حج 66 ابن ماجة
أضاحي 5 دارمي أضاحي 5 موطأ ضحايا * ابن حنبل 292/3 تنوير الحوالك 321/1
غريب الحديث لابن قتيبة 219/1 (البدنة : الناقة سميت بدنة بالعظم إما لسمنها أو
لسنها لأنه لا يجوز أن يساق منها الصغار.)

305- عن هشام بن عروة عن أبيه عن أمه قالت : سألت رسول الله (ص) قلت:
أتنتني أُمي وهي راغبة، وهي مشركة، في عهد قريش، أفأصلها ؟ قال نعم.

الرحلة 32/3 البخاري هبة 39 جزية 18 مسلم زكاة 50 مسلم بشرح النووي
89/7 عمدة القاري 88-89 (...نعم صلي أمك). داود زكاة 34 ابن حنبل 6/6
344. ومشارك 294/1، 295.

306- عن أسامة بن شريك قال : كنا عند النبي (ص) ما يتكلم منا متكلم
كأن على رؤوسنا الرخم، إذ جاء قوم من الأعراب فقالوا يا رسول الله : أفنتنا في كذا
أفنتنا في كذا، فقال يا أيها الناس إن الله قد وضع عنكم الحرج إلا من اقترض من عرض
أخيه قرضاً، فذلك الذي حرج وهلك، قالوا انتداوى قال نعم، إن الله عز وجل لم يترك
داء إلا أنزل له الدواء، إلا داء واحدا قالوا فما هو ؟ قال : الهرم. قال فأبي عباد الله
خير ؟ قال أحسنهم خلقاً.

الرحلة 98/3 ابن ماجة طب 1 (معناه) التمهيد 282/5.

307- ... قالوا يا رسول الله أنتداوى ؟ قال نعم ... الحديث السابق.

الرحلة 98/3 عمدة القاري 21/* . 21 والحديث من المائة الشريحية.

308- نهى أن يباع الرطب بالتمر.

الرحلة 56/3 عمدة القاري 2/12 التمهيد 234/5 داود بيوع 18 ابن حنبل
3/4، 5 ابن ماجة ج 2 باب 53 ص 761 حديث 2264.

309- نهى أن يقعد على القبر وأن يقصص أو يبنى عليه.

الرحلة 42/3 مسلم جناز 94 ابن حنبل 299/6 داود جناز 72 مسلم بشرح
النووي 37/7 غريب الهروي 277/1 (يقصص = يخلص) والفائق 199/3، 200.

310- نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى عن البائع والمبتاع.

الرحلة 57/6 فتح الباري 398/4 عمدة القاري 186/11- 200 و2/12 مسلم
بشرح النووي 179/10 مسند ابن عمر الحديث رقم 7 ابن ماجه ج 2 ص 753 باب
32 أحاديث : 2214-2217.

311- نهى رسول الله (ص) أن يسافر بالقرآن مخافة أن يناله العدو.

الرحلة 42/3 ابن ماجه ج 2 ص 861 باب 45 حديث 2870-2880 تنوير
الحوالك 273/1 وفتح الباري 133/6. وفضائل القرآن 98
312- نهى عن بيع الولاء وهبته.

الرحلة 60/5 البخاري فرائض 21 فتح الباري 167/5 مسلم عتق مسلم بشرح
النوي 148/10 عمدة القاري 95/13 داود فرائض 14 مسند الشافعي 204 و221
ابن ماجه ج 2 باب 15 ص 918 الحديثان 2747 و2748 ترمذي بيوع 20
التمهيد 70/3 ابن مسدي بيوع 36 ابن حنبل 2/ أماكن كثيرة.
313- نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن.

الرحلة 70/5 البخاري طلاق 51 واجارة 20 فتح الباري 426/4، 460 عمدة
القاري 104/12 و202/11 و9/21 مسلم بشرح النووي 231/10 ابن حنبل 147/1
ترمذي 300/2، 372 و272/3 النسائي بيوع 91 الموطأ بيوع 68 المستدرک 33/2
(وكسب الحجام) الفائق في غريب الحديث للزحشري 174/1، 304 مسند الشافعي
220.

314- نهى عن قتل الجنان التي في البيوت إلا ذا الطفتين والأبتر فإنهما يخطفان
البصر ويطرحان ما في بطون النساء.

الرحلة الموطأ 246/2 مسلم بشرح النووي 227/14.

315- نهى عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وأمر بالقدر فأكفئت وعي تغلي
باللحم.

الرحلة 118/3 البخاري ذبائح 38 مغازي 38 فتح الباري 658/9 عمدة
القاري 245/17 و 128/21 مسلم بشرح النووي 91/13-94 مسند الشافعي 381
تهيد 143/1 ترمذي أطعمة 6 صيد 11 163/3 النسائي نكاح 71 صيد 31 ابن
ماجة نكاح 44 الموطأ نكاح 41. والاعتبار للحازمي 161

316- نهى عن الملامسة والمناوبة.

الرحلة 57/6 البخاري لباس 20 فتح الباري 358/4 مسلم بيوع 2 مسلم
بشرح النووي 155/10 مسند الشافعي 220 ترمذي 386/2 نسائي بيوع 26 داود
بيوع 24 ابن ماجه تجارات 12 ابن حنبل 6/3، 95 الموطأ بيوع 76 دارمي بيوع 28
ومشارك 2/2

317- نهى عن النجش.

الرحلة 46/3 عمدة القاري 262/11 وفتح الباري 355/4 مسند الشافعي
172 مسلم بشرح النووي 67/4 و 161/10 ترمذي 384/2 غريب الهروي 10/2 و 3/
36 الفائق للزحشري 407/3 وانظر أيضا كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع
للإمام علي القاري الهروي ط 2 1078 ص 173 (لا تناجشوا). وكتاب غريب الحديث
لابن قتيبة 199/1 النجش في المبايعه : أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد
شراءها ليزيد غيره بزيادته، وأصل النجش الختل. ومشارك 5/2

318- نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير.

الرحلة 119-118/3 بخاري مغازي 38 مسند الشافعي 387 فتح الباري 9/
166 مسلم بشرح النووي 167/12 و 184/9، 180 وكتاب الاعتبار في النسخ
والمنسوخ للحازمي : 177 خاصة و 160، 161 ترمذي نكاح 28 دارمي أضحاحي 21
ابن حنبل 79/1 و 404/3.

319- عن أنس بن مالك قال : بال أعرابي في مسجد فَعَجَلَ الناس إليه فنهاهم
عنه، وقال : صبوا عليه دلوا من ماء.

قال ابن رشيد : كذا وجدته بخطي، وقال لم يذكر النبي (ص)، فلا أدري أسقط
علي أم كذلك فلا أدري.

الرحلة 72/3 و 53/3 البخاري 65/1 صحيح ابن خزيمة 148، 149
 (لا تنزرموه) مسند الشافعي 21 مسلم بشرح النووي 190/3 غريب الهروي 104/1
 (زرم بوله قطعه) الفائق 107/2 (أزرم بوله فزرم قطعه) ومشارك 310/1
 320- نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية.

الرحلة 41/3 المستدرک 103/2 وانظر الأحاديث السابقة عن هذا الحديث.

هـ-

321- عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : هل تدرون ما الغيبة ؟ قالوا
 الله ورسوله أعلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره، قال أرايت إن كان في أخي ما أقول،
 قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

الرحلة 95/6 مسلم بر 70 والحديث منقول من خط أبي الربيع بن سالم.

و-

322- عن أنس قال : كان يعجبنا يحيى الرجل من أهل البادية فيسأله، يعني
 النبي (ص). إذ جاء رجل فقال : رسول الله متى قيام الساعة ؟ وحضرت الصلاة فقام
 رسول الله (ص) فلما قضى صلاته قال : أين السائل ؟ عن الساعة ؟ فقال الرجل : أنا
 رسول الله فقال : وما أعددت لها ؟ قال والله ما أعددت كبير عمل ولا صلاة ولا
 صوم، إلا إني أحب الله ورسوله، فقال المرء مع من أحب.

الرحلة 38/2 البخاري فضائل أصحاب النبي (ص) أدب 95 أحكام 10 مسلم
 بر 161 مسلم بشرح النووي 166/ ترمذي زهد 50 عمدة القاري 198/16 ابن حنبل
 104/3، 110.

323- وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ.

والحديث طويل في ذكر خروج رسول الله (ص) زمن الحديبية) الرحلة 38/3
 عمدة القاري 5/14 (باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط)
 داود جهاد 156 وانظر شرح ألفاظ هذا الحديث وإعرابها في عمدة القاري 15/14 داود
 جهاد 156 وغريب الحديث لابن قتيبة 87/2 (مسعر ج مساعير، رجل مسعر حرب :

سعر النار إذا ألهيها) والفائق في غريب الحديث 294/1 (مسعر حرب، محش حرب... لو كان معه رجال).

324- عن زينب زوج النبي (ص) قالت : استيقظ النبي (ص) من نومه محمرا وجهه وهو يقول : لا إله إلا الله ثلاث مرات، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من روم يا جوج وما جوج، من هذه وحلف حلفة بأصبعه، قلت يا رسول الله : أنهلك وفيها الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث.

الرحلة 78/5، 79 و 39/2 البخاري فتن 33/4 مسلم فتن 1، 3 ترمذي 3/325 ابن ماجة فتن 9 الموطأ كلام 32 ابن حنبل 428/6 عمدة القاري 136/16 و 15/237 مسلم بشرح النووي 3/18 الفائق 189/2 وانظر أيضا عمدة القاري 181/24 والفائق 109/2 والخصائص الكبرى 376/2.

ي-

325- عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونخن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

الرحلة 91/3 البخاري تفسير سورة براءة 9. 9 فضائل الصحابة 2 مسند عبد ابن حميد ابن حنبل 1/.

326- عن أبي ذر قال : يأتي النبي (ص) وهو في المسجد فاغتتمت خلوته، فقال يا أبا ذر : إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان.

الرحلة 37/6 والحديث من كتاب الأمثال للعسكري

327- عن أنس قال : كان لي أخ يقال له أبو عمير و كان له عصفور يلعب به، فمات العصفور، وكان النبي (ص) يدخل بيتنا ويقول : يا أبا عمير ما فعل النغير.

الرحلة 26/3، 41 البخاري أدب 81، 112 عمدة القاري 170/22 تمهيد 6/313، 314 مسلم أدب 30 داود 69 ترمذي 240/3 ابن ماجة أدب 24 ابن حنبل 3/113، 110 الشمائل المحمدية 236 مشارق الأنوار 19/2.

328- كان رسول الله (ص) في طريق ومعه أناس من أصحابه فعرضت له امرأة فقالت : يا رسول الله : لي إليك حاجة، قال : يا أم فلان اجلسي في أي نواحي السكك حتى أجلس إليك، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها.

الرحلة 41/3 مسلم فضائل 76 مسلم بشرح النووي 83/15 داود أدب 12 ابن حنبل 119/3، 314 غريب الهروي 348/1 (السكة الطريقة المستوية المصطفة من النخل، والأزقة سكك لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل).

329- مكرر- يا أجنشة رويدا سوقك بالقوارير.

الرحلة 53/3 عمدة القاري، كتاب أدب 165/22 (رويدك سوقا بالقوارير)

صحيح مسلم بشرح النووي 80/15 (أي أجنشة رويدا...)

329- حدث أنس أن الربيع وهي بنت النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش، وطلبوا العفو، فأتوا النبي (ص) وأمر بالقصاص، فقال أنس بن أبي النضر : أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله ؟ لا والذي بعثك بالحق نبيا لا تكسر ثنيتها، قال يا أنس كتاب الله قصاص، فرضي القوم وعفوا فقال النبي (ص) إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

وزاد الفزاري عن حميد عن أنس : ثم رضي القول وقبلوا الأرش.

الرحلة 18/3، 45 البخاري صلح 8 تفسير سورة 3. 133 قسامة 8 عمدة القاري (باب الصلح في الدية 200/13 مسلم بشرح النووي 155/11 ترمذي 430/2 ابن ماجه دايت 16، 34 ابن حنبل 167/3 الروض 47/2

330- يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر.

جرح وتعديل : عمر بن شاکر.

الرحلة 45/3 و 109/3 ترمذي فتن 73 وتفسير سورة 5. 18 داود ملاحم 17 ابن ماجه فتن 17 ابن حنبل 390/2، 333.

331- يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أباي،

فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلکم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسکم، يا عبادي لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم کانوا على أفجر قلب رجل منکم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم کانوا عني أتقى رجل منکم لم يزد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم کانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت کل إنسان ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئا.

الرحلة 55/3 مسلم بر 55 ابن حنبل 16/5 صحيح مسلم بشرح النووي 131/16، 132 وانظر أيضا فوائد هذا الحديث في کتاب جامع العلوم والحکم لأبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي - حديث 24 ص 200 وانظر أيضا کتاب التحفاته السنیه بالأحاديث القدسیة لعبد الرؤوف المناوي ص 38 والأربعین حديثا النووية حديث 24 ص 40.

332- عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع النبي (ص) في سفر فقال لي : يا عبد الله بن قيس : ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ قلت بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله.

الرحلة 75/3 عمدة القاري 28/23 ابن حنبل 156/5 مسلم بشرح النووي 26/17 والفتاوي الحديثية 167.

333- عن عبد الله بن عمر قال : كنت في دار عائشة وكان النبي (ص) حاضرا فيها فأكلت مع النبي (ص) تمرات أنى بها رجل من الأنصار إذ أقبل بوجهه وقال يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدي إلي، واطرك الكذب، أولا تقل الكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وعليك بحسن الخلق، فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار.

الرحلة 49/2 مكرر مسلم بشرح النووي 159/16، 160.

334- (المشابكة المتصلة بالنبي (ص)، في النوم)

لقي أبو عبد الله السلاوي الشيخ تاج الدين أبا العباس أحمد بن محمد البكري الشريشي، وروى عنه كثيرا من الكتب، وقد ذكرها ابن رشيد في الرحلة 41/2، 42، وأجازه عام 637، ولقي أبا عبد الله محمد ابن علي بن العزبي الحاتمي الطائي بمدينة

دمشق وأخذ عنه المشابكة المتصلة بالنبي (ص)، وقد أخذها ابن رشيد عن السلاوي وذكر نصها في الرحلة (42/2، 43) ويقول في آخرها :

...وقال الباغوزان : رأيت رسول الله (ص) في النوم فقال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة، ومن شابك من شابكني دخل الجنة، وما زال يعد حتى انتهى إلى سبعة، قال الراوي فشبت أصابعي بأصابع رسول الله (ص) وسلم تسليما كثيرا، واستيقظت والحمد لله على هذه النعمة. الرحلة 42/2، 43.

335- قال قيس بن عاصم وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي (ص) فدخلت وعنده الصصال بن الدلهمس فقال يا رسول الله : عظنا عظة ننتفع بها، فإننا قوم نغير في البر، فقال رسول الله (ص) : يا قيس : إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا الآخرة وإن لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيباً وإن بكل حسنة توابا وفي كل سيئة عقابا، ولكل أجل كتابا، وإن لا بد لك يا قيس من قريب يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريما أكرمك وإن كان لئima أسلمك ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحا، فإنه إن أصلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك فقال يا نبي الله : أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر يفخر به على من يليّنا من العرب وندخره، فأمر النبي (ص) من يأتيه بحسان، قال الصصال فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه القطعة من الشعر فاستتب في القول قبل مجيء حسان فقلت يا نبي الله قد حضرتي أبيات أحسبها توافق ما يريد فقلت لقيس

تخير خليطاً من فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ومنها :

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

فقال يا نبي الله قد اكتفيتها. الرحلة 39/6

336- قال رسول الله (ص) : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا.

ابن رشيد - أبو عبد الله الطائي القرطبي.

الرحلة 3/5 الموطأ سفر 2 مسلم فضائل 10 ابن حنبل 238/8.

337- نا المكي بن إبراهيم بن يزيد بن أبي عبيد قال : كنت آتي سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم : أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال : فإني رأيت النبي (ص) يتحرى الصلاة عندها.

الرحلة 3/5 (قال ابن رشيد : موضع هذه الأسطوانة اليوم معروف) البخاري صلاة 95 مسلم صلاة 264 مسلم بشرح النووي 226/4 ابن ماجه إقامة 204 ابن حنبل 48/4 والحديث من ثلاثيات البخاري.

338- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله (ص) : يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة.

الرحلة 20/6 البخاري شهادات 7 نكاح 3 خمس 4 مسلم رضاع 1، 3، 6، نكاح 6 ابن ماجه نكاح 34 دارمي نكاح 48 موطأ رضاع 1، 3 تنوير الحوالك 45/2 ابن حنبل 375/1 و 4/4 و 44/6، 51 وغير ذلك ترمذي 307/2.

339- عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : يحشر الناس يوم القيامة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان. الرحلة 103/3.

340- حدث أبو داود السيبعي قال : حدثني أبو الحمراء قال صحبت رسول الله (ص) تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى باب علي وفاطمة وهو يقول : يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

الرحلة 24/3 ابن حنبل 331/1 و 259/3، 309.

341- نا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت رسول الله (ص) يرمي الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك.

الرحلة 24/3 ابن ماجه مناسك 66 نسائي حج 220 دارمي مناسك 60 والحديث من مسند عبد بن حميد.

342- يقدم قوم هم أرق أفئدة، فقدم الأشعريون فيهم أبو عبد الله فجعلوا يرتجلون ويقولون : غدا نلق الأجابة محمدا وحزبه.

343- عن ابن عباس عن أمه أم الفضل أنها سمعت النبي (ص) يقرأ في صلاة المغرب والمرسلات عرفا.

الرحلة 32/3 البخاري مغازي 83 وأذان 90 عمدة القاري 23/6 مسلم صلاة 173 نسائي افتتاح 64 دارمي صلاة 64 داود صلاة 120 الموطأ نداء 24 ابن حنبل 340، 338/6.

344- عن أنس بن مالك قال : أصحاب رسول الله (ص) ينتظرون العشاء فينامون، أحسبه قال قعودا، حتى تحقق رؤوسهم، ثم يصلون ولا يتوضؤون.

الرحلة 73/3 مسند الشافعي ص 11 (وهذا الحديث من عوالي مسنده).

345- ينزل ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد... الحديث.

الرحلة 39/2 عمدة القاري 28/13 و38/16 (نزول عيسى بن مريم عليهما السلام) (والذي نفسي بيده... حكما عدلا... الحديث) مسلم بشرح النووي 190/2.

346- ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له.

الرحلة 79/5 البخاري تهجد 14 توحيد 35 مسلم مسافرين 163 داود سنة 19 ترمذي صلاة 211 ابن ماجه إقامة 191 دارمي صلاة 168 موطأ قرآن 30 ابن حنبل 16/4 والحديث من الخلعيات.

347- عن ابن الزبير أنه سمع جابرا يقول : سمعت النبي (ص) ينهى أن يقعد على القبر وأن يقصص أو يبنى عليه.

الرحلة 42/3 مسلم بشرح النووي 37/7 داود جنائز 72 ابن حنبل 295/3 الفائق 199/3، 200.

348- عن ابن معدي كرب أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر، يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله (ص) مثل ما حرم الله.

الرحلة 87/3 كتاب الاعتبار للحازمي ص 7 والحديث منقول من ذلك الكتاب، ولاحظ الاختلاف في بعض كلمات النصين وقد ذكر هذا الحديث أبو داود والدارمي وابن ماجة.

349- يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا .
وقد مر هذا الحديث.

الرحلة 3/5 مسلم بشرح النووي 41/15.

350- الحديث الذي فيه : ذلك الأبلج ذلك الأصلع، وهو منقول من مسلسلات ابن العربي.

الرحلة 22/2 (لم يورده ابن رشيد في رحلته).

351- الحديث الذي فيه : (عليك بالقلقل عليك بالقلقل) (وهو منقول من الجزء المشتمل على الأحاديث التي تضمنت أربعة من الصحابة كل واحد منهم يروي عن صاحبه)

الرحلة 46/2

كشاف عن معاني الأحاديث السابق ذكرها¹

¹: العدد يشير إلى رقم الحديث في السلسلة السابقة.

الاجراق، إذا مت فحرقوني 156	- أ -
احرامه (ص) 216	آتي يوم القيامة باب الجنة 1
أحرف القرآن 77	آثرنا ولا تؤثر علينا 190
الذين أحسنوا الحسنى 21	الآخرة 240
الإحسان إلى الأهل 156	آل محمد 140، 257
أحكام (باب) 131، 185، 322	آمنت بكتابك 14
الاختنان 184	آمين 2
الاختيال 116	الآيات، أول الآيات طلوع الشمس...
الأخذ من الشعر والنهي عنه	(القيامة) 107
عندما يهل هلال ذي حجة 294	أبره. لو أقسم على الله لأبره
الإخلاص في الشهادة 286، 287	54، 320
الإدام 140، 164	الإبط تنف الإبط 184
الادب (باب) 49، 61، 71، 85،	الأبلج 350
89، 154، 162، 184، 262،	أتجوز في السكة 80
295، 297، 305، 322، 327،	إتمام النعمة 72
323.	الإثم 132
إذا أخذت مضجعتك، 14	إجارة 313
إذا أصبح (دعاء) 16	أجدت، لا يفضض الله فاك 8
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل	أجملهم وجها 187
النار النار 20	أجودهم كفا 187
اذروا نصفه في البر، في البحر 156	أحب حبيبك 10
إذا سافر (دعاء) 63، 66	الاحتجام في الإحرام 12
إذا قلت لصاحبك أنصت 29	الاحتلام 138
إذا كثرت ذنوب العبد 30	
إذا مات فحرقوه 156	

أُسلمت وجهي 14	إذا نزل به كرب (دعاء) 31، 238
الأسودان 140، 333	أذان (باب) 41، 42، 75، 163، 236، 279
أشركنا في دعائك 110	أرخص لصاحب العربية 33
الإشراك 200	الأرش (القصاص) 329
أشربة (باب) 113، 215	إزار، جر إزاره 116
الأشعريون 342	استئذان (باب) 63، 66، 67، 74، 92، 218
الأصلع 350	ألا أعلمك كلمات 51
أصهار موسى 265	الاستبراء لدينه 271
الأضاحي (باب) 21، 140، 173، 284، 304	استجابة الدعاء 269
اضطجع على الشق الأيمن 14	الاستحداد 184
أطعمة (باب) 315، 295، 318، 320	الاستخارة 69
أطعمني وسقاني 149، 331	استرقوا لها 34
الاعرابي والجارية (قصة) زوجهما النبي 178	الاستسقاء 178
أعراض الله عن العبد 17	الاستعاذة 39، 66، 67
أعطى من غنائم حنين 37	الاستغفار 52
الأعمال بالنيات 38	استغفروني أغفر لكم 331
الاعتسال من الإناء الواحد 217	الاستقراض 295
افتتاح (باب) 162، 253، 343	استلام الحجر 117
الإفطار 161	الاستلقاء في المسجد، وأحد رجليه على أخرى 267
إقامة (باب) 43، 60، 101، 106، 115، 153، 168، 175، 202، 236، 279	الاستنثار 15 والاستنشاق
إقامة الصف في الصلاة 41	استوصوا بالنساء خيرا 125
الاعتداء بأبي بكر وعمر 44	استيفاء الطعام 270
أقرؤوها على موتاكم 46	الأسطوانة، يتحرى الصلاة عندها 337
	الإسلام 72، 285
	أسلم 178

أقسم على الله 329

أفضيه 185

إكرام الضيف 285

أكرمنا ولا تنهنا 187

اكفئت القدور 315

إكمال الدين 72

ألبسه قميصه 4

التمسوا الرزق 53

الجأت إليك ظهري 14

إليك إليك 341

التماس البصر (ذو الطفتين) 71

إمارة 145

الإمام أعلى الناس 181

الإمام العادل 163

إمامة 41، 42

أمر أقطع 211

أمره وأتباعه (ص) 90

الإمساك عن الشعر والأظفار عند هلال

محرم 21

الإمساك عن ذكر القدر والسنجوم

وأصحابه (ص) 22، 23

الأم المشتركة 305

أنا أحمد 104

أنا الماحي 104

أنا أنا (الاستئذان) 104

أنا محمد 104

أنا الملك الديان 330

الأنبياء 177

الإنسان ضيف لأهله 335

أن مع الحياة موتا 331

أن مع العز ذلا 335

الانكار على أهل الديانات 17

أنت الصاحب في السفر 66، 67

ان لكم عند الله موعدا 20

أنهلك وفينا الصالحون ؟ 324

الاهاب 266

إهراق الدم 64

إهريق دمه 290

أهل الجنة، النار 105، 164

الإهلال (الحمد والتسبيح) 210

أهل هلال ذي الحجة 284

أوجب، فقد أوجب 288

الإيمان (باب) 58، 64، 65، 107، 125،

162، 172، 271، 295، 299، الأيمن

فالأيمن 113.

- ب -

باب الجنة 1

البتر جبار 131

البتر (سيفه) (ص) 105

بدء الخلق (باب) 71، 77، 144، 293

بدلاء أمتي 119

بدلاء العراق 119

بيد 224 بيع بغائب، بناجر	البدة 247
بيد الولاء وهبته 312	البر (باب) 10، 154، 176، 285، 321
بيوع (باب) 23، 68، 80، 82، 188،	البر بالوالدين 273
263، 270، 271، 308، 310، 312،	برد، الإبراد بالماء (في الحمى) 142
313، 316، 317.	البركة 120
- ت -	بزق 197
تبوك 134، 256، 336، 340	بسط الرزق 284
تجارات 68، 270، 316.	بطان، تروح بطانا 248
تخصيص القبر، تخصيص 309، 347.	بعير، نفلنا بعيرا 121
تحول العافية 62	البغض والبغضاء 10، 146
تحية المسجد 36، 326.	البيغي، مهر البيغي 313
تحقيق رؤوسهم (في انتظار صلاة العشاء)	بك امرت أن لا أفتح لأحد من قبلك 1.
344	البقرة : سورة البقرة والعجائن 47
التدابير 174	الحجر واستلامه 117
التداوي 306	البكور 68، 122
التدبير 64	لبكيتم كثيرا 249
التراحم 174	البناء على القبر 309، 307
تربة حمراء (مقتل الحسين) 76	بنوا إسرائيل 215
ترجل (باب) 184، 242.	بورك لأمتي 122
تسييح (باب) 24، 31، 51، 114،	بهيمة 262
81، 218	بوك يبوكونها 256
تشيع بما لم يعط 277	بول، بول الطفل 138، بول أعرابي في المسجد
تعار من الليل 278	319
تعليم العلم 98	بياض خذه (ص) 202
تعيش بخير وتموت بخير 241	بيت الضيافة 89
تغدو بطانا، وتروح... 246.	بيته (ص) 254

التغني بالقرآن 253

تفسير (باب) 32، 47، 65، 72، 74، 81

، 99، 107، 147، 124، 215، 260،

297، 330

التقاطع والتدابير 174

تقصيص القبر 309، 347

تقطر سيوفهم من دمائنا 37

تقليم الأظفار 148

التقوى 64، 272

التكبير 114، 210، 218

التكفف، يتكففون الناس 223

تلاوة القرآن 64

التمر 107، 308

تهجد 346

التنهيل 293

توارت بالحجاب 219

التواصل 174

التوبة 89، 156

توحيد 156، 173، 346 (باب)

التوسط 271

التوكل 248

التيمن 199

- ث -

ثالثهما (ما ظنك بالاثنتين) 258

الثريا، أي النجم 26

الشريد 120

ثلاثة ضامن على الله 126

الثمار 26، 310

ثمن الكلب 313

الثناء على الله 101

ثنية الربيع، كسرهما 329

ثواب القرآن 253

ثوبا الزور 277

- ج -

الجار 295

الجار 131

جبريل عليه السلام يغسل صدر النبي

**

الجبن 128

جحش ساقه، شقه الأيمن 129، 130

الجدار، ما بين المصلى والجدار 192

الجدع، يحن إليه (ص) 200

جرح العجماء 131

جر إزاره من المخيلة 116

الجلوس في الصلاة، صلاته (ص) جالسا

160

جماء 226

الجماعة 120

جماله (ص) 187

الجمرة 341

الجمع بين الصلوات الأربعة 134

الجمعة 28، 72، 75، 204، 274

الجمعة واجبة 135

حمو فواشيكم 136

الحجر الذي كلم النبي (ص) 137	جنائز (باب) 4، 48، 220، 230،
الحدأة 144	297، 298
حدود (باب) 103، 131، 227،	الجنابة 111، 112
282	الجنان (جنان تبوك) 240
الحديبية 304، 324	الجنة والنار 115
الحديث 296	جهاد (باب) 64، 66، 67، 82، 136
الحزن وتكفير الذنوب 30	187، 190، 214، 218، 259،
الحسب 64	290
الحسد 146	جهر يحجر به 253 (التغني بالقرآن)
الحسنة، آتنا حسنة 55	الجهل 39
حسن الخلق 335	جهنم 142
الحسين (مقتل) 76	الجوز 128
الحشر 339	الجوع 179
الحرام 50، 139، 340، 348	- ح -
الحرب 66، 174، 243، 288	الحاجة (قضاء الحاجة) 328
الحرث 262	الحاشر 104
الحرج 306	الحالقة 49 حالقة الشعر 146
حر الحمام 108	حب أهل البيت 11
حرز من الشيطان 293	حبط عمله 241
حرق النمل 235	الحبل، اسقاطه 71
حرقوه 156	حبل المشاة 133، 159
حسن الخلق 240	الحجاب 255
حك بعضه ببعض 197	الحج (باب) 9، 63، 66، 67، 117،
الحكماء 127	137، 144، 159، 168، 173،
الحكم المقسط 345	190، 192، 275، 314
الحلال 50، 139، 340، 348	الحج بمال حرام 281
حلوان الكاهن 313	الحج (جعل الحج عمرة) 9، 90 حجك
	مردود عليك 281
	الحجر 117

الحمد، التغني بالقرآن يحمد به 253	الخلق 58
حمل السلاح 282	الخطايا 18، 291
الحمام 109	خطف البصر (ذو الطفيتين) 314
الحمد 211، 214، 253	الخلق الحسن 49، 58، 240، 306
الحمر الأهلية 315، 318، 320	333
الحمرة 225	الخليفة في الأهل 66، 67
الحمل على المشركين 6	خلقت المرأة من ضلع 125
الحمي 141، 142	خماصا، تغدو خماصا 248
الحواري، حواري الزبير 244	خمر وجهه، إذا عطس 27
الحوار بعد الكور 63، 66	خوف لا يخاف في الله لومة لائم 64
الحوض 102، 254	خير 125
الحيات 45، 143، 314	الخنزير، قتل الخنزير 345
- خ -	الخيار 188، 263
خاتم النبيين 264	خبية الدهر 238
خاتمه (ص) 194	خير 54، 318، 320
خازن الجنة I	خير الدنيا والآخرة 16
خبايا الأرض 53	- د -
الخبث، إذا كثر الخبث 324	الداء 13، 128
الخبز المأدوم 140، 257	دخل من أعلاها (مكة) 240
الختنم، يختنم على عمله 33	دع ما يريبك 150
خذه بياض خده 202	دعاء (باب) 2، 14، 15، 16، 39، 66، 56، 58، 59، 60، 61، 63، 66، 67، 69، 70، 79، 89، 91، 100، 101، 103، 104، 110، 148، 162، 236، 255، 261، 278، 293، 340
خر لي واختر لي 60	دعاء الصبح 16، 70
خربت خير 54	الدعاء ما بين الأذان والإقامة 236
خرج من أسفلها (فتح مكة) 246	الدعاء محبوب... 212
خرص، يبيعها بخرصها 33	
خروج الخطايا من الأنف 18	

- ر -	الدعابة مع الأهل (يا أبا عمير) 327
الراحمون يرحمهم الرحمن 154	دعوة ذات الحسب 263
رأس العقل 155	دعوة الله 98
راغبة، أم راغبة 305	دعوة المظلوم 64، 66، 67
رب العزة 24	دنو الشمس من الأرض 123
الرجز والرجس 139، 340	الدهر 238
رجل لم يعمل حسنة 156	الدهن 147، 207
رجله (ص) على أخرى في المسجد 267	الدواء 13، 128، 306، 307
الرضوان 58	ديات (باب) 92، 131، 200
الرحمة 57، 89، 103	الديان، أنا الملك الديان 339
الرزق، طلب الرزق 53، 56، 79، يرزق	الدين والدنيا 271
الطير 248	- ذ -
الرسوب (سيفه(ص)) 195	ذات البين 49
الرضاعة 338	ذات الحسب 64
الرطب 308	ذات قرن 226
رغسه الله مالا 70	ذبائح (باب) 294، 315، 318، 320
رفعت العاهة 26	الذعر 243
رفعه (ص) 328 مكرر	الذكر 62، 100، 103، 64
رقائق (باب) 295، 298	الذكر (من مس ذكره في الصلاة) 221
الرقاد وهو جُنُبٌ 111، 112	الذل 335
رقيب 335	الذنوب 30
رقية (استرقوا لها) 34	الذهب بالذهب 224
الركاز 137	ذو الخليفة 171
الركنان اللذان يليان الحجر 201	ذو الطفتين 45، 71، 314
الركن اليماني 201	ذو الفقار (سيفه) (ص) 6، 105، 106
الركعة، من أدرك ركعة 274	ذوات البيوت 45

زيارة القبر 283	الركوع 115
الزينة 184، 242	رمضان (المغفرة) 2
- س -	رمضان (لم يعب الصائم على المفطر)
الساعة، قيام الساعة، 226، 322	161
ساعة يوم الجمعة 153	روضة، رياض 254
سبعة يظلهم 163	رؤيا 152
السجود 115	رؤية الله 20، 93
السحور 120	رؤية، أراكم من وراء ظهري 41،
السخط 62، 101	42
سرية نجد 121	رؤية، رأيت الجنة والنار 65
السعي إلى الصلاح 10	رويدا سوقك بالقوارير 328 مكرر
السفر 63	الريبة 150
السفر بالقرآن 311	الريح، الرياح 57
السفعة، في وجهها سفعة 34	الريحان 164
سقاني وأطعمني 149	- ز -
السكة، أتجوز في السكة 80	زاهر 79
السكك 320	زيد البحر 291
السكوت 125	زدم، لا تزدموه 319
السكينة، في الذهات إلى الصلاة 19	الزروع 262
السلاح 282	زكاة (بناب) 131، 163، 175،
السلام من الصلاة 24، 71، 233	305، 251، 183
سلامه (ص) 195، 202	زكاة الفطر 183
سماحته (ص) 187	زكاة الدار بيت الضيافة 98
السنة، أوتيت الكتاب ومثله معه 229	ززم 182
السهم، من صاحب السهم 228	زنبيل، الاحتراف في زنبيل، قصة
السهو 103	الأعرابي والجارية 170 زهد (باب)
	48، 65، 163، 260، 297،
	322، 298
	زوال النعمة 62
	زوجان، المرأة يكون لها زوجان 240

الشكر 43، 70، 100	السواك 279
الشمس وقرن الشيطان 81	سوء الخلق 33
شهادات 279	سوء المنظر في الأهل والمال 63،
الشهادة 286، 287	66، 67
شرب اللبن 117	سورة البقرة 47
الشيطان، قرن الشيطان 81	سورة يس 46
- ص -	سوقك بالقوارير 328 مكرر
الصائم، لم يعب الصائم... 161	سيره (ص)، العنق، النص 203
الصباح، دعاء الصباح 16	سيفه (ص)، سيوفه 196
الصابر على دينه 330	- ش -
صاع من تمر، من شعير 183	شاة ميته، انتفعوا باهابها 266
صحف موسى 64	الشاة، ما بين المصلى والجدار ما
الصدق 150، 333	كادت الشاة تجوزه 192
الصدقة (باب) 49، 64، 80، 125،	الشارب، قص الشارب 184
157، 205، 223، 251، 262،	الشاهد 185
184، إخفاء الصدقة 163	شيع، المتشيع بما لم يعط 140، 257
صفاته (ص) 187، 191، 295	277
الصلاة (باب) 19، 40، 65، 101،	الشبق 170
114، 115، 132، 134، 135،	شبكت أصابعي 334
153، 160، 162، 167، 169،	الشبهات 271
171، 175، 192، 198، 202،	شجاعته (ص) 187
204، 212، 219، 221، 236،	الشجرة، من بايع تحت الشجرة 234
253، 274، 326، 337، 343،	شر قد اقترب 324
344، 346 تحية المسجد 36، 326	الشعر والنبي (ص)، أجدت لا
صلاة الفذ 167 صلاة الجماعة 167	يفضض الله فاك 8
إقامة الصف 41 الصف الأول 35	شفاء العين 215
صلاة السحر 32 صلاة الفجر 169	شفاعة (باب) 1، 73، 245، 283
صلاة قبل طلوع الشمس	شفعة، لا شفعة لنصراني 228
	شفقه الأيمن 14

الصوت 241	وقبل غروبها 93 صلاة قبل الظهر
صوم، صيام (باب) 49، 112، 161،	بعد الزوال 32 صلاة الظهر 171
237، 172	صلاة العصر 87، 171 صلاة
صوم عاشوراء 7	المغرب 198 و219 و343 صلاة
صيام النهار وقيام الليل 13	العشاء 198، 344 الصلاة على
- ض -	النبي (ص) 2، 148، 212، 255،
ضامن ثلاثة ضامن على الله 106	170، 289
الضب المحنوذ 232	الصلاة على النبي (ص) 2، 148،
ضحى بكبشين 173	212، 255، 289، 170،
لضحكتكم قليلا 249	الصلاة في مسجد يتبع 170
ضرب لا ضرب 341	الصلاة على المنبر 165، 166
الضلال 22	الصلاة جلوسا 160
ضلع، خلقت المرأة من ضلع 125	الجمع بين الصلوات 134
الضيف، إكرام الضيف 295	صلاة في مسجد النبي 168
ضيم لا تضامون في رؤيته 93	صلاة الشكر 43
- ط -	الصلاة على النافقين 4
طالب العلم 83، 96	الصلاح 16
طب، (باب) 34، 71، 215، 307،	صلاح الثمار، يبدو صلاحها 310
313، 306	صلاح ذات البين 49
الطبيب، هل يغني الطبيب 13	صلة الرحم 273، 284
طبقات أمتي 174	صلة الوالد المشرك 305
طرح الحبل 314	صلة القرابة 64
طرد، لا طرد 341	الصليب، كسر الصليب 345
الطعن، لطعنت به في عينك 92	الصمت 64، 125،
الطفيتين، ذو الطفيتين 45، 71، 314	الصمصامة، سيف (ص) 195
	صيد (باب) 71، 313، 315،
	320، 318
	الصيف 12

عترة (ص) 102	طلاق 313 طلوع الشمس من مغربها
العتق، سيره (ص) 203	107
العتق 276، 97، 312، 239	طلوع النجم 26
العجائب 47	الطمأنينة 150
العجز 213	الطمع 94
العجماء 131	الطهارة (باب) 18، 96، 101، 112،
العدو، أرض العدو 311	184، 217، 279
العذاب 53	الطواف 199 الطواف على الشمال في
عذاب النار 55 العذاب بالنار	الكعبة
225 عذاب الله 108	الطيب 147، 207، 279
العذاب بعذاب الله 225	طير 262
العرب، ويل للعرب 210، 275	الطيرة 151
العرق، يعرق الناس 123	- ظ -
العربة 23، 33	الظفر أخذ الأظفار 294
العز 335	ظل، سبعة يظلهم الله 163 الظلم 39،
العسر 250	99، 103، 176، 331، 268
العشاء، فحمة العشاء 136	- ع -
العشر، أيام العشر 259	العائد في هبته 252
عصية 178	عاد رجلا صار كالفرخ المنتوف 55
العضب، سيفه (ص) 195	عاشوراء 7، 301
العطاء، كان يعطي العطاء 200	العافية 58، 59، 61
العطاس 27	العاقب 104
العظة 335	العاهة 26
العفو 61	العبادة، حسن العبادة 100
عقاب الله 99	العبد 251
	عبدا مشكورا 43
	عبد الله بن أبي 4

الغسل 112، 217	عقر جواده 64، 290
غسل الاثنيين 40	العقرب 144
غسل الذكر 40	العقل 64
غسل صدره (ص) بماء زمزم 182	عقود (باب) 131
غسل، الغسل يوم الجمعة 279، 280	عقيقة 173
الإغتسال من الإناء الواحد 217	العلم (باب) 86، 96، 138
غضب النبي (ص) 90	العلم الذي لا ينفع 60
غفار 178	العلم، قبض العلم 86
غفر له 156	العلماء 127، 177
الغنائم 37	علي 60
الغيبة 321	العمامة، البيضاء، السوداء 147
الغيظ 272	العمرة 9
- ف -	العمل، فو العمل 214
الفأرة 144	العنق، سيره (ص) 203
الفاغية 164	العورة 85
فتان القبر 214	عيب لم يعيب الصائم 161
فتح لا أفتح لا حد 1	العين الجارية في المنام 152
فتح مكة 246	عيسى بن مريم 345
فتن 82، 99، 107، 145، 172،	- غ -
174، 282، 330	الغادر 82
الفجور 132	الغار 258، 325
الفخذ من العورة 85	الغراب 144
الفداء من النار 29	غدا نلقى الأحبة 342
الفذ، صلاة الفذ 167	الغرس 262
فرائض (باب) 91، 97، 312	الغزو 126
الفرخ، عاد رجلا	الغزوات 54

قصة الأعرابي والجارية 179	الفرس، صدقة الفرس 251
قصة المقعد مع النبي (ص) 189	الفرع 94
قصر الصلاة 171	فساد ذات البين 49
القصواء 159	فصه حبشي، خاتمه (ص) 194
القعود على القبر 309	فضائل (باب) 3، 65، 187، 214،
القوارير 328	328، 264
القلاقل 351	فضائل أصحاب النبي (ص) 322،
قليل يقللها 153	325
القميص الذي يكف ولا يكف 220	فضائل القرآن 77، 190، 253
القنوت 64، 175	فضل العلم 98
قول الخير 125، 295	الفطر، تعجيل الفطر 237
القوارير	الفطرة، خمس من الفطرة 184
قوم شعيب 265	الفواشي، جموا فواشيكم 136
القيء 252	الفلاح 16
القيامة (باب) 29، 48، 49، 123،	الفواسق = خمس من قتلهن 144
163، 295، 230	- ق -
قيام الليل 43، 101، 132	القبر، القعود، تقصيص 309، 347
- ك -	قبض العلم 66
كآبة المنقلب 63	القبلة 168، 192
الكافر 235	القدر 22
الكاهن = الكهان	القراءة على الميت 46
الكاهن، حلوان الكاهن 313	قرى الضيف 125
الكبراء 127	قرآن (باب) 46، 77، 81، 162،
كبر السن 56	227، 253، 293، 311
كبشين أملحين 173	قرن الشيطان 81
الكتاب 50	قرين الفتى في القبر 335
	قسامة، (باب) 92
	القصاص 84، 181، 329

لا طرد، لا ضرب 341	كتاب الله 102، 139
لا نبي بعدي 104	كتاب الحديث 296
لا يرث الكافر المسلم 235	الكتاب ومثله معه 50
لا يلحن (ص) 208	الكذب 150، 333
لباس (باب) 92، 184، 242، 316	الكذب في الحديث 297، 303
اللبنه، أنا اللبنه 264	الكراع 140
اللحم 164، لحم الأضاحي 140	الكرب 31، 230
اللحن 200	الكرية 268
اللحيف (سيفه (ص)) 195	كسوف 65
اللذة، هاذم اللذات 48	الكعبة (الطواف على الشمال) 199
اللسان، بكلم الناس بلسانهم 208	الكف 64
لغوت ومن لغا 28...	الكفن 220
لم يشف غيضه 272	الكلب العقور 144
لم يعب الصائم 161	الكلب، ثمن الكلب 313
لومة لائم 64	كلّ لسانه 272
لو أقسم على الله 320	الكمأة 215
ليلة عرفة 275	كنز الجنة 332
- م -	الكمان 151، 222
ما أعددت لها 322	الكون، الكون 63
الماحي، أنا الماحي 104	الكيس 213
المال 76، 227، 345	- ل -
ما بين الأذان والإقامة (دعاء) 236	لا إليك إليك 34
ما بين بيتي ومنبري 254	لايس ثوبي زور 277
المبايعة تحت الشجرة 234	لا تخف في الله لومة لائم 64
المتشبع بما لم ينل 277	لا حول ولا قوة إلا بالله 332
المتعة، نكاح المتعة 318	لا سعديك 281

مسلسل أطعمني وسقاني 149	مثل بمثل 224
المسلم 235 المسلم للمسلم 268	مثل الكتاب = السنة 50
المسلم، الإسلام، من سلم المسلمون 85	مثلي ومثل الأنبياء 264
المن، الكمأة من المن 215	محبة رسول الله (ص) 11
المشابكة 334	محبة الله 322
المصاييح المدلاة من السماء إلى الأرض في	محمد (ص) 104
قراءة سورة البقرة 7	محمد والله محمد والخميس 54
مصلى رسول الله (ص) 102	محو الكفر 104
مضجع، إذا أخذت مضجعك 14	المخدم سيفه (ص) 105
المخمضة 18	المخيلة، الاختيال، من جر إزاره 115
مظالم (باب) 176	مدارة الناس 155
المعاذ 64	المرايط 214
المعاش 64	المرسلات، قراء تهاني المغرب 343
المعافاة 59، 61، 101	مرض 91
معجزة (فضائل)، نبع الماء من أصابعه	مساجد (باب) 81، 87، 274
(ص) 3	مسافرين (باب) 81، 162، 175، 253،
المعدن، المعدن جبار 131	131، 77
المعرفة، معرفة الوجه والاسم 302	مساواة (باب) 271، 262
المعروف 277	المستوصلة 242
المعسر 80	المسجد 326 التعلق بالمسجد 163
المعلم 98	المسجد العتيق 78 مسجد النبي (ص) 79،
المعوذات، المعوذتان 200، 186	168
المغازي (باب) 121، 230، 315، 319،	مسح الرأس 18
343، 320	مسح الذكر في الصلاة 221
المغفرة (باب) 43، 51، 58، 80، 103،	مسعر حرب 243، 323
156	المسك 216

المني 107	مفرق رسول الله (ص) 216
مهر البغي 313	المفطر، لم يجب الصائم 161
مواقيت (باب) 81، 87، 136،	مقت النفس 200
162، 168، 274	مكة 168
الموت على الفطرة 14	الملائكة 83، 86
الموت، هاذم اللذات 48	ملاحم (باب) 99، 107، 330
المؤذن 25	الملامسة 316
المؤمن 141	الملتزم 269
الميراث (باب) 223، 235	الملك الديان 339
- ن -	منى 210
النار 141، 235	المنابذة 316
نبي، نا نبي بعدي 104	مناسك (باب) 61، 110، 117، 133،
نتف الإبط 184	144، 203، 341
النجاء 52	مناققين 4، 220
النجاح 58	مناقب، معجزة (باب) 3، 11
النجش 317	مناقب أبي بكر وعمر 44
النجم الثريا 26	(مناقب الأنصار 92)، 101، 102،
النجوم 22	169، 241، 264، 297، 87، 91
النحر 247، 384، يوم النحر 341	المنبر 2، 183، 200
النداء 25	منبر رسول الله (ص) 165، 191، 254
نزول الملائكة لقراءة سورة البقرة	من تشيع بما لم ينل 277
البقرة 124	مندوب، المندوب فرسه (ص) 180
النساء في الأثر، 284	من هو أخرج، 205
النسخ في الحديث، في القرآن 206	من يدعوني 346
النسيان 158	من يستغفرني 346
نسيان الحديث، أبو هريرة 5	

الهجرة 38، 64، 258، 300، 325، هجرة السيئات 300 الهرج 174 الهدم 306 الهيئة 145 - و - الواصلة 242 واسع رزقك 56 الوالدان، البر 2 الوتر 106، 253 وتر أهله وماله 87 الوجع 15 الوحي 190 الورع 64 وصل الأم المشتركة 305 الوصية 64، 91، 125 وضع الجزية 345 الوضوء (باب 31، 18، 111، 112، 138، 221، 217، 270 الوضوء عند المضجع 14 وعثناء السفر 66، 67 وفد جذام 265 الولاء 97، 230، 312، 338 الولادة 338، يحرم من الرضاعة. ويل للعرب 324	النسيان في الدعاء، أشركنا في دعائك 110 النصراني، لا شفعة 223 النص، سيره (ص) 203 النضح 40، 138 نطح، انطاع 109 النظر إلى من هو تحت 64 النظر إلى من هو فوق 64 النظرة، استرقوا لها 34 النعم 11 النعمة، ازدراء نعمة الله، 64 النصير، يا أبا عمير 327 نفث، كان ينفث على نفسه بالمعوذات 200 النفقة 227 نفل، نفلنا النبي بعيرا 121 النقد 80 النقمة، فجاءة النقمة 62 نكاح (باب) 65، 211، 242، 315، 318، 320 نكاح المتعة 318 نمل، قرية النمل، حرقها 225 نماء العمل 214 النوم، ينام وهو جنب 111، 112 النية 38، 85، 229 - o - هازم اللذات 48 هبة، بيع الولاء وهبته 252، 305، 312 الهجرة = الهجر فوق ثلاث 233
--	--

- ي -

ينصب له لواء، الغادر 83
يعطي العطاء 205
ينزل ربنا كل ليلة 346
ينقث على نفسه 200
ينظرون إليه، (روية الله) 20
يعطي نبي الله ط** 37
اليوم الآخر 125
يهل منا المهل 210
اليهود 72

يا جوج وما جوج 324
يا عبادي إني حرمت 331
يتحرى الصلاة عندها 337
اليسر 250
يكلم الناس بلسانه 208
اليمين 185
يتقل موازيننا
ينبع وينبوع 170
ينسأ له في أثره 284

ج- الجرح والتعديل

إن معرفة الثقات والضعفاء من أجل أنواع الحديث، لأنه المراقبة إلى التفرقة بين صحيح الحديث وسقيمه، وفيه لائحة الحديث تصانيف مهمة¹ ولهذا حاولت أن أجرد من الرحلة أسماء الرجال ممن ذكر في شأنهم شيء من الجرح والتعديل أو ورد اسمهم في صدد ذكر سند، وهو يدرج في مقام المؤلف أو المختلف² أو المبهم³، أو معرفة من اختلط من الثقات⁴ أو من ذكر بنوع متعددة⁵ والمراد من ذلك هو الحرص على تمييز الحديث الوارد في الرحلة وتقويمه، وإنني سأذكر أسماء هؤلاء الرجال مفهوسة على حروف المعجم، وأنبه على شيء من مصادر كل ترجمة من التراجم في كتب الجرح والتعديل وغيرها من كتب الحديث بعد أن أشرت إلى مرجعها في الرحلة، وبهذا تكون هذه القائمة متممة لفهرست الحديث ومبينة لا حوال رجالها.

(1) إبراهيم بن الحسين بن علي الكسائي الهمداني، أبو إسحق، ويعرف بديزيل، وبداية عفان، وسيفنة، وسيفنة طائر لا يحط على شجرة إلا أكل ورقها، وكان إبراهيم لا يأتي شيخاً إلا وينزفه، وكان رحالاً.

جاء في الرحلة أنه إرتحل إلى العراق والحجاز ودخل مصر والشام، ويحكى عنه قال : كنت أتطوف بالشام وفي كفي ثلاثون جزءاً في كل جزء ألف حديث. وذكر ابن رشيد بعض من أخذ عنه ومن قرأ عليه، وقال إنه توفي بعد السبعين ومائتين

الرحلة 81/3، قال الحاكم إنه ثقة مأمون، وقال غيره : كان يضرب بكتابه المثل. وانظر معرفة علوم الحديث 213، وطبقات الحفاظ 269 (توفي سنة 281هـ) وتذكرة الحفاظ 603 (توفي في آخر شعبان سنة 281 هـ) والمشتبه في الرجال 353/1.

انظر معاني هذه الاصطلاحات بعد :

¹ : شرحا ألفية العراقي 260/3

² : نفسه 120/3

³ : نفسه 230/3

⁴ : نفسه 263/3

⁵ : نفسه 103/3

ابن أبي ذيب = محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة
 ابن أبي فديك = محمد بن إسماعيل بن مسلم
 ابن خبيب = معاذ بن عبد الله بن خبيب
 ابن الصلاح = عثمان بن أبي محمد بن عبد الرحمن
 ابن المقير = علي بن الحسين بن علي بن أبي المقير البغدادي
 (2) ابن نسطور وهو ابن نسطور الرومي

الرحلة 16/3 وكتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 240 ترجمة 441
 وانظر أيضا أزهار الرياض.

أبو حاتم البستي = محمد بن حبان البستي
 أبو داود السبيعي = نفيح بن الحارث
 أبو الدنيا = الأشج = عثمان بن عبد الله بن عوام
 أبو عبد الرحمن عفار المطلقات = عبيد بن أبي اسحق العطار
 أبو عمر الكوفي = أحمد بن عبد الجبار العطاردي
 (3) أبو هذبة القيسي

الرحلة 16/3 والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 443 ترجمة 444
 وكتاب المغني في الضعفاء 29/1 ت 199 و 812/2 ت 7787 : ساقط متهم متروك
 كذاب.

أبو الورقاء الكوسج = قائد بن عبد الرحمن
 أو محمد الثقفي لبصري الايلي = العلاء بن زيدل.
 أبو معمر البصري = عباد بن عبد الصمد
 أبو هارون العبدي = عمارة بن جوين
 أبو هاشم الغساني = عبد الرحمن بن هارون

(4) أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أبو عمر، كوفي، يروي عن أبي بكر ابن عياش وغيره، قال فيه ابن عدي : رأيت أهل العراق مجتمعين على ضعفه لأنه حدث عمن لم يلقه، وقال فيه أبو حاتم : ليس بالقوي، وقال الدارقطني لا بأس به. قال ابن رشيد : ولأجل الاختلاف في توثيق أبي عمر العطاردي قلنا فيه إنه حسن، وأكثر ما تقع عوالي السلفي من طريق رئيس أصبهان هذا، ومن طريقه تقع له الأحاديث السباعيات، وكان الحافظ أبو ظاهر يرفع به ويفخر بلفائه، ويعبر عنه بالرئيس المعتمد، ويقول : لم يبق اليوم على وجه الأرض من يحدث عنه غيري.

الرحلة 4/3 معرفة علوم الحديث 256 (العطاردي من الطبقة السادسة من نوع معرفة جماعة الرواة التابعين، فمن بعدهم، لم يحتج بحديثهم في الصحيح ولم يسقطوا). انظر ص 254، 256. ميزان الاعتدال 52/1 : مات العطاردي سنة 272، لا يتورع أن يحدث عن كل أحد كتاب المغني في الضعفاء 45/1، 340 حديثه مستقيم وضعفه غير واحد.

(5) أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعث ... العجلي البصري، وهو ثقة تفرد به البخاري عن مسلم، وقال عنه النسائي : ثقة وقال في موضع آخر : لا بأس به، وقال أبو داود لا أحدث عنه الرحلة 6/3، ميزان الاعتدال 74/1 (أحد الاثبات المسندين، قال أبو داود : كان يعلم المجان المجون، وقال أبو حاتم صالح الحديث). المغني في الضعفاء 60/1 ت 467 : ثقة ثبت، وإنما أترك أبو داود الرواية عنه لمزاجة خلاصة تذهيب تهذيب الكمال 13 : (وثقة أبو حاتم وصالح بن محمد، وضعفه أبو داود. مات سنة 253 عن بضع وتسعين سنة.

(6) إسماعيل بن رافع : ضعفه بعض أهل الحديث، وقال عنه البخاري : ثقة مقارب الحديث.

قال ابن رشيد مقارب الحديث : بفتح الراء وكسرهما، ومعناه يقارب الناس في حديثه ويقاربونه، أي ليس حديثه بشاذ ولا منكر.

الرحلة 109/3 تهذيب التهذيب لابن حجر 294/1، 296 ترجمة 547 : ضعفه بعض أهل العلم المدني 80/1 : مدني، نزل البصرة يروي عن المقيري، ضعفه جدا، قال الدارقطني متروك.

خلاصة التذهيب 34 : مدني، قال النسائي متروك.

(7) اسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي، وهو شيخ الترمذي، كناه البخاري بأبي اسحق، وكناه ابن أبي حاتم بأبي محمد قال ابن رشيد : روى عنه الترمذي وأبو داود وأبو حاتم وأبو زرعة وبقي بن مخلد، وقال بقي إنه ابن أخت السدي، والبخاري والترمذي يقولان فيه : ابن بنت السدي، وقد نسب إسماعيل هذا إلى الغلو في التشيع.

تهذيب التهذيب 335/1 ترجمة 606 المغني 88/1 : الفزار يترفض، قال النسائي ليس به بأس، وقال ابن عدي أنكروا منه الغلو في التشيع وقال إنه توفي سنة 245هـ.

(8) الأشج، أشج الغرب، أبو الدنيا، عثمان بن عبد الله بن عوام سمع علي بن أبي طالب يقول : سمع رسول الله (ص) يقول : أحب حبيبيك... الحديث وقد مضى ذكره في مناقشة الجرح والتعديل عند ابن رشيد ص 110 من هذا البحث.

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 238 ترجمة 440 المغني في الضعفاء 750/1 و 783/2 ترجمة 7451 : كذاب رحال اسمه عثمان بن خطاب. (9) بسر بن محمد بن أبي محجن.

الرحلة 16/3 تهذيب التهذيب 438/1 ترجمة 806 المغني بسر بن محجن الدؤلي: روى عنه زيد بن أسلم، لا يكاد يعرف 103/1 ترجمة 878 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع 240 ترجمة 442.

البكاء = يحيى بن مسلم

(10) الحسن بن عرفة : أثبت ابن رشيد في رحلته وجادة منها : (الحسن بن عرفة ابن يزيد العبدي، أبو علي روى عنه ابن الجارود، وخرج عنه أبو عيسى الترمذي، وروى النسائي عن رجل عنه، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه مع أبي يسمراء ببغداد، وهو صدوق، وقال أبو عمر أحمد ابن سعيد القرطبي : سألت عنه أحمد المروزي فقال : الحسن ابن عرفة ثقة مشهور عظيم الشأن، له قدر وجلالة ورفع من شأنه، قال أبو عمر : وسألت عنه أبا جعفر محمد بن عمر العقيلي فقال ثقة، ثم قال : هل تكلم فيه أحد ؟

قال لا، ثم تم ابن رشيد كلاه فقال : انتهت الوجادة، وملخصه قال الخطيب البغدادي عن الدارقطني عن محمد بن زكرياء عن أحمد بن أبي خالد عن أبي عبد الرحمن الغساني يقول : الحسن بن عرفة لا بأس به.

الرحلة 122/3 خلاصة تذهيب 79 : العبدى أبو علي وثقه ابن معين وأبو حاتم، عاش 120 سنة تذهيب التذهيب 293/2 ترجمة 523.

(11) الحكم أبو عمرو الحرزي : يروي عن ضرار بن عمرو، قال أبو الفتح الأزدي الموصلي فيه كذاب ساقط، ذكره ابن الجوزي في الضعفاء.

الرحلة 85/3 المغني 185/1 : واتهم بالكذب، قال البخاري لا يتابع على حديثه. ملحوظة ذكر في المغني : الجزري، ويمكن تصويب هذا الاسم من رحلة ابن رشيد.

(12) حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك بن الحارث أبو زرعة الحضرمي، أخرج له البخاري ومسلم، وهو ثقة يروي عن عقبة بن مسلم وزيد بن أبي حبيب المصريين وغيرهما.

الرحلة 53/2 طبقات الحفاظ 80 ترجمة 171 : قال أبو حاتم : أعلى القوم تذهيب التذهيب 69/3 ترجمة 135.

الخازن = نجيب الدين بن أبي البقاء = محمد بن سعيد بن الموفق.

(13) خراش

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 242 المغني 209/1 ترجمة 1905، 1906 : كذاب متروك تذهيب التذهيب 138/3 ترجمة 263.

ديزيل = إبراهيم بن الحسين بن علي.

(14) دينار

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 443 ترجمة 443 : المغني 224/1 (من اسمه دينار) تذهيب التذهيب 216/3-218 تراجم 410... من اسمه دينار.

(15) سليمان التيمي ثقة جليل.

الرحلة 79/3 تهذيب التهذيب 232/4 ترجمة 392 خلاصة تهذيب 485،
وص 155 : يروي عن رجل وهو أبو عثمان وليس بالتهدي.

(16) سنان بن هارون البرجمي

قال يحيى : ليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان كان يروي المناكير، وذكر ذلك
أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الضعفاء.

الرحلة 36/3 ميزان الإعتدال ترجمة 3506 المغني 286/1 ترجمة 2657 :
كان أبو حاتم : شيخ وقال ابن معين ليس حديثه بشيء.

(17) سند بن محمد بن سند

وهو يروي عن أبيه، وروى عنه محمد بن الربيع الجيزي، وذكره عبد الغني بن
سعيد ولم يعرف بشيء من حاله.

الرحلة 61/5 وانظر ترجمة سيف بن محمد أسفله.

(18) سيف بن محمد، وهو ابن أخت سفيان الثوري.

ويروي عن الثوري، وعاصم الأحول والأعمش. قال أحمد كذاب، يضع الحديث
وقال يحيى: كان كذابا خبيثا، وقال مرة ليس بثقة، وكذبه أبو داود، وقال النسائي ليس
بثقة ولا مأمون، وقال الدرقي ضعيف متروك، وذكر جميع هذا أبو الفرج في الضعفاء.

وقد أورد ابن رشيد اسمه بمناسبة ذكر مسلسل أضافنا... وذكر في سنده سيف
ابن محمد، وصوبه ابن رشيد بسند بن محمد بن سند السابق ذكره.

الرحلة 61/5 ميزان الإعتدال 338/1، قال النسائي ضعيف وقال مرة متروك
وليس بثقة وقال البخاري لا يتابع تهذيب التهذيب 296/4 ترجمة 506 المغني 296/1
ترجمة 2718 خلاصة تهذيب 161 : سيف بن محمد الثوري أبو عمار قال أحمد
والساجي : يضع، فرد حديثه.

(19) صالح بن أبي الأخضر، وهو مولى هشام بن عبد الملك.

ضعيف، ضعفه أحمد ويحيى وأبو زرعة والنسائي وغيرهم، وقال فيه البخاري: لين.

الرحلة 33/3 ميزان الاعتدال 453/1 : ضعفه ابن معين والنسائي والبخاري
قال أحمد لا يستدل به تهذيب التهذيب 380/4 ترجمة 640 المغني 302/1 ترجمة
2814 خلاصة تذهيب 169، 170: ليس بالقوي : توفي سنة بضع وخمسين ومائة.

(20) صخر بن وداعة بن عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب ...
الغامدي، وغامد في الازد.

أورد ابن رشيد أخباره من كتاب الصحابة لأبي موسى الرعيني، وكتاب العجالة
للحازمي وما كتب عنه الطبري وابن عبد البر وأبو الفرج، وحاتم الرازي وأبو زرعة. روى
عنه عمارة بن حديد، وهو رجل مجهول لن يرو عنه غير يعلى بن عطاء الطائفي، ولا يعلم
لصخر غير حديث : بورك لأمتي في بكورها، وأهم ما قالوا فيه إنه مجهول لا يعرف.

الرحلة 5/3 الاستيعاب 191/2، 192 (بهامش الإصابة) الإصابة 181/2
ترجمة 4054 تهذيب التهذيب 416/4 ترجمة 712 خلاصة تذهيب 173 : له
حديث وعنه عمارة ابن حديد. (وانظر ترجمة يعلى بن عطاء وعمارة. بعد)

الصناجي = عبد الرحمن بن عسيلة

(21) ضرار بن عمرو الملقب. ذكره أبو الفرج في كتاب الضعفاء، وقال أبو الفتح
الازدي الموصلي فيه : كذاب ساقط، وهو يروي عن يزيد الرقاشي، قال يحيى ليس بشيء،
ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدي منكر الحديث، وقال الدارقطني : ذاهب الحديث متروك.

الرحلة 85/3 ميزان الاعتدال 472/1 ترجمة 3898 : قال الدولابي فيه نظر
يروى المناكير المغني 312/1 ترجمة 2920 : متروك الحديث.

(22) عباد بن عبد الصمد، وهو أبو معمر البصري، قال فيه البخاري منكر
الحديث، وقال ضعيف يروي عن أنس نسخة عامتها مناكير، وعمارة ما يروي في فضائل
علي رضي الله عنه وهو غال في التشيع، ذكره أبو الفرج.

الرحلة 52/5 ميزان الاعتدال 11/2 ترجمة 85 المغني 326/1 ترجمة 3043،
قال أبو حاتم وغيره : ضعيف جدا.

(23) عبد بن حميد :

قال ابن رشيد : عبد يقربه مسلم، وأكثر عنه في كتابه وهو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي، وكان اسمه في الأصل عبد الحميد، ثم اختصر وغلب عليه عبد حتى تنوسي اسمه أو كاد، وهو الذي عنى البخاري حيث علق عنه في كتابه بغير سماع فقال : وقال عبد الحميد : حدثنا عثمان ابن عمر نا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يخطب إلى جذع... الحديث

الرحلة 92/3 طبقات الحفاظ 234، 235 توفي سنة 249هـ، روى عن يزيد بن هارون، وروى عنه مسلم تذكرة الحفاظ ج 2 - 534 ترجمة 551 : من الأئمة الثقات.

(24) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي، أخو أبي عبيدة، روى عن أبيه وطائفة من التابعين، وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 5/3 ميزان الاعتدال ترجمة 838 : أحد الأئمة الكبار سيء الحفظ المغني 382/2 ترجمة 3520 : اختلط بآخره خلاصة تذهيب : 230. وثقه ابن حيان، يروي عن أبيه وعلي وعنه ابنه القاسم ومعن، قال ابن معين : ثقة لم يسمع من أبيه.

(25) عبد الرحمن بن عسيلة هو أبو عبد الله الصناجي مخضرم، عن أبي بكر وعمر، وعنه ابن محيرز، وثقه ابن سعد قال ابن الذهبي مات في خلافة عبد الملك.

الرحلة 10/5 خلاصة تذهيب 231

(26) عبد الرحمن بن هارون، وهو أبو هاشم الغساني الواسطي. روى عن عبد العزيز ابن أبي رواد وشعبة، قال الدارقطني متروك الحديث، يكذب وقال الرازي مجهول لا أعرفه.

الرحلة 25/3 المغني 812/2 ترجمة 7784 : عن أبي هريرة، لا يعرف.

(27) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي مولاهم، أبو بكر بن أبي الدنيا، البغدادي، مشهور، وصاحب التصانيف.

الرحلة 56/3 طبقات الحفاظ : عنه ابن ماجة في التفسير وثقه أبو حاتم وغيره انظر ص 294 ترجمة 675 تذكرة الحفاظ 677/2 ترجمة 699 عالم صدوق.

(28) عبد الله بن يزيد، وهو أبو عبد الرحمن المعافري الجيلي الشامي يعد في المصريين، روى عنه أبو ذر الغفاري وأبو سعيد الخدري، وأبو محمد عبد الله بن عمرو بن

العاص، وغيرهم من الصحابة، وكان رجلا صالحا فاضلا، أخرج له مسلم وغيره، وهو ثقة، قاله يحيى بن معين وابن صالح.

الرحلة 53/2 تهذيب التهذيب 81/6 ترجمة 161 خلاصة تذهيب 219 : وثقة ابن معين وتوفي بأفريقية سنة مائة هجرية.

(29) عبد الله بن يزيد العذري المرقى، أبو عبد الرحمن روى عنه البخاري، وهو فقيه ثقة صدوق في الحديث.

الرحلة 53/2 خلاصة تذهيب 219، وثقه ابن حبان.

(30) عبيد بن اسحق العطار وهو أبو عبد الرحمن، ويقال له عطار المطلقات، يروي عن شريك وقيس، روى عنه زهير بن معاوية قال يحيى ضعيف ليس بشيء، وقال البخاري عنه : عنده مناكير، وقال الدارقطني : ضعيف. وقال الازدي: متروك الحديث، ذكره ابن الجوزي.

الرحلة 36/3 المغني 318/2 ترجمة 3955 : عن شريك، ضعفه، ورضيه ابن أبي حاتم.

(31) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، الموصلية ثم الدمشقي الشافعي. وقد ترجم له ابن رشيد ومن ذلك : جمع من علوم متعددة، وجمع إلى ذلك التحري والإتقان والتحقيق وسلوك طريقة السلف، سافر إلى العراق وخراسان، وكان حسن التصنيف مليح التنقيح، وصنف أشياء مفيدة في الحديث والفقه وفي غير ذلك، ولم يكمل من ذلك إلا اليسير.

الرحلة 50/3 وفيات الأعيان 243/3، ومقدمة كتابه معرفة أنواع علوم الحديث ص 2 تذكرة الحفاظ 1430/4 ترجمة 1141.

عثمان بن خطاب = الأشج

(32) العلاء بن زيد وهو أبو محمد الثقفي البصري الأيلي ويحدث عن أنس. قال ابن المديني: يضع الحديث، وقال أبو حاتم الرازي متروك الحديث، وكان أحمد يتكلم فيه، وقال أبو داود: متروك وقال البخاري والعقيلي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن أنس نسخة موضوعة لا يحل ذكره إلا تعجبا وقال الدارقطني متروك.

الرحلة 48/3 ميزان الاعتدال 214/2 (العلاء بن زيد) قال ابن زيد : كذا هو ابن زيد في الضعفاء للبخاري وخير مكان المغني 439/2 ترجمة 4180 عن أنس، واه، قال ابن المديني: كان يضع الحديث.

(33) علي بن الحسين بن علي بن أبي المقير البغدادي النجار. وهو شيخ صالح حسن السيرة لا يتكلم إلا فيما يعنيه، حنبلي المذهب، له روايات عالية كثيرة عن شيوخه، ولد سنة 545هـ وتوفي سنة 643هـ.

الرحلة 84/2 تذكرة الحفاظ 1432/4 (مسند الوقت)

(34) عمارة بن جوين، أبو هارون العبدي : يتلون : خارجي مرة وشيعي مرة أخرى قال حماد بن يزيد كان كذابا، وقال شعبة : لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أحدث عنه. قال أحمد ليس بشيء، وقال مرة متروك وقال : ضعيف... وكان عندهم لا يصدق في حديثه وقال مرة ليس بثقة، وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب توفي سنة 134.

الرحلة 26/3 ميزان الإعتدال 236/2 ترجمة 1036 تهذيب التهذيب 412/7 ترجمة 670 المغني 460/2 ترجمة 4305 : تابعي ضعيف، قال حماد بن زيد كذاب خلاصة تهذيب 280، 472 : يتلون خارجي وشيعي.

(35) عمارة بن حديد البجلي، ويروي عن صخر بن وداعة الغامدي قال أبو حاتم الرازي مجهول، وقال أبو زرعة لا يعرف، وقال الصديقي : نا أبو مسلم قال : وعمارة بن حديد حجازي ثقة ذكره ابن خلفون.

الرحلة 6/3 تهذيب التهذيب 414/6 ترجمة 671 المغني : مجهول 460/2 ترجمة 4397 خلاصة تهذيب 280 : يروي عن يعلى بن عطاء.

(36) عمر بن شاعر : قال عنه البخاري : مقارب الحديث، روى عن عثمان بن سعد الكاتب وغير واحد قال ابن رشيد : "مقارب يضبط بفتح الراء وكسرهما ومعناه يقارب الناس في حديثه ويقاربونه أي ليس حديثه بشاذ ولا منكر".

الرحلة 109/3 تهذيب التهذيب 450/6 ترجمة 766 المغني 468/2 ترجمة 4484: عن أنس ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي : روى نسخة عشرين حديثا غير محفوظة خلاصة تهذيب 383 : تابعي بصري، قال الترمذي حديثه غريب.

(37) عمر بن يحيى قال ابن رشيد : أراه الذي يروي عن شعبة، قال فيه أبو نعيم الأصبهاني متروك.

الرحلة 40/3 ميزان الاعتدال 282/2 ترجمة 2163 المغني 476/2 يروي عن شعبة، قال أبو نعيم متروك.

(38) فائد بن عبد الرحمن، أبو الورقاء الكوفي العطار، يروي عن ابن أبي أوفى، قال أحمد والنسائي متروك وقال يحيى ليس بثقة، وقال مرة ضعيف وكذلك قال الدارقطني، وقال الازدي ذاهب الحديث، لا يكتب حديثه وقال البخاري منكر الحديث.

الرحلة 26/3 و 102/3 ميزان الاعتدال 324/2 ترجمة 25207 : تركه أحمد والناس، الغني 508/2، 488 خلاصة تهذيب 307.

(39) فائد مولى عباد بن أبي رافع. قال ابن رشيد : ثقة قاله ابن معين.

الرحلة 26/3 و 102/3 تهذيب التهذيب 256/8 ترجمة 475 خلاصة تهذيب 307 وثقة ابن معين.

(40) فضال بن جبير، ضيف أحاديثه غير محفوظة، قال ابن عدي وقال ابن حبان، يروي عن أبي أمامة ما ليس من حديثه، لا يحل الاحتجاج به.

الرحلة 13/3 المغني 510/2 ترجمة 4904 : صاحب أبي أمامة ضعيف.

(41) محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، أبو إسماعيل، واسم أبي فديك دينار الديلمي مولاهم. أخرج له البخاري ومسلم وابن أبي ضيب، وهو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة.

الرحلة 27/3 المغني 556/2 ترجمة 5302 : ثقة مشهور، قال ابن سعدة وحده: ليس بثقة.

(42) محمد بن بشير قال فيه يحيى ليس بثقة، وقال فيه الدارقطني ليس بالقوي حديثه

الرحلة 65/3 المغني 559 ترجمة 5332 : ليس بثقة وهو الدعاء.

(43) محمد بن حبان البستي، أبو حاتم، وهو أحد الأئمة الكبار، والكتاب، صاحب كتاب التقاسيم والأنواع.

الرحلة 35/5 مكرر مقدمة ابن الصلاح 103 : له كتاب الثقات، وفي صفحة 196: تغير واختلط حديثه الأخير بحديثه القديم، ولم يتميز فاستحق الترك. ميزان الاعتدال 39/3 تذكرة الحفاظ 920 طبقات الحفاظ 375 ترجمة 849 : ثقة نبيل الفهم، قال ابن الصلاح : ربما غلط الغلط الفاحش توفي سنة 345 هـ المشتبه في الرجال 72/1.

(44) محمد بن سعيد بن الموفق بن أبي البقاء الخازن النسابوري أبو بكر، يلقب نجيب الدين، شيخ صالح ثقة مسند ولد في 4 صفر 556 هـ وتوفي سنة 640 هـ ببغداد. الرحلة 11/3 تذكرة الحفاظ 1432/4 : مسند بغداد، صوفي.

(45) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذيب، واسمه هشام بن شعبة، خرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 27/3 ميزان الاعتدال 90/3 : متفق على عدالته تهذيب التهذيب 303/9 ترجمة 503.

(46) محمد بن يعقوب بن معقل بن سنان الأصم، محدث خراسان، ولد سنة 247 هـ وتوفي سنة 344 هـ، وكان به صمم ثم صار متفوقا.

الرحلة 13/3 الإصابة 53/1 : الأصم العامري البكائي تذكرة الحفاظ 860/3: محدث المشرق، ثقة صدوق طبقات الحفاظ 354 ترجمة 805 : حدث عنه الحاكم وخلق، وتفرّد في الدنيا بإجازته : أبو نعيم الحافظ ومات سنة 346 هـ.

(47) مسلمة بن وردان ضعفه الأكثرون ووثقه بعضهم. الرحلة 81/3.

(48) معاذ بن عبد الله بن خبيب، وهو والد عبد الله بن خبيب، وعبد الله هذا جهني له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الرحلة 27/3 تهذيب التهذيب 101/10 ترجمة 359 المشتبه في الرجال
215/1 : جهني.

(49) نائل بن نجيح الحنفي، حدث عن الثوري، قيل للدارقطني أثقة هو ؟ قال لا.
الرحلة 86/3 تهذيب التهذيب 415/10 ترجمة 746 المشتبه في أسماء الرجال
26/1* : عن الثوري.

(50) نفع بن الحارث الكوفي السبيعي مولاهم، أبو داود النخعي يروي عن أنس،
وقد دله بعض الرواة كذبه قتادة، وقال ليس بشيء، وقال مرة لم يكن ثقة وقال الدارقطني :
متروك، وقال ابن حبان : يروي عن الثقات الموضوعات توهمًا، لا يجوز الاحتجاج به.

الرحلة 24/3 ميزان الاعتدال 242/3 ترجمة 2092 : قال النسائي متروك
تهذيب التهذيب 470/10 ترجمة 847 المغني 701/2 ترجمة 6667، هالك، تركوه
خلاصة تذهب 404 قال ابن معين يضع الحديث.

(51) الهجيمي. قال ابن رشيد لا أعرفه. الرحلة 6/3

(52) هشيم بن بشير السلمي مولاهم، الواسطي، واختلف في اسم أبيه فقيل عمرو
وقيل فيروز وقيل خاقان، وهو مولى بني شيبان، ثقة خرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 4/3 ميزان الاعتدال ترجمة 2225، أحد الأعلام ولد سنة 104هـ،
وكان يدلّس وهو لين تهذيب التهذيب 59/11 ترجمة 100 تقريب التهذيب 320/2
ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الحفي. المغني 712/2 ترجمة 6765 حجة يدلّس وهو
لين في روايته عن الزهري.

(53) يحيى البكاء، وهو يحيى بن مسلم، ويقال يحيى بن أبي خليل، وقيل واسم
أبي خليل سليمان البصري، وقيل الكوفي. قال النسائي والازدي متروك الحديث، وقال أبو
زرعة ليس بقوي، وقال علي الجنيد مختلط وقال الدارقطني ضعيف، وقال ابن حبان يروي
المعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به وذكر ذلك كله ابن الجوزي.

الرحلة 102/3 ميزان الاعتدال 304/3 ترجمة 2609 : ليس بذاك تهذيب
التهذيب 308/11 ترجمة 592 المغني 744/2 ترجمة 6978 و 7053 : تابعي
مختلف فيه، والجمهور على تضعيفه، وقال ابن حبان ينفرد بالمعضلات.

54) يعلى بن عطاء العامري الطائفي، ويروي عن صخر الغامدي وعمارة ابن حديد، وهي ثقة.

الرحلة 6/3 تهذيب التهذيب 403/12 ترجمة 780 خلاصة تهذيب 280 و 438: وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم مجهول يروي عن أوس وعمرو بن الشريد، وثقه النسائي.

55) يغنم بن مسلم.

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع 241 المغني يغنم بن سالم بن قنبر: مالك ضعفه أبو حاتم قال ابن حبان كان يضع الحديث عن أنس : 760/2 ترجمة 7216.

وأنبه في الأخير على أن هؤلاء الرجال وما قيل فيهم يؤخذ بعين الاعتبار عند ذكر سلسلة الإسناد في الأحاديث المذكورة سابقا.

ط- مصطلح الحديث¹

- أ -

- الرحلة 81/3 الاتصال في الإسناد العنينة فيه
- 49/2 مكرر و 73/3 الاتهام، أخبرني من لا أتهم
- 33/3 الأثر الحسن
- الإجازة على العموم والإطلاق 2/2 و 10/2 الإلماع 88، 107 ابن الصلاح
- 60 الباعث 62 الخلاصة 106 التذكرة 60/2 ارشاد الفحول 63.
- 13/2 الإذن بالحديث
- الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوع بها 65/5 إرشاد 72
- 66/5 إجماع مصادر بعمل العلماء في أعمال الترجيح
- 66/5 متبع الإجماع ليس بمقلد
- 35/3 الأخبار إذنا في الجملة
- 13/2 الأخبار أذنا في الجملة
- 36/7 الأخذ كيفية الأخذ باللقاء والمجالسة
- 36/7 الاستفاضة = مستفيض
- 49/2 الاستهزاء بالحديث (رجل من المعتزلة يستهزئ بالحديث)
- أنظر تأويل مختلف الحديث 59-60-61
- الإسناد علم الإسناد 71/3 الإسقاط في الإسناد 71/3 الإسناد العالي 49/3
- مكرر أسانيد إفريقية 29/2 أسانيد أندلسية 29/2 أسانيد لا يوجد أكثرها بالبلاد
- المغربية 27/2 نظافة الإسناد 13/3 الاتصال في السند 81/3

¹ : أي أنني سأورد أحيانا إشارات لها دلالة معينة من غير مصطلح الحديث المعروف، وذلك للتنبيه على قضية من القضايا التي تتصل بالحديث وتخدمه وتوضحه.

أصحاب الحديث : لا يكون الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو
مثله وعمن هو فوقه وعمن هو دونه

11/2 و 5/6

65/5

أصول علم الحديث والرواية

الاضطراب 25/5 ابن الصلاح 44 الخلاصة 76 الباعث 40

الامي السماع على الأمي 3/3 الإلماع 72-

الإقرار أقر به، 96/3 الإلماع 78-79

أنواع الحديث وتقسيمها

- ب -

11/6

بأس ليس به بأس

102/3

الباطل

- ت -

23/2

التحريف

66/5

التحقيق (السالكون مضايق التحقيق أفذاذ قليلون)

99/3

تحقيق الحديث

التحمل والإجازة 24/3 وابن الصلاح 60

40/2

التخريج النازل

التدليس 64/3 يكثر منه الخطيب البغدادي، وهو أن يروي عن شيخ تتأخر وفاته أو يتركه، أو يكثر هو عنه فيزيد أن يوهم أنه غيره، الرحلة أيضا 24/3 والكفاية 355 وشرف 119 النيسابوري 103 وابن الصلاح 34 والخلاصة 74 والباعث 32 والتذكرة 179- تدليس التحميل 24/3 و 64/3- استعمله المتأخرون 64/3- له مصلحة ومفسدة 64/3 ومفسدته أنه قد يخفى ويصير الراوي مجهولا عند السامع مع كونه معروفا في نفس الأمر وهذه جناية عظيمة ومفسدة كبرى، وأما مصلحته فامتحان الأذهان في استخراج التدليس والقضاء ذلك إلى من يراد اختبار حفظه ومعرفة للرجال وله مفسدة

أخرى يراعيها أرباب الصلاح والقلوب - استعماله لتوغير المعرفة 64/3 - وهو قبيح
مذموم لما فيه من عدم النصح وإظهار الباطل في صورة الحق 64/3 والاعتبار 15.

الترجيح 66/5 والكفاية 433 والإعتبار 11-7

ترك، متروك 81/3

الحديث التساعي الإسناد 33/3

التصحیح الإلماع 166، 169 والكفاية 237

التصحيف 23/2 و80/3 والكفاية 254 والنيسابوري 146 والباعث 90
والتذكرة 172/2 وانظر الأنصاف لابن السيد البطليوسي ص 187

التضبيب 33/3 والاماع 166 والتذكرة 145/2

التعجب، رواية الحديث من جهة التعجب 26/3

التقليد متبع الإجماع ليس بمقلد 66/5

تقسيم أنواع الحديث 65/5

التقول والوضع 49/2 مكرر

التنزيل طريقة المشاركة والعمل بالتنزيل 119/3

التكذيب 24/3

- ث -

الثقة 15/3 و81/3 و102/3 إن الثقة العدل لا يذكر خيرا عن النبي (ص)،
ولا سيما أن يكون فيه حكم، إلا بواسطة من يقبله 79/3

ليس بثقة 102/3 و18/6

الحديث الثلاثي 44/3

- ج -

الجرحة 15/5

جهل مجهول

25/3

- ح -

حجة، الاحتجاج، لا يجوز الاحتجاج به

26/3

حرف التحريف والتصحيح والقلب

23/2

الحسن

حفظ أحاديث غير محفوظة، إن كلاماً للبخاري ومسلم لا ينتج فيه أن يقال غير

13/3 و 22/6

محفوظ

- خ -

خرج التخريج النازل

40/2

الخطأ، الأمة في إجمالها معصومة من الخطأ

65/5

الخطأ والظن، الإلماع 116، 121

65/5

الحديث الحماسي

38/2

خلط مختلط

102/3

خماسيات الإسناد

84/3

خمن التخمين، التخمين ينافي الثقة

15/3

- د -

دلس، التدليس = انظر التدليس

- ذ -

ذاهب الحديث

85-26-24/3

ذاهب متروك

85/3

- ر -

45/3 الحديث الرباعي الإسناد

27/2 علم الرجال

66/5 رجح الترجيح

رجل الحديث = صاحب الحديث (انظر أصحاب الحديث)

11/5 حديث مرسل

الرواية، الرواية، مفاضلة بين حمزة الكناني وابن مالك في

27/6 الرواية

27/2 طلب علو الرواية في الحديث

- س -

85/3 ساقط الحديث، ساقط كذاب

77/3 ساوى، المساواة من حيث عدد الرجال

119/3 و 38/2 سباعيات الإسناد

13/3 سداسيات الإسناد

سند، أسانيد إفريقية وأندسية وأسانيد لا يوجد أكثرها بالبلاد

29/2 و 27/2 المغربية

29/2 سند غريب

سماع، السماع 2/2 و 40/2 والإلماع 74 والكفاية 76 و الخلاصة 100 سماع

كتب كثيرة في الحديث 13/2 والباعث 72

3/3 السماع على الأمي

- ش -

26/3 شغل، لا يشتغل به

- 59/5 الشك
- 22/6 الشكل، حديث مشكل
- 49/2 شاهد على (الحديث المسلسل بكلمة : شهد علي، شهد علي...)
- 25/3 شيء لم يكن بشيء
- ص -
- صاحب الحديث = أصحاب الحديث 5/6 و 11/2
- 65/5 صحيح، الحديث الصحيح
- الصحة والقطع بالصحة 66/5 وابن الصلاح 7 والباعث 21
- 23/2 صحف التصحيح
- 27/2 صناعة الحديث وعلم الرجال
- ض -
- الضبط والاماع 16/6 والكفاية 76 والباعث 56
- الضعيف 102/3 وشرف 119 وابن الصلاح 20 والباعث 22
- ط - طلب الحديث الواحد (ابن المسبب) كان يسير الأيام والليالي في طلب
- الحديث الواحد 78/5 و 22/3
- 88/6 طلب علو الرواية
- 38/2 الطريقة العالية
- 119/3 طريقة المشاركة والعمل بالتنزيل
- 16/3 طيور أنس، الأحاديث التي يرويها المسمون بطيور أنس
- وهي من الإشارات النادرة والغريبة في هذا الباب
- ظ -
- الظن، ظن الأمة يلزم عنه القطع بالظنون 66/5

65/5	الظن الراجح
66-65/5	ظن من هو معصوم من الخطأ
	- ع -
38/2	العالية، الطريقة العالية
	العدل و العدالة 76/3 والكفاية 99 وشرف 4 والإعتبار 12
26/3	عجب، رواية الحديث من جهة التعجب
26/3	عرج، لا يعرج عليه
12/3	الحديث العشاري
158/1	عضل العضلات والتذكرة
53-26/3	وقع عاليا
	علو التنزيل، يحمد العلو مع نظافة الإسناد، وإلا فالنزول هو المحمود 119/3
	وانظر أيضا ابن الصلاح 130 والخلاصة 59
40, 32/2	إسناد في النهاية من العلو
60/3	الندرة في العلو المعنوي
14/3	العوالي
90/3	الموافقة العالية
	العنينة 82/3 والنيسابوري 34 وإن الصلاح 28
	- غ -
	غرابية الاسم، راعب الناس في الأخذ عنه لغرابية اسمه
86/3	(وهذه من الالتفاتات النادرة في هذا الباب)
49/2 و 29/2	سند غريب، وحديث غريب
80/3	غمز الغمز

- ف -

فخر، حديث يفتخره، كان الحافظ السلفي يفتخر بالحديث (إن رجلا مات
فدخل الجنة... الحديث) ويقول لم يقع لي من هذا النمط إلا هذا الحديث 65/3

- ق -

القراءة والالاماع 69 والخلاصة 102 وارشاد الفحول 62

القلب والتصحيح 23/2 وابن الصلاح 48 والتذكرة 282/1

3/3

قوي ليس بالقوي

- ك -

كتب، لا يكتب حديثه، كتابة الحديث، من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء
لم يعد صاحب حديث 5/6 والالاماع 83، 87

كتب كثيرة، سماع كتب كثيرة في الحديث 13/2 وشرف أصحاب الحديث 87،
114، 127، 128

كذاب ساقط 85/3 والكفاية 117 والخلاصة 95

24/3

تكذيب

- ل -

لا يجوز الاحتجاج به 26/3 والكفاية 375

26/3

لا يشتغل به

26/3

لا يصدق في حديثه

12/3

لا يعرج عليه

85/3

لا يكتب حديثه

اللحن في الحديث 28/6 والكفاية 185 والباعث 75 وتأويل مختلف 9، 78

3/3	اللقاء، حدث عمن لم يلقه
25/3	لم يكن بشيء
11/6	ليس به بأس
	- م -
33/3	متروك الحديث 24/3، 26، 27، 48 مكرر، 85 المتن، صحة المتن 33/3
	والخلاصة 30
13/2	المجالسة
25/3	مجهول
	- م -
	متروك الحديث 24/3، 26، 27، 28 مكرر، 85
	المتن، صحة المتن 33/3 والخلاصة 30
13/2	المجالسة
11/3، 13/3	غير محفوظ
102/3	مختلط
11/5	مرسل
76/3	المساواة
63/7	مستفيض، حديث متفق على صحته مستفيض
22/2	مسلسلات
119/3	المشاركة والعمل بالتنزيل
22/6	مشكل
75/3	المصافحة
49/2	المعتزلة يستهزئون بالحديث

مقارِب الحديث : أي ليس بشاذ ولا منكر، ويقارب الناس في حديثه
ويقاربونه 109/3 المقابلة والكفاية 237

المناولة 2/2، 4، 13، 31، 46، 66، و74/3 الاماع 79 وارشاد الفحول 63
منكر الحديث 40/2 و26/3، 48 مكرر، 85، 102، والكفاية 138 وشرف 135 وابن
الصلاح 37 والباعث 36

الموافقات 90/3

الموافقات العالية 90/3

- ن -

النازل، التخريج النازل 40/2 و13/3 والنيسابوري 12 وابن الصلاح 130

الحديث النازل 13/3

النزول المحمود 13/3

نظافة الإسناد 13/3

نكر منكر الحديث 102/3

- و -

الوجادة 122/3 والخلاصة 113 والتذكرة 111/2

الوضع 49/2 مكرر وابن الصلاح 47 والخلاصة 76

وفق الموافقات 90/3

الوهم في الحديث 38/2

نسبة الوهم إلى مالك 12/5

كثرة الوهم وسوء الحفظ 80/3 و75/3

وسيلة الاتصال إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

صاحب المكس لا يجعل وسيلة للاتصال إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) 3/3
الوهم والاضطراب 25/5 وابن الصلاح 44.

المبحث الثالث : الفقه

إذا كانت الموضوعات الفقهية قد عرفت دراسة موسوعية ومتعمقة ومقارنة على يد علماء من الأندلس والمغرب قبل ابن رشيد فإننا لا نغفل عن بعض ما ساهم به، تلامذة ابن رشيد كابن جزي في كتابه القوانين الفقهية وأبي الحسن علي التسولي في كتابه البهجة في شرح التحفة وكذلك صاحبه أبو القاسم بن الشاط في كتابه ادرار الشروق على أنواء الفروق للشهاب القرافي، وبهذا لا يمكن أن ننسى أيضا حلقة الوصل بين هؤلاء جميعا وبين ابن رشد المشهور، وهي تتمثل في ابن رشيد الذي نحن بصدد دراسته، وبما أنه ليس بين أيدينا كتاب معروف له في الفقه، فإن تلاميذه خير دليل على أنه كان من أهل العلم بهذا الفن، ولهذا نجد منهج ابن رشيد في دراسة بعض المسائل الواردة في الرحلة يقترب من منهج ابن رشد¹ الذي كان يورد المسائل الفقهية على مذهب مالك ثم يضيف إلى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف بينه وبين الأئمة المشهورين كالشافعي خاصة وربما نبه على غيرهما.

ثم إننا نجد هذا المنهج واضحا عند أبي بكر بن جزي، الذي كان ينبه كذلك على مذهب أبي حنيفة وابن حنبل كما يتجاوز ذلك إلى الثوري والحسن البصري والأوزاعي وداود الظاهري الذي أكثر من نقل مذهبه¹.

ونحن إذ نورد القضايا الفقهية التي وردت في ثنايا الرحلة يجدر بنا أن نشير إلى أن ابن رشيد لم يدرج تلك المسائل في فصول معينة أو أنه كان يريد مناقشتها على طريقة الأجوبة في النوازل والفتاوي: أو بحثها في أبواب كما فعل أصحاب الكتب الأمهات

¹ : انظر مثلا كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

المشهورة أو الفقهاء في مصنفاتهم المختصة ولكننا نجد جلها قد جاء عرضا في رواياته عن شيوخه أو خلال مناقشات أولئك الشيوخ في المجالس العلمية، بل إننا لا نعثر على المناقشات الفقهية الواضحة والصريحة إلا في مسائل تتعلق بالحج، وذلك في تعيين مقاماته وأماكنه ومعالمه الشريفة، وذلك لضبطها على السنة الصحيحة.

وهذا ما يثير الانتباه أيضا كما رأينا من قبل في ضبط المسائل الجغرافية، وكأنه لا يهمه من المسائل الفقهية إلا ما يتعلق بالحج الذي كان هدفه الحقيقي من رحلته، ولهذا نجد في الجزء الخامس² سبع صفحات خصها بذكر تلك المسائل، بينما القضايا الأخرى ماثوثة هنا وهناك، بعضها في اقتضاب وبعضها في شيء من التفصيل.

ويبدو أن مصطلحات الفقه ومسائله جاءت في ما يقرب من خمسة وعشرين موضعا، ولكن ما يكتسي منها طابع المناقشات الفقهية لا يربو على خمس عشرة مسألة، بينما يدرج الباقي في مسائل الألغاز، أو ذكر فصول الكتب الفقهية، أو الإشارة إلى أبواب ما رواه بعض الشيوخ عن أساتذتهم، أو ما جاء في سياق الأحاديث والإستطراد إلى غير ذلك من المعارف.

¹ : انظر مثلاً كتابه القوانين الفقهية.
² : الرحلة 10/5 وما بعدها.

ويمكن تقسيم تلك المسائل إلى الأبواب الفقهية التالية :

- 1- الطهارة : وما يتصل بها كالوضوء والمسح والاستنجاء والنضح والاستحاضة.
 - 2- الصلاة : وما يتصل بها من النية العامة - والبسطة في رأي المذهبين المالكي والشافعي ومناقشة ذلك في تحرير مطول - ومسألة وجوب الوتر - والصلاة في مسجد النبي (ص) - وإعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا - والجمع بين الصلوات الأربع في غزوة تبوك - وعذر منع مالكا وأبا محمد الحجري عن صلاة الجمعة.
 - 3- الحج : وما يقوم به الناس فيه من البدع، ثم الأدعية فيه والأذكار - والاستسقاء - وذكر مسائل تتعلق بالطواف ومسألة العمرة بين الإيجاب والندب وغير ذلك مما سنفصله.
 - 4- الإرث : وفيه هل تنفذ الوصية لكتبة الحديث.
 - 5- البيوع : وفيها بحث في الشروط المقترنة بالبيع - وشهادة المكوس - والسلم - والخيار.
 - 6- الجنائز : وفيها قراءة سورة يس على الميت، وباب الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف.
 - 7- الطلاق : وفيه مسألة الحلف بالإيمان والعرف.
 - 8- وسأورد شيئا من الطرائف والنوادر الفقهية وشيئا من الحكايات التي يمكن أن تصنف في بعض تلك الأقسام السابقة وقد نبهت عليها في الدراسة الأدبية.
- وفيما يلي شيء من المسائل الفقهية التي وردت في الرحلة، مع الملاحظة أن بعضها قد ذكر في الحديث النبوي الشريف وغيره ولهذا لم أرد إعادته.

أعرابي يبول في المسجد :

فمن تلك المسائل¹ التي تتعلق بالطهارة ما يتصل بحدوث غريبة وقعت لابن رشيد بمسجد الخيف من منى، وذلك أن المسجد لم يكن له وقتئذ باب يصونه ولا سقف يكلنه، وبوسطه أو قريب منه موضع فيه تخصيص يقال إنه مصلى النبي (ص) وفي آخره في القبلة بقية سقف، وبينما ابن رشيد كذلك إذ جاء أعرابي إلى ناحية من نواحي المسجد فرفع ثوبه وبال فبادر الناس إليه وهموا به فصرههم ابن رشيد عنه، واستدعى ذنوباً من ماء فصبه عليه وأعلمهم بالسنة الواردة في ذلك الأعرابي البائل في مسجد النبي (ص)².

وابن رشيد في هذا المكان قد اقتدى بالحديث النبوي الشريف فقد روى عن أنس ابن مالك أن النبي (ص) رأى أعرابياً يبول في المسجد فقال دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه³.

وقد جاء هذا الحديث مسنداً إلى أبي هريرة قال : قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي (ص) : دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين⁴.

ويمكن أن نعتبر هذه الحادثة التي وقعت لابن رشيد من أبداع الموافقات في النوازل وأعظمها برهاناً على خدمة السنة النبوية لمصالح البشر وهدايتهم وإرشادهم إلى التي هي أقوم⁵.

الوضوء والرجلان في الخفين :

وفي خير مرفوع إلى ابن زنبور⁶ عن إسماعيل عن عبد الله بن دينار⁷ أنه سمع ابن عمر قال : قدمت العراق وسعد ابن أبي وقاص أمير بها فرأيتته يتوضأ ورجلاه في الخفين

¹ : الرحلة 25/5.

² : البخاري باب صب الماء على البول في المسجد 65/1.

³ : عمدة القاري شرح صحيح البخاري 124/3.

⁴ : عمدة القاري 127/3 وانظر ما يستتبط منه من الأحكام والفوائد في نفس المرجع 124/3 - 129.

⁵ : أنظر فهرست الحديث.

⁶ : الرحلة 16/3.

⁷ : عبد الله بن دينار مولى ابن عمر ثقة ثبت قال العقيلي في رواية المشايخ عنه اضطراب المغني 336/1.

فقلت : أراك تتوضأ ورجلاك في الخفين، فقال لي : هل علي في ذلك من بأس؟ فلم أقل له لا ولا نعم، فلما قدمنا على عمر رضي الله عنه قال سعد : رأييت الذي أنكرت علي، سل عنه أباك، قال عبد الله : فقلت لعمر: أيتوضأ أحدا ورجلاه في الخفين ؟ قال عمر : نعم، قلت : وإن ذهب الغائط فقال عمر نعم، وإن ذهب الغائط.

وفي هذا الخبر إشارة ضمنية إلى المسح على الخفين، فقد صح عنه (ص) أنه مسح في الحضر والسفر، ولم يتسخ ذلك حتى توفي، ووقت للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن في عدة أحاديث حسان وصحاح وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما إلا في حديث منقطع والأحاديث الصحيحة على خلافه¹ وقد عرف عن النبي (ص) أنه مسح على الخفين في غزوة تبوك².

وأما ابن رشيد فيرى أن الواجب مسح أعلى الخف، وإن مسح الباطن يعني أسفل الخف مستحب³.

النضح وحكمه :

وجرى الكلام يوما بحضرة أبي العباس بن الغماز⁴ في حكم النضح وكان هذا الشيخ يماشي ابن رشيد على طريقة النظر ويساحه في الاحتجاج للمنصور⁵ وإن كان ليس بالمشهور، فقال ابن رشيد: إنه لا يخلو أن تتحقق النجاسة⁶ وجرى في كلامه أثناء التناظر أن قال هذا هو المعروف، وكان حضر في المجلس شاب يعرف بـابن عيارة، لم يكن من عادته أن يحضر مجلس ابن الغماز فقال مبادرا : هذا المعروف يحتاج إلى معرف فخلج ابن رشيد وأعرض الشيخ عن ذلك الطالب.

فقد علق ابن رشيد على هذه المسألة بأنه سيوردها في المذهب المعروف من الأحكام، وهو على مذهب المالكية، ثم بسط القول في ذلك...

¹ : زاد المعاد 50/1

² : تنوير الجوالك شرح موطأ الإمام مالك.

³ : انظر تفصيل ذلك في بداية المجتهد 13/1 وكتاب العقيدة الطحاوية (تواتر المسح على الخفين ص 435).

⁴ : الرحلة 33/6.

⁵ : وهذه إشارة إلى العمل بالمذهب الظاهري.

⁶ : عمدة القاري 130/3.

وفي هذا النص إشارة إلى ما يسمى "المماشاة على طريق النظر" و"الاحتجاج بمذهب المنصور"¹ ثم قوله "بظاهر الأقوال" فلا شك أن هذا يدل على ما كانت عليه الحالة العقدية في أواخر عهد الموحدين وأوائل العصر المريني. إذ يتبادر إلى الذهن ما كان عليه الموحدون في الفترة الأولى من عهدهم من محاربة المذهب المالكي² وترويج المذهب الظاهري ولكن لم يستمر الأمر على تلك الحال في العهد المريني، ومع ذلك فإننا نجد بعض بوادر المذهب الظاهري في عصر المرنيين، وذلك في فترة ابن رشيد وبعدها خاصة، وبهذا ليس غريبا أن نجد بعض من كان ذا صلة وثيقة بابن رشيد كابن حيان الغرناطي نزيل القاهرة يرى أولا رأي الظاهرية، ثم تمذهب بعد ذلك للشافعي³ ولهذا أيضا لا عجب أن نجد من قال إن ابن رشيد كان كذلك ظاهريا⁴ وإذا اطلعنا كذلك على كتاب القوانين الفقهية لابن جزي وهو تلميذ ابن رشيد نجد أيضا أنه قد أورد كثيرا من آراء داود الظاهري وقد نبه على ذلك⁵. وهذا كله يفسر لنا أن هذا المذهب لم يكن منقرضا في هذه الفترة، وإنما كان قويا إلى حد ما ولو في بعض الكتب الفقهية ككتاب القوانين الفقهية أو مثلما نجد في هذه الإشارات السابقة.

إعادة الصلاة في الجماعة بعد صلاتها انفرادا :

ومن تلك المسائل إعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا⁶ فقد جاءت تلك المسألة عارضة في مناقشة "البسملة" التي جاءت في تحرير ابن عبد السلام وما يتصل بذلك من النية العامة والاكتفاء بها فيما ينوى بالفعل التقرب إلى الله وإنه مطلوب منه من غير أن يخصه بنية ندب أو وجوب، وهذا يقال في إعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا إذ إعادة بنية التفويض.

¹ : انظر كتاب القوانين الفقهية وكيف اهتم المنصور بالمذهب الظاهري ص 309. ثم أن الحفصيين كانوا يدعون للموحدين بعد زوالهم.

وانظر أيضا عن مسألة النضح أعلام الموقعين 396/2 : رد السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في الاكتفاء في بول الغلام الذي لم يطعم بالنضح دون الغسل كما في الصحيحين عن أم قيس ... الحديث.

² : انظر كتاب وحدة المغرب المذهبية للدكتور عباس الجراري 17، 18، 19.

³ : نفح الطيب 296/3. وانظر هذه المسألة أيضا : أي الانتقال من مذهب إلى آخر : كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي 179.

⁴ : أزهار الرياض 350/2 : ولكن المقري استدرك فقال : والمعروف أنه كان مالكيا.

⁵ : القوانين الفقهية ص 3.

⁶ : الرحلة 59/3.

وقد ناقش ابن رشيد هذه المسألة وأتى في ذلك برأي الجمهور¹ على أنها سنة أو فرض كفاية، والظاهرية على أنها فرض متعين ويستثنى في المالكية² من الصلاة : التي تعاد في المغرب والعشاء بعد الوتر والشافعية تسن إعادة الصلاة في الوقت مطلقا.³

صلاة الجمعة وعدم شهادتها :

ومنها مسألة عدم شهادة أبي محمد الحجري الجمعة مرة فقد أخبر أبو بكر بن حبيش تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو بكر بن محرز قال :⁴ كان شيخنا أبو عبيد الله الحجري بقي لم يشهد الجمعة نحو أربعين سنة، وكان يمنعه عن ذلك عذر كما منع مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان الناس يقولون : إنما يتركها لمكان ذكر الموحدين فيها، فكان يبلغ أمير المؤمنين المنصور، فيغضى عنه ويقول : لعل له عذرا. هكذا أورد الخبر في الرحلة، وورد كذلك في كتابه إفادة النصيح⁵ معززا بتعليق ابن رشيد عليه قائلا : وما حكاه شيخنا أبو بكر ابن حبيش عن شيخه أبي بكر بن محرز من قوله أنه لم يشهد الجمعة نحو من أربعين سنة لا يصح هذا العدد مع ما قدمناه⁶ من أن قدومه إلى سبته كان عام ثلاثة وستين وخمسائة هجرية (563هـ)، وبعد ذلك ولي الخطبة، ثم ذكر له بعض كراماته في ذلك الكتاب.

وقد وقع في سياق هذه الإفادة أيضا عدم شهادة مالك الجماعة والجمعة سبع سنين، ومما جاء في ترتيب المدارك⁷ أن محمد بن عمر قال : لما خرج محمد بن الحسن لزم مالك بيته فلم يخرج منه حتى قتل محمد، وذكرت بعض الروايات أعذارا أخرى، إلا أن عتيق بن يعقوب ومصعبا قالا إنه لما حضرته (أي مالك) الوفاة سئل عن تخلقه عن المسجد فقال : لولا أنني في آخر يوم من أيام الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم : سلس بولي⁸.

¹ : بداية المجتهد 102/1-103.

² : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة 435/4.

³ : نفسه 434/1.

⁴ : الرحلة 53/6.

⁵ : إفادة النصيح 90-91.

⁶ : نفسه 89.

⁷ : ترتيب المدارك 50/2، 51، 54.

⁸ : نفسه 55/2 وانظر أيضا فضل يوم الجمعة : البحر الزخار 3/3.

الوتر بين الوجوب والندب :

وفي خبر¹ منسوب إلى يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي قال : زعم أبو محمد بن أبي حاتم أن الوتر واجب. وقال عبادة بن الصامت : كذب أبو محمد.

ولكن إذا رجعنا إلى كتاب بداية المجتهد وجدنا أن عدد الصلوات الواجبة خمس فقط وهو قول مالك والشافعي والأكثر، أما أبو حنيفة وأصحابه فيرون أن الوتر واجب مع الخمس² وليس الاختلاف في حكمه فحسب، بل اختلفوا كذلك في صفته وفي وقته وفي القنوت فيه.³

وذكر ابن رشد في مقدماته أن أبا حنيفة ذهب إلى أن الوتر واجب ودليله في ذلك قول النبي (ص) : إن الله زادكم صلاة إلى صلاتكم ألا وهي الوتر. قال ومعنى ذلك عندنا زادكم ثوابا إلى ثواب صلاتكم، إذ لو كان المعنى ما ذهب إليه لقال : زاد عليكم صلاة إلى صلاتكم⁴ وذكر ابن حزم في كتابه الأحكام أن الوتر ندب⁵.

مسائل الحج وشعائره :

أما ما يتعلق بشعائر الحج فإن ابن رشيد خصها بمناقشات علمية مستفيضة ومفيدة يطبعها التحقيق والضبط والتوضيح⁶، لأنه كان ينبه على كثير من الدقائق والمسائل التي يقع الخلاف بين بعض العلماء والمذاهب، وكان ابن رشيد يعتمد في ذلك على أمهات كتب الفقه المالكية والشافعية وغيرها كالحنفية، وعلى المعاجم التي تحدد مشاعر الحج ومقاماته ومنها : حلية الناسك في صفة الناسك لأبي عمرو بن الصلاح⁷ الشافعي، والصحاح، ومعجم أبي عبيد البكري وكتاب مكة للأزرقي (هكذا سماه وهو كتاب أخبار مكة)، وكتاب الجواهر لابن شأس الفقيه المالكي وكتاب الشامل للجويني، وكتاب البارع للقالبي وكتاب الحاوي لأبي الحسن البصري، وعلى مؤلفات ابن جرير الطبري

¹ : الرحلة 11/5.

² : بداية المجتهد 64/1.

³ : نفسه 145/4.

⁴ : مقدمات ابن رشد 119 وانظر أيضا مناقشة المرتضى والصعيد في مسألة الوتر : كتاب البخر الزخار وكتاب

جواهر الأخبار الذي بهامشه 30/3.

⁵ : الأحكام في أصول الأحكام 476/3.

⁶ : الرحلة 4/5 وما بعدها.

⁷ : أشار إليه ابن خلكان ولم يذكر اسمه بالضبط 244/3 وانظر إيضاح المكنون 421/1.

ومحمد بن المواز والاسفرائني والقاسبي وشرف الدين النواوي وأبي الحسن اللخمي، وكتاب نصرة المذهب لأبي نصر الصباغ واكمال القاضي عياض وكتاب النهاية لابن الأثير وكان يعتمد في ذلك أيضا على أشعار العرب وغير ذلك مما يجري ذكره في لسان العرب.

ولعل الدافع إلى هذا التمهيص والتحقيق والتدقيق : ما كان يتوخاه ابن رشيد من محاربة البدع وتأييد السنة النبوية الشريفة والأمر بالمعروف والنهي عن كل ما لا يمت إلى الحق والسنة بصلة ومن أهم تكل القضايا التي ناقشها :

1- مسألة تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر، وهي مستحبة على حسب ما أفاده به صاحبه ابن الحكيم عن بعض شيوخه¹.

2- لما أشار أبو محمد المرجاني على ابن رشيد بموافقة الجمهور في التوجه، في الليل، إلى عرفات والمبيت هناك، استحسن هذا الرأي وقبله².

3- ذكر سنة رسول الله (ص) في المسير في اليوم الثامن من مكة إلى منى والمبيت به إلى يوم عرفة والمكوث هناك إلى ما بعد زوال الشمس يوم عرفة³.

4- يستحب من الوقف موقف الأنبياء صلى الله عليهم أجمعين⁴.

5- الذي ظهر من الحكمة الشرعية في مبيت الناس بمنى مواظبة الصلاة بمسجد إبراهيم ثم المجيء إلى الموقف لأجل الذكر والدعاء⁵.

6- ذكر بعض من حدد (عرفات) من أصحاب ابن رشيد: أن الحد الواحد منها ينتهي إلى جادة طريق المشرق وما يلي الطريق، والحد الثاني ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء بطن عرفات. والحد الثالث إلى الحوائط التي تلي قرية عرفة، وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة إذا صلى بعرفة والحد الرابع ينتهي إلى وادي عُرنة وليس من عرفات وادي عُرنة⁶ ولا

¹ : الرحلة 16/5.

² : نفسه.

³ : الرحلة 17/5.

⁴ : الرحلة 17/5.

⁵ : الرحلة 18/5.

⁶ : معجم البلدان : 111/4 : بطن عرفة مسجد عرفة والمسبل كله.

نَمْرَةً¹، وهي في بطن عُرَّة ولا المسجد الذي يجمع فيه الإمام الصلاتين ويقال له مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم وليست عرفات من الحرم وينتهي الحرم من تلك الجهة عند العلمين المنصوبين عند منتهى المأزمين² وهما معروفان ظاهران³.

7- قال أبو عمرو بن الصلاح والجويني إن المسجد الشريف مقدمته في وادي عرنة لا في عرفات، وأواخره في عرفات يتميز عما ليس منها بصخرات كبار فرشت بذلك الموضع، وقال أبو عمرو رحمه الله هذا يخالف إطلاق الشافعي بأن المسجد ليس من عرفات، فلعله زيد بعده فيه وعرفات القدر الذي ذكره الجويني⁴.

8- ذكر قول ابن شأس أن الواجب على الوفود الحضور في جزء من أجزاء عرفة سوى بطن عُرَّة فإن وقف ببطن عُرَّة لم يجز لأنها من الحرم وإن وقف بالمسجد⁵.

9- كانت الصلاة تجمع في مسجد إبراهيم عليه السلام قبل أن تتغير الأمور ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن النكر⁶.

10- استنكار ابن رشيد ما رآه ليلة عرفة من ابتداع العامة من وقد الشموع واختلاط الجنسين⁷.

11- التنبيه على الخطأ الذي يقع من الناس في أنهم جعلوا الجبل هو الركن في الوقوف بعرفات، فهم بذكره مشغوفون، وإنما الموقف موقف الرسول (ص)⁸.

12- في صحيح مسلم أن رسول الله (ص) ركب إلى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حَبْلَ المشاة بين يديه واستقبل القبلة : وقد ضبطه غير واحد من المصنفين بقولهم حبل المشاة بالحاء المهملة، وجعله من جبال الرمل⁹.

13- إن موقف النبي (ص) كان بين الأجل : النبعة والنيبعة والنابت¹.

¹ : نمرة : ناحية بعرفة نزل بها النبي (ص) معجم البلدان 304/5.

² : المأزمان موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة، وهو إلى ما أقبل على الصخرات التي بها موقف الإمام إلى طريق يفضي إلى حصن وحائط بني عامر معجم البلدان 40/5 وأخبار مكة للأزرقي في أماكن كثيرة، أنظر فهرست الأماكن .

³ : الرحلة 19/5.

⁴ : الرحلة 18/5.

⁵ : الرحلة 18/5.

⁶ : الرحلة 18/5.

⁷ : الرحلة 18/5.

⁸ : الرحلة 19/5.

⁹ : الرحلة 17/3.

- 14- قال أبو عمرو بن الصلاح : إذا كان أحدنا راكبا فليخالط بدابته الصخرات وليداخلها كما روي عن رسول الله (ص)، ومن كان راجلا فينبغي له أن يقوم على الصخرات أو عندها على حسب ما يمكنه من غير إيذاء أحد².
- 15- عند موافاة بطن مُحَسِّرٍ ينبغي الإسراع عنده، ومن كان راكبا فحكمه أن يحرك دابته وليس وادي محسر من المزدلفة ولا من منى وهو مسيل بينهما³.
- 16- قال أبو عمرو بن الصلاح : إن المعروف في أمهات الكتب الفقهية أن المشعر الحرام هو المزدلفة مجملتها. وفي الآثار ما يشهد لكل واحد من القولين⁴.
- 17- قد استبدل الناس بالوقوف على الموضع المسمى مزدلفة: الوقوف على البناء المستحدث في وسط المزدلفة⁵.
- 18- ومنى حدها ما بين مُحَسِّرٍ إلى العقبة التي ترمى إليها جمرة العقبة ومنى شعب، وما أدبر منها فليس من منى⁶.
- 19- ما أحاط بالبيت ملتصقا به أسفل الجدار ما بين الركنين الجانبيين يسمى بالشاذروان، وكان بسيطا ثم رصف في هذا العهد الأخير (من عهد ابن رشيد) حتى صار كأنه مثلث احتياطا فيما زعموا على الطائفين أن لا يفسدوا طوافهم إذا طافوا ماشين عليه، ولا يصعده إلا الجاهل فيبطل طوافه⁷.
- 20- إذا اضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها⁸.
- 21- إذا دخل إلى المسجد فليؤم الحجر الأسود وهو في الركن الذي يلي باب البيت في صوب المشرق ويسمى الركن الأسود ويقال له وللركن اليماني الركنان اليمانيان⁹.

¹ : الرحلة 17/5.

² : نفسه.

³ : الرحلة 20/5 ومعجم البلدان 62/5 : موضع بين مكة وعرفة وقيل بين منى وعرفة وقيل بين منى ومزدلفة، وليس من منى ولا المزدلفة بل هو واد برأسه.

⁴ : الرحلة 20/5.

⁵ : الرحلة 20/5.

⁶ : نفسه ومعجم البلدان 108/5 : منى من مهبط العقبة إلى محسر.

⁷ : الرحلة 21/5.

⁸ : الرحلة 112/5.

⁹ : الرحلة 112/5.

22- المستحب أن يستقبل الحجر الأسود بوجهه ويدنو منه بشرط ألا يؤدي أحدا بالمزاحمة، فيسلمه بيده أو كليهما. ثم يقبله من غير صوت ويسجد عليه ثلاثاً¹.

23- يمشي الحاج طائفا حول البيت أجمع فيمر على الملتزم إلى الباب ثم إلى الركن الذي يسمى بالركن العراقي، وهو الثاني بعد الأسود، ثم يمر على الحجر وهو في صوب الشام والمغرب فيمشي حوله إلى أن ينتهي إلى الركن الثالث الذي يسمى الركن الشامي ويقال له وللركن اليماني الذي قبله : الركنان الشاميان وربما قيل الركنان الغربيان ثم يدور خلف الكعبة سائرا إلى أن ينتهي إلى الركن الرابع والمسمى بالركن اليماني ثم يسير إلى الحجر الأسود حتى يعود إلى الموضع الذي بدأ منه وهكذا سبع طوفات.²

24- ثم خصص ابن رشيد الركنين اليمانيين بآراء كثيرة ونقل من كتاب أبي نصر الصباغ والشافعي والقاضي عياض وغيرهم وأتى في ذلك بموافقات وفوائد وغرائب وأخبارا عن تاريخ الكعبة³.

25- وأورد ابن رشيد قصة يفهم منها أن الصيد ممنوع على المحرم⁴.

العمرة بين الوجوب والندب :

ومن ذلك مسألة العمرة بين الوجوب والندب⁵ فقد استفتى ابن رشيد يوما شيخه الإمام أبا محمد بن عبد القادر البجائي عن تردد نظره في العمرة لاختلاف العلماء رضي الله عنهم في الوجوب والندب هل يأخذ بالنية العامة، وهو القدر المشترك بين الوجوب

¹ : الرحلة 112/5.

² : الرحلة 112/5.

³ : الرحلة 22/5، 23، 24، 25..

⁴ : انظر القرآن ودراسته من هذا البحث والأحكام لابن حزم 476/3.

⁵ : الرحلة **.

والندب؟ فقال مجيبا : يقلد من يقول بالوجوب أو الندب فهو أولى من هذا النظر¹
وذكر ابن رشد أن العمرة على مذهب مالك سنة وليست بفريضة.²

الوصية لكتبة الحديث :

ومن ذلك ما قرأه ابن رشيد³ على أبي الصفاء المراغي مسندا إلى أبي الطاهر السلفي، قال : فقد كنت استفتيت أبا الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا ببعداد سنة 495 هـ أوقبلها أو بعدها بقليل - بكلام جرى بين الفقهاء في المدرسة النظامية التي هو مدرستها: " ما يقول الإمام وفقه الله في رجل وصى بثلاث ماله للعلماء والفقهاء وهل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أو لا ؟ "

فكتب بخطه تحت السؤال : نعم، وكيف لا وقد قال النبي (ص) من كتب على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما.

ويظهر من رد الشيخ ذلك الحرص الشديد على تكريم المحدثين والاهتمام بهم، فقد جاء عن النبي (ص) قال: سياكم شباب من أقطار الأرض يطلبون الحديث فإذا جاؤكم فاستوصوا بهم خيرا⁴.

وجاء في شرفهم والرفع من قدرهم: "من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما" وغير ذلك من الأحاديث⁵.

الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف

فقد أخبر ابن الغماز ابن رشيد برواية أبي الربيع بن سالم بسنده إلى البخاري قال : باب الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف ومن كفن بغير قميص... الحديث.

انظر فهرست الأحاديث.⁶

الحلف بالإيمان والعرف :

¹ : القوانين الفقهية لابن جزي 105 أن العمرة سنة مؤكدة وانظر الخلاف في الفقه على المذاهب *** وبداية المجتهد /1 243 وفقه السنة للسيد سابق 633/1 و1534/1 .

² : مقدمات ابن رشد 304.

³ : الرحلة 54/3.

⁴ : شرف أصحاب الحديث 21، 22.

⁵ : نفسه 19، 20.

⁶ : الرحلة 22/6 وانظر أيضا في هذه المسألة البخاري 88/2 وأعلام الموقعين 86/1 والاعتبار للحازمي 132 وتفسير القرطبي سورة التوبة 84.

ومن ذلك مسألة الإيمان والحلف بها وقضية العرف¹.

فقد جرى الكلام يوما في مجلس الإمام أبي محمد عبد القادر البجائي مسألة الحلف بالإيمان اللازمة في أن عرف الزمان أن يفتى فيها بالطلاق الثلاث، ف قيل إن المسألة فيها إشكال، وإبقاؤها في عصمة الأول أولى من إحلالها لتسليم عصمة أخرى عليها، فإن العصمة الأولى كانت مضعفة وإنما عرض شك في الاستصحاب. وقال : لسنا نأمره بإنشاء طلاق آخر، وإنما يحكم عليه لحل العصمة بحنثه بالإيمان اللازمة، وذلك أمر مشكوك فيه وإلغاؤها في العصمة أولى من تسليط عصمة أخرى بالشك أو معنى هذا الكلام.

وقد علق ابن رشيد على ذلك قائلا : إن حجة القائلين بأنه يقضى فيها بالثلاث لأنها قد صارت في عرف العامة علما على الثلاث فهو كمن طلق بغير لغة الطلاق ونوى به الطلاق، بل هذا أقوى لأنه لفظ يصح التجوز به إلى الطلاق لاشتراكهما في معنى اليمين والمعتبر في ذلك عرف الحالفين لا عرف المفتين، فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه أن يراد به الطلاق الثلاث ولم يجزئه أن يفتي فيه بذلك ولا يحل للمفتي أن يفتي بما يتوقف على العرف إلا بعد معرفته. فاعلم ذلك فإنه من المهم² وقد زل بسببه قوم والله الواقى من الزلل.

فابن رشيد هنا يناقش هذه المسألة الفقهية وينبها إلى مسألة العرف وأثرها في توجيه الأحكام الشرعية والمشاكل الفقهية خاصة، وممن ناقش هذه المسألة ابن القيم الذي يقول إنه لا يجوز للمفتي الإفتاء إلا بالأعراف في بعض المسائل³ وإن لم يفعل ذلك ضل وأضل، وممن بحث هذه المسألة أيضا شهاب الدين القرافي⁴ الذي يقول إنه يلزم المفتي ونحوه ملاحظة العرف لأنه لا يجوز له أن يفتي في الإقرار والأيمان والوصايا وغيرها مما يتعلق باللفظ بما اعتاده هو من فهم تلك الألفاظ دون أن يعرف عرف أهلها والمتكلمين بها فيحملها على ما اعتاده وعرفوه وإن كان مخالفا لحقائقها.⁵

¹ : الرحلة 33/6.

² : قال ابن قيم في أعلام الموقعين 138/4 بمراعاة نية الحالف وانظر أيضا مثل هذه المسألة في المرجع نفسه 1/

34 و151/4.

³ : نفسه 289/4.

⁴ : الفروق للإمام شهاب الدين القرافي وبحاشيته كتاب إدراج الشروق على أضواء الفروق لابن الشاطب صاحب ابن رشيد

43/1.

⁵ : أعلام الموقعين 289/4.

الشروط المقترنة بالبيع :

ومن تلك المسائل التي بحثت في الرحلة مسألة الشروط المقترنة بالبيع¹ فقد سمع ابن رشيد عن شيخه ابن زيتون يقول في بعض مجالسه في الشروط المقترنة بالبيع أنها على ضروب ثلاثة: شرط يقتضيه أصل البيع وشرط لا يقتضيه أصل البيع ولا ينافيه وشرط لا يقتضيه أصل البيع وهو مع ذلك ينافيه.

ثم فصل الكلام في ذلك.

ويظهر من هذا النص أن ابن زيتون قال بما ساقه ابن رشد وذلك وفق مذهب مالك² الذي تنقسم عنده الشروط إلى ثلاثة أقسام وهي شروط تبطل هي والبيع معا وشروط تجوز هي والبيع معا وشروط تبطل وتثبت البيع.

قال عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : قد أطلق بعض أكابر أصحاب الشافعي³ رحمه الله أن الخروج من الخلاف حيث وقع أفضل من التورط فيه. فقال ابن رشيد : ليس الأمر كما أطلق بل الخلاف على أقسام. ثم ذكر من هذه الأقسام ما يخص منها التحريم والجواز والاستحباب والايحباب.

وقد ذكرت هذه المسألة في قضية البسملة وقراءتها عند المالكية والشافعية وذلك بعد أن لقي ابن رشيد شيخه ابن دقيق العيد.

الصدقة :

ومما ورد في نثر ابن دحية، ويمكن أن يدرج في أبواب الفقه قوله : "أجاز مالك أن تدفع الصدقة لمن له الدار والخادم والفرس وأبو حنيفة يشترط النصاب، والشافعي يشترط القوت".⁴ وقد ورد ذلك في نثره الذي استعمل فيه ألفاظا غريبة (انظر النثر)

الشهادة والعمل بالفرائض :

وجاء في معرض ذكر حديث أن رسول الله (ص) قال : "من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه وأن محمدا رسول الله دخل الجنة" أن هشام بن عبد الملك قال لابن

¹ : الرحلة 15/6.

² : بداية المجتهد 120/3.

³ : البحر الزخار للمرئضي 432/4 (باب الشروط المقارنة للعقد).

⁴ : الرحلة 59-58/3.

شهاب : أبلغك أنه من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال له : يا أمير المؤمنين كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض، فلما نزلت الفرائض لم تنفع لا إله إلا الله إلا بأدائها. وقد جاء هذا الخبر في الخلعيات.¹

الإجماع والاجتهاد :

إن الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعة بها، وقد وردت هذه المسألة في ذكر التقليد وقول ابن الصلاح أن متبع الإجماع ليس بمقلد ورد ابن رشيد أن هذا الإجماع مصادم بعمل العلماء في أعمال الترجيح.²

نوادير وحكايات فقهية :

ومن النوادر³ والنكت الواردة في الرحلة ما حدث به أبو الحسن بن ديسم شيخ ابن رشيد بتونس وقد حدث بها عن منشئها أبي الربيع بن سالم وذلك في أواخر ربيع الأول عام 686هـ فقد قال السائل الممتحن لفقيه لحن⁴ أيجوز الوضوء بالهمام؟ فقال هو كما الغمام.

والهمام ما ذاب من البرد.

وقال: هل يسوغ الوضوء في قدح النضار، قال أي ومالك الليل والنهار والنضار شجر النبع.

وقال : فما ترى في الوضوء بعين التمر ؟ قال : لازم لمن حمله بحزم الأمر.

وعين التمر مكان معروف.

وفي باب الصلاة قال : فمن استنجى ثم صلى ؟ قال نعم ما تولى.

والمستنجي الذي يحل نجوا من الأرض وهو المكان المرتفع الذي يظن أنه نجاوة.

قال فإن صلى المكتوبة على أحد الفحول ؟ قال صلاته جائزة بجلي من النص

والتأويل.

¹ : الرحلة 78/5.

² : الرحلة 65/5.

³ : الرحلة 64/6.

⁴ : لحن الرجل إذا أخطأ ويقال أيضا إذا أصاب وفطن، وانظر له معاني أخرى : الزاهر لابن الأتباري 488/1..

والفحول جمع فحل وهو الحصير المتخذ من فُحال النخل ومن باب الصيام قال:
من أفطر في رمضان بعد العصر وقد أظلم. قال : أصاب وما ظلم.

أي بعد أن عصر شيئاً مما يتناول بعد العصر وأظلم أي دخل في الظلام.

ثم مشى على هذا المهيح على ما تيسر له من أبواب الفقه ومن النوادر الفقهية ما
أخبر به الشيخ أبو بكر بن حبيش قال : أخبرني سهل بن مالك¹ قال :

لما تسمى أبو العلاء بأمير المؤمنين كان يحضر مجلسه الطلبة فيتذاكرون بين يديه
ويتكلم أمير المؤمنين، فتكلم يوماً فقال : السلم بسكون اللام وهو يعني الذي هو من
أقسام البيوع، قال سهل : فأعدت السلم بسكون اللام وقلت قال الفقهاء في السلم
بفتحها والسلم من حكمه كذا وكررت مرات معتنياً بفتحة السلام فنظرت إليه يحدق إلى
النظر كالمصغي لما أقول فلم يعدها إلى أن انقضى المجلس، فلما وصلت منزلي أدركني
بعض ملاكه ومعه كسوة من ثيابه وصرة فيها خمسمائة دينار، وآخر بفرس مطهم فقال
مولانا يقرأ عليك السلام ويقول لك هذا من ثيابه ومن ركابه تصلي فيها وتدعو له وهذا
برسم البعثة.

¹ : سهل بن مالك كاتب مجيد ظريف الدعابة انظر الإحاطة 277/4 والذيل والتكملة ص 101.

المبحث الرابع : الأصول

كان لعلوم أصول الفقه أهمية كبرى في الدراسات الإسلامية لأنه يمثل المنهج السليم للتعامل مع النصوص من أجل استنباط الجيد منها، فإذا ذهبنا إلى أن أول من صنف في علم الأصول هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي¹ فإن العلماء قد أخذوا أنفسهم بالإطلاع على مباحث هذا العلم، إذ قلما نجد جهبا منهم إلا وله مشاركة في الموضوع على اعتبار أن هذا العلم يؤكد لأهلية العالم للخوض في القضايا الإسلامية لذلك لم يكن غريبا أن نلتمس القاعدة الأصولية عند ابن رشيد على اعتبار أن علم الأصول يمثل الأداة التي تتيح للعالم مناقشة القضايا الإسلامية.

فقد كان من بين الشخصيات اللامعة التي تركت أثرها في الفكر الإسلامي عامة والفقه والأصول خاصة أولئك الأصوليون المشهورون الذين كانوا ولا يزالون قطب الرحا في هذا الميدان، ولهذا لا تزال كتبهم وأفكارهم وآراءهم مصادر لذلك العلم. فعلم الأصول والفقه والتصوف لا يمكن أن يطرح موضوعها في هذا العصر الذي نحن بصدده دون أن نأخذ بعين الاعتبار أمثال الغزالي² وابن العربي³ وابن رشد⁴ وابن الجوزي⁵ وابن الصلاح⁶ وابن الحاجب⁷ وابن المنير⁸ وإذا عرفنا أن هؤلاء كانوا كلهم مصادر لرحلة ابن رشيد أدركنا مدى ارتباط أفكارهم ببعض المسائل الواردة فيها من الأصول.

وينبغي كذلك أن نعرف أن ابن رشيد كان متأثرا بشيوخه وأصحابه الأصوليين كتاج الدين الفركاح⁹ وابن دقيق العيد¹⁰ وأبي القاسم ابن الشاط الأنصاري¹¹ وابن البناء المراكشي¹² وأبي المعالي الأصبهاني إمام الخلافات في

عهده.

¹ : انظر مثلا كشف الطنون وكتاب الفتح المبين في طبقات الأصوليين (الكشف 110/1 والفتح ص 6) وذكر أول من صنف في علم الأصول.

² : الفتح 8/2.

³ : نفسه 14/2.

⁴ : نفسه 20/2.

⁵ : نفسه 40/2.

⁶ : نفسه 63/2.

⁷ : نفسه 65/2.

⁸ : نفسه 84/2.

⁹ : نفسه 92/2.

¹⁰ : نفسه 102/2.

¹¹ : نفسه 123/2.

¹² : انظر من القيههم بمراكش.

وسأورد في هذه العجالة شيئا من المناقشات الأصولية التي وردت في الرحلة وذلك على ندرتها :

كان ابن رشيد يتناول في رحلته تحليل بعض النصوص على طريقة الأصوليين ويستعمل مصطلحاتهم، وهذا مما يدل على تضلعه من كثير من العلوم وتكوينها لشخصيته، فقد كان علم الأصول علما رفيعا لن يطرق بابه إلا العلماء، ولم يمارس دراسته إلا المجتهدون ورجال الإفتاء، ولزم من معرفته لأهل الاجتهاد والاستنباط أن يكون كاملا في مجوئه، ولهذا عكف المحدثون وعلماء الجرح والتعديل على الأهتمام بهذا العلم² ولما كان الواجب على كل خائض في علم من العلوم أن يحيط علما بموضوع ذلك العلم³ فإنه يتحصل لدينا أن ابن رشيد كان له إلمام بذلك وإحاطة به، وإن كانت بعض المسائل وردت في الرحلة على سبيل الإجمال، فإنها عناوين صغيرة تدل على الإحاطة بما يعظم قدر الفقيه ويشرفه ويظهر رونق الفقه ويعرفه⁴.

ولأجل الاهتداء إلى بعض ذلك نورد مناظرة وقعت بين أبي القاسم بن زيتون التونسي وبين ابن رشيد في قوله صلى الله عليه وسلم : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، فعقب عليه ابن رشيد بقوله يرجح فهم من قال حكم، على من قال إثم، فقال له ولم فرد عليه : لأنه لما سلط المتكلم البليغ الرفع على مالا يمكن رفعه جنسا علمنا أن مراده رفعه حكما، لأن الحكم يتضمن رفع لوازم الحقيقة. ثم راجع ابن رشيد فكرته بنفسه وعاد إلى الموضوع منتقدا ومصححا ومدققا بعد أن ستحسن ابن زيتون كلامه. ثم أضاف قائلا : ويمكن غيري أن يقول من ترجيح قول مالك رحمه الله : إن من المعلوم في الأصول أن المحذوف يتقدر بمقدار الضرورة، ولا بد من حذف هنا وتقدير إثم أخص من تقدير حكم أعم، فهو مساواة في مقدار اللفظ، ولم يساوه في مقدار المعنى، ولأن رفع الإثم مجمع عليه، والزائد مختلف فيه، فكان تقرير المتفق عليه أولى، ويظهر أن ابن رشيد كان يفكر في المسألة تفكيراً عميقاً بعد مغادرة شيخه، ولهذا عقب على قوله : بأن هذا شيء ظهر له بعد مفارقة الشيخ رضي الله عنه وهو مقتبس من أنواره مقتدر فيه بواضح آثاره.

¹ : مفتاح الوصول للتلمساني ص : ر.

² : تخريج الفروع على الأصول للزنجاني 33.

³ : ادرار الشروق لابن الشاط 3.

⁴ : الرحلة 13/6.

وقد آثار الزنجاني هذه المسألة في كتابه فيما ذهب القدرية والحنفية، التي رأت في قوله (ص) "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" أن هذا مجمل لا يجوز الاحتجاج به لتردده بين الصورة والحكم، وعقب على رأيهم بفساد ما اعتقدوه، لأن نفي الصورة لا يمكن أن يكون مراداً لما فيه نسبة كلامه (ص) إلى الخلف، فكان المراد رفع حكمه على ما قرره في مكان آخر من كتابه¹.

. وأشار صاحب تهذيب الفروق إلى هذا الحديث وقال إن معناه متفق عليه، لأنه ثبت في الشرع إقالة عشرات ذوي الهيئات في الزلات وأن لا يعاملوا بسببها معاملة غيرهم، ففي الحديث : أقيلا ذوي الهيئات عشراتهم، وفي حديث آخر : تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة والصلاح² معنى ذلك.

وقال التلمساني في الكلام الذي يتوقف صدقه على الإضمار أن الذي يعين المضمّر هو العرف في مثل هذا رفع المؤاخذه أي لا تؤخذ أمتي بخطأ ولا نسيان³.

وقد فصل سيف الدين الآمدي هذه المسألة في كتابه الأحكام وقال إنه لا إجمال في قوله (ص) : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان"⁴

وأشار سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي إلى الخطأ في الحكم فقال: والخطأ عند الجمهور معناه عدم مصادقة ما حكم الله به بعينه في نفس الأمر⁵.

أما ابن حزم فإنه لما تكلم على الإجتهد والخطأ ورد في سياق كلامه قوله تعالى: "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم" وعلق على ذلك بقوله: فصح بالنص أن الخطأ مرفوع عنها، فمن حكم بقول ولم يعرف أنه خطأ وهو عند الله تعالى خطأ فقد أخطأ ولم يتعمد الحكم بما يدري أنه خطأ، فهذا لا جناح عليه في ذلك عند الله تعالى، وهذه الآية عموم، ودخل فيه المفتون والحكام والعاملون والمعتقدون، فارتفع الجناح عن هؤلاء بنص القرآن فيما قالوه أو عملوه مما هم مخطئون فيه⁶.

¹ : تخريج الفروع 185.

² : تهذيب الفروق 182.

³ : مفتاح الوصول 51 وانظر أيضا البحر الزخار 291/2 وجامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي 352.

⁴ : الأحكام في الأحكام 18/3.

⁵ : نشر البنود في مراقي السعود 329/2 طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث.

⁶ : الأحكام في أصول الأحكام 1482/8.

عند الله تعالى، وهذه الآية عموم، ودخل فيه المفتون والحكام والعاملون والمعتقدون، فارتفع الجناح عن هؤلاء بنص القرآن فيما قالوه أو عملوه مما هم مخطئون فيه¹.

ومن المباحثات الأصولية ما جرى بين ابن رشيد وبين أبي القاسم ابن زبتون في مسألة أي المجازين أرجح ؟ : هل إطلاق السبب على المسبب أو العكس ؟ يعني إطلاق المسبب على السبب.²

فقال ابن زبتون إن إطلاق السبب على المسبب أقوى، لأن السبب الخاص يشعر بسبب خاص، والمسبب الخاص لا يشعر إلا بسبب عام.

ثم أوضح ذلك بقوله : ألا ترى إنك إذا قلت : أكلت خبزا كثيرا أشعر عادة بالشبع، وإذا قلت شبعت أشعر بمأكل ما من غير خصوص، فقال ابن رشيد : وهذا معنى قولهم: إطلاق السبب على المسبب أقوى من إطلاق المسبب على السبب لإستلزام العلة المعينة المعلول المعين، وإستلزام المعلوم المعين مطلق العلة لجواز تعليل الواحد بالنوع - بالعلل المختلفة. ثم أيد ذلك بأمثلة منها قوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"، فقد سمي عقوبة الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء ومثله قوله تعالى : " فلا عدوان إلا على الظالمين". وغير ذلك.

ويظهر من خلال هذا النص أن المجاز كان من المسائل الدقيقة والمهمة التي لفتت انتباه الأدباء والبلاغيين والنقاد والأصوليين والفقهاء على السواء، حتى اختلاف الأئمة في مفهوم الحقيقة والمجاز³ دعا إلى الاختلاف الكبير بين أكابرهم⁴ فمثلا إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن يكون كلاهما مرادا عند الشافعي بينما يرى أبو حنيفة أنه لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز.

1 : الأحكام في أصول الأحكام 1482/8.

2 : الرحلة 14/6-15.

3 : الأحكام لابن حزم 531/1.

4 : تخريج القروع على الأصول للزنجاني 68. انظر عن السبب والمسبب وما يتعلق بذلك كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص 55 وما بعدها.

المبحث الخامس : الزهد والتصوف

كان القرن السابع الهجري يمثل تلك الفترة التي تميزت بكثرة المتصوفين وشيوع المؤلفات الكبرى في التصوف، وقد جاءت هذه الفترة بعد أن عانى علم التصوف الأمرين من خصومه في القرون الثلاثة الأولى، إذ كان التصوف حتى القرن الثالث أسلوباً من أساليب الزهد، ثم بدأ يتجه نحو الفلسفة¹، وفي العصر الذي نحن بصدد دراسته كان يقوم على أساس منهج استبطان النفس وتحليل لأحوالها، كما نجد ذلك في شعر الحلاج ورابعة العدوية، هذا علماً بأنه قد مرت مرحلة التوفيق بين التصوف وخصومه في القرن الخامس الهجري على يد الغزالي الذي كان يرى أن التصوف عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله، وأن حاصل ذلك يرجع إلى عمل القلب والجوارح، وبين الغزالي أيضاً شواهد شرعية على صحة طريقة أهل التصوف في اكتساب المعرفة، لا من التعلم ولا من الطريقة المعتادة، ولكن عن طريق الكشف والإلهام²، أما أبو نعيم الأصبهاني فيرى أن المتصوفة يلزمون أنفسهم دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ومفارقة الراحة، وأن مباني المتصوفة المتحققة على أربعة أركان، وهي معرفة الله ومعرفة أسمائه ومعرفة النفوس ومعرفة وساوس العدو ومعرفة الدنيا³، ويلاحظ كذلك في القرن السابع الهجري شيوع ذلك الاتجاه المتأثر بالغزالي، وذلك لما كثرت الطرق الصوفية المنتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه⁴.

وعلى الرغم من أن الإفادات الواردة في الرحلة عن الزهد والتصوف قليلة، والإشارات إلى بعضها عابرة، تساعدنا، مع ذلك على تعرف بعض التيارات العقدية الرائجة في هذا العصر والذي قبله.

وسأورد في هذه العجالة ثبناً فيه إفادات ومعلومات عن المسائل التصوفية وأشير إلى مكان ورودها في الرحلة، وأنه مرة أخرى على شيء من أخبار الزهاد والمتصوفين، وأتبع ذلك برقم مسلسل، وأنه من حين لآخر على أن هذا الخبر قد مر ذكره مثلاً في تلك القائمة وأشير إلى الرجوع إلى تراجم خاصة في غير ذلك من الكتب.

¹ : فلاسفة الإسلام في الغرب الإسلامي ص 83 (جمعية نبراس الفكر ط 1 سنة 1061).

² : إحياء علوم الدين 1089/6.

³ : حلية الأولياء 24/1.

⁴ : الرحلة 97/3 (وانظر عقيدة ابن رشيد في هذا البحث، قبل، وكتابة العز الحارثي كتباً إلى أمراء الطوائف وإلى بعض أهل دمشق وانتفاع ابن رشيد بتلك الكتب).

المتصوفون والزهاد وبعض مسائل التصوف :

ابن حبيش = محمد بن حسن

ابن الخيمي = محمد بن عبد المنعم

ابن زيتون = ي أبو القاسم بن أبي بكر

ابن سامة الطائي = محمد بن عبد الرحمن

ابن سبعين = عبد الحق بن اسحق (انظر الرقم المسلسل 37)

ابن السماط (الحماط) = يوسف بن علي

ابن الظاهري = أحمد بن محمد

ابن عربي = محمد بن علي

ابن العريف = أحمد بن موسى

ابن عساكر = عبد الصمد

ابن الفارض = عمر بن علي

ابن القاهري = عبد الله بن الحسن

ابن القاهري = عيسى بن الحسن

ابن قطرال = محمد بن علي

ابن لكوط = أبو إسماعيل

ابن مبارك = عبد الواحد بن محمد

ابن محرز = محمد بن محمد

ابن مسدي = محمد بن مسدي

- 1- أبو إسماعيل بن عبد السلام الدكالي المعروف بابن لكوط الرحلة 108/3، وقد سمع جميع كتاب عوارف المعارف على مصنفه أبي عبد الله عمر بن محمد البكري السهروردي.

2- أبو بكر بن عمر القسطنطيني. انظر ترجمة 149 من هذا البحث وطبقات الشافعية الكبرى 213/6.

3- أبو القاسم بن أبي بكر اليميني المشهور بابن زيتون الحلة 11/5 و 15/6، انظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

4- أحمد الرفاعي الكبير الرحلة 54/2 و 9/5 : وقد نقل ابن رشيد من خط أبي اسحق البلقيني مما انتقاه من مشيخة الحافظ جمال الدين المهلبى أن أبا عبد الله محمد بن أبي البركات بن أبي الخير الحراني، وهو شيخ ممن ذكر أنه قرأ سورة الفاتحة على أبي العلاء الحافظ بهمذان، وصحب الرفاعي ولبس منه وأذن له أن يلبس عنه حرقة التصوف.¹

5- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري وهو محب الدين الرحلة 50/5 و 77/5 انظر من لقيهم ابن رشيد بالحرم الشريف.

6- أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الرحلة 37/3 و 43/3 و 95/3 و 97/3 و 59/5 وقد لقيه ابن رشيد بمصر.

7- أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف الرحلة 53/2 و 87/6 : فقد ذكر أبو محمد الخلاسي شيخ ابن رشيد في سند لباسه خرقة التصوف، وذكر من صحبه من الأئمة وعلماء الأمة، ومنهم الإمام أبو بكر عبد الباقي بن محمد بن برال الحجازي، وذكره ابن رشيد أيضا في ترجمة شيخه المشهور أبي بكر القسطلاني، قال : أنشدني أبي عن أبي الربيع سليمان الكناني المالقي قال : أنشدنا الفقيه الزاهد أبو العباس بن العريف لنفسه².

سلبو عن الشوق من أهوى فإنهم
مازلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم
أدنى إلى النفس من وهمي ومن نفسي
لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي

وفيها يقول : (البسيط)

¹ : الرحلة 9/5.
² : الرحلة 110/3 وانظر ترجمته أيضا في و***ابن خلكان 168/1 وانظر هذه الأبيات في درة الحجال 220/1 ترجمة 319 نقلا عن ابن رشيد.

لأنهضن إلى حشري بحبهم لا بآرك الله فيمن فاتهم فني

8- أحمد بن يوسف بن علي الفهري الليلي الرحلة 27/2 وانظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

9- أحمد المغاوري أبو العباس : جاء في ذكر مرويات أبي يعقوب يوسف الجذامس أنه لقي بمراكش أبا اسحق اللوري _ بالراء المهملة) والشيخ أبا العباس أحمد المغاوري، وقرأ عليهما بجامع علي بن يوسف الرسالة والرعاية للمحاسبي ومقامات الهروي، وبعض التفسير لابن عطية وغير ذلك من كتب الرقائق الرحلة 45/2.

10- البعلبكي = عبد الولي بن بختر. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة

11- ثابت بن علي العسقلاني. انظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.

الجدامي = يوسف بن إبراهيم

حاجة = محمد بن ناصر

الحراني = عبد العزيز بن عبد المنعم

الحازن النيسابوري = محمد بن سعيد

الحراساني = التلمساني = محمد بن أحمد

الحقيفي الأبهري = عبد المحسن بن فرا مرز

الخلاسي = عبد الله بن يوسف

الخلاطي = شعبان بن أبي الطاهر

الدلاصي = محمد بن حازم

الرفاعي = أحمد الرفاعي الكبير

السلوي = محمد بن إبراهيم

السهروردي = عموية = عمر بن محمد

الشريفي = الطيري = عبد الله بن عبد الله

12- شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة.

الصفار المطرز = محمد بن موسى

صواب الصلاحي = الطواشي، انظر من لقيهم بالقاهرة.

الضياء السبتي = عيسى بن يحيى

13- طاهر بن الحسين المخزومي. الرحلة 77/5 : جاء في الرحلة أن أبا حيان

الغرناطي أنشد لابن رشيد بالقاهرة وكتبه له بخطه قال أنشدنا الفقيه الأصولي

وجيه الدين رحلة الوقت أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي طالب

أحمد بن عمران الأنصاري الأزدي السعدي بقراءته عليه بالإسكندرية وبإسناده

لطاهر بن الحسين المخزومي قال : (الكامل)

وعليه من نسج النحوس مرقع

فكأنه فيها غراب أنقع

يخشى الفتى فيه الإله ويخشع

ليس التصوف أن يلايك الفتى

بطرائق بيض وسود لفتت

إن التصوف ملبس متعارف

فهذه الأبيات تدلنا على حقيقة التصوف وتكشف لنا عن وجهه المشرق، وتبعد

عنه كل ما يشينه، فقد ذكر السهروردي أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل

تطلب الزيادات والشهوات، فهكذا في اللباس تتفنن فيه، ولها فيه أهوية متنوعة مختلفة¹

ولما كانت النفس محل الآفات فلهذا ينبغي أن يكون ثوب الرجل حسنا ونعله حسنا وكل

ذلك لا بهوى النفس والافتخار والخيال، وقد قال (ص): إن الله جميل يحب الجمال².

الطيري = الشريشي = عبد الله بن عبد الله.

14- الطواشي = صواب الصلاحي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة

15- عبد الرزاق بن إبراهيم اللخمي. انظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.

16- عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر. انظر من لقيهم ابن رشيد بالحرم الشريف.

¹ : عوارف المعارف 353.

² : عوارف المعارف 359.

- 17- عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني. انظر من لقيهم بمصر.
 - 18- عبد الله بن الحسن بن القاهري. انظر من لقيهم بالقاهرة
 - 19- عبد الله بن عبد الله بن محمد السليم الأزدي الشريشي. انظر من لقيهم بتونس.
 - 20- عبد الله المرجاني. انظر من لقيهم بالحرم الشريف.
 - 21- عبد الله بن يوسف الخلاسي. انظر من لقيهم بتونس
 - 22- عبد المحسن بن فرامرز بن خالد بن الشهيد عبد الغفار الحفيفي الأبهري وقد لبس القسطلاني منه خرقة التصوف الرحلة 45/2 و60/5 و106/6 و110/3.
 - 23- عبد الواحد بن محمد بن مبارك. انظر من لقيهم بتونس واخباره في الرحلة كثيرة 5/2، 6، 7، 56، 58، 60 و45/6، 47، 94، 39 و37/7، 38.
 - 24- عبد الولي بن بختر البعلبكي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة.
- العسقلاني = ثابت بن علي
- الطار المصري = ناصر بن عبد الله
- 25- علي الحنبلي. انظر من لقيهم بنابلس.
 - 26- عمر بن علي بن الفارض الحموي الأصل المصري المولد، أبو حفص وأبو القاسم، فقد ورد ذكره فيما وقع بين نجم الدين الإسرائيلي وبين ابن الحيمي في مساجلة أدبية مشهورة، وتحاكمهما إلى الأديب الشاعر الصوفي ابن الفارض الرحلة 48/3 قال عنه ابن رشيد إنه أخذ عن مشيخة أهل بلده ومال إلى الأدب وكتب عن بعض الولاة ثم رحل إلى المشرق فأدى الفريضة ولم يعد بعدها إلى الأندلس، وسمع الحديث من الحرستاني وغيره، وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفي ويقول بها¹ وممن روى بهذه الإجازة عنه أبو الحسن بن رزبن شيخ ابن رشيد.

¹ : وهي كقوله أجزت للمسلمين أو لمن أدرك زماني وما أشبه ذلك واختلفوا في جوازها، فجوزها الخطيب البغدادي مطلقاً، انظر الكفاية له ص 311 والخلاصة للطبري 108..

27- وكذلك أجاز بها لأهل عصره ولمن أحب الرواية عنه،¹ وقد برع الطائي هذا في علم التصوف، وله في ذلك تأليف كثيرة²، ويروي سنن الدارقطني عن أبي الفضل.

28- ابن هبة الله الشافعي سماعا وقد توفي سنة 640 هـ³ وأنشد الشرف الجزائري لابن رشيد⁴ قال : بينما ابن عربي في طوافه بالبيت ليلا منفردا وقد عجبه طوافه وهو ينشد شيئا من الشعر إذ أحس من ضربة بين كتفيه بكف ألين من الحرير فالتفت فوجد شابة فقالت له : أعد علي، فأنشدها شيئا من ذلك، فقالت يا مغربي مع من أنت تتحدث ؟ من محبوبك ؟ فقال لها : ومن أنت ؟ فقالت : من بنات الروم، وبينما هما في الكلام إذ قطع الحديث دخول مغربي بالطواف فلكنز ابن عربي، فالتفت ليوخه على صنعه فلم يجد لتلك البنت خيرا، وذهبت عنه، ومما أورده ابن رشيد من ذلك الشعر قوله بعد هذه الحكاية : (مجزوء الرمل)

ليت شعري هل دروا	أي قلب ملكوا
وفـؤادي لو درى	أي شعب سلکوا
أتـراهم سلموا	أم تراهم هلکوا
حار أرباب الهوى	في الهوى وارتبكوا

29- عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بعموية السهروردي المولد البغدادي الدار وقد سمع عليه أبو بكر القسطلاني، انظر الرحلة 110/3 خاصة و107 و63/5 و6 و60 و87/6 و20/7.

عموية = السهروردي = عمر بن محمد

30- عيسى بن الحسن بن القاهري انظر من لقيهم بالقاهرة.

31- عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي انظر من لقيهم بالقاهرة.

القسطلاني = محمد بن أحمد

¹ : الرحلة 83/6.

² : هدية العارفين 114/2 وانظر كتبه الكثيرة جدا فيها.

³ : انظر ترجمته أيضا في الذيل والتكملة 493/6 وقال إن وفاته سنة 637 أو 638 هـ ولاحظ الاختلاف.

⁴ : الرحلة 58/6.

القسنطيني = أبو بكر بن عمر

اللبلي = أحمد بن يوسف

محب الدين الطبري = أحمد بن عبد الله

- 32- محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي انظر من لقيهم بتونس
- 33- محمد بن أحمد بن إبراهيم الخراساني التلمساني انظر من لقيهم بالقاهرة.
- 34- محمد بن أحمد بن علي القسطلاني انظر من لقيهم بالقاهرة
- 35- محمد بن حاتم الدلاصي انظر من لقيهم بالقاهرة
- 36- محمد بن حسن بن حبيش انظر من لقيهم بتونس
- 37- محمد بن سعيد بن موفق بن أبي البقاء النيسابوري الصوفي شيخ المتصوفة ببغداد وكان يعرف بالخازن (556هـ-646هـ) قرأ على أبي زرعة وروى عنه أبو الحسن الغرافي الرحلة 11/3
- 38- محمد بن سوار بن إسرائيل بن خضر بن إسرائيل الدمشقي صاحب الحريري قد مر ذكره الرحلة 44/3.
- 39- أبو محمد عبد الحق بن اسحق بن سبعين المجاور بمكة، جاء ذكره في خير مرويّات أبي يعقوب يوسف الجذامي أنه صحب بسنة وبجاية وتونس وقابس الشيخ الفقيه الحافظ أبا محمد عبد الحق بن أبي اسحق بن سبعين المجاور بمكة إلى أن توفي بها. الرحلة 45/2
- 40- محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي انظر من لقيهم بالقاهرة
- 41- محمد بن عبد المنعم بن يوسف المشهور بابن الخيمي، مر ذكره وانظر من لقيهم بمصر.
- 42- محمد بن علي بن قطرال انظر من لقيهم بتونس
- 43- محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو عبد الله وأبو بكر الطائي الصوفي الرحلة 22/، 30/2، 25/2، 59/6، 83/6، 65/7 قال عنه ابن رشيد أنه يأخذ عن مشيخة أهل بلده ومال إلى الأدب

44- أبو بكر بن محرز البلسني وقد ورد له في الرحلة شعر في النعل الكريمة وشعر في وصف الركب السائر وفيه يقول : (الحفيف)

قبلت منهم الصلاة وهم لا يقربون الصلاة إلا سكارى

وغير ذلك من الشعر انظر أخباره في الرحلة 2/2، 13/2، 29/6، 48/6 مكرر، 64/6.

45- محمد بن موسى بن عبد الله الصفار وهو شيخ الزمان في وقته زهدا وعلماء وورعا الرحلة 26/5.

46- محمد بن ناصر الملقب بحاجة، وكان فقيرا مجردا مفردا أخذ القسطلاني خرقة التصوف من يده الرحلة 110/3

المخزومي = طاهر بن الحسين

المرجاني = عبد الله بن محمد

المطرز = محمد بن مكّي = الصفار

47- ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار المصري المكي وكان يدعى قديما بسعيد الرحلة 107/3 وكان رجلا صالحا أحد المساتير وسمع الحديث منه أبو بكر القسطلاني.

النجم الإسرائيلي = محمد بن سوار

48- يوسف بن إبراهيم الجذامي انظر من لقيهم بتونس

ابن السماط = يوسف بن علي بن مروان انظر من لقيهم بتونس

وفيما يلي ذكر لشيء من المسائل التي تتعلق بالزهد والتصوف.

الدروزة :

ومما يتصل بهذا ما كان يرد على أبي بكر القسطلاني الزاهد الورع¹ المتصوف، من الأسئلة، وقد قرأ عليه ابن رشيد بعضها، ومما كتبه له بخطه في 16 رجب

¹ : الرحلة 112/3.

684 هـ نص سؤال عن الدروزة¹ هل هي مباحة مطلقا أو لا تباح إلا مع الضرورة، وهل تباح مع القدرة على الكسب أو لا، وهل تباح مع استغراق الزمان في العلم ما نعني به العلم الذي هو فرض عين أو إنما نعني به العلم الذي هو فرض كفاية أم لا، وإذا قيل بابا حتها فهل يقتصر فيها على الكفاية أو يجوز الادخار، وهل يجوز فيها أكل الطيبات ولبس الناعم من الثياب أو يجوز فيها الاقتصار على الخشن من الثياب وأكل الخبز الحشكار بلا إدام، أم يجوز معه إدام وهل إذا كان له عائلة ولا يطيقون الفاقة وليس له ما بقي أودهم فهل له أن يدروز لحقهم أو حق تلزمه نفقتهم ؟

فأجابه القسطلاني بجواب مطول ملخصه أن الدروزة في مصطلح أهل الطريق مباحة لأجل الغير، وأما إن كان لنفسه، فإن كان لضرورة فهي مباحة، وإن مع غنى فحرام، ... وأما أكل الطيب ولبس الناعم فعند قصده لذلك هو ممنوع منه، وأما إن وقع شيء من ذلك فإن اختار التكشف وإيثار الغيرية كان في حقه أولى، وإن وافق وأخذ بقدر الضرورة فلا بأس، وله أن يأكل بإدام، وله أن يدروز لعائلته ما يتم به كفايتهم وكذلك لمن يزد عليه من الفقراء، وحمل الزنبيل له في الطريق بشروط عشرة منها خلوه من الحط فيه، ووجود الأمانة فيما يحمله إلى الجماعة، وإن سار وهو مار في طريقه فليأخذ ما يعطاه وهو مقبل ولا يرجع من يريد أن يعطيه شيئا إذا ولى عنه، وأن يقصد بسعيه، ذلك وجه الله، وأن لا يلتفت إذا مشى وإن اختار أن يذكر عند حمل الزنبيل ذكرنا معينا كقوله : شيء لله، أو يمشي به وهو ساكت فمن وقع له فيه خاطر أن يسأله سأله، فكل ذلك واسع، والاعتبار فيه بالعوائد والنيات.

العقيدة العمرية :

ومن ذلك العقيدة العمرية التي أسمعها ابو العباس، أحمد بن يوسف الفهري اللبلي في مجلس شيخه أبي العباس بن الغماز في أيام الجمع بجامع الزيتونة الأعظم في أوائل شهر ربيع الآخر 686 هـ وتسمى هذه العقيدة : العقيدة العمرية في الاعتقادات السنية² ومما ورد فيها³ : " ... اعلّموا وفقنا الله وإياكم لتوحيده وأعاننا على لزوم

¹ : انظر كتاب العقيدة والشرعية في الإسلام لكلود تسيهر 149-150 في معنى الدروزة والفرق بين نوعيها وهما : دروزة تنتشد الحياة الراهدة التي أساسها التأمل والتفكر في الوصول إلى الكمال، والدروشة التي تتخذ التصوف من أجلها ذريعة للبطالة وخداع الجماهير.

² : الرحلة 84/6.

³ : الرحلة 84/6.

تمجيده أنه يجب على كل عاقل بالغ أن يعلم أن لا إسم إلا الله سبحانه وتعالى، وأنه واحد لا شريك له قديم لا أول له دائم لا آخر له، ليس له ضد ولا نظير ولا معين ولا وزير". وقد سارت على هذا المهيع في تنزيه الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتعظيمه وذكر صفاته العليا ونفي الصفات الدنيا عنه وختمها بقوله: "غفر الله لمؤلفها ومعلمها ومتعلمها وقارئها وكاتبها وكاسبها والمسمع والمستمع لها ولوالديهم وإخوانهم وأهلهم وجميع المؤمنين".

ولا شك في أن ما فيها من المعاني والآراء كانت مباحث مهمة شائعة في القرنين السادس والسابع بخاصة، وهي ترشدنا إلى اعتقاد الصوفية ومفكري الإسلام آنذاك ولا سيما في صفات الله تعالى. ويمكن أن نقول إنها يصدق عليها وصف (البلكفة) كما يبدو في قوله: "ليس له ضد ولا نظير ولا معين ولا وزير لا تماثله الموجودات ولا يماثلها ولا يحتويه الزمان ولا الجهات، ولا يحل فيها فلا يحتاج إلى مكان ولا يفتقر إلى زمان،... لا يستعين بجارحة ولا يسمع بأذن ولا يبصر بمقدقة وجفن ولا يبطش بيد ولا يوصف بكون ولا يعلم بقلب ولا يريد بفكر ولا يتكلم بلسان ولا هو عرض ولا جوهر ولا جثمان هو الله سبحانه العظيم الشأن وله الصفات العلى والأسماء الحسنى، أرسل الرسل بالبينات وأيدهم وقواهم بالمعجزات وجعل آخرهم وخاتمهم خير أهل الأرض والسموات محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الأمي القرشي المكي المدني صلى الله عليه وسلم.

كل مكان يدعوني إلى عبادة ربي :

ومن الصور¹ البديعة في حسن العبادة ما ذكره ابن رشيد من أنه كان أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي² إماما بمسجد شيخه أبي بكر بن حبيش من رضى باب السويقة بتونس، وبينما ابن رشيد جالس مع شيخه أبي بكر إذ دخل الشيخ الصالح الزاهد أبو عبد الله فضلى مُتَنَفِّلاً إلى بعض سوارى المسجد ثم قام إلى سارية أخرى، ففعل مثل ذلك، ثم قال لما فرغ من صلاته : كل مكان يدعوني إلى عبادة ربي فأجبتة، أو ما هذا معناه.

عبادة الملك الكامل :

¹ : الرحلة 85/6.

² : الرحلة 85/6.

ومن ذلك ما أخبر به¹ أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد حاكيا عن تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد البكري الشريشي الذي كان يصحب الملك الكامل في أسفاره، وكان يحمله معه متبركا به ... فكان الملك في كل ليلة إذا جنه الليل يسمعه يقوم إلى محرابه قارئا باكيا خاشعا متضرعا إلى الصباح، فإذا قعد على شرف الملك تصرف بما يتصرف به الملوك، فقال له يوما : - بعد أن كثر ذلك عليه - لقد رأيت منك عجبا في طول سفرك، قال وما هو ؟ فقال له : بالليل على تلك الحالة، وبالنهار على هذه الحالة المضادة لتلك، فرد عليه : يا سيدنا : تلك والله حالتي في سفري وفي حضري، ما تأتي ليلة إلا وأتقرب فيها بما جنيت نهارا بالتوبة النصوح عازما على ألا أعود في شيء مما أفعله في نهارى، فما هو إلا أن أقعد على سرير الملك، فما يسعني إلا ما رأيت لتغير الأحوال وفساد الوقت².

هاتف يهتف بالجو :

ومما يدل على الصفاء الروحي وطهارة السيرة ما نجده في الرحلة³ من بعض القصص التي تتضمن إشارات تدل على الروابط التي تصل النفس الإنسانية بالمعاني السامية والشيم العالية والحث على الترفع عن الدنيا والتعلق بكل ماله علاقة بالحق والخير والجمال، فقد أخبر أبو محمد الخلاسي المتصوف تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو عمرو التميمي التونسي قال : نا أبو الحسن المقدسي قال : أن أبو الطاهر السلفي قال : أنا أبو عبد الله الرازي قال : سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي ابن نعيم المصري قاضي البرلس⁴ يقول عن بعض سكان البرلس قال : سمعت قائلا يقول ليلا من جانب الفجر، وينشد بيتين، فقصدت الصوت فلم أر احدا فعلمت أنه هاتف هتف بالجو وأما البيتان فهما : (البسيط)

لولا رجال لهم ورد يقيمونا وآخرون لهم صوم يصومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تتوبونا

¹ : الرحلة 87/6.

² : انظر شذرات الذهب 172/5 أن للملك الكامل مواقف مشهودة، فقد كان صحيح الإسلام معظما بالسنة وأهلها محبا لمجالسة العلماء، له عدل مخلوط بالجيروت، وانظر أيضا وفيات ابن خلكان 79/5 أن هذا الملك كان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا متمسكا بالسنة حسن الاعتقاد معاشرًا لأرباب الفضائل، وكانت تبث عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم في مباحثهم.

³ : الرحلة 49/2.

⁴ : البرلس بليدة على شاطئ مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية معجم البلدان 402/1. (يا قوت).

ومما جاء في الأثر دالا على هذه السألة ما أورده أبو عمر ابن عبد البر في كتابه التمهيد أنه يروى عن علي - رضي الله عنه - قال : لما توفي النبي (ص) وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت، كل نفس ذائقة الموت..."¹.

وفي الهواتف وأخبارها كتب وقصص مشتهرة

حكاية صوفية : المريد لا تنقطع مسأله :

ومن الحكايات الصوفية ما جاء في الرحلة عن قصة الصبيح والمليح، وهما شابان كانا يعبدان بالشام، فلما أصبحرا ذات يوم استقبلا شابا أسود على رأسه حزمة حطب، فدنوا منه فقالا له : يا هذا من ربك ؟ فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها وقال : لا تقولوا لي من ربك ولكن قولوا لي أين محل الإيمان من قلبك ؟ فنظر كل منهما إلى الآخر، ثم قال : سلا سلا، فإن المريد لا تنقطع مسأله، فلما رآهما لا يحيران جوابا، قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتي هذه ذهبا، فأرها ذهبا تلمع، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الإخمال أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا، فرجعت حطبا ثم حملها على رأسه ومضى فلم يجترأ أن يتبعاه.

ومهما تكن حقيقة هذه القصة فإن المريد حقا لا تنقطع مسأله، وأن الحكمة تؤخذ من أي جهة كانت، وإلا فما جدوى التجارب الإنسانية سواء ما كان منها مهما أو ما كان أقل أهمية. بل إن الحكمة قد تؤخذ من القلوب الحرة!

ويرغم هذه الإشارات القليلة الواردة عن الزهد والزهاد والتصوف والمتصوفين، ترينا جانبا من اهتمام ابن رشيد في رحلته، وتعطينا بعض الحقائق عن الجانب الفكري والروحي لمختلف العصور، وعصر ابن رشيد خاصة، ولاستكمال صورة هذا الفن في الرحلة، أنبه على أنه ينبغي دراسة أحوال التصوف في الشام وما وراءها من بلاد المشرق، لأن العلماء فيها كانوا أكثر ميلا إلى هذا الصنف من الثقافة والذي يدلنا على ذلك ما ذكرنا قبل من الإشارة إلى أمراء الطرائق بالشام، ولا شك في أن لهؤلاء قدما راسخة في هذا الميدان.

¹ : التمهيد لابن عبد البر 162/2.

المبحث السادس

علوم أخرى

في رحلة ابن الرشيد

✓ العقلیات (الفلسفة والمنطق)

✓ علم الطب

العقلیات الفلسفة والمنطق

ليس عجيباً أن يجمع ابن رشيد في شخصه بين علم الحديث وحرفة الأدب وشيئاً من علم المنطق والفلسفة، وذلك تأثراً بشيوخه وأصحابه الذين كان لهم ميل إلى التوفيق بين هذه العلوم كلها مثل شيخه أبي محمد ابن عبد القادر البجائي مستوطن تونس الذي كان له الفهم السديد والنظر الحديد في كثير من المسائل والإلمام الواسع بالعلوم كأصول الدين والفقه وصناعة المنطق، وكصاحبه الفقيه الجليل المتفنن والطبيب الماهر أبي يعقوب ابن أتدارس الأموي الأندلسي التونسي الذي كانت له مشاركة في الرياضيات والمعقولات والمنقولات، ومشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب والمنطق، وكصاحبه أبي محمد الأصبهاني كبير المتكلمين وحكم المتناظرين وإمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات والقواعد الصوفيات وصاحب التدقيقات الرقيقة والمصنفات البديعة، وكصاحبه أبي القاسم بن الشاط وابن البناء المراكشي وشيخه حازم القرطاجني والشرف الجزائري، فقد كان كل هؤلاء يرون أن العلوم وثيقة الصلة بين بعضها. ومهما تكن العلوم المنطقية ومصطلحاتها والمناقشات الفلسفية قليلة في الرحلة فإنها تعطينا الدليل على المشاركة فيها والاهتمام بها، فمن ذلك ما سمعه ابن رشيد من انشادات أبي عبد الله بن حيان الشاطبي بتونس قال : أنشدنا أبو المطرف بن عميرة : المخزومي لنفسه¹ (الكامل)

والحق لا يخفى على من وسطه
مستظها بهما على ما استنبطه
معه فما مقصوده بالسفسطة

فضل الجمال على الكمال بوجهه
فبطرفه سحر وسقم قد أتى
عجبا له برهانه بشروطه

فقد انشغل بهذه الأبيات بعض أدباء المغرب والأندلس كابن الحكيم الرندي صاحب غرناطة ورفيق ابن رشيد في الرحلة، ولهذا كلف جماعة من العلماء والأدباء بوضع شرح على هذه الأبيات من الناحية المنطقية فتناولها بعضهم من جهة البيان والبلاغة، وإن كانت هذه الأبيات من نوع الغزل الذي يغلب عليه التكلف والصناعة التي

¹ : الرحلة 26/2، وانظر هذه الأبيات ومناقشتها في كتاب أبو المطرف بن عميرة وذلك نقلا عن ابن رشيد ص 241

يخفى مقصودها على القارئ، ويكفي أن نعرف رأي ابن رشيد فيها بأن قال: "إن فيها قواعد منطقية لا تمس الحاجة إليها، لأن الناظم أعرض عن القصد الشعري الذي تحيل (بالحاء) فيما تخيله¹ (بالحاء). ومما يدل على اهتمام هؤلاء الشعراء بتلك النوادر والمستطرفات أن ابن رشيد لما قدم على سبتة سنة (706هـ) ست وسبعمئة هجرية التقى فيها بأبي القاسم بن الشاط، فوققه على هذه الأبيات، فاستحسنها وعارضها وأرسل إلى ابن رشيد عام ثمان وسبعمئة (708هـ) يذكره أنه صنع أبياتا خطر له أنها تصلح جوابا لأبيات أبي المطرف، وكتبها له بخطه وهي²: (الكامل)

علم التباين في النفوس وإنها	منها مفرقة وغير مفرطة
فئة رأت وجه الدليل وفارقة	أصغت إلى الشبهات وهي مورطة
فأراد جمعهما معا في ملكه	هذي بمنتجة وذو بمغلطة ⁽³⁾

وقد علق ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله: وهذا الذي أجاب به صاحبنا عن تعجب الإمام أبي المطرف وابن حبيش، وكأنه وقى الغرض بذلك.

ولما لقي ابن رشيد صاحبه أبا القاسم بن الشاط عام ثمانية عشر وسبعمئة (718هـ) ذكر له الأبيات وأنشدها له من لفظه، وكان قبل ذلك عرضها على أبي العباس بن البناء الأزدي المراكشي: وتكلم معه في قوله (فما مقصوده بالسفسطة؟)، فكتب له بخطه بعد انصرافه ما نصه: "قد يكون مقصوده بالسفسطة إيضاح أحوال المخدوعين من المدعين محبته، فقوم يحبونه لكماله وجماله، وقوم يخنون لنغم طربه وسحره"⁴. وقد علق ابن رشيد أيضا على هذا القول بما نصه: "وهذا الذي أجاب به صاحبنا أبو العباس وجه متجه على بعد إرادة الشاعر إياه، ولكن الكلام الرصين ما حملته من المعاني المعقولة تجدها مقصودة مقبولة".

¹: الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سينا ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2-169.
²: الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سينا ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2-169.
³: الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سينا ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2-169.
⁴: الشفاء (المنطق) 55، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية 135/19-136 والقول أن السفسطة هي إنكار الحقائق، وأنها الجهل والعناد وانظر نفس المرجع في 42/2 و42/9-43، وكتاب عرض تاريخي للفلسفة والعلم لولوف ص 18

ويظهر من تعليقه هذا أنه يذهب إلى قضية المعنى المنطقي في المعقولات وصلة ذلك بالأبحاث اللغوية والأدبية والبلاغية خاصة¹.

وإذا كان المنطق آلة لتحصيل العلوم الكسبية النظرية والعلمية ورئيسا لها والعون على إدراكها فإنه كان يجد من بعض الفقهاء إعراضا وحربا لفترة من الزمن²، حتى أن ابن الصلاح كان يرى أن استخدام الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام من المنكرات المستبشرة والرقاعات المستحذرة، وأنه ليس للأحكام الشرعية إفتقار إلى المنطق أصلا³، ولما جاء ابن تيمية بنقده المنهجي اعتبر أن المنطق يخالف صحيح المنقول زيادة على مخالفته للمعقول⁴.

وإذا كان ابن رشيد يقدر فكر ابن الصلاح ويأخذ من علمه في الحديث والفقه، وينقل كثيرا من آرائه في رحلته، فإنه لا يقف من المنطق موقفه، لأنه لم يتحامل عليه تحامل ابن الصلاح⁵ فابن رشيد كان يتصل مثلا بشيوخه وأصحاب لهم فهم في الفلسفة والمنطق والأصول، ولم يظهر لنا في الرحلة أي موقف معاد له أو للفلسفة، إذ إنه لما اتصل بالإمام أبي المعالي محمد بن محمود بن محمد الأصبهاني الشافعي أراه من تصانيفه كتاب الكاشف عن المحصول في علم الأصول الذي شرح به كتاب المحصول للإمام فخر الدين بن الخطيب، ولهذا الكتاب مقدمة حافلة بقواعد المنطق شاملة صدره بها تأسيسا بالإمام الغزالي في تصديره لكتابه المستصفى، وسماها نهاية الطالب في تحقيق الطالب وقد حضر ابن رشيد إقراء الأصبهاني بعض هذا الكتاب تفقها عليه، ثم أجازة فيه ولأولاده⁶.

ولم يغفل ابن رشيد عن أن يورد شيئا مما يتصل باهتمام الأدباء بالفلسفة والمنطق واصطلاحاتهما، فقد أتى بشيء مما يستحسن في باب العقلية في ترجمة شيخه القاضي الأديب شرف الدين الجزائري⁷ أحد المسندين الفضلاء، والبارعين من رواة الأدباء، وهو الملقب بالشرif النحوي، وكان يروي عن ابن الخيمي الصوفي ويحفظ من

¹ : انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام لسامي النشار ط 2-1867 ص 37 والعقل والوجود ليويسف كرم ص 24.

² : كشف الظنون 1862.

³ : كتاب الرد على المنطقيين لابن تيمية ص 7 وص 32، وانظر مجموع فتاويه 269/9-270 ومناهج البحث 145.

⁴ : انظر كتاب الرد على المنطقيين.

⁵ : نفسه وابن الصلاح ص 9. وانظر كشف الظنون 1289 (علم الفلسفيات)، وكيف كان ابن حيان، وهو صديق ابن رشيد، يثير أمّن الفلسفة والمنطق وكيف كان يسميها رفيقه ابن الحكيم بالمنفعل ولا يتجاهر بالمنطق وذلك تقية، وهذا دليل على أن المنطق بالأندلس لم يكن بالعلم المرغوب فيه كثيرا.

⁶ : الرحلة 88/3.

⁷ : الرحلة 60-59/6.

الأدباء، وهو الملقب بالشريف النحوي، وكان يروي عن ابن الخيمي الصوفي ويحفظ من شعر ابن عربي، ويعتني بكتاب الفخر الرازي المسمى بالمحصول في أصول الفقه، وكذا مؤلفات الخسروشاهي المشتغل بالعقليات، حتى إن الجزائري كان يطرب عند ذكر الخسروشاهي ويفتخر بكتبه إليه¹ ومما له اتصال بذلك ما قرأه ابن رشيد على ظهر مقدمة كتاب الآيات الكبرى للفخر بن الخطيب بخط شيخه (أي شيخ ابن رشيد) الشرف الجزائري من شعر أبي الفتح البستي² (الطويل)

لأول أشكال القياس ³ نتائج	تفيد شفاء في جميع المطالب
وليس لثانيها إذا ما سيرته	نتائج في التحقيق غير السوالب
وللثالث الجزئي إما نظرت في	نتائجه والحق أصدق صاحب
فكن حافظا ما قلته تنتفع به	فلن يستجيب الدرُّ إلا لحالب

ففي هذه الأبيات مصطلحات منطقية تنم عن معرفة الشاعر لهذا الفن، وتدلنا أيضا على أن من أورد هذا الشعر ونقله لا بد أن يكون له رأي فيه إما بالقبول وإما بالمعارضة، وبما أن ابن رشيد قد أوردنا للتدليل على أن الشرف الجزائري له عناية بهذا العلم، فإنها تدلنا بالنتيجة على أن لابن رشيد عناية بذلك إن صح هذا القياس ويكفيها دلالة على هذا إيراد هذا النص في الرحلة دون التعليق عليه بما يسوء إلى المنطق أو المنطقة، مع أننا نجد هناك من أبطل القياس في أحكام الدين كابن حزم مثلا⁴.

ولما التقى ابن رشيد بأبي يعقوب يوسف بن محمد بن * اندارس الأموي الأندلسي الأصل والمشارك في الرياضيات والمعقولات مع حظ من المنقولات، والمشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب أنشده في معنى منطقي⁵ (الوافر)

و كنت رجوت من زمني نوالا
وأن الدهر يسمح لي بغنم

¹ : انظر ترجمة الخسروشاهي في قوات الوفيات 257/2 ترجمة 245.

² : انظر هذه الأبيات في كتاب بتيمة الدهر للثعالبي 302/4، وانظر ما للبستي فيها من الشعر الفلسفي، وفي الطب وغير ذلك 302/4-313.

³ : انظر كتاب الرد على المنطقيين فيما قيل عن القياس، ورد ابن تيمية إشكالات وأوردنا نظار المسلمين على أنواع القياس ص 211 وانظر مجموع فتاويه في الجزء التاسع. وكذا معيار العلم للغزالي 134-158، وانظر أشكال القياس في كتاب المنطق الصوري للدكتور علي سامي النشار 409-420. وانظر عن القياس كتاب المحصول للفخر بن الخطيب.

⁴ : الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم 1207 وانظر ما كتبه سيف الدين الأمدى في كتابه الأحكام 90/4.

⁵ : الرحلة 113/6.

ولما كان لا يبقـي بحـال
يئـسـت من النـتـيـجـة منه قطعـا

به يعتد ذو عقل وفهم
لأن الاختلاف دليل عقم¹

وأنشده أيضا في المعنى نفسه وكتبه له بخطه (الوافر)

غدا بالوعد يسمح ذا ازدرأ
إلى أن جاد لي بالوصل منه
فكان كصدق أنتجه قياس

ويجعل مواعيدي يوم التنادي
زمان لا أعد له الأيادي
مقدمته ظاهرتا الفساد²

وإذا اطلعنا على شعر أبي محمد عبد الله الطبري الشريشي الصوفي، صاحب ابن
رشيد، وجدنا فيه بعض النفحات الصوفية وشيئا من المصطلحات المنطقية وذلك مثل قوله
في قصيدة³ (الطويل) :

بحاسن أنوار تروق إذا تجلى
تلى بها المختار من آل هاشم
عليهم بما قد كان أو هو كائن
يعاين فيه كل جود طبيعة
أتى بعد كل الأنبياء زمانه

وآيات أوصاف تفوق إذا تتلى
فما ظلمة إلا بأنواره جلى
ولكنه حاشاه أن يعرف الجهلا
فتألم منه النفس أن يسمع البخلا
فهذا هو البعد الذي يسبق القبلا

ففي مديحه هذا بعض ما يستوقفها ويدعونا إلى التأمل مثل قوله : حاشاه أن
يعرف الجهلا . هذا إذا كان الجهل يحتاج إلى معرفة، ولكن المقصود من ذلك هو ملاحظة
ما أورده من الكلمات التي استعملها المنطقيون مثل قوله : البعد، والقبل⁴ والطبيعة⁵،

¹ : الرحلة 113/6 وانظر معيار العلم (تهافت الفلاسفة 70، 131، شرط القياس أن يكون بحيث إذا سلمت قضاياها لزم منه النتيجة وانظر المستصفي للغزالي فصل 3 ص 35 لزوم النتيجة من المقدمات وكتاب الرد على المنطقيين ص 361 ومجموع فتاوي ابن تيمية 258-257-236/9.

² : الرحلة 113/6 وانظر معيار العلم (تهافت الفلاسفة 70، 131، شرط القياس أن يكون بحيث إذا سلمت قضاياها لزم منه النتيجة وانظر المستصفي للغزالي فصل 3 ص 35 لزوم النتيجة من المقدمات وكتاب الرد على المنطقيين ص 361 ومجموع فتاوي ابن تيمية 258-257-236/9.

³ : الرحلة 18/2.

⁴ : معيار العلم للغزالي 334.

⁵ : نفسه 363.

فقد قال الغزالي بأن القبل اسم مشترك في محاورات النظر والجماهير، وقد يقال : قبل، للعلة، بالإضافة إلى المعلول مع أنهما في الزمان معا، وفي كونهما بالقوة أو بالفعل¹.

ومن القصص الواردة في هذا المضممار ما حكاه أبو بكر بن حبيش لابن رشيد قال: كنا عند أبي بكر بن محرز يوم عيد نسلم عليه، فجاء أبو المطرف بن عميرة، وكان متواضعا، وكان بينهما وداد بالظاهر لا الباطن، فقبل لابن محرز إن أبا المطرف قد أقبل فتلقاه وقال له ما هذه العكوس ؟ وكان عادته التصافح، فقال له أبو المطرف : هذا من العكوس المستقيمة² ويظهر من تلفظه بهذا المصطلح أن المنطق كان علما رائجا بين هؤلاء الأدباء والشعراء والفقهاء إذ كان أداة لتقاف عقلم ولسانهم.

ومن الإفادات التي تحمل بعض معاني علم الأصول ما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وهو من قبله³ (الطويل)

ولو سـفـرت أسـماء ساعة بينهم	لأوقفهم ذلك الجمال المؤنق
ألا كل حسن فهو حسن مقيد	سوى حسن من أهوى الذي هو مطلق
سترت اسم محبوبي بأسماء غيره	ومالي في أسماء قصد محقق

فقوله بالحسن المقيد والحسن المطلق التفات ظاهر إلى استعمالات الأصوليين والمناطق، زيادة على ما في الأبيات من المعاني الصوفية. وبما أن أبا الفضل التجاني كان شاعرا مشهورا فإنه ولا شك يجمع إلى ذلك علوما أخرى كعلم الأصول وغيره كما أشرنا قبل في ترجمته.

ومما قرأه ابن رشيد أيضا على شيخه الشرف الجزائري، وكان مكتوبا على ظهر نسخة بخطه وعنايته من عيون الحكمة لابن سينا ما نصه⁴ : العلة هي الأمر الذي يحتاج إليه الشيء، فمنها ما هي تامة، أعني التي يجب بها الشيء، وهي قد تكون مركبة من أمور يصدق على كل واحد منها أنه يحتاج إليه، وقد لا تكون كذلك. ومنها ما هي غير تامة أعني بعضا من العلة التامة، وهي وإن كانت داخلة في الشيء فإن كانت جزءا

¹ : نفسه 336.

² : الشفاء في المنطق لابن سينا ص 385 عكس استقامة هو أن يجعل المقدم تاليا، والتالي مقدما مع حفظ الكيفية على أن يكون مع ذلك حافظا للصدق.

³ : انظر معاني المطلق والمقيد في كتاب الإحكام للأمدي 2/3.

⁴ : الرحلة 60/6.

يُحصل به الشيء بالقوة فهي العلة المادية، وإن كان خارجا. فإن كان منه وجود الشيء فهي العلة الفاعلية، وإن كان لأجله صار الفاعل فاعلا بالفعل فهي العلة الغائية، وهي تتقدم على الشيء في التصور وتتأخر عنه في الوجود.

ثم أشار ابن رشيد إلى أنه كتب هذا، وإن كان موجودا في كلام الناس ليدل على عناية شيخه الشرف الجزائري ومشاركته في أنواع العلوم منقولها ومعقولها. ولكن ابن رشيد لم يعلق على هذا الكلام بشيء حتى يبين لنا بعض وجوه الصراع الذي كان قائما في عهده وقبله بين كثير من الفقهاء والأصوليين والفلاسفة، وبما أن لليلة صلة بالقياس فإننا نجد أن التعليل كان أساس القياس الاستقرائي في مذهبي المعتزلة والأشاعرة¹، ثم إن ابن رشيد قد أشار إلى أن ذلك موجود في كلام الناس، ومعنى هذا أن الشيوخ والعلماء قد شاعت بينهم علوم الفلسفة والمنطق، وقد كان الغزالي² قبله قد مزج منطق أرسطو بعلوم المسلمين، ولكن عارضه أمثال الطرطوشي والقسيري والمازري وابن الصلاح، بينما وقف ابن تيمية، معاصر ابن رشيد، موقفا آخر من المنطق لأنه نقد المنطق الأرسطو طاليسي لينقضه وينشئ منطقا آخر مبنيا على أسس مخالفة عنه.

ومهما يكن أمر هذه المسائل وورودها في الرحلة فإنه لا يمكن أن نجعل ابن رشيد متلبسا بإيثار القياس على النقل حتى يتسع له النظر في بعض قضايا المعقول، لأن من الأدب عنده، تقديم الاستدلال بالحديث، وهذا ما يعرف عن أهل ذلك العلم من إيثارهم تقديم الحديث على الرأي في الاستدلال.

¹ : انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام ط 2-1967 ص 109.

² : انظر معيار العلم ص 258 وأقسام العلة (السبب، المادة، الصورة، الغاية) وانظر أيضا كتاب تهافت التهافت لابن رشد 380/1-381 في مناقشة للصورة والمادة والفاعل والغاية، وانظر أيضا عن العلة مجموع فتاوي ابن تيمية 170/9.

علم الطب

لقد ورد في رحلة ابن رشيد بعض أسماء الأطباء كأصحابه أبي العباس بن البناء المراكشي¹ وأبي يعقوب يوسف بن اندارس² وأبي عبد الله بن القزيع³، وكشيخه محمد بن حسن الشرايبي المتطبب⁴، وكذا سارة الحلبية المتظرفة التي فاقت نساء عصرها وخاطبت ابن رشيد وخاطبها⁵، وكان ابن رشيد أيضا معاصرا لابن أبي أصيبعة صاحب كتاب الطبقات المشهور، وكذا لأبي الحسن القرشي المعروف بابن النفيس الذي تمزّد على منهج الأطباء القدامى⁶.

و نحن إذ نورد هذه الإشارات لا نريد بذلك إدراج اسم ابن رشيد في كتب الطب والأطباء بقدر ما نريد الإشارة إلى أن رحلته أفادتنا شيئا مما يتعلق بالطب، كما أفادتنا في أغلب العلوم المعروفة في عهده.

ومن تلك الفوائد إشارته⁷ إلى أن أبا الحسن بن عصفور المشهور توفي من شكاة يسميها الأطباء شطر الغب، ومعناها الحمى المركبة من حميين، وهما البلغمية والصفراوية⁸، ولا شك في أن هذه الإشارة قد انفردت بها الرحلة وذلك في ترجمتها المهمة والمفيدة لابن عصفور⁹، تم أن سبب الوفاة الذي أثبتته ابن رشيد يختلف عنه عند الذين ترجموا له، وإننا نرجح رواية ابن رشيد وذلك لإتصاله الوثيق بأحد طلبة ابن عصفور وهو أبو العباس الكتاني التونسي الذي ألف كتابا في التعريف بشيخه ابن عصفور وذكر

¹ : انظر ص 263 من هذا البحث.

² : الرحلة 112/6 وص 319 من هذا البحث، وكتاب تاريخ الطب العربي التونسي للحكيم أحمد ابن ميلاد ص 254.

³ : الرحلة 116/6 وص 315 من هذا البحث وكتاب تاريخ الطب 138.

⁴ : الرحلة 1/3 وص 329 من هذا البحث.

⁵ : انظر ص 261 من هذا البحث وتاريخ الطب 137.

⁶ : انظر كتاب : ابن النفيس للدكتور بول اغليونجي (سلسلة) أعلام العرب عدد 57.

⁷ : الرحلة 91/6.

⁸ : انظر كتاب الذخيرة في علم الطب لثابت بن قرة رقم 344 : وهذه الحمى تعرف بانطريوس، سميت بشطر الغب لأن نصفها يحدث من الغب ونصفها من النائبة البلغمية، وانظر في هذا الكتاب ص 156 حمى الغب الغير الخالصة، وانظر كذلك كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لإبراهيم بن أبي بكر الأزرق ص 138 (حمى الغب) : أنها تأتي كل يوم من البلغم وعفونته.

⁹ : انظر ترجمة ابن عصفور في الذيل والتكملة ص 5 ق 1 ص 413 وصلّة الصلّة 142 وبغية الوعاة 357 وعنوان الداراية 266 وفوات الوفيات 109/3 وكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، وقد ذكر أن ابن عصفور توفي بالحمى، وأن في ذلك اختلافا 4/1 وانظر هذا الخلاف أيضا في كتاب المقرب لابن عصفور تحقيق أحمد عبد الستار الجوّاري وعبد الله الجبوري ص 10 وذكر ابن قنفذ في وفياته أن ابن عصفور مات غربقا، انظر شرف الطالب ص 74.

سلفه وأحواله، والكتاني هذا هو الذي لازم ابن عصفور وجمع له كتبه وذكرها لابن رشيد الذي أورد أسماء كثيرة منها في الرحلة¹.

ومن تلك الفوائد² ما أخبر به أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو عمرو بن دحية قال رحلت من بلنسية إلى إشبيلية، فلما دخلتها جئت إلى جامع العديس، فجاءني رجل فسألني من أين جئت ؟ فقلت رحلت من بلنسية في شأن طلب علو الرواية والحديث، فقال هل تذكر شيئا في اللغة، فقلت هي بضاعتي، فقال ما اسم البصل في لغة العرب؟ فقلت له الدَوْقُص. فقال وما شاهدته ؟ فقلت له : قال الحاجاج لطاهيه : ... أكثر دوفصها³. قال ثم ولي عني، ثم أقبل يعدو ومعه مملوك بيده سبينة⁴ ثياب وقرطاس فيه مائة دينار فدفعها إلي وقال استعن بهذا على طلب العلم ... ومما قال له أيضا : وألفت كتابا في الطب ذكرت فيه جميع الأعشاب.

وقد ذكرت الدوفص هنا لعلاقته بالطب واستعماله في التداوي بالأعشاب⁵.

وهذه الإشارة تعطينا صورة واضحة عن اهتمام الأندلسيين بالطب وذلك في القرن السابع الهجري خاصة⁶ ثم إن منهج المحدثين يشبه منهج النباتيين والعشابين وهذا يحتاج إلى بحث مستقل.

وفي هذا الصدد لا تغفل عما ورد في الرحلة من الطب النبوي كقوله عليه السلام: "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"⁷، وكذا الحديث الغريب الذي نقله ابن رشيد في كتاب أبي بكر بن مسدي المحدث، وهو من رواية ابن عباس قال : دخلت على رسول الله (ص) فرأيتنه يأكل الجبن والجوز، فقلت يا نبي الله : جبن وجوز ؟ قال نعم، الجبن داء والجوز داء، فإذا اجتمعا صار داء بإذن الله⁸.

¹ : انظر قائمة كتبه في كتب النحو من هذا البحث ص .

² : الرحلة 38/6.

³ : انظر لسان العرب (د ف ص) وقول الأزهري بأن هذا حرف غريب وانظر فيه قول الحاجاج. وانظر النهاية لابن الأثير.

⁴ : لسان العرب (س، ب، ن) ضرب من الثياب وقيل : منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يقال له سبن وانظر معجم البلدان 186/3.

⁵ : انظر فوائد البصل ومضاره في كتاب الطب.

النبوي لابن قيم الجوزية 223-224، وانظر : الدوفص : كتاب النهاية لابن الأثير (د ف ص)

⁶ : انظر كتاب العلم عند العرب لادلو مييلي ص 546 و548 وذلك فيمن برز في الفن الطبي في المشرق والمغرب في عهد ابن رشيد.

⁷ : الرحلة 3/3 وزاد المعاد لابن قيم 181/1 والطب النبوي له ص 279.

⁸ : الرحلة 51/2 وانظر عن الجبن زاد المعاد 160/1 والطب النبوي 228.

ومن بين الإشارات العارضة في ذكر الأدوية ما حكاه أحمد بن شعيب، فقد حضر بعض مجالس المحدثين بالبصرة فحدث أنه استهزأ رجل من المعتزلة لما سمع حديث: أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم¹، ثم ما لبث أن وقعت الأكلة في رجليه ثم جُبِنَا.

ومن ذلك ذكر مرض ابن رشيد بالرمد الذي منعه من الكتب ولكنه لم يذكر كيف طب ذلك ومنه ذكر إصابة عبد العزيز بن محمد بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن المحدث بعلّة أذهبت بعض حفظه² ومنه ما جاء في الرحلة عرضاً من ذكر البرقان في شعر محمد ابن عبد الواحد بن مبارك الذي يمدح فيه أبا عبد الله الهنتاتي ويهنته بختمة حفيده يونس وهي قصيدة طويلة منها³:

نرجس ما حكى العيون سواه	بدليل يصح أو برهان
ليس كالنرجس الذي لا يحاكي	غير عين تصاب باليرقان

¹ : الرحلة 51/2.

² : الإلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 219/2.

³ : الرحلة 12/3.

كشاف

كشاف ببعض المعاني الواردة في الكتاب

ما أكثر الألفاظ ذات المعاني الخاصة الواردة في رحلة ابن رشيد وهي تشمل الميادين المختلفة من المعرفة كالحضارة والسياسة والنظم والأخلاق والطبائع والعادات والمواهب وغير ذلك، وهي مما يحتاج إليه الباحثون في الدراسات المختصة، وبما أن هذه الألفاظ تحتاج إلى دراسة مستقلة فإننا سنكتفي بهذه النماذج القليلة، الواردة في بعض الصفحات لتكون عنواناً ودالة على غيرها، ومن أراد أن يجمعها ويرتبها بعد قراءة النصوص قراءة متأنية فإن له ذلك، هذا بالإضافة إلى بعض الفهارس السابقة في النقد والبلاغة والحديث الشريف.¹

¹ قد لاتعثر على اللفظة بسهولة في مكانها ولكنك ستجدها في الصفحة التي بعدها نظرا للملابسات الطبع.

أ	
361-360-153	الأعرابي
.430	الاقتنان
307 - 279 - 137 - 105	الألغاز
.590 - 347-	
الأمي (الشيخ الأمي العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولكن له رواية صحيحة 349-	
.574-370	
.98	الأمير: أمير الشعراء
.160	أمير المؤمنين في النحو
.24	أمير الطريقة
.402	الانطباع
	الانتقباض (العزلة والانقطاع عن الناس
(الضييق في الخلق والضجر)	
-322-282-278-275-272-191-51	
.536-345-341	
.272	الانقطاع = الانتقباض
.89-80-67-50	أهل الحديث
.89	أهل الرأي
.22	أهل السنة
.181	أهل اليقين
.289	الأوائل (علوم الأوائل)
.315-306	الايراد الحسن للايات
آخر من روى أو حدث (الأوائل والأواخر)	
.396- 391	
.84	الاحتجاج بالمنصور
الاختصاص بفلان (من اختص بابن عصفور	
.325-391	والحرالي
.355	اختيار الملوك
.311	اخفاء محاسن الكلام
-338-273-157-150- 149	الارتجال
.577- 408	
.309	أسانيد لا توجد في البلاد المغربية
309 - 274 - 265 - 261	الاستاذ
.340- 320-	
.381-305	استحضار الكتب
.519-283	الاسطول (قيادة الاساطيل)
.295	الاشارة الحسنة
.90- 81	الاشعرية
.393	اصطلاح القوم
.88	الاطلاق اللغوي
.320	الإعراب
.325	عدم إقامة الاعراب

321.	التدجين	
365.	التشبيهات النادرة	ب
568-434.	التشدد	
532-502-488.	التشيع	البارع 304-303-286-275-274-271
320.	تصحيح الشواهد	461-443-399-388-382-378-
477-325.	التصحيف	522.
270.	التصرف والبعد فيه	188-146.
628-151-139.	التصغير	البديعة 574-338-300-271-157
522.	التصنع	583.
325-315-285-190-131-79.	التصوف	415-342-91.
525-461-366-358-348-329.		البركة 361.
86.	التصويب	البزة الحسنة 393-275-188-100-99
152.	التصوير	البلاغة (الدروة العليا في البلاغة) 399.
338.	التطور	البله 325.
575.	التظرف	البهاء 392-385-377.
181.	التعاضم	بيت القصيد 99.
320.	التعاليل	البيع المشهور 196.
336.	التعاليمي	البيوتات 192-60.
314.	التعجيز في الشعر	ت
599-356.	التعريض	التاويل 80-66-50.
278.	التعفف	التجارة 193-193-23.
204.	التعنت	(التجارة في الكتب) 298.
311.	تفخيم الكلام	تجويد المتون وفهمها 388.
396-389.	التفرد بأشياء	التجمل والتحمل والفقير 321.
88.	تفاصيل الفعل	التحمل والتحميل 102-51.
382-371-319-309-193.	التفنن	التخامل 262.
509.	تقبييل الحجر الأسود بصوت	التخليط 190.

374.	حاكم المدينة	472. التكلف	التكوين الغريب	345.
304.	الحانوت (لمجالسة الأدباء)	315.	تلاوة القرآن بسهولة	315.
503-155.	الحجازيات	351.	التلاؤم	351.
410.	الحجر الذي كلم النبي (ص)	106.	التمييز الصحيح	106.
414.	الحدة في المناظرة	362.	التنافس في السماع	362.
364.	الحرص على تخريج الاسمعة	-76-75-49.	التواضع (تواضع العلماء)	-76-75-49.
356.	الحِرقة والمهنة	521-401-358-343-319-314-262.	التوجه والصدق فيه	521-401-358-343-319-314-262.
393.	الحرمة والوجاهة	463-412.	التوثيق	463-412.
	الحروف في الكلام = (رباطات الجسد)	428-271-188.	التورية	428-271-188.
311.	الحفظ والحفاظ	569-434-228.	التوقعات	569-434-228.
410-399-204-101.	(بلا مدافعة). الحفظ خوان	153-137.	التوكل	153-137.
301.	الحكايات	518.	التوهم	518.
396-296-242-198-110.	الحلول (مذهب الحلول)	205.	التيقظ	205.
87.	الحوائج والتصرف فيها بنفسه	195.		195.
349.	الحياة		ج	
409-307.		392.	الجانب اللين	392.
		89.	الجبرية	89.
		394.	الجنة اللطيفة	394.
خ		336.	الجُرْحَة 405.	336.
336.	الخان (من المسجد)	388-201.	الجفن (مركب) 343.	388-201.
64-45-20.	الخانقاه	375.	الجلوس في الجِجْر عند الصوفية	375.
132.	خرقة التشريف	385.	الجمال وحسن الوجه	385.
132.	خرقة التعريف	337-331-276-49.	جمع الكتب والاشعار	337-331-276-49.
317-232-190-131-87.	خرقة الصوفية	82.	الجمعة والعذر في عدم صلاتها	82.
386-374-367-366-318.		372.	الجهة والقول بها	372.
295.	الخزانة 165-88 (الخزانة الملوكية)		ح	
	(خزانة مالك وهو ابن كحيلة) الخزانة	363-333.	الحافظ، الالفاظ، حافظ الوقت	363-333.
409.	الكريمة			

ديوان الاحباس	الحشن من اللباس
ذ	الخطأ
376.	108.
	الخط 49-69-163-179-189-193.
الذريعة	(الصحيح الأصيل) 194-274-280-283.
الذكاء 193-194-307-329-335.	303-322-350-405.
403.	الخطط 314.
الذكر الحاضر في النوازل	الخفة في الخلق 76.
283.	(وانظر الانتباض) و(الشكاسة) (الخلق الضيق).
الذكر في النوم	الخلافيات 62-63-78-81-85-86-377.
315.	الخلق الضيق 443.
ذكور الرجال	الخلق الكيس 356.
474.	الحمول 521-317.
الذكورة	خوارم المروءة 122.
104.	
الذهن الحاد 335 الحاضر 262-349-404.	
الوقاد (185) الفائق الفهم (335).	
ر	
	د
رايات ركب الحاج	الدجن 321.
42.	الدراية 379.
الرباط 20-45-64-88-272-341-357.	الدرية 414.
رباطات الجسد (الحروف في الكلام)	الدرمك 314.
311.	الدروزة 367-87.
الريانيون (اليهود)	الدعابة 279-193.
16.	الدكان (يجلس عليه) 373-354.
رُحلة الوقت 167-181-188-375-396.	الدنيا وطلبها 520-515-514-320.
الرخصة في وصف الحدود والقدود) 337-	الدواة 105.
337.	الدولة 77.
568.	الديانة الحسنة 404.
الرقعة في الدين 133-393 رقعة الوجه 49-	
297-75.	
الرواء	
377.	
الروايق والدراية 101-169-285-373.	
385.	
قوانين الرواية	
373.	
الرواية عنه لغرابه اسمه	الدين (رقعة الدين) = رقعة.

الروح الطويلة	391	السفارة	180-187-377.
الرؤيا	92-93-119-291-315-344-388	السفطة	282.
(الانفراد بها)	470.	سقيف المنزل واجتماع الفقهاء فيه	305
الريح الشرقية والقحط	14.	السكينة والسكون	385-389-395-478.
رئيس الاحكام	195.	السلاح (سلاح التجار)	298.
رئيس الفقهاء	313.	السماع	90-112.
رئيس الكتاب	185.	السماع رزق	312-394.
رئيس المذهب وهو شاب	394.	السماع والغناء	345.
رئيس المؤذنين	167-368.	السماع في الخامسة من العمر	360
رئيس النظار	167-370.	السمت	181-184-267-302-382.
الرئيس الوزير	283.	السهل الممتنع	264-516.
الرئيس القاضي	400.	سهولة النظم عليه	407.
ز		السؤال الشديد	83.
زعيم أهل سبته في الفقه	193.	سوق الكتب	196.
الزمزية	91-414.	السياحة	275.
الزندقة	393.	السياسة (الصلابة في السياسة)	305.
الزهد	79-190-275-285-317-348-	سيولة الطبع	194.
	382-514-524.	ش	
زي الطلبة ورفضه	272.	الشاعر	283.
س		شاعر المغرب	271.
السذاجة	182-193-325.	الشاهد (كبير الشهود)	354.
سرعة البديهة	271.	الشَّيْبَة وإيرادها	415.
سرعة النظم	407.	شجرة تبوك	84.
سعد الأخبية	326.	الشرط والشروط	90-182-190-262-
سعد السعود	140.	الشعر	304.
		(الرائق)	327.
		(الضعيف)	339.

181.	صناعة العربية	392.	الشكل الحسن
41.	الصوت الحسن في قراءة القرآن الكريم	350-169-75.	الشكاسة في الخلق
340.	مؤذن حسن الصوت	321-168.	الشهادات المخزنية
374.	أحاديث ذكر فيها الصوت	402.	الشهيد
	الصوت في تقبيل الحجر = تقبيل	320.	الشواهد وتصحيحها
413-403.	الصوفية	193.	الشيبة المليحة
361.	الصيت البعيد	275.	الوضيئة 392.
	ض	289.	الشیطان ووسوسته (الضفدع)
-109-107-105-102-90-61.	الضبط	398-307.	شيخ الشيوخ
428-382-194-184-183.			ص
309-76.	الضجر في الخلق	70.	الصباحة
358.	الضرب	394-321.	الصابر الفقير
289.	الضفدع والشیطان	397.	الصدق في اللهجة
343.	ضيق الخلق	412.	الصدق في التوجه
	ط	438-76.	الصعوبة في الخلق
291.	الطاق	79-49.	الصفات
366-317-160-32.	الطاقية	305.	الصلابة في السياسة
-336-335-289-283-264-193.	الطب		الصلاح (أرباب الصلاح) 317-289-
403-340.		-386-373-368-366-363-362-341.	
194.	الطبع الذكي	524-408-403.	
271.	المطبوع	382-267.	الصمت
572-194.	الطبع السیال	472-154-23.	الصناعة
275.	طبقة الوقت في الشعر	330.	صناعة البيان
68.	طرائف	271.	صناعة التوثيق
282-156.	الطرب		
97.	الطريقة والمحافظة عليها		
568-472-434-267.	الطريقة الأدبية		

ع	186	الطريقة الحسنة
الاعدادات: عادة أهل مكة	303	الطريقة المشرقية في الخط
عارض الجيش		طريقة ابن عربي في الأقوال والأفعال
العارف	393	
عاشوراء	354	طريقة التجنيس
العالم 183-281-305-309-313	310	طريقة الجدل
	315	الطريقة الزجلية
العالم العامل	401	طريق السلف
العالى والنازل	315-131	طريقة الصوفية
العامة (شيخ من العامة لكن له سماع صحيح	414	طريقة المناظرة
العامي	319	طريقة النظر
عذبه التتار	97-79-49	الطريق: المحافظة على الطريق
العربية وصناعتها	128	طريقة ابن رشد
عرض الحفظ	414	الطريق الاوسط
عرض الكتب حفظاً	305	طلاقة الوجه
العرفان وادعائه	397	الطلب والجد فيه
العروض	184	الطَّلعة
عزة النفس	569	الطيب
العزلة		ظ
العسر واليسر	128-82-81-15	الظاهرية
العشرة وحسن العشرة 133-194-393	571-192-184-181	الظرف
	575	الظل. خفيف الظل
العقل الصحيح والكامل	97	الظالم والظلام
العقل الجيد	516-76-14	الظلم
العقيدة النظامية	305	العمال الظلمة
	111	الظن الخاطئ
	290	الظن المعتمد شرعاً

394.	الفتوى وإتيانها من الاقطار	32-363-377- العلامة (بتشديد اللام)
275-98.	الفحولة	399
473.	فحول الرجال	186.
520-514-353.	الفراغ. لا يفرغ لنفسه	375.
275.	الفرق والمعرفة بها	411.
262-127.	الفرضي	270.
397-395-382-306-180.	الفصاحة	82.
91.	الفطنة	17-51-61- العوالي (عوالي الاسناد)
168.	الفقراء ورسومهم	103-113-123-124-347-351-361-
168.	الفقير الصابر	379-396.
279.	الفكاهة	151
181-87.	الفلسفة	غ
319-307-75.	الفهم والذكاء	36-443.
386-350.	عدم الفهم	275.
204.	الفهم القوي	434-515-568.
462-321-303-107-105.	الفوائد	408.
ق		الغضب (من لا يظهر عليه الغضب)
304.	قارئ الأمراء	108-109-125.
375.	قاضي المارستان	132-473-489.
288.	القبة الحمراء بمراكش	105-106.
322.	القبض والبسط	105.
385-270.	القبول من الناس	335.
150-31-30-12.	القراءون (اليهود16).	276.
393-133.	الفرصة	ف
	القوم، اصطلاح القوم	271.
		239.
		82.
		الفتح في الفهم
		الفتوى: فتوى الصحابة
		الغريب
		اجتلاب الغريب
		الغزل
		الغضب (من لا يظهر عليه الغضب)
		الغلاظ
		الغلو
		الغموض
		غوامض الحديث
		غوامض العلوم
		الغوامض والمشكلات
		ف
		الفارع (بالعين المهملة)
		الفتح في الفهم
		الفتوى: فتوى الصحابة

الكبير	517-350-75
الكاتب	299-285-283-279-189
المالكية	512-85-81-62-49-16-15
المباحثة	336-305-88
المبارك	415-325-318-288-285
المباينة	340-331
المتأخرون والمتقدمون	551-285
المجاور	462-412
المجتهد	369-324-168
المجد بالكسب والوراثة	343
المحاكمة	383
المحجوب	569
المخزنية (الشهادات)	321
مداخلة الشيوخ لاخذ ما عندهم	328
المداعية	268-30
المذاكرة	287-146
مدرس المذهبين	369
المديح النبوي	458
المذهب: تغيير المذهب بعد الاعلام	364
مرشدة المهدي وشرحها	383
المزاح	91
المزاح اللطيف واللعب	403
المساجلة	319-257-280
مسند الدنيا	396
مسند الدهر	386
الكاتب	517-350-75
الكاتب (كاتب السر)	399
الكاتب	542-153-49-46
الكتب والمعرفة بها	306
كراء الحمامات والتعيش بها	356
الكرامات	415-325-285-92-91-86
الكسب	383-89-88
الكلام (علم)	438-353-270
كلام العرب	98-97
اللحن	397-324-90
لزوم ما لا يلزم	515-460-355-155
اللسان (علوم)	270-188
اللوصيبة بالنسيئة	294
اللعب والمزاح	403
اللقاء الحسن واللقاء الجميل	404-194
اللهجة الصادقة	397
اللوذعية	193-55

المشارك 49-97-101-170-176-180-	المكتبة 46-75-168-378-408.
181-186-193-194-283-310-329-	مكتبة الرباط 354.
362	المكوس 75-168-350.-
المشاعرة 333-336.	الملح 271-396.
المشاور 284-308-329.	المناظرات 16-18-46-403.
المشاية (قصة) 598.	الحدة في المناظرة 414.
المطالع والمقاطع 383.	المنافرة 369.
المطالع والمنازع 412.	المناقشات 100-103-276-277.
المطبوع 271.	319-325-
المعارضة 101-110-445-446-452-	المنامات 92-470.
523-499-459	المنطق 461.
المعارضة الشديدة 414-415.	منهج المحدثين 428.
معارضة النسخ 102.	المهارات 271.
معارضة الكتب 111.	المهارة 101-270-283-340-378.
معارضة القرآن 186.	
المعارضات 349.	ن
المعارضة والمقابلة 348.	
المعاني، الكلام على المعاني 366.	النوازل والبصر بها 304.
معاني العلوم 146-449-462-488.	نادرة الزمان 286.
المعرفة الجيدة 382.	الناظم 314-349.
المعمرون 292-293-301-316-	النائب: نائب الخطيب 194.
326-329-349-354-375-377-382-	نائب الفقيه 284.
مفتي الاسلام 168-369-406.	نائب القاضي 188.
المفاوضات 127.	نائب الملك 194.
مقابلة الخطوط 102-111-194.	النبات 377.
المكاملة 319-370-376.	النباهة 187-335.
	النبيل 192-304-314-318-319.

النثر	157-49	النكبة	488-457-441-311-301
النثر الفائق	377-301	النوادر	396-314-182
النجباء	340-300	نوادير التشبيهات	365
النحو والنحويون	187-159-100	النوم وقول الشعر	339
	407-319-318-310	النية في تأويل الشعر	569-434
النزاهة	305-193	هـ	
النزهة	307-149	هبة الكتب	201
النسيب	568-524	هدية الأشياء	337
نسيج وحده	275	هجاء (من لا يهجو)	567-330
النسيان	301	الهجاء	522
النَّصِيرِيَّة (مذهب)	393-133	الهذر القديم من الشعر	571
النظر: النظر الأصيل	193	الهمة	322-275
طريقة النظر	83	الهوى	569-521-386-195
النظر اللين	343	الهيئة الحسنة	273
النظر الحر	413	الهيئة الجميلة	275
النظر الحديد	319	الهيئة	513-76-50
النظم: النظم الجيد	356	و	
السهولة والسرعة في النظم	407	والي البلد	298
الناظم النائر	407	والي الديوان	193
النظير: إسناد لانظير له	266	الوجاهة	182
النعل الكريمة	456-316-266-228-36	الوجه الحسن	385
	480	وحدة الوجود	87
النعمة الطيبة	316-282	الوراقة الحسنة	368-280-197-165
النفس الكريمة	391	الورع	568-434-386-368-282-50
النفس القوية	392	الوصف 149. أوصاف الحرب	412-302
الوقع في النفس	399	وصف الطبيعة	439
النقد: عمدة النقد	363	الوصف المشترك	382

	الوضاءة	.392
	الوضع	.122
	وضع الحروف في الكلام	.311
	الوقاحة	.77
	الوقار	396-389-371-181-50-49
		.569-512-479-
	الوقت واستغلاله	.518-411

تَبْيِيهِ

مُجْتَرِئ في هذا المطبوع بما ذكر ويبقى هناك مسائل أخرى تتعلق بـ:

- (1) التاريخ والجغرافيا والفوائد الواردة عنهما في الرحلة.
 - (2) الكتب والمكتبات.
 - (3) الإجازات: إجازة المشاركة للمغاربة وإجازات المغاربة للمشاركة.
 - (4) مقارنة رحلة ابن رشيد بالرحلات التي تشبهها في المنهج كرحلة القاسم التجيبي ورحلة العبدري ورحلة العياشي وغيرهما.
 - (5) وغير ذلك مما ستجده في القسم الخامس الذي سيطبع لاحقا بإذن الله.
- وإذا يسر الله وأعان طبعنا كل ذلك ملحقا بهذه الأقسام

أَنعم الله علينا وعليكم بِمَنَّتِهِ وَمُنَّتِهِ.

فهرس المصادر والمراجع⁽¹⁾

أ - المخطوطات:

الاستدعاء لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري. خزانة القرويين بفاس (خروم رقم 7)
برنامج القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي (صورة من نسخة الأستاذ محمد بوخبزة. تطوان)
برنامج محمد بن جابر الوادي آشي: وقد أوردته هنا مع أنه مطبوع لأن مراجعه في الرحلة
كلها من المخطوط.

تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل. الخزانة الملكية.
تقييد المهمل لأبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني. مخط بخزانة الجامع الكبير
بكناس (رقم 237).

ديوان أبي عبدالله محمد بن الابار القضاعي (نسخة مصورة بخزانة الأستاذ الدكتور عبدالسلام
الهراس). وانظر منتخبات من نواذر المخطوطات بالخزانة الملكية ص 111 رقم 4602.

رحلة ابن رشيد = ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيية إلى الحرمين مكة
وطيبة. وهي نسخة مصورة من أصلها بخزانة الاسكوريال بإسبانيا : وقد بقي منها خمسة
أجزاء وهي: القسم الثاني من الجزء الأول برقم 1736 والجزء الثالث برقم 1739
والجزء الخامس برقم 1680 والجزء السابع برقم 1735 والجزء السادس برقم 1737.

سبك المقال لفك العقال لعبدالواحد بن محمد بن الطواح. مخط بالخزانة الملكية رقم 105/
2 وانظر عنه منتخبات من نواذر المخطوطات الخزانة الملكية ص 138.

طبقات المالكية مخط برقم 3928 د خزانة الرباط.

فتح المتعال في صفة النعال لأبي العباس أحمد بن محمد المقرئ مخط بالخزانة الملكية. رقم 3611
فهرست المجاري، وهو الحاج الرحال المسند أبو عبدالله محمد بن محمد بن علي المجاري،
الخزانة الملكية. الرباط. مجموع 2/2578.

¹ - لقد قصدت إلى جعل هذا الفهرس فهرسين فحسب: فهرس للمخطوطات وآخر للمطبوعات وذلك ليسهل البحث
فيه، وقد كنت عازما على تقسيمه إلى أنواع عدة وهي: فهرس للمخطوطات وآخر للمصادر القديمة وآخر للمراجع
الحديثة وآخر للمعاجم والفهارس الخاصة بالإعلام والمعاجم الخاصة باللغة ثم المجلات بعد ذلك والجرائد، ولكنني رأيت
في ذلك توزيعا وتشتيلا لذهن القارئ، ولهذا عدلت عن ذلك التقسيم إلى هذا الفهرس المبسط الذي يوحد الموضوعات
ويجمعها، وبهذا فإنك تجد الرحلات مثلا مجموعة في مكافأ، وكذلك المجلات، والمعاجم والفهارس، كلها مجموعة في
مكافأ الخاص بها. كما اشير أيضا إلى أن بعض هذه المخطوطات قد طبع الآن.

فهرست المنتوري وهو عبيدالله بن محمد بن عبدالمملك القيسي المنتوري. مخط بالخزانة الملكية رقم 1578.

فهرست الوادي آشي = برنامج الوادي آشي.

فيض العباب واجالة قدح الاداب في الحركة إلى القسنطينة والزاب لأبي اسحق ابراهيم بن عبدالله النميري الغرناطي (ابن الحاج) مخط بالخزانة الملكية رقم 3267 وانظر عنه مجلة منتخبات من نوادر المخطوطات ص 151.

القوانين لأبي الحسين عبيدالله بن أحمد بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني. خزانة القرويين بفاس رقم 513.

الكافي لعبيدالله بن أحمد بن أبي الربيع. خزانة القرويين بفاس. رقم. 512.

مختصر فتح المتعال لأبي العباس المقرئ. خزانة الرباط العامة رقم 1370.

المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق (وهو المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن). الخزانة العامة الرباط. رقم 111 ق.

مطالع الأنوار على صحيح الآثار فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري لابن قرقول. مخط بخزانة الجامع الكبير بمكناس رقم 165.

المعيار للونشريسي

ملء العيبة = رحلة ابن رشيد.

المصادر والمراجع الأخرى المطبوعة

الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. محمد بن عبدالله عنان. ط2. 1381-1961

ابن دقيق العيد. حياته وديوانه. علي صافي الحسين. مصر دار المعارف 1960.

ابن سعيد الأندلسي، حياته وتراثه الفكري والأدبي. لمحسن حامد العبادي. القاهرة.

ابن الفارض والحب الالهى. ذ. محمد مصطفى حلمي. مصر 1971.

أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي. ذ. فتحي عبدالفتاح الدجني. الكويت ط1. 1974.

أبو حيان النحوي. الدكتور خديجة الحديثي. بغداد. ط1 1385-1966.

أبو المطرف بن عميرة أحمد بن عميرة المخزومي. حياته وآثاره الدكتور محمد بن شريفة.

ط. الرسالة. الرباط 1385 - 1966

أبو الوليد بن الأحمر للأستاذ عبدالقادر زمامة دارالثقافة الدار البيضاء 1398-1978

الإتحافات السنينة بالأحاديث القدسية. عبدالرؤوف المناوي القاهري. بيروت.

- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي .ذ. عفيف دمشقية. معهد الإنماء العربي. بيروت 1978.
- أثر النحاة في البحث البلاغي .د. عبدالقادر حسين القاهرة 1970.
- الإحاطة في أخبار غرناطة. لسان الدين بن الخطيب. تحقيق محمد عبدالله عنان. ط2 القاهرة 1393 - 1973.
- أحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام. محمد بن علي بن دقيق العيد دار الكتب العلمية بيروت.
- أحكام صنعة الكلام. لأبي القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي. تحقيق رضوان الداية. بيروت 1966.
- الأحكام في أصول الأحكام. محمد بن علي بن حزم الأندلسي الظاهري تحقيق وسيم محمد أحمد عبدالعزيز. ط 1398-1978.
- الأحكام في أصول الأحكام لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي. بيروت 1400-1980.
- أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. بيروت ط3. 1972.
- إحياء علوم الدين. للإمام أبي حامد الغزالي. القاهرة (كتاب الشعب)
- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبنة من سني الآثار. لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي. تحقيق عبدالوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط 1389هـ - 1969م.
- اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي. لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد القاهرة 1959.
- إدراج الشروق على أنواء الفروق لأبي القاسم قاسم بن عبدالله الأنصاري المعروف بابن الشاط. دار المعرفة بيروت.
- الأدلة البينة النورانية عن مفاخر الدولة الحفصية. للشيخ أحمد الشماع. تونس 1936.
- أدب الإملاء والاستملاء لأبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. لندن. مط بريل 1952.
- الأدب الجغرافي العربي. أغناطيوس كراتشكوفسكي 1957.
- أدب الفقهاء .ذ. عبدالله كنون. دار الكتاب اللبناني. بيروت
- أدب الكاتب. لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق محمد يحيى الدين عبدالحמיד م. السعادة. مصر ط4 1382-1963.
- أدب الكتاب للصولي وهو أبو بكر محمد بن يحيى. دار الكتب العلمية. بيروت.

الأدب المغربي من خلال ظواهره (ج1. للدكتور عباس الجراري).

مكتبة المعارف الرباط. ط1 1399 - 1974.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي ابن محمد الشوكاني. دار المعرفة بيروت. 1399-1979.

أزهار الرياض في أخبار عياض. المعهد الخلفي للأبحاث المغربية. القاهرة 1359-1940. والكتاب لشهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني. وانظر أيضا أزهار الرياض.... طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي 1398. 1978-1979.

أساس البلاغة. جلاله أبي القاسم محمود الزمخشري. دار المعرفة بيروت 1399-1979. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء 1954.

الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري. دار الفكر بيروت 1398-1978.

أسرار البلاغة. للإمام عبدالقاهر الجرجاني. مصر.

أسهل المدارك، شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك جمع أبي بكر الكشناوي. المكتبة العصرية. ط2 بيروت.

الإرشادات والتنبيهات للرئيس ابن سينا. دار إحياء الكتب 1367 - 1948.

الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني. دار الفكر. بيروت 1398-1978

إصلاح المنطق لابن السكيت. شرح أحمد محمد شافع وعبد السلام هارون. دار المعارف مصر ط2 1375-1956.

أصول التشريع الإسلامي. علي حسب الله. ط4. 1391-1971. مصر. أصول الحديث، علومه ومصطلحه. ذ. محمد عجاج الخطيب. بيروت ط3 1395-1975.

أصول الدين. للإمام الأستاذ أبي عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2 1400-1980.

أصول الفقه. للإمام محمد أبي زهرة. دار الفكر العربي. 1377-1958.

الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد بن موسى ابن عثمان بن حازم الهمداني. نشر وتعليق راتب حاكمي ط1 حمص 1386-1966.

الاعتصام لأبي اسحق ابراهيم بن عيسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي. دار المعرفة بيروت 1332.

- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف مصر ط4.
- إعجام الإعلام تأليف محمود مصطفى دار الكتب العلمية بيروت ط1. 1983.
- الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الإعلام. عباس بن ابراهيم المراكشي. ط1. فاس 1355-1937. وانظر أيضا المطبعة الملكية الرباط 1974.
- الإعلام. قاموس تراجم. الزركلي ط2.
- الإعلام بمحدود قواعد الإسلام لعياض بن موسى بن عياض القاضي. المطبعة الملكية الرباط 1384-1964.
- إعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور. الرباط 1979.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية. مصر 1389-1969.
- الإفادات والإنشادات لأبي اسحق الشاطبي مؤسسة الرسالة ط1. 1983.
- إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح لمحمد بن عمر بن رشيد السبتي. تحقيق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة تونس.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي. دار الجيل بيروت 1973.
- إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (مجموعة من المؤلفين) دار المعارف مصر 1962.
- ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب: شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن القنفذ. ووفيات الونشريسي: أحمد ولقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي. تحقيق الدكتور محمد حجي. الرباط 1396-1976.
- الاماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض. تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث. ط1 1389-1970.
- أمالى المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد للشرىف المرتضى دار الكتاب العربى ط2. 1967.
- الأم لأبى عبدالله محمد بن ادريس الشافعى. (كتاب الشعب) 1380-1968.
- أمير مغربى فى طرابلس ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقى. للدكتور عبدالهادى التازى.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار لإبراهيم العلائى الشهير بابن دقماق ط. بولاق 1893.
- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهم.
- لأبى عمر يوسف بن عبدالبر النمري. دار الكتب العلمية - بيروت.

أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب. لأبي عبدالله محمد بن أحمد القيسي السراج الملقب بابن مليح. تحقيق الأستاذ محمد الفاسي. فاس 1388-1968.

أنس الفقير وعز الحقير لأحمد الخطيب المشهور بابن قنفذ القسنطيني. منشورات المركز الجامعي. نشر محمد الفاسي وأدولف فور. الرباط 1965.

الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم. لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار الفكر ط1 دمشق 1394 - 1974.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. دار المنصور. الرباط 1972.

أوصاف الناس في التواريخ والصلات. للسان الدين بن الخطيب. تحقيق د. محمد كمال شبانة (صندوق إحياء التراث الإسلامي).

الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي. دار الكتب العربية مط المدني 1959. الإيضاح في علوم البلاغة للإمام الخطيب القزويني ط3. بيروت 1391-1971. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون. لإسماعيل باشا البغدادي. مكتبة المثنى. بيروت.

الباعث الحثيث في اختصار علون الحديث. للحافظ ابن كثير. دار الفكر بيروت. البحث العلمي = مجلة (انظر المجلات).

البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لأحمد بن يحيى المرتضى. مؤسسة الرسالة بيروت. 1394-1975.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد. دار الفكر. البداية والنهاية في التاريخ. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ط1 1351-1932.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. لمحمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة بيروت ط1. 1348.

البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ. القاهرة 1960-1380.

البديع لابن المعتز انظر كتاب البديع.

- برنامج شيوخ الرعيني وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشيلي. دمشق 1381-1962.
- برنامج الوادي آشي. تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي بيروت ط1. 1400-1980. (واعتمدت على المخطوطة في الرحلة).
- البرهان في علوم القرآن. لمحمد بن عبدالله الزركشي. دار المعرفة بيروت ط2. 1391-1972.
- البيان. ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. لمحمد بن محمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي. الجزائر.
- البغداديون. أخبارهم ومجالسهم. لإبراهيم الدوري. بغداد 1377-1958.
- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد للقاضي عياض وزارة الأوقاف 1395-1975.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي. دار الكاتب العربي 1967.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ط1. 1326.
- . وانظر أيضا هذا الكتاب بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر 1979.
- بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب. للأستاذ محمد بن تاويت.
- البهجة في شرح التحفة لعلي بن عبدالسلام التسولي. دار المعرفة بيروت ط3 1397-1977.
- البيان المغرب.
- البيئات العلمية والفكرية بالبلاد العربية من رحلة ابن رشيد للدكتور محمد الحبيب بلخوجة.
- بيوتات فاس الكبرى. شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر. دار المنصور للطباعة. الرباط 1972.
- تاج التراجم في طبقات الحنفية. لزين الدين قاسم بن قطلوبغا بغداد 1962.
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. لخالد بن عيسى البلوي الأندلسي. مقدمة وتحقيق. ذ. الحسن السائح. مط. فضالة (صندوق إحياء التراث الإسلامي).
- تاريخ ابن خلدون ط. بولاق 1391-1971.
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. دار المعارف مصر.
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها تأليف الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ط2. 1969. دار المعارف.
- تاريخ اطرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك اطرابلس وما كان بها من الأخبار. لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسي القاهرة 1349.
- تاريخ التراث العربي. مجلد 1. لفؤاد سيزكين. القاهرة 1971.

- تاريخ التشريع الإسلامي للسيد محمد الحضري. دار الفكر ط8. 1387-1967.
- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني. للدكتور عبدالرحمن بدوي. الكويت ط1. 1975.
- تاريخ التصوف الإسلامي. د. قاسم غني. مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1972.
- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى لمحمد عبدالرحيم غنيمه
- تاريخ الجزائر العام. لعبدالرحمن بن محمد الجيلالي. الجزائر 1955.
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن ابراهيم الزركشي تونس 1966.
- تاريخ الطب العربي التونسي للحكيم أحمد بن ميلاد. تونس 1980.
- تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لمحمد بن رافع السلامي. بغداد 1357-1938.
- تاريخ علماء الأندلس. لعبدالله بن محمد بن يوسف المعروف بالقاضي. الدار المصرية للتأليف 1966.
- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. أحمد مصطفى المراغي. مصر ط1 1969-1950.
- تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي. بيروت.
- تاريخ الفكر الأندلسي. لآخيل بالنثيا نقله عن الإسبانية د. حسين مؤنس ط1 القاهرة 1928.
- كتاب التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. المكتبة الإسلامية. ديار بكر. تركيا.
- تاريخ الكعبة. للدكتور علي الحسين الحروبوطلي. دار الجيل بيروت 1396-1976.
- تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول. احمد الهادي العامري. تونس 1974
- التاريخ المفترى عليه في المغرب. لعبدالكريم الفيلاي. الرباط 1969.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس. للدكتور محمد رضوان الداية. دار الأنوار. بيروت 1388-1968.
- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري د محمد زغلول سلام. دار المعارف مصر.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور احسان عباس. دار الأمانة ط1 1391-1971.
- تالي كتاب وفيات الأعيان لفضل الله بن أبي الفخر الصقاعي. دمشق 1974.
- تأويل مختلف الحديث لعبدالله بن قتيبة. دار الجيل بيروت 1393-1973
- التبصرة أو التذكرة. (شرحا الفية العراقي المنوفي). وهو عبدالرحيم بن الحسن العراقي. المط. الجديدة طالعة فاس 1354.
- التذكرة = التبصرة.

تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الاصبع المصري.
القاهرة 1383-1963.

تحفة الوزراء المنسوب إلى أبي منصور عبد الملك الشعالبي تحقيق علي حبيب الراوي
والدكتورة ابتسام مرهون الصفار مط. العاني. بغداد 1977.

تخريج الفروع على الأصول لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني تحقيق الدكتور محمد
أديب صالح. مؤسسة الرسالة ط3. 1399-1979.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لعبد الرحمن السيوطي. دار إحياء السنة النبوية
بيروت 1399-1979.

التذكار = تاريخ اطرابلس الغرب.

تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي. دار إحياء التراث العربي 1374.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك. للقاضي عياض (وزارة الأوقاف الرباط) 1966.

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. لعبد العظيم المنذري دار الفكر.

التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا. للدكتور لطفي عبد البديع.
ط1، 1970.

التصوف الإسلامي، في الأدب والأخلاق. لزكي مبارك. دار الهلال بيروت.

التصوف الإسلامي الخالص لمحمد أبو القفيض المنوفي. القاهرة.

التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد. تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفة.
منشورات وزارة الأوقاف.

التعرف لمذهب أهل التصوف. لتاج الإسلام أبي بكر محمد الكلاباذي دار الكتب
العلمية. بيروت 1400-1980.

تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الغرناطي. طبع بالتصوير من مطبعة مولاي
السلطان عبد الحفيظ. وانظر أيضا ط2 دار الفكر 1398-1978.

تفسير غريب القرآن لعبد الله بن قتيبة. بيروت 1398-1978.

تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وهو لعبد الله بن عمر البيضاوي

التفسير القيم للإمام ابن القيم بيروت 1367-1948.

التفسير والمفسرون. لمحمد حسين الذهبي ط2، مصر 1396-1976.

تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان مصور عن طبعة مولاي السلطان عبد الحفيظ ط2،
1398-1978.

- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار المعرفة 1975.
- التقسيم الثلاثي للكلمة العربية. د محمد خير الحلواني محاضرات 1978 بكلية الآداب.
- تلبس إبليس لعبدالرحمن بن الجوزي أبي الفرج. دار الكتب العلمية بيروت 1368.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبدالبر النمري. مط. فضالة المحمدية 1387-1967.
- تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك لعبدالرحمن السيوطي، دار الفكر.
- تهافت الفلاسفة لمحمد بن رشد. تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط2، دار المعارف مصر.
- 1388-1968.
- تهذيب الأسماء واللغات لشرف الدين النووي دار الكتب العلمية بيروت.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنفاغ لمحمد بن إسماعيل الحسني الصنعاني. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד ط1، 1366 مصر.
- تونس العربية. إحسان حقي، دار الثقافة بيروت.
- ثبت أبي جعفر البلوي. تحقيق عبدالله العمراني، دار الغرب الإسلامي ط1. 1983.
- الثقافة المغربية = مجلة (انظر حرف الميم).
- ثقافة الناقد الأدبي للدكتور محمد النويهي. القاهرة ط1. 1949.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري. المدينة المنورة 1388-1968.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي. دار المعرفة بيروت.
- جامع القرويين. للدكتور عبدالهادي التازي. بيروت 1972.
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث. بيروت ط2
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي الكناسي. دار المنصور للطباعة الرباط 1973.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لمحمد بن فتوح الحميدي. تصحيح وتحقيق ذ. محمد ابن تاويت الطنجي. القاهرة.
- جريدة العلم الثقافي س8، عدد 468. الجمعة 13 جمادى 2. 1399- 11 ماي 1979.
- جريدة العلم الثقافي س11، ع 547، الجمعة 16 ربيع الأول 1401- 23 يناير 1981.
- جريدة النور ع 14 س2، جمادى الثانية 1395- يونيو 1975.

- جغرافية الأندلس وأوروبا لأبي عبيد البكري.
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية. إدارة الطبعة المنيرية.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان خير الدين الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لمحمد بن الخطاب القرشي. تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة ط1. 1387-1967.
- جمهرة أنساب العرب لأبي محمد بن حزم الأندلسي القاهرة ط3، 1971.
- الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية. دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا ط1 1394-1974.
- الحاوي للفتاوي للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2. 1395-1975.
- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه. دار الشرق ط3. 1399-1979.
- الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه لمحمد الصباغ. (المكتب الإسلامي) ط3، 1397-1977.
- حركات التشيع في المغرب ومظاهره. محاضرة الأستاذ الدكتور عبداللطيف السعداني، رحمه الله، في المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي. (فاس المغرب).
- الحركة العلمية في سبئة خلال القرن السابع. رسالة لنيل دبلوم الدراسات، أعدها الأستاذ إسماعيل الخطيب بإشراف الدكتور عبدالسلام الهراس (1980-1981).
- حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. شكيب أرسلان مصر 1355-1976.
- الحلل السندسية لمحمد بن محمد السراج. دار الكتب الشرقية تونس 1973.
- حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. بيروت ط2 1387-1967.
- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس) تونس 1972.
- الخصائص لعثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة مط. دار الكتب 1371-1952.
- الخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب لعبدالرحمن السيوطي.
- تحقيق الدكتور محمد خليل هراس دار الكتب الحديثة مط. المدني 1387-1967.
- الخطط للمقريزي
- خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة لشكيب أرسلان. مصر 1343-1925.

- خلاصة تاريخ سبنة للحاج محمد السراج. تطوان 1976.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري. بيروت ط2، 1391-1971.
- دائرة المعارف الإسلامية. ابرام. ط. بريل.
- دائرة المعارف الإسلامية للبستاني.
- الدارس في تاريخ المدارس لعبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي مطبعة الترفي. دمشق 1948.
- دراسات في التفسير. للدكتور مصطفى زيد. دار الفكر العربي 1970.
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي. ط2، بيروت 1977.
- درة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي. دار النصر للطباعة ط1، 1390-1970. وانظر أيضا ط. الرباط، 1936.
- درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مط. نهضة مصر - القاهرة.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن محمد بن حجر العسقلاني. دار الكتب الحديثة مصر. وانظر أيضا دار الجليل، بيروت.
- دعوة الحق = مجلة. انظر حرف الميم.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبدالقاهر الجرجاني. دار المعرفة بيروت 1398-1978.
- دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس. مصر. ط2، 1963.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبدالسلام بنسودة. تطوان 1369-1950.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر لعلي بن الحسن الباخري. تحقيق محمد الحلو. دار الفكر العربي مط. المدني.
- ديوان ابن خفاجة. تحقيق الدكتور سيد غازي، مصر ط2. 1979. وانظر أيضا مط. المناهل ودار صادر 1951.
- ديوان ابن دراج القسطلي. تحقيق الدكتور محمود علي مكي، ط2 1389 (المكتب الإسلامي).
- ديوان الأعمى التطيلي وهو أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة. تحقيق إحسان عباس. بيروت 1963.
- ديوان أبي تمام
- ديوان أبي العتاهية. دار صادر بيروت 1384-1964

ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ. دار الكتاب العربي، بيروت.

ديوان الشريف الرضي. مؤسسة الاعلمي، بيروت.

ديوان عمر بن أبي ربيعة دار صادر.

ديوان المتنبي = شرح ديوان المتنبي.

ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث. تحقيق عبدالله كنون. ط2، القاهرة 1965.

ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعارف مصر.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لأحمد بن عبدالله الطبري العراق، 1387-1947.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لعلي بن بسام الشنتريني. القاهرة 1364-1945.

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لعلي بن أبي زرع الرباط 1972.

ذكريات مشاهير رجال المغرب: تأليف عبد الله كنون

- مالك بن المرحل عدد 8

- أبو بكر بن شبرين عدد 17

- محمد بن رشيد عدد 18

- أبو القاسم الشريف عدد 21

- عبدالمهيمن الحضرمي عدد 26

- أبو العباس العزفي عدد 27

- أبو العباس بن البناء عدد 32

ذم الهوى لعبدالرحمن بن الجوزي، ط1 1381-1962.

ذيل تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله الذهبي. دار إحياء التراث

ذيل العبر للذهبي والحسيني (حكومة الكويت)

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن عبدالمملك المراكشي. دار الثقافة، بيروت.

رحلة ابن بطوطة. دار التراث، بيروت 1388-1968.

رحلة ابن رشيد = ملء العيبة (في المخطوطات).

رحلة الأندلس للدكتور حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر ط1، 1963.

رحلة التجاني أبو محمد عبدالله بن محمد أحمد التجاني. تونس 1378-1958.

رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة وتقديم حسن حبشي دار

المعارف - مصر 1968.

الرحلة الحجازية لمحمد ليبب البتنوني. مصرط2، 1329.

رحلة العبدري = الرحلة المغربية.

رحلة العياشي = ماء الموائد, ط2 مصورة بالافسط, وضع فهارسها ذ. محمد حجي.
الرباط 1397-1977.

الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب. دار الكتب العلمية ط1,
بيروت 1395-1975.

رحلة القلصادي وهو أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي. دراسة وتحقيق محمد أبو
الأجفان. تونس.

الرحلة المغربية لأبي عبدالله محمد بن محمد العبدري الحيجي. حققه وقدم له وعلق عليه
ذ. محمد القاسي. الرباط 1968.

رحلة الناصر الدرعي وهو أحمد بن محمد بن ناصر
الرحلة الورثيلانية = نزهة النظر

رسائل ديوانية من سبنة في العهد العزفي لخلف الغافقي القبتوري تقديم وتحقيق الدكتور
محمد الحبيب الهيلة. المطبعة الملكية الرباط 1399-1979.

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبدالرحمن. دار
المعارف مصر. ط4, 1957.

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور الكتب السنة المشرفة للسيد الشريف محمد بن جعفر
الكتاني. تقديم وفهرسة محمد المنتصر المتاني. دار الفكر, دمشق. ط3, 1383-1964.
وانظر أيضا دار الكتب العلمية ط2, 1400.

رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية. إدارة المطبعة المنيرية ط4, 1392.
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الخوانساري الأصفهاني. طهران.
الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. مؤلفه أبي القاسم عبدالرحمن
السهيلي. دار المعرفة 1398-1978.

الروض الباسم في الذب عن ستة أبي القاسم لأبي عبدالله الوزير اليماني. دار المعرفة
بيروت 1399-1979.

الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي) لمحمد بن عبدالمنعم الحميري. تحقيق ذ.
إحسان عباس. مؤسسة ناصر الثقافة ط2, 1980.

روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب. دار الفكر العربي. ط1, 1387
-1968.

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية القاهرة. مط. الفجالة الجديدة.
- روضة النسرین في دولة بني مرین لإسماعیل بن الأحمر. المط. الملكية الرباط 1382-1962.
- زبدة كشف الممالك، وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري. باريس 1894.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي محمد بن قاسم الأنباري. العراق، دار الرشيد 1399-1979.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس. لمحمد بن جعفر لكتاني.
- سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني وهو ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي 1395-1975.
- سنن أبي داود دار إحياء السنة النبوية.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) دار الفكر ط3 1398-1978.
- سنن الدار قطني. تصحيح عبدالله بن هاشم المدني ط. المدينة المنورة 1386-1966.
- سنن النسائي دار إحياء التراث. بيروت (شرح السيوطي)
- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البهقي. دار الفكر بيروت.
- سوس العالمة لمحمد المختار السوسي.
- السيرة النبوية لابن هشام. تقديم طه عبدالرؤوف. المركز الثقافي 1975.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي، بيروت. ط1، 1349.
- شخصيات قلقة في الإسلام. للدكتور عبدالرحمن بدوي. القاهرة 1964.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحلي الحنبلي. منشورات دار الآفاق، بيروت.
- وانظر أيضا ط. القاهرة 1350.
- شرح ابن عقيل. تحقيق محيي الدين عبدالحميد. دار الفكر بيروت 1394-1974.
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية. تأليف عبدالحميد الرازي ط2، مؤسسة الرسالة.
- 1395-1975.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة لمحمد بن عبدالرحمن القزويني دمشق. دار الحكمة ط1، 1390-1970.

- شرح حديث النزول لابن تيمية. منشورات المركز الإسلامي، بيروت ط5، 1397-1977.
- شرح ديوان امرئ القيس حسن السندوي، مصر ط5.
- شرح ديوان المتنبي. وضع عبدالرحمن البرقوقي. مط. السعادة 1349.
- شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الاسترابادي. دار الفكر العلمية، بيروت 1395-1975
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لأبي محمد عبدالله بن هشام. دار الفكر.
- شرح المفصل ليعيش بن علي بن يعيش النحوي. عالم الكتب، بيروت. ومكتبة المتنبي القاهرة.
- شرحا الفية العراقي = التبصرة أو التذكرة. المط. الجديدة. فاس 1354.
- شرف أصحاب الحديث لأبي بكر بن ثابت الخطيب. دار إحياء السنة النبوية.
- الشعر والشعراء. لعبدالله بن قتيبة. دار الثقافة، بيروت 1969.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي. دار الآفاق الجديدة. بيروت، ط2، 1978.
- الشفاء للقاضي عياض (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) مكتبة الفارابي، دمشق. الوكالة العامة للنشر بيروت.
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، أحمد علي القلقشندي القاهرة 1963.
- صبح البشكنسية. لسيمون حايك. مطابع الكرم الحديثة. 1976.
- الصبح البديعي في اللغة العربية. للدكتور أحمد ابراهيم موسى. دار الكاتب العربي، القاهرة 1388-1969.
- صحيح ابن خزيمة وهو أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري. تحقيق الدكتور مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، شعبان 1390.
- صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي.
- صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحميري. الرباط 1937.
- الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي.
- ومحمد أبو الفضل ابراهيم. عيسى البابي وشركاه. ط2

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي للدكتور جابر أحمد عصفور، دار الثقافة، القاهرة 1974.
- الصوفية بين الأمس واليوم، للدكتور حسين نصر، ترجمة الدكتور كمال خليل اليازجي، الدار المتحدة للنشر، ط1، 1975.
- الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد لكمال الدين أبي الفضل جعفر الأذفوي المنوفي الشافعي.
- الطب النبوي لمحمد بن قيم الجوزية، بيروت، دار إحياء التراث.
- طبقات الحفاظ للسيوطي، مطبعة الاستقلال الكبرى، مكتبة وهبة ط1، 1393-1973.
- طبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الحسيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1979.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، مط. عيسى البابي الحلبي، ط 1383-1964.
- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداودي، مكتبة وهبة 1392-1972.
- الطراز = كتاب الطراز، ليحيى العلوي، دار الكتب العلمية بيروت
- عارضة الاحوازي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر بن العربي المالكي دار العلم للمجموع.
- عاشوراء عند المغاربة للدكتور عباس الجراري، منشورات النادي الجراري ط 1 1911.
- العصور الذهبية المغربية، عصر المنصور الموحي، لمحمد الرشيد ملين، مط. الشمال الإفريقي.
- العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، مط. لجنة التأليف، ط3، القاهرة 1384-1965.
- العقيدة الطحاوية وهي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، المكتب الإسلامي، ط4، 1391.
- العقيدة والشرعية في الإسلام، اجناس كولتسيهر، دار الكاتب المصري، القاهرة 1946.
- العلم الثقافي = جريدة، (انظر حرف الجيم).
- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، الدوميلي دار القلم، ط1، 1383-1962.
- علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين ط6، بيروت 1971.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. لأبي علي الحسن بن رشيق. تحقيق محمد محيي الدين. دار الجيل بيروت. ط4، 1972.
- عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب. للشيخ محمد النيفر. تونس 1351.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد بن أحمد بن عبدالله الغبريني. الجزائر 1328-1919.
- عوارف المعارف لعبدالقاهر بن عبدالله السهروردي. بيروت ط1، 1966.
- عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي. تحقيق طه الحاجري وذ. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية الكبرى 1956.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمري. دار الجيل، بيروت ط2، 1974.
- عيون الأخبار لابن قتيبة. لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. المؤسسة المصرية العامة 1383-1963.
- غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد الجزري. ط. مكتبة الخانجي 1352-1933.
- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات. لعلي بن ظافر الأزدي المصري. دار المعارف مصر 1971.
- غرر الفوائد = أمالي المرتضى.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. دار الكتاب العربي. حيدر آباد الدكن الهند، 1384-1964.
- غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري مط. العاني، بغداد ط1، 1397-1977.
- الفائق في غريب الحديث. لجلال الله الزمخشري. ط1، القاهرة 1364-1945.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. لأحمد بن علي بن قنفذ القسنطيني. تونس 1968.
- فاس في عصر بني مرين. روجيه لوتورنو. بيروت 1967.
- فتاوى ابن تيمية = مجموع فتاوى.
- الفتاوى الحديثية لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي دار المعرفة، بيروت.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني. مصر 1348.

- فتح المبين في طبقات الأصوليين دار الكتب العلمية.
بيروت ط2, 1394-1974.
- الفروق لشهاب الدين الصنهاجي القرافي. دار المعرفة بيروت.
- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. دار الآفاق بيروت ط2 1977.
- فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي. نشر الدكتور صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد ط1, 1387-1968.
- فضائل القدس لعبدالرحمن بن علي الجوزي, دار الآفاق الجديدة, بيروت. ط1, 1979.
- فضائل القرآن لأحمد بن شعيب النسائي. تحقيق ذ. فاروق حمادة. دار الثقافة, الدار البيضاء. ط1, 1400 - 1980.
- الفقه على المذاهب الأربعة = كتاب الفقه.
- الفقيه والمتفقه. لأحمد بن ثابت الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية, بيروت. ط3, 1400-1980.
- الفلك الدائر لابن أبي الحديد. (بآخر المثل السائر) ط1, 1959.
- فلاسفة الإسلام في المغرب العربي. جمعية نبراس الفكر دار كريماس, تطوان.
- فلسفة التشريع في الإسلام. ذ. صبحي محمصاني. ط4, بيروت دار العلم للملايين, 1975.
- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. غاردية. دار العلم للملايين, بيروت. ط1, 1967.
- فهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي دار الآفاق الجديدة. ط2, 1399-1979.
- فهرس ابن غازي (التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد). تحقيق محمد الزاهي. الدار البيضاء 1399-1979.
- الفهرست لابن النديم. مط. الاستقامة. القاهرة.
- فهرست الوادي آشي = برنامج.
- فهرست الرصاع
- فهرس الفهارس والإثبات. معجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات. لعبدالحی عبدالكبير الكتاني الفاسي. فاس 1347-1926.
- فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج 1 و 2 ط1, 1399-1400, 1979-1980.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبدالحی اللكنوني. ط1, 1324.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني. القاهرة 1398-1978.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة. مكتبة
المتن، بيروت.

الكشكول لبهاء الدين العاملي. تقديم الطاهر أحمد الزاوي. دار إحياء الكتب العربية.
كفاية الطالب اللبيب = الحقائق الكبرى للسيوطي.

الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. بيروت المكتبة
العلمية.

كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ. لأبي يوسف يعقوب ابن السكيت. المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1895.

اللائى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة. لعبدالرحمن السيوطى. بيروت ط2، 1395-1975.
اللباب فى النحو لعبدالوهاب الصابونى. مكتبة دار الشرق. بيروت.

لسان العرب لابن منظور ط. بولاق.

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لزين الدين بن رجب الحنبلي. بيروت 1975.
 لقط الفرائد = ألف سنة من الوفيات.

اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب. القاهرة 1347. المط. السلفية.

لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لعبد الملك الجويني. مصر ط 1، 1385-1965.
اللمع في التصوف = كتاب اللمع.

ماء الموائد = الرحلة العياشية.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير 1، 1959.

مثلثات قطرب تحقيق ذ. رضا السوسي. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس 1978-1398.

مجلة (المجلات)

- مجلة الأصالة الجزائرية. س 4 ع 26 1395-1975.

- مجلة البحث العلمي 4 يناير 1965. وع 10 س 4 وع 20-21 وع 26 س 3.

- مجلة البيئة س 1 ع 3 محرم 1382-1962. وس 1 ع 6 1382-1962.

- مجلة الثقافة المغربية 5٤ دجنبر 1971.

- مجلة دعوة الحق (1ع 2س) (2ع 2س) (3ع 2س) (4ع 2س) (2ع 3س) (4ع 2س) (3ع 4ع)

- (4س) (4ع 5س) (5ع 8س) (6-7س 14) (1ع 17س) (7ع 17س)

- مجلة العرب السعودية (ج 5 م 3) (ج 2 م 4) (ج 1 م 2)

- مجلة المجلة المصرية ع 87.

- مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 1 جزء 1 مايو 1955 ومجلد 2 ج 2 1955.
- مجلة المنهل ع 3 وع 8 وع 17 وع 22.
- مجلة المورد العراقية مجلد ع 3 1979.
- مجموع فتاوى ابن تيمية. مكتبة المعارف الرباط، المغرب.
- المحاضرات الثقافية الأسبوعية. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ج 1 الرباط 1389-1969
- المحاضرات المغربية لمحمد الفاضل بن عاشور الدر التونسية للنشر. تونس.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبدالحق بن عطية، وزارة الأوقاف 1395-1975.
- المحصل في علم أصول الفقه. محمد بن عمر الرازي. السعودية ط 1، 1399-1979.
- محيي الدين بن عربي. من شعره. تأليف عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين ط 1، بيروت 1970.
- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. دار الكتاب العربي، بيروت ط 1، 1967.
- مختصر العين لأبي بكر الزبيدي تقديم وتحقيق د. نور الشاذلي عالم الكتب ط 1. 1996.
- المدارس النحوية. للدكتور شوقي ضيف. دار المعارف مصر ط 2، 1968.
- المدرسة المستنصرية. لحسين أمين. بغداد 1960.
- مدن عربية. لنقولا زيادة. دار الطليعة، بيروت ط 1 1965.
- مدينة العرب في الأندلس. جوزف ماك كيب. مط. العاني 1369-1953.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لعبدالله بن سعد اليافعي. بيروت ط 2، 1390-1970.
- مراتب النحويين لأبي الطيب عبدالواحد اللغوي. تحقيق أبي الفضل ابراهيم. دار نهضة مصر، القاهرة 1394-1974.
- مراكز الثقافة في المغرب. لعثمان الكعاك. معهد الدراسات العربية 1958.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب للدكتور عبدالله الطيب. دار الفكر ط 2، 1970 بيروت.
- تاريخ قضاة الأندلس = المرقبة العليا.
- المرقصات والمطربات لعلي بن الوزير أبي عمران. دار حمد ومحيو. بيروت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن حسن المسعودي. دار الفكر ط 5، 1393-1973.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبدالرحمن السيوطي. دار إحياء الكتب العربية.
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. للدكتورة سعاد ماهر محمد 1391-1971.
- المستصفي من علم الأصول لأبي حامد الغزالي. شركة الطباعة الفنية المتحدة 1391-1971.

المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي. طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة.
الموافقات في أصول الشريعة لأبراهيم بن موسى الشاطبي. دار المعرفة بيروت.
المؤرخون والجغرافيون لجليان ريبيرا.
المورد = مجلة المورد.
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار. المكتبة العتيقة ط3 1967. العربي ط3, 1965.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد بن قايماز الذهبي. القاهرة ط1, 1325.
ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي مصر ط15, 1384-1965.
الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبةالله بن سلامة ط2, 1387-1967. شركة مصطفى البابي مصر.
النبوغ المغربي في الأدب العربي. ذ. عبدالله كنون. مكتبة المدرسة. بيروت ط2, 1961.
النشر الفني في القرن الرابع. لزكي مبارك, دار الجيل بيروت 1965.
نفي فرائد الجمال في نظم فحول الزمان لابن الأحمر. بيروت دار الثقافة 1967, تحقيق الدكتور رضوان الدايدة.
أعلام المغرب والأندلس = نثر الجمال في شعر من نظمني وإياه الزمان لإسماعيل بن يوسف الأحمر مؤسسة الرسالة 1396-1976.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي الاتاكي. القاهرة 1348-1929.
النجوم الطوالع على البدور اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لسيدى إبراهيم المارغني.
نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى. لافي بروفنسال. مكتبة اميل لاروز الكتبي باريس 1342-1923.
نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية. تأليف الحسين الورثيلاني دار الكتاب العربي بيروت ط2, 1974.
نشر البنود على مراقبي السعود لسيدى عبدالله بن إبراهيم الشنقيطي.
النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لسيدى ادريس أحمد ابن الحسن الوزاني. ط1, 1352.
النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن الجزري.
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري. الرباط 1397-1977.
نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك لأبي فارس عبدالعزيز المزروزي. المط. الملكية, الرباط 1382-1967.

معيار العلم = تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي. تحقيق سليمان دنيا. دار المعارف مصر 1961.

نفاضة الجراب لابن الخطيب السلماني.

نفع الطيب لأبي العباس المقرئ تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي بيروت. وانظر أيضا تحقيق احسان عباس.

النقد الأدبي في العصر المملوكي للدكتور عبدالعزيز قلقيلية ط1، 1972.

النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري.

النقد الأدبي في المغرب العربي للدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة. مكتبة الانجلو المصرية 1973.

نكت الهميان في نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي

النهاية لابن الأثير نشر المكتبة الإسلامية.

نهاية الارب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ط. القاهرة.

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين لمحمد عبدالله عنان ط3، مط. لجنة التأليف القاهرة 1386-1966.

هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي استانبول 1951.

هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله لابن خليفة عليوي دمشق 1398.

همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية لعبدالرحمن السيوطي. ط1، 1327.

الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. دمشق المط. الهاشمية 1959.

الوافي في العروض والقوافي. صنعة الخطيب التبريزي. دار الفكر ط2، 1395-1975.

وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري. الدار البيضاء ط1، 1396-1976.

ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين للأستاذ محمد المنوني. منشورات كلية الآداب الرباط. الرباط 1399-1979.

الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. مط. عيسى البابي.

وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الزباني ط. 1399.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، دار صادر بيروت.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لعبد الملك الثعالبي ط2، م. السعادة، 1375-1956.

الفهرس المفصل لمحتويات الكتاب

القسم الأول	
تقديم..... أ	مصر - القاهرة..... 33
مقدمة..... 1	القاهرة..... 34
تمهيد: البيئة العامة للعالم العربي	الاسكندرية..... 35
من النصف الثاني للقرن	الشام..... 35
السابع الهجري إلى أوائل	دمشق..... 36
القرن الثامن..... 5	بيت المقدس..... 37
الفصل الأول: الاحوال السياسية	مكة المكرمة والمدينة..... 37
والاجتماعية والعقدية	ذكر الجوامع والمساجد والمدارس
والثقافية في عصر	والمكتبات والرباطات ومنازل
ابن رشيد..... 7	العلماء في تلك المراكز الثقافية..... 39
المجتمع الاسلامي في	المساجد..... 40
أواخر القرن السابع	المدارس..... 42
الهجري..... 9	الرباطات..... 45
1 - الاحوال السياسية	منازل العلماء..... 46
2 - الحالة الاجتماعية	46..... الكتاب والمكتبة
والاقتصادية..... 14	الفصل الثالث: التعريف بابن
3 - الاحوال الدينية والعقدية..... 15	رشيد السبتي..... 47
4 - الاحوال الفكرية في بعض	المبحث الأول: مصادر ترجمته..... 48
المراكز الثقافية..... 16	1 - المصادر..... 53
الفصل الثاني: أهم المراكز الثقافية	2 - الكتب التي كانت تتقل
في عصر ابن رشيد..... 19	من الرحلة..... 55
سبته..... 20	3 - بعض التراجم والافادات..... 57
غرناطة..... 26	4 - بعض المجلات والجرائد..... 58
المرية..... 26	المبحث الثاني: حياة ابن رشيد..... 60
مالقة..... 27	أصله ونسبه..... 60
رندة..... 27	مولده ونشأته..... 61
فاس..... 28	أسرته..... 68
مراكش..... 29	عمه..... 68
تلمسان..... 30	أولاده..... 69
بجاية..... 30	أحفاده..... 70
بونة (عنابة)..... 31	صهره..... 70
تونس..... 31	كرسيه العلمي..... 71
طرابلس..... 32	أ - بالمدرسة الظاهرية
	بدمشق..... 71

72.....	ب - كرسية بسبته
72.....	ج - كرسية بغرناطة
73.....	د - كرسية بمرآكش
73.....	هـ - كرسية بالقرويين
75.....	المبحث الثالث: خلقه ومزاجه
	المبحث الرابع: ملامح عن مذهبه
	في الفقه والزهد
79.....	والتصوف
95.....	المبحث الخامس: ثقافته
	1 - ثقافته في العلوم
96.....	الشرعية
96.....	أ - ثقافته في القراءة والتفسير
99.....	ب - ثقافته في الحديث الشريف
99.....	- مقامه بين المحدثين
101.....	- منهجه في الحديث
	- قوله بضعف صناعة
103.....	الحديث في عصره
103.....	- عنايته بصحيح البخاري
112.....	- بعض أسانيده
127.....	ج - ابن رشيد الفقيه
130.....	د - ابن رشيد التصوف
	2 - ثقافته في الأدب
133.....	و العلوم اللسانية
134.....	ابن رشيد الأديب
134.....	أ - شعره
135.....	مصادر شعره
136.....	أغراض شعره
137.....	موضوعات شعره
144.....	- الأخوانيات
148.....	- الوصف
149.....	- الحنين والشوق
152.....	- موضوعات عامة
155.....	- قيمة شعره
156.....	ب - نثره
157.....	ج - جوانب أخرى
157.....	ابن رشيد والنقد والبلاغة
158.....	- ابن رشيد النحوي
159.....	- ابن رشيد العروضي
160.....	- الحس التاريخي لديه
160.....	- ابن رشيد الجغرافي
162.....	- ابن رشيد الخطاط

	المبحث السادس: أثر شيوخ ابن
165.....	رشيد في تكوين شخصيته
170.....	المحدثون
171.....	الفقهاء
173.....	المتصوفون والزهاد
173.....	المقرونون
173.....	الأدباء والكتاب
175.....	النحاة
175.....	التاريخيون
175.....	العروضيون
177.....	المبحث السابع: تلاميذه
177.....	1 - إبراهيم بن أبي العاصي
178.....	2 - إبراهيم التسولي
178.....	3 - أحمد اليفراني المكناسي
178.....	4 - أحمد بن خيرون
178.....	5 - أحمد بن جري (بالراء)
179.....	6 - أحمد بن أبي جبل
179.....	7 - أحمد بن شعيب الجزنائي
179.....	8 - أحمد بن يربوع
180.....	9 - أحمد الطنجالي
180.....	10 - أحمد الزواوي
180.....	11 - خال البلوي
180.....	12 - ست العرب الحضرمي
181.....	13 - سعيد بن ليون
181.....	14 - عبد الرحمن القيسي
181.....	15 - عبد الله القصري السبتي
181.....	16 - عبد الله الملجوم
182.....	17 - عبد الله الرعيني
182.....	18 - عبد المهيم الحضرمي
182.....	19 - عتيق بن مقدم اللحمي
182.....	20 - علي بن عتيق القرشي
183.....	21 - علي بن الجباب
183.....	22 - عمر القرشي العبدري
183.....	23 - القاسم التجيبي السبتي
184.....	24 - محمد الأيلي
184.....	25 - محمد الصفار المراكشي
184.....	26 - محمد السيارى البياني
184.....	27 - محمد التلمساني
185.....	28 - محمد الفشتالي

القسم الثاني: دراسة الرحلة

المبحث الأول: وصف أجزاء

الرحلة موضوعها وخط سير

- ابن رشيد فيها..... 205.
1 - وصف أجزاء الرحلة..... 207.
أ - القسم الأول من الجزء الأول..... 208.
ب - القسم الثاني من الجزء الأول..... 211.
ج - الجزء الثالث..... 212.
د - الجزء الرابع..... 214.
هـ - الجزء الخامس..... 218.
و - الجزء السادس..... 219.
ز - الجزء السابع..... 221.

2 - تحقيق بعض النصوص

- والتراجم المفقودة من الرحلة..... 221.
المبحث الثاني: المضامين العامة
للمرحلة في الأجزاء

- الموجودة..... 230..
الجزء الثاني..... 230.
الجزء الثالث..... 231.
الجزء الخامس..... 232.
الجزء السادس..... 234.
الجزء السابع..... 235.

المبحث الثالث: موضوع الرحلة

- ومنهج ابن رشيد فيها..... 237.
المبحث الرابع: خط سير ابن رشيد
في رحلته..... 244.
المبحث الخامس: أهم المصادر التي

- كان يرجع إليها وينقل منها..... 251.
أ - كتب الحديث والفقه والتفسير
والاصول والاحكام والزهد

- والتصوف والتعبير..... 252.
ب - كتب الادب واللغة والنحو..... 256.
ج - المعاجم..... 257.
د - الفهارس والمشيخات..... 257.
هـ - كتب التاريخ..... 258.
و - المحدثون والادباء وغيرهم..... 259.

- 29 - محمد الزيات الكلاعي..... 185.
30 - محمد بن شقرال الطرسوني..... 185.
31 - محمد بن جزى الكلبي..... 185.
32 - محمد بن قطبة الدوسي..... 186.
33 - محمد بن خميس الانصاري..... 186.
34 - محمد الشريف الحسني..... 186.
35 - محمد بن شبرين..... 187.
36 - محمد البردعي..... 187.
37 - محمد بن مشتمل البلياني..... 187.
38 - محمد الرعيني السراج..... 188.
39 - محمد الكرسوطي..... 188.
40 - محمد بن منظور القيسي..... 188.
41 - محمد العواد الرعيني..... 188.
42 - محمد بن عثمان المرباط..... 188.
43 - محمد الفخار الالبيري..... 189.
44 - محمد بن علي الجزولي..... 189.
45 - محمد بن أبي امامة النكالي..... 189.
46 - محمد بن أسود الغساني..... 190.
47 - محمد بن علي البياسي..... 190.
48 - محمد الصيرفي..... 190.
49 - محمد البليقي..... 190.
50 - محمد بن المعمم..... 190.
51 - محمد بن بيبش العبدري..... 191.
52 - محمد البلوي..... 191.
53 - محمد بن يحيى الأشعري..... 191.
54 - يحيى النكالي السبتي..... 191.
55 - يحيى بن عرفة..... 192.
56 - يحيى بن رشيد..... 192.
57 - يوسف الساحلي..... 192.
58 - يوسف المنتشافري..... 192.
المبحث الثامن: من مكتبته..... 194.
المبحث التاسع: تأليفه..... 201.
أ - في الحديث..... 201.
ب - تخرجات في الاحكام..... 202.
ج - في العقيدة..... 203.
د - في الأدب والبلاغة والنقد..... 203.
هـ - في العروض..... 204.
و - في النحو..... 204.
ز - في الفهارس والمعاجم..... 204.

المبحث السادس: ذكر من لقيهم

ابن رشيد من الشيوخ

والاصحاب 261

أ - ذكر من لقيهم بسبته 262

1 - ابراهيم التلمساني 262

2 - ابراهيم الغافقي 263

3 - أبو بكر بن يربوع 264

4 - أحمد العزفي 264

5 - ادريس الانصاري 265

6 - خلف القنبوري 265

7 - عبد العزيز الجزيري 267

8 - عبيد الله بن أبي الربيع 268

9 - علي بن الخضار الكتامي 270

10 - القاسم بن الشاط 270

11 - مالك بن المرحل 271

12 - محمد بن الحاج البليقي 272

13 - محمد الكميلي 273

14 - محمد بن أبي القاسم الحسني 273

15 - ابن عبيدة الانصاري 274

16 - محمد بن الدراج 274

17 - محمد بن خميس الحجري 275

18 - محمد بن عبد الملك المراكشي 276

19 - محمد بن الخضار الكتامي 277

20 - يحيى بن منظور 278

21 - يوسف الطرطوشي 279

ب - ذكر من لقيه بفاس 280

22 - سارة الحلبية 280

ج - ذكر من لقيه بمر اكش 280

23 - محمد القلوسي 280

24 - أحمد بن البناء المراكشي 281

25 - عبد الحليم التلايني 282

د - ذكر من لقيه بالجزيرة الخضراء 283

26 - محمد بن خميس الاصطبوني 283

هـ - ذكر من لقيه بالمرية 283

27 - أحمد بن شلبطور 283

28 - محمد بن الصانع الأمي 284

و - ذكر من لقيه برندة 284

29 - علي بن يوسف السفاج 284

30 - القاسم القرميني 285

31 - محمد بن الحكيم الرندي 286

32 - موسى بن عاصم 288

ز - ذكر من لقيه بشقر 289

33 - يوسف بن طاوس 289

ح - ذكر من لقيه بغرناطة 290

34 - ابراهيم بن فرج 290

35 - أحمد بن الزبير 290

36 - عباس التجيني 291

37 - القاسم الهوزني 291

38 - محمد بن الامام 292

39 - محمد بن جزي 292

ط - ذكر من لقيه بمالقة 292

40 - أبو الحسن بن قر اقش 292

41 - محمد بن مالك بن المرحل 293

42 - محمد بن عياش القرطبي 293

43 - أبو زكرياء الرنداحي 294

ي - ذكر من لقيهم بمنورقة 294

44 - أبو عمر بن حكم وابناؤه 294

45 - عبد الله مولى ابن حكم 295

ك - ذكر من لقيهم ببجاية 295

46 - عبد العزيز بن كحيلة 295

47 - محمد بن رحيمة 296

48 - ناصر الدين المشدالي 297

ل - ذكر من لقيه ببونة (عناة) 298

49 - القاسم الفحصيلي 298

م - ذكر من لقيه بتلمسان 298

50 - محمد الخزرجي 298

51 - أبو بكر محمد بن خطاب 299

ن - ذكر من لقيهم بتونس 300

52 - ابراهيم الخزرجي 300

53 - ابراهيم بن حبي القرموني 300

54 - أبو القاسم بن أبي الليدي 301

55 - أحمد المروش 302

56 - أحمد بن معط الجزائري 303

57 - أحمد بن القصير 304

58 - أحمد بن نخيل الحميري 304

59 - أحمد بن الغماز 304

60 - أحمد القرشي الغرناطي 306

61 - أحمد بن اللبان 306

62 - أحمد بن لب المرسى 306

63 - أحمد الأشعري السكان 307

64 - أحمد البطرني 307

65 - أحمد بن النعمان 308

335.....	106 - محمد بن عيسى
335.....	107 - محمد بن القوبع
336.....	108 - محمد القرطبي
337.....	109 - محمد بن همشك
338.....	110 - مخلد بن بقي
338.....	111 - موسى القمجي
339.....	112 - يوسف الجذامي
340.....	113 - يوسف بن اندارس
341.....	س - ذكر من لقيه بسوسة
341.....	114 - أبو عبد الله الدكالي
341.....	ع - ذكر من لقيه بالمهدية
341.....	115 - عبد العزيز التميمي
342.....	116 - يوسف بن السماط
343.....	ف - ذكر من لقيه باطرابلس
343.....	117 - محمد بن عبد السيد
343.....	ص - ذكر من لقيه بالاسكندرية
343.....	118 - أبو بكر بن فارس
344.....	119 - أحمد القرشي الزبيدي
344.....	120 - أحمد المقدسي
344.....	121 - أحمد الدمراوي
345.....	122 - سعيد بن جون المراكشي
345.....	123 - عبد الرحمن الهمذاني
346.....	124 - عبد الله بن خلف القرشي
346.....	125 - عبد الله مكين الاسمر
347.....	126 - عطية أبو الماضي
347.....	127 - علي التجاني
347.....	128 - علي الغرافي السني
348.....	129 - علي بن ذي يزن
348.....	130 - علي الخرجي
349.....	131 - مثقال الحبشي البزاز
350.....	132 - محمد بن شاطر البوني
350.....	133 - محمد بن النوسي
351.....	134 - محمد بن طرخان
351.....	135 - محمد بن الجابي البزاز
352.....	136 - محمد بن عطاء الله
352.....	137 - محمد بن منصور الانصاري
353.....	138 - محمد بن يوسف الجزري
353.....	139 - محمود التتوخي
353.....	140 - يحيى بن الصواف
354.....	141 - يوسف القماح

309.....	66 - أحمد بن يوسف الفهري اللبلي
310.....	67 - أحمد الكتاني
310.....	68 - جماعة الحابي المسيلي
311.....	69 - حازم القرطاجني
312.....	70 - صالح بن شوشن
313.....	71 - عبد الحميد بن أبي الدنيا
313.....	72 - عبد الرحمن بن القوبع
314.....	73 - عبد العزيز بن رأس الحجلة
315.....	74 - أبو محمد البسكري
315.....	75 - عبد الله الطبري الشريشي
316.....	76 - عبد الله بن هرون الطائي
317.....	77 - عبد الله الخلاسي
317.....	78 - عبد الواحد بن الطواح
318.....	79 - عبد الواحد بن مبارك
319.....	80 - عبد الوهاب البجائي
320.....	81 - علي الرماني
320.....	82 - علي بن عمر الشاطبي
320.....	83 - علي بن رزين
322.....	84 - علي القيجاطي
322.....	85 - عمر التجاني
323.....	86 - عيسى بن ديسم
324.....	87 - أبو القاسم بن زيتون
325.....	88 - محمد الحميري
325.....	89 - محمد القيسي السلاوي
326.....	90 - محمد بن تميم الحميري
327.....	91 - محمد الكلاعي
327.....	92 - محمد بن أبي القاسم الانصاري
327.....	93 - محمد اللواتي
328.....	94 - محمد بن حيان الشاطبي
328.....	95 - محمد التجاني
329.....	96 - محمد الكلاعي
329.....	97 - محمد بن الغماز
329.....	98 - محمد بن النعمان
330.....	99 - محمد بن الحاج التجيبي
330.....	100 - محمد بن حبيش
331.....	محمد بن الحكيم
332.....	101 - محمد بن غصن
332.....	102 - محمد بن هريرة
333.....	103 - محمد بن أبي الحسن التجاني
334.....	104 - محمد بن علي الانصاري
335.....	105 - محمد بن قطرال

179	- عبد الرزاق السكان	374
180	- عبد العزيز الحراني	375
181	- عبد الكريم الانصاري	375
182	- عبد الله بن أبي الزين	376
183	- علي بن أبي الكوم	376
184	- غازي الحلاوي	377
185	- محمد بن النحاس	377
186	- محمد الوطواط	378
187	- محمد بن الصانغ المصري	379
188	- محمد القسطلاني	380
189	- محمد بن عاصم الرندي	380
190	- محمد بن عقيل	381
191	- محمد بن عبد الحميد	381
192	- محمد بن سامة الطائي	382
193	- محمد بن الخيمي	382
194	- محمد الشريف الكركي	383
195	- محمد أبو صادق القرشي	384
196	- محمد اليونيني	385
197	- أبو الحسن البديع	385
198	- إبراهيم اللوري	386
199	- أبو بكر المحتال المقدسي	386
200	- ابن الزبير المصري الكاتب	387
201	- أحمد بن صصري	387
202	- أحمد المقدسي النابلسي	388
203	- أحمد بن فرح اللخمي	388
204	- أحمد بن عساكر	389
205	- اسماعيل المرادوي	390
206	- تمام الحنفي	390
207	- ثابت الوزان	390
208	- حسين الشهرزوري	391
209	- زينب الصالحية	391
210	- زينب البغدادية	391
211	- زينب الحرانية	392
212	- سليمان بن حمزة المقدسي	392
213	- سليمان التلمساني العفيف	393
214	- عبد الرحمن المقدسي	394
215	- عبد الرحمن الفركاح	394
216	- عبد الرحمن البعلبكي	395

142	- أحمد بن قطران	354
143	- علي بن عبد الكريم الدمشقي	355
144	- فضل بن علي بن رواحة	355
145	- نصير المناوي الحمامي	356
146	- أحمد الاعلاقي	356
147	- أحمد بن الظاهري	357
148	- أحمد بن النصير	358
149	- أبو بكر القسنطيني	358
150	- خليل المرأغي	359
151	- أبو الوفاء اللحمي	360
152	- زينب البغدادية	360
153	- شعبان الخلاطي	360
154	- الفتى الطواشي	361
155	- عبد الرحيم بن خطيب المزنة	361
156	- عبد الكريم الحلبي	362
157	- محمد بن سنان	362
158	- عبد المومن الدماطي	363
159	- عبد الواحد الحنبلي	363
160	- عبد الولي البعلبكي	364
161	- عبيد الله التقي عبيد	364
162	- عتيق القيسي العامري	365
163	- عيسى بن سنان بن القاهري	365
164	- عيسى بن يحيى السبتي	365
165	- محمد الخراساني التلمساني	366
166	- محمد القسطلاني	366
167	- محمد الانماطي	367
168	- محمد الدلاصي	368
169	- محمد بن درادة القرشي	368
170	- محمد بن دقيق العيد	369
171	- محمد الاصبهاني	370
172	- محمد الصفار المطرز	370
173	- محمد بن حيان الغرناطي	370
174	- مسعود الحارثي العراقي	371
175	- أبو بكر المنذري	372
176	- أبو بكر العسقلاني الرزاز	373
177	- الاسعدي الشرابي	373
178	- عبد الرحيم الدميري	374

القسم الثالث:

- أدبيات الرحلة 417..
المبحث الأول: الشعر 418..
مقدمة 419..
مقدار الشعر الوارد في الرحلة 420..
طبيعة هذا الشعر 427..
أ - توثيق الرحلة لشعر القدامى ... 427..
ب - القصائد الطوال 436..
ج - سند ابن رشيد في رواية هذا الشعر 454..
- سنده في شعر أبي العتاهية 454..
- سنده في شعر أبي نواس 455..
- سنده في شعر ابن خفاجة 456..
د - موضوعات الشعر الوارد في الرحلة 456..
1 - الشعر الديني 457..
أ - المديح النبوي 458..
ب - في الحديث وشرفه 474..
ج - مثال النعل الكريمة 479..
د - نكبة الحسين والاحتفال يوم عاشوراء، مذهب التشيع في المغرب والاندلس 487..
هـ - الحج والحجيج 502..
القصائد الحجازيات 502..
ز - الزهد 513..
ح - النسب الممزوج بالتصوف 525..
2 - المدح 530..
أ - مدح الطالب شيخه 530..
ب - مدح الشيخ تلميذه 539..
ج - مدح الكتب والعلوم ومصنفاتها 542..
د - مدح الملوك والأمراء والقضاة 547..
هـ - المدح والتهنئة 550..
3 - الفخر 552..
المفاضلة بين المشرق والمغرب 552..
4 - الرثاء 554..
رثاء الأشخاص ورثاء المدن 554..
أ - رثاء الأشخاص 555..
ب - رثاء المدن والملوك الزائل 559..

- 217 - عبد المحسن الابهرى 395..
218 - أبو الحسن القاسيوني 395..
219 - علي بن البخاري 396..
220 - القاسم البرزالي 397..
221 - محمد الارموي 398..
222 - محمد الحموي 398..
223 - محمد السعدي الصالحي 398..
224 - محمود بن فهد الحلبي 399..
225 - يوسف الحنفي الصالحي 400..
ض - ذكر من لقيهم بالقدس 401..
226 - عبد الرحمن بن قدامة 401..
227 - عبد المنعم القرشي 401..
228 - علي المقدسي الصالحي 402..
229 - علي بن الافتخار 402..
علي العزافي السني 402..
230 - يوسف مالك الأوحى 403..
ظ - ذكر من لقيهم بنابلس 403..
231 - أحمد دمشقي 403..
232 - علي الحنبلي 403..
233 - محمد النابلسي 404..
234 - محمد عماد الدين النابلسي 404..
غ - ذكر من لقيهم بالمدينة المنورة 404..
235 - ابراهيم الفاسي 404..
236 - أحمد بن عثمان الشافعي 405..
237 - عبد الحميد الزجاج 405..
238 - عبد الرحيم الزجاج 406..
239 - عبد السلام البصري 407..
240 - علي التجاني 407..
241 - فاطمة البطاحي 408..
242 - يوسف الشقاري 409..
ذكر من لقيهم بمكة المكرمة 409..
243 - أبو بكر بن خليل 409..
244 - أحمد العسقلاني 410..
245 - أحمد محب الدين الطبري 410..
عبد الحميد الزجاج 411..
عبد الرحيم الزجاج 411..
246 - عبد الصمد بن عساكر 411..
247 - عبد الله اللقاني 413..
248 - عبد الله المرهاني 413..
249 - عمر بن الصواف 414..
250 - محمد العسقلاني 415..
محمد بن الحكيم 415..

5 - شعر الجهاد والاستصراخ

- 562 والنجدة
6 - الهجاء والعتاب 567
7 - الغزل والنسيب 568
8 - الشكوى من الدهر والزمان
والفراق والوداع 579
9 - الوصف 584
10 - نظم معاني العلوم 589
11 - الطرائف والملح 597
12 - الاغاز 600
المبحث الثاني: النثر 602
أ - الاجازة 617
ب - الاجازة بالحوشي من اللغة 619
ج - سؤال الطالب شيخه 620
د - القصص والنوادر والحكايات 623
المبحث الثالث: البلاغة والنقد 625
أ - ابن رشيد والبلاغة 625
ب - بعض آرائه وأحكامه النقدية 634
ج - أهم المصطلحات البلاغية
والنقدية الواردة في الرحلة 647
المبحث الرابع: النحو 656
- ابن رشيد وكتاب سيبويه 657
- سند ابن رشيد في هذا الكتاب 657
- بعض المناقشات النحوية 662
^ واضع علم النحو 662
^ مناقشة في الحرف ومعناه 664
^ استعمال أرايت مع أي
الاستفهامية 667
^ فعل الأمر المؤكد 668
^ قاعدة النسب إلى بني حنيفة
وأبي حنيفة 669
^ مناقشة في الدرر 670
المبحث الخامس: العروض 572
^ تفسير ما يتركب منه الشعر 674
^ السبب والوئد والفاصلة 674
^ أجزاء التفعيل 675
^ الفصل والغاية 675
^ الزحاف والعلل 676
^ خلاصة 681

القسم الرابع:

- العلوم النقلية والعقلية 683
المبحث الأول: القرآن الكريم
تفسيره وبيانه 684
المبحث الثاني: الحديث النبوي
الشريف 719
أ - مقدمة 720
ب - احصاء الحديث الوارد
في الرحلة 721
فهرس الاحاديث الواردة في الرحلة 734
من عدد 1 إلى عدد 351
كشاف عن معاني الاحاديث
السابق ذكرها 805
الجرح والتعديل 825
مصطلح الحديث 839
المبحث الثالث: الفقه 849
- أعرابي يبول في المسجد 852
- الوضوء والرجلان في الخفين 852
- النضح وحكمه 853
- اعادة الصلاة 854
- صلاة الجمعة وعدم شهادتها 855
- الوتر بين الوجوب والندب 856
- مسائل الحج وشعائره 856
- العمره بين الوجوب والندب 860
- الوصية لكتبة الحديث 861
- الكفن في القميص الذي يكف
ولا يكف 861
- الحلف بالايمن والعرف 861
- الشروط المقترنة بالبيع 863
- الصدقة 863
- الشهادة والعمل بالفرائض 863
- الاجماع والاجتهاد 864
- نوادر وحكايات فقهية 864
المبحث الرابع: الاصول 866
المبحث الخامس: الزهد
والتصوف 870
- الدروزة 878
- العقيدة العمرية 879

- كل مكان يدعوني إلى

عبادة ربي 880

- عبادة الملك الكامل 880

- هاتف يهتف بالجو 881

- حكاية صوفية: المريد

لا تتقطع مسانله 882

المبحث السادس: علوم أخرى 883

- العقلیات (الفلسفة والمنطق) 885

- علم الطب 892

كشاف ببعض المعاني

الواردة في الكتاب 895

تنبيه على ما تبقى من الدراسة 909

فهرس المصادر والمراجع 911

الفهرس المفصل

لمحتويات الكتاب 939

رقم الإذاع القانوني : 2003/1708
ردمك : 9981-826-81-2

مطبعة إيت
الهاتف : 037 81 41 45/46/47